

بؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذڪر الا اولو الالباب

الْحَمْدُ

١٣١٥

ونشر عبادي الذين يستمعون القول فيذبحون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأتاهم هم أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر السبت غرة المحرم سنة ١٣٢٤ - ٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم انا نحمدك على ما آتيت من المواهب والقوى ، وأنزلت من
البينات والهدى ، ونصلي ونسلم على نبيك المصطفى ، الذي بعثته لإصلاح
جميع الورى ، ونستمطر رحمتك ورضوانك على من صلح باتباعه واهتدى ،
ثم أصالح بحاله وقاله وهدى ، « ١٨ : ١٠ » رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، « ولا تهلكنا بما فعل أهل السرف منا والهوى ،
واكفنا اللهم شر من ظلم من رؤسائنا وبعي ، وقتنة من ضل من
عرشدينا وغوى ، وخسر من عصى من دهائنا واعتدى ، واجعل اللهم
لنا على أيران هذه الحوادث هدى ، ويسرنا بفضلك اليسرى ، وانفعنا
بما أنزلت من الذكرى ، وآتانا ما وعدتنا في الآخرة والاولى ،

هذا ما يفتح به المنار سنته التاسعة - تذڪير ودعاء ، يعشهما أمل

ورجاء ، على حين سحلت صرائر الآمال ، وخويت من الرجاء قلوب الرجال ، وأحاط الخطر بالمسلمين من كل جانب ، وتنازع إرث ما بقي من أرضهم الأجنبي ، بين سلطان يجارب العلم وسلطان يحارب الجهل ، وأمير مفتون بالله ، وأمير مغبون بالفقر ، وعالم ينافس بكسوة التشریف ، وعالم يحسد على الرغيف ، ومرشد يؤيد حكومة يستغل سلطتها ، ومرشد يخادع أمة يستدرّ غفلتها ، في بلاد أمات الاستبداد قلوب كبرائها ، وبلاد أفسدت الشهوات أخلاق أغنيائها ، دع ذكر البلاد التي نزع بين زعمائها شيطان السياسة ، فأغرام بالتنازع على الرياسة ، والأمة من وراء هؤلاء الكبراء تذلل كل يوم وتخزي ، سنة الله في القرون الأولى ، « ٢٠ : ١٢٨ »

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى *

نعم ان المسلمين أمسوا كالريش في مهب رياح الحوادث ، وكالغشاء في مجرى سيول الكوارث ، لا رأي لخواصهم فيما يراد منهم ، ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللأجانب يد في تصرف حكمانا في سياستنا ، ويد في تصرف أموالنا في مصالحهم دون مصالحتنا ، ويد تطبع الأرواح بأخلاق وعادات تنافي آداب ملتنا ، وتودع في العقول عقائد وأفكارا تقوّض بناء وحدتنا ، فأى شيء بقي في أيدينا من شؤون أمتنا ، اللهم انه يقل فينا من بقي له أذن تسمع وعين تبصر ، وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل في هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة ، وثبات فيما يحاول من كشف الغمة ، والرجاء بفضل الله تعالى محصور في هؤلاء الاتلين ، ومن يتصل بحزبهم حيناً بعد حين ، والماقبة للمؤمنين ، « ٢ : ٤٩ » كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ

عَلِمْتُ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * «٢٠: ١٣٢» وَأَمْرٌ أَهْلَكَ
 بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * ١٣٣
 وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ: أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى *
 بلى قد جاءتنا صحف لأولى، فكانت مثالا لما رأينا في صحف الآخرين،
 انه لم تستيقظ أمة من نومتها، ولم تبعث دولة بعد موتها، الا بصيحة نهر
 من أولي الألباب، ومثقي العقول والآداب، الذين يغير الله ما في نفوس
 أقوامهم، بما يلقيه من الحكمة في ذلقة، لستهم ونفحات أقلامهم،
 فيستبدلون الاعتصام بالانقسام، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفرقة،
 والمقة والحب، بالبغضاء والمقت، وبذلك يشعر الافراد بمعنى الأمة، ويعملون
 بالتعاون فيكونون أمة، «٤٠: ٨٥» سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدَخَلْتَ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ
 هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ * ٥٣: ٣١ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ
 الَّذِينَ اسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى *
 ما المنار الا صحيفة أو صحف أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها
 سواء منهم من دعا الى الاصلاح قبلها ومن يدعو اليه معها ولتكبير سواد
 الدعاة الذين يتعلمون للأمة، ويعملون للأمة، ويحيون للأمة، ويموتون في
 سبيل الأمة، بذلك صرحنا في فاتحة السنة الأولى وبذلك نصرح في كل سنة
 من السنين، مهتدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة خاتم النبيين والمرسلين؛
 الذين هما ينبوع الهداية، واتباعهما عنوان السعادة، من تمسك بهما نجا، ومن
 تركهما ضل وغوى، وخزي في الآخرة والأولى، «٢٠: ١٢٤» وَمَنْ أَعْرَضَ
 عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * ١٢٥ قَالَ

رَبِّ لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * ١٢٧ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ
رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْنَى *

هذه نذر الكتاب المبين، لمن ترك الاعتصام بحبله المتين، يجازى بالضيق
والضنك في معيشته الأولى، وبالعذاب في الدار الآخرة، وقد قال تعالى
وهو أقوم قبلاً، «٧٢: ١٧» ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضلَّ سبيلاً * «فالدنيا مزرعة الآخرة، وسنة الله تعالى فيهما واحدة
فاذا سلكنا سبل الظلم والافساد، حتى زال عزنا وسلطاننا من البلاد، فلا
ينجينا في الآخرة لقب الاسلام، ولا الاتساب الى أولئك السلف الكرام، أما
سمع المفرور حديث الصحيحين: يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ماشئت
لأعني عنك من الله شيئاً» «٣٩: ٥٣-١» أم لم ينبأ بما في صحف موسى،
وإبراهيم الذي وفى * «أَنْ لَا تَزُرُ وَازِرَةً وَزُرًا خَرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا
مَا سَعَى * وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى * «

القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر، بما أصابهم وأصاب
دولهم من الخسر، الذي جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر، وبأخذ الامم والدول ايهم أخذاً ويلاً، «١٤١: ١» ولكن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً * «نعم ان المؤمن يتلى ويفتن، ولكنه
لا يهن ولا يحزن، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين، «٣٩: ٣» ولا تهنوا ولا
تخزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين * «١١: ٢٢» ومن الناس من يعبد الله
على حرف فان أصابه خير أطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * « فما اتفم المغرورون
بهذه الذكرى ، ولا اتبعوا هذه الهداية العليا «٢٣:٥٣» ان يتبعون إلا الظن
وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * «٢٤» أم الإنسان ما تمنى *
٢٥ فله الآخرة والاولى *

نعق به ناعق أئمة الجور ، ونصير الاستبداد والظلم ، أن لا نجاة
لكم من البلاء الذي أصابكم ، ولا أمن لكم من الخطر الذي يوشك أن
ينزل بكم ، الا ببناء ارادكم في ارادة حكامكم ، لا بتغيير ما في أنفسكم من
أوهام وخرافات ، وأخلاق ذميمة وعادات ، ولا بتربية العقل والارادة
على الاستقلال ، والتعاون على البر والتقوى والاشترك في الاعمال ، ولا
بجعل الشورى قاعدة الأحكام ، واقامة الشريعة في الحلال والحرام ، ولا
بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولا بالأمر بالعرف والنهي عن النكر ، -
وصاح بهم خطيب فتنة الوطنية ، أن لا حياة لكم بالرابطة الملية ، لأنها
ممقوتة في نظر أهل المدنية الغربية ، الذين سادوا بترك العصبية الدينية ،
فعلى أهل كل قطر إسلامي أن يعتزوا بسكان بلادهم الاولين ، ولا يجوامن
هاجر اليهم من المؤمنين ، فضلا عن ايثارهم كما فعل الانصار مع المهاجرين ،
فما اعتز به المسلمون الأ ولون من آداب القرآن ، قد نسخته مدينة أوربا في هذا
الزمان ، فالوطنية الوطنية ، الزموها تكونوا من الفائزين ، والدخلاء الدخلاء
احذروهم وان خدموا الامة والدين ، ان يبغون بدعوة الوطنية الا العصبية
الجاهلية والهوى ، وكثرة المرض والغنى ، والزلفى عند أهل المراتب العليا ،
«٢٩:٥٣» فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ٣٣ ذلك

مبأفهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى»
 اختلفت عليكم الدعوة أيها المسلمون، وكل حزب بما لديهم فرحون
 «٢٤: ٨ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ولرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»
 فله وحده دعوة الحق، وما خالفها فهو باطل أوفسق «٢٦: ١٥٠ فاتقوا الله
 وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسَلِينَ» ١٥٢ الذين يفسدون في الأرض
 وَلَا يُصْلِحُونَ* «ها نحن أولاء قد خرجنا عن استقلالنا الاجتماعي زمنًا
 طويلًا، أطعنا فيه ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلًا، وأخذنا الأجنبي من
 ناحية سلطتهم أخذًا وبيلا، فما أغنت عنا ذلة العبودية لهم قتيلا» ٢٩: ٢٦
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا. «ولا سبيل إليه الا
 باتباع هدايته، والسير على سننه في خليفته» ٨٤: ١٧ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ
 شَاكِلَتِهِ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا» ١٠: ٩٢ والليل إذا
 يَنشَى، والنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى*
 فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى، وَوَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى* وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَعْتَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى*

فعلیکم أيها المسلمون وقد أعوزت النجاة، واختلفت دعوة الدعاة،
 أن تجیبوا داعي الله، وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله، لا إعلاء
 كلمة الله ومواساة عياله، واتق أسباب الفتن والحزن، والفواحش ما ظهر
 منها وما بطن، وصدق بالشریمة الحسنى، والخليفة الفضلى، تصديق
 إذعان، يتبعه العمل بالجنان والأركان، والتعاون على البر والتقوى دون
 الأثم والعدوان، فإذا فعلتم ذلك يسر الله لكم خط النجاح اليسرى، وأقامكم

على طريق الفطرة المثلى ، وأعزكم في هذه الدنيا، ولكم في الآخرة الجزاء الأوفى ، ولا تكونوا ممن يخل بفضل نعمته ، واستغنى بالتعزز بماله عن الاعتزاز بأمنته ومولته ، وكذب في نفسه بان الشرعة الحسنی، والخليفة الفضلي ، هي طريق السعادة الكبرى، فان الله تعالى لا ييسر له بمقتضى سنته الاعسرى الخاطئین، وسوءى الطريقین، فيكون شقيماً بماله، مضطرباً في حاله، مبعثاً الى قومه وآله ، لافرق في هذه السنة، بين الشخص والامة، والامر في الشعوب أظهر لمن يرى، فمارزى شعب هذه الثلاثة الا وقع في مهاوي الردى ٩٢: ٩١-٩٣
وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ، وَإِنَّا لَنَآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ *

هذا ضرب من ضرب هداية القرآن ، الذي دعا الى جميع الاصول التي فيها سعادة الانسان ، فجعل البرهان العقلي أساس العقائد ، وأقام بقاء الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد الى ما لشؤون البشر الاجتماعية ، من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية، وأثبت أن الدين القيم الذي جاء به الاسلام ، هو اقامة سنن فطرته التي فطر عليها الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية ، واصلاح النفوس بالاخلاق المرضية ، واصلاح شؤون البشر الاجتماعية ، باقامة العدل والسير على السنن الكونية ، فمن أقام هذه الاركان كلها كان هو المسلم الكامل وان سمي ملحداً أو دهرياً ، ومن هدمها كلها كان ملحداً في آيات الله وان سمي نفسه مسلماً حنيفياً ، ومن كان أقرب اليها ، كان حظّه من السعادة بمقدار سهمه منها ، ومتى تنازع شعبان أو أمتان ، كان الظفر لمن كان أقرب من هذه الأركان، وهو الاقرب الى هداية القرآن
١٨: ٥٩ وتلك القرى اهل كنفهم لما ظلموا وجمعنا اليهم موعداً *

١٦:٧٢ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ١٧ لَنَقِصُّهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا «٩:٨٧» فَذَكَرْتُ
أَنْ تَقَعَتِ الذِّكْرَى ١٠ سَيِّدٌ كَرُمٌ مِنْ يَحْشَى *

أما حزب الشيطان ، وأنصار الظلم والعدوان ، فسيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن ، هي اجتهاد اقبل بابه في هذا الزمان ، والداعي اليها عدو مبين لأهل الايمان ، وما علينا الا تقليد شيوخنا أهل الفقه والعرفان ، ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياع الاسلام ، على عواتق أهل السلطة المتغلبين على الأحكام ، ومنهم من يوجب الخضوع لكل ذي سلطان ، وان نسخ باستبداده القرآن ، وطنى بظلمه في الميزان ، ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ، ومنهم من يقول ليس لها الا المهدي المنتظر ، ومن ورائهم قوم آخرون سرقوا من الدين ، أنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين ، يقولون لارجاء للمسلمين بحياة مليه ، ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيا حياة وطنية فلا حياة لهم ، واذا لم يتبعوا خطوات أوروبا فلا مدنية لهم ، كل هذا وذلك مما ينادي به المسلمون الجغرافيون أو السياسيون ، ولهم شهوات من دون ذلك هم لها عاملون ، ولم ترد دعوة من هذه الدعوات أنكروا الرؤساء الرسميين ، والامراء المستبدون ، الا دعوة هذه الامة ، الى الاهتداء بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار ، وآذوا الأهل والانصار ، ودسروا على الدار ، واحتوا والنكتب والاسفار ، وراقبوا الشيخ في عقر الدار ، حتى اختار الله له دار القرار ، وصادرونا في الوقف وتصددوا والاعتار ، وهناك العالم الأعمى ، يمد بغيه الحاكم الظالم ، هذا وقد كان لبلاد الحرية ، اصبح فيما كان في بلاد العبودية ، بعد

استثناء وأثمار ، بشأن الإخراج من الديار ، فكان نجاح المشرك ، بديلا من خذلان المشرك ، ووطن أشهر جرائد المسلمين اليومية ، ايماء الى تلك المقاصد الخفية أو الجلية ، وما زادنا ذلك الأرجاء بالله ، وانتظاراً لروح الله ، مع المعجز والتقصير ، وقد المون والنصير ، فوعده تعالى هو الحق ، وما جاء به رسوله هو الصديق « ١ : ٥٣ والنجم اذا هوى * ٢ ماضل صاحبكم وما غوى * ٣٥ : ٢٠ قل كل متربص فتربصوا فتعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى * »

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

﴿ مباحث المنار الدينية ودعوته الى الانتقاد عليه ﴾

ان الغرض من مباحث المنار الدينية هو بيان ان الاسلام هو الحق المادي الى سعادة الدنيا والآخرة ودفع شبه أعدائه عنه في عقائده وآدابه وأحكامه والدعوة الى الاهتداء به . وانما توجه الشبهات الى الكتاب والسنة لا الى أقوال العلماء والفقهاء فمن ثم كانت عمدة المدافع عن الاسلام والمحتج على حقيقته انما هي نصوص الكتاب والسنة . فترغب الى من يسألونا عن حكم الاسلام وأحكامه أن لا يقيدونا بمذاهبهم ومن أراد الانتقاد على المنار في أمر ديني فليؤيد انتقاده بالدليل كآية كريمة أو حديث محتج به لا بقيل وقال . الا اذا أخطأنا في نقل عن أئمة العلم الذين نستضيء بأنوار أفهامهم في الكتاب والسنة أو في الفهم أو في الاداء فللمتقدم أن يبين لنا ذلك . واننا نعيد القول كما بدأناه أول مرة بأننا ننشر كل ما ينتقده علينا العلماء والأدباء ، وما يشكل على عامة القراء ، فان كان المنتقد مصيبا اعترفنا وشكرنا ، وان كان مخطئا بينا وأعذرنا ، ولا عذر لعالم يرى منا الخطأ فيسكت عليه بعد علمه بهذا وبأن الحق يدفع الباطل و بأن الله أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليعينه للناس ولا يكتمونه ، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن يذم المنار بعد هذا أو يقدح في صاحبه ولم يبين له خطأه فهو فاسق مغتاب ، كاتم العلم مذموم بنص الكتاب

باب العقائد

﴿ مسائل الاختيار والعملة والحكمة والحسن والقبح ﴾

نذكر ما ورد السفاريني في هذه المسائل ليتم قراءة كتب الأشعرية ما في غيرها من الحقائق التي قد تحتاجها إلى صواب ، وان الاقتصار على كتب طائفة معينة هو من قيود التقليد. قل في شرح قوله

﴿ وربنا يخلق باختيار من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿ وربنا ﴾ تبارك وتعالى ﴿ يخلق ﴾ ما شاء ان يخلقه من سائر مخلوقاته ﴿ باختيار ﴾ منه فذهب سلف الامة وأئمتها أن الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الامور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له أسماء من أسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بهداه لم تكن سواء كان

ذلك على مثال سابق أولا والابداع إحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق (من غير حاجة) منه تعالى إليه أي يخلق الخلق لا الحاجة إليه ولا (اضطرار) عليه فالحاجة المصلحة والمنفعة والاضطرار الأجل والاحوج والالزام والاكراه فالحاجة بأعنة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكره له عليه بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الإرادة وهذا قول جمهور من ثبت القدر وينسب إلى السنة من أهل الكلام والفقهاء وغيرهم وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الأشعري وأصحابه وهو قول كثير من نفاة القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعلته لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة إليه سواء أو يكون وجودها أولى به فإن كان الأول امتنع أن يفعل لأجلها وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وأيضا فالعلة إن كانت قديمة وجب قدم المعلول لأن العلة الغائية وإن كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصود فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال - أول الفكرة آخر العمل - وأول البنية آخر المدرك - ويقال إن العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فن فعل فعلا المطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فإذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديما كان الفعل قديما بطريق الأولى فلو قيل إنه يفعل لعلته قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وإن قيل إنه فعل لعلته حادثة لزم محذوران (أحدهما) أن يكون محلا للحوادث فإن العلة إن كانت منفصلة عنه فإن لم يعد إليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وإن قدر أنه عاد إليه منها حكم كان ذلك حادثا فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك للعللة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فإن كانت لغيره لزم العبث كما تقدم وإن كان لعلته عاد التقسيم فيها فإذا كان كل ما يحدثه أحدثه لعلته ما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) إن تلك العلة إما أن تكون مرادة لنفسها أو لعلته أخرى فإن كان الأول امتنع حدوثها لأن ما أراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر

احدائه وان كان اثباتي فالقول في ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل فهذه الحجج من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه (التقدير الثاني) قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله الفلاسفة القائلون بقديم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلا ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا لانفي بالعلة التامة الا ما تستلزم المعلول فاذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل وهي المقتضي التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم تكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجديد سبب حادث والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح بلا مرجح . ثم اكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لسكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لافاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الارادة) هذا القول يستلزم أن لا يحدث شيء وان كل ما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك وما ذكر أن يقال لهم حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتمنا فان كان ممتمنا لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وان كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسماوات والارض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حججكم على

التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ما تدكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت العد والاحصاء كاحدائه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الغائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فصل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين التقيضين وهو لاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وامثال ذلك (التقدير الثالث) وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محمودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كابي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لرقه وألم يجده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الالم واما لالتذاذ وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الأمور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل

سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء
وكل من فعل فملاً ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه
لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم علمتم أفعاله تعالى فراراً
من العبث فوقتم فيه فإن العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة
تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا يرضوه ولا أحد من العقلاء أحداً بالأحسان
إلى غيره ونفعه ونحو ذلك إلا لئله في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعل
لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لأني العاجل
ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر ومن ثم قال ﴿ لكننه ﴾ تعالى وتقدس هذا
استدراك من مفهوم قوله أنه يخلق بالاختيار أي لا بالذات خلافاً للمعتزلة ومن
واقفهم من غير حاجة إليه ولا اضطرار عليه غير أنه جل وعلا ﴿ لا يخلق الخلق سدى ﴾
أي هملاً بلا أمر ولا نهي ولا حكمة ومعنى السدى المهمل وأبل سدى إذا كانت
ترعى حيث شئت بلا راع ﴿ كما أتى في النص ﴾ القرآني والسنة النبوية والآثار ما
هو كثير جداً أن الله تبارك وتعالى لا يفعل إلا الحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما
خلق شيئاً ولا قضاء ولا شرعه إلا بحكمة بالغة وإن تقاصرت عنها عقول البشر
﴿ فاتبع الهدى ﴾ بأقنفاء المأثور واتباع السلف الصالح ولا تجحد حكمته فكما
لا تجحد قدرته فهو الحكيم القدير قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه
ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن واقفهم في مسألة التحسين
والتقبيح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن واقفهم من أصحاب أبي
حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن
الإمام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفي ذلك الأشعرية ومن واقفهم من أصحاب
مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وانفق الفريقان على أن الحسن والقبح إذا فسر بكون
الفعل نافعاً للفاعل ملاً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له أنه يمكن معرفته بالعقل
كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء وهوؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم
بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الأفعال التي أوجبها الله تعالى
وندى إليها هي نافعة لفاعلها ومصلحة لهم وجميع الأفعال التي نهى الله عنها هي

ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم والحمد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل مفسدة له والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل إلا ما عاد إلى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكنا من الأفعال فهو حسن إذ لا فرق بالنسبة إليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود إلى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعندهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وإن كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقولهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قدير ولا يقولون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقرون بأنه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه فإنه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) أي لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبديل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره « لا ظلم عليك اليوم »

والحاصل أن فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعله في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني أنهما لعله وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاة عن إجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجود الصلاح ولهم في الإصلاح قولان كما يأتي في النظم والمخالفون لهم يقولون بالتعليل لا على منهج المعتزلة قال شيخ الإسلام لأهل السنة في تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والأكثرون على التعليل والحكمة وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أوقائمة مع ثبوت الحكم المنفصل؟ لهم فيه أيضا

قولان وهل يتسلسل الحكم أولا يتسلسل أو يتسلسل في المستقبل دون الماضي ؟
 فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني
 إسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وما حملنا القبلة الي كنت عليها الا لنعلم)
 ونظائرهما ولأنه تعالى حكيم شرع الاحكام للحكمة ومصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشتمال الافعال على الحكم والمصالح جوارزا
 عند أهل السنة ووجوبها عند المعتزلة فيفعل ما يريد بحكمته وتقدم ان النافين
 للحكمة والعلة احتجوا مما احتجوا به انه يلزم من قدم العلة قدم المعلول وهو
 محال ومن حدودها افتقارها الى علة أخرى وأنه يلزم التسلسل قال الامام الرازي
 وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما أجاب به من قال
 بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلة قدم معلولها كالارادة فانها قديمة ومتعلقها
 حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ
 الاسلام وجمعا من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلة في أفعال الباري جل وعلا وأقاموا
 على ذلك من البراهين ما لعله لا يبقى في مخيلة الفطيين السالم من ربة تقليد الاساطين
 أدنى اختلاج وأقل تخمين وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجاب
 وأجيب وأتى بما يقضي منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و (مفتاح دار
 السعادة) وغيرها فما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين
 اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
 ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فانكره من جهة
 قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز
 ان يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحسبان
 باطل والله متعال عنه لما فاته لحكمته فقال تعالى (أحسب الانسان ان يترك
 سدى) فانكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جعل في العقل
 استنباح ذلك واستهجانه وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله
 قوله تعالى (أفحسبتم ان ما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) فتعالى الله الملك
 الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وباعدها عن هذا

الحسبان وأنه متعال عنه فلا يليق به لقبه ومنافاته الحكمة وهذا يدل على إثبات المعاد بالعقل كما يدل على إثباته بالسمع ثم إن ابن القيم بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين أحدهما في التلازم بين الحسن والقبح العقليين وبين الإيجاب والتحرير شاهداً وغائباً والثاني في انتفاء اللازم وثبوته فأما المقام الأول فمشتبي الحسن والقبح فيه طريقتان أحدهما ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون وهو القول الذي نسب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني إثبات الحسن والقبح وأر بابه يقولون بإثباته ويصرحون بنفي الإيجاب قبل الشرع على العبد وبني إيجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كابي الخطاب وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الإمام المشهور وغيره وهؤلاء في نفي الإيجاب العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فالأقوال أربعة لا يزيد عليها (أحدها) نفي الحسن والقبح ونفي الإيجاب العقلي في العمليات دون العلميات كالمعرفة وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره فعرف أنه لا تلازم بين الحسن والقبح وبين الإيجاب والتحرير العقليين فهذا أحد المقامين

(وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوته فلنأخذ فيه هنا ثلاث طرق أحدها التزام ذلك والقول بالوجوب والتحرير العقليين شاهداً وغائباً وهذا قول المعتزلة وهؤلاء يقولون : يترتب الوجوب شاهداً ويترتب المدح والذم عليه . وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فمن أثبت منهم يقولون إن العذاب الثابت بعد الإيجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الإيجاب العقلي وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الإيجاب والتحرير العقليان غائباً فهنم مصرحون بهما ويفسرون ذلك بالزوم الذي أوجبه حكمته وأنه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب والفوب فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضاه ذاته وحكمته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمنافاته كإله وغناه قالوا وهذا في الأفعال نظير ما يقول أهل السنة في الصفات أنه يجب له كذا ويمتنع عليه

كذا فكما ان ذاك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه استحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالات القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين النقيضين وبابه فقابلوا المترلة أشد مقابلة واقتساما طسرفي الافراط والتفريط ورد هو لاء الوجوب والتحرير الذي جاءت به النصوص الى مجرد صدق الخبر فما أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحرير عندهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلا كتحرير الظالم على نفسه فأنهم يفسرونه بالمستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الأشعرية ومن وافقهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بعقولها حرمت عليه وأوجبت ما لم يجرمه على نفسه ولم يوجبه على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما يتعالى ويتزه عنه لما فاتته حكمته وكاله والفرقة الوسطا أثبتت له ما أثبتته لنفسه من الإيجاب والتحرير الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبته الى ضده لانه موجب كاله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضفتها بعقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم « يا عبادي ابي حرمت الظلم على نفسي » وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (ومار بك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون قتيلا) فأخبر بتحريره على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارانته وللناس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزهه عن فعله وارانته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحدها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فشهوه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فضر بواله من قبل أنفسهم الامثال فصاروا بذلك هشيبة ممثلة في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل

الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الأمثال ومثلوه في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية الممثلة امتنعت من اثبات المثل الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الأمثال ومثلوه في صفاته بالجoadات الناقصة بل بالمعدومات وأهل السنة تزهووه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال وتزهوه فيها عن الشبيه والأمثال فأثبتوا له المثل الأعلى ولم يضربوا له الأمثال فكانوا أسعد الناس بمعرفته واحتبهم بولايته ومحبته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ثم التزم أصحاب هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة ما لا قبل لهم به فقالوا إذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الإعانة فقد ظلمه والتزموا أنه لا يقدر أن يهدي ضالا كما زعموا أنه لا يقدر أن يضل مهتديا وقالوا أنه إذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما بإعانتة على فعل المأمور كان ظلما وأنه إذا اشترك اتنان في ذنب يوجب العقاب فعاقب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظلما إلى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جعلوا لاجلها ترك تسويته بين عباده في فضله وإحسانه ظلما فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الأمور الممتعة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له تعالى ولا أنه تركه بمشيئته واختياره وإنما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقاب القديم محدثا والمحدث قديما ونحو ذلك والأفكل ما يقدره الذهن وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس بظالم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا الحديث به وأسندوا ذلك وقووه بآيات وآثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فأهمهم عبادك) يعني لم تتصرف في غير ممالكك بل إنما عذبت من تملك وعلى هذا فجوزوا تعذيب كل عبده ولو كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما وقوله تعالى (لا يستل عما يفعل وهم يسئلون) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وباروى عن اياس بن معاوية قال: ما ناظرت بعقلي كله أحدا الا القدرية قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وأن تتصرف فيما ليس لك قلت فإله كل شيء: والتزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب انبياءه ورسله وملائكته

وأولياءه وأهل طاعته ويخلد هم في العذاب الاليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنته وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار متمتعا لاخباره أنه لا يفعله لا لمنافاة حكمته ولا فرق بين الأمرين بالنسبة اليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لأرادته وخبره وامتنع ضده لعدم ارادته وإخباره بأنه لا يكون، والتزموا أيضا أنه يجوز أن يعذب الاطفال الذين لا ذنب لهم أصلا ويخلد هم في الجحيم وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معا أصحاب التفسير الثالث وقالوا: الصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلا واردة هو ما فسره به سلف الامة وأعمها أنه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا تكنسب يده ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها اذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين النقيضين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما فما يتنزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلما وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين . قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه ان عذبهم فأنهم عباده وأنه غير ظالم لهم وأنه لا يستل عما يفعل وان قضاءه فيهم عدل وبمناظرة اياس للقدرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حتى يجب القول بموجبها ولا تحرف معانيها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل على أنه يجوز عليه تعالى ان يعذب أهل طاعته وينعم أهل معصيته ويعذب بغير مجرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة وكمال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضع العقوبة والثواب مواضعهما وأنه لم يعدل بهما عن مسببهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وأنه ليس فوقه أمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال وأنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لكان ذلك تعديبا ملحقه

عليهم وكانوا اذ ذاك مستحقين للعذاب لان أعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «ان ينجي أحدا منكم عمله» قالوا ولأنت يا رسول الله قال «ولا أنا الا ان يتعدني الله برحمته منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة أعمالهم ولا هي ثمنها فانها خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا من أعمالهم» فجمع بين الامرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالم لهم وانه لو رحمهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم اذ رحمته خير لهم من أعمالهم فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقيل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لانسبة لها الى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تنقضاءه شكرا والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يحب الله عليه فجميع عبادته تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لان حيث كونه قادراً عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرير والله أعلم اه

(المنار) أيها الأشعري انك ترى في هذه الجملة من القول عن أئمة الامة ما ينبئك بحقيقة معنى العلة والحكمة وأن كلا من المتزلة والاشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى ، وأن مذهب السنة الصحيح وسط بين المذهبين وأن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهباً معيناً دون النظر في كتب أهل المذاهب الاخرى يفك الآخذ مني ربة التقليد ولا يهديه الى طريقة التمهيد والتحديد وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من لقبهما به من العلماء الاعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعذله ورحمته وفضله كما يدلان على قدرته وارادته واختياره يستحيل عليه تضادها فكل أفعاله حكمة ومصلحة للخلق والحكمة أو المصاحفة في الفعل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فاجمع بين العقل والنقل مهتداً للسبيل ولا تمكفر أو تضلل أحداً من أهل القبلة اذا هو خالف مذهبك بالعلة أو غير العلة

فَتَحْنَا فِي الْمَبْتَدَأِ

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وجمعه (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمي إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وإننا نذكر الأسئلة بالتسريح غالباً ووربما قد متامتاً خيراً السبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لئلا يظن هذا ، ولئن عني على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكر به مرة واحدة فإن لم يذكره كان لنا عذر صحيح لإفحاله

﴿ الأسئلة الجاوية في سماع آلات اللهو ﴾

جاءتنا الأسئلة الآتية من جاوه فأرجأنا الجواب عنها حتى نسيناها بسقوط صحيفتها بين الرسائل المهمة ثم رأيناها الآن فنذكرها سرداً ثم نجيب عنها والظاهر أنها عرضت على غيرنا ولكن لم نسمع لها صدى وهي
(السؤال الأول)

ما قولكم متع الله بحياتكم وأحيا بكم معالم الدين وشرعية سيد المرسلين في تصريح الأئمة المشهورين الذين هم من حملة الشريعة المطهرة بتحريم سماع الأوتار التي هي من آلة الملاهي المحرمة كالعود المعبر عنه بالقنبوس وتصريحهم بأنها شعار شربة الخمر وبفسق مستمعيها وتأثيره وبرذنها (وذلك) كقول حجة الاسلام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين ما معناه فحرم ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير الى قوله فيحرم التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى (وقوله) فيه أيضاً ومنها أي المنكرات سماع الأوتار أو سماع القينات الى ان قال فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات انتهى (وقوله) أيضاً يحرم السماع بخمسة عوارض الى قوله والثاني الآلة بأن تكون من شعار الشربة والخمسين وهي المزامير والأوتار انتهى (وكقول) الشيخ ابن حجر في التحفة ما عدا هذه ويحرم استعمال آلة من شعار الشربة كقنبور وعود ورباب ومزمار وسائر أنواع الأوتار لأن اللذة الحاصلة منها تدعو إلى فساد ولانها شعار الفسقة والتشبه بهم حرام انتهى (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي . (وقول) الشيخ ابن حجر في كتابه

الزواج عن اقتراف الكبائر ما معناه من استمع الى شيء من هذه المحرمات فسق
وردت شهادته انتهى (وقوله) فيه أيضاً أما المزمار والاوزار والكوبة فلا يختلف
في تحريم استماعها وكيف لا يحرم وهو شعار أهل الخمر والنسوق ومبيح للشبهات
والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيره
انتهى ملخصاً . وقد أورد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في كتابه النصائح
الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: اذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها
البلاء: وذكر من جعلتها اتحاد القينات والمعازف يعني الملاهي من الاوزار والمزامير
(وقول) الحبيب عبد الله بن حسين في كتابه سلم التوفيق في عدد كبائر الذنوب
ما لفظه: واللعب بالآلات اللها المحرمة كالطنبور والرباب والمزمار والاوزار: وكتصريح
هولاء الأئمة تصريح غيرهم من حملة الشريعة الحممدية بالتحريم واتفاقهم عليه
حيث اتفقوا على تحريم العود وهو القنبوس وما ذكر معه وعلى تفسيق فاعله وسماعه
وعلى رد شهادتهم (فهل) قول هولاء الأئمة وتصريحهم بما ذكر معتمد في
المذهب ومعمول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو اجتناب هذا المحرم المتفق عليه
وعلى تفسيق فاعله أم لا

﴿ السؤال الثاني ﴾

وما قولكم مع الله بحياتكم وحفظ بكم الشريعة المطهرة في تصريح هولاء
الأئمة وغيرهم من المحققين موافقة للمذاهب الاربعة في الرد الشنيع على من أباح
تلك الآلة المحرمة كتصريح الشيخ ابن حجر في التحفة بتولاه ابي رأيت هافت
كثيرين على كتاب لبعض من أدركناهم من صوفية الوقت تبع فيه خراف ابن
حزم وأباطيل ابن طاهر وكذبه الشنيع في تحليل الاوزار وغيرها ولم ينظر لكونه
مذموم السيرة مردود القول عند الأئمة ووقع بعض ذلك للادفوي في تأليف له
في السماع وغيره وكل ذلك يجب الكف عنه واتباع ما عليه أئمة المذاهب الاربعة
وغيرهم انتهى بالاختصار (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي وغيرها (وكتصريح)
الشيخ ابن حجر في الزواج بقوله وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبية أنه كان
يبيح سماع العود ويسمعه وأنه مشهور عنه ولم يكن من علماء عصره من ينكر عليه

وان حله ما أجمع عليه أهل المدينة فقد ردوه على ابن طاهر بأنه مجازف إباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ومن ثم قال الأذريعي عقب كلامه هذا وهذه مجازفة وإنما فعل ذلك بالمدينة أهل المجانة والبطالة ونسبة ذلك الى صاحب التنبية كما رأيت في كتاب له في السماع نسبة باطلة قطعاً وقد صرح في مهنده بتحريم العود وهو قضية ما في تنبيهه ومن عرف حاله وشدة ورعه ومتمين نقواه جزم ببعده عنه وطهارة ساحته منه انتهى (وكتصر يرح) الشيخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم بقوله

فاجزم على التحريم أي جزم والرأي ان لا تتبع ابن حزم
فقد أبيضت عنده الأوتار والعود والطنبور والمزمار

(وتصر يرح) الشيخ ابن حجر أيضاً في الزواجر بقوله ومن عجيب تساهل ابن حزم وإتباعه لهواه أنه بلغ من التعصب الى ان حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه فلا يحل لاحد التعويل عليه في شيء من ذلك انتهى (وقوله) أيضاً في موضع آخر فقد حكيت آراء باطلة منها قول ابن حزم وقد سمعته أي العود ابن عمر وابن جعفر رضي الله عنهما وهو من جهوده على ظاهر يته الشنيعة القبيحة وما زعمه من هذين الامامين ممنوع ولا يثبت ذلك عنهما وحاشاهما من ذلك لشدة ورعهما وبعدهما من الله انتهى ملخصاً وقول الشيخ الرملي في النهاية وما حكى عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد أنهما كانا يسمعان ذلك فكذب انتهى (فهل) تصر يرح هؤلاء الاثمة الذين هم حملة الشريعة المطهرة بهذا الرد الشنيع على أهل الأوتار وتكذيب نقولهم معتمد في المذهب ومعمل عليه يجب العمل بمقتضاه وهو عدم جواز التعويل ولا الالتفات الى من أحل الأوتار وعدم جواز نسبة سماعها الى أحد من العلماء أو الصالحاء أم لا

(السؤال الثالث)

وما قولكم متع الله بكم وشيد بكم أركان الدين في شأن سيرة السلف الصالحين من العلويين وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم في شدة مجاهدتهم واجتهادهم واستفراق أوقاتهم في تحصيل العلوم بشرائها وآدابها ثم اجتهادهم في العبادة من دوام القيام وسرد الصيام بكل المتابعة وشدة المجاهدة للنفس ومكابذتها والورع والزهد

كما لا ينبغي على من اطلع على كتب تراجمهم ومناقبهم رضي الله عنهم كالشروع الروي والجوهري الشفاف والبرقة المشيقة وغير ذلك ان كثيرا منهم من يصلي الصبح بوضوء العشاء في عدة سنين كثيرة وختم القرآن بعدد كثير من زمن يسير وغير ذلك من الاعمال الصالحات مع غاية الزهد والورع وترك ملاذ الدنيا المباحة فضلا عن المحرمة وغير ذلك من أوصافهم الحميدة وشدة مجاهدتهم ما يحير عقل من وقف على سيرتهم ومن مخالفتهم للنفس والهوى ما يقطع يقينا على بعد ساحتهم عن الملاهي ونظافة ساحتهم من المناهي (فهل) يسوغ للمؤمن بالله ان ينسب الى أحد منهم سماع العود الذي اتفق الأئمة الشرعية على تحريمه وتفسيق فاعله حتى يعتقد الفوغاء بسبب هذه النسبة والافتراء حل سماع العود وأنه من شعار الصالحين أم لا يسوغ ذلك

(السؤال الرابع)

وما قولكم متع الله بكم وصال بكم شريعة سيد المرسلين فيما اذا سمع هذا القنبوس اناس من المترسمين بالعلم أو من أهل البيت النبوي بحيث يقتدي بهم الفوغاء ويحتجون بسماعهم له على جواز سماع القنبوس (فهلا) يعظم وزير المقتدي بهم ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » أم لا

(السؤال الخامس)

وما قولكم متع الله بكم وذب بكم عن شريعة سيد المرسلين من دعاوي الكاذبين في مانص به السلامة السيد مصطفى العروسي في كتابه نتائج الافكار وهو قوله: (تنبيه) ان قال قائل نحن لانسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله لا بحظوظ البشرية قلنا له كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيبك وما وصفك من حب الشهوات وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فارق الفه وادعى العصمة فاجلده فانه مفتر كذاب انتهى وفي مانص به الشيخ البجيرمي على الاقناع وهو قوله وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من النشاط على الذكر وغير ذلك فهو من مهورهم وضلالهم فلا يعول

عليه انتهى (فهل) هذه النصوص صحيحة يجب العمل بمقتضاها وهو عدم الاعتراض بخلافات الأعيان أم لا افتونا في هذه الأسئلة فإن البلية الباعثة عليها قد سمت مصيبتها وطارت شررها لعل الله بنور علمكم يطفيها لا زلم ناصر بن لشرية سيد المرسلين وللمعاونة على البر والتقوى معانين احيا الله بكم الاسلام آمين اه ينصه

﴿ جواب المنار ﴾

قد اختلف العلماء في سماع الغناء وآلات اللهب قديما وحديثا وأكثروا القول فيه بل كتبوا فيه المصنفات ، واستقصوا الروايات ، ونحن نذكر أقوى ماورد من الأحاديث في هذا الباب ثم ملخص اختلاف العلماء وأدلتهم ثم ماهو الحق الجدير بالاتباع ثم نتكلم على أسئلة السائل

﴿ أحاديث الحظر ﴾

(١) عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ليكون من أمي قوم يستحلون الخمر والخمر والحمر والمعازف » أخرجه البخاري بهذا الشكل بصورة التعليق وابن ماجه من طريق ابن محيريز عن أبي مالك بالجزم ولفظه « ليس من أمي الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رءوسهم بالمعازف والمعنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » وأخرجه أبو داود وابن حبان وصححه

(٢) عن نافع ابن عمر سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحته عن الطريق وهو يقول يا نافع أسمع فأقول نعم فيمضي حتى قلت لا فرفع يده وعدل راحته الى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثل هذا : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه : قال أبو علي اللؤلؤي سمعت ابا داود يقول وهو حديث منكر

(٣) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبراء وكل مسكر حرام » رواه أحمد وأبو داود . وفي لفظ لأحمد انه قال بعد الميسر « والمزر والكوبة والقنين » وفي اسناد الحديث الوليد بن عبد قراو يعنى

ابن عمر قال أبو حاتم الرازي هو مجهول وقال ابن يونس في تاريخ المصريين أنه روى عنه يزيد ابن أبي حبيب . وقال المنذري ان الحديث معلول ، ولكنه يشهد له حديث ابن عباس بنحوه وهو « عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام »

وقد فسر بعضهم الكوبة بالطبل قاله سفيان عن علي بن بزيمة وقال ابن الأعرابي الكوبة الرد وقد اختلف في الفيراء (بالضم) قال الحافظ في التلخيص وقيل الطنبور وقيل العود وقيل الربط وقيل منير يصنع من الذرة أو من القمح وبذلك فسره في النهاية . والمزر بالكسر نبيذ الشعير . والمضمد في الفيراء ما قاله في النهاية من أنها من الأشرطة والقنين قيل لعبة للروم يقامرون بها وقيل الطنبور بالحشية فظهر بهذا ان الحديثين ليسا في موضوع المعازف وآلات السماع اتفاقاً

(٤) عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في هذه الأمة خسف ومسح وقذف » فقال رجل من المسلمين ومتى ذلك يا رسول الله قال « اذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور » رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب : أقول وقد أخرجه من طريق عباد بن يعقوب وكان من غلاة الروافض ورؤوس البدع الا انه صادق الحديث وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره وقال ابن عدين أنكروا عليه أحاديث وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدوس وهو رافضي مثله قال قال يحيى بن معين ليس بشيء والنسائي ليس بثقة وضعفه الدارقطني

(٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا اتخذ النبيء دولاً والامانة مغنماً والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأذن صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقدفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع بعضه بعضاً » رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب أقول ان راويه عن أبي هريرة هو رميح الجذامي قال في الميزان لا يعرف

(٦) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب وهلو ولعب ثم يصبحون قردة وتنازير وتبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتفسدهم كما نفس من كان قبلكم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات » رواه أحمد . قال في المنقح وفي اسناده فرقة السبخي قال أحمد ليس بقوي وقال ابن معين هو ثقة وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه الناس

(٧) عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني ان أحقق المزامير والكبارات » يعني البرابط والمعازف والأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية . رواه أحمد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن . قال البخاري عبيد الله بن زحر ثقة وعلي بن يزيد ضعيف . وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زحر انه صاحب كل معضلة وقال يحيى بن معين انه ضعيف وقال مرة ليس بشيء . وقال ابن المديني منكر الحديث وقال ابن حبان يروي موضوعات عن الأثبات واذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات

(٨) وعنه بهذا السند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تبيعوا القينات ولا تشروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام . في مثل هذا أنزلت هذه الآية ٦:٣١ ومن الناس من يشتري فهو الحديث ليضل عن سبيل الله » الآية رواه الترمذي وأحمد بالمعنى ولم يذكر الآية والحميدي في مسنده بلفظ « لا يجل ثمن المغنية ولا يبيعها ولا يشرؤها ولا الاستماع اليها » وهو لا يصح كما تقدم (٩) عن ابن مسعود « الغناء ينبت النفاق في القلب » رواه أبو داود مرفوعا

والبيهقي مرفوعا وموقوفا وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم وهو متفق على ضعفه كما قال النووي . وقال الغزالي رفعه لا يصح ومعناه ان المغني ينافق لينفق . وقد زدنا هذا وما قبله إتماما للبحث

وقد رأيت أنه لا يصح من هذه الأحاديث الا الأول وستعلم مع ذلك ما قيل في إعلاله وما روي غيرها أو هي منها الا أثر عن ابن مسعود في تفسير اللهو فقد صححه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي

﴿ أحاديث الاباحة ﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام منى) وعندني جاريتان تغنيان بفناء بهائم فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فأنتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دعهما يا أبا بكر فأما أيام عيد » وفي رواية يا أبا بكر ان لكل قوم عيداً وهذا عيدنا « فلما غفل غمزتهما فخرجتا : تقول لما غفل أبو بكر . رواه البخاري في سنة العيد وفي أبواب منفرة ومسلم في العيد والنسائي في عشرة النساء وإنما أنكر أبو بكر لظنه ان النبي (ص) كان دائماً يسمع

(١) وعن عائشة زفت امرأة الى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ما كان معكم من هو فان الأنصار يعجبهم الاو » رواه البخاري . قال الحافظ في الفتح عند شرح قوله « ما كان معكم هو » : في رواية شريك فقال « فهل جاربة تضرب بالدف وتغني » قلت تقول ماذا تال ؟ تقول

اتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الاحمر ما حلت بواديكم
ولولا الخنطة السمراء ما سمنت عذارىكم

(٣) عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليّ فجلس علي فراشي كما جلسك مني وجويريات يضربن بالدفّ يندبن من قتل من ابائي يوم بدر حتى قالت احداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقولي هكذا وقولي كما كنت تقولين » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الا النسائي

(٤) عن محمد بن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فصل ما بين الحلال والحرام الدفّ والصوت في النكاح » رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) عن عامر بن سعد قال دخلت علي قرظة بن كعب وأبي مسعود الا نصاري في عرس واذا جوار يغنين فقالت : أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر

يفعل هذا عندكم؟ فقالوا اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قدر خص لنا
الله عند العرس : أخرجه النسائي والحاكم وصححه

(٦) عن يريدة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازبه فلما انصرف
جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله أني كنت نذرت أن أدرك الله صالحا أن
أضرب بين يديك الدف وأتغنى : قال لها « أن كنت نذرت فأضربي والالا » فجملت
تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان
وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، أني كنت جالسا وهي
تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف » رواه أحمد
الترمذي وصححه وابن حبان والبيهقي .

﴿ خلاف العلماء في مسألة سماع الغناء والمعازف وأدلتهم ﴾

في الباب أحاديث أخرى وما أوردنا هو أصح ما ورد فيه مما يحتاج به .
وأحاديث الحظر التي تقدمت تحظر المعازف وهي آلات اللهو والدف منها قطعاً
وغناء القيان وهن الجوارى المغنيات وقد رأيت في أحاديث الإباحة إباحة العزف
بالدف وغناء الجوارى وانفقاد نذره . ومما ينبغي الالتفات إليه أن كلام أبي بكر وكلام
عامر بن سعد يدل على ان الناس كانوا يتوقعون حظر السماع والله لا سيما أصوات
النساء لولا النص الصريح بالرخصة وتكراره في الأوقات التي جرت عادة الناس
يتحوي السرور فيها كالعيد والعرس وقدم المسافر . فأحاديث الإباحة مرجحة
بصحتها وضعف مقابلها ونكارته ، وبكونها على الأصل في الأشياء وهو الإباحة ،
وموافقها ليسر الشريعة وسماحها وموافقها للفطرة . وهذا لا ينافي أن الانصراف
الزائد الى اللهو والإسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدين . ولهذا رأيت
كثيراً من أئمة العلماء الزهاد شدد التكبير على أهل اللهو لما كثر وأسرف الناس فيه
عند ما عظم عمر ان الأمة واتسعت مذاهب الحضارة فيها حتى جاء أهل التقليد
من المصنفين فرجحوا أقوال الحظر وزادوا عليها في التشديد حتى حرم بعضهم
سماع الغناء مطلقاً وسماع آلات اللهو جميعها الا طبل الحرب ودف العرس وزعموا

انه دف مخصوص لا يطرب وانه غير دف أهل الطرب . وهاك أجمع كلام يحيى
خلاف علماء الأمة وأدلتهم في هذه المسألة بالاختصار وهو كلام الشوكاني في نيل
الآوطار قال بعدما أورد ما تقدم من أحاديث الحظر

« قد اختلف في الغناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها فذهب الجمهور الى
التحريم مستدلين بما سلف وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة
من الصوفية الى الترخيص في السماع ، ولو مع العود والبراع ، وقد حكى الاستاذ ابو
منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع ان عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالغناء
بأسا ويصوغ الآلات لجواربه ويسمعها ممنه على أوتاره وكان ذلك في زمن
أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وحكى الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضا
عن القاضي شريح وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهري والشعبي .
وقال امام الحرمين في النهاية وابن أبي الدم : نقل الأثبات من المؤرخين ان
عبد الله بن الزبير كان له جوار عوادات وان ابن عمر دخل عليه والى جنبه عود
فقال ما هذا يا صاحب رسول الله فناوله اياه فتأمله ابن عمر فقال هذا ميزان شامي
قال ابن الزبير يوزن به العقول

« وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالته في السماع بسنده الى ابن
سيرين قال ان رجلا قدم المدينة بجوار فنزل على عبد الله بن عمر وفيهين جارية
تضرب فجاء رجل فساومه فلم يهو منهم شيئا قال انطلق الى رجل هو أمثل لك
يبدأ من هذا قال من هو قال عبد الله بن جعفر فعرضه عليه فأمر جارية منهم
فقال لها خذي العود فأخذته ففنت فبايعه ثم جاء الى ابن عمر الى آخر القصة
وروى صاحب العقد العلامة الأديب أبو عمر الأندلسي أن عبد الله بن عمر دخل
على أبي جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود ثم قال لابن عمر هل ترى بذلك
بأسا قال لا بأس بهذا ، وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص أنهم سمعا
العود عند ابن جعفر . وروى ابو الفرج الاصبهاني ان حسان بن ثابت سمع من
عزة الميلاء الغناء بالزهر بشعر من شعره ، وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك « والزهري
عند أهل اللغة العود » وذكر الادفوي ان عمر بن عبد العزيز كان يسمع من

جواريه قبل الخلافة . ونقل ابن السمعاني الترخيص عن طاووس ونقله ابن قتيبة
وصاحب الامتاع عن قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الزهري من
التابعين ونقله أبو يعلى الخليلي في الارشاد عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون مفتي
المدينة . وحكى الروياني عن الثقال ان مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف
« وحكى الاستاذ أبو منصور والفسوراني عن مالك جواز العود وذكر أبو طالب
المكي في قوت القلوب عن شعبة انه سمع طنبوراً في بيت المنهال بن عمرو المحدث
المشهور . وحكى أبو الفضل بن طاهر في مؤلفه في السماع انه لا خلاف بين أهل
المدينة في إباحة العود قال ابن النحوي في العمدة قال ابن طاهر هو اجماع أهل
المدينة قال ابن طاهر واليه ذهب الظاهرية قاطبة قال الادفوي لم يختلف النقلة
في نسبة الضرب الى ابراهيم بن سعد المتقدم الذكر وهو ممن أخرج له الجماعة
كلهم (١) وحكى الماوردي إباحة العود عن بعض الشافعية وحكاها أبو الفضل بن طاهر
عن أبي اسحاق الشيرازي وحكاها الاسنوي في المهمات في الروياني والماوردي
ورواه ابن النحوي عن الاستاذ أبي منصور وحكاها ابن الملقن في العمدة عن ابن
طاهر وحكاها الادفوي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحكاها صاحب الامتاع
عن أبي بكر بن العربي وجزم بالاباحة الادفوي - هو لاء جميعاً قالوا بتحليل السماع
مع آلة من الآلات المعروفة وأما مجرد الغناء من غير آلة فقال الادفوي في الامتاع
ان الغزالي في بعض تأليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله ونقل ابن طاهر اجماع
الصحابة والتابعين عليه ونقل التاج الغزالي وابن قتيبة اجماع أهل المدينة عليه
وقال الماوردي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه في أفضل أيام السنة الأمور فيه
بالعبادة والذكر

« قال ابن النحوي في العمدة وقد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة
والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البر وغيره وعثمان كما نقله الماوردي وصاحب
البيان والرافعي وعبد الرحمن بن عوف كما رواه ابن أبي شيبة وأبو عبيدة بن
الجراح كما أخرجه البيهقي وبلال وعبد الله بن الارقم وأسامة بن زيد كما أخرجه
(١) يريد بالجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن كلهم فهو ثقة عندهم

البيهقي أيضا وحجة كما في الصحيح وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر والبراء بن مالك كما أخرجه أبو نعيم وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البر وعبد الله بن الزبير كما نقله أبو طالب المكي وحسان كما رواه أبو الفرج الاصبهاني وعبد الله بن عمرو كما رواه الزبير بن بكار وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتيبة وخوات بن جبير ورباح الميموني كما أخرجه صاحب الأغاني والمغيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي وعمرو بن العاص كما حكاه الماوردي وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره . وأما التابعون فسميد بن المسيب وسالم بن عمرو بن حسان وخارجة بن زيد وشريح القاضي وسعيد بن جبيرة وعامر الشعبي وعبد الله بن أبي عتيق وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز وسعد بن ابراهيم الزهري . وأما تابعوهم فخلق لا يحصون منهم الأئمة الأربعة وابن عيينة وجهور الشافعية انتهى كلام ابن النحوي « واختلف هؤلاء المجوزون فمنهم من قال بكرهته ومنهم من قال باستحبابه قالوا لكونه يرق القلب ويهيج الأحران والشوق الى الله قال المجوزون انه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معتقهما من القياس والاستدلال ما يقتضي تجريم مجرد الأصوات الطيبة الموزونة مع آله من الآلات .

« وأما المانعون فاستدلوا بأدلة منها حديث أبي مالك أو أبي عامر المذكور في أول الباب وأجاب المجوزون بأجوبة

(الأول) ما قاله ابن حزم وقد تقدم جوابه (*)

(*) قال المؤلف قبل ما ذكرنا في الكلام على أحاديث الخطر مانعه : « وفي الباب أحاديث كثيرة وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات ولكنه ضعفها جميعا بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم انه لا يصح في الباب حديث أبدا وكل مانعه فموضوع وزعم ان حديث أبي عامر أو أبي مالك المذكور في أول الباب منقطع فيما بين البخاري . وقد وافقه على تضعيف أحاديث الباب من سيأتي قريبا . قال الحافظ في الفتح وأخطأ في ذلك يعني في دعوى الانقطاع من وجوه والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح والبخاري قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في موضوع آخر من كتابه ؛ وأطال الكلام في ذلك بما يكفي » اه كلام الشوكاني ومنه تعلم

(والثاني) ان في اسناده صدقة بن خالد وقد حكى ابن الجنيد عن يحيى بن معين انه ليس بشيء وروى المزي عن أحمد انه ليس بمستقيم ويحجابه عنه بأنه من رجال الصحيح

(والثالث) ان الحديث مضطرب سنداً وممتناً . أما الاسناد فللمردد من الراوي في اسم الصحابي كما تقدم . وأما متناً فلأن في بعض الالفاظ (يستحلون) وفي بعضها بدونه — وعند أحمد وابن أبي شيبة بلفظ « ليش بن أناس من أمي الخمر » وفي رواية الخمر بمهملتين وفي أخرى بمعجمتين كما سلف . ويحجابه عن دعوى الاضطراب في السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك بغير شك ورواه أبو داود من حديث أبي عامر وأبي مالك وهي رواية ابن داسة عن أبي داود ورواية ابن حبان انه سمع أبا عامر وابا مالك الأشعريين فتبين بذلك انه من روايتهما جميعاً . وأما الاضطراب في المنفق فيحجابه عنه بأن مثل ذلك غير قاذح في الاستدلال لأن الراوي قد يترك بعض ألفاظ الحديث ثارة ويذكرها أخرى (والرابع) ان لفظة المعازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود ويحجابه بأنه قد ذكرها غيره وثبتت في الصحيح والزيادة من العدل مقبولة —

« وأجاب المجوزون على الحديث المذكور من حيث دلالاته فقالوا لا نسلم دلالاته على التحريم وأسندوا هذا المنع بوجوده (أحدها) ان لفظة « يستحلون » ليست نصاً في التحريم فقد ذكر أبو بكر بن العربي لذلك معنيين أحدهما ان المعنى يعتقدون ان ذلك حلال . الثاني ان يكون مجازاً عن الاسترسال في استعمال تلك الأمور ويحجابه بان الوعيد على الاعتقاد يشعر بتحريم الملاسة بنحو الخطاب واما دعوى التجوز فالأصل الحقيقة ولا ملحي إلى الخروج عنها (وثانيها) ان المعازف مختلف في مدلولها كما سلف واذا كان اللفظ محتملاً لأن يكون للآلة ولغير الآلة لم ينتهض للاستدلال لأنه إما ان يكون مشتركاً والراجح التوقف فيه أو حقيقة ومجازاً

ان الحافظ ابن حجر والشوكاني يعترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظرات اللهو الا الحديث الأول مما أوردنا ويقولان لا بأس بانقطاع سنده هنا . وقد علمت انه ليس فيه الالفاظ المعازف وعرفت معناه وأنه يشمل الدف الذي سمعه النبي (ص)

ولا يتعين المعنى الحقيقي ويحجب بأنه يدل على تحريم استعمال ما صدق عليه الاسم والظاهر الحقيقة في الكل من المعاني المنصوص عليها من أهل اللغة وليس من قبيل المشترك لأن اللفظ لم يوضع لكل واحد على حدة بل وضع للجميع على أن الراجح جواز استعمال المشترك في جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقرر في الأصول (وثالثها) أنه يحتمل أن تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المقترفة بشرب الخمر كما ثبت في رواية بلفظ « ليشربن أناس من أمتي الخمر تروح عليهم القيان وتعذو عليهم المعازف » ويحجب بان الأقران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط والألزم أن الزنا المصرح به في الحديث لا يحرم إلا عند شرب الخمر واستعمال المعازف والألزم باطل بالاجماع فالملزوم مشله وأيضاً يلزم في مثل قوله تعالى ٦٩: ٣٣ « أنه كان لا يؤمن بالله العظيم ٣٤ ولا يحض على طعام المسكين » أنه لا يحرم عدم الإيمان بالله إلا عند عدم الحض على طعام المسكين فإن قيل تحريم مثل هذه الأمور المذكورة في الإلزام قد علم منه دليل آخر فيحجب بان تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضاً كما سلف على أنه لا ملجى إلى ذلك حتى يصار إليه (ورابعها) أن يكون المراد يستحلون مجموع الأمور المذكورة فلا يدل على تحريم واحد منها على الأفراد وقد تقرر أن النهي عند الأمور المتعددة أو الوعيد على مجموعها لا يدل على تحريم كل فرد منها ويحجب عنه بما تقدم في الذي قبله

واستدلوا ثانياً بالأحاديث المذكورة في الباب التي أوردتها المصنف رحمه الله تعالى وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام في أسانيدها ويحجب بأنها تنهض بمجموعها - ولا سيما وقد حسن بعضها فأقل أحوالها أن تكون من قسم الحسن لغيره ولا سيما أحاديث النهي عن بيع الثمنيات والمغنيات فإنها ثابتة من طرق كثيرة منها ما تقدم ومنها غيره وقد استوفيت ذلك في رسالة وكذلك حديث « أن الغناء بنيت النفاق » فإنه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر منه عن ابن عباس عن ابن صمري في أماليه ومنه عن جابر عند البيهقي ومنه عن أنس عند الديلمي وفي الباب عن عائشة وأنس عند البزار والمقدسي

وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي. بلفظ «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة» وأخرج ابن سعد في السنن عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «أما نهيت عن صوتين أحق من فاجرين صوت عند نعمة وهو ولعب ومزمار الشيطان وصوت عند مصيبة وخمش وجه وشق جيب ورنة شيطان» وأخرج الديلمي عن أبي أمامة مرفوعاً «إن الله يبغض صوت الخلخال كما يبغض الغناء» والأحاديث في هذا كثيرة قد صنفت في جمعها جماعة من العلماء كابن حزم وابن طاهر وابن أبي الدنيا وابن حمدان الأربلي والذهبي وغيرهم «وقد أجاب المجوزون عنها بأنه قد ضيفها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية وقد تقدم مقاله ابن حزم وواقفه على ذلك أبو بكر بن العربي في كتابه الأحكام وقال لم يصح في التحريم شيء. وكذلك قال الغزالي وابن النحوي في العمدة وهكذا قال ابن طاهر أنه لم يصح منها حرف واحد والمراد ما هو مرفوع منها والأحاديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى ٦:٣١ «ومن الناس من يشعري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» قد تقدم أنه صحيح وقد ذكر هذا الاستثناء ابن حزم فقال أنهم لو أسندوا حديثاً واحداً فهو إلى غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حجة في أحد دونه كما روي عن ابن عباس وابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ومن الناس: الآية أنهما فسرا اللغو بالغناء قال ونص الآية يبطل احتجاجهم لقوله تعالى: ليضل عن سبيل الله: وهذه صفة من فعلها كان كافراً ولو أن شخصاً اشترى مصحفاً ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزواً لكان كافراً فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به نفسه لا ليضل به عن سبيل الله انتهى - قال الفاكهاني أني لم أعلم في كتاب الله ولا في السنة حديثاً صحيحاً صريحاً في تحريم الملاهي وإنما هي ظواهر وعمومات يتأنس بها لأدلة قطعية. واستدل ابن رشد بقوله تعالى ٥٥:٢٨ «واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وأي دليل في ذلك على تحريم الملاهي والغناء والمفسرين فيها أربعة أقوال - الأول أنها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون عنهم. والثاني أن اليهود أسلموا فكانوا إذا سمعوا ما غيره اليهود من التوراة وبدلوا

من نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفته أعرضوا عنه وذكروا الحق . الثالث
 أنهم المسلمون اذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا اليه . الرابع أنهم ناس من أهل الكتاب
 لم يكونوا هودا ولا نصارى وكأوا على دين الله كانوا ينتظرون بمث محمد صلى
 الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا به بمكة أتوه فعرض عليهم القرآن فأسلموا وكان
 الكفار من قريش يقولون لهم أف لكم اتبعتم غلاما كرهه قومه وهم أعلم به منكم
 وهذا الأخير قاله ابن العربي في أحكامه . وليت شعري كيف يقوم الدليل من
 هذه الآية انتهى . ويجب بان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واللغو
 عام وهو في اللغة الباطل من الكلام الذي لا فائدة فيه والآية خارجة مخرج المدح
 لمن فعل ذلك وليس فيها دلالة على الوجوب

«ومن جملة ما استدلوا به حديثنا «كل ملو يلهو به المؤمن فهو باطل الاثلاثة ملاحظة
 الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه» قال الغزالي قلنا قوله صلى الله عليه وآله
 وسلم فهو باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى وهو جواب
 صحيح لأن ما لا فائدة فيه من قسم المباح على أن التلبي بالنظر الى الحبشة وهم
 يرقصون في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح خارج عن تلك
 الأمور الثلاثة

«أجاب المجوزون عن حديث ابن عمر المتقدم في زمارة الراعي بما تقدم
 من انه حديث منكر وأيضاً لو كان سماعه حراماً لما أباحه صلى الله عليه وآله وسلم
 لابن عمر ولا ابن عمر لنافع ونهى عنه وأمر بكسر الآلة لأن تأخير البيان
 عن وقت الحاجة لا يجوز وأما سده صلى الله عليه وآله وسلم لسمعنه فيحتمل انه
 تجنبه كما كان يتجنب كثيراً من المباحات كما تجنب ان يبني في بيته درهم أو
 دينار وأمثال ذلك . لا يقال يحتمل ان تركه صلى الله عليه وآله وسلم للانكار
 على الراعي إنما كان لعدم القدرة على التغيير لأننا نقول ابن عمر إنما صاحب النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة بعد ظهور الاسلام وقوته فترك الانكار
 فيه دليل على عدم التحريم

«وقد استدل المجوزون بأدلة منها قوله تعالى ١٥٧:٧ «ويحل لهم الطيبات ويحرم

عليهم الخباثت» ووجه التمسك ان الطيبات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستند وهو الاكثر المتبادر الى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بإزاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المعاني الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض افراده لكان قصره على المتبادر هو الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الاحكام ان المراد في الآية بالطيبات المستلذات . ومما أستدل به المجوزون ماسيأتي في الباب الذي بعد هذا (١) وسيأتي الكلام عليه . ومن جملة ما قاله المجوزون انالو حكماً بتحريم اللهب لكونه لهواً ان كان جميع ما في الدنيا محرماً لانه لهو لقوله تعالى ٤٧:٣٦ «أما الحياة الدنيا لعب ولهو» وبجواب بأنه لا حكم على جميع ما يصدق عليه مسمى اللهب لكونه لهواً بل الحكم بتحريم لهو خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه لما عمل في الآية بعلّة الاضلال عن سبيل الله لم ينهض للاستدلال به على المطلوب

« واذا تقرر ما حررناه من حجج الفريقين فلا يخفى على الناظر ان محلى النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لرضه ودينه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتتلاً على ذكر القدود والحدود والجمال والدلال ، والمهجر والوصال ، ومعاقره العقار ، وخلع العذار والوقار ، فان سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف ، وكم لهذه الوسيلة الشيطانية من قتيل دمه مطول ، وأسير بهوم غرامه وهيامه مكبول ، نسأل الله السداد والثبات . ومن أراد الاستيفاء للبحث فعليه بالرسالة التي سميتها (ابطال دعوى الاجماع . على تحريم مطلق السماع) اه كلام الامام الشوكاني

ومعلوم أن نذر الحرام أو المكروه لا يقع . وهذا يبطل ما قاله الشوكاني هنا من أن أدلة المانحين تنهض شبهة وسيأتي التحقيق فيه

(١) هو حديث الجارية التي نذرت الضرب بالدف وتقدم في أحاديث الاباحة

باب المقالات

﴿ الحق والباطل والقوة ﴾

٣٤ : ٩ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٧ : ٨١ وَقُلْ
جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * ٢١ : ١٨ بَلْ نَقْذِفُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *

مضت السنة في المغلوبين على أمرهم ، المقهورين في أرضهم ، أن يعتذروا عن
أنفسهم ، بدعوى أن القوة هي التي غلبتهم على حقهم ، وأنهم غير مذنبين
ولا مقصرين ، ولا مسرفين ولا مضيعين ، وجرت عادة الغالبين على أمرهم ،
والقاهرين في حكمهم ، أن يحتجوا لأنفسهم بأنهم أصحاب الحق الذي يعلو ولا
يعلى ، وأن الحق هو الذي جعل كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى ، . وقد يعتور
الأمّة الواحدة القوة والضعف والعز والذل فتدعي في طور قوتها وعزها أنها
اعتزت بالحق وغلبت ، وفي طور الضعف والذل أنها أخذت بالقوة فقهرت ، وأنها
حليفة الحق في الطورين ، لم تعد حدوده في حال من الحالين ، وتلك سنة الله
تعالى في الأفراد أيضاً يدعي الرجل الحق لنفسه ما ظفر ، ويعتذر عنها بالقوة إذا هو غلب
وقهر ، وهذا القورور من الانسان قد أضله عن طريق الحق حتى لا يكاد يفهم معنى
كلمة (الحق) ومدلولها الصحيح . وما نقل الينا قول عن غالب يتعزز فيه بالقوة على
الحق ، الاتلك الكلمة المأثورة عن بسمرك « القوة تغلب الحق » وقد أرسلها
مثلا ، وهي لا تصح الا تأويلا وجدلا ، ولو غلب الحق لما كان حقا . والحق أن
الحق قد يخفي ، وقد يترك وينسى ، ولكن ما صارع الباطل الاصرعه ، ولا قارعه
الا وقرعه ، « وأما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه » ، والقوة انما تظفر اذا كانت
شعبة منه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحق عبارة عن الشيء أو الأمر الثابت المتحقق في الواقع والباطل هو ما لا
يثبت أولا يتحقق له في نفسه وما لا يثبت له ولا يتحقق لا يمحى ما كان ثابتا متحققا

كما هو الشأن في الوجود والمعدوم والمعلوم والموهوم ، وهذا مما لا مجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون إلا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الأمور الاجتماعية ، وفي كل ذلك حق وباطل لا يتنازعان إلا ويكون الحق هو الغالب والباطل هو المغلوب واننا نبين ذلك ونذكر مواضع غلط الناس فيه ومناشئ شبهاتهم فنقول ان الحق والباطل يتنازعان في خمسة أمور كلية وهي (١) الفلسفة والنظريات العقلية، الوجود والسنن الكونية (٢) السنن الاجتماعية (٣) القوانين والمواضع العرفية (٤) الدين والشرعة الالهية

الفلسفة والنظريات العقلية

اختلف الناس في الفلسفة والمسائل النظرية في القديم والحديث ومنهم الحق والمبطل فيقول من يظن ان الباطل يغلب الحق ان كثيرا من الآراء الباطلة في ذلك كانت رائجة لا ينازع فيها أحد وكثير منها كان موضوع النزاع وكان أكثر الباحثين فيه على الباطل ، ولا يزال يظهر للعلماء في كل زمن وكل جيل خطأ كثيرين من السابقين والمعاصرين فيظهر بذلك ان الباطل كان هو الغالب فان كنت تقول لا عبرة الا بغلب دائم ، فانك لا تقدر ان تثبت الدوام لحق ولا لباطل ، فيكفي في اثبات قوة الباطل وظهوره على الحق ان يظهر عليه زمنا طويلا : ودفع هذا الظن سهل وان كنا نعترف بأن الحق والباطل في الآراء النظرية والفلسفية من أخفى الأمور وأوغلها في الأبهام . ذلك أن التنازع بين الحق والباطل لا يتحقق هنا ما دام كل من المتناظرين في المسألة يجادل بالنظريات ولم ينته بدلائله الى احدى اليقينيات التي لا نزاع فيها . وبيان ذلك أن المسألة مادامت نظرية من الجانبين فالتنازع إنما يكون بين الدليلين لا بين المدلولين والحق في الدليل هو إفادة اليقين فما دام نظريا فهو غير حق وانما هو موقوف أو باطل يعارض مثله فاذا انتهى أحد المتناظرين الى اليقين البدهي في المسألة فهو صاحب الحق وهو الغالب سواء أذعن له مناظره أو كابره . وما كان القلب والسلطان لتلك المسائل النظرية الباطلة في الفلسفة العليا وغير العليا ذلك الزمن الطويل إلا لأن الحق فيها كان خفيا أو غير معروف لأهلها . بل نقول ان في طرق الاستدلال نفسها حجما وباطلا فالحق هو ما وافق شروط القياس

المنطقي وأعني بكونه حقا ان النفس فطرت على الانتقال من المقدمات المرتبة على ذلك النحو من الترتيب المعروف في أشكال القياس إلى المطالب التي هي النتائج فإذا كانت المقدمات مسلّمة فلا مندوحة للنفس عن التسليم بالنتيجة . وقد يكون صاحب الدعوى الحق غير قادر على نظم الدليل الحق مع كون الدعوى نفسها غير بديهية فاذا غلبه مناظره المبطل في الدعوى حينئذ فلا بد ان يكون أقرب منه إلى الحق من طريق الاستدلال وأن يكون قد أقنعه ببعض المقدمات الباطلة وفي هذه الحال يكون مبطلا ومن ناحية الباطل قد أخذ - وهو ماسلمه من المقدمات - لا من ناحية الحق وهو أصل الدعوى التي نطق بها على غير بينة وبغير بينة . ولو شئت لجننت في هذا الاصل بالأمثلة والشواهد التي تجليه أكمل التجلي ولكن القصد بهذا المقال إلى غيره مما يرى الناس مصرين على الخطأ فيه وفي خطأهم الضلال البعيد والخسران العظيم

الوجود وسنن الكون

كلّ وجود حق والعدم باطل لا حقيقة له، وكل نظام في الطبيعة والخلقة فهو حق والخلل فيها باطل لا يتحقق له، والخلل الصوري الذي يعبر عنه علماء الكون بفئات الطبيعة له سنن خفية أي نواميس لم يطلعوا عليها وهم يتوقعون اكتشافها ويرجونه ٣:٦٧ « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » ٧:٣٢ « الذي أحسن كل شيء خلقه . » ولا تنازع بين الوجود والعدم ولا بين النظام والخلل وإنما يقع التنازع بين الناس في فهم ذلك والعلم به فمن كان أعلم بالوجود والنظام كان أعلم بالحق وأقرب إلى الحق وكانت له الغلبة بالحق . وهذا ظاهر في نفسه وسيادة العالمين بمخاتق الوجود وسنن الله في الكائنات على الجاهلين بها مشاهدة لا ينكرها المسودون المغلوبون بجهلهم وباطلهم وان كانوا يجهلون ان علم من سادوهم هو الحق وأنه سبب لسيادتهم، وانهم هم بجهلهم على باطل وبه كانوا مغلوبين على أمرهم، ومقهوزين في أرضهم وديارهم ، وان منهم المسلمين الذين يقول كتابهم ١٠:٥ « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * ويقول ٤٥:٢٢ « وخلق الله

السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون*» وفي معناها آيات ولا ترى شعبا إسلاميا يعتقد بأن سعة العلم بالسموات والأرض من الحق الذي تعزبه الأمم، وإن جهلت الأمة وهلكت، فقد جزيت بما كسبت، وظلمت نفسها وما ظلمت،

السنن الاجتماعية

لكون سنن في تكوّن الأحجار الكريمة وغير الكريمة كالصخور وفي نموّ النبات وحياة الحيوان وفي اجتماع الاجسام وافتراقها وتحللها وتركيبها وهي ما عينناه بالأصل الثاني . وللشعر سنن خاصة بهم في حياتهم الاجتماعية عليها يسرون وفيها يتقلبون فقوتهم وضعفهم وغناهم وفقروهم وعزهم وذلمهم وسيادتهم وعبوديتهم وحياتهم وموتهم كل ذلك غاية لا تباع سنن الله في السير على أحد الطريقتين المتسار اليهما بقوله تعالى في الانسان ٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين» فهذه السنن حق وتكبتها خروج عنه الى الباطل . وما زال العارفون بسنن الله تعالى في الامم ، هم الآخذين باطراف السعادة من أمم ، ينتصرون على الجاهلين بها من المبطلين من حيث هم مبطلون وهو ما به الاختلاف وان كان الغالب القاهر مبطلا في شئ آخر والمغلوب محق في مخالفته له فيه

لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم في قوتها وضعفها وحياتها وموتها سننا ثابتة لا تتبدل ولا تتحول كقوله في سورة الانفال ٨ : ٣٨ «قل للذين كفروا إن ينتموا ينفروا لهم ما قد سلف وان يهودوا فقد مضت سنة الاولين» أي فانه يحل بهم ما حل بمن قبلهم ممن عاند الحق وقاومه . وقوله في سياق الكلام على الانبياء وأحوال الامم في سورة الحجر ١٤ : ١٣ «وقد خلت سنة الأولين» وقوله في سياق الكلام في بئال المال والحرب ٣ : ١٣٨ «قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وفي الآية الثالثة بهذه الآية «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس» الآيات فهذه الآيات البيّنات حق وما ترشد اليه من سنن الاجتماع حق فالجهل بسنن الاجتماع باطل وترك الاعتبار بها في شؤون الامم باطل فهل وجدت أمة

على سطح هذه الأرض عرفت هذه السنن وسارت عليها ثم قاومتها أمة أخرى تجهلها أولاً تعتبر ولا تهتدي بما عساها تعرف منها ثم كانت الجاهلة الضالة هي الغالبة فيقال ان الباطل قد يغلب الحق؟ كلا ما كان ذلك، ولن يكون . ومن العجائب والعجائب جمة ان يكون المسلمون في هذا العصر أجهل الامم كلها بسنن الله تعالى في البشر حتى أن من يدعوهم الى تعلمها وتعلم مصادرها وهي توارىخ الامم يعده رجال الدين منهم جانبا على الدين صادقا عنه لاسيما اذا كانت دعوته موجهة الى طلاب علوم الدين في مثل مدرسة الأزهر !! فأين هذا الدين الذي يعد العرفان بسنن الاجتماع صادقا عنه وجناية عليه من القرآن الذي هو أول كتاب ارشد الى هذه السنن؟ واذا غلبت كل أمة مهديّة بهذه السنن في كسبها وعملها وسياستها وحروبها على الأمة الجاهلة بها الضالة عنها وسادت عليها فهل يصح ان يقال ان الباطل قد غلب الحق لان دين المسلمين هو الحق وأديان الغالبين عليهم هي الباطلة؟ كلا ان كل مغلوب فهو بسبب الباطل قد غلب وكل غالب فهو بسنن الحق قد غلب . أينصرون ويسودون ، وهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وحكامهم يظلمون ولا يعدلون ، والله تعالى يقول في بيان سننه الحق ، ١١٦: ١١ « فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما ترفوا فيه وكانوا مجرمين » ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ففسروا الظلم ههنا بالشرك والمعنى ان الله تعالى لا يهلك الامم بسبب الشرك اذا كانت مصلحة في الأعمال ولكن يهلك المفسدين الذين لا ينهون عن الفساد لاسيما اذا كان منبعه امراؤهم وملوكهم . أو المعنى ما كان ليهلكها بظلم منه لانه منزه عن الظلم وهي لا تستحق الاهلاك لأنها مصلحة في العدل وال عمران

القوانين والمواضعات العرفية

لكل أمة من أمم الحضارة قوانين تسوس بها بلادها ولكل قبيلة من القبائل البدوية عرف ومواضعات ترجع اليها في شؤونها الاجتماعية . وللدول قوانين في الحقوق العامة والمصالح الخاصة . فهذه القوانين والمواضعات حقوق

عرفية فالأخذ بشيء من هذه الحقوق يكون هو الغالب لتاريخها مادامت الأمة والدولة أو الدول التي جعلت القانون حقا في عرفها حاققة له فإذا رجعت الأمة عن عرفها أو الدولة عن قانونها في بلادها أو الدول عن بعض القوانين العامة لم يعد ذلك حقا لأن حقيقته لم تكن لذاته وإنما كانت للعرف الذي يكفله أهله الواضعون له وقد زال

مثال ذلك اعتداء دول أوروبا على الممالك الشرقية وافتياؤها على حكومات هذه الممالك تركيا فسادا دونها وقد علم من القوانين العامة أنه ليس لدولة أن تفتت على أخرى في إدارتها الداخلية ولكن أوروبا تفتت وتغلب فبهنا يظن الجاهل بالفصل بين الحق والباطل أن الباطل قد غلب الحق بالقوة ووجه الخطأ في هذا الظن أن هذا الحق الذي ندعي أن أوروبا سلبته من تركيا مصرأ وكرت مثلا ما أن يكون حقا طبيعيا يملك ويحفظ بمقتضى سنن الله في الاجتماع البشري أو حقا عرفيا يملك ويحفظ بمقتضى القوانين العامة التي تعترف بها الدول وتكفلها فإن ادعى المدعي الشق الأول فإننا نمنع دعواه ونقول إن سنن الاجتماع لا تتبدل ولا تتحول كما نطق الكتاب العزيز ودلت التجربة والمشاهدة لأن واضعها وحافظها هو العزيز الحكيم وهي تنيط الغلبة ودوام السيادة بالعدل والعلم بالسنن والأصلاح في الأرض والمنعة والتقوى والاستعداد للحماية بالقوة وأعظم القوة فيها قوة الأمة المستقلة العارفة بحقوقها ثم القوة الآلية وذلك غير متحقق في تركيا كأوروبا فلاحق طبيعيا هناك .

وأما الحق العرفي فقد قلنا أنه ليس حقا ذاتيا وإنما هو حق ما كفله واضعوه المعترفون به وقد اتفقت الدول الكافلة للقوانين العامة على أن لا تعامل دول المشرق بما تعامل هي به وأن تفتت عليها بحكمة حتى لا يفضي الافتتات إلى الحروب ، التي يخرس فيها الغالب والمفلوب ، فتبين بهذا أن الباطل لم يغلب الحق في هذه المسألة بل الحق هو الغالب كما أخبر الله تعالى . وذلك أن دول أوروبا الغالبة عارفة بسنن الكون وسنن الاجتماع ومهتدية بها وهي الحق وبها الغلب والسيادة ، كما تقدم البيان مؤيدا بالقرآن ، فإن قيل إن أوروبا تظلم في البلاد التي تفتت فيها قلنا نعم ولكن ظلما دون ظلم حكام البلاد المفتت عليهم فباطلها أقل وعدلها أكثر فحقها أكبر

وهكذا غلب الحق الباطل ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ومن هذا القبيل غلب ألمانيا وانتصارها على فرنسا فان سببه العلم : بمنزلة الكون
ومن الاجتماع والعمل به ولذلك قال بسمرك : غلبنا بالمدرسة : وقوله هذا حق
وأما قوله : القوة تغلب الحق : فقد لبس فيه الحق بالباطل فالقوة الباطلة لا تغلب
الحق ولكن القوة الطبيعية الاجتماعية تغلب الحق العرفي وحينئذ يكون الحق قد غلب
حتماً أضعف منه في الظاهر بل هو لم يغلب الا الباطل

يقول الظالمون في الحق غير الحق ان القضاة بظلمهم ووكلاء الدعاوي يحيلهم
وختلهم كثيراً ما يؤيدون المبطل في دعواه حتى يكون له الفلج والظفر : ونقول ان
هذا القول صحيح ولكنه لا يفيد المطالب فان تأييد الباطل اذا كان من الحكم
فلا قانون ولا شريعة وإنما هو الهوى والظلم يتحكمان وهما من الباطل الذي
لا يغلبه الا حق من جنسه وهو السلطة العادلة فاذا تنازعت سلطة عدل مع سلطة ظلم
وغلبت الثانية الأولى تكون المعارضة صحيحة . وأما الدعوى فليست من جنس
السلطة فيقال انه يجب أن يغلب حق الأولى على باطل الثانية . وان كان الحاكم
عادلاً والخصم المبطل أو وكيله المحامي عنه ألحن بحجته وأقدر على البيان من الخصم
المحق أو وكيله فالتغالب اذاً بين الحججة والحجة ولم تنس ما قلناه فيما عند الكلام
في الفلسفة والنظريات العقلية

ان الانسان يظلم والظلم من الباطل حتى قيل ان الظلم طبيعي في البشر ومنه
قولهم : الظلم كمين في النفس القدرة تظهره والمعجز يخفيه : وقال المتنبي
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلملة لا يظلم
وهذا قول بأن الانسان جبل على الباطل وهو على ظهور شبيهته غير صحيح
وإنما الصحيح هو ما قاله الخالق الحكيم ، في السورة الخامسة والتسعين ، وهو

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

والتين والزيتون ٢ وطور سينين ٣ وهذا البلد الامين ٤ امد خلقنا
الانسان في أحسن تقويم ٥ ثم رددناه أسفل سافلين ٦ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلهم أجر غير ممنون ٧ فما يكذبك بعد بالدين ٨ اليس الله باحكم

الحاكمين

أكد لنا القول عز وجل بأنه خلق الانسان في أحسن تقويم اذ أقسم على ذلك بما ذكرنا بعهد الفطرة ومعاهد ظهور الشريعة ذلك أنه خلقه وجعل له من الخواص ما يدرك به ما يحتاج الى ادراكه في حفظ نفسه وتوفير منافعها ودفع المضار عنها ومن العقل ما يميزه بين المدركات الحسية فيعرف صوابها وخطأها وما يحكم به على هذه المشاعر المدركة فيوجهها الى الاشتغال بالانفع والاصلاح فهو مجبول على أن يختار ما هو أنفع وأصلح . ولكنه لما خلق مدنيا مستعدا للكمال الشخصي والنوعي بالعمل التدرجي والتعاون . والعمل لا يكون الا بعلم والعلم لا يكون الا بالكسب كان هذا الانسان عرضة للجهل بوجوده المصالح والمفاسد والمنافع والمضار سواء كانت للأفراد أو الأمم والشعوب، والجهل من الباطل وبه ردت الانسان بدخوله في طور الحياة الاجتماعية الى أسفل سافلين فكان افراده وجماعته ينجون على أنفسهم ويظلمونها من حيث يظنون أنهم ينفعونها ويؤيدون حقوقها ففطرتهم تطالب الحق الذي فيه المصلحة والمنفعة وعقولهم تخطىء في تحديده فتقع في الباطل فكانوا محتاجين الى مساعد للفطرة والعقل يحدد لها الحقوق النافعة ويميزها من الاباطيل الضارة وذلك هو الدين الذي نفثه روح الحق في روع كل واحد من أولئك الشارعين الذين ظهر وافي معاهد منبت التين والزيتون وطور سينين وفي ذلك البلد الامين (مكة المكرمة) وغيرها فصلح به امر الناس وساد الحق على الباطل ما كانوا يهتدون بتلك الشرائع ايمانا وعملا صالحا كما قال عز وجل . فالباطل ليس من منزع الانسان بطبعه ولكنه من الموارض اللازمة له من حيث هو يريد مختار في علمه وعمله كاسب لهما بالتدريج . ولذلك أجمع الحكماء في هذا العصر على سنة من سنن الاجتماع التي جاء بها القرآن في شأن الحق والباطل وهي ما يهبرون عنه بالانتخاب الطبيعي وقد بينها الله تعالى بقوله ٢: ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض « وقوله ٧١: ٣٩ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد النج وقوله ١٣: ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل

٦٠ الانتخاب الطبيعي . تمثيل جمال الدين لغلب الحق على الباطل (المنار)

السيل زبدا راييا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال * » وبالأيات التي افنتحنا بها هذا المقال . وبمثل قوله ١١ : ٤٩ ان العاقبة للمتقين « وقوله في السحر الذي هو باطل لاحقيقة له ١٠ : ٨١ ان الله لا يصلاح عمل المفسدين * ٨٢ ويحق الحق بكلماته » وقوله بعد ارشاد الأمم منه النهي عن الفساد في الأرض بعد اصلاحها ٧ : ٨٦ وانظروا كيف كانت عاقبة المفسدين * وقوله بعد بيان أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ٣٨ : ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * فاتفق الحكماء على مضمون هذه الآيات وأمثالها في هذا العصر هو اعتراف بأن للحق الغلبة والسلطان على الباطل اذاهما وجدا وتنازعا وعلى أن الانسان مفطور على تغليب الحق على الباطل لولا ما يعرض له من الخطأ في التمييز بينهما وانما يسود الباطل في غيبة الحق أو غفلة عنه

ذكرت لصديق لي هذا المبحث قبل أن أتم هذا المقال فأخبرني انه يحفظ عن الحكيم السيد جمال الدين الافغاني تمثيلا في مصارعة الحق للباطل معناه أن الحق كان يصرع الباطل ويصفعه فرأى الباطل ان لاطاقته به فاستشار أعوانه فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون على أن يكيدوا للحق كيذا فجاءوه بلقون اليه السلم ويدعونه الى مأدبة أعدوها له فلما حضر أجلسوه على بساط جميل تحته حفرة عميقة فوقع في الحفرة فطفقوا يهلون عليه التراب حتى دفنوه ثم جلسوا فوق الحفرة لئلا يخرج منها فيطش بصديقهم الباطل فكان ينتفض بقوة العظيمة يحاول الخروج وهم يتحاملون بأثقلم عليها خوفا منه والباطل يسرح ويمرح آمنا من رؤية الحق له لأن أولياءه حالوا بينها ولكن الحق ما عتم أن انتفض انتفاضة نسف بها أولئك المشاقلين وخرج الى الباطل فأوقع به ودفنه وأراح الناس من شره .

وحاصل التمثيل ان الباطل انما يسود ويثبت حيث لا يوجد من يقوم بالحق ويقاومه به وأن ذلك لا يدوم . فكل دولة أو حكومة ظالمة تخالف قوانين العدالة في الأرض وتهضم حقوق الرعية فهي انما تسود بباطلها ما دامت الرعية دافنة للحق

(المنار) إزالة الاثم الظلم الحكومة . إزالة الاجانب له . الحق في الدين ١١

وإثمه فيكون باطل الحكومة غالباً لباطل الرعية حتى إذا ما انتشر الظلم وتفشى وذاق آلامه الجماهير فاستصرخوا الحق واستغاثوا به لباهم مسرعاً وصال على باطل الحكومة الظالمة فجنده وربما جندها معه فاذا استماتت الرعية وأنست بالظلم فإن سنة الكون تسلط على الحكومة الظالمة حكومة أجنبية عادة أو ظالمة تفتك بها وتقلص ظلها ثم يكون بقاء الحكومة الثانية على سنة الله في الحكومة الأولى ٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً *

الدين والشريعة الإلهية

ما قلناه آنفاً يثبت أن الدين في بعثته حاجة طبيعية للبشر وإن كانت أحكامه التفصيلية مما يجري فيه اختيارهم فهم يحكمون فيها عقولهم وأفكارهم ويتبعون فيها قاعدة الأصلاح والأمنع لهم . فالحق والباطل يجريان في الدين من وجهين (أحدهما) كون عقائده صحيحة معقولة في نفسها وأحكامه في العبادات والآداب موافقة للفطرة في تقويم المسكات وتهذيب الاخلاق وتوثيق الروابط وشد الاواخي بين الناس وأحكامه في القضاء والسياسة والادارة موافقة لسنة الاجتماع وقواعد العدل ، أو كونها ليست كذلك (وثانيهما) كون عقائده راسخة في عقول الأمة مؤثرة في قلوبها ، وأدابه حاكمة في شعورها ووجدانها ، وأحكامه محترمة عند أمثالها وجمهورها ، أو كونها ليست كذلك . فالدين سنة من سنن الاجتماع الكبرى وهو حق في الواقع أو باطل مؤيد بحق اجتماعي هو وحدة الأمة في الاعتقاد والعمل ولاهله القلب والباطن على من ينازعهم فيه ويحاول ابطاله أو ارجاعهم عنه من المعطلين لأنه إما أن يجمع نوعي القوة في سنن الاجتماع وفي العواين والمواضعات العرفية التي تسنها الأمم لانفسها وتعتقد أن فيه خيرها وحفظ حقوقها كما تقدم وإما أن ينفرد بالثانية . وما اجتمع فيه الحقان يسود على ما تنفق له أحدهما فقط كما ساد الاسلام في أول نشأته على سائر الاديان لأنه حق من كل وجه والأمة متحدة فيه . والتاريخ يؤيد ما نطق به الكتاب في ذلك بقوله ٤ : ١٤١ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً * وقوله ٣ : ٤٧ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين * ولكن هذا البصر خاص بالمؤمنين حقيقة لا ادعاء أو جنسية كما

قال في آية أخرى ٧:٤٧ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم * ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * وقال عز وجل ٥٥:٢٤
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف
الذين من قبلهم - الى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وقد
فسروا الكفر هنا بكفر النعمة كالظلم والبغي والافساد في الارض

ونقول ان عمل الصالحات الذي قيد الوعد بالنصر يشتمل مثل قوله
تعالى في وصف المؤمنين من سورة الشورى ٢٨:٤٣ والذين استجابوا لربهم
وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * ٣٩ والذين اذا
أصابهم البغي هم ينتصرون * ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره
على الله انه لا يحب الظالمين * ٤١ ولئن انتصر بعد ظلمه فألئك ما عليهم من سبيل *
٤٢ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم
عذاب أليم * ٤٣ ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور * ومثل قوله ١٣٥:٤
يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين
والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ،
وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً * وقوله ٥ : ٨ يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا
اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * فهو يأمرهم بالقيام
بالقسط دائماً وهو العدل والشهادة لله بلا محاباة قريب ولا غنى ولا رحمة فقير
مبطل ويأمرهم ان لا يحملنهم شنآن قوم أي عداوتهم على ترك العدل فيهم بل يحتم
عليهم العدل حتى مع الذين يعادونهم

وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه انما ينصر رسله وعباده المؤمنين الذين
يصلحون في الأرض ولا يفسدون على الظالمين كقوله ١٣:١٤ فأوحى اليهم ربهم
لنهلكن الظالمين ١٤٣ ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف
وعيد (ي) * والآيات في هذا المعنى وهو نصر المصلحين في الأرض واهلاك
الظالمين والمفسدين كثيرة جدا

لا يوجد في مقابل هذه الآيات آية واحدة تدل على أن الله ينصر الذين ينتسبون إلى الإسلام وإن لم يقوموا بالقسط والأصلاح وينهوا عن الظلم والفساد فهل يجيز هذا الكتاب الحكيم لمُدعي الانتماء إليه بالقول دون العمل إذا رأى استيلاء الأوربيين على بلاد المسلمين والافتيات على حكاهم في سائر بلادهم التي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول إن هؤلاء الأوربيين منهم الملحد ومنهم النبي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول إن هؤلاء الأوربيين منهم الملحد ومنهم من يقول بالتثليث فكيف سادوا بقوتهم على المسلمين ، وأهل التوحيد وهو حق اليقين ، ؟ كلاته لا يجيز لهم هذا القول بعد ما بين لهم أنه لا يهلك الأمم بالشرك إذا كانوا مصلحين في الأرض بالعدل ومساثرين على سنن الله في العمران ولكنه يهلك الأمم الظالمة مهما كان اعتقادها كما علمت من الآيات التي أوردناها آنفا ومثلها كثير . وأعظم عبرة للناس الكسار الضخامة مع داعي الحق الأعظم (ص) في وقعة أحد لما خالفوا سنن الاجتماع في الحرب فخالفوا العقائد وتركوا حماية ظهر الجيش وفيها نزل ١٦٥:٣ أولا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم» فكل من خالف سنن الله الحق يغلب على أمره بحق حتى يزجم وما أسرع رجوع المؤمن إلى الحق إذا زل عنه

لهذا أقول إن الوصول إلى حق اليقين في التوحيد ينافي الأصرار على الظلم ، والتماهي في الفساد والبغي ، كما نطق القرآن وشهد العقل ، فلو لم يجعل الإسلام الأعمال الصالحة بعد ترك المفاسد سبيجا للإيمان وعنوانا له ودليلا عليه وشرطا لاجتماع ثمراته في الدنيا والآخرة لكان العقل وحده كافيا في الدلالة على أن الموقن بعقله المدعن بقلبه لعقيدة التوحيد الخالص لا يؤثر هواه ولا هوى الرؤساء والحكام على رضوان هذا الآله العظيم الحكيم القوي العزيز وإنما رضوانه بالتماس فضله من سننه في خلقه ، والوقوف عند ما حدده من الشكر والعدل في شرعه ، فهو يرضى في تعرف السنن والأحكام والعمل بها لا يخاف في ذلك وتببات الظالمين لقوله عز وجل ١٧٥ : ٣ فلا تخافوهم وخافون أن كنتم مؤمنين * وقوله بعد ذكر سنته في الأيام يداولها بين الناس ٩٠ : ٣ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون أن كنتم مؤمنين * فهل نطبق هذه الآيات على قوم يخافون الظالم أن ينهوه عن ظلمه ، ولا يخافون

الله تعالى ان يخرجوا عن حكمه ، وقد جعلوا دينه جنسية ، لاهداية حقيقية ، فهم يرجون مسعادة الدنيا والآخرة بالاتباع اليه ، أو بالتوسل والدعاء لاشخاص ماتوا عليه ، وهم مختلفون متفرقون ، متنازعون متواكلون ، جاهلون متكاسلون ، لا يبذلون ولا يتعاونون ، ولا ينظرون ولا يتفكرون ١٢٠ : ١٠٥ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون * ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون * ٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *

هو لاء الصادقون هم الموعودون بنصر الله وتأيدده « ولن يخلف الله وعده » فلو صدق المسلمون اليوم ما عاهدوا الله عليه باتخاذ الاسلام ديناً من العمل بكتابه والاهتداء بسنته في خلقه لما غلبهم أحد على أمرهم فلقد صدقهم وعده بصدقهم فيما سلف حتى اذا ما فشلوا وتنازعوا في الأمر وعصوه من بعد ما أرى سلفهم ما يحبون أخذهم بمسئله وسلط عليهم من هم أتراب الى الاخذ بسنته منهم كما توعدهم بقوله ٦٠ : ٧ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين * (راجع بحث الاختلاف والتنازع في باب التفسير من هذا الجزء)

طال المقال والبحث يطلب زيادة بيان لا يمكن الا تيان عليه الا في مؤلف خاص به لأن المسألة من أبتكار المسائل التي لم يفرعها أحد من الكتاب فيما نعلم والشبهات فيها كثيرة وإنما اهتدينا فيها بهداية القرآن وآياته وخلاصة ما أقول في شأن المسلمين مع غيرهم في هذه الأزمنة أن من يستخرج من القرآن الآيات الناطقة بسنن الله تعالى في أهل السيادة والعزة من صفاتهم وأعمالهم ، والآيات المبينة لسنته في الأمم المسنحة للإهلاك والأذلال ، ويعرض كل ذلك على الأمم الغالبة السائدة والأمم المغلوبة المقهورة يتجلى له صدق قوله تعالى في سيادة الحق وعلابته وازهاقه للباطل في كل أمة . وهذا النوع من أنواع علوم القرآن ينهض وحده حجة على ان ذلك النبي الأمي الذي بعث في تلك الجاهلية العمياء كان ينطق بوحي من الله ولم يعلمه بشر بل خفيت هذه المعارف العالية عن أفهام أكثر البشر حتى بعد مجيء القرآن بها وإنما يظهر صدقها آناً بعد آناً بروية آياته تعالى في الآفاق وفي ترقى البشر

في أنفسهم كما قال ٤١: ٥٣ منيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»
 فعلى المسلمين ان يعلموا أنهم أخذوا بذنوبهم، لا بقوة غلبتهم على حقهم، ٤٢: ٣٠ وما
 أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» وان معظم هذه الذنوب على عواتق رؤسائهم
 وكبرائهم، فلا يعذرون باستبدادهم واستغلالهم، وعلى العقلاء وأهل البصيرة منهم - وهم
 محل الرجاء في كل أمة استعدت للحياة - أن يعلموا أن ليس لهم امام يدعون اليه، ويجمعون
 الكرامة عليه، الأهدى القرآن الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فعليه ان
 يجتمعوا لهذه الدعوة وان يتناصروا في سبيلها وأن لا ينتظروا نصر الحق من المبطلين، ولا
 يتوانوا فيها خوفا من الظالمين، فان هذا الامر اذا خرج من أيديهم، يوشك أن لا يعود
 اليهم، ان الاسلام لا ينصرف في الدنيا بالاماني والاحلام، ولا ينحني في الآخرة بالخرافات
 والأوهام، ان أهل الحق لا يُظلمون، ان الظالمين لا يسودون، ٤٠: ٧٨ فاذا جاء
 أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون * ٤٦: ٣٥ كأنهم يوم يرون ما يوعدون
 لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فويل يهلك الا القوم الفاسقون * ٦: ٤٧
 قل ان اتاكم عذاب الله بغتة أو جبيرة هل يهلك الا القوم الظالمون * وهذه نذره
 تعالى لقوم لا يعدلون، بل هم بربهم يعدلون، فبادروا أيها المؤمنون الصادقون،
 ٧: ٢١ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * ولا تقفوا بدينكم الذي اليه
 تنسبون، ولكنكم به لا تعملون، فليد أنزل الذكر على من قبلكم فسادوا وهم عاملون، ١٩
 : ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أتوا
 أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ٥٥ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *
 وقد أنذركم ما حل بهم لعلكم تعبدون، ٢١: ١٠ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه
 ذكركم أفلا تعقلون * ١١ وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بها قوما
 آخرين * ١٢ فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها بركضون * ١٣ لا تركضوا وارجعوا الى
 ما أترقتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون * ٤١ قالوا يا ويلنا اننا كنا ظالمين * ٥١ فما
 زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * ١٦ وما خلقنا السموات والارض
 وما بينهما الا عينين * ١٧ لو أردنا ان نتخذ لها ولا نتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين *
 ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون *

أثار كتابه

(أجابة سؤال)

(أو نقد شرح ديوان أبي تمام)

لاديب متفكر ، تأخرت عدة أشهر

للقد على العلم فضل يذكر ، ومنة لا تنكر ، فهو الذي يجلو حقائقه ، ويميط عنه شوائبه ، بل هو روحه التي تنميه ، وتدني قطوفه من يد مجتنيه ، وإذا أبيض النقد في أمة واستحبه ابنائها ، وعرضت عليه آثار كتابها ، كان ذلك قائدا لها الى مجابح المدنية وآية على حياة العلم فيها ، الحياة الطيبة التي تتبعها حياة الاجتماع وسائر مقومات الحضارة والعمران . وقد بدأ مؤلفو العربية وكتابها يشعرون بفوائد النقد وما يعود عليهم من ثمراته الشبيهة فأخذوا يعرضون آثارهم على النقاد ويطلبون منهم تمحيصها و بيان صحيحها من فاسدها وبالأمس اطلعت على ديوان أبي تمام المطبوع حديثا في بيروت فوجدت شارحه الفاضل قد اقترح على المشتغلين باللفظة نقدا علقه عليه من تفسير غريبه وحل رموزه وأبدى من الرغبة في ذلك بحيث عيّن جائزة لمن عثر فيه على عشرة أغلاط فأكثر . فأكبرت صنيعه ، واستمدت منه على كبر نفسه ، وعالو همته ، وشدة شغفه بخدمة العلم وتقرير الحقيقة ، وها أناذا قد أجبت سؤله ووافيت رغبته في الإشراف على ذلك الشرح ثم نقد ماتين لي انه رمى في تفسيره الى غير معناد ، او حمله على غير ما أرادته قائله منه ، قال :

(ص ٢) قد كان خطب عاثر فأقاله رأي الخليفة كوكب الخلفاء

(العاثر الساقط والإقالة الاخذ باليد) * حقيقة العثار ان يعثر الرجل بحجر أو بذيله مثلا فيسقط واذا عثر قيل له لعالك أي اتعاشا ونهوضا . قال في الأساس ومن المجاز عثر في كلامه وعثر الزمان به وجده عثوراه وعثار زمان المرء وعثار جده

* نودع عبارة الشارح المنتقدة بين قوسين ونضع ايزاء كل بيت عدد الصفحة التي هو فيها من الديوان .

كناية عن تحوّل حاله ومفاجأة النواذب له . وحقيقة الإقالة فسخ البيع وإبطاله قال في الأساس ومن المجاز أقلته العثرة صفحت عنه . ومجاز الإقالة يستعمل مع مجاز العثار . فنقول شاعرنا خطب عاثر فأقاله الخ هو من المجاز في الكلمتين وكما يقال زمان عاثر أي سي . يقال خطب عاثر أي سي . فظيع منكر . ثم قال ان رأي الخليفة أقال ذلك الخطب العاثر أي أبطاله وفل غربه وأزال ضرره عن الناس فالعاثر في البيت ليس المراد منه حقيقته وهي الساقط كما قال الشارح وإنما المراد مجازة كما ان المراد بالإقالة مجازها وتفسير الشارح لها بالأخذ باليد ليس من حقيقتها ولا مجازها على ان ذلك التفسير يأتي على البيت من قواعده لان الخطب اذا عثر وأخذ الخليفة بيده فقد أنمسه ونشّطه والشاعر يرمي الى غير هذا . وقد فسر الشارح الإقالة أيضاً في الصفحة ١٩ برفع العاثر من سقوطه وهو غير وجيه لما سمعت .

(ص ٣٢) فسيحوا بأطراف البلاد وارثعوا فنا خالد من غير درب لكم درب
(الفناء عتبة الدار) الفناء الفسحة تكون امام الدار أو حواليتها أما العتبة فهي أسكفة الباب السفلى أو العليا . والوصيد الفناء والعتبة فاذا قيل الفناء هو الوصيد أريد من الوصيد أحد معنييه وهو فسحة الدار لا المعنى الآخر وهو عتبة بابها

(ص ٥٩) نسائلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأيّت
(أيّت أقامت) أيّت تأنيث أي الاستفهامية كأنه يقول وأيّة بقعة تبوأتها وتكرارها هنا كتكرارها في قول الشاعر «باي» كتاب ام بأيّة سنة * وورود نأياً بمعنى توقف وتمكث لا يجوز لنا استعمال أي بمعنى اقام كما لا يجوز لنا ان نقول باء بالمكان بمعنى تبوأه وإنما رسمت تاء أيّت هنا مفتوحة مع ان الاصل كتابتها مسبوطة ابتغاء مشاكلة القوافي مثل النجات في قوله (وآله وصحبه الثقات السالكين سبل النجات)

(ص ٦١) واحيا سبيل العدل بعدد ثوره وأنهب سبل العجود حين تمقت
(أنهب قوم) أنهب السبيل أوضحها وأظهرها بعد عفائها واضمحلالها وقومها عدلها بعد اعوجاجها والتوائها

(ص ٦١) به انكشفت عنا الفياضة وانفرت جلايب جور عمنا واضمحلت
(انفرت انقطعت) الفري القطع يقال فريت الأديم أي قطعته وانفري الأديم

انشق واذا أسند الى مثل الجلايب فسر بالانكشاف والانحسار مثلاً . ومثله
تفرسى الليل عن بياض النهار أي انكشف ومن هذا القبيل جاب ومعناه قطع
كقوله تعالى « جابوا الصخر بالواد » فاذا قيل انجابت الظلمة أو انجاب الظل
فسرا بانكشفت وتقلص مثلاً .

(ص ٦٤) ان الهموم الطارقاتك موهنا منعت جفونك ان تذوق حثاثا
(موهنا ضعيفا) الوهن له معنيان (١) الضعف (٢) بعد ساعة من الليل
أو نحو نصفه أما الموهن فعناه الثاني منهما . فاذا قالوا الموهن الوهن عنوا بعد ساعة من
الليل أو نحو نصفه لا الضعف . والطارقات الملمات ليلاً فالموهن في البيت بالمعنى الثاني
(ص ٦٦) من كل رعبوبة تردى بثوب فينأها الأثيث
(فينأها المتفنن في نسجه) يطلق الفينان على الرجل الكثير الشعر ويطلق أيضاً
على نفس الشعر الكثير الكثيف تشبيهاً له بأفنان الشجرة اذا التفت وتكاثفت
فالفينان من الفن وهو الفصن والشاعر يقول ان تلك الرعبوبة ابست ثوبا من
شعرها الكثيف

(ص ٧٢) أشلى الزمان عليها كل حادثة وفرقة نظلم الدنيا لنازحها
(أشلى دعا) أشلى اذا عدي الى مفعول واحد كان بمعنى دعا واذا عدي
الى مفعولين ثانيهما محرف الجر (على) كان بمعنى أغرى فاذا قلت اشليت الناقة
والكلب أردت دعوتهما واذا قلت اشليت الكلب على الصيد أردت اغريته
عليه . فاشلى في البيت بمعنى أغرى .

(ص ١٠٠) في كل يوم فتوح منك واردة تكاد تفهما من حسنها البرد
(البرد المتبادر انه جمع بربدو هو ما بين المنزلين) قال في شفاء الغليل نقلا عن الفائق
البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية وأصلها (بريده دم) أي محذوف الذنب
لأنه يقال ان دابة البريد كانت كذلك اه فعربوا « بريده دم » وخففوها الى
بريد فالبريد كلمة معربة معناها في الاصل البغل الذي يحمل الرسائل بين البلاد
وكانوا يقطعون ذنبه ليكون ذلك كالعلامة له ثم سمي الرسول الذي يركب البريد
بريدا ومنه قول بعض العرب الحمى بريد الموت والحديث « اذا بردتتم الي بريدنا

فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم» وسُميت أيضاً المسافة التي يقطعها البريد بالبريد ومنه قولهم «ان البريد من الفراسخ أربع ابيات وقد اراد الشاعر ان الدواب التي تحمل اخبار انتصار الممدوح في غزواته تكاد تفهم ما حملته وتشهر بحسن وقمه في النفوس

(ص ١٠١) حلفت برب البيض تدمي متونها ورب القنا المناد والمتقصد
(المناد المتحرك) اود العود اعوج وآوده واوده حناه وعطفه فتأود واناود
انحنى وانعطف والمناد المنحني والمهوج فالشاعر يحلف بالرياح التي بوشر الطعن بها
فمنها ما تكسر ومنها ما اعوج وانحنى من شدة الطعن

(ص ١٠١) اذا مادعوناه باجلح ايمن دعاه ولم يظلم باجلح انكذ
(اجلح شديد مقدم) يقولون يوم اجلح واضلع أي شديد وقالوا جلح على
الشيء من باب فرح أي أقدم عليه اقداما شديدا وهو ليس بالثلاثي فلا يأتي
منه التفضيل على افضل . وعليه فأجلح في البيت وصف من الجلح وهو انحسار
الشعر عن مقدم الرأس كالصباح أو اخف منه يريد الشاعر ان الممدوح الذي فتك
ببابك ان كانت جلخته مباركة علينا ودعوناه لاجل ذلك بأجلح أيمن فهي مشوؤمة
على بابك وهو جدير ان يدعوه بأجلح انكذ . ونسبة اليمن والنكذ الى الصلعة
معهود كنسبته الى الوجه والطلعة (له بقية)

﴿ التقريظ ﴾

﴿ الحصون الحميدية * للحفاظة العقائد الاسلامية ﴾

طُبِعَ في هذه السنة كتاب مسمى بهذا الاسم من تأليف الشيخ حسين الجسر
الشهير صاحب الرسالة الحميدية . وطريقة المؤلف في باب الإلهيات هي طريقة
السنوسي التي جرى عليها المتأخرون الذين كتبوا على عقيدة السنوسي الصغرى
وعلى الجوهرة وآخرهم الباجوري فهو يذكر من صفات الله تعالى ما هو سلمي كالقدم
والبقاء ومخالفة الحوادث وما هو وجودي وما هو في عرفهم واسطة بين الموجود
والمعدوم وهو الوجود . ويعرف الصفات بما عرفوها به ويذكر لصفات المعاني
من التعلق ما ذكروا حتى قولهم ان السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات .

ولكنه أطل في باب النبوات أكثر مما أطلوا فذكر أشهر معجزات الأنبياء واستدل على كل واحدة منها بالدليل المعروف وهو أنها جائزة عقلاً إذ لا يترتب على فرض وجودها محال وكل جائز في العقل فقدرته الله صالحة للتعاقب بإيجاده وقد أخبر الصادق أن ذلك وقع فوجب التصديق به وزاد عليه أيضاً ورداً للشبه أهل العصر . ثم انه يذكر من هذه المعجزات ما جاء به القرآن وما روي في أحاديث الآحاد حتى ما لا يرتقي منها إلى درجة الصحة كحديث حبس الشمس أوردها بدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم وبدعوة يوشع بن نون عليه السلام . قال إن الإيمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فنحن نؤمن به ونصدق :

أقول إن مسألة ردّ الشمس له صلى الله عليه وسلم قد وردت في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج ووردت في رواية أقوى منها في مناقب عليّ كرم الله وجهه وهذه الرواية وثقها الطحاوي في مشكل الآثار وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه في الآتي وهذا نص الرواية من حديث أسماء بنت عميس : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل (عليّ) العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) لعلي صليت؟ قال لا قال « اللهم إن كان في طاعتك وطاعة رسولاك فاردد عليه الشمس » قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت : رواه الجوزقاني عنها وقال انه حديث مضطرب منكر وقال ابن الجوزي موضوع وفضيل بن مرزوق المذكور في اسناده قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من غير طريقه وفي اسناده أحمد بن محمد بن عقدة رافضي رمي بالكذب : ورواه بن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه وقد وثقه قوم . أقول وما ورد في حبس الشمس لبوشع ضعيف أيضاً وهو معارض لهذا فإنه ورد بصيغة الحصر ولعل غرض شيخنا صاحب الحصون الحميدية من اختيار التسليم بكل ما ورد من الخوارق للأنبياء وغيرهم وإن لم يتواتر بل وإن لم يصح سنده في الآحاد عدم فتح باب انكار الجزئيات لئلا يفضي بقوم إلى انكار أصل الخوارق من المعجزات والكرامات . فهو يقول

مادمننا نو من بقدره الله تعالى على كل شيء فلا ينبغي لنا ان ننكر شيئاً يوتر
عن أصفياء الله تعالى وان كان مخالفاً لسننه فهو واضعها وهو الذي يغيرها ان شاء الله
متى شاء على يد من شاء . هذا رأيه واننا نورد عبارته في بيان دفع ما يرد على هذه
الخارقة بعد التصريح بإمكانها قال «ص ٩٧»

« وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الأرض هي التي تدور
لو وقفت الأرض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر آخذاً
بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويفرق أهلها: قلنا ان القادر على إيقاف
الأرض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله
تايماً للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت
الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم
الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول
أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر (وهو محمد او يوشع) عليهما
السلام . لأننا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من
البشر وإنما هو لحكمة بالغة وهي إظهار المعجزة الخارقة للعادة التي ينشأ عنها اهتداء
ألوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الإيمان
الذي يحييها الحياة الأبدية وينشأ عنها تثبيت ألوف وتمكينهم بالإيمان من آمنوا
قبل ذلك ويبقى ذكرها ونقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع
بنقلها من اراد الله تعالى هداها ويتصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله . فهذه
الحكمة العظيمة توازي في العظمة حصول تلك الخارقة وتفوقها ويليق بها أن تحصل
تلك الخارقة لاجلها . على أن ذلك الملحده نظر الى مجرد عظمة تلك الخارقة ولو قابلها
بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيئاً يذكر وهذه الخارقة وغرض واحد من البشر
عند الباري تعالى على حد سواء في أن كلامهما تحت تصرفه ومشيتته ولا يعظم شيء
منهما لدى عظمتهم وان كان في نظرنا القاهر أننا نجد الفرق بينهما عظيماً وهما عند الله
سيان في الجواز والامكان . ثم انه في بعض الروايات التي نقلت تلك المعجزة ما يفيد
أن الرسول طلب وقوف الشمس أو أعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة

الجديدة بدوران الأرض أنه كان الصواب في حق ذلك الرسول أن يطالب وقوف الأرض أو عكس حركتها عوضاً عن طلب ذلك في الشمس : لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الأمر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجساري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطاً من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لأهل لغتهم ويجري في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الأرض ولم نسمعهم يقولون طلعت الأرض أو غربت أو وصلت الأرض لمقابلة نور الشمس أو فارقته وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة إذا علمت ما قررناه ، واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه ، فاعلم اننا معشر المسلمين آمننا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسوله الكرام ، يهدي ويثبت بها الألوف من الأنام ، اه بحروفه ولا يحسبن القاري أن الاستاد المؤلف يحكم بأزمن أنكر هذه المعجزة كأولئك الحفاظ الاعلام يعد ملحداً لتعبيره عن المعترض بلفظ الملحد فانه لم يقل أحد من المسلمين بكفر من ينكر أي حديث من أحاديث الآحاد وان صح سنده فكيف يكفرون من ينكر حديثاً ضعيفاً أو منكر باعتراف حفاظ الحديث أنفسهم . وانما يكون المنكر ملحداً اذا كان ينكر قدرة الله تعالى على فعل تلك الخارقة أو أي ممكن من الممكنات . والمؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعتقد بشي ء ثبت عنه عنده ثم ينكره اعظمته وانما أنكر الأئمة كثيراً من الأحاديث لعلها في روايتها أو روايتها أو متنها ككونه لا يتفق مع الثابت القطعي فمن أنكر حبس الشمس أو رجوعها لعله من ذلك لا يعد ملحداً ولا مبتدعاً ولا عاصياً ولا منحرفاً عن سبيل المسلمين لاسيما إذا لاحظ مع ضعف الرواية أن مثلها مما يشتهر وتتوفر الدواعي على نقله فلما لم يروها أهل النقد من المحدثين كالشيخين وأصحاب السنن ومثل مالك وأحمد ترجح عنده أن من جرح روايتها ولم يقبلها من المحدثين هو المصيب دون من قبلها . ثم ان هاذكره الاستاذ مؤلف الحصون الحميدية من الحكمة في وقوع هذه الخارقة لم تؤيده رواية

الحديث فيها اذ لم يرد أن كافراً آمن لاجلها أو ضعيف ايمان ثبت برويتها . ولا شك أن هذه الحارقة هي أعظم الخوارق الكونية التي نقات لانها ابطال لسنة الله تعالى في نظام العالم العلوي والسفلي فهي أعظم من احياء الميت ومن انقلاب المصاحبة ونحو ذلك فلو تحدي بها لرجي أن يظهر ما قاله من الحكمة ولكن لم ينقل روايتها أنه وقع بها التحدي نعم إن واضح السنن لنظام الكون باختياره قادر على تبديلها أو تحويرها أو ازلتها اذا وافق ذلك حكمته ولكن النظام الثابت بالمشاهدة اليقينية وبالنقل اليقيني الناطق بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول وان الشمس والقمر بحسبان ، وأن لا تفاوت في خلق الرحمن ، لا يصدق في دعوى تغييره وتبديله قول فلان عن فلان ، في رواية مطعون فيها من المحدثين ، فهي لا تنفيذ الظن فضلا عن اليقين ، واننا نعيد القول بأن مؤلف الحصون الحميدية لم يقصد بفتح باب التوجيه لكل ما ورد من الخوارق ومن أمور الغيب التي ذكرها في باب السمعات . وان لم يرتق الوارد فيها الى درجة الصحة بل وان كان قولاً مشهوراً لبعض العلماء لم يرد فيه شيء عن المعصوم . الا لاجل حماية القطعي الثابت من آيات الله ومن خبر الوحي الثابت عن عالم الغيب لئلا ينتقل العاصي وأمثاله ممن لا علم لهم بحقائق الدين من انكار ما لم يثبت باليقين الى انكار ما ثبت به وصار معلوماً من الدين بالضرورة فيكفر اذ الذي قطع به علماء العقائد أن المؤمن لا يحكم بكفره الا اذا جحد شيئاً مجتمعا عليه معلوماً من الدين بالضرورة . والدليل على هذا الجحد اما القول واما الفعل الذي ينافيه كالسجود للصائم اختياراً .

والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية وعن النسخة منه أربعة قروش صحيحة

البائنة - أو بحث في الدوطة ❦

الدوطة كلمة إفرنجية مشهورة ومعروفة المعنى وهو ما يأخذه الرجل من المرأة التي يتزوجها كما هي عادة الافرنج ومقلديهم وقد وضع سليم أفندي عواد رسالة في هذه المسألة بن فيها ان لفظ (البائنة) العربي يؤدي معنى الكفنة عند الافرنج ثم عرف الدوطة وبين سببها وذكر تاريخها عند اليونان والروم وأحكامها في قوانين الافرنج وكيف تملك وتورث والرسالة تطلب من المؤلف في الاسكندرية

(الروايات الشهرية) هذا اسم لقصص يصدرها يعقوب أفندي الجمال كالمجلات الشهرية وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشاً في القطار المصري و٢٠ فرنكاً في غيره . والقصة تناهز مئتي صفحة من الشكل الثالث ونمي بالشكل الثالث ما كان دون المنار وهو الشكل الثاني . ومن النسخة الواحدة منها سنة غروش . وهي تطلب من صاحبها في عزبة الزيتون بضمواحي مصر .

(رواية الملك كورش الفارسي) قصة أدبية غرامية تاريخية للكاتب العربية المشهورة (زينب فواز) طبعت على نفقة أمين أفندي هندية وتطلب منه (الطبيب المصري) قصة أدبية أخلاقية تاريخية ألفها محمد أفندي الهراوي من عمال نظارة المعارف ولم تمكن من قراءتها ولا قراءة سابقتها لنبدي فيها رأياً فآكتفينا بالتعريف اعترافاً بفضل الكاتبين والمؤلفين والناشرين . ومن النسخة من هذه القصة ثلاثة قروش

(مجلة المجلات) عادت مجلة المجلات الشهيرة الى السفور بعد احتجاب طويل شق على عاشقي فوائدها وقد صدر العدد الأول من سنتها الحاضرة (وهي السادسة) في أول يناير من هذا العام الميلادي مفتحة برسم الأستاذ الإمام وترجمة له بعد خطبة السنة وفيه كثير من الفوائد العلمية والأدبية والصور فترجوها العمر الطويل ، وتشي على صاحبها (محمود بك حسيب) الثناء ، الجميل والمجلة شهرية يتألف العدد منها من ٦٤ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٨٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في غيرها

(الآباء) مجلة عمومية أدبية لصاحبها محمود أفندي الكاشف وكانت من قبل جريدة وهي مؤلفة من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في خارجها فتتمنى لها الثبات ودوام الانتشار والارتقاء

(الصائح) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة محمد علي بك نصوحى الصيدلي وهي معتدلة كصاحبها فتتمنى لها الرواج وترجوها الثبات

(الارشاد) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة الشيخ علي الجرجاوي وقد اشتهرت بالمدافعة عن الأوقاف فتتمنى لها العمر الطويل والخدمة النافعة

بَارَاءَةُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

دعوة الاسلام في اليابان

كان لما كتبناه في مسألة دعوة اليابان الى الاسلام تأشير في جميع الأقطار الاسلامية فقد نقلت ما كتبناه الجرائد الهندية وأضافت اليه ما أضافت وكتب الينا بعض أهل الفيرة من مسلمي الآفاق بالاستحسان والاستعداد لإسعاد الدعوة إن وجدت . ومن ذلك ما كتب اليناه بعض الفضلاء من سنغافوره وهو :

« قد أسرني ما رأيت بالمنار من ذكر الدعوة الى الله بالجان وباطلاعنا على ما ذكرتم كتبنا لأحد المسلمين في شنغاي (بالصين) ليفيدنا عن الشيخ حسان وأحبينا أن نكتبه ونمن بما نقدر عليه فوصلنا منه ما رونه ضمن هذا بعد الاطلاع عليه أرجوه الينا إن شئتم وقد أجبناه عسى أن يوئف لجنة لجمع إعانة لهذه الغاية فعسى ولعل . ويقال ان أهل الهند جهزوا عالماً بمخمة آلاف روبية لينهب الى جابان للدعوة . وقد أطربنا ما ذكرتم في المنار بالعدد الأخير (يعني ج ٢٢) من دعوتكم العلماء للذهاب والأغنياء للمعاونة بالمال وقبلنا تلك السطور نيابة عن أنامل سطرها ولكننا لا نوافقكم في أن سروات مصر لا يكتبون بالمبالغ الكبيرة ودليلنا ان القوم يكتبون سنويا لعيد الجوس ونحوه من الأعياد الفارغة بمبالغ غير حقيرة مع أن الأمير لا يقرأ تلك القوائم ولو قرأها لم تعلق بذهنه فضلاً عن أن يثيب على ذلك فمن لا يبخل بالترهات كيف لا يبذل المال في نصرة الدين ، وإقراض أحكم الحاكمين ، فلا تزيدكم توصية بالتكرار . وهنا قد أحب بعض قراء المنار المشاركة وسيقدمون ما يجتمع وهو وان كان زهيدا فأول الفيث قطر » اه بنصه

وهذا ما كتب اليه من شنغاي بعبارته قال الكاتب بعد رسوم الخطاب

« احاطة علمكم ما هو محرر بمجلة المنار الاسلامي عن أن رجلاً من الصين اسمه حسان قد قام بكتابه بعض عبارات في مجلة شو كيا الجبانية يدعو القوم الى الديانة الاسلامية وتطلبوا الإفادة عن (ادريسه) فلا أحر شرحكم فهناه كما اطلعنا عليه بالمجلة

المذكورة ونشكر غيرتكم الحمية عليه . غير أنه قد تعجبنا من ذلك لعلنا به سدم وجود هكذا شخص بالصين أهلاً لذلك ونأسف كما بأسف كل مسلم غيور بأن تكون أهالي الصين المسلمين محرومين من هكذا رجل وهم أحوج الناس إليه « ولدى الاستعلام عن الشخص المذكور فهمنا بأنه قد حضر من بضعة أشهر من بلدة « دلهي » بالهند رجل عالم اسمه بالانكليزي (سفراي حسين) ولعله هذا الذي يعنى عنه المنار « حسان » من طرف جمعية اسلامية بالهند لهذه الغاية الى الجبان من بعد أن أقام كام يوم هنا طرف أحد الإخوان . وقد فهمنا انه توجه الى الجبان الى أوزا كما ومنها الى ناكازا كي حيث أقام بتحرير جملة مقالات في بعض جرائد الجبان والقاء بعض خطاب بهذا المعنى والآن نجعل محل اقامته كما نجعل (ادريسه) الا أنه يمكن نحرره بالاسم المشروح أتلاه بالانكليزي الى يوكاهاما أم ناكازا كي . وغدا ان شاء الله سنحضر الى أحد الاصحاب بتلك الأطراف للاستعلام عن ذلك واليك الحقيقة بعد هذا

« أما حالة الجبان الدينية فهي كما كتب محرر المجلة المذكورة ولم يزالوا تأميرين حارين على دين يعتقدوه (وان يكن منهم صار الحظ الأوفر مسيحية) ونعرف منهم اثنين قد اعتنقوا الدين الاسلامي ولا قدروا يفهموا منه الا أساءهم حيث قد صاروا بأسماء جديدة أحدهم ابراهيم واثاني اسماعيل . ونعهد ان منهم جدلة قد صاروا يهودا . والحقيقة الآن فرصة ثمينة جدا وثواب عظيم . ولكن يحتاج هذا الرجل عظيم فيلسوف غيور مستعد ليس بهلم الفقه فقط على مذهب الشافعي . . وحضرتكم أعلم .

« أما حالة الصين لانكرو وجود جملة اسلام يمد بالملايين ومنهم العلماء الاعلام ويوجد عندهم المدارس العاليية الداخلية حيث يوجد بهم ألوف من طلبة العلم أخصه في البلاد الداخلية حيث أعلم الاسلام بهم نظير كيانسو . شانسي وهونان . ولكن من الصعب وجود شخص بالاستعداد الكافي والغيرة لما ذكر ربنا اهدنا ووفق وألف بين قلوبنا انك سميع مجيب . . » اه بحروفه ونقطه الا اسم العالم الهندي فقد رسمناه بحروف عربية وظاهر انه يريد بالجبان اليابان وبالادريس العنوان

وكنا قبل هذا قرأنا في جريدة «وكيل» الهندية الغراء ما ترجمته :
 حضر من أعيان الهند وعلمائها الاعلام (سرفواز حسين) الى مدينة
 نجاساكي اليابانية في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٥ وفي ١٨ منه دخل الى أحد معابدها
 المسمى (جوسوجي) وألقى خطبة شائقة باللغة الانكليزية موضوعها التوحيد
 الاسلامي ونبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان عدد الحاضرين يبلغ زهاء
 أربع مئة من يابانيين وأوربيين ودام في خطبته ساعتين وكان من الحاضرين
 اللادي مس ريدلف كود الامريكانية وكانوا يسمعون بكل انتباه وإصغاء . وفي
 اليوم التالي ليوم إلقاء الخطبة كتبت عنها الجرائد الانكليزية واليابانية مقرظة
 اياها أحسن تقر يظ وقد جاء كثيرون ليسألوا العالم الهندي بارتياح وهسرة عن
 التوحيد والنبوّة وبعد عشرة أيام برحها الى مدينة كوبي ومنها الى طوكيو اهـ

(المنار) نقول ان مصدر خبر الشيخ حسان الصيبي هو الجرائد الألمانية
 ولا ندري من أين أخذته . ولا فرق عندنا بين أن يكون الداعي الاسلام هنالك
 صينياً أو هندياً لأن الملة واحدة ولكن نرجو أن يكون هندياً لأن أهل الهند أعلم بها من
 أهل الصين ومن لنا بمن يترجم لنا خطبة أخينا سرفواز حسين لعلمنا نجد فيها ما يطعن
 له القلب من ناحية هذا الداعي الاول للاسلام في تلك البلاد . ولا يشك عاقل في
 أن هذا العمل العجيب لا يكفي للقيام به عالم واحد مهما اتسعت دائرة علمه، وفقدت
 أشعة عقله وفهمه، فلا بد للمسلمين من جمعية للدعاة يكون لها مدرسة لتربيتهم
 وتعليمهم وصندوق غني للنفقة عليهم . ولكن هل بلغ استعداد المسلمين الديني
 والاجتماعي في جميع الممالك الى أن ينهضوا بجمعية واحدة كأصغر جمعية من جمعيات
 المبشرين عند النصارى ؟ يظن صاحبنا الذي كتب لنا من سنخافوره ان
 المصريين وحدهم يضطلمون بهذا العمل وهو قليل على كرمهم ولسكنه أيديته بقياس
 الجد على الهزل ولا أزيد على هذا شيئاً في الكلام على قياسه وأقول له ان لي في
 المصريين لأملاً ما ولكي أعتقد ان هذا العمل لا يتم الا اذا تضافر المسلمون في كل
 الاقطار عليه . ويرجي بعد أن تبدو ثمراته بسعي أصحاب المهمة العالية والغيرة
 الصادقة ان تصير الثقة به عامة وأن توقف عليه الأوقاف العظيمة فإن حب

الخير وبذل المال في سبيل الله لم يمنع من نفوس المسلمين ولكن الأغنياء منهم صاروا طبقات فمنهم من عبد المال من دون الله لا يسمح بقليل منه ولا كثير وهو لاء قد فسدت فطرتهم فلارجاء فيهم ، ومنهم من لاهم له الا الاسراف والتبذير في سبيل الشهوات واللذات والفتنة والزهو والخيلاء وأكثر هؤلاء من عبادة الشهوات الذين لم يبق للدين بصيص من النور في قلوبهم . وقد يوجد فيهم من ترجى أوبته ، وتحسن خاتمته ، ومنهم من يحب عمل الخير ولكن يضعه في غير موضعه لجهله بما يرضي الله وينفع الناس فيبني مسجدا حيث تكثر المساجد فيزيد المسلمين تفرقا أو يوقف وقفا على ضريح بعض المشهورين بالصلاح ، ومنهم من يميز بين الضار والنافع ولكنه ضعيف لا يقدر على العمل بنفسه ولا يثق بالعاملين وان كانوا قادرين وانما الرجاء بمثل هذا بعد ظهور ثمرة العمل . وأما الغني السخي العاقل الشجاع الذي يرجى للشروع في الاعمال العظيمة فقليل ، وهو المرجو لهذا المشروع الجليل ،

(منار السنة التاسعة - تنبيهات)

(١) اننا سنزيد مادة التفسير في الاجزاء الآتية ويرى القراء اننا نراعي في كتابة الآيات الكريمة المشكولة رسم المصحف العثماني اتباعا لسلفنا وحفظا لما كانوا عليه في صدر الاسلام . ولكننا عندما نذكر هذه الآيات في أثناء التفسير نوافق جميع كتب التفسير المطبوعة في جعلها على قواعد الرسم المتبعة لأنها تكتب غير مشكولة فيخشى ان يحرف قراءها غير الماهر في التلاوة وقد نبهنا في هامش الصفحة الاولى من التفسير على اكتفائنا بعد المصحف المطبوع في الاستانة للآيات الكريمة . وقد تحرينا في هذه السنة الاشارة الى السور وعدد الآيات في جميع ما نذكر في المنار من القرآن المجيد ونفصل بين عدد السورة وعدد الآية بنقطتين هكذا ٢٥ : ٩ والمراد بهذا المثال السورة التاسعة والآية الخامسة والعشرون منها . ومن كان عنده المصحف الذي طبعه فلوجل الالماني وراجع عدد الآية فرأى غيرها فلينظر قبلها أو بعدها بآيات قليلة يجدها لأن الفرق في مواضع الاختلاف قليل

(٣) قد جعلنا باب المقالات في هذا الجزء بعد باب الفتاوى ولكننا سنجمعه في الأجزاء الآتية بعده

(٣) لا يقبل الاشتراك في المنار الا من أول السنة الهجرية أو من أول رجب منها ومن قبل الجزء الأول عند مشتركنا الى آخر السنة ولزمه اداء قيمتها كاملة . وهذا الشرط يلتزمه من يفي بالعقود والشروط التي رضي بها وان كان لا يبالي بها من لا قيمة لنفسه عنده وحسبنا اننا نعامل أهل الفضل والشرف ومن شد فأخلف ظننا فحسبه ان يكون حسن الظن فيه كاذبا

(٤) نرجو من أهل الوفاء والفضل الذين لم يوفوا الى الآن أن يرسلوا الينا القيمة المتأخرة عندهم حوالة على مكتب البريد في مصر القاهرة أو على بعض التجار أو المصارف (البنوك) ونعلم مشتركنا سينغافوره وجاوه والهند أن قيمة الروبية الورق (بنك نوط) في مصر ستة قروش مصرية فالعشر الروبيات تنقص عن قيمة الاشتراك زيادة عن فرنكين فليعلم يكفون عن إرسال هذه الاوراق (٥) اننا نريد ان نطبع عنوانات المشتركين في القطر التونسي وسائر الاقطار فن كان في عنوانه غلط فليصححه لنا لنطبعه على الصواب ونرجو المبادرة الى ذلك . وقد حذرنا على التونسيين في الجزء الماضي أن يدفعوا شيئاً من قيمة الاشتراك بعد وصوله اليهم الى المحصل الذي أقامه وكيل المنار في تونس واسم هذا المحصل (أحمد أبوخطيوة) فقد كتبنا اليه نسأله عن التحصيل وعن الوكيل الفاضل النبيل فلم يجر جواباً ولعل له عذراً يظهر عن قريب . فمرجو من فضلكم ارسال القيمة حوالة على البريد بمصر

(٦) عزمنا على ان ننشر في الأجزاء الآتية نبداً من المباحث الادبية منظومها ومنشورها ونذكر في الجزء الآتي كلاماً في المغرب الأقصى ومسألة العقبة وماشاع من سلطان الجن والشياطين على بعض علماء الازهر وغير ذلك من العبر

(٧) كنا نرسل المنار الى كل طالب ونحسن الظن فيه فخاب ظننا بكثير حتى من أصحاب الالقاب الضخمة وقد بدا لنا في ذلك فلا نرسل المنار في هذا العام الا لمن يرسل قيمة الاشتراك مع الطلب الا أن يكون الطالب لنفسه أو لغيره من أصدقائنا الموثوق بهم

عمال المطابع وأخلاق العامة

أفادنا علم الأخلاق أن العمدة في ردع الناس عن الشر وتوجيههم الى الخير هو الوازع النفسي ويقول فلاسفة هذا العلم ان هذا الوازع يتمكن في النفس بالاعتقاد الديني و تربية وجدان الشرف في النفس في أمة تعرف معنى الشرف الحقيقي وتحترق من يتلوث بالخسة والدناءة . وأما عقوبة الاحكام فقد وضعت لاهل الشذوذ لالتربية العامة . فمن عرف هذا وعرف حال التربية في مثل هذه البلاد لم يتعجب من تألم الناس هنا من الصناعات والخدم وتجاوبهم بالشكوى منهم فانهم محرومون من آداب الدين ومن شعور الشرف الا من شذ وان اكبر خدمته تقوم بها الجمعية الخيرية الاسلامية هذه البلاد هي تربية أولاد الفقراء تربية دينية يرجى بها ان يكونوا صناعات وأجراء صالحين يوثق بهم ويؤمنون على الاموال والاعمال

كنا ظننا أن اللين والوفاء للصناع يقربهم من حسن الخدمة والاستقامة فاذا بالقوم لا يفرقون بين الاحسان والاساءة وكم من عامل ترك العمل لان رجلاً قال له في الطريق اترك هذه المطبعة واذهب معي الى مطبعة كذا فذهب وليس له عندنا قرش واحد على أن أكثر أصحاب المطابع يمسون من أجور العمال شيئاً بمثابة الرهن فمن ترك العمل ضاع عليه وكان عوضاً لصاحب المطبعة عما يخسر به باهمال العمل الى أن يجد عاملاً بديلاً منه . وقد تباع البلاد والحماقة ببعضهم أن يترك العمل عدة أيام ليغيظ صاحب المطبعة وهو أحوج الى أجر هذه الأيام من صاحب المطبعة الى عمله بل الى المطبعة نفسها . ويعسر على أذكي الاذكياء وأفصح البالغاء أن يقنع الكثيرين منهم بأن هذا العمل ضار به وهذا نافع له كأن أقبحهم لمحيطه بأدب فتهتم أفلاك هيئة اليونان لا تقبل الخرق والالتزام . فتبا للمتفرنجين لمجاهرين بالفسق ولاهل الخرافات الذين أزالوا حرمة سلطان الدين من نفوس هؤلاء العوام . حتى لم يبق لهم زمام ولا لعجام ، فاستحل أكثرهم الحرام، وخزيت بهم الأنام ، - هذا وان تأخير هذا الجزء عن مواعده كان لا متنازع بعض العمال عن العمل أياماً وسيتأخر الثاني ولا تأخير بعد ذلك ان شاء الله تعالى

المسألة

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فبعض عباده الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتي و« من أراه كمن أراه الطريق »)

﴿ مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٣٤ - ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم الضالون في الإفراط والتفريط مانصه
وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة، ولم يفرطوا
إفراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهؤلاء على مذهبين مذهب
الاشعري ومن وافقه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فمذهب أهل
السنة كافة أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره
لا خالق سواه فافعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير
مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم إن الأشعري ومن وافقه
منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه أنه قادر على فعله وإن كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما
مر قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الأشعري ومن وافقه من
المثبتة للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي
وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون إن الله تعالى فعل
عندها لا بها ويقولون إن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الأشعري إن الله

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الأشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقذور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبت الأشعري غير مقبول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الأشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وارادته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لاني أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة متكلمة الأشعرية ومن وافقه فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بمخلق الرب فلا فرق بين الأصل والصفة قيل ومذهب الأشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكى عن الجهم بن صفوان وغلاة أتباعه أنهم سلبوا العبد قدرته واختباره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الأشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر ان يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكى عنه انه كان يخرج الى الجذمي ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا ؟ انكارا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعمًا منه انه ليس الا مشيئة محضة لا اختصاص لها بحكمة بل يرجع أحد المائلين بلا مرجع

ومذهب سلف الأمة وأئمتها وجمهور أهل السنة المنتهة للقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يتقرون بما دل عليه الشرع والنقل

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون بأن لها أثرا لفظا ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع أنه خالق السبب فلا بد للمسبب من سبب آخر يشاركه ولا بدله من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خالق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصرف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملا له وكسبا كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقعة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الثمرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥:٢٨ هذا من عمل الشيطان) وقال (٦٣:١٨ وما انسانيه الا الشيطان) مع قوله (٧٨:٤ كل من عند الله) وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون وينفقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان ائمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء وانه تعالى خالق الاشياء بالاسباب وانه تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقوهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فالله خالقه وفعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجمهور المسلمين وجمهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان واتباعه الجبرية فمن قال ان شيئا من الحوادث افعال الملائكة والجن والأنس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والأدلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الآدميين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

ان سماء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف وعقبي أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد و ارادته و فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جملته فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر أنها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وأنها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطباع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيرا) وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطباع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في العبادات (وأخرجت الارض أثقالها) وقال (واهنزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وقال (ندبر كل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح - وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله - وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياساء ألقعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جدا

وقال السعد التفتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا مانصه :
ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته و ارادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدرته الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق: قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوله كما نقله عنه البقي فلا يقدح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه اتى وصلت الى التفتازاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوله هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولا عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطرابا عظيما واختلفت عباراتهم فيه اختلافا كثيرا وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاما فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهبا ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد نقرر عند كل حاظ بعقله مثرق عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم وداعيهم اليها ومثيبهم ومعاقبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تتعرض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم وممكنهم من التوصل الى امثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلاوي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اليبب المنصف به ومن نظرت في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما نيط بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتم وأيتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضعت المهجة لئلا يكون للناس

على الله سبحانه وأحاط بذلك كما ثم استراب في ان أفعال المباد واقعه على حسب
ايتارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على
جهله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب
بما جاء به المرسلون فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في
مقدوره أصلا واذا طوب بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريما وفرضا ذهب في
الجواب طولا وعرضا وقال الله ان يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه
المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلمة حق
أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف
وتقيض الصديق وقد فهمنا بضرورات المعقول من الشرع المنقول أنه عزت قدرته
طالب عبادته بما أخبر انهم ممكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة
والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر لقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر
للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان يثبت في نفسه
ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والمحال وفيه
ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا نزم المصير الى القول
بأن العبد خالق أعماله فانه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورطات
الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد بقدرته الحادثة والقدره القديمه
فان الفعل الواحد يستحيل حدونه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدره
الله استقل بها ويبسط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدره الله فان
الفعل الواحد لا يعض له وهذه مهواة لا يسلم من عوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين
ان يدعي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال
مهواة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شريكا لله في ايجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام
يجعلها باطلة ولا ينبغي من هذا المتكلم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل
معنى وذلك ان قائلا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الا ككتساب والرب
تعالى مخترع خالق لما العبد مكنتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأدبرت الاقسام
المذكورة على هذا القائل فلا يجد عنه مهربا - ثم قال يعني امام الحرمين - فنقول

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المقدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل خلقا لله فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا اوقع بالقدرة شيئا آل الواقع الى حكم الله من حيث انه وقع بفعل الله ولو اهدت الى هذا الفرقة الضالة لم يكن بيننا وبينهم خلاف ولكنهم ادعوا الاستبداد بالاختراع وانفراد بالخلق والابتداع فضلوا واضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فاننا لما أضفنا فعل العبد الى تقدير الآله قلنا أحدث الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيا أسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال مستمع على قدر معلوم فوقمت بالقدرة التي اخترعها للعبد على ما علم وأراد فاخترعهم وانصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلمها وقضاء وخلقها وفعالها من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقها وهو القدرة ولو لم يرد وقوع مقدرها لما أقدره عليه ولما هيا أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استمر له الحق المبين فالعبد فاعل مختار مطالب بأمر منهي وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزوا الى السيد من حيث ان سببه اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف ولكن العبد يؤمر بالتصرف وينهى ويوبخ على المخالفة ويعاقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا حياء فيه لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا انفراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا انه عصي فقد انفرد بخلق فعله والرب كاره أفكان العبد على هذا الرأي الفاسد مزاحما للرب في التدبير موقعا ما أراد ايقاعه شاء الرب أو كرهه.

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلفظه فيما نقله عنه كذلك الامام الحق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأشعرعي في شرح منظومة شيخه

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بأن العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراده أن العبد ليس مستقلا في ارتكاب أفعاله بمجرد مشيئته وإن لم توافق مشيئة الحق بل إنما تؤثر قدرته إذا شاء الله ذلك ويمكنه منه وهو المعتبر عنه بالأذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا وألف فيه سابقا رسالة سماها الانتصار لإمام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام إمام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بإلحاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه أن النقل عنه بالتأثير بالأذن صحيح خلافا لمن أنكر ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى «ومارميت أذرميت ولكن الله رمى» من غزوة بدر واعتقاد جماعة أن المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وإضافته إلى الله وجعلهم ذلك أصلا في الجبر وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد فبسط الكلام في إثبات الكسب على طريقة إمام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة إلى أن نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبا دون كونه موجودا أو محدثا فكونه كسبا وصف للوجود بمثابة كونه معلوما انتهى وفهموا من ذلك أن لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الأشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد أنها مصاحبة غير مؤثرة قصدا إلى التوسط قال وتفسير كلام الأشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وإنما التوسط المحصل للكسب النافي لطرفي الإفراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بأن لقدرة العبد تأثيرا ولكن بأذن الله لأعلى الاستقلال فاللائق أن يفسر كلام الأشعري بما ينزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لأنه ليس نصا في عدم التأثير فإن أوله يدل على أن الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي أن لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على أن الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم حط القشاشي كلامه على أن

الكسب عند الاشعري تحصيل العبد بقدرته المؤثرة باذن الله ما تعلق به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به موذى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه - كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة المعول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر - ما يدل على انه أي الاشعري انما نفي الاستقلال لأصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتمد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفراييني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفراييني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا للواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاه الخ وقال في الاحياء وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبمنه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن له من ذلك ولو سلب بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه قال الكوراني فهو قائل ان للعبد قدرة مؤثرة بتمكين الله لا مستقلا وهذا التمكين هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى والخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقيدتنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر تعلم ان محمدي الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينمقه الخلف وبالله التوفيق اه

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسيبتها ولا لقدرة لانسان في عمله وأن الله يخلق السبب عند السبب لا به وأن العبد كسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

وتعزووا هذا إلى الأشعري وكبار أنصاره ليعلموا أن كلام الأشعري ليس نصافي ذلك وأن
أكبر أنصار مذهبه وهم إمام الحرمين والأسفرائيني والغزالي قالوا بخلاف ذلك
فلم يبق إلا الباقلاني عليه فهل تحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الأشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طره

أجملت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل
الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الأشغال وقد رأيت الآن أن أعود إليه بإيضاح
يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الإسلام . الذين يعدون النسخ
في القرآن دليلاً على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كاملاً كما تعتقد ويعلم
هو لاء المساكين أن ما يتدفقونه به ليس إلا حصي لا تزحزح طوداً من مكانه . ولولا غفلة
المنتمين إلى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونها بها ظناً منهم أنها توله .
القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الإسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير
نشأ غالباً في العصر الأول أن صحت الروايات الأحادية الواردة في هذا الباب .
والذين قالوا به منهم إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ١٠٥:٣ « ما ننسخ من آية أو ننسها »
لآية فكان إذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها
شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة
في التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في
كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضاً في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم
كأبي مثلاً يقول أبي لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد
بذلك أنه لا يترك حكماً ما بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد
في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبي وأقضانا علي وأنا لن دع
من قول أبي وذلك أن أياً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقد قال الله تعالى « ما نسخ من آية أو نساها » :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الإسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الاصفهاني وغيره . على أن المتسكين بها ليس عندهم دليل يعتد به على صحة مذهبهم . ومنفسر ان شاء الله الآيات التي توهم أنها تنفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع ما أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى . ولا محل لنا أن نترك العمل بشيء من كتاب الله تعالى لفهم فاهم أولوهم وأهملهم وأيضاً فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر النسخ في كثير من المواضع بل ان بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن النسخة كآية المدة في سورة البقرة مثلاً ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار إليها نزلت أولاً ولم يبالوا بأن ذلك يناقض ترتيب الآيات في سورها وان كان هذا الترتيب توقيفياً بالاجماع . اننا لا ندري لم كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم الى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخبطون في أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٤٣:٥٢) جعلناه نورا مهدي به من نشاء من عبادنا) . فاذا كان مذهب النسخ صحيحاً أفليس من الإبهام وعدم البيان أن يكون القرآن خالياً من التنبيه على ما نسخ وعلى ما لم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجائب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصاً قاطعاً صريحاً على أن الآية أو الآيات الفلانية نسخت بالآيات الفلانية!!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات؟ وأسم يتركون دعواهم النسخ في آية إذا تحققوا أن لا تعارض بينها وبين غيرها؟ غللاً للناس في هذه المسئلة غلواً حتى أنهم أرادوا أن يجعلوها فناً من الفنون التي تؤول فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أضرب (١) ما نسخ لفظه وحكمه معاً (٢) ما نسخ لفظه فقط (٣) ما نسخ حكمه فقط . ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر إليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

كل شيطان يريد أن يؤدي دعوى باطلة له لا يوافق عليها القرآن فيختلق ماشاء أن يختلق وي زعم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقة ليقبل المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الغلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في دعاويه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتواتر في مثل هذه المسائل حتى يجبرنا ذلك الى الطعن في التواتر نفسه . فالخطبة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند العقلاء أن لا يعتمدوا الا على ما تواتر وبرفضوا كل ما خالفه والا لفقدهم التمييز ولما أمكنهم التصديق بشيء مما الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق بأشياء كثيرة لم نحسبها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا لا نسخ الا في الامر والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جملها ليس الا أخبارا كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحب أن يكون له اثاني) الى آخره . ولو عتل هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث لو عرضت القرآن على ذي ذوق وهو أجنبي عن المسلمين لحكم أن قائلهما لا يمكن أن يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الا أبشروا أتم المفاجحون » على أنها لا تخلو من تكلف وتنافر بين الجملتين يدل على ان التأليف مصنوع لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات الأحادية لا يثبت بها قرآن ولا ينفي بها ولذلك لا يعتمد أحد بالروايات الدالة على أن الفاتحة والحمد لله رب العالمين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها فلا يمتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فبلغه للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابتها دون سواه فكتبه له كتبه الوحي وكتبه غيرهم لا أنفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الحصول عليه . ولم يمت عليه السلام الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير مكتوبة في

السطور وبعد أن سمعها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعها هو
 ايضاً منهم . ارتقت الأحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك
 ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وليّ عثمان الخلافة أمر بالاعتصار
 على لغة قريش خوفاً من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة
 الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك ، وبهذا السماع من الحفاظ وكان
 ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرت بها الصحابة
 رضوان الله عليهم وفيهم الحفاظون للقرآن في صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعاً
 على استعمال هذه المصاحف . هذا ومن عرف طباع العرب وشدهتها تحقق أنه
 لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولأثيرت حروب وأهقرت دماء ولقتل
 عثمان لهذا السبب ولو وجدت مصاحف مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل
 شيء من ذلك مطلقاً . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن
 النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئاً فشيئاً حتى وصلت الى
 الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقاً قديمها وحديثها
 شرقياً وغربياً الا ما كان خطأ مطبعياً أو سهو ناسخ . ويهيم على هذه المصاحف
 آلاف الألوف من الحفظة في جميع الاقطار وفي جميع الأزمنة . هذا هو تاريخ
 القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الآحادية يجب رفضه
 ولا يعبأ به . وهذا هو الكتاب الذي تؤمن به ومنتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ
 بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض في ذلك
 فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الاخرى حرمت قراءتها على العامة
 ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فاعتبت بها الاهواء ، وتعددت في شأنها الآراء ،
 لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب كغيره مما نبى على حكايات
 رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بجملة تكفي لضياعها
 أو الخلط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها
 فن تحقيق الأسانيد وتحريمها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لو كان الاسلام
 كذه الأديان لحق لأهله الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

الاسلام - والله الحمد - دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الأحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الأحاديث الدالة على صحة الاسلام كالأحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة للطعن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئاً . فما بالنا اليوم أخذنا نسب كل من فتح هذا الباب ونكفروه مع أنه لم ينكر أصلاً من أصول الدين . فليثق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواية أحاديث جميع الأديان والملل ؟ كم من حتى ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون ؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لأنه ليس معصوماً . فهاذا الجور يأمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك ؛ ولولا أنتم لما وجد سفيه قشا يضربنا به .

ولنرجع الى تسميم موضوعنا فنقول أماما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئاً ولذلك أذكرونا أشهر الآيات التي تمسكوا بها وأتمسكوا عليها واحدة فواحدة بما يشفي العليل ويروي الدليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي في سورة التوبة ٩: ٥ (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) فقالوا أنها نسخت جميع الآيات الامرة بالعفو والصبر والصفح ولو تأملوا قليلاً لوجدوا أن أكثر هذه الايات مشعرا بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فتول عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الايات التي تشعر بأن ترك المدافعة والمقاتلة كان مؤقتاً . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلاً قوله تعالى (فاصفح الصفيح الجميل . وقوله فاصدع بما توهم وأعرض عن المشركين) كل منهما مؤقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن دائماً فلما تحقق المسلمون بعد طول

الاختبار ان الصفح والاحسان لا يجدي مع العدو نفعا ولا يزيد الاطعيا
واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويفتصب أموالهم وأعراضهم
ويخرجهم من ديارهم ولا يرعي لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلا ولاذمة . لما تحققوا ذلك
وقبوا أمروا أن يردوه عن غيهم ويكسروا شوكتهم وينتقموا منه مع مراعاة
العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور
بهما في القرآن كثيرا ولكن لا في كل وقت ولا الى غير حد ويفضل ان على الأخذ
بالمثل الا اذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا تعارض بين
آيات القرآن في هذا الشأن فإن لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ
والمنسوخ هنا لاختلاف المالمين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسالمين كالسيوطي
وغيره . هذا ولما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء ، وجب علينا
أن تكون خطته خطننا فنحرب أولا اللين فان لم ينجع فالشدة . الا اذا خفنا أن يضع
اللين مركزنا ويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرا فقال
(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم - وقال - وياخذوا حذرهم وأسلحتهم ودا الذين كفروا
لو تعلمون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي
صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وتربص بهم
الفرص حتى يسلبهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم
(الثانية) مسألة القبلة - لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس
فيها نسخ للقرآن وإنما هي نسخ لحكم لا ندرى هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر
من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ١٠:٥٣
(فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليله المراج ولا ندرى جميع ما أوحاه الله اليه
في تلك الليلة سوى ما بلغنا اياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يوحى
اليه بشيء في منامه كرواياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٢٧:٤٨
(لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت
هذه الرويا وحيا اليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح
ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه . اذا ليس كل وحي قرآنا وإنما القرآن ما يمكن

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية، وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقاً

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥) يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين * « قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للأولى وفاتهم أن ذلك يوجب القول بأن الحكيمين الواردين في سياق واحد متناقضان ولا مخلص لهما من ذلك بدعوى أنهما نزلا في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوياء جدا حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا وانتصروا مرات عديدة ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواعجبا ما هذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن الله على قولهم لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن جرب ذلك ولما تحقق أ بطل هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه المسألة ركيك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعدم من الله لهم بنصر الواحد على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده عشرة أمثالهم فكأن واحداً منهم شق عليه ذلك فسأل : هل نمثل هذا الأمر الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم) وهذا أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم أمثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفاً) وهذا كالتعليل لعدم إيجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثليهم فقط موقفاً إلى أن يقووا . فكأنه قال يعدكم الله بالنصر على عدوكم الآن وإن كان مثلكم مرتين ويعدكم بالنصر في المستقبل ولو كان عدده عشرة أمثالكم وإنما قدم الوعد الأخير على الأول لأنه أتبع في الخوض على القتال فأتى به بعد قوله (حرض المؤمنين) وقدم لفظ

(الآن) للدلالة على القصر فكانه قال (الآن فقط) يتساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاسماتة في القتال .

(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ١٣

أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله وأطيعوا الله وخبر بما تعملون ١٤) والمعنى أن الله نديهم الى تقديم الصدقات للفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤهم ثم قال (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) أي ان من كان هذا شأنهم لا يؤخذهم على ترك هذا الأمر إذ لم يجدوا ما يتصدقون به أما من تركه بلا عذر فالله يلومه ويربضه ثم قال (أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استفهام بمعنى النهي كقوله (أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فان الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي ان تهاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه ان تركتموه فلا تتهاونوا في الواجبات كاقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله والرسول فان الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فان قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم تهاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حدة قوله في آية أخرى ٤ : ١٣ : (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (١٠٦:٢) مانسوخ من آية أو نسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن نسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى مانسوخ من آية نعيمها دليلا على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها وترك تأييد نبي آخر بها

أو نفسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك تأتي بخير منها في قوة الاقتناع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يمتد باية مخصوصة بمنعها جمع أنبيائه وهو رد على من يقترح معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) الى قوله (أم تريدون أم تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية (السادسة) قوله تعالى (١٠١:١٦) واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) والمعنى أنا اذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم المضمية قالوا انما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم ما يترتب عليه من المنافع (قل نزله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم ما نسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسلمين) بأنهم على الحق الثابت وأهم مقيمون شرائع الله وحسنه دينه للخلق جميعا . وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٢٤:٥ انا نزلنا التوراة - الى قوله - ولا تشتموا بأياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدل على صحة تفسيرنا ورود بعض الاحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقيل حيث قال ١١٤:١٦ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون *) الى أن قال (١٢٣) انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد : اننا اذا بدلنا آية في موضوع ما باية أخرى عند تكرار هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاجته للعرب وغيرهم توهموا أن

أن فيها تناقضاً وتضارباً وقالوا إنما أنت مفتر كذاب والالما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشئ عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي انكرت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في معانيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدى وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بإرشاداته المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة. فعلى هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمدعي النسخ حجة مآفي القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نص على ما نسخ وبين حكمته؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشري لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه أنه لم ينهض لهم شيء منها فيما هي شيء بعد ذلك يتمسكون؟ فيا قوم كفاكم كفاكم ما حلتكم هذا الدين المتين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادقين عنه، هذاكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مشارشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلهم على القرآن وقد أطلال اللغو فيها مؤلف كتاب الهداية طعننا في الإسلام والفرص الأولى للكتور محمد توفيق أفندي صديقي من هذه المقالة رد هذه الشبهات على أنه يعتد بصحة ما ذهب إليه مانعو النسخ في القرآن كأبي مسلم المفسر الشهير . وإن لنا كلاماً آخر في هذه المسألة سنشره في جزء آخر وأنه ليس لنا أن نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعني بفهم القرآن والاهتداء به وإن خالف جمهور الفقهاء والأصوليين في بعض المسائل التي لا يعد أحد من المتخالفين فيها كافراً ونعتقد اعتقاداً مؤيداً بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون إلا بهذه الطريقة لذلك تقبل منهم مباحثهم واستنتجهم مع الإغتياب والسرور، والله عاقبة الأمور

باب المقالات

تطور الأمر وانتقالها

من حال الى حال

ان للاجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلفها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قل توالد الخلايا وكثرت فيها الموت حتى يهلك الجسم فتتصل أجزاءه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي بعمل خلايا الجسم الجزئية تكوّن خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلا وإنتاجها بأن عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالخلايا والكبرى كالشجر والبقرة على الخليقة وما فيها من سنن النظام وقلما يحتاج شيء منها الى عناية مدبر مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعيته لا يستغني بالطبيعة عن تعاهد بعض افراده لبعض بالعناية والترية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى امراضا وهذه العوالم نفسها امراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان العلاج اذا صح يحول دون انها كه لقوة الحياة أوالذهاب بها مادام الجسم الحي مستعدا للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما تتوقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حي له مزاج يصح باعتداله الفطري ويمرض باعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضا له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والموارض التي تعرض لحياة أفرادها فتعرضهم أو تقتلهم هي أخفى مما يمرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

(المنار) الامراض الاجتماعية وأطباء الامم . أطوار الامة الاسلامية ١٢١

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاسقام كالشجر والحيوان الأعجم ان حياة الانسان الاجتماعية امراضا كما ان حياته الشخصية امراضا وان معالجة الامراض الاجتماعية أعسر، والتحقق بشروطها أندر، ففي كل جيل من الاجيال، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين، والصناع الماهرين، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال، ولا يمث طبيب اجتماعي في الأمة، يرفعها من الخسيف الى القمة،

ان حياة الامة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون، وهداة روحانيون، تكون دون حياة الخلايا في الدوح، وحياة النجم والشجر في الروض، لأن حياة النبات قلما يعوزها شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما أعدتها حكمة التكوين له من النظام والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كمالها فاذا فقد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر. وافراده حينئذ يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشمر بعملها الجزئي ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الامة فيتحرى فيه مصلحتها ويعرف اندماج مصلحته فيها

اذا تمهد هذا فاسمع ما ألقى عليك بشأن الامة الاسلامية في حياتها الاجتماعية .
إشارة الى بدايتها وعبارة عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثلا لانتقال الامم من طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الامة الاسلامية

كانت هذه الامة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أبنائها الى المملكة فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب، وخير حاكم في زمان السلم، يقيم العدل، ويعمر الأرض، ويؤم من الرعية، ويستبدل الحرية بالعبودية، فيرى أقل رعيته ولو من غير أهل دينه وجنسه أنه مساو له في الحقوق والحرية بحيث لو نال منه نيلًا فشكاه الى الخليفة الذي أنفذه لأقاده منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جبة

بن الأيهم ملك غسان لولا انه فر هاربا بهذا اتسع ملك الأمة وانبتت حياتها العالية في أم كثيرة فأحييتها وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلا بل لم يكن محل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم نر من قبل فان انكسرتا وهي أعدل دول أوروبا لانساوي بين آحاد أبنائها وبين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلاثل ملوكها وبين صماليك مستعمراتها ، وان الخلقاء الراشدين ما كانوا يميزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفقوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم يمكن بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للبرنس أوف ويلس ولي عهدنا في سياحته الاخيرة . فمثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستئلال الحكوميين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكمال المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الأمي أو شبه الأمي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بجيش صغير فأحياها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وأخى بين هذا القطر وبين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة المهندسخانه) فقد صار القطر الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن انه يفضل بها علماء سلفه كهرو وعمرو ينفذ الى قطر اسلامي كاليمين اليوم وكالسودان بالامس فيبني في الارض ، ويبني على العرّض والعرّض ، فيتزك الارض موطوبة ، والاموال مسلوقة ، والهداء مسفوكة ، والاعراض مهتوكة ، حتى أنت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستفانت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسمع رب العزة أنين

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣ فأوحى اليهم ربهم تهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عمّ الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الأمة بطابع القهر
والعبودية حتى لا أمر بمعروف ، ولا نهى عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على
رفع ضرر ، فنذهبت ربح الدولة وقوة الأمة واستعد الفريقان بهم لهم لنعمة الله
تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلص ظلّ الحاكمين الظالمين عن رؤوس
المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الأمة وبهذا كان الانتقام عاما
ولو كانت الأمة هي التي هبت لإزالة الظلم بأيديها وأخذ صولجان الحكم بيدها
لكان الانتقام خاصا بالظالمين ولبقي للأمة عزها ومجدها

دبّ الفساد الاجتماعي في جسم الأمة فلم تشعر به فتعالجه فكان أفرادها
يقدمون الشعور بما يحلّ بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة
أو الثمرة يعرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين
بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الافراد ببعض فيكون سببا لسريان
شعور المجموع بما يطرأ على الافراد وانفعال المزاج الكلي بذلك واندفاعه الى
دفع العرض الطارئ قبل سريانه واستشرائه فإن من طبيعة الجسم الحي أن
ينفعل مزاجه بما يمرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع المرض باعانة ذلك
العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر ووروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر
والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والأمة الحية
كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضرر أو يرهقه
ظلم حتى تدفعه عنه أو تمنع فتكون من المهالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في
جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطبيب فإن الفساد
يظلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهاق الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ حولوا
السلطة من الشورى الشرعية الى الأثرة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في
البنفسية ، فقالوا عبري وعجمي ، وفارسي وتركبي ، وفي اللغة ، فقالوا لغة رسمية ولغة

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحسني وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ، ومصري وحجازي ، وإذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضرره بشرا فاننا اذ كررنا كلمتين لرئيس ديني ورئيس دينوي نعرف بهما مبلغ تسمي جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع مصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقفه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني - وقد رأى فيه حجرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره - : ماذا فعل لنا هؤلاء ... حتى نعطيهم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أو ما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وإنما تلك أما كن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القائل ومن غير وطنه

هنالك إفساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الخيلولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جهل أمر المسلمين شورى بينهم لاني ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك مما يحفظ حياة الامم بل ينميا حتى تبلغ كمالها ولولا هذا الافساد لما تم لظالم ولا لمفسد ما أراد

سرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من ايدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور النزاع ولكن هذا المصير يمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراده بأن الامة في مرض ، ودورها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها النظام ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

بهؤلاء الافراد على قتلهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فبنم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضغط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على نار الفتنة اضطرت الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى . يأمن فيها على نفسه أن

تفتال ، ويجد فيها الحرية فكره ولو بعض المجال ، والانفوه الى بلد قفر ، أوجزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجهة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينة ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فندعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحولت السلطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بجسم الأمة اقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشعر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها - ونعني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة - فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تفوق ما بقي من رسوم الاسلام وتجدد في إيسال أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها للحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي تجدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا اعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامتهم ، ومشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضمنا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم اليأس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الامم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتفسيم رؤسائهم ايهم الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولا رجاء في وحدتهم ، وإنما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدم الظلم والاستبداد لان يكونوا عميدا لمن يحكمهم . واذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونعني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لاما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) فاذا كان من الغرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

تحت سلطة هولندا والمغربي تحت سلطة فرنسا مثلا فمن الجنون أن نرجو حياة الشعوب
 الصغانية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكاه ومجتهديه .
 ذلك بأن حكومات الأجانب على منها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين
 فيحبيهم بحرارته وهداياته لا سلطة لها الا بقوتها الحسية على الاجسام واما الحكم
 المسلمون فان لهم سلطين - القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح
 لان المسلمين توارثوا الاعتقاد بوجود الخفوع لهم على أنه من الدين وقليما يوجد
 فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم
 الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقا من الاسلام
 (٢٤: ٥) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء الكافرون على
 قلتهم الا يسمح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبث لا إقامة الشريعة على
 أساس الشورى فتبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .
 ويقول هؤلاء اليائسون أيضا ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد
 المسلمين يتر بصرون باقيا الدوائر وحكامها يهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل
 على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنحهم « الامتيازات » في بلادهم وهم يجتهدون
 دائما في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا وراهم قد اكتبوا
 حقا جديدا فيها أو قلصوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة
 الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية قبض أفراد منهم على قواها المالية
 والعسكرية والعلمية والأديبة وذلوا الأمة لسلطانهم فهم يسخروننا لخدمتهم
 بقوتنا ، حتى لا يدعون لنا سبيلا الى استعاطا في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم
 العليا فينأت سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وربحهم يكون أكثر وأسهل في البلاد
 التي يبقون فيها لنا اسم السطة ويرضون بمعناها لا أنفسهم فهم يستعبدوننا بواسطة
 استمبادهم لحكامنا الذين أنسنا بالعبودية لهم . فإين موضع الرجاء لهذه الشعوب
 اجهالة المتفرقة المستعبدة مع هذه الامم العالة المستقلة المتحدة ؟
 هذا يجعل احتجاج اليائسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر فرأهم ان
 طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالاً أبدياً كما زال استقلال بني إسرائيل الا ان يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء - ونحن منهم - فانهم يعرفون ما يحتاج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسدب ان شاء الله - وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح ما يجوز نشره منه، واننا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

ان المسلمين - وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات - يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون الى ما يحبيهم ويجمعهم أمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى اذا ما انتشرت الدعوة الى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو اتفقت الاقتران في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعوناً له وظهيراً على بعد الدار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لما تعلم ما يكون قبله

الدعوة الى القرآن تستتبع الدعوة به الى جميع العلوم السكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس بعرفان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بأثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فاذا وفق الدعوة لا قناعهم بهذا وحملوهم عليه فقل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لا موت بعدها . نعم ان هذا الاجمال لا يقنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا محل له هنا على أن شبرح ذلك انما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس بينما في مقالة الحياة المليية من المجلد الثامن شيئاً من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج اليها وكيفية تمهيد المقبات التي

نفترض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النخلة من مرض نخشى عاقبته، ولا تؤمن نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجماع وطرق معالجتها والا سبقتهم الأجانب لتحويل الأمة في هذا الطور الى حياة مندبذبة ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسرد المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينتشون في ألواحها المستعمدة ساير يدون على علم منهم بنايته وأثره . وما نشاهد من أثره أن أكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما أكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مغرورون بأنفسهم يحسبون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشر يعتها يجهلون تاريخها الذي لم يفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشي حقيقي منه الا بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بنبر صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اساتذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدنية المسامين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الأرض أثر يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها، ومالي لأذكرهم بتعصب أساتذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين، لجمعيات الرهبان والقسيسين ،

كلا ان القصد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالعامة

في جهلهم بعاقبة علمهم وعملهم في الأمة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يعاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجهه معلمه ومسريه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الأمة والملة لا يرجي ان يهتم بجمل حياته الشخصية وكنا من أركان حياة أمتة الملية بنذل شيء من وقته وشيء من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

إذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والذهنية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفاق أو بترك معظم نشأة الأمة فوضى والهدف بمن يراد تعليمهم من الذكران والاناث الى الاجانب حتى الجزويت والفريير ينقشون ألواح نفوسهم بما يشاءون ؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم العصرية والتي يظن أن سيكون عليها أوعلى ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حججاً لليائسين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصاً من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسايرين. يرى البصير في مصر والهند نابذة على شيء من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابذة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عمله في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لاجل الحياة، ويرى في الاستانة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابذة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة، وحركة يرجي ان تكون مفيدة، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية، تغوزها نفحة من نفحات الحرية، وليس استقلال الفكر هو كل ما استفادت نابذتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهذا الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضعيفة ولا يعوز الأمة الآن الا اطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأردية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدررون على تحويلها الى حيث تكون محيية لأرض الأمة

مارأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملاً ينبيء بمراقبته

١٣٠ عمل اللورد كرومر عصر الحاجة الى الزعماء والمصلحين. رأي عالم في المنار (المنار)

للتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وخاشامن فقدنا بالامس) الاما يكتبه اللورد كرومر في تقاريره السنوية ، وما يدبره أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى ويسيرها كما يرى ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها استمدت اليها يد لا تعرف للتقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر في مغيبته، هو الذي فهم ما يرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون نحن لنا بمرشدين ينظرون في أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجعون لسيرنا بتنا خير النجدين ؟ هذا ما نحن في أشد الحاجة اليه لاصلاح شوؤنا في هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استمداد الامة وتغييرها الى ما فيه خيرها وسنفردهم مقالا خاصا بهم

فَتَاوَى الْمُنَارِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشرط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمقاً من متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا نهدأ، ولئن بقي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا نقاله

﴿ أسئلة من سنفا فوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(س ٦-٩) من خ ٠ م ٠ س في سنفا فوره

تشرفت بقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فانجرت بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه فجزى ذكر المنار المنير فأثنى عليه بما هو أهله ثم شافني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى ومعجبه للحقائق واني أرفع اليك هذا لترفعه الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملاً منه ان يبسط لنا في الجواب على ما سألناه وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق وهذا ما قاله ذلك الحكيم -

ضرب الجهل أطناب خيانه في بعض البلاد الاسلامية التي كان لسلفها التمدح الممل في

العلوم والمعارف والاعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجد) بل لا يبعد ان قلنا ان من فيها من الخلف ضد لسلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد اتكالا على مجد من سلف حتى اذا ما عرا حادث اتكلوا في دفعه على سكان الاضرحة فتراهم يعتقدون في صالحى أمواتهم أهمهم مطلعون على أي حادث عرا وأنهم ان شاؤا دفعه عنهم دفعوه وان رأوا في ابقائه صالحا أبقوه وتراهم يقدمون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديمها ويرون في مطلق الاقامة بها شرقا وفضلا وان كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان؟ وهل فيما يعتقدونه شيء ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما اذا ورد عن سلفهم شيء ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون حكمه؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئا من كلامهم في نحو ما ذكر اعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض اعداد المنار السالفة ما جاء والأمل في حضرة الامتاز الرشيد المرشد ان لا يخيّلنا على ما سبق ويبسط لنا في جوابه على ما ذكرناه فضلا وليكن في معلومكم سيدي ان هذا الداء قد أزم من في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج الى معالجته بدواء فيه قوة لا اتصاله - فاعلم ان يكون دعاء المنار الى الحق بالحق مقبولا عندنا وانك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا -

(المنار) ترجع هذه الاسئلة الى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي الناس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) ما يرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي ان له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وان كثيرا من قراء المنار قد سئوا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى الى قضاء الحاجات ولكن فئمة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم اليه يوجب علينا مع تجديد السؤال عنها ان نبين الحق فيها فنقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان يكفي في بيان

بدعتهم في ذلك أن تقول إن ما تأتونه لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصعابة والتابعين وهو أمر ديني محض لا مجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٤٢: ٢١) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله الآية . فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أو طلب منه حاجة أو صلى عند قبره أو تمسح به أو قصده للدعاء أو قال إن الدعاء عنده أرجى للجابة طالبناه بالنقل ولن يجده . وإنما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصالح كانوا يتحركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصر والحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هنا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد واما القياس فانه لا يأتي في الأمور التعبدية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان - غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تقضى وتقضى الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نبا عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٧٢: ٢٦) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) الآيات وفيها ان الرسول يطلعه الله تعالى على ما يريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

واما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضى حاجة من يدعوهم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبار الأئمة المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٧: ٣٢) قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون

على أن هذه المسألة - مسألة التماس دفع الضرر أو جلب النفع من غير الله استقلالاً أو بالوساطة والشفاعة - لم تكن لتترك فلا يبين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الأمم ولذلك فتن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أو خلطائهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها، وإنما خالفوا في مظهرها وصورتها، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعاءهم. أفرايت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة ويدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركن وهو التوحيد؟

قال تعالى (١٨:١٠) ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاونا عند الله، قل اتبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعة عنده فهي لا تخل بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذ لا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقرين عندهم . وقد نفي سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٤:٤٨) ولا يقبل منها شفاعة - ١٧٣ ولا تنفعها شفاعة - ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة) وقال في سورة الانعام (٥١:٦) وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لهم يتقون * - ٧ وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وذكروا به ان نُبَسِّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ (الآية ومضى تبسل تسلماً الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد. والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء تجد الكلام في معناها مفصلاً

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلت في آيتي الانعام أنفاً ومثلها آية ألم السجدة (٤:٣٢) ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

وقال تعالى في سورة الزمر (٣: ٣٩) والذين آمنوا من دونه أولياء ما عبدتم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه مختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار *) فدل الآيات الثانية على أن من جملة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يتقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يتقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يتقرب اليه تعالى بالعمل الصالح واخلاص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل ما يعتقد المتدعون في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل بأشخاصهم يقرب من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويتقرب بهم . ولذلك قال تعالى في سورة الإسراء (١٧: ٥٦) قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا *) أي ان أولئك الاولياء الذين يدعوهم لكشف الضر عنهم أو تحويله توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشريته ويخافون عذابه اذا قصر وا ، حتى ان أقربهم من مرضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومحذوف في نفسه لأن الله فيه سذنا لا تبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تمقاب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء . ولذلك قال (١٧: ٥) قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير *) فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأوليائه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضلهم اذ جعلهم محلا لطاعته وإرشاد عباده . فلا تغلوفي تنظيمهم حتى ننسى كونهم عبيدا له ان شاء أن يهلكهم فعل لثلا نطلب منهم نفعا أو ضرا . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٢٧: ٢٥) انما يخشى الله من عباده العلماء) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فرخص فيه فتارة عنه قوم قبله ذلك فخطب محمد الله واثني عليه ثم قال « ما بال أقوام يتزهون من الشيء أصنعوه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم إن ما يطلب من أصحاب القبور وغيرهم يعبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابقة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (١٣: ٣٥) والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطير * ١٤ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير *) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في نهى المؤمنين أن يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (١٨: ٨٢) وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً *)

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد نعتوا برجال من صالحهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون ويضرون وكانت هذه الفتنة قد سرت إلى أهل الكتاب فأتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وصاروا يننون عليهم الكنائس أو ينسبونها إليهم ويتوسلون بهم إلى الله تعالى ويعتقدون أن الله يقضي حاجاتهم بجاههم أو أنه أعطاهم قوة قضائها بأنفسهم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الإسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالأموات وتذكير الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولمن فاعله ومن ذكركم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر زيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع أن الصحيح في الأصول عند الجمهور أن الأمر بالشيء بعد النهي عنه إنما يدل على إباحته لا وجوبه أو نديه وهب أن الأمر بالزيارة بعد حظرها للندب أو الاستحباب أليس قد عللت بعله تذكراً للآخرة فإذا فعلت لعلة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحذور الذي لم يأذن به الله ؟ ومن عجائب نلعب الأهواء بالمبتدعين أن كل ما ررد من التشديد في بناء

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع السرج عندها واتخاذها مواسم واعيادا لم يقصد به الا سد باب الاعتقاد بأن صالح الموتى ينفعون الأحياء ويضرهم كما ان المهني عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعر بالتعظيم لم يقصد به الا المنع من تصوير من يعظمون تعظيما دينيا كما هو شأن الوثنيين ومن تبعهم من أهل الكتاب الأحران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للعوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجدا ليس فيه قبر مبني مشرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وان لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . وانما نختم هذا الجواب بشي ، ما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد : يخبر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنصاري . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فالسبب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منعهم من تعظيمه أو التماس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (٧: ١٨٨) قل لأأمرك لنفسي نفعاً ولاضراً الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم انه قال قبل ان يموت بخمس « ان من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أتألم من ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيصة بأرض الحبشة وذكر من حسنها وتصوير فيها فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مسند أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان من شرار الناس من تدرأهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد . وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) انه قال « لا تتخذوا قبوري عيداً » وفي موطأ مالك عنه (ص) انه قال « اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر لا تعظيمه وطلب الجوائز ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

(المنار ٢: ٩) كيفية عبادة القبر . شجرة المباينة . قبر دانيال . خصوصية الانبياء ١٣٧

كما يطاف بالكعبة والتمسح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله . فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده أبو صالح باذام تكلم فيه ويعضده ما تقدم .

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة . ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير مصورة الاخلاص وغيره انه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في سفر فرأى قوماً ينتابون مكاناً للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد ، من أدركته الصلاة فليصل والافليض : وبلغه ان قوماً يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحمها فأمر بقطعها . وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بثستر قبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ما سيكون وأنهم اذا أجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً يدفنه بالليل في واحد منها لتلا يعرفه الناس لتلا يفتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخاذ القبور مساجد ما حرمه الله ورسوله وان لم يكن عليها مسجداً ولكن بناء المساجد عليها أعظم . وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك انما يظهر اذا ظهرت صورته . واستدل على هذا الأخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبشت وسويت وما ذكره في هدم المسجد النبوي على قبر نقل نحوه ابن حجر في الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجملة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرر أو جلب نفع لاعلى أنه مستقل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عبادة الخلق والتقدير وإنما حصر الوساطة بينه وبين عبادة بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسوله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرون على نفع أحد ولا ضره بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكته أن كان بعض آبائهم وأبنائهم وأقاربهم كفارا ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الأمر شيء لهدوا جميع أقاربهم وأنقذوهم من عذاب الدنيا والآخرة. أفبعد هذا كله يكون لمدعي الاسلام وجهما للدموى أن الاموات الصالحين يملكون كشف الضر أو تحويله عن الناس وجلب المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله ان تهودوا مثله أبدا ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * » (١)

﴿ أقوال العلماء بغير دليل ﴾

(ج ٧) لاحجة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم يؤيد بدليل للحديث المنفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أي مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السمرقندي حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة انه قال « لا يحل لأحد أن ينفي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروي عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « ما لم يعرف دليلنا » ومن نقل عنهم ذلك الشعراني وولي الله الدهلوي . وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لكتاب الله . فقيل اذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال اتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقيل اذا كانت قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده الى معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضا . ومن المشهور عن مالك انه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

(١) لا نأتمم بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لبيان معناها

في الاصل ولا للاحتجاج بها كهذه الآيات

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: ويشير الى الروضة الشريفة
وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهذا يدل على أنه
ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال » وله
أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص المصريح فيما نحن فيه وأتباعه
من أكثر الناس أقوالاً في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك أكثر المجتهدون ممن
ثقتهم في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود
عن الأوزاعي ومالك أيهما أتبع : فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ما جاء عن
النبي وأصحابه فخذ به : وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا
الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء
الأئمة المهتدون هو ما أجمع عليه السلف ولكن الغلو في تعظيم الانسان لشيوخه
وشيوخهم وثقتهم بهم من أسباب ترك الدليل الى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم
في أقوالهم وأفعالهم وكم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه
فقالوا ما كان مثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل الا ما يعلم انه حق . وهذا
قول مردود بلا نزاع فالصالح غير معصوم فقد يخطئ جهلاً وقد يخطئ سهواً وعمداً

﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج ١٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه انه اتبع الحق واهتدى
بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والأئمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) ان ما يعتقدوه عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن
معروفاً في صدر الاسلام بالمرّة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالأولياء . والولي
في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء في القرآن ان لله أولياء وللشيطان أولياء
وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي
الله من ينصر دينه ويقيم سنته وشرعيته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكتب الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سألت عنها فكتب لنا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التي كان أرسلها لنا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابته هذه «لأهمية الموضوع» واننا لا نرى الموضوع بالعين التي رأها به وإنما يصح ان يمتنى به هذا الاعثناء اذا ثبت منه دارون بطريق القطع الذي لا يحتمل الشك والارتياب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ما تقدمت الإشارة إليه أو بغيره فان لم نقدر ان نتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش لله) . أما الآن فاننا نعتقد في المسألة ما يدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ما ذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعارضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذ عقيدة له لهذا نرى أن لا حاجة الى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالمسلم لا يترك الظاهر ويلجأ الى التأويل الا اذا عرضت له الشبهة أو وردت عليه وما كان لنا ان نجتهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشبهة أو رد شبهة معترض فليتدبر . هذا وإن أسئلته قد جعلت في القامع من الورق بعد ذلك الجواب المجمل وقد أردنا مراجعتها عند كتابة هذه الكلمات فلم نظفر بها

﴿تممة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع﴾

(تنبية) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك أنه يندر ان يوجد في مصر من يتحامي السماع ولكن الجهد في كثير من البلاد على تقليد المهستيرين لا يابن الا بأكثر من هذا والنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يري القاري المنصف ان مقاله الشوكاكي (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفة التحقيق الآن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ما ثبت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكابر أصحابه يدفعه فانهم أهد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بزمارة الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

أحاديث الإباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أو نديه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الأوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالمسرح والعيد و قدوم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الأوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الإسراف فيه فإن الإسراف ضارٌّ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام ان الغناء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفهه ترد شهادته وقوله ان صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفهه ترد شهادته : وقد يقال انه يقرب أن يكون ديوثا لأنه اذا لم ينهر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فرما كان لا يفار عليها مطلقا

وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن وافقه بمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الأحياء « ولهذه اللة نقول لواجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السككنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساقى ويشربون ويحجي بعضهم بعضا بكلامهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قرعا على الرأس في بلاد صغار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتیاد أهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار المراقى والاونار كلها كالعود والصنج والر باب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخر ولا يذكريها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأونار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضا . وبهذا تبين أنه ليست الضلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطبيات كلها الامافي تحليله فساد قال الله تعالى (٣٢:٧) قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وانما تحرم بما رخص

(المنار: ٢: ٩) بعض العوارض المحرمة للسمع . حديث اذا فعلت أمي ٥ اخصلة ١٤٣

آخر « اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض
فهذا القول هو أحسن ما قيل في القياس كما أن القول السابق هو أحسن ما قيل
في السنة وأجمعه . وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة إنما حرم لما فيه من
مهانة المؤمن وضعته فاذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه منسبها بأهل
السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول
بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين
والغزالي في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحت في أخرى لعلته التشبه
وعندما وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها
فتبين بهذا انه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المعازف على الإطلاق
كما انه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم . ومن العوارض التي لا بد من
التنبه إليها كون السماع يهيج السامع فيدفعه الى المعاصي فمن علم من نفسه ذلك
حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لمُتبعيه بين سعادة الدنيا
والآخرة والله أعلم وأحكم

﴿ الكلام على عبارات الاسئلة ﴾

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب
الخ فيقال فيه ان ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع الغناء والمعازف الحل
كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعلته التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال
في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة
بالسمع تدعو الى الفساد فهو محل نظر اذ السماع كما قال بعض العلماء إنما يحرك الساكن
ويستخرج الكامن فمن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع
تأثيراً في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطال
الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الأشخاص وان ذلك لا يمنع ان
الأصل فيه وفي جميع اللذات الإباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب
النصائح وهو « اذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها
اتخاذ القينات والمعازف وفسرها باللاهية من الأوتار والمزامير لم تذكر في أحاديث

المطر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرخ بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعا « إذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يا رسول الله قال « إذا كان المنعم دولا والأمانة مغنا والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القيان والممازف ولمن آخر هذه الأمة أولها فأرتقبوا عند ذلك ريحا حراء وخسفا أو مسخا » والفرخ بن فضالة قد تكلم فيه سئل الدارقطني عنه فقال ضعيف فقيل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « إذا فعلت أمي خمس عشرة خصلة » الخ فقال هذا باطل : فقيل من جهة الفرخ قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : إذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير : وقال أبو حاتم لا يحمل الاحتجاج به وقال مسلم أنه منكر الحديث : ثم إن الحديث لا يدل على تحريم سماع الأوتار لأن الخصال التي ذكرت فيه منها ما هو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وإن لم يصح الحديث لأنهم من السرف في الترف وفساد الأخلاق وإضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر الهيثمي من الظن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلو في التعصب لا قول علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وإنما يعرف قدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر المستقلاني امام الحديثين في زمنه وبعد زمنه . وقد ذكره ترجمة طويلة في طبقات الحافظ قال فيها : وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافعيًا ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس وتمسك بالعموم والبراءة الاصلية وكانت صاحب فنون فيه دين وتورع وتزهد وتحرر للصدق - ثم قال - وقال صاعد بن

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حفظه من البلاغة والشعر ومعرفة بالسنن والآثار . أخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليقه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متقناً في علوم حجة عاملاً بعلمه ماراً بما مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الأدب والشعر نفس واسع وباع طويل ماراً بما من يقول الشعر على البديهة أسرع منه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الإسلام العزبن عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال ماراً بما من كتب الإسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إباحي) التي قالها فيه ابن حجر الهيثمي الفقيه مع ألفاظ أخرى تعد من السباب لم يقل بثلاثها أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فخط عليه وقال كان صوفياً ملامتياً سكن الري ثم همدان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير يا هذا . ثم قال ذكر عنه الإباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وإنما كان يرى اباحة السماع لا الإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بهد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الهيثمي من انه مجازف اباحي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم هولاء الائمة الذين يسبهم ابن حجر الهيثمي المتعصب لتقليده العفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي اباحته العود فاذا لم نصح عنه فقد صحت عنهم هم أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بهد نقل تحريجه عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة الى جوازه وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمر

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد ونقله الاستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عبيد وأكبر فقهاء المدينة . وحكاة الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقد منا ذلك عن إبراهيم وابنه سعد وحكاة الاستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاة الفوراني في كتابه الفمد . وحكي الرياني عن القفال أنه حكي عن مالك أنه كان يبيح الغناء على المعازف وحكاة الماوردي في الحارثي عن بعض الشافعية ومال إليه الاستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي أنه كان مذهبه وأنه كان مشهورا عنه وأنه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاة عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاة ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أر من تعرض لكرهاته ولا لغيرها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره اللعب بالبرد والخبر أكثر ما أكره اللعب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه المود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جهل الرد مكروها غير محرم ، وما حكاة المازري في شرح التلخيص عن ابن عبد الحكم أنه قال إنه مكروه ، ونقل عن العزيز بن عبد السلام أنه سئل عنه فقال أنه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني النزالي في الإحياء) اه كلام الزبيدي ومنه وما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات مالا يحتاج بنفي ابن حجر الهيتمي وهو ليس من الحفاظ ولم يطعن في أساسيهما لينظر في طمعه . وسقط بهذه القول ما جاء في الاسئلة من ذكر الاتفاق على تحريم المود ونحوه وتفسيق من يسمعه واما سؤالي عن جواز نسبة ذلك الى العلويين الاتقياء فجوابه ان النقل لا يكون بالرأي فان نقل ذلك ثقة صدقناه وحملنا سماعهم على اعتقادهم المل كما نقل ذلك ممن هم خير منهم وان كان غير ثقة لم نصدقه واما سؤالي عن بعض علماء الرسوم هل يقتدي بهم اذا سمعوا المود فنقول

انهم لا يقتدى بفعلهم في شيء مطلقا وإنما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكروا في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الطعن في دينه لسماعه المود من غير ان يشبه بأهل الفسق والفجور فيما هو من شؤون فسقهم بحيث يظن انه منهم فمن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهائها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الضاء أو آلات اللهو
يحتج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجواني والدفوف بالانكير (٣) إن الاصل في الاشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضار في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو العرض فهو من المحرم ولا محرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان السماع يفره بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان توتي رخصه كما يحب ان توتي عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

أَنَّ عَمَلَهُ بِرَبِّهِ

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص ١٠٤) أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكاه من نحر وجيد (سنن الفريد وجه المقد) يقال امض على سنك أي على وجهك وتنع عن سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وإنما قصد الى تشبيه قطرات الدموع بمحبات المقد الفريد التي عبر عنها بالسنن وهي جمع سنة كحبر جمع حبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدلمكة ملساء فيحسن تشبيه حيات

العقب بها واطلاق اسمها عليها . ولا يضر التشبيه حيث رأتحة السنن لانه لا يلاحظ فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته (ص ١٠٤) رأنا مشعري أرق وحزن وبقيته لدى الركب المهجود (المهجود من هجد اذا أناخ) هجد نام والركب المهجود النائم وهو ما أرادته الشاعر فهو يقول ان الطيف يحاكي زيارته لكونه حليف ارق وحزن والطيف انما يأوي الى الركب النائم . وقد ينيخ الركب ولا ينام (ص ١٠٤) اخو الحرب العوان اذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود (العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص ١٤٣ كما فسرها به هنا .

(ص ١٠٥) بنصر ابن منصور بن بسام أنفري لنا شظف الايام في عيشة رغد (انفري انصلح) انفري هنا بمعنى انكشف وثقلص واضمحل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر * به انكشف عنا الضيابة الخ (ص ١٣٨) فعلوت هامته فطار فراشها بشهاب موت في اليدين مجرد (الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح ان الفراش مفرد على وزان كتاب وان معناه ما ذكره وليس كذلك فان شاعرنا أراد بقوله ما يريد أهله اللغة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ التحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد . (ص ١٣٩) نفسوك فالتسوا مداك فحاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد (بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى ان من أراد بلوغ المنزلة التي بلغها الممدوح كان كمن يحاول الرقي في جبل يزلق سطحه بالمصعد فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة . فالمصعد اسم فاعل من أصعد اذا استقبل أرضا أرفع من الاخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفراء بالمتزل » أي كما يزل النازل على الصخرة المساء (ص ١٤٥) حتى التوى من تقع قسطها على حيطان قسطنطينة اعصار (التقع رفع الصوت) القسطل ليس له صوت مرتفع وإنما المراد بالتقع هنا

الغبار وتكون اضافة النعم الى القسطل الذي معناه الغبار ايضا من قبيل الاضافة اليبانية
(ص ١٤٨) واذا القسي العوج طارت نبلها سوم الجراد يشيح حين يطار
(السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء سو ما حامت وهو
مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتشارها حومان
ورجل الجراد الذي هيج فجده في الطيران . وجواب الشطر البيت بعده
(١٥١) لولا احاديث ابقتها اوائلنا من السدي والندي لم يعرف السر
(السدي ندى الليل) كما يطلق كل من السدي والندي على ما يستط في
الليل يطلق ايضا على المعروف والجود ومنه اسدي اليه احسن اليه والمراد منهما
هنا المنيان الاخيران قطعاً ولا يمكن ان يراد بالسدي ندى الليل .
(ص ١٥٨) مصفرة محمرة فكانها عصب تيمن في الوغى وتمصر
(العصب صبغ يصبغ في اليمن) العصب ضرب من برود اليمن ذو وشي
ونتموش وقد اراد الشاعر ان الربيع افرغ على الارض من ازاهيره حللا ملونة
تحاكي تلك البرود اليمانية المسماة بالعصب لانها تحاكي الصبغ نفسه
(ص ١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى حتى تخير رشده التحير
(اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر او الهدى مثلا
اجتمع وانتظم واستوى . واتساق القمر اكماله واستواؤه . وقولهم وسق البعير أي
ساقه لا يقتضي جواز مجيء اتسق بمعنى سار مطاوعا له .
(ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المجفوت ترب والندي حلس
(الحلس الكبير من الناس) : نعم هو من جملة معانيه لكن أريد به هنا معنى آخر
أصل الحلس مسح يبسط في البيت وتجلل به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم امتعير
من يلازم الشيء ويهود نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له
وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الآفنين لركوبها وفلان ليس من أحلاسها
فاستعمل استعمال حلف وترب في مثل قولهم زيد حلف فقرو وعمرو ترب ادب .
وقربها بترب يرثد كون المراد بها ما ذكرناه .
(ص ١٦٩) قالت وعي النساء كالحرس وقد يصيبن النصوص في الحلس

(الفصوص احداق الصيون) نعم لكن ليس المراد بها هنا هذا المعنى :
 اصل الفص حجر الخاتم وتجاوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فصحه أي أصله
 وحقيقته ومخرجه الذي خرج منه وقالوا أيضاً فلان خزاز الفصوص اذا كان مصيباً
 في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذي قصد اليه الشاعر يقول ان النساء على
 عيبن قد يقمن على الصواب ويصبن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قاله
 المرأة . فالفصوص في البيت بالنصب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور في بطاح هذه في الصباح روض أريض
 (البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق
 الحصى كالأبطح والبطيحة . والبطاح غير الصحارى فان الصحراء الارض
 المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانبثاق فيها

(ص ١٨٣) لا تكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجمون رضيع
 (يعجمون يعصرون) العجم ان تعض العود بسنك لتعرف صلابته ثم قالوا
 عجمت عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لا تحيك فيه
 المواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضده فلان عوده رضيع فالعجم في
 البيت متجاوز فيه عن الامتحان والاختبار .

(ص ٢١٤) يثوب الى شمائل منه ميث قليلات الاماعز والبراق
 (الاماعز الغزلان والبراق الحملان من الضأن) فاعل يثوب يرجع الى السلام
 الذي أرسله الشاعر الى المدوح يعنى أن سلامه يرجع الى شمائل ومدوحه التي
 وصفها بقوله ميث أي لينة واصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء وارض
 ميث . ولما وصف الشاعر شمائل ومدوحه بصفة الارض الحسنة ناسب ان ينفي عنها
 صفة الارض الرديئة فقال قليلات الاماعز والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة
 الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض الغليظة ذات الحجارة والطين والرمل
 ومعنى القلة هنا العدم كما لا يخفى فهو يقول ان شمائل المدوح وطباعه لينة وليست
 بخشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) وتخط بزته فزيت خلة في درج ثوب الالبس المتوق

(الخلة الشق) الخلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه
 ويبالغ في تزئيناها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك المدوح
 (ص ٢٢٨) ضحك اذا خرس أبطاله نطقت فيه الصوارم والخطية الذبل
 (الذبل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضهور كقولهم ذبل الفرس
 ضمير وهزل بل ربما كان من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى
 ولان وتذبل في مشيه فقهر فيه ثم أجروا المادة على الرماح تجوزاً فقالوا قنا ذابل أي
 دقيق لاصق بالليط والليط جمع ليطقة القشرة التي تكون على القصب وربما كان
 اللين مراداً أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الرمح اذا لم يكن ليناً لدنا تقصف
 ولم يصلح للطنن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من
 ذبول الرماح . واذا أريد وصف الرماح بالصلاية قيل كما قال الحماسي
 ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملاها كذلك أزور
 فقوله صدقة أي صلبة مستوية لا خائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الادبيات ﴾

قال شارح الاحياء عند نقل الفزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين : وحسبك
 منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد اويس وأحد
 الفقهاء السبعة وقد سمع الفناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده ان
 سعيداً مر ببعض أزقة مكة فسمع الأخصر يفتي في دار العاص بن وائل وهو يقول
 تضرع مسكابطن نعمان اذ مشت به زينب في نسوة خفرات
 فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلد استماعه ثم قال سعيد
 وليست كأخرى أو سمت جيب درعها وأبدت بنان الكف في الجرات
 وعلت بنان المسك وصفا مرجلا على مثل بدر لاح في ظلمات
 وفاضت تراءى يوم جمع فأقنت برويتها من راح من عرفات
 وأثبت الخافض ابن عبد البر أن هذه الايات لسعيد لا للنيربي . أقول وقابل
 ما عاب سعيد من توسيع جيوب النساء وابداء بنائهن بحال نساتنا اليوم . يوم

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن المحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتقنى بهذه الابيات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الثرى
بأطيب من أردان عزة موهنا
من الخفرات البيض لم تلق شقرة
فان برزت كانت لهيفك قره
يمحج المندى جشجاثها وعراها (١)
وقد أوقدت بالمدل الرطب نارها (٢)
وبالحسب المكنون صاف نجارها
وان عبت عنها لم يفمك عارها
فقيل له أصلحك الله أتقني بهذه الابيات في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن
بها ركبان نجد. قال الراوي فوالله ما أكثر بي وعاد يتقنى بهذه الابيات

فما ظبية أدماء حفاقة الحشا
بأحسن منها اذ تقول تدالا
تتمع بهذا اليوم التصير فانه
تجوب بظلفها بطون الخائل (٣)
وأدمها تدبرين حشو المكاحل
رهيمن بأيام الشهور الأ طول
قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله أتحدثني في هذا بشيء؟ فقال نعم
حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب
بغنيه بهذا الشعر:

مغيرية كالبدر مسنة وجهها
لها حسب ذاك وعرض مهذب
من الخفرات البيض لم تلق ربية
مطهرة الاثواب والعرض وافر
وعن كل مكروه من الامر زاجر
ولم يستملها عن نقي الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال:

ألمت بنا والليل داج كأنه
فقلت أعطار ثوى في رحالنا
جناح غراب عنه قد نفص القطرا
وما حتمت ليلى سوى ربحها عطرا

فقلت سالم أما والله لولا أن تداوله الرواة لأجزلت جائزتك فلك من هذا الامر مكان اه

- (١) الجشجاث نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو الرجس البري
(٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر او ما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفاقة
لحشا لينته والحفاف اللحم اللين تحت الابهة

﴿ رسالتان في قراءة الفونوغراف والسكورتاه ﴾

اطلعنا على هاتين الرسالتين اللتين كتبهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد بن محمد الأزهرى المشهور بمصر وقال انه استنبطهما استنباطاً وقد رأينا فيهما الغريب من العلم في الكلام والطبيعة وتقوم البلدان والحديث والفقه . ذكر في الكلام من أمشاج المسائل ما لا يحل ذكره هنا ووصف الفونوغراف وصف من لم يره ولم يعرف شيئاً من علم مخترعه . وقال في أول الرسالة الثانية مانصه : « وقد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالرومي الشرقي بولاية سلانيك يتضمن السؤال عما يأتي ويطلب الإجابة عنه فأجبناه لطلبه وقلت وبالله التوفيق » اهـ وباليت الاستاذ أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل الطبع لعله ينبهه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا - في الرومي الشرقية من ولايات أوربا التي دخلت في إمارة بلغاريا - في ولاية سلانيك من مقدونيا - استنباط يرده كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من المحال ويتهم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط حيلة تدل على انه مشهور في البلاد بالعالم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم الإمامة بالجغرافيا التي ما برح يندمها وينفر عنها حتى انتعمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقه في الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافراً أي يجوز أن يكون خليفة المسلمين الذي يقلد القضاء ويأذن بصلاة الجمعة كافراً واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه « ألا لا يؤمن امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمن امرأة رجلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه » والحديث منكر أو موضوع فان في اسناده عبد الله بن محمد التميمي قال البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبد الملك بن

حبيب في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر أنه أفسد أسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدهان وهو ضعيف . وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سنده لا يصح من جهة معناه فإنه وارد في امامة الصلاة لا في الامامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فإن المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنعامه ليسا مظنة لتقلد الامامة الكبرى فينبغي عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالحجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن . وقد سرنا ان الشيخ سمي رأيه استنباطا وقال في أول الرسالة الثانية:

«الحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الاحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائما مستمرا باستمرار الأهلّة ،»

فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافا لما في كتب مذهبه من القول باقتال بابه، وانقراض أربابه . وظاهر انه لا يعني الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ اذ لم يبذل شيئا من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت انه منكر أو موضوع وانه لا يدل على ما قال فخصي ان يروى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ورماعدنا الى انتقاد الرسالتين

(مجلة جمعية الملاجي العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس ان انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى انحدرت بجمعية الملاجي العباسية ففي فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومسائلها المفيدة بعد ان كان أكثر ما ينشر فيها منقولاً من الكتب والجزائز وجمعات هدية للمشاركين في جمعية الملاجي العباسية . وأما قيمة الاشتراك السنوي لغيرهم فثلاثون قرشا في مصر و ١٠ فرنكات في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم نصف

القيمة . وكل ما يأتي من ربح المجلة - ان وجد بأريحية صحي الخير - فهو لمساعدة
الايام والفقراء والعجزة في تلك الملاحي ، فمسي ان تصادف من الاقبال في حياتها
الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى
وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاتبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب
السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار وبه تمت سنتها
الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث
الأدبية والمقاطع الشعرية والنكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجير الصيف
الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر - برداوسلاما - يتمتعون به فلا ينسون لذته
حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي ، اطال الله خدمة منشئها
لفنون الآداب ، ولقي ما هو أهله من تمضيد أولي الألباب ،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ « لاحظ » لا يتعدى
بعلى وصاحب التقرير يكثّر من قول « لاحظ عليه » فهو خطأ: كذا قلنا ففهم بعض الأدباء
ان انتقادنا هذا خاص بقوله « وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل »
لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان
« على » في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار
المشار إليها كانت موجهة بالمناسبة الى ما قلنا انه بكثّر في كلامه ولكن سقط من
الأصل شيء عند الطبع وأصل العبارة هكذا: « ولاحظ مفاعلة من لحظ للمشاركة
وهو النظر بؤخر العين . وتسعمل الملاحظة مجازا بمعنى المراعاة ولا يظهر هنا المعنى
الحقيقي ولا المجازي . ولا حظ لا يتعدى بعلى » الخ فسقط ما بين لاحظ الأولى والثانية
ومنه يعلم ان الانتقاد على تمديد لاحظ بعلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود
بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها س ٢١ ص ٩١٨ م ٩

بإشارة الحكيم الملك

بمملكة سراكش ومؤتمر الجزيرة

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة المنار الأولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان سراكش بأن طوفان اوربالا بد ان يفيض على بلاده فيغمرها اذا هولم يبادر الى اصلاح شأنها بالتربية والتعليم اللذين تقتضيها حالة العصر لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يذكرون ، وإنما يعتمدون على أهل القبور في دفع الضر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجاهم الى قبر سيدي ادريس عندما أرادت فرنسا الاقتيات عليهم وجوارهم عنده بكلمة (يا لطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الالمان يومئذ وابعازته الى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح سراكش على مؤتمر أوربي فانقد المؤتمر في الجزيرة من حواضر اسبانيا فاتفق أعضاءه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أورييون . أما المصرف فلا يتلوع أموال الحكومة وأما الشرطة فلتنأمن تجارة أوربا التي يتلوعون بها أموال الأهالي ويتمكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقد طال النزاع بين فرنسا و ألمانيا في شأن حخص كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيين والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولا لأجل تهكيه القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبرة للمسلمين .

مهما اختلف القوم وتنازعوا فهم اقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو اضعاف لسلطتنا بل تقليص لظلمنا عن بلادنا ولو بالتسريح الذي هو خير لهم اذ لا يحتاجون فيه الى بذل دماءهم واموالهم .

ومن غريب جهلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد نفوذهم في بلادنا وازالة نفوذ لنا منها فقالوا بعضه كما جرى لنا في مسألي كريت ومكدونية وكما سيجري في صرا كش بعده الموتر الذي يجعل لهم حقار سمياني القبض على ادارة البلاد وأموالها ، اذا أرجعت المسببات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل صرا كش وبين الاتفاع بما ذكرناهم وذكرهم به غيرنا هو الجلود على التقاليد والاتكال على أصحاب القبور فهاتان العلتان هما المانعان من فهم الحق ومن كل تضيير يدعى اليه المقلد للأباء ، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين برون مندش ع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن ايصال السكة الى الحرمين فان رجحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك بايصالها الى العقبة . وقد اجتهد المصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهادا عظيما في اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليزي في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل ، فلما رأت انكرا ذلك خافت من الدولة على مصر أضعاف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب . واعتقدت أنه مادفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكرا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بهد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكرا تعارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتمت في ذلك بلسانها ولسان الحكومة الحديدية التي تنطق بوحيا . على ان انكرا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها للمدارس المصرية منذ بضعة سنين ،

البدع والخرافات

وَالْبَقَايَا وَالْعَجَابَا

﴿سلطان الشياطين على عالم أزهرى . ومخادعة دجال غوي﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه «أشهر الحوادث وأعظم الرجال -
حادثة في الأزهر» يريد ناشره ان يشهره نفسه بالولاية والقدرة على اخراج الشياطين
من الاجسام والبيوت ورأى ان اعلانه لا يقرأ الا اذا افتتحه بكرا الاستاذ الامام
رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لعله بأن الامة تقرأ كل ما يكتب عنه . ومن العجائب أن
بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرته واننا ننشره وننكره وهو باختصار
«لاريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دروس حكيم الشرق وفيلسوف الاسلام
الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادوية في الأزهر ويقرأ فيها جواراً والناس من حوله من ترك
وعرب وعجم فضلاء يخالط ذلك من دان وشاسع وكان اذذاك يصيح باعلى صوته بان لا
وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الانكار على رؤوس الاشهاد والعلماء يحاجونه بالكتب
المنزلة فما استطاعوا الرداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاهام وضرب
لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد
واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس وافقه على هذا امر على انه
يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهو من خيرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الأزهر
ومن رجال التشرىفة وامين الكتبخانه وهو الشيخ محمد حسنين وتحرير الخبر ان هذا الشيخ
اشترى من مندسنتين منزل بأم الغلام بجوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه
الايام رجم أحجار فظن انه من الجيران فصنع صور من خشب على السطوح فراد الخيال
وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قرده وخنازير وكلاب وقطط وصاروا يقولون الكتب
والملابس والفرش والمفاتيح من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ واك أشفاله
واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر
وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بمفردات وصفات وكثير من اعانهم مصر

ارسل عدة رجال مهين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبى الكتبي واستحضر جملة من المغاربة والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرفاعي وقرأ وكتب ولكن ما أفاد وكذلك المغربي الذي في الخرنفش فلم تحصل فائدة حتى ينس حضرة الاستاذ وصمم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله واخيراً حضر بعض الأعيان واخبر الاستاذ بان يوجد رجل ٠٠٠٠ ساح في الأرض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص ٠٠٠ فتقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يامن هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه النسر سوداء وصوت بصوت رفيع وتكلم معها واثار اليها فطارت والناس تنظر اليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد واخبرهم ٠٠٠ بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت فقدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت واخيراً سئل ٠٠٠ عن هذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب عليّ أن أضع له سور من حديد على أنه لا يمكنني ان اطعم احداً عليه مها كان ميله اليّ وقربه من فوادي»

اه المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا الغلو في شهرة صاحب الاسم المراد اشتهاره بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمراء والأفرنج ٠٠٠

قد ادعى هذا الدجال عدة دعاوي باطلة يعلم بها انه يعتمد الكذب .

(أولها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أدحية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكاناً صغيراً كأفحوص القطة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الأزهر (ثانيها) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهراً . وهذا كذب ونيتان بل اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جزء عم من تأليفه أو تفسير النار الذي تقتبس فيه دروسه التي كان يلقيها في الأزهر (ثالثها) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعها) ان المؤيد والهواء والظاهر خاضت معه في هذا الموضوع وكل ذلك كذب مبني على كذب (خامسها) ان أكثر الناس وافقه على إنكار

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقد فلفهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسين أنه يقول إن للحكاية أصلا ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه براكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يعارض الآية لأنه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكم بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحى الي أنه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة - ابن مسعود وابن عباس - هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الامور المعتادة بزعمهم فهم يرون الجن ويتمصرفون فيهم كما شاؤا متى شاؤا ، وما كانوا الا خادعين وما كان الاستاذ الامام الامكراد جلهم تأييدا للقرآن ونصحا للعوام استدل الجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لا تحصى عند أهل الخرافات وعبدة الأوهام فكم من بيت كادله شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فصبوا فيه وعاثوا في حنادس الظلمات أو من وراء الحجب والاستار فتوهم السفهاء ان عيبتهم من عمل الجن وبلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا وقدنا كشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيرا من هذه الحيل الشيطانية فعلم ان منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصا اذا خاف الناس من عفاريتهم ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي اليها . وقد كان من علماء الأزهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعفاريت والشياطين من السلطان على علماء الأزهر أن يسلبوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العفاريت لتحتوت العوام، اذ قلت الخرافات والاهام ؟

بوتني الحكمة من بقاء ومن روت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أو الألباب

الله
١٣١٥

بشر جادي الذين يستمرون القول فيؤمنون أحسن
أولئك الذين عداهم الله وأولئك هم أول الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتي و«مناراة» كمنار الطريق)

﴿ مصر الأربعاء ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٤ - ٢٥ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٦ ﴾

العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان اللذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لأن قلب الشيء عندها له ومحضه وخالفه ومن الأول قوله تعالى (١٥٩:٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب (ومن الثاني (٣٧:٥٠) ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) وقوله (٤٦:٢٢) فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقد جرى عرف بمض الأمام على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانه على الأمور الأدبية، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تجيز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما يجري عليه في هذه المقالة . ثم ان أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصيماً للقلب والعلم عدواً للدين . ورأى آخرون منهم أنها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يهدوا أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لا حقيقة له فهو يخاف مما لا يخاف أولاً يخيف ويرجو ما لا يرجو ويتقحم به الوجدان مواقع الهلكة فيئذل النفس والنفيس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له الا النساء والاطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هيكل الوهم ، ومعاداة العقل والعلم ، وجعل وجدان الدين ، آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فإذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان للقلب وأنفسه حكماً على الجوارح ، وإذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالحروف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده، وإذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فببها الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فعبدهم وعند نفسه قد ارتقى بذلك ارتقاء

مينا، وإذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولا آخرين بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقا لا يزال يتقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزهه عن التقيدي بأي مظهر من مظاهر الطبيعة ويفند أكثر ما وصفته الأديان به وفريقا يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لا حقيقة له ، وإذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الأوهام التعبدية ، ومدته سائر الوجدانات الدينية ، وإذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل بخذل الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأموال المحسوسة وينصر الثاني ويؤيده - أفلا يكون القلب والعقل ضدین في ذاتهما وفي أثرهما في الناس ويكون من الصواب أن يجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن تؤدب الوجدان بسوط الفكر والبرهان ، وندع لحكم العقل والحس جميع أحكام الأديان ، ؟

وأما حجة الداهيين الى أن لكل من القلب والعقل سلطانا مستقلا يباين الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يعدو واحد منهما طوره ويخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل ان الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثرا منه الضار والنافع وأحكاما منها الخطأ ومنها الصواب وأن الانسان في حاجة الى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدهما عبثا وأنه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل أحكامه وآثاره نافعة للانسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه الى الخير والفضيلة ويصرفها عن الشر والرذيلة وقانون العقل هو العلم بالأشياء كوان الذي يجلي للانسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فإذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطلان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب وإذا بحثنا في تاريخ الانسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلوفرضا أن الانسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعلماء المادة دون النبيين والمرسلين لأنه قد يكتفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يثق بها الملايين من الناس ليستعد المئات والألوف بشقائهم ولكنه لا يكتفي قط بتزك حبل شمره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان اللذة والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبني والعدوان اذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها . وهذا المؤدب هو وجدان الدين لا ينكر علينا علماء المادة انه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وان كل شيء خلق كاملا أو كمل بعمل الطبيعة فيه الا الانسان فانه خلق أشد الكائنات المعروفة تقصا وأشدها استعدادا للكمال وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال يكسبه التدريجي قوة العقل التي أودعت في الانسان لاجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لاجل تأديب سائر الوجدانات بما يزرعها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منها قد وجد الحكمة ظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤ ونهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعد خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الانحطاط موجبا لا نقول ببطلان هذا الوجدان وضرره والحكم بإعفاء أثره ولا نعد خطأ العقل في تلك الاطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وازالة سلطانه تقولون ان رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين ونخادعوا الناس بالاهام حتى استعبدوهم ونقول اننا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم الفساد والمصالح فكم من عالم ببعض خواص الاشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكم من مدع للعلم بها قد أضرهم بجهله وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرق عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك المباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تعترفون بأنه من أشد الامور افسادا لعقول البشر وضررا في مجتمعهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كهنة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب خصمهم من الماديين أننا نعلم أن أقوى شبهكم على الدين أحمران (أحدهما) ما جاء في كتب الوحي مما قام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كآيات التوراة أن الله حكم على الحية بأن تأكل التراب كل أيام حياتها وآيات العهد الجديد للتثليث . (وثانيهما) ما فيه من الأخبار الغيبية التي لا دليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والمخرج منها سهل . أما الأول فإذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع فلنأنتقول إن بعض ما في تلك الكتب مدرج من النسخ وان مقاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وإنما قصدوا استخراج المبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ما عرفوا من الكون وان كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ولو أرادوا ان يبينوا حقائق الأكوان مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لما تيسر لهم ذلك ولكن تصديهم له خروجاً عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والأرواح واثارة للشبه والشكوك فيها فان المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك ان الانسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي واما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه الى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات وما يتعلق بحياة بعد هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الانسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لغاية كما له الروحاني والوسيلة لتهديب جميع أنواع وجدانه وشموهه وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سميداً بقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب ان وظيفة الوحي اصلاح القلوب والأخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف المخاطبين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو اخبار الوحي بما لا دليل عليه من الحس ولا من العقل فالخروج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الأنبياء الخاص بهم مستمداً من الحس والعقل ولكنه وحي من الله فإذا كان لكم طريق إلى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة الهيوسية فلا طريق لكم إلى الحكم في كلامهم المتعلق بالإيمان بالله وبالعالم الغيب

لأنه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها ، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والردائل لأنه من باب الإنشائي الذي لا يتأتى فيه الصدق والكذب وإنما يعرف حسن مثله وقبيحه بأثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه وما يدل على أنهم يستمدون هذه الأنواع من العرفان من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشيء مما جاء به الانبياء الذين لا يمكن اقامة برهان على أنهم استمدوا عرفانهم من الناس . وهب أنهم استفادوا شيئاً من عرفانهم بالكسب والنظر فها تقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحدة ، اننا نقدر على كتابة في الآداب والوعظ لا تعد هذه الأناجيل في جانبها شيئاً مذكورا وفانهم ان في مواضع الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجزا كبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الا فرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يجيزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لهما أن في العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أو في الدين مسائل تعارض شيئاً من العلم أو التاريخ فانهم لا يرون ذلك مجوزاً لا بطل أحدهما للآخر أو مساوياً لتركه لان صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعدله لم يوجد واحد منهما عبثاً ولا يترك سدى . وبهذا الرأي كان كثير من اساطينهم متدينا كسبارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العقليات والادبيات . و يعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيرا من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان في كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ويقولون ان هذا نقص في بنية الدين وجسمه لان في جوهره وروحه فهو يفر ويتساعح به

لشدة الحاجة الى روح الدين التي لاغنى للبشر عنها
وتجد في هؤلاء العظماء المتحمس في الدين المتهب غير عليه كعظيم الشعوب
الجرمانية (غليوم الثاني) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على
النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حماسة واننا لنشعر بناره تأجج في أحشائنا
وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع حمورابي لا يمنع
من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل بواسطة يهوي ان استفادة
موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي
الايان بأنه كان مؤيدا بروح الله ومظهراً لعنايته وعظمته ولا كون كتابه أعظم صلة
بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلمة أخرى فهو يكتفي بأن يكون
النبي الموحى اليه مؤيداً من الله بما يتمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله
تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيداً به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانباء بما لا يرضاه المسلمون
بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلباً وأكمل عقلاً من
عبدة المادة واسرى الحواس الذين زعموا ان الدين من شعور القلب ووجدانه
الوهمي وأنه يجب على الانسان ان ينسلخ من كل وجدان ، ويعيش حسياً
كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها
واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لانها
تنعى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرق منها ، وقد كثر في متفرنجي
المسلمين من يقلدهم فيها ، وان لاولئك المتبوعين من علماء الافرنج من العذر
ما ليس لهؤلاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين
أهل أولئك المتبوعين من عداوة العقل والحس وعلومها ما ليس في دين هؤلاء
ولان أولئك قد أوغلوا في العلوم الكونية فشتلتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح
فلم يعرفوا حقيقته على أنهم استعبدوا لأحقروجدان القلب وهو اللذة الحسية وهؤلاء لم
يتقنوا علماً ولم يحسنوا عملاً بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليداً

**

هذا وإن للمسلمين في العقل والقلب والدين منزعا آخر وهالك بيانه: يسعد الانسان بعمله ويشقى بعمله وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفقان فيسفي فيه ويختلفان فيجيب دعوة اقواهما سلطانا على النفس، وتسخييرا للحبس، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر الا وزير يستشار فيدهن للوجدان تارة وينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لان افكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعوا اليه فيطيعه تارة ويصيه أخرى - بطبعه اذا كانت داعية الوجدان ضميقة ويصيه اذا كانت قوية

اذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الانسان ويشقى وكان قد يقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شرّة وفترة يطغى في شرته فيسرف، ويترأخي في فترته فيُففل، فلا جرم أمهما في حاجة الى مرشد حكيم، ذي سلطان مكنن، مطاع ثمّ أمين، يرضيان بحكومتها، ويتفقان عند نصيحته، مها ظهرت لها آيته، ورفعت فوقها رأيتها، وما أراك الا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وان ظهور آيته للنفس يؤتيها الاذعان، الذي يحيط بالفكر والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعا، وتطيعه بالاختيار سرا وجبرا، وان ارتفاع رأيتها يمثل لها القوة والسلطان، مؤدبا لاهل البغي والعدوان، الذين يشذون عن حكم الاذعان، وبذلك يكون الاعتدال، واستعداد الانسان للكمال، فالدين هو الاستاذ المؤدب للوجدان والفكر مما

الوجدان حتى وقد يطغى فيعرض له الوهم، والعقل حتى وقد يمرض فيعرض له الجهل، والحواس الظاهرة حتى وقد تمتد لتدرك الشيء، على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطئ، وهي صحيحة سليمة، ولا غنى للنفس عن الوجدان كما لا غنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول انه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته وإنما يعرض له الوهم من الفكر الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطئ، فيجني بخطئه على القلب وينحرف بالوجدان عن المقصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو الجلاء والشرف ويفض القبح الحسي والمعنوي — يتأذى بفيل ما يحب ويرجاء نيله ويتألم بما يكره — يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فإذا رجا ما لا يرجى أو خاف ما لا يخاف أو أحب ما لا يحب أو كره ما لا يكره فأما يكون في ذلك تأيما لحكم غيره إذ ليس من شأنه هو ان يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو خائر أو نافع وأما الحسن هو الشيء يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومما جزم العقل بأن هذا الشيء "يرجى غيره" وذلك الشيء "بما يخشى ضيره" ، قبل القلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بتصميمه ، ولما يطفى الوجدان في شيء - الا ويكون الفكر هو الممدد له في طغيانه ، فكما أوغل العقل في التصور والتفكير ، يوغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والتفكير في طغيان وجدان القلب وتمسكه في مجاهيل الاوهام لو فقد الانسان الوجدان فأسمى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو تلك بترك العمل والسعي في جلب المحبوب ودفن المكروه واتقاء الخطر ، وانتظار الظفر ، ومواساة البائسين ، ومواخذة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتفي عنه شيئا . فإذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لا بد منه لبقاء الانسان وكان العقل مرشدا يخطئ ويصيب فيصح بعلمه أو ينشأ بجهل فحل يصح أن يقال أنها ضدان ، أو نطلب على حجة الأول منها البرهان . كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينية ،

على هذه الطريقة أسماء العقل التصرف في وجدان مبدأ الدين في الانسان فقد امتاز الانسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الأعلى في ارتقائه التدريجي بحسب استعداده وهو الثمور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرف في العالم . هذا هو مبدأ الدين في البشر وقد كان العقل في طفولته يبحث عن علل الاشياء وأسبابها فكما عجز عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الاذعان له والمباةة وكان اذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعداد أفراد منه للارتقاء عن التبعيد للاشياء المحدثه بمش الله تعالى فيهم من يدهو العقل الى أعلى مقام في العرفان ، ليثبته القلب في المباةة والاذعان ، يدعوه الى التوحيد الذي هو

عبارة عن الجزم بأن كل ما يدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تدبرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تنتقد بشيء ولا تحل فيه لعلم العقل ان تصديه لهم حقيقة مصدر تلك السلطة التي يجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلهما لأن العقل يوله وينحير في البحث عن حقيقتها فليسان أولئك الدعاء الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تبحر في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وإنما وظيفتك إرشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره وإنما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب ، على اننا لا نمنعك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان ، الحكمة امتاز بها الانسان ، وإنما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأكون ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والاعتقان ، لتوقن أنها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجده عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان ، وعن الحول في كوكب أو انسان ، والى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣) كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين) الخ وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهذيب كان محصورا في الكهنة والأخبار والتسيبين ، نعم ان هؤلاء الزعماء للدين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم العذر في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فإنه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الوجدان الدين مع ان فكر الاكثريين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستغناء عن سيطرة الرؤساء فلما استعد لذلك آتاه الله الدين الاخير الذي هو منتهى النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر وأخى بين العقل والقلب فيمكن هو الهداية التي تم بها الاستقلال ، واستعد بها البشر لنهاية الكمال ،

كان زعماء الدين قد أساءوا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الحجر على العقل فلم يجعلوا له رأيا في آداب النفس ولا في

(المنار ٣: ٩) إبطال الاسلام بسيطرة الزعماء والتقليد . توفيقه بين العقل والقلب ١٩٥

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدواً للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ، ومكسبهم الدين من ذلك بينائه على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نسف هذا الأساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجهل للنبي نفسه شيئاً منها (٣٨: ٣) ليس لك من الأمر شيء - ٢١: ٨٨ - فذكر أنما أنت مذكرة ٢٢ لست عليهم بمسيطر) حتى كان يرجع عن رأيه إلى رأي أصحابه ثم أنه بين العقائد بالبراهين العقلية ، وقرن الآداب والأخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الأحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعلم الكوني وجعله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد إلى سنن الكون والاجتماع وجعلها ممرج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وإرشاده ، لتكون جميع قوى الإنسان متحدة في إبلاغه غاية كماله ، وكان كتابه حجة عقلية على حقيقته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان ، وأعظم السلطان على العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض ، وحفظه من التغيير والضياع ، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين أن يقول فيه بنقبض ما جاء به أتباعا لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه ، وبين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ، أم يليق به أن يترك هداية هذا الدين ، ويتبع وسوسة الماديين ،

كلا إن من عرف هذا الدين لا يمكن أن يتركه ولا يكن الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد ، بما وضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حججوا عن محاسن هذا الدين ، وبرزوا لهم في مكانها جميع مساوي المنقذين ، فصدق عليهم حديث الصحيحين « أمر كبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعاً بذراع حين لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فهم العلة لكفر من كفر ، وفجور من فجر ، فمسي ان يهبي الله للمسلمين من أهل الإصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه ، ويعيد اليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم إلى هذه الحقيقة ، ويقيمهم على هذه الطريقة ، فيتأخى بهم العلم والدين ، ويكونون هم الأئمة الوارثين ، وان ذلك لواقع ولو بعد حين ، والعاقبة للمتقين .

(نصحیح) فی س ٢٠ ص ١٩٢ «تتمیل» وصوابه (تمتل) فلیصحح

باب العقائد

﴿ الايمان يزيد وينقص ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني ان سلف الامة على القول بأن الايمان يزيد وينقص وتتمثل بعض الروايات والآيات في ذلك ثم أورد عن شيخ الاسلام تفصيلا لوجوه الزيادة ولأصل الخلاف في المسألة واننا نورد من ذلك ما عدا الروايات عن السلف في المسألة ثم نبين وجه العبرة في ذلك لطلاب علوم الدين قال والظاهر أنه من كلام شيخ الاسلام :

«والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله (انها المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ الاسلام وهذا امر يجده المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان ما لم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية الا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ما لم يكن فيزداد علمه بالله ومحبه لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند نحو يفهم بالمدولم يكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا وبوكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدنا بان لا يخافوا المخلوق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بان الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمرا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيًا عن شيء انتهوا عنه فكهروه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكنية موجبة لزيادة الايمان والسكنية هي طمأنينة في القلب وقوله تعالى (يهد قلبه) هداة لقلبه زبادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآثارهم تقواهم) وقال

(انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي امر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجمال والتفصيل فيما أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل امة التزام ما يأمر به رسولهم مجملًا فمعلوم انه لا يجب في أول الامر ما وجب بعده نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل بما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنن ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك ما لم يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فأمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان أكل وما وقع منه أكل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والنهي لأن كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة وانه فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل

﴿ الثاني ﴾

الاجمال والتفصيل في ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقر المقصر في العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفا من عقوبة ربه على ترك العمل أكل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهرا فكما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقرار عام والزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها فأمن بها كان ايمانه أكل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملا أو عرف بعضها وكما ازداد الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه أكل

﴿ الثالث ﴾

ان العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض واثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهد به كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها

﴿ الرابع ﴾

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكمل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والآخرة علمه لم يوجب له ذلك فعلم الاول أكمل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحجوب يستلزم طلبه والعلم بالخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللزوم دل على ضعف اللزوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « ليس الخبر كالمعاينة » فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه ان قومه عبدوا العجل لم يلق الا لوح فلما رام قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن الخبر وان جزم بتصديق الخبر فقد لا يتصور الخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قد يكون قلبه مشغولا عن تصور الخبر به وان كان مصدقاً به ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور الخبر ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكمل من ذلك التصديق

﴿ الخامس ﴾

ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل

الناس فيها تفاضلاً ظاهراً

﴿السادس﴾

الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الايمان والناس يتفاضلون فيها

﴿السابع﴾

ذكر الانسان بقلبه ما امر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلاً عنه أو كمل
من صدق به وغفل عنه فإن الغفلة تنقصه وكال العلم والتصديق والذكر والاستحضار
يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه اذا ذكرنا الله وحمدناه
وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه

﴿الثامن﴾

قد يكون الانسان مكذباً ومنكراً الامور لا يعلم ان الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم
ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بحق ثم
يسمع الآية والحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من
الوجوه فيصدق بما كان مكذباً به ويعرف ما كان منكراً له وهذا تصديق جديد
وايمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافراً بل جاهلاً وهذا وان أشبه
المجهل والمفصل لكن صاحب المجهل قد يكون قلبه سليماً عن تكذيب وتصديق
شيء من التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجمال
على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم
من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا
عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو
عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه هو
من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن علم ما جاء به
الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو
أكمل ممن لم يكن كذلك

اذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الامة وجبل الائمة ان الايمان قول

وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد
 أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال
 والاعمال عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا
 ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى ايمانا
 قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى
 ان قال وأما مائثر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام
 ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والاوزاعي
 والثناصي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام
 وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول باللسان
 وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بانية الصادقة وقالوا
 كل ما يطاع الله به من فريضة ونافلة فهو من الايمان قالوا والايمان يزيد
 بالطاعات وينقص بالمعاصي قال وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكلمي
 الايمان من أجل ذنوبهم وإنما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر الأتري
 الى قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث يريد
 مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على
 توريث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة واتمعلوا دعوة المسلمين من
 قراياتهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال ثم قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص
 يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفيا في الامصار وهذا
 مذهب الجماعة من أهل الحديث والحمد لله

ثم رد على المرجئة على الخوارج والمعتزلة بالموارثة ومحدث عبادة بن الصامت «من
 أصاب من ذلك شيئا فموجب به في الدنيا فهو كفارة» وقال الايمان مراتب بعضها
 فوق بعض فليس ناقص الايمان بكامله قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
 الله وجلت قلوبهم واذا تلايت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقا)
 أي هم المؤمنون حقاً ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث «أكمل المؤمنين
 ايمانا» ومعلوم أن هذا لا يكون أكل حتى يكون غيره أنقص وقوله «أوثق عرى

الايمان الحب في الله» وقوله «لا ايمان لمن لا امانة له» يدل على ان بعض الايمان أو ثبوت
وأكمل من بعض وكذلك ذكر أبو عمر الطائفي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول
وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي
مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان
وعمل بالاركان كقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة
والتابعين ومن لقيه استشكل الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان انه قد في نفسه
شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهوان
الشيء المركب اذا زال بعض اجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم قال
شيخ الاسلام والجواب عما ذكره سهل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبقى مجتمعة
كما كانت تكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كبدن الانسان اذا ذهب
من اصبع أو يدا أو رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وانما يقال له انسان
ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنوب يقدح في كمال
الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر
ونحوهم فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه
اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه
ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا
نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددًا عند من يقول بذلك وهم الخوارج
والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا لا حقيقة له كما
قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عند من أثبتها منهم
قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن العجب ان الاصل الذي أوردتهم في
هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو هو ايمان وما هو
كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري
وغيره ولا جل اعتقادهم هذا الاجماع وقعوا في ما هو مخالف للاجماع الحقيقي اجماع
السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال
يقول جهم في الايمان ولهذا نظائر متعددة يقول الانسان قولًا مخالفًا للنص
(المنار ٣٦)

والاجماع القديم متينة ويعتبر معتقدا انه متمسك بالنص والاجماع وهذا اذا كان مانع تامة واجتواذه فالله يثيبه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويغفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن (قال شيخ الاسلام) وقد قال لي بعضهم سره الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فتثبت هذه التسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لاحقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر بوجوده لا قديما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره والماهيات من حيث هي هي شيء يقدر في الاذهان لا في الالعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ماثم ايمان في الخارج الا مع المؤمنين كما ماثم انسانية في الخارج الا ما انصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي والاشترك انما هو في أمر كلي مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فايمان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والنقصان ومن نفي التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا عن جميع الصفات المميّنة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علمائهم علماء عبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في معنى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا انه الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج أبدا وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا مبادئ مجردة وحقائق مجردة ويسمونها مثل الافلاطونية وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبهذا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهوؤلاء كلهم اشتبه عليهم ما في الاذهان

بما في الايمان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان
وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان
يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين قال الامام النووي والظاهر المنار
ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولهذا كان ايمان
الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعثر به الشبهة وقال ويزيده ان كل
واحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى انه يكون في بعض الاحيان أعظم يقينا واخلاصا
وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين
وكثرتها وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرزاق
في مصنفه عن سفیان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وابن جرير ومهمر
وغيرهم وهو لاء قتها الامصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في
كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم
من الأئمة ويروى بسند صحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من
العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص
وأظن ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من
الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الأئمة وحكاه فضيل بن عياض
ووكيع عن أهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس
الاحم أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد
وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلا (ويرداد الذين آمنوا ايماننا) الآية انتهى وقد
روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا
«الايمان يزيد وينقص» وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا أيضا والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين
من أهل السنة والجماعة المعتبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من
أن تذكر بأن الايمان قول باللسان وعمد بالجنان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة
ويضعف بالمعصيات وقد ذكرنا من ذلك ما علمه بحصله المصود والله ولي الاحسان

* *

(المنار) من أطلع على مثل هذا البيان في المسألة يعلم ان الحق هو ما كان عليه السلف وان من تصيد المسائل الدينية من الألفاظ من غير اطلاع على السنة النبوية التي سار عليها أهل الصدر الاول فهو عرضة للبدع والأهواء وان زواج شبهة المرحمة والجهمية وغيرهم من المبتدعة في هذه المسألة عند بعض أهل السنة من جهة النظر والفهم قد كان من أسباب هلاك المسلمين بإعراضهم عن هدي الدين ذلك أن الاعتقاد بأن الايمان الذي هو سبب النجاة والسعادة في الآخرة هو التصديق القلبي بأن جميع ما جاء به النبي حق دون العمل وان المؤمن فيه سواء قد جبر الناس على الفسوق والعصيان ، ثم جعلهم على التحريف المنهوي للقرآن ، اذ القرآن يصرح بأن النجاة والسعادة بالايمان والعمل الصالح معا كما ان الهلاك بالكفر والاسترسال في المظالم والمعاصي وآياته في ذلك لا يخصى الا بمجد وعناء وتري أهل هذا المذهب يلتزمون تأويلها حتى صرت ترى الدهماء من المسلمين يعتقدون بان العمل ليس له شأن عظيم في النجاة من عذاب الدنيا والآخرة والتمتع بسعادتهما وانما يكفي في ذلك التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجمالا ويحملون أكثر نذر القرآن على الكفار ويحملونها خاصة بهم كأن سنة تعالى في هذه الأمة مخالفة لسنة في أمم الانبياء قبلهم وكأن اليقين والاذعان يمكن ان يحصل بدون تأثيره الطبيعي في العمل وذلك محال

وقد نزل بهم من عذاب الله في الدنيا ما حقق نذر كتابه وصدق وعيده فيمن نقض ميثاقه وهم لا يتوبون ولا يذكرون وانما ميثاقه السمع والطاعة بالفعل وقد قال فيمن قبلهم « ٥ : ١٣ فيما نقضهم ميثاقهم لئناهم » الآية وفسر ابن عباس اللعن فيها بالجزية أي بفقد الاستقلال ولا يعتبر أكثر المسلمين بذلك وقد فقدوا استقلالهم وصارت الامم تأخذ الجزية منهم والباقيون على استقلالهم معرضة للخطر ، ثم ان كثيرا من كتابهم يثرثرون في دأبهم ودوائهم ويحاولون ان يكونوا من أطبائهم ، وهم يجربون الداء والدواء لجهلهم بالقرآن الذي هو الشفاء والرحمة لمن اتبعه فلا يعتبر بهذا أهل العلم والبصيرة عليهم يكونون من الهادين المرتدين

فَتَاوَى الْمَكْتَابَاتِ

فتحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين
سنة ولقبه وبلده وجملة (وظيفته) وله بمسدة ذلك ان يرمر الى اسمه بالخرروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالمتن مع غالباً ورمقاً مناسراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لفضل هذا . وان
بعضي على سؤال شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا قدر صحيح لافضاله

(الاتفاق على التعاميم الاسلامي من مال الحكومة الروسية)

(س ١٠) من الشيخ أبي علي محمد نجيب بن شمس الدين التوتاري المدرسي
توتار (روسيا) :

حدثت واقعة بين علمائنا جديرة بالاستفتاء من علمكم وهي ان جمعا من
العلماء المتبصرين ذوي الحمية الدينية هموا بتأسيس المكاتب الابتدائية في
القرى بمال محفوظ في الخزانة الملكية التي يسمونها بالروسية « زيمسكي صوما »
ذلك انه يجمع في كل سنة نقود مقدرة من أهل الزراعة من مسلم وغيره مسلم وتوضع
في هذه الخزانة مختلطة الا ان مقدار ما يجمع من كل جنس معلوم ومضبوط في الدفاتر
ويصرف من هذه النقود ما يصرف من وظائف الأمور بين المكيين وسائر
مصالح الأمة الروسية كتأسيس المكاتب والمستشفيات ودور العجزة ونحوها
ويحفظ الباقي في الخزانة . وقد كان المسلمون محرومين من الانتفاع بهذه النقود
لانزع الحكومة بل اهدم سواهم ذلك الأوهام التي يطول شرحها - على اشترائهم
في دفع ما عليهم منها وشدة حاجتهم اليها فان كثيرا من القرى الاسلامية ليس
فيها مكاتب دينية لفقرا أهالي وقد قد التعاون العمومي وعدم كفاية الاعانة
الخصوصية للجميع فعم الجهل بالدين أكثر الطبقة السفلى . فهذه الحالة المؤسفة
أزعجت القلوب المملوءة بالحمية والجلات الى التشاور في هذه المصلحة المهمة فتشاوروا
وتفكروا في الوسائل اللازمة لتعميم التعليم الديني بين السواد الأعظم من الأمة
فما وجدوا سبيلا الى هذا الاصلاح الا هذه السبيل (أي الاستعانة بما لهم في تلك
الخزانة) فسمروا فيها وكتبوا عرائض الى أولي الأمر يقولون فيها ما محصاه : ان

من مقتضى العدالة تأسيس المكاتب الملكية الابتدائية في القرى الإسلامية التي لا توجد فيها مكاتب كما هو الشأن في القرى الروسية ويتوقف ذلك على تخصيص مبلغ من حصة المسلمين في النقود الاميرية يكفي لتأسيسها والنفقة عليها اذ الفرض من وضع تلك الخزانة هو انتفاع المشتركين فيها على السواء وليس من العدالة تخصيص جنس دون جنس بالانتفاع بها مع المساواة في الدفع الخ وسمعت ان المحكمة الملكية (زيمسكي أوبراغا) اجابت على تلك العرائض بالقبول وعند ذلك قامت الفرقة المتعصبة تنازع في هذا الخير وتصدت عنه صدا يشوش أذهان العوام قائلين ان أخذ تلك النقود وصرفها في تلك الوجوه غير جائز في الشرع متعللين تارة بأنها مال الفقراء !! ولا أدري أي فقير يرضى بصرف ماله المتروك في الخزانة في حوائج غير جنسه ولا يرضى بصرفه في مصالح جنسه ونفسه ؟ وتارة بأنها مخلوطة بنقود غير المسلمين ! وظني انه لا ضرر فيه بعد ما كان مقدار كل واحد منهم معلوما وما يؤخذ منها لمصالحنا انما هو من نقود المسلمين المتعينة نوعيا وبعضهم يتعالم بأن فيها مال الايتام وهم لا ينظرون الى الشرع هل يرخص بترك هذا المال في الادارة الملكية نتصرف فيه كيف تشاء مع عدم التمكن من استرداده أم يسوغ أخذه ونذله في مصالحنا فان هذا المال على كل حال لا يرد الى صاحبه والله أعلم . هذا مادار في فكري الفاتر فارجوكم أيها الاستاذ بيان حكم هذه المسألة شرعا في المنار والله لا يضيع أجر المحسنين

(ج) ان هذه الواقعة هي أظهر مثال لقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ان المسلمين لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا بل هي أوضح حجة على أن المسلمين قد جننوا بدينهم جنونا مفردا لم يشاركهم فيه أحد على أنهم قد شاركوا من قبلهم من جميع فنون جنونهم في الدين وكأني بكل مسلم غيور قد استعبر لسماح هذه المسألة وبكى ، وبكل عدو للمسلمين قد أغرب لسماحها ضحكا

حقيقة المسألة أخذ مال من حاكم غير مسلم برضاه لصفه في مصلحة المسلمين فهل يشترط لجواز انتفاع المسلمين به أن يكون ذلك الحاكم قد أخذه من رعيته المسلمين وغيرهم بوجه شرعي بحيث يحكم الشرع بأنه ليس له مالك غير هذا الحاكم

أويحكم بأن له صرفه في المصالح العامة ؟ لا محل لهذا السؤال ولا لهذا الاشتراط لان الحاكم غير المسلم لا يكلف العمل بفروع الشريعة قبل الاسلام فهذا المال الذي أخذه من رعيته ماله لأنه صاحب اليد عليه والتصرف فيه بلا منازع وارجاعه الى من أخذه منهم متعذر فاذا أعطانا شيئا منه لننقله في مصالحنا جاز لنا أخذه حتما بل قالوا ان جميع أموال غير المسلمين في غير دارهم مباحة لهم اذا أخذوها برضى أصحابها من غير غدر ولا خيانة لا يشترط فيه غير هذا . ولو كانت وجود بعض أموال اليتامى فيه غير متميز مانها من الانفعا به لكان وضع درهم لیتيم في ألف ألف درهم لغيره مانها لهذا من التصرف في ماله كما قال الغزالي في شبه هذه المسألة وذلك بدمي البطلان . على أنه لا سبيل الى العلم بأن عين المال الذي أخذناه من الحاكم لا يخلو مما أخذه من اليتامى الا اذا كان ما يأخذ منهم كثيرا جدا بحيث يعلم أو يظن أنه لا يخلو طائفة من ماله من ذلك وليس الامر كذلك . وهناك وجه آخر لجواز الأخذ وهو أن المال الحرام الذي لا يعرف له مالك معين يجب صرفه في الصدقات أو المصالح والمنافع العامة ويرجح جانب المصالح في بلاد ليس لها فيها مصرف غيره كبلادكم . وما عارضتم به شبههم في محله الا تعليل عدم الضرر بكون ما يؤخذ من مال المسلمين فان ما يؤخذ من مالهم برضاهم جائز أيضا لا وجه لمنعه والله أعلم

﴿ الوصية النبوية المنامية ﴾

(س ١١) م . ر بالسويس

(ج) راجعوا ص ٦١٢ من مجلد المنار السابع ترون الكلام على هذه الوصية التي تنشر في كل بضعة سنين مرة عن لسان رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . ومنه نعلمون الحق في ذلك وتهدروننا اذ لم ننشر نسخة الوصية التي أرسلتموها مع سؤلكم عنها

﴿ اللذات الحسية في الجنة وجنة آدم ﴾

(س ١٢) محمد أفندي السيد قاسم في منشاء خلفه (الفيوم)

تقابلت مع أحد المتخرجين من دار العلوم فذكرت الجنة وما فيها من النعيم الدائم والتلذذ بالمأكل والمشرب والمنكح وان تلك هي التي اهبط منها آدم وحواء

حين أكل من الشجرة فأخبرني ان الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح كالدينا وإنما تحصل لأهل الجنة لذة الأكل والشرب والجماع عند اشتباه أنفسهم ذلك بدون فعل كالنائم يرى انه أكل كذا وكذا وفعل كذا فيلذ بذلك والحال انه لم يفعل ذلك حقيقيا فقلت له ان في القرآن الحكيم ما يدل على ذلك نحو قوله تعالى (٧٧: ٤٣) وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون * ٧٣ لكم فيها فاكهة كثيرة منها ما كان (وقوله تعالى (١٩: ٥٢) كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (٢٠: ٥٢) وزوجناهم بحور عين) وغير ذلك من الآيات فقال ان الله تعالى وعد المؤمنين بالجنة بالأكل والشرب والنكاح المألومة لذتهم تقريرا لا فهمامهم وأشبيها اذ لو وصف لهم التنعم بغير ما هو معلوم لهم لما كان له موقع في أنفسهم ولما فهموا معنى التنعم . وتلك الجنة ليست هي التي اهبط منها آدم وحوا : ولقصوري عن إقناعه حررت هذا لسيادتكم راجيا الاجابة عن ذلك على صفحات المنار بما يشفي الغليل ملتصقا بالاعادة اذا كان سبق توضيح ذلك في مجلد مضى من المنار لان ابتداء اشتراكي في المجلد الثامن ولازمه في عز وجاء والسلام عليكم ورحمة الله

(ج) لاخلاف بين المسلمين في الإنسان يبعث في الآخرة كما كان في الدنيا أي ان حقيقته لا تتبدل فتخرج عن الانسانية الى حقيقة أخرى بيد أنه يكون في الجنة أرقى مما كان في الدنيا فتكون حياته دائمة سليمة من العلو وهي كان الانسان انسانا فلا وجه لاستنكاره ككله وشربه وغشيان أحد زوجته للآخر حقيقة وقد جاءت الآيات صريحة في ذلك فلا وجه لأخراجها عن ظاهرها ونحوها عن معانيها اتباعا للهوى والرأي . نعم قد دلت النصوص المأثورة من الآيات والأخبار والآثار ان جميع ما في الجنة من النعيم هو أرقى مما في الدنيا وان حقيقته غيبية هارت مثلها عين ولا سمعت بمثلها أذن ولا خطر على قلب بشر ولكن ذلك لا يمنع ان تكون حقيقة جامعة بين الذة البدنية والذة الروحية لان الانسان بدن وروح . وأني لأعرف سببا لسريان شبهة فلاسفة اليونان والنصارى الى نفوس بعض المسلمين في هذه المسألة الا وهم ان الذة الحسية تقص في الخلقة لا يطبق بالعالم الآخر ولو عقلوا

حققة والعلموا أنه ليس في الفطرة نقص فداعية اللذة والتمتع بها من كمال الحلقة ولكن لما كان الانسان قد يسرف في تمتمه وقد يسرقه كسبه واختياره الى الاعتداء على حق غيره ليمتدح به وكان ذلك ضارا بنفسه وبين يعيش معهم كانت الاسراف والاعتداء مما تهتم عنه الشرائع تأديبا للانسان وايقافا لقواه عند حدود الاعتدال حتى لا يبغي بعضها على بعض ولا يبغي بعض أصحابها على بعض وعد الاسراف والممدوان من النقص لأنه يعوق الانسان في افراده ومجتمعه عن بلوغ الكمال الذي خلق مستعدا له وانما يناله اذا اعتدل في استعمال جميع قواه مع مراعاة كل فرد لحقوقه سواء أما قولكم ان الجنة التي وعد المتقون في الآخرة هي الجنة التي سكنها آدم في أول نشأته فلا دليل عليه والراجع المختار من القولين في ذلك أنها بستان من بساتين الدنيا اذا لم تكن القصة تمثيلا لاطوار الانسان في هذه الحياة . واذا اردت من يد البيان فراجع تفسير الايات في ذلك ولو في غير المنار

﴿حكم أواني الفضة وزكاتها﴾

(س ١٢ و ١٤) على أفندي مهيب بتفتيش التفرقات بمصر :

أرجو التفضل ببيان حكم الأواني الفضية في الشرع من حيث استعمالها هل هو محظور أو مباح وهل تجب الزكاة عنها وما هو نصابها الكامل وما مقدار الواجب عنه

(ج) أما الاستعمال فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة النهي عن الأكل والشرب في آنيها فحمل ذلك بعض العلماء على الكراهة وجماهيرهم على التحريم وخصه أهل الظاهر بمورد النهي وقاس عليه غيرهم سائر أنواع الاستعمال (راجع ص ٤٢١ و ٤٢٢ م ٧) والذي أعتقد الوقوف عند النص

وأما الزكاة عن آنية الفضة ومثلها الذهب فقد قال بها الجاهير وان كانت الزكاة للمعهودة فيما يزكو وينمو بالعمل كالتقدين والانعام السائمة وغلة الأرض . ولعل الاصل في ذلك ما رووه في الحلي وأخذ به الحنفية مطلقا وقال الشافعية انما الزكاة فيما حرم استعماله من الحلي وأعل البيهقي ما روي في زكاة الحلي بما

لا محلّ لذكره ولا لما قيل في الجواب عنه والمعتد عندي ما قاله الترمذي من أنه لم

يصح في هذا الباب شيء

وفي نص القرآن أن الزكاة فيما يكثر من الذهب والفضة وهو ما يجمع بمضه
فوق بعض زاد بعضهم وكان مخزوناً هذا معناه في اللغة وهو بمعنى الفاضل عن النفقة
واصطلح أكثر الفقهاء على جملة بمعنى ما وجبت فيه الزكاة فلم تؤد والمتبادر أن المراد به
النفود المضروبة لأنها هي التي تكثرت وتفوق دون الحلي والأواني. وفي حديث علي
صرفوعاً « قد عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقبي فها تواتر صدقة الرقة من كل
أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومئة شيء فإذا بلغت مئتين ففيها خمسة دراهم»
رواه أحمد وأبو داود والترمذي وذكر الترمذي أنه روي من طريق عاصم بن
ضمرة وطريق الحارث الأعور عنه وقال سألت محمداً -- يعني البخاري -- عن هذا
الحديث فقال كلاهما عندي صحيح . والرقة هي الدراهم المضروبة . وقد أيد
القائلون ليس في الحلي المباح زكاة قولهم بالقياس . قال في حاشية المقنع وقد تكلم
عن روايتين في المذهب: ووجه الأولى ما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
« ليس في الحلي صدقة » ولأنه مرصود لاستعمال مباح فلم تجب فيه الزكاة كالعوامل
من البقر وثياب التنية والآحاديث التي احتجوا بها لا تتناول محل النزاع لأن
الرقة هي الدراهم المضروبة : اهـ وما ذكره من القياس على العوامل من البقر
والثياب ظاهر جداً

وقد علم السائل أن الذي أعقده في المسألة أن المحذور من استعمال الذهب
والفضة هو ما جاء به النص وإن ما تجب فيه الزكاة هو ما ورد به النص وقال بعض
العلماء أن الاحتياط أن يزكى الحلي أي والآنية . وهو ما يوجبها إلا كثرون . وعلم
أيضاً أن نصاب الفضة مئتا درهم وإن فيها ربع العشر والله أعلم وأحكم
(بيع انقضاء المسجد ومجديده ببنائه بثمنها)

(س ١٥) ١٠٠ ب في بيت زورغ (جاءه)

ما قولكم رضي الله عنكم في انقضاء مسجد موقوف بحرب وأرادوا بناء فيه
بجوز بيع تلك الانقضاء التي لا تصلح للبناء وهي من خشب ولبن وقراميد

واستعمال ثمنها في بناء ذلك المسجد أم لا أفتمونا مأجورين
 (ج) يستأذن القاضي الشرعي في ذلك وهو يأذن ببيع مالا يستفاد منه الأبيمة
 وإنما يناط مثل هذا بأمر القاضي للمصلحة إذ ليس كل ناظر وقف يقف عند
 حدود الشرع فلو وكل الأمر إلى النظار لباع بعضهم أوقافا كثيرة بدعوى تعذر
 الانتفاع بها كذبا وعدوانا ولا حاجة إلى بيان أننا لا نكف حفظ هذه الانتقاض
 بفير فائدة تديننا وتعبدا. ومن البديهي أن تجديد بناء المسجد في مكانه الموقوف
 يتقدم مع وجود تلك الانتقاض والأمر دائر بين بيع مالا ينتفع به في بنائه وبين
 نقله إلى مكان آخر يحفظ فيه وهذا النقل والحفظ إنما يكونان بنفقة كأجرة الناقلين
 وأجرة المكان الذي تحفظ فيه فأبي كتاب أم أية سنة تعبدنا بأن ننفق المال
 سدى لنحفظ مالا فائدة فيه للوقف؟ وإن انزرى الناس في مصر يبيعون أعيان الوقف
 ليستبدلوا بها أعيانا أخرى أكثر ريعا والقاضي يأذن بذلك

(امتياز رجال الجنة على نساءها بالحوار العيني)

(س ١٦) محمد أفندي مهدي سليمان بميت القرشي
 تعلمون ان أهل الجنة يدخلونها بفضل الله ويتقاسمون بها بالأعمال فما بال
 الرجل من أهلها يمتاز على المرأة بالحوار العيني الحسان يتمتع بهن وينعم بقربهن
 فهل في ذلك من حكمة

(ج) الحوار العيني هن نساء الجنة وما من امرأة تدخل الجنة الا ويكون لها
 فيها زوج فالتمتع بلذة الزوجية مشترك اذ لا زوجية الا بين ذكر وأنثى ولعل سبب
 السؤال هو توهم ان وصف الحوار العيني خاص بنساء مخلقتن في الجنة وان نساء الدنيا
 لا يكن حورا عينا في الجنة ولا دليل على ذلك

﴿ أسئلة من سنا فوره ﴾

من الشيخ محمد بن عوض بن عبده . قال انه عرض ما يأتي من الاسئلة على
 كثير من العلماء والفضلاء فأجابوه بأن أرسلها إلى السيد محمد رشيد وهي هذه نذكرها
 ببعض تصرف حيث تكون عبارتها سقيمة

(أفضل الناس بعد النبي ص)

(س ١٧) من أفضل هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنص لا بالمزايا كإصالة بالصحابة وتسلسل الخلافة وقال السائل انه يعرف وجه التفضيل بهذه المزايا منذ كان ابن عشر

(ج) لا يوجد نص قطعي في القرآن أو حديث متواتر يدل على ان فلانا أفضل الناس بعد النبيين وإنما هناك أحاديث آحاد مشتركة ولا يصح منها شيء قطعي الدلالة فحديث أبي الدرداء مرفوعاً « ما ظلمت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية وفي فضائل الصحابة وابن النجار وكذا ابن عساکر بالمعنى وكذلك حديث علي والزبير عند ابن عساکر « خير أمتي بمدي أبو بكر وعمر » وحديث جابر عند الخطيب « علي خير البشر من أبي فقد كفر » قال انه حديث منكر وهناك أحاديث أخرى صحيحة أو حسنة الإسناد لكنها ليست نصاً في التفضيل كحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي » قاله لعلي وهو في صحيح مسلم وغيره وفي الصحيحين بلفظ آخر وهو بمعنى حديث « أنت أخي في الدنيا والآخرة » رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر . وكحديث « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » رواه أحمد والترمذي عن عقبة بن عامر وغيرهما . وكل هذا من المزايا وخير للمسلمين ان يفوضوا أمر التفضيل الى الله تعالى ولا يبحثوا فيه

(خروج معاوية على علي)

(س ١٨) ومنه : أفدنا عن معاوية بن أبي سفيان هل هو محق فيما ادعى به علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طلب الخلافة أو مخطئ ، أو فاسق كما قال ابن حجر في الصواعق المحرقة أو غاص نرجو الجواب الشافي ولا نرضى بقولهم المجتهد المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد

(ج) ان سيرة معاوية نفيد بحملتها وتفصيلها أنه كان طالباً للملك ومحباً للرياسة وإنني لأعتقد انه قد وثب علي هذا الأمر مفتاتاً وأنه لم يكن له ان يحجم عن مبايعة علي بعد ان بايحه أولو الأمر أهل الحل والعقد وان كان يعتقد أنه قادر

على القيام بأعباء الأمة كما يقولون فما كل معتقد بأهليته شيء يجوز له ان ينازع فيه وقد كان علي يعتقد انه أحق بالخلافة ولما بايع الناس من قبله بايع لثلاث فرق كلمة المسلمين ويشق عصاهم ومعاوية لم يراع ذلك . وانه هو الذي أخرج المسلمين حتى تفرقوا واقتتلوا وبه صارت الخلافة ملكا عضوا ثم انه جعلها وراثته في قومه الذين حولوا أمر المسلمين عن القرآن بإضعاف الشورى بل بإبطلها واستبدال الاستبداد بها حتى قال قالهم علي المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » بعد ما كان أبو بكر يقول على المنبر « وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استقمت فأعينوني واذا زغت فقوموني » وكان عمر يقول « من رأى منكم في اعوجاجاً فليقومه » واني على اعتقادي هذا لا أرى للمسلمين خيرا في الطمن في الأشخاص والنهب بالانقلاب واللعن والسباب، وإنما عليهم أن يسبحوا عن الحقائق ليعلموا من أين جاءهم البلاء فيسبوا في تلافيه مع الاتحاد والاعتصام والاقتداء بالسلف الصالح في حسن الادب لاسيما مع الصحابة الكرام

(قبر هود عليه السلام)

« س ١٩ » أفيدوني عن قبر نبي الله هود هل هو في حضر موت كما يزعم بعض الحضارمة ام لا

« ج » من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام ان قبره معروف بطريق القطم واليقين ولا يعرف قبر نبي آخر ولا بالظن الراجح وانما هي شبهات وأوهام . وأما السؤال الرابع فهو عن نبي اسمه عياد الا أن تكون قراءة العبارة قد تعذرت علي ولا أعرف في الانبياء من اسمه عياد



أَنَّكَ تَجِدُ فِيهِ

وصف الأسد

لأبي زبيد الطائي

دخل أبو زبيد الطائي على عثمان بن عفان (رض) في خلافته فقال له (أي عثمان) بلغني أنك تجيد وصف الأسد فقال له: لقد رأيت منه منظرا، وشهدت منه مخبرا، لا يزال ذكره يتجدد على قلبي. قال: هات ما سر على رأسك منه. قال: خرجت يا أمير المؤمنين في صياحة من اغناء قبائل العرب (١) ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهاري باكساتها القروانيات (٢) وممنا البغال عليها الهيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمرا النسائي ملك الشام فاخروط (٣) بنا المسير في حمارة القيظ (٤) حتى اذا عصبت (٥) الأفواه، وذبلت الشفاه، وشالت (٦) المياه، واذكت الجوزاء المصراء (٧) وذاب الصيخد (٨)، وصر الجندب (٩) وضايقت العصفور الضب في وجاره (١٠)، قال قائلنا: أيها الراكب غوروا بنا في

(١) الصياحة بالشدديد من الناس جماعتهم والبايهم وأفناء الناس نزاعهم من هنا وهنا.
(٢) المهاري جمع مهريّة الابل المنسوبة الى مهرة وهي نسبق الخيل (٣) اخروط المسير طال وامتمد. (٤) حمارة القيظ شدة الحر. (٥) عصبت الأفواه جف ريقها (٦) يريد شالت قلت أو نفدت وهو من شالت الناقة اذا قل لبنها وأصله شول ذنبها اللقاح وهو يكون عند قلة اللبن أو جفافه وقالوا شولت القرية والمزادة قال في التاج ولا يقال شالت. (٧) المصراء الأرض الحزنة ذات الحجارة الصلبة والجوزاء برج تكون الشمس فيه صيفا يريد ان شمس الجوزاء اشعلت الأرض (٨) الصيخد: عين الشمس وقوله ذاب مبالغة بان الحر قد بلغها يته (٩) عر صوت والجندب (كدرهم) صفيح الجراد يلزم أشجار الزيتون والكرم في حر الصيف وهو لا يهر الا عند ما يحمي وطيس الحر. (١٠) وجار الضب جحره

ضوح (١١) هذا الوادي — فاذا واد كثير الدغل (١٢) دائم الغل (١٣) شجراؤه
مفنة، وأطياره مرنة ، فحططنا رحالنا بأصمهل دوحات كنهلات (١٤) فأصبنا
من فضلات المزارد (١٥) ، واتبعناها بالماء البارد ، إنا لنصف حرّ يومنا ومما طلته
ومطاولته ، اذ صرّ (١٦) أقصى الخيل اذنيه ، وفحص الارض بيديه ، ثم مال بث
ان جال فمحمم (١٧) ، وبال فهمهم «١٨» ، ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد
واحد فضعضت الخيل ، وتكلمت (١٩) الابل ، وتقهقرت البغال . فمن نافر
بشكاله (٢٠) ، وناهض بعقاله (٢١) ، فعلنا ان قد أتينا وأنه السبع لاشك فيه ،
ففرغ كل امرئ منا الى سيفه واستله من جربانه (٢٢) ثم وقفنا له زردقا (٢٣)
فاقبل يتظالم (٢٤) في مشيته كأنه مجنوب أوفي هجار (٢٥) لصدرة نحيط (٢٦) ،

واذا اشتد الحرجات العصافير الى الظل ولوفي الأوجرة . (١١) قال في الاساس
أخذوا في ضوح الوادي وأضواح الأودية وهي محانيها ومكاسرها : أي حيث
الظل وفي نسخة الاساس المطبوعة ضوح بالجيم وهو موافق لما في القاموس
ولكن شارحه استدرك عليه الضوح في باب الحاء ناقلا عن الاساس (١٢) الدغل : الشجر
الكثيف المتلف والنبت الكثير المشبك . (١٣) الغل الماء الذي يجري بين
الاشجار (١٤) الدوحة الشجرة العظيمة جمعه دوح ودوحات . وشجر كنهيل كسفرجل
عظيم فهو وصف مؤكد . (١٥) المزارد أوعية طعام المسافرين . (١٦) صرّ اذنيه نصبهما
للسماع . (١٧) حمحم سهل بقلق «١٨» همهم ردد صوته من شدة الخوف . «١٩»
تكلمت : أحجمت وتأخرت الى الراء . «٢٠» الشكل جبل تشد به قوائم
الدابة وهو خاص بالدواب . «٢١» المقال : جبل يعقل به البعير في وسط ذراعه
رهو خاص بالأباعر . «٢٢» جربان السيف نمده . «٢٣» زردق كجعفر بزاي
فراء وبراء فزاي الصف القيام من الناس قبل أبو الطيب يصف فتك سيوف جيش
مدوحه بعدوهم

لقد وردوا ورد القطا سفراهما ومروا عليها زردقا بعد زردق

«٢٤» يتظالم يتفاضر من الظلم وهو عرج قليل والمجنوب المصاب بذات

الجنب «٢٥» الهجار جبل يشد في رسم البعير الى حقه «٢٦» الزحيط الزفير

ولبلاعيه (٢٧) غطيظ ، واطرفه وميض (٢٨) ولأرساغه تقيض (٢٩) ، كأما يخبط
 هشيا (٣٠) ، أو يطأ صريما (٣١) وإذا هامة كالحجن ، وخذت كالسن ، وعينات
 سجر او ان (٣٢) كأنهما سراجان يقدان (٣٣) ، وقصرة ريلة (٣٤) ، ولهزيمة رهلة (٣٥) ،
 وكنتد مضبط (٣٦) ، وزور مفرط (٣٧) ، وساعد مجدول ، وعضد مقتول ، وكف
 شنة البرائن (٣٨) ، الى مخالب كالحاجن (٣٩) ، ثم ضرب بذنبه فارهج (٤٠) ، وكثر
 فأفرج ، عن أنياب كالمعاول (٤١) ، مصفولة ، غير مفولة ، (٤٢) وفم اشديق ، (٤٣)
 كالغار الاخرق ، ثم تملط (٤٤) فاسرع يديه ، وحفز (٤٥) وركبه برجليه ، حتى

(٢٧) البلاعيه مجازي الطعام في الحلق «٢٨» الوبيض اعان البرق الخفيف . «٢٩» الرسغ
 كقفل وبضمين الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل
 ومفصل ما بين الساعد والكف ، والساق والقدم ومثل ذلك من كل دابة .
 والتقيض صوت المفاصل ومنها الارساغ وكذا صوت الاصابع والاضلاع والرحال
 وما في معناها «٣٠» الهشيم النبات اليابس . «٣١» للصريم معان كثيرة أوجهها
 هنا الارض المحصود زرعها فهو يشبه صوت أرساغه بصوت تخابط الهشيم وواطى
 الصريم والخبط الوطاء الشديد والمجن الترس والمسن ما يسن عليه يعني ان
 وجهه لالحم عليه «٣٢» سجر او ان مشوب بياضها بحمرة . «٣٣» القصرة بكثرة
 أصل العنق اذا غلظت . «٣٤» الريلة الكثيرة اللحم «٣٥» الهزيمة (كهزيمة) بالكسر عظم
 تأتي في الهي تحت الاذن أو مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن - ورهلة مسترخية . «٣٦»
 الكنتد الكاهل أو مجتمع الكتفين ومضبط محبوبك أو مرتفع «٣٧» الزور وسط الصدر -
 ومفرط ممثلي وهو مجاز والأصل فيه ان يستعمل للغدير ومحوه فيقال غدبر مفرط أي
 ملآن ماء . «٣٨» كف شنة : غليظة - والبرائن جمع برثن كقنفذ هي من
 السباع كالاصابع من الانسان . «٣٩» مخالب الاسد أظافره - والمخاجن جمع مخجن
 كمنبر وهو العصا المنطقفة الرأس . قوله ثم ضرب الخ عطف على قوله فاقبل يتظالم
 الخ . «٤٠» أرهج : أثار الضباب «٤١» المعاول الفؤوس العظيمة «٤٢» مفولة مثلية
 «٤٣» أشديق عظيم الشدقين . «٤٤» تملط تمدد وتبختر «٤٥» حفز وركبه برجليه

صار ظله مثليه ، ثم ألقى فاقشعر (٤٦) ثم مثل فاكفر ، (٤٧) ثم نجهم فازبأر (٤٨) فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزاره ، كان ضخم الجزارة ، (٤٩) فوهصه ، (٥٠) ثم أقصصه ، (٥١) فقضض منه ، (٥٢) وبقر بطنه ، فجعل يالغ (٥٣) في دمه . فدمرت (٥٤) أصابعي فبعد لأي (٥٥) ما استقدموا فكر مقشعر الزبرة (٥٦) كأن به شيها حوليا (٥٧) فاختلج (٥٨) من دوني رجلا أعجم ذاحوايا (٥٩) فنفضه نفضة فتزايلت أوصاله (٦٠) وانقطعت أوداجه (٦١) ثم نهم (٦٢) ففرقر ، ثم زفر فبربر (٦٣) ، ثم زأر فجرحر ، (٦٤) ثم لحظ فوالله خللت البرق يتطاير من تحت جفونه ، عن شماله ويمينه ، فارتفعت الأيدي واصطكت (٦٥) الأرجل ، واطت (٦٦) الأضلاع ، وارتجت الأسماع ، وحمجت (٦٧)

دفهما بهما وهما شني ورك ككتف هي ما فوق الفخذ «٤٦» ألقى : جلس على أليته ونصب فخذه واقشعر ارتعد . «٤٧» اكفر كبح وعبس . «٤٨» الجهم الوجه الغليظ السمج ونجهمه قابله بوجه جهم وازبأر : تنفس ونهيا للشر . «٤٩» الجزارة كخنخالة أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان والرأس . «٥٠» وهصه رماه وضرب به الأرض . «٥١» أقصصه قتله مكانه واجز عليه «٥٢» فقضض منه كسر ظهره - وبقر بطنه : شقه «٥٣» يالغ يشرب بطرف لسانه . «٥٤» دمره على الشيء ، حثه عليه لائما أو مفضا ليجد فيه «٥٥» لأي : بلاء . «٥٦» مقشعر الزبرة منتصب شعر ما بين الكتفين وهي لبدته «٥٧» الشيم كبيرق القنفذ العظيم - والحولي الذي مر عليه الحول «٥٨» اختلج انزع واجتذب . «٥٩» الاعجم المتلى جدا أو عظيم البطن - والحوايا : الأمعاء «٦٠» تزايلت تباينت وانفصلت - وأوصاله جمع وصل كمنصر وهي المفاصل أو مجتمع العظام . «٦١» الأوداج العروق التي تقطع بالذبح . «٦٢» نهم بمعنى نهم أي تمنح - وفرقر هدر وزأر . «٦٣» زفر اخرج نفسه يد به صوت - وبربر صوت «٦٤» زأر : صات من صدره - وجرحر : ردد صوته في حنجرتة «٦٥» اصطكت اضطربت «٦٦» الاطيطط صوت الرجل الجديد وما يشبهه وصوت الظهر والجوف عند الجوع واطت الأبل أنت من التعب أو الحنين «٦٧» التحميج هو نظر الفزع المذعور والمتمحير المبهور فالأول يكون بدوران الحدقة والثاني يكون بادامة النظر مع فتح

الهيون، وأنخزلت المتون، (٦٨) ولحقت الظهور بالبطون، ثم ساءت الظنون،
عبوس شمس مصلخه خناس (٦٩) جري على الأرواح للقرن قاهر
منيع وبمحي ككل واد يريده شديد أصول الماضين مكابر
برائه شين وعينه في الدجي كجمر الفضا في وجهه الشر ظاهر
يدلّ بأنياب حداد كأنها إذا قلص الأشدق عنها خناجر (٧٠)
فقال عيان (رض) : اكفف لا أمّ لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين وألق
وصفته حتى كأنني أنظر إليه يريد يواثبي.

﴿ فقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الثاني ﴾

(ص ٢٣٣) شاكي الجوانح من خلّاتق ظالم شاكي السلاح على الهب الاعزل
(شاكي السلاح تام السلاح) قولهم شاكي السلاح اما ان يكون من الشوكة
فيكون أصله شائك ومعناه حديد السلاح ماضيه واما أن يكون من الشك ويكون
أصله شاكك ومعناه حامل السلاح . فالتام ليس من معنى شاكي كما هو ظاهر
(ص ٢٥٤) رأيتك للسفر المطرد غاية يؤمونها حتى كأنك منهل
(السفر السفر سكنت الفاء ضرورة والمطرّد الطويل) السفر هنا ليس أصله
مفتوح الفاء فسكنه وان مصدر كما يفهم من قول الشارح وإنما هو بسكون الفاء
من الأصل لأنه جمع سافر كصاحب جمع صاحب يقال نحن قوم سفراي مسافرون
والمطرّد اسم مفعول لطرده عن البلد بمعنى أبعد يقال فلان مشرد مطرّد وهو
نعت سفر باعتبار لفظه كما أن يؤمّون عاد اليه باعتبار معناه . والمطرّد انما يكون
بمعنى الطويل اذا أجري على اليوم نعتا يقال يوم مطرد اي طويل كامل تام يقول

العينين وكلاهما يصح هنا «٦٨» أنخزلت المتون أي انكسرت الفهور «٦٩» والمصلخه
المنتصب قائماً الشمس المنتع لا يمكن منه أحد الخناس المكره المظر والنوي الشديد
الثابت وهو من أسماء الاسد «٧٠» يدل بالشيء بحريء بسببه يقال أدلّ بقوته وسلطانه
وأدلت بحسنها وجمالها والاشداق نواحي الفم وقلصها فرجها وزواها بنحو التكشير

الشاعر ان المسافرين الذين شردهم عن أوطانهم البؤس والشقاء يؤمونك كما
يؤم المطاش المناهل .

(ص ٢٥٤) والاتكن تلك الاماني غضة ترف فحسي ان تصادف ذبلا
(ذبلا يابسة) يقول الشاعر اذالم اصادف امانى غضة طرية فاني راض بان تكون
ذابلة لاغضة ولا يابسة وقد بينا معنى الذبول في الكلام على بيت صحيفة ٢٢٨
وتفسير الذبول هنا باليس فضلا عن كونه لا يصح لفة لا ينطبق على قصد الشاعر
ولا يلائم غرضه فان ما يريد الانسان ويتطلبه لا يسميه أمنية مالم يكن فيه شيء من
الفائدة والنفع ولو قليلا وتلك القلة كفى عنها شاعرنا بالذبول فلو اراد بالذبول
اليس كان كناية عن خيبته وعدم نياله لامانيه وقوله «حسي» يناهض هذا كما لا يخفى
(ص ٢٦٩) قد علم فشيتم مشية أما كذلك بحسن مشي الخيل بالجهم
(قد علم لجتم) لعل صوابه ألتجتم لانه يقال ألتجت الفرس لالتجته . ثم ان
تفسير القدع بالاجام لا اراه صحيحا وارادة معناه الموضوع له نهاية في الحسن
القدع الكف قدعه فانقدع وقدعت الفرس اذا كفته بلجامه لتنه من حدة
جريه فالشاعر يقول ردعلم عن مرامكم وكفتم عن غيكم كما تكف الخيل
بلجامها فتمشي مشيتها المعهودة

(ص ٢٧١) أرض مصر دة وأخرى تجم تلك التي رزقت وأخرى نجرم
(مصر دة لا شجر بها) الارض التي لا شجر بها يقال لها مصراد كفتاح
لا مصر دة اما المصدرة هنا فن التصريد ومعناه التقليل ومصد له العطاء قلله
ومصد السقي قطعته دون الري وشراب مصدر مقل قال النابغة

ونسقي اذا ماشئت غير مصدر بصباه في حافاتها المسك كارع
وقرن الأتجام بالتصريد هنا مثل قرن الوايل بالطل في الآية الكريمة .
(ص ٢٩٤) وبالحدلة اساق المحدثه الشوى قلأص ينبعن العبنى المحدثا
(المحدثه المستديرة التحجيل فوق الاشاعر) ما ذكره لا يصلح هنا لاني تفسير
الكلمة الاولى «المحدثه» ولا في تفسير كلمة القافية «المحدثا» لان ما ذكره
من صفات التحجيل وهو للخيول . وكلمة القافية جارية على العبنى وهو العظيم من

الجمال كما قال الشارح وهي من الخدمة محركة سير غليظ يشد في رسغ البعير اما الخدمة الواقعة في الشطر الاول وفسرها الشارح بما فسر فهي وصف للقادة التي وصفها بامتلاء الساق ثم قال ان شواها أي يديها ورجليها مخدمة أي مخلخلة لان الخدمة أيضا تأتي بمعنى الخلل كما تأتي بمعنى السير المذكور ومعنى البيت ان المنزل تبديل قطينه فبعد ان كانت تمرح فيه الفواني زات الخلاخيل عارت ترتع فيه البياق اللانذة بفعلها المشدود الرسغ بالسير .

(ص ٣٠٣) قد قامت شفتاه من حفيظته فخييل من شدة التعنيس مبتميا
(قلصت كدت) الكد والكدة تغير اللون وذهاب صفائه وليس هذا المعنى من التقليص في شيء . والتقليص له معان واذا اسند الى الشفة قيل تقلصت شفته أو قلصت كان بمعنى انزوت وتشمزت علوا وهذا ما أراده الشاعر
(ص ٣٢٣) ويوم المصدفة حين ساموا أنوشروان خطبا غير هين

(ساموا اذاقوا) سام فلانا الأمر كافة اياه وسامه خسفا أولاه اياه واراده عليه وهذا المعنى في السوم مجاز كما في الأساس وأصله ان يحاول صاحب السلعة بيعها بثمن ويريده مشترها على أقل منه . فتقول شاعرنا هنا من قبيل السوم المجازي أي أرادوا أنوشروان على التوسط في خطب اعتمده له وهو يحاول التفصي منه لأنهم أذاقوه اياه واذا فسرنا الحكمة هنا بالاذاقة نكون حملناها مالا طاقة لها به لاحقيقة ولا مجازا .

(ص ٣٢٤) تأمرت نكبات الدهر ترشقتي بكل صائبة عن قوس غضبان
(تأمرت اتفقت) تأمروا تشاوروا كآتمروا واسناد التأمر الى النكبات اسناد مجازي لطيف . وتفسير التأمر بالاتفاق عدول بالكلمة عن معناها المستعملة فيه والاتق بها هنا . واذا قيل ان التشاور على الرشق لا يقتضي الرشق بالفعل قلنا والاتفاق عليه لا يقتضيه أيضا وإنما هو شيء يفهم من المقام
(ص ٣٤٤) أمبلوا العيس تنفخ في براها الى قمر البندامى والندي
(البرى الرباب) البرى بضم الباء جمع برة وهي حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صفر ونحوه ومنه قول المقصورة « يرعفن بالامشاح من جذب البرى »

والعيس اذا أرضت في السير تجعل تنفخ ونفخها يمر على تلك الحلققات المعلقة في
أنوفها لا التراب الذي على الارض على انه لا معنى لإضافة التراب الى العيس
(ص ٤١٣) كالليل أو كاللوب أو كالنوب منقادة لقادر غر ييب
(اللوب الابل السود) اللابة الابل المجتمعة السود على انه لا يمكن ان تراد
الابل السود هنا قطا امثلا يكون من قبيل تشبيهه الشيء بنفسه لان الشاعر انما يصف
الابل ويظهر من تشبيهها بالليل والزنج انها كانت سوداء فكيف يشبها وهي
سود بالابل السود. وانما اللوب هنا جمع لوبه وهي الحرة والحرة بفتح الحاء أرض
ذات حجارة سوداء ومنه قولهم اسود لوبي نسبة اليها وتسمى الحرة أيضا لابة
ومنه لابتا المدينة .

هذا ما أردت محادثة الشارح فيه او مؤاخذته عليه مما سبق الى الخاطر
الكليل لأول وهلة ويخيل لي انه لو بالغ منتقد في انتقاده لم يثر على أكثر مما
عددته عليه وقد أضربت عن مناقشته في كثير مما غلب علي ظني نحر يفة أو تصحيفه
كقول الشاعر ص ٢٧

فضربت الشتاء في أخذعيه ضربة غادرته قودا ركوبا
فقال الشارح « القود البعير المسن » والصحيح ان القود باقاف الخيل اما
البعير المسن فيقال له العود بالعين المهملة وأظهر من ذلك قول الشاعر في ص ٤٤٩
قضيبي من الريحان في غير لونه وأم رشافي غيرا كراعها الحمش
فقال الشارح (الحمش المحدثه) والصواب ان الكلمة في البيت مصحفة عن الحمش
بالحاء المهملة وهي جمع أحمش الدقيق الساقين أي ضيلهما وقد حشمت ساقه وهو
حش الساقين ومنه قول الحماسي يهجو امرأة
وساق غلخلها حشمة كساق الجراداة أو أحمش
ومثله ما في ص ٣٥

كالا جدل الفطريف للاح لعينه خزر وأنت عليه مثل الاجدل
فقال الشارح (الخزر الحساء الدسم) مع ان الاجدل الذي هو الصقر لا يأكل
الاطعمة الدسمة ولا ينقض عليها وإنما الكلمة خزر كهمز دولا هزازي لاراء وهذا ذكر

الارانب وهو من طعام الاجادل يقول ان الشاعر على صهوة فرسه كالصقر يعلو صقرا
 رأى أرنبا فجذ في أثره . ونظيره أيضا ماني ص ٢٥٦
 أبا جعفر ان الجهالة أمها ولودٌ وأمُّ العلمُ جذا حائل
 فقال الشارح (جذاء بلا ثدي) فسرها على كونها من الجذ بالدال المعجمة
 وهو القطيع وإنما هي جذاء بالدال المهملة وهي المرأة الصغيرة الثدي والذاهبة اللبن لم يرب
 خلقي في ثديها وقوله حائل يؤيد هذا المعنى
 على أن الشارح حفظه الله تساهل في تفسير كثير من الكلمات تساهلا ربما
 لم يرض نقاد اللغة ولم يستجيزوه من مثله مثل قوله (منى) جمع أمنية (جيش أرب)
 متجمع (السنان) الرمح (الايكة) الشجرة (أخرج) أجبر (الحديث سرار)
 سر (الصبر) الدواء المر (الفرند) السيف (الصفاة) الصوانة (تهفو خلأقه)
 تضطرب (يجم) يترك (الطول) الحبل الطويل (سيديل) سينتقم (المعرس)
 المنزل (الاصطلاء) الاتهاب (الوابل) المطر (البناب) الاصابع (لاحب) طريق
 من جاة كاسدة (النكال) المصيبة (الهنات) الامور (شكاتم) انتصارات (اقتضى) طلب
 القرض (يختر من) يخترق - في نظائر ذلك مما كان من باب التفسير بالاعم أو
 بالاختصاص أو باللازم وهو ما ياباه المسدقون في اللغة ويرون التسامح فيه غلطا
 فاحشا وجريمة لا تغتفر .

بقي لي كلمة لا أحب ان أبلغ بالكلام آخره ، لم أحدث بها حفرة الشارح
 وهي أبي عددت عليه كلمات هي من قبيل المشترك وقد فسرها بمعناها غير المراد
 للشاعر كتفسيره للبري بأحد معنييه وهو التراب مع ان المراد معناه الآخر كما سأنفا
 فان ذهب حفرة الشارح الى ان تفسيره للمشارك بغير المراد منه غير موضع
 للانتقاد لكونه لم يخالف فيه أصل وضع اللغة وانه في ذلك لم يخرج عن كونه شارحا
 لديوان أبي تمام وعدت مؤاخذتي له على تلك الكلمات مؤاخذة في غير محلها وعلى
 غير الوجه الذي أعلنه في طلب الانتقاد . ان زعم ذلك كان من يفسر قوله تعالى « فيها عين
 جارية » بقوله العين الباصرة والجارية الفتاة يصح ان يسمى مفسر القرآن وشارحا للكلام
 الله تعالى - وكنت اذ ذلك جديرا بسحب الكلام وطلب انفق والسلام اه

التقريظ

(كتاب الجواب الصحيح . لمن بدل دين المسيح)

طبع منذ سنة أو أكثر هذا الكتاب النفيس لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية
رحمه الله تعالى وهو أربعة أجزاء وقد كتبه ردا على كتاب اذاعه النصارى في
تصريحه فعلمنا أن القوم هم الذين كانوا يمتدون في الماضي كما يمتدون في هذا العصر
وما كانوا الا محجوجين في كل زمان

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه ان ذلك الكتاب ورد عليهم من قبرص
وانه مؤلف من ستة فصول (١) في ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى
الجاهلية من العرب (٢) انه اثني في القرآن على دينهم بما أوجب ان يثبتوا عليه (٣)
ان نبوات الانبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه فوجب ثباتهم عليه (٤)
ان ما هم عليه من التثليث ثابت بالعقل والنقل (٥) أنهم موحدون (٦) ان المسيح
جاء بعد موسى بغاية الكمال فلا حاجة بعده الى شرع وقد أورد كلامهم في كل
فصل ورد عليه بالعقل والنقل من كتبهم فدل على انه كان مطلما عليها ثم الاطلاع
وأيد بيان الحق في جميع المسائل بآيات الكتاب العزيز والاحاديث النبوية بما يمهّد
في كلامه من البسط والايضاح . وفي هذا الكتاب من الفوائد النادرة في العلم
والتاريخ وايضاح المشكلات الغامضة في الدين وغيره ما لا يوجد في كتاب سواه
ومن أعظم مواضع العبر في الكتاب ذلك الفصل الذي عقده في الجزء الرابع
ليبين وجوه العدل ومقصود العبادات وتفضيل هذه في الامة على أهل الكتاب
بالعلم والعمل قال

« فأما العلوم فهم (يعني المسلمين) أحذق في جميع العلوم من جميع الامم
حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك
(أي من العلوم الكونية الطبيعية ورياضية) هم أحذق فيها من الامتين ومصنفاتهم
فيها أكمل بل هم أحسن علما وبيانا لها من الأوائل الذين كانت غاية علمهم . وقد
يكون الخاذق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق وإلحاد ولا قدر له عندهم لكن

يحصل له بما يطله من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه على الخدق في تلك العلوم
فصار حالة المسلمين ، أحسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من المتقدمين ،
ثم ذكر براعة المسلمين في العلوم الإلهية والأخلاق والسياسة الملكية والمدنية
وانتقل من هنا الى بيان المقصود من العبادة عند المتفلسفة وغيرهم . ولا شك ان
المسلمين كانوا الى عهده أكمل الامم في علوم الدين والدنيا . فإذ أعماه يقول لو خرج
من قبره ورأى حالة المسلمين اليوم في العلم وكيف وصلوا الى درجة صاروا يحاربون
فيها العلوم باسم الدين وصارت حالة أهل الكتاب أعلم من أشهر علماءهم في هذه
العلوم التي كانت حالة المسلمين أعلم بها وأحسن بيانا من علماءهم؟ هل انقلبت الحال
وامتحالت طبيعة الاسلام ام المسلمون اليوم أوسع علما وأشد اعتصاما بالدين من سلفهم
منذ اشتغلوا بعلوم الدين في القرون الأولى الى زمن ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ولذالك
ظهر لهم ما لم يظهر لسلفهم من منافاة الاشتغال بالعلوم الدينية لتحصيل العلوم
الكونية؟ لا يتجرأ أحد منهم على هذه الدعوى فليعتبر المسلمون بماضيهم وحاضرهم
و بمخالفة خلفهم الطالح لسلفهم الصالح
هذا وان الكتاب يباع عند أحد طابعيه الشيخ مصطفى القباني بخان الخليلي
وفي مكتبة المنار وعن النسخة منه مجلدة اثنان وعشرون قرشا صحيحا

﴿ ضوء الصبح المسفر ﴾

أحسب الناس ان المسلمين لم يصنفوا فيما يسمى عند أهل الغرب بعلم أدب
اللغة وتاريخ اللغة ولو اطلعوا على ما ألفت عليه حوادث الزمان من كتب سالفنا في
دارنا وما جذبته منا طيسية العلم والعمرات منها الى ديار أوربا لعلموا ان القوم
ما غادروا متردًا ما فقدوا فواعلى الكمال في بعض العلوم والفنون أو قاربوا ووضعوا
لبعضها الاسس لنبي أو بنوا لنهم ونكل فقصدنا ما كملوا وهدمنا ما بنوا وعضفوا تلك
الاسس حتى جهلنا مكانها . هذا كتاب (صبح الاعشى في كتابة الانشا) من أنفس
الكتب المطولة في أدب اللغة وتاريخها وضعه الشيخ أحمد بن علي القلقشندي المصري
المتوفى سنة ٨٢١ وهو يدخل في سبعة أسفار عظيمة غني ناظر دار الكتب المصرية

(الكتبخانة الخديوية) بطبعها على نفقتها ولكنه لا يطبع منه الا نسخا قليلة يريد حفظ بعضها في دار الكتب وتوزيع باقيها على دور الكتب في أوروبا والكتاب مختصر للمؤلف سماه (ضوء الصبح المسفر) اودعه صفوة مسائله وخلاصة مباحثه فكان سفرين عظيمين نشده محمود أفندي سلامه فوجد جزءا منه فطبعه طبعا حسنا بحرف مثل حرف المنار على ورق أنظف من ورقه وقد ناهزت صفحاته نصف الألف وهو مشتمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة . وفي الابواب فصول . أما المقدمة ففي مبادئ يجب تقديمها على الخوض في كتابة الإنشاء وفيها خمسة أبواب الرابع منها في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الاسلام واستقراره بدار الخلافة وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان والخامس في قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله ورتبة صاحب الديوان وصفاته الواجبة فيه وآدائه وأرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث وفيه أربعة فصول . وأما المقالة الأولى ففي ما يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضروراته وفيها بابان . وأما الثانية ففي ما يحتاج اليه من معرفة أحوال الأرض وجهاتها ورأيا فيها وفيه ثلاثة أبواب . ولو أردت ان أسرد للقارىء ملخص فهرس هذا الجزء على هذا النحو لقال انه لم يترك شيئا يشناقه طالب الادب والتاريخ في هذا الموضوع الا وخاض فيه لاسيما الامور الرسمية كالاسماء والكنى والالقاب والنعوت ورقاع كاتب السر وقوائم الوزارة ومربعات الجيش والمناشير والاقطاعات والمستندات وكتب البيعة والعهود والتقاليد والتعاويض والمراسيم والتواقيع وما يتعلق بالحرب والهدن والصلح والامان من الاصطلاحات وغير ذلك من الامور الرسمية وغير الرسمية كمكاتبات الاخوان والتهاني والتعازي والبشارات والشفاعات وكالادوات الفنية ومنها آلات الدواة وهي خمس عشرة ومنها الكلام في الورق وأشكاله . وجملة القول انه لا يستغني أدب ولا مؤرخ عن هذا الكتاب وهو يطلب من ناشره في مطبعة الواضظ بدرب الجمايز وثمان النسخة منه ثلاثون قرشا صحيحا وانتقدنا على ناشره ان نشره بفهرس جدول للفهرس فوعده بجمع الفهرس وطبعه

﴿ تربية المرأة والحجاب ﴾

قد صادف هذا الكتاب من الرواج ما أنفد نسخ الطبعة الأولى منه فأعاد مؤلفه (محمد طلعت بك حرب) طبعه على نفقته إجابة لكثرة الطالبين له وقد افتتح الطبعة الثانية بمقدمة أودعها ما كتبناه في المنار تفسيراً لقوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » مقتبساً من دروس الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وختمها بملاوة هي عدة مقالات من مقالاتنا التي نشرناها في المنار تحت عنوان (الحياة الزوجية) فكانت زيادة هذه الطبعة على الأولى بنحو ربع الكتاب فصارت صفحات الكتاب مئتي صفحة كصفحات المنار ولم يزد مع ذلك في ثمنه شيئاً فثمن النسخة من الطبعة الجديدة ستة قروش صحيحة وأجرة البريد قرش ونصف ويباع بمكتبة المنار هذا واننا نذكر ما قاله في أول مقدمة هذه الطبعة تعريفًا بالغرض من الكتاب قال بعد البسملة والحمد والتصليّة

« وبعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن وفقنا لجمع هذا الكتاب، لذي تلقاه بالقبول أولو الألباب، لدعوته الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية، مع مراعاة حال العصر والتوفيق من شروء المدينة الغربية، تلك المدينة التي أصلحت في الاقطار الغربية وأفسدت، ولكنها أفسدت في البلاد الشرقية وما أصلحت، إذ فتن الناس بشر ما جاءت به، وطفقوا يتركون لأجلها خيراً ما كانوا عليه،

«لما رأينا كتابنا هذا (تربية المرأة) قد انتشر في الأمصار، وتنقل في الأقطار، حتى نفذت نسخ طبعته الأولى، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى، رأيت ان أزيد في فوائده ومسانله، وأضف اليه شيئاً من أحسن الكلام وعقائله، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية، مقالات في «الحياة الزوجية»، لمنشئها الذي نعترف مع حضرة قاسم بك أمين، بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين، فاخترت ان أجعلها خاتمة للكتاب، لأنها في الموضوع لب الباب، ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاماً عالياً، وهدياً سماوياً سامياً، في تفسير قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كلن اقتبس

صاحب « المنار » من دروس الاستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان اقتبسه في فاتحة هذه الطبعة وهاكها نقلا عن الجزء المباشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣) اه وذكرة . فغرض المؤلف أن تربي البنات تربية دينية ويعلمن ما يحتاج اليه البيوت مع الاحتراس من غوائل المدنية الغربية ، ويا نعم الغرض

﴿ بحر الآداب ﴾

هو كتاب في الآداب العربية لأحد جمعية الاخوة (الفرير) المعروف (بالاخ بلاج) مفتش اللغة العربية في مدارس الجمعية وقد أهدي اليها القسم الأول من الجزء الخامس مطبوعا فاذا هو مفتوح بتهدية تليه فصول في طريقة تعليم الانشاء وتعلمه وأركانه وآدابه ويلى ذلك أبواب ومباحث في المادة التي تعين على ذلك كالكلام في العلم والعقل ومختارات من نثر الأولين وشعرهم في الجاهلية والاسلام واذا هو مختتم بمباحث في حال اللغة على عهد الدولة الاموية والعباسية . ويدل الكتاب على ان المؤلف ذو ذوق في حسن الاختيار وحذق في كيفية التأليف فكاتبه هذا نافع لطالبي آداب هذه اللغة ان شاء الله تعالى

﴿ تحرير مصر ﴾

كتاب انكليزي لا يعرف مؤلفه ترجمه بالعربية وطبعه في هذا العام محمد لطفي أفندي جمعه المحرر بحريدة الظاهر وهو مؤلف من مقدمة يبين المؤلف فيها حال مصر في القرن التاسع عشر وسياسة فرنسا وانكلترا فيها ومن أربعة فصول اثنان منهما في علاقة الدول بمصر والثالث في سياسة بريطانيا الاستعمارية في مصر وغيرها والرابع في « المركز الكاذب لبريطانيا العظمى في مصر » وفيه مبحث استقلال مصر لانها مملكة حية وبلوغها سن الرشد ومنحها الحرية والاستقلال . و يليه الخاتمة سيفي بيان ان أنفع حل للمسألة المصرية هو منح مصر الحرية لان مستقبل أفريقيا متعلق بتحريرها ورأي بحريدة الطان في ذلك

هذا ملخص التعريف بالكتاب ومنه يعلم انه لاغنى لقارئ مصري عن

الاطلاع عليه ليعرفوا رأي القوم فيهم وامل مؤلف هذا الكتاب هو أحسن الأوربين انتصارا لهم وقد كتم اسمه لتعرف قيمة كتابه لذاته فكان أقرب إلى الإخلاص من بعض أحداث المصريين الذين لا يقولون ولا يكتبون كلمة في ذلك الا ويقولون الوفا من الكلم في الافتخار والتبجح بها

افتتح المؤلف مقدمة كتابه بقوله: لقد صدق اللورد ملر في قوله « ان مصر بلد التناقض والتخالف فانه لا يوجد في العالم بلد فيه ما في مصر من الحقائق والافكار المتناقضة المتباينة وقد يصل هذا التناقض الى حد مدعش فيصير مضحكا » فيليق إذن بمن يرقب أمور هذه البلاد ويشاهد أحوالها ان يكون متنبها أبدا متوقيا لتلا يلقيه حسن الظن والاسراع في الحكم في الخطأ والندم : اه المراد منه ، وما أظن ان المؤلف على حذره وتوقيه قد سلم في الخطأ في بعض أحكامه . وقد أحسن مترجم الكتاب اذ قال في مقدمة الترجمة : ويمز علينا أن نقول ان هذا الكتاب ليس الا « كأس ملام » يسقيه الاجنبي لأفاضل مصر وعلمائها الذين أسكتهم الكسل وقبض الخمول على أقلامهم بيد من حديد : اه وأحسن من هذا ان تسقى الكأس من أقدم الكسل والخمول عن العمل لا من أسكتهم عن القول فان العمل قد ينفع بلا قول ولا ينفع قول بغير عمل . والعمدة في تحرير مصر على حياتها بنفسها حتى تكون بنية صحيحة قوية فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين « العاقل لا يظلم لاسما اذا كان أمه » وجملة القول انه ينبغي لكل مصري قراءة هذا الكتاب والاعتبار به مع العلم بأنه لا ينبغي شيء الا الترية الاستقلالية المالية والعلم والاقتصاد وانه لا حياة لقوم لاهم للاكثرين منهم الا التمتع باللذات والاهتمام بأشخاصهم دون أنفسهم ، أولئك هم الذين اذا أعتقهم مستعبد يسرقهم مستعبد ، فليطالب المصريون تحرير أنفسهم من أنفسهم بالعمل لا من انكثرا بقول قائل أو كتابة كاتب يخاطب من لا يسمع وان سمع لا يملك أن يجيب كما فعل الشيخ توفيق البكري بخطاب ولي عهد انكثرا بالمويد ، فحسب انكثرا ان تبيح لهم كل عمل ومن لا يعمل نفسه كان من الحاقدان يطالب أجنبيا ملكه بأن يحرره . وهذا لا يمنع وجوب تذكير لجرائد الأمة بطلب الاستقلال والاستعداد له . وثمان الكتاب عشرة قروش وأجرة

البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجاميز

﴿ قاموس انكليزي عربي ﴾

يشتمل على ثلاثين ألف كلمة انكليزية ونيف

« وضعت إدارة المكتبة العمومية لسليم أفندي صادر في بيروت »

سبق لنا كتابة تقر يظ لهذا القاموس في السنة الماضية لم ينشر بل لم يجمع
سروقه في المطبعة لأن ورقه سقطت من أيدي مرتبي الحروف كأظن وقد ذكرنا
بعد ذلك مذكر منا بأنه أخرج من بين الكتب التي يراد تقريبها أو التعريف
بها ولم يكتب عنه شيء في المجلة. وما أذكر من الكتابة الأولى بيان تفسيره بعض
الكلمات العربية بمرادها العامي. وطبع الكتاب متقن وورقة نظيف وشكاه
لطيف وصفحاته ٦٢٤ و يباع بالمكتبة العمومية في بيروت

﴿ تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٤ ﴾

هذه هي السنة التاسعة لهذا التقويم فهو ترب المنار. وصاحبه محمد أفندي مسعود
يقترح في كل عام على القراء ان يرشدوه الى ما يزيد اتقاناً. وقد كنا أول من
اقترح عليه وضع الفهرس للتقويم ونحن الآن نقترح عليه ثانيا ان لا يجعل الفهرس
خاصا بالأبواب بل عاما للمسائل والمباحث التي يحتاج الى مراجعتها وانني أرى أنه
اذا وضع للمباحث فهرسا مرتبا على حروف المعجم يكون ذلك مفيدا في فائدته
وفي اقبال الناس عليه

(الدين في نظر العقل الصحيح)

قد طبعت هذه المقالات التي نشرت في سنة المنار الماضية على حدها وأضيف
اليها مقالة كتبها (الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي) في حكمة تحريم الخنزير
أو نجاسته ونجاسة الكلب فكانت كتابا يدخل في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير
وتمن النسخة منها مع أجره البريد ثلاثة قروش وتطلب من مكتبة المنار

(مسامرات الشعب)

راجت هذه القصص التي تصدرها مكتبة الشعب واشتهرت ولا غرو فهذا الضرب

من القصص المعروف بالروايات محبب الى جميع طبقات الناس فيجب أن تتضاعف العناية بعد الآن بحسن اختيار قصص المسامرات المترجمة وأن تولف لها قصص في انتقاد عادات البلاد الضارة لتكون جامعة بين الفكاهة والفائدة وقد كان آخر ما هدي اليها من هذه القصص - أهواء الشيبية ، عشيقه الملك ، مقتل هنري الرابع ، الفؤاد السكليم ، القتال المتكرر ، شرف الاسم ، سر ولاسر ، والخنجر التركي . فأما قصة مقتل هنري الرابع فخيرها ترجمة وفائدة سياسية وأما قصة سر ولاسر وقصة الخنجر التركي الملمحة بها فخيرها ترجمة وفائدة أدبية وقد قرأنا الثلاث كلهن والاخيرة تبين لك آراء الافرنج وتخيلاتهم في الترك وعاصمتهم ، واننا ننصح لصاحب المسامرات ان لا يقبل قصة تصف الرذائل والشرور وتشرح أعمال الفجار الارذلين بحال من الاحوال

(خير الدين)

«مجلة اسلامية عمومية مصورة تصدر في غرة كل شهر عربي ، صاحبها محمد الجعابي مدير جريدة (الصواب) بتونس» وقد صدر العدد الأول منها في غرة صفر مطبوعاً على ورق جيد مؤلفاً من ٢٠ صفحة مصدراً بصورة محمد الهادي باشا باي تونس المعظم وفيه بهذا الخطبة ان المجلة سميت بهذا الاسم لتكون كالتمثال المذكور بخير الدين باشا التونسي الوزير المصلح صاحب كتاب «أقوم المسالك في أحوال الممالك» وبعد وجه التسمية صورة هذا الوزير العظيم وترجمته تليها مقالة وجيزة في الحديث على العلم ، فبذرة في الشهر المصري جعلت مقدمة لقصيدة من شعر محمد امام أفندي العبد الشاعر المصري يخاطب بها الشرق ، وغير ذلك فنني على همة رصيفنا الفاضل صاحب الصواب ، أن جمع بين السياسة وخدمة العلم والآداب ، ونتمنى له التوفيق في خدمته ، والبلوغ بها الى خير غايته ،

المنبر

جريدة أسبوعية عمومية حرة أصدرها في نيويورك عيد افندي ميخائيل ذبنيه أحد أدباء السوريين في أوائل هذا العام الميلادي وهي من دلائل ارتقاء السوريين الادبي في تلك البلاد فتتمنى لها التوفيق والنجاح

بَابُ الْحِجَازِ وَالْأَنْكَارِ

﴿ مسئلة العقبة ﴾

بيناً في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا إدارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولده لنا سكة حديد الحجاز والدولة العلية ترى أن انكثراً تخاف عاقبة هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر باقامة المعادل الحربية في شبه جزيرة سيناء لأن محاربتها في مصر اذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكثراً على سوريا والحجاز اذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بإنشاء فاشط من السكة الى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى ان انكثراً أفذت الجنود المصرية الى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكثري ان العساكر العثمانية بالمرصاد فظهر الامر وبدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو ان الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك الى أخذ الحذر من الانكثري هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكثري من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز أن الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى المعنوية ولو كانت تريد ذلك لما حال دونه جعل العقبة تابعة لسوريا لانها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، وان يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران، وقد قاوم الانكثري ما توهموه من الدولة بايها من جنسه فأنشأوا يوهون شعبيهم وسائر ان شعوب الأوربية بأن السلطان يريد تمهيج التصيب الاسلامي على المدينة الأوربية وربما وجدوا لا يهاهم شبهة في ثرثرة احداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضيعة يستغلونها وان أضعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه الا اسمه

لولا أن الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سور يا والحجاز لما باتت أن تزيد في مساحة ما سمحت به لمصر منها، ولولا أن انكترا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا أنها تنوقع هيجان مسلمي مصر أو ثورتهم إذا استحكمت حلقات الخلاف بينها وبين تركيا لما أسرت بزيادة جيش الاحتلال. فإذا كان سبب النزاع هو ما يصعبون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا بمحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الخديويين وفي اعتراف الصدر الأعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتمهيد انكترا بأن لا تعمل في شبه جزيرة سيناء عملاً عسكرياً. وقد أساءت الدولة المدخل فمضى أن تحسن المخرج

نحن نعتقد أن الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال - وهي في هذه الحال - أن تزحف على مصر أما انكترا فلا يبعد أن تقصد إقامة الماقل الحربية في شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعدا قامتها على أبواب الحجاز أو امتلاكها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تمارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكترا بعد عجز الحكومة المصرية - وأمانني بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم. وإن تظفر انكترا بتركيا ظفراً مبيناً وتزمرها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجهل بسوء أرض سيناء مسكراً ولو مصرياً فانت كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكنازية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها، وإن هي جرحتها في أبدانها ورووسها (مما لحما وحكامها)

إن جميع عقلاء المسلمين يفضلون دولة انكترا على جميع الدول وإذا أيقنوا بأن قطراً من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فأنهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها. ويعتقد رجال الإصلاح منهم أنه لا يمكن الاتيان بعمل يحبي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غيره مصر والهند بل لا حرية للمسلمين في الدعوة الى كتاب و بهم المنزل وسنة نبيه المرسل الا في هذين القطرين

(المنار ٣: ٩) الامير حسين باشارئيس الجمعية الخيرية . تنصر المسلمين بقبرص ٢٢٢

ابريطانيا العظمى ان تعتمد هذا الاعتقاد عونا لها على كل دولة تناوئها في الشرق
وعليها أن تحافظ عليه وتمحى مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ،
خير من امتلاك الرقاب بالقوة، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم اياها
على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعاهدة المقدسة آمنة اعنداء الاجني عليها ، أو
تداخل غير السلم فيها ، ولا يصدنبا عن هذا الاعتقاد تشدق المغررين بالفوغاء ،
فالزبد يذهب جفاء ، وإنما الناس بالعقلاء والفضلاء ،

﴿ الامير الخادم للفقراء ﴾

(صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية)
استدار الزمان، وتغيرت أحوال العمران، وتبدلت الأوضاع، وارتقت شؤون
الاجتماع، فصارت عظمة الأمراء والرؤساء، مضمورة في خدمة الدهاء ، بمد أن كانت
قائمة باستعباد الفقراء، وامتصاص دماء الضعفاء، وما قىء أمراء المسلمين يرون أنهم من
جنس أعلى من جنس الأمة، وان شرفهم ذاتي لطينتهم لا اشرف الملة، فهم يرفعون عن
مشاركة الجمهور في المصالح العامة، ولو اعرف لهم في ذلك بالزاي الخاصة، حتى في مثل هذه
البلاد، التي زال عنها الاستبداد، ووهن الفخر بجدا الآباء والأجداد، وصارت المعارف
والأعمال، هي الميزان لاقدار الرجال ، - حتى قام الامير حسين كامل باشاعم عزيز
مصر بإبطال تلك التقاليد العتيقة، وسن للأمر في مصر سنة حسنة جديدة ،

أطعم أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية في اختبار هذا الامير رئيسا لها بهد
الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ما يعلمونه من بره للفقراء ، وعنايته بالمساكين
والضعفاء ، وما سبق له من قبول رياسة الجمعية الزراعية، فعرضوا عليه رجاءهم فيه
فماتأبى ، فدعوه لرياسة الجمعية فلبى ، فاستبشرت نفوس العاملين، واطمأنت قلوب
الفقراء والمساكين، وشكرت له ذلك السنة المسلمين ، بل السنة الناس أجمعين

﴿ تنصر المسلمين في قبرص ﴾

كتب الى جريدة (ترك) من قبرص أن عددا كثيرا من مسلمي قرى
الحزيرة وضياعها قد تنصروا على أيدي الدعاة (المبشرين أو المرسلين) الذين
يجيئون من بلاد اليونان لدعوة المسلمين الى النصرانية . وقد يعجب قراء المنار مثل

هذا الخبر اذ يعتقدون ان الاسلام في قوة حقه وجلاء تعاليمه وموافقته للعقل والمنطق لا يمكن ان يختار عليها غيرها ويعهدون ان دعاة النصرانية يقضون في دعوة المسلمين السنين، وينفقون في سبيلها الألوف والملايين، ولا يكاد يجيب دعوتهم في كل بضع سنين، الا واحد أو اثنان من أعضائهم الفقراء، ولم يبق لهم من الاسلام الا الاسم، وقد يزول هذا المعجب اذا علموا ان أولئك المنتصرين كانوا نصارى فأسلموا ولم يوجد فيهم من المعلمين والمرشدين من يحفظ عليهم دينهم فمادى الجهل بخلفهم حتى جاءهم من أهل جنسهم وانتمهم من يدعوهم الى دين آخر لا يرون في اتباعه عارا اذ ليس للمسلمين هناك شأن يربى في أفرادهم احساس الشرف الملى والذعرة الجنسية

الدعوة الى الاسلام

ليس للمسلمين ان يتأسفوا لمثل هذا الخبر تأسف العجائز والزمنى أو يشفوا غيظهم بدم الحكومة التي تبيح الدعوة الى دينها الا اذا كانت لا تبجحها لدينهم أيضا بل عليهم ان يعتبروا ويفكروا في حفظ الاسلام وصيانة شرفه، وليعلموا ان أكبر عار عليهم وأقوى شبهة على دينهم ان تكون حرية الأديان خطرا عليه وهم مشتركون في هذه الحرية مع غيرهم والحق يعالو ولا يعلى . وإن يتفكروا يظهر لهم أنه من الواجب المحتم عليهم انشاء جمعية للدعاة والمرشدين بجمع المال وتربي الرجال وتبثهم في بلاد المسلمين التي غلب عليها الجهل كقبرص وأفريقيا للارشاد وفي بلاد غير المسلمين للدعوة الى الاسلام نفسه . والدليل على وجوب هذا قوله تعالى (٣: ١٠٤) ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

﴿ نهضة مسلمي روسيا وجرا اندهم ﴾

كتب الناقد بقنا الشيخ محمد نجيب التونتاري في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ ما نصه:

(وتأخر نشرها لتأخر دور السؤال الذي ورد معها)

ان حضرة الامبراطور نيقولا الثاني منح الاهالي كثيرا من الحقوق كالحرية الدينية والوجدانية والشخصية والكلامية والاجتماعية وكثير من المكرهين (على النصرانية) عادوا الى الاسلام رسميا بسبب ذلك وبمساعدة حرية الاجتماع

حصل بين المسلمين اجتماعات عديدة في المجال المتعددة ذكروا فيها في المسائل السياسية الحاضرة وتعميم التعليم بين الأهالي وغيرها . ويتصورون تأسيس جمعية عمومية إسلامية في الروسية فيمد هذا دورا جديدا للمسلمين يؤمل منه الانقلاب الحسن في مستقبل قريب ان شاء الله تعالى

وانه بمساعدة الحرية الكلامية ظهرت بيننا جرائد كثيرة في الاماكن المختلفة و بلدة قزان مع كثرة المسلمين فيها لم تكن فيها جريدة واحدة والآن تصدر فيها خمس جرائد (١) قزان مخبري - جريدة سياسية علمية مليمة تصدر في كل اسبوع ثلاث مرات (٢) طان (صباح) كذلك (٣) يلدز (كوكب) وهي أيضا جريدة واسعة البروغرام (٤) آزاد كذلك (٥) العلم والأدب مجلة علمية تصدر قريبا . وفي باغچه سراي جريدتان جديدتان (٦) عالم ندوان - مخصوصة بالإناث تصدر في ادارة جريدة ترجمان أسبوعية (٧) (خاخاخا) جريدة فكاهية وفي باد كوبه ظهرت جريدتان إحداهما (٨) حيات يومية باهة أذربيجان والآخرى (٩) إرشاد هي أيضا كذلك . وفي تفليس أيضا ثلاث جرائد لم أخطر أساميتها وفي جايق (أروالسكي) (١٣) فكر - جريدة (١٤) العصر الجديد - مجلة كتاتها أسبوعية . وفي بطرسبورج جريدتان (١٥) نور (١٦) أفت . وفي أورنبورغ جريدة (١٧) وقت . فهذا مما يعد فالأحسن لخيرية الاستقلال فان الجرائد أول الوسائل في الإصلاحات يمكن ان يستدل بها على أن مسلمي الروس يتقنوا بعد الرقعة الدائمة أصلحنا الله تعالى اه

﴿ إصلاح التعليم والمدارس الإسلامية في روسيا ﴾

كتب الينا أحد طلاب العلم في قزان يقول « اننا قد دخلنا في حياة جديدة منذ كنا تلاميذ لحضرتكم فصرنا نستفيد من كتاب الله بعد ما ظننا الاستفادة منه خاصة بأهل القرون الماضية ولا تقبل قول أحد بلا دليل . وأعلم يقينا ان هذه الحياة من الروح التي نفختموها بواسطة مجلتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء . وقد ناهضت الطلبة بطلب اصلاح المدارس الإسلامية وكلفوا مديري المدرسة وأساتذتهم عدة مواد استصوبوها بالشورى بينهم لان طريق التعليم في مدارس قزان وخيم

جددا لا يدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والنسفي مع شرحه التفتازاني والنحو
والصرف بكتبه المعروفة بشرط أن يضيع من العمر خمس سنين من غير فهم ولا
يدرس غير ما ذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره - ولكن المدرسين ريعوا
من هذه التكاليف واستقلوها لاعتمادهم أكل « بلش الحجة » - طعام من الأرز
خاص بالامام - فطردوا من التلاميذ من يريد الاصلاح فأخرج من مدرسة عالم
جان البارودي اثنان ومائة طالب من ذوي النهى وأبتوا من لا يهتم بشيء من
الإصلاح وسدوا الذين أخرجوا بغير حق (بالروس الجديد) ولكن الظالمين في
ضلال بعيد ، فيا أهل الفجرة والحمية الدينية، ماهذه البربرية في زمن المدنية، إلا م
نكون ضحكة للاجانبين ، وحتام نعمة في جهائنا أجمعين ، - فاسيدي هذا حال
بلادنا التي تحسن الظن بها !!! اه بنصه

هذا وقد رأينا جميع الجرائد الاسلامية الروسية التي تسمى مصر قد خاضت
في هذه المسألة ففي العدد ٢٤ من جريدة ترجمان التي تصدر في (باغجه سراي -
روسيا) ما ترجمته :

﴿ الكتاب المفتوح ﴾

من التلاميذ الذين طردوا في ٢٦ فبراير من المدرسة المحمدية (المنسوبة الى
محمد جان والد عالجان المشهور) بقران الى آباؤهم
حضرات آباءنا الكرام!

نكم أسلمتمونا الى المدرسة المحمدية بقران اذ لم تجدوا مدرسة أحسن منها.
وكان مقصدكم من هذا هو ان تتعلم في المدرسة العلوم النافعة وتتحلى بالاخلاق
الفاضلة وتكون رجالاً تعمل لمصالحنا ومصالح الامة .
ولكننا علمنا بعد طول التجربة والاختبار ان مدارسنا اذا بقيت على هذه
الحالة لا يرجى منها خير ما فضلا عن العلوم النافعة والاخلاق الفاضلة .
والعلوم التي تحصلها في مدارسنا لا تنفعنا أبدا . أما ترون أننا نخرج من
المدارس وليس في يدنا شيء نكتسب به فنبقى عائلة على الناس نتعجب بالدين
أما نحن فلا نتحمل هذه الذلة والمسكنة بعد ان نتعلم عشر سنوات أو أكثر

وايس امامنا سوى التاذين والامامة . وهذان المنصبان يشول أمرهما شيئاً فشيئاً الى التعاسة والشتاء فان الأئمة والخطباء يشكون سوء حالهم . على ان العلوم التي تتعلمها في مدارسنا لا تكفي للامامة والخطابة أيضاً . ولا يعلموننا شيئاً من الاخلاق والتربية بل تعلم فيها الاخلاق السافلة كالجن والطمع وظلم الفقراء والتعلق بالاعنياء والكسل نحن لا نكون بما تعلمنا في المدارس الا مصيبة للعوام وعلماء السوء الذين قال فيها نبينا عليه الصلاة والسلام ما معناه (شر الخلائق علماء السوء الفضالون المضلون) نبتى في المدارس عشر سنين أو أكثر ونقاسي فيها من أتعاب البدن والفكر مالا يحمله أحد ثم نخرج لتكفف الناس . وأولاد الامم المجاورة لنا يتعلمون وعقولهم سليمة وصحتهم كاملة متمتعون بكل حدة ونشاط ثم يخرجون وأدمعتهم ملأى بالعلوم والافكار السامية فينالون الوظائف المتنوعة ونحن نمثل بين أيديهم بكل خضوع ومسكنة وكل متخرج في المدارس .

وأما أساتذتنا فيملون أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات ، ويسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات ، ويجرعوننا الكؤوس المرة ، مالا تعلق له بالدين بالمرّة . يجرعوننا ذلك باسم العلوم الدينية ونخرج من المدارس لا بالدين تقويننا ولا بالعلوم العصرية تسليحنا . عبيد أو هام جنباء ، نخلو من العقول سخفاء ، ترتد فرائض الواحد منا امام واحد روسي أو بالاك أو يهودي من المعلمين . نحن نرجو من قومنا أن لا يغفلوا عن حالهم ومستقبلهم واثمين بآبائهم الذين يتعلمون في المدارس الاسلامية لاننا علمنا انه لمن يجاري المتعلمون منا في مضمار تنازع البقاء للمتعلمين من الامم الاخرى . لان هؤلاء متسلحون بالعلوم الصحيحة الحقيقية ونحن عزل أنكاس مساكين .

نحن لسنا راضين عن حال مدارسنا وبنلنا جهدنا في اصلاح حالها وخالفنا معلمينا ومربيننا في أمور التربية والتعليم . فانكروا فعالنا وأبخضونا ونظروا الينا شزراً ثم سثموا تكاليفنا فأنشأوا يبحثون عن طرق النجاة معنا وأخذوا يطردون الذين ينكرون حال المدرسة واحداً بعد واحد .

نحن نتعجب كثيراً من أن أمتنا طلبت من الحكومة في السنين الاخيرة مطالب

حجة ولم تخطر بباطها مدارسنا التي هي حياتنا وبها بقاؤنا وتركنا في زوايا الاهمال والنسيان . لابقاء لنا الا بالمدارس فكيف يجوز اهمال شأنها . نحن نقول و نرفع عقيرتنا: ليعلم كل فرد من أفراد الامة ان أول درجة من درجات الاصلاح هي اصلاح المدارس والكتاتيب ثم اننا للأسف لخروجنا من هذا المدرسة ولن ندخل غيرها لأنها كما على نسق واحد حدوا النقطة بالنقطة ونختم قولنا بكلمة نوجهها للامة من صميم أفئدتنا: « بادروا أيها الاخوان الى اصلاح المدارس والا فعليكم وعلى مدارسكم السلام »

(المنار) وسنشر في الجزء الآتي مقالة مترجمة عن جريده (وقت) عنونها (المدارس وطلبة العلوم)

﴿ قتل ابن الرشيد ﴾

اغتم ابن الرشيد فرصة المسدنة بينه وبين ابن مسعود ففكر واعتدى فعلم ابن مسعود من أربعة جواسيس قبض عليهم أن سيديته ليلا فرحف عليه الى روضة مهنا وبعد ملحمة شديدة قتل ابن الرشيد وأخذ خاتمه وساعته ورايته وقتل جيشه تقتيلا وقد رحف ابن مسعود على (حابل) وتلك عاقبة البغي «وما هي من الظالمين ببعيد»

﴿ تساهل المسلمين في شأن الخلافة ﴾

يتهم أهل أوروبا المسلمين بالغلوف في التعصب الديني ويقولون في هذه الايام ان السلطان يهيج هذا التعصب في بعض الجرائد المصرية بأنه خليفة المسلمين فالاعتقاد بالخلافة هو بركان التعصب: ولو كان المسلمون يتعصبون للخلافة ويعتصمون بالخلافة كما يظن بهم اقامت قيامتهم على الشيخ محمد بن حنيت المدرس بالازهر اذ ألف رسالة قال فيها انه يجوز ان يكون خليفة المسلمين الذي ينصب القضاة ويأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث منكر أو موضوع لا يدل عليه . وقد قرظت رسالته جرائد المسلمين ولم ينكر عليه أحد بل وجدني أصحاب الجرائد من ينتصر له ويدافع عنه فلتطمئن قلوب الأوربيين فان هذه الثرثرة بلقب الخلافة والخليفة وسيلة للكسب لا أثر لها في التعصب ولو كان كتب مثل هذا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى لهاجت الجرائد وماجت الامراء والشيوخ وتبعهم العوام بلغوا الكلام لا تعصبا للخليفة وحماة للخلافة بل لان في ذلك من الكسب والشهرة ما فيه

باب الانتقاد على المنار

(السلام على آل البيت)

كتب اليناح . ح أحد المشركين في الجبل الأسود ما يأتي

الى حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا

لقد كنت سعيداً لما وفقني الله الى الاشتراك في المنار وان كنت قليل العلم
 قصير الفهم ولكن نفعتني كثيرا ونبهني عن كثير في هذه السنين ما أتيتم بالخطأ
 الاجتم بعدة بالتصحيح الا في ثلاثة مواضع على ما أظن فأتعجب كثيرا وأجتمس
 ان أكتب الى فضيلتكم لما أعلم انكم ناطقون بالحق والصواب وهي

قلم في ص ٢٩٥ من المجلد السابع « ويشكو سيدنا الحسين عليه السلام »
 وقلم في ص ٤٤٦ من المجلد الثامن « ورواية عن علي عليه السلام » وفي ص ٩٠٨
 منه أيضاً « من أثر علي وفاطمة عليهما السلام » فأظن الفقير ان لا ينال بعد ذكر
 أحد « عليه السلام » دون الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين

فان قلم بجواز ذلك فلم خصصتم في هذه المواضع خاصة عليا وآله دون غيره
 من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فأرجو من حضرتكم التصحيح
 أو الجواب الشافي من غير مؤاخذتي لان كلامي هذا يدل على عدم علمي كما
 لا يخفى عليكم والسلام عليكم اه

(المنار) اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء فأجازها قوم مطلقا ومنعها
 آخرون مطلقا وقال بعضهم تجوز تبعا لا استقلالاً . وعن قال بالجواز مطلقا
 البخاري واستدل كغيره بالآيات والأحاديث كحديث « اللهم صل على آل أبي
 أوفى » وأجيب بأن ماورد خاص بالله ورسوله وبالثناء ابتداء وقال ابن القيم ان
 كانت الصلاة على آل النبي وأزواجه وذريته فهي مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة
 على الانفراد وان كانت على شخص معين أو طائفة معينة كرهت الخ ما قاله

واما السلام الرسول عنه فقيل انه كالصلاة وقيل لا . قال الحافظ السخاوي
 وقد اختلفوا في السلام هل هو في معنى الصلاة فيكون ان يقال « عن علي عليه

السلام» وما أشبه ذلك فكرهه طائفة منهم أبو محمد الجويني ومنع ان يقال عز علي عليه السلام وفرق آخرون بينه وبين الصلاة بأن السلام يشرع في حق كل مؤمن من حي وميت وحاضر وغائب وهو تحية أهل الاسلام بخلاف الصلاة فإنها من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ولهذا يقول المصلي: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين: ولا يقول الصلاة علينا: فعلم الفرق والله الحمد أهـ أقول وقد جرى بعض أئمة المحدثين كالبخاري وبعض كبار الصوفية كابن عربي وبعض العلماء من غيرهم علي تخصيص السلام بآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أصحاب العباء علي وفاطمة والحسن والحسين ومن تبعهم في ذلك من المتأخرين الامام الشوكاني والشيعة يلتزمون ذلك لسائر أئمتهم. والشاهد الثاني الشواهد التي ذكرت في الانتقاد علي المنار منقولة عن نيل الاوطار لا من كلامنا

﴿ قصة المولد لديع ﴾

كتب اليان من سنغافوره ان بعض الناس استاؤا مما كتبناه في المنار بشأن هذه القصة وما قاله المتهمون في شأن المجلس الذي تقرأ فيه رجاء بالغيث وجرأة على الله ورسوله أما غوغاء العوام فلا كلام لنا معهم وأما من يرى أنه أوتي نصيبا من العلم فالعلم حكم بيننا وبينه فليكتب اليانا رأييه مؤيدا بحجته ونحن ننشره مدعين له ان ظهر لنا انه الحق أو مبينين ما لدينا من الرد عليه مع الأدب والاحترام لصاحبه

﴿ المنار والشيخ محمد بخيت ﴾

بلننا ان الشيخ بخيتا يريد الرد على المنار دفاعا وهجوما وانه استعار بعض أجزاء منه لذلك . وإنه ليسرنا ذلك وتمنى لو يتفضل علينا بما يكتبه ونحن ننشره مدعين لما نراه صوابا باحثين فيما نراه خطأ . وكيف لا نسربا جابنا الى ما ندعو اليه العلماء في كل سنة وندعهم اليه بالانتقاد على ما نراه منتقدا منهم ليضطروا الى الانتقاد علينا ولو انتصارا لأنفسهم ودفاعا عنها . وقد وعدت بالدفاع عنه جريدة أسبوعية من الجرائد التي يهبرون عنها بالساقطة وهي مما لا ينظر في قولها ولا برد عليها

بني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يؤتىه الا للذين هم اولوا الالباب

الله
١٣١٥

بشرهادي الذين يستهون بالقول فيتمون احسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

قال علي الصلاة والسلام: ان الاسلام صوي و « مناراه كمنار الطريق »

مصر الخميني غرة ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ - ٢٤ ايو (ايار) سنة ١٩٠٦

مقالتان للاستاذ الامام (١)

(مقتبستان من دروس السيد جمال الدين وقد نشرهما في العدد ٤٩ من جريدة مصر التي كانت تصدر بالاسكندرية في ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٦)

المقالة الأولى - التربية

في ليلة الأحد الماضي انعقد درس الاستاذ جمال الدين الافغاني وانتظم في سلكه جم غفير من نبهاء طلبة العلم وفضلائهم وكثير من الافندية مستخدمى الدواوين ومحضر هؤلاء وأولئك شنف المسماع بمقال جليل في شأن تربية الامة وما يلزم ان يسلك من سبلها ولما فيه من عظم الفائدة رغبت في نشره في الجرائد الوطنية نعيماً للفوائد وميانياً لما انطوى عليه من حسن المقاصد قال مامعناه:

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية علم ان قوام حياتها بتفاعل العناصر الداخلة في قوامها تفاعلاً متناسباً بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالعلوية على باقيها غلبة تقتضي بظهور خواصه وتسلبها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي ما يسي بالمزاج المعتدل الحاصل لروح الحياة فإن غلب أحد العناصر على سائرهما واضطحت خواص بقيتها فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ما سواه منها كذلك يكون بمغالبة المزاج للحوادث الخارجية وتغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزية والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المنتهي الى اليبس تدمير الموت والقناء

ومن ثم وضعوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري ليعتدوا في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم ويحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويماد به المزاج الى حالة الاعتدال ان خرج عنها لتم حكمة الله تعالى في بقاء الأنواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الأزلية فالنباتيون يعينون الاراضي القابلة للزراعة والغراسة لكل نبات ويحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لا بد منه في تربية

(١) منقولتان من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهما من أول ما كتبه

النباتات وكذلك الاطباء يبحثون عن مواد الاغذية وما ذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الأهوية ومنافعها ويقفون يتجاربهم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى تحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها ولن يكون الطبيب طيبا يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعى وعلوم النباتات ليعلم خواصها، ويميز نافعها من ضارها، وعلى بصيرة من اختلاف الامرجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه وخيرا يعلل الامراض وأسبابها وكيفياتها من شدة وضعف وتاريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلاً بما يليق به فإن جهل من ذلك شيئاً كان عقله خيراً من وجوده فإن الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ يجهله يستعمل من الادوية ما عساه يهيج المرض ويعين من الاغذية ما يساعده على قسوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه محتمل الشفاء بمقاومة الطبيعة لولا مساعدة الجاهل وعونه. وكما يلزم للطبيب ان يكون عالماً بجميع ما قدمنا يجب ان يكون شقيقاً ورحيماً صادقاً أميناً لا يكون قصارى عمله ما يناله من جعل المعالجة فإنه ان كان قسياً عديم الرأفة أو كان خائفاً فلربما صار آلة في أيدي اعداء المريض يستعملونه لهلاكه بإلقاء السم في الادوية مثلاً أو اهماله في العلاج بما يقدمونه اليه من العرض الفاني وكذلك ان قصر همه على ما ينال من الدينار والدرهم فإنه ان كان على تلك الصفة لم يكثر بحال المريض مادام يوفى أجر عمله فإن هلك فقد نال ما يزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فعدمه أيضاً خيراً من وجوده وكما ان روح الحياة البدني انما يستقر حيث تجتمع اصول متضاربة ينشأ من تعالها مزاج معتدل كامل وبغلبة أحدها يفسد التركيب وينهب الروح الحيوي من حيث أتى كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة المقتدلة التي هي ركن لبنت سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة فإن تغلب أحد الخلقين على الآخر فسد نظام الفضيلة واستحكمت الرذيلة ربات شقياً سيء الحال وسقط في مهواة التعب والعناء المفضيين الى الحين والهلاك. ألا ترى ان النفس الانسانية

لا بد لها من خلق الجرأة وخلق المحافة وهما متضادان ومن مقاومتها على وجه
 متبادل بحيث يستعمل كلا فيما يليق به من المواقع تحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت
 بتغلب المحافة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن
 نفسه دفاعا وكانت حياته تحت خطر يهدده في جميع أوقاته ولو ان الجرأة تغلبت
 على المحافة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهلك لحق ولنفس
 حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فيلقي بروحه في مهاوي الملكة بلا طائل يعود
 على نفسه أو وطنه. وكذلك لا بد من خلق الامسك والبذل وهما متخالفان متعارضان
 يقوم من تغالبها في النفس فضيلة السخاء وهي البذل في موضع الاستحقاق اذا
 اعتدلا ولو ان الامسك تغلب على ضده حتى اضمحل فيه لامسك عن قضاء لوازمه
 الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية والالبسة مثلا فيضرب يده ولم يوف بحقوق
 مشاركته في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق
 بينهم ويتأذى به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفسد البخل التي لا تنحصر ولو تغلب
 البذل لأنفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيرا لا يجد ما ينقذه في
 أزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي واسطة لطرفين
 متضادين لا بد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبغلبة أحدهما على الآخر
 يختل نظام الفضيلة ولا محالة ينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية ولا
 يسعنا المقام تفصيل ذلك. وكما يقع العناد بتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس
 يقع أيضا بتغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المغذية
 للعنصر الفاسد بخالطة ذوي الملكات الرذيلة والفرائز الناقصة وانفعال النفس
 بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لاعمالهم وتقلدها بعاداتهم أو باستماع اغواء ذوي
 الاهواء وتمويهات أرباب الاغراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للافكار الرديئة
 المؤيدين للعقائد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة
 فلنفس علة وأمراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهديب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها
 عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب

ولو ازمه لحفظ صحة البدن كما بينا فالحكاء العمليون القاعون بأمر التريية والارشاد وبيان مفسد الأخلق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة النقص الى حالة الكمال بمنزلة الاطباء وكما لزم للطبيب أن يكون عالما بالتاريخ الطبي والنباتات والحيوانات وعلل الامراض وأسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طيب النفوس والأرواح اذ ارقى منبر الارشاد ان يكون عالما بتاريخ الامة التي قام بإرشاد أبنائها وتاريخ غيرها من الامم أيضا وأن يكون مطلعا على درجات ترقيا ودرجات تدنيا في جميع الازمان وان يسبر أخلاقها بمسار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء وتمكنه فيهم وانه حديث أو قديم قوي في النفوس أضعيف وما هو العلاج اللائق بكل صنف. وكما انه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الأعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالما بمنافع الأخلق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع. وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقارحيا صادقا أمينالا ينظر الى الدنيا ولا ينحط الى المقاصد السافله كذلك على النصحاء والمرشدين ان يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولي مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بمطام الدنيا ولا بالتقرب والتزلف الى الامراء والكبراء

أولئك هم المرشدون الحقيقيون فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزقت بمطبين لا أطباء، بأن صعد على منابر النصح فيها الجهلة والاعبياء، والسفلة والادنيا، فأندرها بالعناء والشقاء، فإن المرشد الضال والنصح الجاهل يودع النفوس رذائل الأخلق باسم انها فضائل ويفرس فيها جرائم الشر باسم انها أصول الخير ولربما كان مقصده حسنا ولا يريد الا خيرا ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ويبعده عن اتخاذ وسائله فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فإن ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلججه وصاحب الاول قد بعد عن المقصد بمراحل واستر تحت نغم الرذيلة واعتقد ذلك ظلا ظليلا فلا يمكن العدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل فلا ريب كان عدم هؤلاء المرشدين خيرا من وجودهم وكذلك ان كان خائنا أو دنيا ينحط الى سفاسف الامور أو عدم

الشفقة والانسانية فإنه يتخذ النصيحة سلماً للوصول الى اغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلا يبالي أوقع الافراد في خير أو شر، صفت النفوس أو تكذرت، ارتفعت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أو اعنتت، فيكون آلة بيد الاشرار وأولي الاهواء يستعملونه في فساد الامة والعشيرة لقضاء أوطارهم الا وان القائمين بأمر الارشاد يحصرون في قبيلين قبيل الخطباء والوعاظ وقبيل الكتبة والمصنفين ومنهم أر باب الجرائد فإن كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام، والتبجيل والاجلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وأبناء بلادهم وإلا استحقوا الرفض والطرده والإبعاد ووجب على من يهمهم أمر الاصلاح ان يقذفوا بهم من البلاد كي لا يفسدوها بمرضهم الوبائي الذي لا يقتصر ضرره على المبتلى به بل يهداه بالسراية الى كل ما سواه

المقالة الثانية - الصناعة

قد عاد حضرة الأستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد جمال الدين الأفغاني الى التدريس بعد فترة تزيد مدتها عن سنة وابتدأ حفظه يقرأ شرح إشارات الرئيس ابن سينا في الحكمة العقلية وهو كتاب جليل يحتوي من هذا العلم أصولاً جليلة غرست أصولها في بلاد المشرق من مدة تقرب من ألف سنة الا انها نبتت فروعها في المغرب واجتذبت ثمارها لغير غارسها ولم تنزل في بلادنا على كيتها واجمالها لم تخرج نتائجها العقلية من حد القوة الى الفعل الا أن هذا السيد الفاضل قد جمع في تدريسه بين تدقيق الشرقيين وبسط الغربيين يجمع الى الاصول فروعها والى المقدمات نتائجها والى الجملات تفاصيلها باناً جميع أقواله على البراهين الثابتة والحجج القوية ولما كانت دروسه العالية عظيمة الفوائد جمة الثمرات للمعوم وأيت من الواجب قياماً بالخدمة الانسانية ان أودع بعضها قوالب العبارات اللاتقة بها وانشر طيب وفدها في صحف الجرنالات لتعم الفائدة والله يتولى التوفيق بين حفظه الله وأثبت ان الانسان نوع من أنواع الحيوانات الارضية

(لا كما يزعمه أرباب الاوهام كالصينيين وقدماء الفرس من أنهم من أبناء السماء فليتكلم من له فطنة) وأنه قد أتى عليه حين من الدهر وهو على مقربة منها ينشأ نشأها ويسير في عيشه سيرتها يتفياً ظلل الأشجار، ويستكن في الجحرة والاوكار، ليس له شعار ولا دنار، (ولكن خفيف أثمار) يقتات بنباتات وثمرات تخضرها له القدرة الآسفة، على يد القوى الطبيعية، لا تمسها يد صناعية، ولا تربية أجنبية، ليس له من المكر والتحيل إلا ما لا يداني فيه الثعلب، ولا من العلم والتدبير إلا ما يبعثه على الغدو لطلب قوته من الأعشاب وثمار الأشجار والرواح للاستكنان في كنيّ يواريه عن أعين الحيوانات العادية، والفرار من المكاره الحسية، كما تفر الشاة من الذئب، والارنب من الثعلب، ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه على كرسي سلطنة الوجود، وبقية متحكماً في كل موجود، ويذعوه للحكم بأنه خلاصة العالم ومنتهى سبر الحقائق وعماد عالم الكون وأن جميع البسائط والمركبات إنما خلقت لأجله، والكواكب والسيارات إنما تتحرك لخدمته، بل كان ضعيفاً عاجزاً جاهلاً حافياً عارياً يزعمه كل حادث، وتستقره كل نبتة، ويتهب من كل شكل وهيئة، والشاهد على ذلك ما تحكيه لنا أحوال الأمم التي كأنها قريبة عهد بالانسانية في جنوب أفريقيا والقبائل المستمرة في قمم الجبال والاجم والغابات البعيدة عن العمران البشري المعروف الذين لم تضطرم الحاجات ولم تسقم الضرورات الى الانتقال من مكان الى مكان فإنهم لم يزالوا على سذاجة الحيوانية وبساطة الفطرة لا يفهمون خطاياهم. ولا يحسنون جواباً، إلا ما كان متعلقاً بضرورة الحياة كطلب قوت بسيط ومدافعة عاد من الحيوانات وجميع ما يعده الانسان المتمدن كالأوانسانية فهم بعيدون منه، عارون عنه، مع بعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم على سطح الارض

إلا أن مبدع الكون جلت قدرته لا يختص هذا النوع من بين الأنواع الحيوانية بخاصة العجز والفقر والحاجة حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه لا تحصل إلا بالتحصيل وليس تحصيلها إلا بعد الكد والعناء وهبه قوة عاقلة كلية التصرف، عامة القبول، ووكّل تربية هذه القوة الى تعليم مدرسة الوجود الكلي فكان لكل نبات وحيوان بل لكل موجود مشهود حتى الاستاذية وسابق الفضل

على نوع الانسان فاسترشد بأعمالها، واهتدى بآثارها والنقط درر الحكم من فعلها وانفعالها، وتدرج في ذلك شيئاً فشيئاً تارة يخطئ وتارة يصيب، وطورا ينجلي له الحق وآخر عنه يفيب، مرة تعوقه العوائق القدرية والارادية عن ادراك الحقائق والوصول اليها، وأخرى تجذبه الجواذب اضطرارا للوقوف عليها، حتى وصل الى ما تراه من أحواله الغريبة، وآثاره العجيبة،

ثم بين حفظه الله كيف كان يتأب الانسان في سيره هذا ويقطع عقبات المصاعب، ويخترق حجب الجهالات، منقادا في جميع ذلك لقائد الحاجة والضرورة يأتمرها، ويتبع سيره، تارة يتدرج الى الكمال فيقدمه مقعد رئاسة الكون، وسلطنة الوجود، بما يرشده اليه من التقين في الفنون واختراع الصنائع، وأخرى ينحط به الى قعر جحيم الاوهام، ويقذف به في جب الخرافات، ويكبله بقيود الاعتقادات السخيفة، ويفل يديه بسلاسل العادات والافكار الرديئة، على ان جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة انما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره على ما يصدر عن ذاته (الشريفة) حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته على تفصيل طويل في ذلك مستشهدا في تبيانها بشواهد أحواله الآتية المشهودة، مستدلا بجميع أعماله المنقولة الممهودة

وانه في جميع مراتبه لم يكن ليقيم ظهره بين الموجودات الا بدعائم الصنائع التي هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية، لتكون له عوضا عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكمالية، التي منحت لغيره من الحيوانات بأصل الفطرة، وليس ذلك بخاف على ذي شعور فإن صنعة الحياة مثلا قائمة مقام القوة السامكة للجلود الغليظة المفترزة للأشعار والابواب الواقية لما أحاطته من صولة البرد والحر بل القائمة مقام ترس يحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غيره، وصناعة المدد والاسلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخالب والبرائن والآليات السباع والطيور وعوادي الطيور وهكذا بقية الصنائع وما لم يتم منها مقام ضروري أرحاها من مقام كمال على ما يتضح لك بعد

وإذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع وتلبيها مساندة بقائه في بيئته كانت رأينا من الواجب ان نعرف الصناعة ونقسمها الى أقسامها الانسانية

ما قرره الحكماء الاقدمون، وأوضحه الفلاسفة المتأخرون، لثبته شرف كل صناعة على وجه الاجال فنقول

الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات والقوة منشأ الاثر مطلقا فعلا كان أو انفعالا فالعلم مثلا ذو قوة الفعل والتعلم ذو قوة الانفعال الا ان قوة التأثير والقبول لا تمد صناعة ومن أجل ذلك قيدت بالفاعلة وليست قوة فاعلة صناعية ما لم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر عنها أعمال مستمرة على وجه منتظم فالقوة الحالية التي تعرض آنا وآنات ثم تزول ليست منها في شيء، وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة كالأفعال الطبيعية من احراق النار وتمديد الحرارة وتجميد البرودة وما شا كل ذلك فان لم يكن الفكر صحيحا كفكر السوفسطائي المنكر لبداهيات العلوم أو كان نحو غرض غير محدود الذات كأعمال الجدلي الذي أخذ على نفسه ان لا يهرق قولا لقاتل ايا كان حقا أو باطلا فليس له حديقف عنده بل قوته متوجهة الى ممارسة مقابله فان كان نافيا كان هو مثبتا وان كان مثبتا كان هو سالبا فليس بصناعة

ثم ان نظر في عالم الوجود الكلي علم اليقين انه وان وقع كثير من صورته وكالاته تحت قوى طبيعية كقوى النمو والجذب والدفع أو قوى احساسية كقوى طلب الغذاء مثلا في الحيوانات أو الهرب مما يؤلم الجئان الا ان عامة أفعاله واقعة على ترتيب عقلي محكم ونعني بالترتيب العقلي ما يكون مبنيا على مراعات الغايات والحكم وفوائد الكمال التي تعود على نظام الكل وتبقى ببقائه فان العقل على خلاف الحس انما ينظر الكلي الباقي أولا ثم يتدرج منه الى الجزئي لا العكس

وان واضع هذا النظام العام قد خول الانسان من قوة العقل ما لم يخوله غيره وجعلها محور صلاحه وفلاحه ان وجهها صوب وجهتها الحقيقية فان استعملها لغايات طبيعية أو حسية أي قاصرة على موضوعها المودعة فيه لا تفيدسواه كأن يطالب بها تنجية بدنه أو جلب ما يلائم ذائقته أو مهامته وما يشبه ذلك فقد أضاع تلك القوة

العالية الشريفة وسلخ عنها ثمرتها وأنحط الى درجات الحيوانات بل النباتات التي لم تمنح تلك المنحة الجليلة واما من حفظ نفسه من السقوط وامسك عليها حق تلك الخاصة أعني العقل فهو الذي ينظر إلى كاية العالم الكبير فيعلم ان نوع الانسان وسائر الانواع من لوازم كماله أو ممتاعه فيتوجه نحو حفظ ذلك الكمال ويوقن ان نوع الإنسان لا يحفظ بقاؤه في عالم الوجود الا بحفظ أشخاصه على التعاقب كما نبأنا اللطيف الخبير بما أودعنا من القوى المولدة والمصورة ويتحقق ان حفظ أشخاصه وافراده إنما يكون بالاجتماع والائتام لما لكل فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن ان يأتي عليها في الازمنة المتطاولة مع اضطراره الى جميعها في الآن الواحد كما تراه في مواد الأغذية التي لا تحصل الا بزراعة وحصاد ودرس ثم طحن ثم عجن وخبز وطبخ وهلم جرا وجميعها أيضا يتوقف على صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوها ولوازم الاكتساء من العرى وضروريات المدافعة والمكافحة مع ضواري الحيوانات كل ذلك لا يكون الا بأعمال نستفرغ أجل الشخص الواحد في تعلمها فضلاً عن تحصيل غايته منها فكيف به ان يستقل وهو محتاج الى ثمرات جميعها يوماً بل ساعة بساعة فلا بد من التعاون في الاعمال ليعتاض كل عن ثمن عمله بشرة عمل الآخر فيكون المجموع الإنساني كبدن ذي أعضاء ويمثل كل عضو منه للبدن لتكون عاقبته لنفسه اذ لو طلب الاختصاص مع انه لا بقاء له الا في ضمن المجموع - فقد طالب فقد نفسه من حيث لا يشعر فاذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضواً حقيقياً وركناً ثابتاً يقوم بأداء عمل يعود على كاية الافراد أولاً من طريق كايتهم و يعود الى شخصيته ثانياً ومبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسميه بالصناعة فمن لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الإنساني ويعين على انتظام الهيئة الكلية فهو كالمضو الأشل لا فائدة منه على البدن الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته فالاولى ابانته وقطعه بل ان كان لا يعمل ويسعى الى بقية الافراد في عدم العمل كالا باحبة الذين يعتقدون انه لا ملكية لأحد في مال ولا عرض حيثما جاءوا أكلوا أو شبقوا واقعوا و يثون أفكارهم بين افراد النوع ليقتمدوا بأعمالهم ويسيروا بمثل سيرهم فيتركون الأعمال اتكالا على ما بيد الغير

حيث انه مباح لهم فان تغلبت أفكارهم بطلت الصنائع وذهب ما بيد الغير وما بأيديهم فيحتاجون الى الضروري من الاقوات وغيرها ولا يجدون فيهلكون فأولئك كلاً أمراض السارية مثل الجذام والزهري لا بد من قطع العضو المؤف « المصاب » بها وإلقائه في النار لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن ومن هذا القبيل الفساق والفتجار وان لم يكونوا باحيين فان أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتى من أولئك فينبغي ان يعاقبوا ويؤدبوا ويحال بينهم وبين أعمالهم هذه بكل ما يمكن وان كان بالتعذيب حتى يستقيموا أولاً يقيموا

ومن الناس من مثله مثل الأمراض الغير السارية والاعضاء الزائدة كمن أصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الاشغال كالكسحاء والبله والمعاتيه فلا بد ان يتحمل ثقلهم ان لم يمكن استشفائهم فراراً من ألم القلب عند اختراهم واقطاعهم لما لهم من العذر القائم اذحيث ان مدبر الكون قد حرّمهم عطاء العقل أو عطل فيهم آلات خدمته فهو غير مطالب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه الا ان الحق الأعلی قد بث في النفوس وأودع في القلوب النفرة الكلية من هؤلاء وأولئك الذين لم يقوموا بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الإنسانية فهم مبعوضون في النفوس مطرودون من زوايا القلوب ساقطون عن نظر الاعتبار بل هم ملعونون من أنفسهم أيضا اذ يجد كل واحد منهم من نفسه عند ما يخاو بها انه خسيس منحط الدرجة رديء العاقبة وان كان شقاؤه يغلب عليه فيما بعد فانظر الى حكمة ربك كيف تنبه الغافل وتوיד العاقل ولكن أكثرهم لا يعقلون

واما ذوو البطالات ومن رفضوا الأسباب ووكوا أنفسهم الى التوكل الكاذب اذ لم يتحققوا معنى التوكل وظنوا انه عبارة عن معارضة سنة الله التي قد خلت في عبادته ودعوا ذلك تبسلا واقطاعا عن عالم الظاهر مع أخذهم لكشكول النكفف وخلعهم لجلباب التعفف فهم بمنزلة شمر الإبط لا ينشأ عن تكاثفه سوى عناء الحك واستجلاب بعض العقوبات ان لم يتعهد بالتطهير ويسحب ازالتهنم وثنقية الهينة الاجتماعية من درنهم فإن بلغ من أمرهم ان يتخذوا ذلك أمرا يدعى اليه

وذهبوا في الناس يحولون وجوههم عن الأعمال ويقلدون أعناقهم سبوح المكر والحيلة ويسر بلوهم بسر ايل التمويه والتزوير ويفرونهم بتأبط هراوة الشر واقتناء قدح الطمع يودعون نفوسهم اخلاق الشيطان من حب الرئاسة الكاذبة وطلب الدنيء من الدنيا من كل وجه والحقد والحسد والعداوات وغير ذلك ويحجبون ذلك بأستار من التلبيس (الفسير المنتظم) ثم يوصونهم أن أخرجوا أيديكم من تحت تلك الأستار طالبين انتهاب أموال الناس والاستثمار بشمات اكتسابهم باسم انهم وأنهم وأنهم (كما ترى) وجب إلحاقهم بالباحين وتحتم على كل ذي شعور من بني النوع ان يسعى لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم كيلا يفسدوا أفكار العامة وأعمالهم ويهودوا بل ذلك كله على العامة والخاصة معا وبالجملة حيث تبين ان لا قوام للانسان الا بالصنعة فمن أدخل بوظائفها أورامها بالنقد فقد عمد الى هدم بنيان الانسانية فليها ان تطرده من أبوابها وتمحو اسمها من كتابها

ثم ان الصنعة على التعريف المتقدم تنقسم الى اقسام اما نافعة ضرورية أو غير ضرورية وإما أن تكون كثيرة النفع أو قليلة أو ممتمة لفعل الطبيعة أو مزينة له فالقسم الاول كالحدادة لأنها مما يحتاج اليه جميع الصناعات العملية والثاني كتهضر الثياب مثلا والثالث هو ما يكون الغاية منه نفع الانسان لا غير كالحكمة التي هي مقننة التوازن وموضحة السبل وواضحة جميع النظمات ومعيينة جميع الحدود وشارحة حدود الفضائل والرذائل وبالجملة فهي قوام الكالات العقلية والخلقية ومن هذا القسم الحكومة العادلة والرابع (أي الذي هو خير بالواسطة) كالزراعة والكتابة فإن لما غايات سوى نفس الانسان لكنها تؤول اليه والخامس (وهو الكثير النفع) كالنجارة والنجارة مثلا والسادس كصناعة الصيد وما شاكلها والسابع كعلم الطب المتمم لأفعال القوى الحيوانية المساعد لها على اتمام وظائفها والثامن كالصبغة والنقش والتلون وغير ذلك ثم ان شرف كل صناعة وكل فن بهجوم موضوعه وشمول غايته وان أعمم الاقسام موضوعا هو صناعة الحكمة لما بينا من انها الباحثة عن كل ما يلزم للانسان اتخاذه في أعماله وافكاره واخلاقه فهي أشرف الصناعات والحدادة وان كانت عامة لكنها من الحكمة بمنزلة الخادم المنقاد من السيد الحاكم الأصرا

الشيخ محمد عبده

(هذا عنوان الفصل السابع من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٥ قال)

اختلقت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر اريد به الشيخ محمد عبده فأجبت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو أن مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أتت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المنضوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة المرابية . غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبعا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فاصبحت مشورته ومعاوته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة تضامه من علوم الشرع الاسلامي مع مابه من سعة العقل واستنارة الذهن واذ كر مثالا على نفع عمله الفتوى التي افتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تسمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تسمير أموالهم فيها من غير ان يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء (١)

أما الفقه التي ينتمي اليها الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فمروفة في الهندا أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد

(١) قد علم قراء المنار من قبل أنه لما قال الاستاذ الامام بذلك جمع الامير طائفة من علماء المذاهب عنده فنظروا واتفقوا على الطريقة وكتبوا ما قدمه الامير للحكومة وهي عرضته على المفتي وعملت بما أقره

أحمد الشهير الذي انشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً والفاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير ان يزعموا أركان الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني . فمعلمهم شاق وقضاؤه عسير لأنهم يستهدفون دائماً لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين

اما صريده والشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون فهو صوفون بالذكاء والنجابة واكثرهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المليية بمنزلة الجير وندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المنتطعون المحافظون على كل أمر قديم برؤسهم بالضلال والمخروج عن الصراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسرون بهم في سبيلهم . والمسامون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة . فهم وسط بين طرفين وعرض انتقاد الفريقين عن الجانبين كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين إذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه البئنة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ما إذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً . وعسى الهيئة الاجتماعية ان تقبل آراءها على توالي الايام اذ لا ريب عندي في ان السبيل القويم الذي ارشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير

منه ابني ملتهم اذا ساروا فيه . وأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف
وتنشيط من الأوربيين

واعلمهم يجدون بعض التنشيط من نقلي قولاً لرجل من أهل دينهم
وصف فيه المعارضة التي لقيتها مدرسة عليكده السكاية المذكورة آنفاً
والطريقة التي تغلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ما وصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين في الهند بتعلم العلوم
منذ أربعين أو خمسين سنة قال «وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين
من قلة تقدم المسلمين في تعلم العلوم المالية غير أنهم كانوا مستائين من
أنفسهم أيضاً ومتحسرين على العلوم التي أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن
يكتفي بالتشكي والتدمير ويقتصر على اللوم والتعنيف بل انهم لما علموا علة الشر
وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضاً فأنشأوا جمعية شيخها
السيد أحمد خان الذي قضى العمر مجاهداً في سبيل تهذيب العقول بالعلوم
والمعارف وجعلوا غايةها العظمى البحث عن وجوه الاعتراض التي يعترض
بها المسلمون على التعليم الذي تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفة التعليم
الذي يرجون استبداله به . فالتضح لهم ان الرجوع الى أساليب التعليم التي
كانت متبعة في الشرق قديماً أضحى ضرباً من المحال . ورأوا على ما بهم من
الأكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب
التي توارثوها عن آبائهم ان التعليم الذي يرقى قومهم الى درجة تلامم
التمدن المحيط بهم ويردهم الى مقام يشعر فيه بنهوذهم وتأثيرهم انما هو التعليم
البنوي على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الابواب ، الدقيق الدروس ،
المحب الى المتعلم كل أمر بديع عجيب في علوم البلدان الأخرى وآدابها

وقلمنتها فكانت هذه السمة منهم في العقل والاصالة في الرأي اعظم خطر على مشروعيهم في بادىء الامر لانهم لو دعوا جموع المسلمين الى قبول رأيهم المبني على مبادئ لا تخالف الدين الاسلامي بالذات بل تخالف التفاسير التي يفسر بها اكثر المتدينين به لاستفزت الدعوة جموع المسلمين الى المعارضة واقامت على الجمعية القيامة . وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصبر عليه لا تتظارها الفوز في النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئا فشيئا امام شجاعة المصاحين وثباتهم ثم ايدهم رجال خطيرو الشأن مثل المرحوم السرسار جنك تأييدا ماديا من جهة ومعنويا من اخرى في اعتبار الذين يعدون الاسم العظيم ضمانا عظيما . وكان أعضاء هذه الجمعية متخلفين بأخلاق تجلبهم وتزههم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا أعداء خصومهم الى أشد الأتصار غيرة عليهم . وقد مضى ثلاثة عشر عاما (١) على اجتماع الجمعية لوضع مشروعاتها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالا في نجاح مساعيها لم يكونوا يتصورون أنها تنجح النجاح السريع الذي عاشوا حتى شاهدوه « انتهى اه

أقول في تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس وبلوخستان وبلاد العرب وأوغندة ومويتوس ومستعمرة الرأس ويقيني أنه لو قصدتها الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأنزلوا على الرحب والسعة

(وقال في أواخر الفصل الذي تكلم فيه على المحاكم الشرعية (ص ١٣٢) ما نصه:
 « هذا واني أوافق السر ملكوم مكريث على ما قاله عن الضربة
 الثبيلة التي أصابت الاصلاح من هذا القبيل بموت المرحوم الشيخ محمد
 عبده فقد اشرت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا
 التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه
 لا يخور عزائمهم بفقده بل يظهرون احترامهم لذكراه «سن اظهر بترقية
 المقاصد التي كان يرمي اليها في حياته» اهـ

أما ما أشار اليه من كلام السر ملكوم مكريث المستشار القضائي في تقريره
 عن المحاكم فيها هو بنصه

ولا يسعني ختم ملاحظاتي على سير المحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن
 أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في
 شهر يوليه الفائت وان أبدي شديد أسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت
 هذه النظارة بفقده فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق بالشرعية
 الإسلامية والمحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيرا للتزود من صائب آرائه
 والاستعانة بمساعدته الثمينة وكانت آرائه على الدوام في المسائل الدينية أو
 الشبيهة بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيرا ما كانت خير معوان
 لهذه النظارة في عملها. وفوق ذلك فقد قام لنا بخدمة جزيلة لا تقدر في مجلس
 شوري القوانين في معظم ما أحدثناه أخيرا من الاصلاحات المتعلقة بالمواد
 الجنائية وغيرها من الاصلاحات القضائية اذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة
 ونياتها ويناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك
 وانه ليصعب تعويض ما خسرناه بموته نظرا لاسمو مداركه وسعة اطلاعه

وميله لكل ضروب الاصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظيفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تسكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فإنه يتعذر وجود أحد غيره حازر للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلذلك هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحقاينة ستظل زمناً طويلاً تشعر بخسارتها بفقدانها كلام المستشار

العبرة في كلام اللورد كرومر

من تأمل كلام اللورد في هذا الفصل وتلك الشذرة استفاد منه ضروباً من العبرة والحكم تدل على ان هذا الرجل الاجتماعي الكبير قد علم من شؤون المسلمين — وهو أجنبي — ما لم يعلمه الرؤساء من علمائهم وأمرائهم ، فضلاً عن أوساطهم ودهمائهم ، فربما ان نبيين ذلك مع شئ من الشرح والرأي

العبرة الاولى بآبائه لخال المسلمين

ذلك انه قسم المسلمين الى ثلاثة اقسام — (الاول) المتنطعون المحافظون على كل قديم جزوا عليه وهم السواد الأعظم ونقول انه قد بلغ من تنطعهم في جمودهم على ما ألفوا ان كان من أشد الصعوبات التي لاقتها الدولة العلية في سبيل التعاليم العسكرية في طرابلس الغرب محافظة الأهالي على زيئهم المعروف وحسبانه من أمور الدين وإن أهل مراکش لأشد تنطعاً وجموداً على ذلك ولا يخفى على من شاهدوا حركات العساكر في الحرب أوفى التعليم أن لبس البرنس والرداء المعروف بالحرام من عوائق خفة الحركة وموانع اتقان كثير من الأعمال التي تتوقف عليها البراعة العسكرية . ولا يختلف عاقلان في كون البراعة في الأعمال العسكرية ومن أهمها خفة الحركات والنظام في النقل والانتقال هي أعظم أسباب الفوز والظفر . فهذه

عادة ليست مما توجبها عقائد الدين ولا عباداته ولا فضائله وآدابه قد صارت عقبة كودا في طريق رقي المسلمين ، وعزة الاسلام وحماية الدين ، فما بالك بغيرها من العادات ، التي تقوم على إلحاقها بالدين بعض الشبهات ، وهذا القسم من المسلمين تابع في صلاحه وفساده لتسيوخ العلم الديني وشيوخ الطريق الذين ينتمون إلى الصوفية فهو لا يصلح الا اذا صلحوا وأصلحوا أو زال اعتقاده بزعامتهم الدينية وقبض له بعد ذلك مصلحون آخرون .

(القسم الثاني) المتفريجون الذين ليس لهم من الاسلام الاسم والله دره ما أدق فكره اذ عرف أنهم مارقون من الدين ساقطون من نظر الاعتبار لاقية لهم في أنفسهم ، ولا صوت لهم في أممهم ، وسنعود الى ذكر ذلك

(القسم الثالث) المصلحون الذين يريدون إصلاح حال المسلمين الاجتماعية مع المحافظة على الدين لهم ان كل فساد طرأ عليهم فمنعهم عن مجازاة الامم في أسباب العزة والقوة انما هو من العادات والبدع لا من جوهر الدين .

وقد ادرك اللورد بصائب فكره ان هذا القسم هو الوسط الذي يرجي خيره بين المتطمئين في جمودهم والمتهتكين في تفريجهم . قال ان هذا الحزب معروف في الهند أكثر مما هو معروف في مصر وان منه السيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكده الكلية منذ ثلاثين عاما . ونقول ان الزمن الذي قام فيه أحمد خان بعمله هذا هو الزمن الذي كان السيد جمال الدين الافغاني يبذر فيه بذور الإصلاح في مصر بمساعدة الشيخ محمد عبده الذي تلقى عنه وتخرج على يديه (وترى في هذا الجزء مقالاتين من المقالات الإصلاحية التي تلقاها عنه ونشرها في جريدة مصر التي كانت أنشئت بارشاده) وكان السيد جمال الدين فيما نظن أقدر من السيد أحمد خان على الإصلاح لولا أنه فطن بالسياسة فحالت دون إتمام عمله في مصر ولم يتمكن من عمل يدكر في غيرها سوى ما كان يكتبه في أوربا من المقالات الموقظة . لذلك كان الاستاذ الإمام جازما بأن مسألة السياسة واتقاءها شرط للتمكن من الإصلاح كما بينا في ترجمته . وغرضنا من هذه الكلمات بيان أن مسلمي الهند لم يسبقوا مسلمي مصر الى الاشتغال بالإصلاح وانما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية التي أسسها أحمد خان وقد عزم الاستاذ

الامام أن يؤسس في مصر مدرسة خيرا منها لكن المنية عاجلته قبل ذلك فقدمت قبل وقته كما قال اللورد وقال كل عاقل عرفه

وليعلم مسلمو مصر أن مدرسة العلوم في عليكده لم تنجح الا لأن مؤسسها كأوامن عهد زعيمهم السيد أحمد خان الى الآن على وفاق مع السلطة الانكليزية وتحسين الظن بها فكانوا خيرا للثمة ممن جعلهم سوء الظن والكراهة بين معاد لعلوم الافرنج الزافمة وبين خائف من كل عمل نافع للثمة، وأن الاستاذ الامام كان على هذا الرأي أي أنه لا بد لنا من العمل النافع للاسلام والمسلمين مع تحسين الظن بأن الانكليز لا يعارضوننا في ذلك ولا يمنعونا مما ننفعا الا اذا ادخلنا فيه السياسة وقصدنا مضارهم ومقاومتهم وحينئذ نكون اضرر على انفسنا وأنفع لهم كما هي سنة الله تعالى في كل جاهل ضعيف يقاوم عالما قويا . وسأوضح هذه المسألة في موضع آخر

اماما أشار اليه اللورد من معارضة المسلمين للسيد أحمد خان وحزبه فلا يتوقع نظيره من مسلمي مصر فان أولئك كانوا يعادون جميع العلوم التي يصفونها بالجديدة أو بالأوربية ويهدونها آفة الدين والمصريون ليسوا كذلك وانما كان المنتظعون من أهل الجود يخافون الاستاذ الامام على الدين من جهة تعليمه للدين اذ كانوا يظنون انه ينصر مذهب الفلاسفة أو المعتزلة على مذهب أهل السنة فلما قرأ العقائد والتفسير في الأزهر زال ذلك الظن بتادي السنين وعلم أهل الأزهر كافة أنه ينصر مذهب السلف على كل مذهب يخالفه ولا يقدم على ما نطق به الكتاب ومضت به السنة النبوية قولا لقائل . فاحصرت بعد ذلك معارضة الاصلاح الذي كان يحاوله فيمن يعرف اللورد وغيره من أهل البصيرة أنهم انما يعارضونه لاسباب شخصية بل صرح اللورد بذلك . لهذا كان كل شيء يخترعونه للطعن فيه يكون سببا لزيادة عرفان الناس بفضله حتى ان السواد الاعظم من الأمة المصرية صار معه في اواخر مدته . ولا ينافي هذا قول اللوردان مردي الشيخ واتباعه الصادقين قليلون فانه يعني بهذا الصادقين في طلب الاصلاح والعارفين بطرقه وهم قليلون بالطبع ولكن الذين يوافقونهم ويحسنون الظن في طريقهم كثيرون جدا بل هم الاكثرون فمسي أن يوفقهم الله المضي في العمل الذي كان امامهم متوجها اليه وعند ذلك يظهر

صدق قولنا لاسيا اذا علم الناس ان الحكومة وما وراءها من القوة راضية أو غير
ساخطة على عملهم

بلغ من مقاومة السيد أحمد خان ان كان يطعن فيه على المنابر واستغنى بعض
علماء الحرمين في أمره فأفتوا بكفره ولم تباع مناهضة الاستاذ الامام في شدتها هذا
المبلغ. ذلك بأنه كان أقدر على الاحتجاج بالدين لما يدعو اليه وأبعد من السيد
أحمد خان عن الشذوذ وان مناهضيه أقل غباوة واضعف ارادة والأمة انبه منهم
وأقرب الى قبول الاصلاح من أهل الهند

العبارة الثانية ثناء على الامام

صفوة العبارة الاولى ان اللورد عارف من أحوال المسلمين مالا يعرفه أمراؤهم
وعلماءؤهم فيعتمد بقوله فيهم. واما العبارة الثانية فتريد بها ما في ثمانه على الرجل وحزبه
من الانصاف وعرفان الفضل لأهله وما في تنشيطه لهذا الحزب من قصد الخير وقد زاد
هذا الثناء قيمة صدوره بعد نشر كتاب (مصر الحديثة) الذي وضعه كاتب افريقي
اسمه (غورفيل) وطبعه بالعتين الانكليزية والفرنسية وقد اشتهر الكتاب بفصل فيه
معزوا الى فقيدنا المرحوم فيه انتقاد شديد على الحكومة المصرية والمحتملين الذين
يدبرون أمرها ويدبرون دفتها وقد ترجمتها أكثر الجرائد العربية اليومية ولكن الرجال
العظام تبني أحكامها على الصفات والأعمال، لا يصددها عن مقاصدها قيل وقال،
واللورد ونظار الحكومة ومستشاروها قد تعودوا من فقيدنا المرحوم قول الحق الذي
يعتقده في كل ما يخاطبهم به خطابا رسميا أو غير رسمي وناهيك بتقريره عن المحاكم
الشرعية وبمناقشته لناظر المعارف في مجلس الشورى في انتقاد التعليم بمدارس
الحكومة. وقد كان اللورد العظيم يصع آراءه غير الرسمية موضع الاعتبار كراهية في ضرر
إلغاء النيابة العمومية وكانت الحكومة قد عزمت على ذلك وكادت تنفذه فرجعت عنه
فهل يعتبر بهذا رجالنا الذين يمنهم الجبن ان يقولوا لكبراء المحتملين ما يعتقدون
في المصالح والأعمال؟ ألا يكفيهم ثناء اللورد والمستشار القضاة على الاستناد
الامام بما أنشأ به بعد موته واحترامهما وسائر كبراء المحتملين له في حياته برهانا على
أن القوم رجال جدد يجلسون من يقول الحق في السر والجهر ويهمل بالاخلاص

في الخفية والعلن سواء وافق رأيهم أو خالفه ما لم يكن حربا لهم، وأنه لا قيمة لأهل الدهان والرياء في أنفسهم وحسبنا هذا الايجاز في هذا المقام هذا وليعلم الذين يقولون ان اللورد لم يكتب في الرجل أكثر مما يجب أو ينتظر أولم يوفه حقه ان تقرير اللورد ليس تاريخا لمصر ولا كتابا في مناقب العلماء والحكام وإنما هو تقرير رسمي عن مالية مصر والسودان وإدارتهما وحالتهم العمومية فالذي ينتظر ان يقال فيه عن مفتي الديار المصرية انه رجل جليل مصلح قد قام بأعماله في الحكومة خير قيام، أو ما في معنى هذا الكلام، ولكن اللورد قد زاد على ذلك ما رأيت في الكلام عن حزب الرجل وتفضيله على سائر المسلمين وتنشيطه وحثه على ترقية المقاصد التي كان يرمي اليها إمامه وإتني رأيت مردي الاستاذ الامام شاكرين اللورد ما كتبه قادرين إياه قدره راجين ان يصدق عليهم ظنه الحسن

المرة الثالثة حثه الأروبيين على تنشيط هذا الحزب

اني لأعلم ان من الناس من يعجب لقول اللورد « فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين » وبعضهم يضعه موضع الظنة لاعتقاد المسلمين أن الأوربيين أعداء لهم لا يريدون لهم اصلاحا ولا خيرا ما وإنما يريدون الخير لقومهم خاصة فكيف يحث اللورد أهل أوربا كافة على تنشيط حزب مصلح ينفع المسلمين بل لا يفهم غيره كما قال والجواب عن هذا الاشكال لا يفهمه الا من عرف كنه الفتح أو الاستعمار الأوربي وقد سبق لنا فيه قول ونقول هنا كلمة وجيزة فيه .

ان غرض الأوربيين من كل بلاد يدخلونها بالفتح أو باسم الحماية أو الاحتلال الموقت أو غير ذلك من الاسماء هو الكسب ولا ينمو الكسب الا بالعمارة وهم يحبون عمران البلاد التي يتبوؤونها ومن ثم سموا ذلك استعمارا، وعمران كل بلاد إنما ينمو ويعظم على قدر اتفاق أهلها مع المستعمرين عليه وهذا الاتفاق يتوقف على أمور أولها في المرتبة معرفة كل من الفريقين الآخر ليكون في وفاقه وخلافه على بصيرة ومن كان أعلم بالآخر كان أحدر بالفوز عند التنازع مع تساوي القوة

فكيف إذا كان الأعم هو الأقوى . ولكن الأوربيين لا يحبون ان ينازعوا ويقاوموا وان كانوا واثقين بالظفر لان ذلك يقلل من كسبهم . ومضى قبضوا على ناصية السلطة في بلاد أمنوا من مقاومتها بالقوة وأحصر حذرهم في مقاومة الأمة لهم بالفتن فإن كل عمل يراد في البلاد يعسر تنفيذه اذا كان سواد العامة مقاوما له فاذا كان هذا السواد بحيث يخشى خروجه على السلطة كانت موارد الكسب على خطر ثم ان الأوربيين يرون أن أعظم مثار للفتن التي ربما تنفضي الى الخطر على موارد كسبهم الذي يطلبونه بنشر مدينتهم وباستعمارهم للأرض هو ما عليه عوام المسلمين من الاستعداد للتهيج باسم الدين ورب هيجة شومى يقوم بها بعض الدجالين الذين تعتقد العامة صلاحهم أو بعض زعماء السياسة تذهب بعمل سنين طويلة - لهذا كله كان من مصلحة الأوربيين في بلاد المشرق ان يوجد حزب نير الفكر محب للإصلاح الذي يعرف العامة بقدر أنفسهم وبنسبتهم الى الاجانب الذين يعيشون معهم ويزنل التعصب الاعمى في نفوسهم حتى لا يغرم الفارون ويدعوهم الى أعمال إن أضرت بالاجانب قليلا فهي تضرهم كثيرا . فالاجانب العقلاء العارفون بكنه المشرق كالورد كروم وراضرايه من ساسة الانكاز يحبون هذا النوع من الإصلاح الذي ينفع المسلمين لانه ينفعهم هم أيضا لانهم يحبون ان يكسبوا بهدو وطأ نينة كما قال المنار غير مرة واكن قلما يذهب بهم الميل الى السعي في ايجاده أو الحث عليه لان مصلحتهم قائمة بدونه، قائمة بقوة العلم والحكمة، وقوة السلاح والوحدة، فاذا وجد فيهم من يحث عليه كانت السياسة منه تابعة للفضيلة الشخصية وما أجدر الورد كروم بذلك

مثل هذا الإصلاح لا يأتي من جانب المتفرنجين لانهم لا قيمة لهم في نفوس السواد الأعظم لبعدهم عن الدين فلا بد من حزب وسط بين العامة وبين المتفرنجين يكون له جانب الى النظام والمدنية وجانب الى الدين النقي السالم من الحرافات التي هي مشارفتن والآفات . ولا شك ان الحزب الذي كان يرأسه الاستاذ الامام لا غرض له الا ازالة البدع والأوهام التي ألصقت بالدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا . ومن أركان الإصلاح الذي يرمي اليه أخذ كل ما ينفعنا ولا يمارض ديننا من علوم أوربا ومدنيتها . اما العلوم الحقيقية فلا شيء منها يخالف الدين

الحق وأما أعمال المدنية فمنها النافع لنا كالجُميات الخيرية والعلمية والدينية والأدبية والشركات المشروعة ومنها الضار كالخمر والميسر والفجور. ويعتقد هذا الحزب أنه لا يمكن لنا القيام بهذا الإصلاح إلا باتقاء السياسة فيه واجتناب مقاومة السلطة به وبجمل مبادئه على تربية النفوس بالدين وترقية شأن البلاد الاجتماعي والاقتصادي وترك السياسة لاهلها . ذلك أن سياسة هذه البلاد هي عبارة عن مسألة الاختلال وقد سألت الاستاذ الامام عن رأيه فيه عند ما زار طرابلس منذ بضع عشرة سنة فقال لها مسألة أوربية لا شأن لنا فيها وأما الشأن فيها لدول أوربا ذات المصالح في مصر مع السلطان فإذا اتفقت هذه الدول على الجلاء كان ، وهو ما لا دليل عليه الآن ، هذا رأي إمامنا رحمه الله في المسألة المصرية وقد قالت أوربا كلمتها فيها بلسان اتفاق بريل سنة ١٩٠٤ فلماذا لا نتفعل بما يعيننا وهو في استطاعتنا من ترقية أممتنا بالتربية والتعليم وترك ما لا طاقة لنا به ولا يأتي منه إلا الضرر وأقل هذا الضرر تحويل قلوب الأمة عما فيه خيرها وفلاحها في دينها وديارها وضغط أوربا عليها

هنا يقول المعارض سلمنا أن طريقة هذا الحزب هي المثلى في إصلاح حال المسلمين ، وإن منتهى الحكمة فيها مسألة الأوربيين ، لكن مثل اللورد كرومر في بعد نظره وثاقب رأيه لا يعزب عنه أن المسلمين إذا ساروا على هذه الطريقة ارتقوا ارتقاء حقيقيا يحول دون دوام السلطة الانكليزية فيهم فكيف يركب هذا الصعب ، أو يكون حاديا لهذا الركب هذا الحزب ، والجواب عن هذا سهل وهو أن طريقة هذا الحزب الجامعة بين الفائدتين في الحال قد تكون جامعة بينهما في الاستقبال ، فإن الأمة إذا سارت في طريق الترقى مع المسألة وحسن التفاهم بينهما وبين هؤلاء القوم ولقيت منهم التنشيط والمساعدة على رقيها في آيات ضعفها وعجزها فهي لا تترك صداقتهم في طور قوتها وهم لا يتركون صداقتها ويمكنهم أن يربحوا منها في طور القوة والاستقلال ، أكثر مما يربحون في طور الضعف والاختلال والانسكابينهم القوم الذين لا يعاندون الطبيعة وإنما يسايرونها ويستفيدون من كل طور من أطوارها بحسبه . وإلى لا أكون وأها إذا قلت ان فرنسا لو وجدت في الجزائر حزبا يعمل لترقية شأن المسلمين ، مع التوفيق بين مصالحهم ومصالح

الفرنسيين ، لا باحت له العمل ان لم تنشطه وتساعدته . على أن الانكليز لم يساعدوا طلاب الاصلاح في مصر كما أنهم لم يقاوموهم . وما كتبه اللورد سي في تقريره الاخير هو أول قول رسمي سمعناه منه يدلنا على ميله الى هذا الاصلاح فأحيدنا ان نزيل ارتياب المرتابين فيه لأن سوء ظننا بالقوم يضرنا ولا يضرهم ومن انبعاثه أن يظن أن القوي يصانع الضعيف وان مثل اللورد كرومر يكتب مثل هذه الكتابة لدولته ، ويرمي فيها عن غير قوس عقيدته ، وهو يعلم أن أوربا كلها محل آراءه محل الاعتبار ، لاسيما ما كان منها أثر التجربة والاختبار ، وقد سمعنا عنه منذ سنين أنه قال لبعض الكبراء وقد رغب اليه في عمل ينفع المسلمين ويرقيهم ان من لا يعمل لنفسه لا يعمل له أحد فاعملوا ونحن نساعدكم أو قال وحسبكم ان لا نهارضكم . فقال الراغب أنه ليس عندنا رجال يهتمون بالخدمة العامة فقال اللورد بل عندكم رجالان الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوها بالمال وهما يعملان للمسلمين ما يرقىهم ويرفع شأنهم

المرة الرابعة رأيه في المتفرنجين

يظن هؤلاء المتفرنجون أن لهم مكانة عالية في نفوس الأوربيين لتشبههم بهم في عاداتهم وتزلفهم اليهم وإفراغ أموال البلاد في أكياسهم وقد علم مما ذكرنا عن اللورد أنه لا يقيم لهم وزنا وقد علمنا مثل هذا بل ما هو شر منه عن كثير من كبراء الأوربيين -- علمنا أنهم يحتقرون هؤلاء المتفرنجين وفي ذلك من العبارة مالا محل لشرحه في هذا المقام واللييب من تكفيه الإشارة وأن اللييب فيهم وقد أفسدت الخمر الباطن ، وأضاع القمار صوابهم ، فحسرتهم في حسرة على مثل الذي يتمتع شهوته ، وموسرهم في حيرة لا يدري كيف يقضي ثروته ، ومستهي الفجر سلمهم كتاب غريب يسائر في الطرقات ، ونوع جديد من المركبات ، وفتاة أوربية تخامر في المنزهات ، وتقبض عليه قومهم من الآداب والعادات ، وعرف المر في التفنن في اللذات ، وان أذقت الأمة ضعف الحياة وضعف المات ،



فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

قصنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين صفة ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً ورمما قد نمأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورمماً جيبنا غير مشترك مثل هذا ، ولئن بقيت على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(طريقة ابراهيم الرشيدى - من اسئلة سنخافوره)

(ص ٢٠) من أحد المشتركين في سنخافوره

نبحث بهذه الاسطر لحضرة فذلكة العلوم والمعارف صاحب المنار الأغر

لازال منار الدين به مشيداً وهو

انه نيم في هذه الاطراف طائفة تزعم انها على طريقة الشيخ ابراهيم الرشيدى و يقيمون في المساجد اذ كراً بلفظ الجلالة برفع صوت جدياً ويشوشون على من هناك من المصلين و يلقبون أنفسهم بمجاديب و ينشدون خلال ذلك اشعاراً من كلام الصوفية لا يعرفون معناها وفي يوم الجمعة في اثناء صلاحها تحصل منهم زعقات هائلة بلفظ (الله الله) و يجيب بعضهم بعضاً بذلك بحيث اذا زعق أحدهم تلاه الباقيون بهذه الزعقات الشديدة المزعجة لمن في المسجد في وقت صلاحهم الجمعة ويحصل للمصلين تشوش منهم واذا نهوا عن ذلك اجابوا بأن الناهي لهم من فريق يريدون ان يطفئوا نوار الله بأفواههم و بأنهم انما يزعمون في حالة الغيبة مستندين الى ما في كتب الصوفية من ان المريد اذا غلب على قلبه ذكر الباطن وضاعت انفاسه منخرج على ظاهره فيزعق بلفظ (الله) واذا قاموا للذكر ليلاً وارتفعت أصواتهم بذلك ربما سقط بعضهم مغشياً عليه ذكر أو أثنى وذلك بعد ان يشير الخليفة عليهم بخرقة في يديه ويقول لهم (أش) ثم يخر أحدهم مغشياً عليه فيبقى بعد ذلك ويقول شاهدت في غيبي أحمد بن ادر بس وشاهدت . . . الى ما لا نطيل بذكره فهل هذا مما عهد في أحد القرون الثلاثة المدوحة أو هو مما أمر به الشارع أو السلف الصالح وهل يجب على ولاة الامور المنع من مثل هذا

(المجلد الثاني)

(٣٧)

(المعارف: ٩٤)

اذ ولي الامر هنا لم يقدم على متعهم ظنا منه انه مطلوب شرعا واذا نشر في المنار حكم ذلك شرعا فولي الامر لا يتأخر عن حملهم على ما يحكم به الاستاذ في المنار من المنع أو الامرار فأدر كونا بما فيه حياة الدين والدنيا لازتم عمدة لنفع المسلمين والله يحفظكم لنا أفندم

(ج) في هذا السؤال مسائل (أحدها) الذكر باسماء الله تعالى مفردة كما عليه أهل الطريق في هذا العصر كقولهم الله الله... حي حي... أو بالضمير كقولهم هو هو... وهذا من البدع التي حدثت بعد الصدر الأول. قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة العبودية مانصه بهمدان أورد ماورد في الحديث من أن أفضل الذكر لا اله الا الله كما رواه الترمذي وغيره أو لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كما رواه مالك في الموطأ:

« ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة المضمرفهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله (٦: ٩١ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) من أين غلط هؤلاء. فان الاسم هو مذكور في الامر بجواب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال: من جاء؟ فتقول: زيد: وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به ايمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى ولم يذكر ذلك أحد من سلف الامة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالاً نافعا وإنما يعطيه قصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفي ولا اثبات فان لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه والا لم يكن فيه فائدة والشريعة إنما تشرع من الاذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة خاصة بغيره. وقد وقع من واطب على هذا الذكر في فنون من الاحاد، وأنواع من الاتحاد، كما قد بسط في غير هذا الموضع. وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال: أخاف ان أموت بين النفي والاثبات: حال لا يقتدى فيها بصاحبها فان في ذلك من الغلط مالا يخفى فيه اذ لو مات العبد في هذه الحال لم يمت الا على ما قصد ونواه اذ الاعمال بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى

الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت (بمعنى المحتضر) لا آله الا الله وقال «من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة» ولو كان ما ذكره محذورا لم يلحق الميت كلمة يخاف أن يموت في اثناها موما غير محمود بل كان يلحق ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

«والذكر بالاسم المفرد المضمرة أعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب الى اضلال الشيطان فان من قال ياهو ياهو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا الا الى ما يصوره قلبه والقلب قديمتدي وقد يضل وقد صنف صاحب الفصوص كتابا سماه (الهو) وزعم بعضهم ان قوله (٧: ٣) وما يعلم تأويله الا الله (معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو) الا الله رقيق هذا وان كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء (صوابا) حتى قلت مرة لبعض من قال بشيء من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت «وما يعلم تأويل هو» منفصلة

«ثم كثيرا ما يذكره بعض الشيوخ انه يحتاج على قول القائل (الله) بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فان قوله (قل الله) معناه : الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى : وهذا جواب لقوله (٦: ٩١) قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم، قل الله (أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال (ما أنزل الله على بشر من شيء) (٥) فقال من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم قال قل الله انزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون

«وما بين ما تقدم ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولا فالقول لا يحكى به الا كلام تام جملة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون «إن» اذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم . والله تعالى لم يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المفرد المجرد لا يفيد الايمان باتفاق أهل الاسلام ولا يؤس

(٥) أول الآية «وما قدر والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء» الخ

به في شيء من العبادات ولا في شيء من المحاطبات ، ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر أن بعض الأعراب مر به مؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله: بالنصب فقال ماذا يقول هذا؟ هذا الاسم فأين الخبر عنه الذي به يتم الكلام؟

« وما في القرآن من قوله (٨: ٧٣) واذكرا اسم ربك وتبتلوا به تبتيلا) وقوله (١: ٥٦) اسبح اسم ربك الأعلى) وقوله (١٤: ٨٧) قد أفصح من تزكي ١٥ وذكرا اسم ربه فصلى) وقوله (٩٦: ٥٦) فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفردا بل في السنن أنه لما نزل قوله فسبح باسم ربك العظيم قال « اجملوها في ركوعكم » ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجملوها في سجودكم » (١) فشرع لهم ان يقولوا في الركوع سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الاعلى . وفي الصحيح (٢) أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وهذا معنى اجملوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسامحين « - الخ ما أطال به رحمه الله تعالى

(المسألة الثانية) التشويش على المصلين محذور عند جميع العلماء سواء كان بذكر أو تلاوة قرآن أو قراءة علم أو بغير ذلك فإن المساجد ما بنى للصلاة فهي المقصودة بالذات فيجب منع التشويش على المصلين وان كان بمشروع فكيف اذا كان بأمر غير مشروع مما يطلب منه لذاته وان لم يشوش على مصل . ولا أراي محتاجا في هذه المسألة الى نقل لانه لا ينازع فيها احد ومن اراد القول فليرجع الى الجزء الاول من المجلد السادس ومنه حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود وأقوال الفقهاء في نظريظ كتاب اصابة السهام (٣٤: ٦)

(المسألة الثالثة المجاذيب) اعلم ان ما يسميه الصوفية بالجذب هو من الاحوال التي لا يعرف منها أهل الطريق في هذا العصر الا انها ضرب من البله أو التباله والخروج عن الآداب الشرعية والعرفية . الجذب في الحقيقة حال تطرأ على لسان

(١) الحديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وانما كم في المستدرک وابن حبان في صحيحه عن عقبه بن عامر (٢) قوله في الصحيح يعني صحيح مسلم ورواه أيضا أحمد واصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث حذيفة

وهو متوجه الى الله بالدكر والفكر فتأخذه عن نفسه وتبطل ميزان العقل في الاقوال والافعال فهو فن من فنون الجنون يحدث في حال مخصوصة وقد يحدث من غير سبق الأعمال الاختيارية التي تؤدي اليه غالباً اذا كان من يأتيها مستعداً له وهي الخلوة وكثرة الذكر فيها مع الجوع وقلة النوم لاسيما اذا كان الذكر بالاسماء المفردة . وهذا الفن من الجنون كغيره يكون متقطعا يجيء نوبة بعد نوبة ويكون ، طبقا ويكون قويا وضعيفا وصاحبه غير مكلف مادام مأخوذاً عن عقله فاذا كان يأتي بأقوال أو أفعال تشوش على المصلين وجبان يمنع من دخول المسجد وقد جاء في الحديث «جنبوا مساجدنا وفي رواية مساجدكم صبيانكم ومجانينكم» الخرواء ابن ماجه من حديث واثلة وكذلك ابن عدي والطبراني والبيهقي وابن عساکر عنه وعن غيره . واذا كان التشوش على المصلين بنحو رفع الصوت كان مما يمنع منه الماقل فكيف يباح لغيره ممن يشوش بقاله وحاله

(المسألة الرابعة الزعمات) هذه الزعمات والصيحات عند الذكر أو التلاوة ليست من الدين في شيء لم يأذن بها الله ولا رسوله ولم تعرف عن الصحابة ولكن من الماس من يكون رقيق الوجدان شديد التأثر بما يهيم نفسه فاذا كان عابداً وسمع آية انذار أو موعظة مؤثرة أو عمرة يغلبه وجدانه ويظهر عليه أثر الانفعال في وجهه وربما صرخ وبكى واذا كان عاشقا وسمع غناء أو شعراً بليغاً يظهر عليه مثل ذلك التأثر وقد حكي عن بعض الصوفية الصادقين شيء من ذلك فلما ذهب التصوف وجاء هؤلاء المقلدون الأغبياء الجهلاء بأسرار النفوس المحرومون من الوجدان الرقيق ، الذي يتأثر بالمعنى الدقيق ، جهلوا كل فهم التقليد في الاشارات والعبارات والكلمات كما بين ذلك حجة الاسلام وصاحب العوارف ، غيرهما من متصوفة ، قرون الوسطى فما بالك بأهل الطريق في عصرنا هذا . قال الامام الفزالي في بيان أصناف المتصوفين من الاحياء

(الصنف الثالث) المتصوفة وما أغلب الفرور عليهم والمتفرون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزني والهبأة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زهمهم وهياتهم وفي العاظمهم وفي

آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كلمة فكر وفي نفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشائيل والهيآت. فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب ونظير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجليية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحرموا قط سحولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها بل يشكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقيير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهو لاء غرورهم ظاهر» ثم ضرب لهم مثل العجوز تلبس لباس الشجمان وتبرز الى الميسدان ثم ذكر فرقة المتشبهين بهم في الزي وقال بعد ذلك:

(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالأسامي والألفاظ الا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك أعلى من علم الأواين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء فضلاً عن العوام حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياماً معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيردددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد أنهم أجراء متمبون ، ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون ، ويدعي لنفسه أنه الواصل الى الحق وأنه من المقربين ، وهو عند الله من الفجار المناقين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين ، ولم يحكم قط علماً ولم يهذب خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وتلقف الهديان وحفظه :

(ثم قال بعد ذكر الفرقة التي وقعت في الاباحة)

(وفرقة أخرى) جاوزت حد هولا ، واجتنبت الاعمال وطلبت الحلال

واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها (فهم) من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه والله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم أنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إثارة هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب : الخ ما ذكره في ذلك

أقول اذا تدبر السائل هذا القليل من كثير ما كتب أئمة هذا الشأن في ذلك علم أن المسؤل عنهم لم يبلغوا في التصوف بعض مدي هؤلاء الذين أثبت الامام الغزالي غرورهم . وليعلم ان الوجد وما يتبعه من مثل الزعقات ببعض الناس إنما يكون بعد الحب والحب لا يكون الا بعد المعرفة والمعرفة بالله لا تكون الا بالعلم بما جاء في كتابه وما مضت به سنة نبيه مع الاذعان والعمل النفسي والبدني هذه هي طريقة الصوفية ومن علامة الصادق فيها ان لا يدعيها ولا يدافع عن نفسه اذا أنكر عليه لاسيما اذا كان الانكار انتصارا للدين وحمية للشرع فكل مدع كذاب وقد دخلنا في هذه الامور وجربناها وكنا نذكر الذكرك الباطن مع النقشبندية ومنهم من كان يزعم وكذب أقدم ولكنني علمت ان كل ذلك من وسائل الشهرة الباطلة ولو شاء هؤلاء ان لا يزعموا لما زعموا وكم من تائب منهم قد اعترف بما كان اقترف والله الموفق (المسألة الخامسة الغيبة ومشاهدة الارواح) قد شرحنا حقيقة مسألة رتبة الارواح التي عدوها من أعظم الكرامات في المجلد السادس فلانعيدها وانما نقول ان المدعين كاذبون صراون باغون للشهرة وان دعاويهم هذه ان صحت لاتكون من الدين في شيء اذ لم يرد بها كتاب ولا سنة ومن أكثر من تدكّر ميت وتخيله يوشك أن يتمثل له وليس ذلك بأمر كبير . ومن علامة كذب المدعي في دعواه أن يكون في حضوره وغيبته وصحوه وسكرته تابعا لإشارة من الخليفة ببيدها أو كلمة يقولها وجملة القول ان ما حكيم عن هذه الفرقة ما تصان عنه المساجد فان صدقوا في دعوى التصوف فليهم ان يخضعوا لآداب الشرع ويصدقوا في الاتباع من

غير انتصار لأنفسهم وان أبوا كان على المستطيع ان يمنعهم من كل فعل في المسجد يشوش على المصلين ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة ولو استعان على ذلك بقوة الحكومة والله أعلم وأحكم

غيبية العلماء . والعالم الذي لا يعمل بعلمه

(س ٢١) مستفيد من (سنا فوره)

ما يقول المنار المنير في رجل أطرى عالما بسعة اطلاعه وجودة مدرسه ونحو ذلك فقال آخر حسدا لذلك العالم وجهلا منه بحقيقة العلم دعني من علم أولئك الناس الذين ظهروا اليوم وفسقوا وكذبوا . . . الى ان استشهد بيت ابن رسلان :
وعالم بعلمه لم يمان
معتذب من قبل عابد الوثن
فقال له المطري مهلا فانك تعلم ان الغيبة حرام فاليت يصدق عليك فانك
تعمل بعلمك فكيف الحكم في ذلك المقتاب الخ

(ج) تحريم الغيبة معلوم من الدين بالضرورة للنهي عنها في القرآن وتبشيع حال أهلها وغيبية العلماء أئسد الغيبة ضررا لأنها تنفي الى تفسير الجاهلين عن الاستفادة منهم وذلك صمد عن سبيل الله ثم ان في قول ذلك الطاعن في العلماء حرارة أخرى وهي انه يحكم في أمر من علم الغيب بيت من الشر وذالك من القول على الله تعالى بغير علم وهو محرم بنص القرآن بل ذكر تحريمه مقرونا بتحريم الشرك بالله . وقد قيل ان المعنى البيت أصلا في الحديث لكن الطاعن لم يعرفه اذ لو عرفه لاحتج به لا بقول من لاحجة في كلامه . روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا « ان أول الناس يقضي عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمته فمرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت : قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار - ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فمرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم لي قال انك عالم وقرأت القرآن لي قال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار - ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله

فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال فما علمت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا أنفقت فيما ذلك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار» فمن هذا الحديث أخذوا ان هؤلاء الثلاثة أول من يحاسب ويمسذب ولكن ما يدرينا ان الاولية بالنسبة الى المسلمين لا الى المشركين وعباد الاوثان أو ان افعل ليس على بابي . ثم ان الحديث في الصائم المرابي لاني تارك العمل بعلمه فهذا الحكم غير صواب وان اشتهر واتفق المقلدون بالقبول . واذا جاز ان يعتاب العالم الذي يهتم بالرياء ويخاض في عرضه لاجل هذا الحديث جاز أيضا ان يعتاب الشهيد والمحسن المنفق في سبيل الله وهؤلاء خيار الناس وخيرهم العالم المعلم فما معنى تحريم الغيبة اذا حازت غيبتهم؟ الرياء أمر خفي لا يجوز أن نحكم به على عالم ولا جاهل نعم ان مؤاخذه العالم بتحريم الشيء اذا هو فعله أشد من مؤاخذه من يفعل الذنب جاهلا بكونه ذنبا من حيث الجراءة على الله ولكن المذنب الجاهل يؤخذ على الذنب وعلى الجهل معا فان الجهل ليس بعذر الا ما يكون في دقائق الشبهات وخفيات الاحكام . ومن الاحاديث التي تلوكم السنة كثير من العامة فتجرئهم على إهانة العلماء حديث «ويل للجاهل مرة وويل للعالم ألف مرة» ولا أعرف له أصلا وما أراه الا من وضع المتأخرين وقد روى سعيد بن منصور عن جيلة مرسل «ويل لمن لا يعلم ولو شاء لعلم واحد من الويل وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع من الويل» وهو على ارساله لا يصح وعبارته تدل على أنه ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث حذيفة «ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن علم ثم لا يعمل» وهو ضعيف وان كان معناه صحيحا

﴿ اختيار مسجد للصلاة أو الصلاة بأجرة ﴾

(ص ٢٢) ع، ع بسنننا فورد

سيدي : في (جوهر) الإسلامية مسجد يصلون فيه الجمعة فقط ويكون في عائر الأيام مهجورا لا يصلي فيه الاخدمته وفي شهر رمضان من السنة الماضية طلب أحد وزراء تلك البلاد من أهل البلد ان يصلوا فيه صلاة العشاء والتراويح وجعل

لكل من واظب على ذلك مدة الشهر كله ستقر بالآت وللإمام ثلاثين ريبالا فأجاب
 طلبه جم غفير من مدعي العلم وأنكر هذه الصلاة وأحد قال أنها غير صحيحة
 ولم يجوز أخذ الدراهم بل قال ان هذا هو الشرك في العبادة . والخير من جملة
 الذين حضروا هذه الصلاة ولم يأخذ الأجرة وقد جعلني المنكر في جملة
 من أشركوا فهل قوله صحيح أم لا فأحكيم ياسيدي فأنت الحكم الذي ترضى
 حكومته والسلام .

(ج) ان من صلى لأجل أخذ الجمل بحيث لو لم يكن هناك جعل لما صلى
 بالمرّة فلا شك أن صلاته غير صحيحة وأخذه للبال عليها غير جائز ومن سعى ذلك
 شركا في العبادة فقد أعطى هذه الصلاة أكثر من حقها إذ لا شيء فيها لله في الحقيقة
 وإنما الشرك أن يقصد مع الله غيره فمن قصد بالصلاة الأعراب معا - الثواب
 والمال - فهو والمشارك في هذه العبادة ومثله من قصد مرضاة الوزير والتقرب اليه . ومن لم
 يقصد المال بالمرّة ولم يأخذه ولا رياء الوزير أو مرضاته وإنما صلى في ذلك المسجد
 بعد نداء الوزير بالجمل لأن الجماعة قامت في المسجد فصار قصده اليه كقصده
 الى غيره فلا يعد مشركا ولا مرائيا ولا يكون آثما

وقد اختلف العلماء فيمن يقصد بعمله الثواب والرياء معا أيثاب على قصد الثواب
 بقدره ويهاقب على قصد الرياء بقدره أم يستحق العقاب دون الثواب ؟ قال الفزالي
 بالأول محتجا بقوله تعالى ١٩٩: ٧ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٨ ومن يعمل
 مثقال ذرة شرا يره) وقال العز بن عبد السلام بالثاني محتجا بالاحاديث الصريحة
 في ذلك كحديث مسلم وابن ماجه « قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك
 من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه - اذا كان يوم القيامة أتى
 بصحف مخطئة فنصب بين يدي الله عز وجل فيقول للملائكة اقبوا هذا وانفوا هذا
 فنقول الملائكة وعز ذلك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لغسيري ولا أقبل
 الا ما ابغني به وجهي » أقول وما ابغني به غير وجهه تعالى قسان ما ابغني به
 المال وما ابغني به الجاه كما يستفاد من قوله تعالى (٧٦: ٩) إنما نطمعكم لوجه الله
 لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

وفي مسألة المسجد المشؤل عنه دقيقة وهي أن الجزاء فيها على كون الصلاة فيه لأعلى الصلاة نفسها فمن كان يصلي لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا على صلاته ولولم يصل في ذلك المسجد لصلى في غيره قطما ولكنه اختاره لاجل الجزاء الذي ذكره الوزير كانت صلاته صحيحة خالصة لله وينحصر السؤال في قصده الى المسجد وهو عبادة أخرى وقد علم حكم ذلك والله أعلم

(الذئيب الفاسق وإذهاب الرجس عن أهل البيت)

(س ٢٤) الشيخ عبد الله الحضري في سنننا فوره

ما يخص السؤال أن رجلا فاسقا يدعي أنه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر من فسقه ما يتنزه المنار عن نشره وقال إذا سلمنا بدعواه فما معنى قوله عز وجل (٣٣: ٢٢) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (ج) اعلم أن بعض الناس قد تكلموا في هذه الآية بالرأي فرعوا أن المراد بالبيت جميع ذرية فاطمة عليها السلام والرضوان ما ناسلوا وإن ارادة الله تعالى هي مشيئة المطلقة التي بها الخلق والتكوين ومن ثم بحثوا في عصبة الشرفاء أو حفظهم من الذنوب فقال بعضهم إن معاصيهم صورية لاحتمالية فيجب تأويلها كالمعاصي التي نسبت الى بعض الانبياء وبهذا قال بعض الصوفية - وبحث ابن حجر الفقيه في ذلك بأنه مخالف للمشاهدة واختار هو حفظهم من الكفردون المعاصي وقال انه يكاد يقطع بذلك وقال بعضهم انها خاصة بهلي وفاطمة وولديهما ولهم في هذا روايات وبعضهم انها تشمل معهم بقية الائمة الاثني عشر فهم المعصومون والحق الذي لا محيد عنه الا الى الهوى أن المراد بالبيت في الآية بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يسكنه وهو جنس والمراد باهله هو ونسأوه وذكروا ضمير الجمع المذكور تغليبا للاشرف ايذا بأن العناية به ثم بين تبعاله أو رعاية للفظ الاهل والعرب تستعمله ومنه (٧: ٣٧) اذ قال موسى لاهله اني آتيت ناراسا فيكم منها يتبس (وقوله (٢٩: ٢٨) قال لأهله امكثوا) ونحو هذه الآية قوله تعالى (٧٣: ١١) قالوا أنعمجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (والخطاب لاسرأة ابراهيم عليه السلام هذا ما يقتضيه السياق ويترأ من كل ما يخالفه فان العبارة جاءت في

آية معطوفة على عدة آيات فينبى بالنص الذي لا يمتثل التأويل . والمراد بالإرادة فيها ما يقصد ويراد من شرع تلك الأحكام الخاصة بهن لا إرادة الخلق والتكوين ابتداء فقوله (أما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) الخ هو كقوله عز وجل في آخر آية الوضوء والغسل والتيمم من سورة المائدة (٦:٥) ما يريد الله ليجعل عنكم في الدين من حرج ولكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم تشكرون) وقوله بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخصة (١٨٥:٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) كل ذلك بيان لحكمته تعالى في تلك الأحكام ، وما فيها من الفائدة الأنام، إذا هم عملوا بها لا يفهم منها إرادة الخلق والتكوين ابتداء . وقد سألتني عن هذه الآية الأخيرة الشيخ التميمي مفتي الخليل عند زيارتي له ببلده في عاشر المحرم سنة إحدى عشرة وثلاث مئة وألف قال رحمه الله أن الله تعالى نفي إرادة العسر بنا وأثبت إرادة اليسر وما يريد الله تعالى لا بد من وقوعه ومالا يريد يستحيل أن يقع وإنما نرى العسر قد يقع كثيرا فيذهب باليسر فأجبتة على البدهة بمثل ما تقدم آنفا ولم أكن رأيت لأحد وإنما هو بديهي في نفسه

من فهم هذا ولا يحمل الآية سواه الا بتحر يفها عن موضعها علم ان ماورد من الروايات في تخصيصها بفاطمة وعلي وولديهما ما يتبرأ منه سياق الآية اذ يصير معنى الآيات يانساء النبي لا تفعلن كذا ومن يفعل منكن كذا فجزاؤه مضاعف ضعفين يانساء النبي أفعلن كذا وكذا ان الله لا يريد بهذه الأوامر والنواهي الا إذهاب الرجس عن علي وزوجه وولديه وتطهيرهم من كل ما يفضي الى اللائمة تطهيرا كاملا . وان رواية تفضي الى هذا ما يقطع ببطلانها وان صحح بعض المحدثين سندها بل أقول انه لا معنى لإدخالهم في عموم الآية فضلا عن تخصيصها بهم ولا مزية في ذلك لهم وهم غير مخاطبين بتلك الأحكام التي شرعت لاجل اذهاب الرجس بالعمل بها وإنما كان يكون في ذلك مزية لو كانت الإرادة للتكوين وكان الاخبار بها ابتدائيا غير معلق بشيء

أقول هذا وأنا علوي فاطمي حسيني الاب حسني الأم عالم بالأخبار والآثار الواردة في ذلك وأفضل فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام على أزواجه أمهات

المؤمنين بآبائها بضعة منه لكن كتاب الله فوق كل شيء وحكمه فوق كل حكم وهو قد خص أزواج نبيه بأحكام فوسبها ممتازات على بنائه وعلى جميع النساء أو الناس وإن فضلهن بهن الناس بمزية أو مزايا أخرى كما يفضل أبو بكر وعمر عائشة وحفصة . وإني لأعجب أشد العجب كيف عظم افتتان الناس بالرواية في الصدر الأول وإن كانت مخالفة لصریح القرآن حتى قال من قال في هذه الآية إنها خاصة بأهل الكساء أو عامة لبني هاشم وبنی المطلب لحديث الترمذي والحاكم في الأول وحديث الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعیم في الثاني ولا يصح في ذلك شيء . خلافاً للترمذي والحاكم والله در عكرمة إذ كان يقول من شاء باهله أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما كان يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كما رواه ابن أبي حاتم وابن عساکر . وروى ابن جرير أن عكرمة كان ينادي في السوق أن قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم : ولا يحتاج إلى شيء من الروايات في فهم الآية فإنها في سياقها لا تتحمل غير ما قلنا كما هو ظاهر لكل قارىء له معرفة باللفظة . وقد علمت أن الآية لا تدل على عصمة أهل البيت وإنما معناها أن الله تعالى شرع لمن تلك الأحكام التي منها أن جزاءهن على الفاحشة وعلى الطاعة بضاعف ضعفين لأجل اذهاب الرجس عنهن وتطهيرهن تطهيراً إذا هن أمثلن وأطعن الله ورسوله ولا معنى لوعيد المعصوم من الذنب بمضاعفة عذابه عليه . فاذا فرضنا أن ذرية فاطمة داخلية في أهل البيت عننا لم يكن معنى ذلك أن يستحيل عليهم الفسق فاذا هم كفبرهم من البشر فيما يجوز عليهم ويمتنع وهو ما تؤيده المشاهدة التي لا مكاربة فيها فإن لم نقل بهذا كنا بين أمرين تكذيب الحس أو قذف الكثيرين من الشرفاء بأنهم أولاد زنا والأول جنون والثاني حرام

﴿ العمل بالبيع والشراء وغيرها بالعمولة العرفية ﴾

(س ٢٥) السيد حسن بن علوي شهاب من علماء العرب بسنما قوره :

ما قول المنار فيما هو الجاري الآن بين المسلمين - يبعث أحدهم إلى آخر

بمروض تجارة فيأمره ببيعها بقيمة الوقت هناك أو بدراهم ليشتري له بها عروض

تجارة . وكذلك الوصي يبيع مال موصيه والوكيل يقبض لموكله ثلثة عقارة ويجري كل منهم لنفسه معلوما في مقابل عمله خمسا في المئة أو أقل أو أكثر فويل ما يأخذونه جائز لهم شرعا ؟ ان قلتم لا فواضح وان قلتم نعم فما وجه ذلك المأخوذ في الشرع لانا نرى أنهم انما يعملون مجانا كما هو مقرر في محله . أفيدونا بآراءكم والله وليكم ولكم آمين

(ج) قال الله تعالى في أول سورة المائدة (١٠٥) يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فكل ما يتعاقد عليه المسلمون يجب عليهم الوفاء به الا اذا كان على معصية كالاستئجار على الزنا مثلا فاذا اتفق تاجران على ان يبيع أحدهما أو كل منهما للآخر ما يرسله اليه من العروض ويشترى له بثمنه أو بمال آخر عروضاً معينة بالجنس أو النوع أو غير ذلك من أنواع التعيين كما هو المتعارف ويأخذ على المبيع والمشتري أجرا يقدر بنسبة قيمته كخمس في المئة كان هذا الاتفاق عقدا صحيحا يجب الوفاء به لانه لم يحل حراما ولم يحرم حلالا

فان قيل إن هذه الاجرة مجهولة وبشروط في الاجرة أن تكون معلومة وغير متوقفة على العمل كما قال كثير من الفقهاء (نقول) بل هي معلومة معينة فان البائع والمشتري اغيره يعرف عند الاتفاق أجر عمله في الجملة وعند تعيين الثمن قبل عقد البيع أو الشراء ما يستحقه بالتفصيل وهذه الاجرة لا تتوقف على العمل ككون اجرة الطحن من الطحين . على أننا نقول ان ما يشترطه الفقهاء في العقود مما لم يرد به نص عن الشارع وانما يهمل بالمصلحة يمكن ان تختلف فيه المصلحة باختلاف الزمان والمكان فعمل الفقهاء ليست ديننا يتعبد بانباعه سواء قامت به المصلحة أو تربت عليه مفسدة ولا شك ان التجارة قد دخلت في طور يتعسر معه النجاح مع التزام جميع أقوال فقهاء أي مذهب من المذاهب . واذا تمسكنا بأصول الاباحة والبراءة والمحافظة على ما أحله الله وحرمه ولم نزد في عقودنا شروطا ليست في كتاب الله تعالى فانه يمكننا ان نسابق جميع الأمم في الأعمال المالية وتنمية الثروة التي عليها مدار قوة الأمة وعزة الملة في هذا العصر

فان قيل ورد في حديث أبي سعيد عند الدارقطني والبيهقي أنه من عنده

الفحل وعن قفيز الطحان « وفسروا قفيز الطحان بطحن الحب بجزء منه مطحونا واستنبطوا من ذلك أنه لا يجوز أن تكون الاجرة بهض المعمول بهذا العمل كما قال الأئمة الثلاثة دون أحمد، وفي حديثه عند أحمد وغيره « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره » ومنه أخذ الشافعي وأبو حنيفة وجوب كون الاجرة معلومة خلافاً للمالك وأحمد فاتفقا حكماً العرف في ذلك فما تقول في

الشروط المأخوذة من هذين الحديثين

والجواب ان أمثال هذه الروايات ينظر في سندها ثم في معناها وعلّة الحكم فيها . فاما حديث أبي سعيد الاول ففي اسناده هشام أبو كليب قال ابن القطان لا يعرف وزاد الذهبي ان حديثه منكر ووثقه مغلطاي وابن حبان والجرح مقدم على التعديل . ثم ان ما فسروا به قفيز الطحان غير متفق عليه بل قل بعضهم انه قفيز كان يؤخذ زائداً على الاجرة وهذا هو التبادر وهو المهور في بلادنا فنهى عنه لانه من الباطل الذي لا مقابل له في العمل وإنما هو من قبيل ما يسمى الآن بالبخشيش . واما حديثه الآخر فرجال أحمد في سنده رجال الصحيح الا ان ابراهيم النخعي رواه عن أبي سعيد لم يسمع من أبي سعيد كما قال في مجمع الزوائد ذكره أبو داود في المراسيل والنسائي غير مرفوع وفي بعض النسخ « من استأجرته » فهو على الخلاف في الاحتجاج بمثله لا ينافي ان يكون بيان الاجرة أو تسميتها بكونها جزءاً من كذا جزءاً مما يبيعه أو يشتره أو يحصله فانه بذلك يكون على بصيرة لا يتطرق اليها الفهم والمش . ولا يعرف حديثاً غير هذين الحديثين يمكن ان يستدل به على تحريم أخذ كذا في المئة مما يباع أو يشتري أو يحصل اجرة أو عمولة وهو لا يدلان على ذلك . واللوصي حكمة فيما عوقد عليه

نعم اذا جرى العرف بين التجار أو غيرهم بأن عمل كذا لا يؤخذ عليه شيء وأراد من عمله أن يأخذ عليه اجراً أو عمولة من غير عقد يستحق به ذلك ولا عرف بمجيزه نه فانه لا يجوز له أخذه واذا أخذه بدون علم صاحب المال كان سارقاً . ولا أدري أهذا ما يريد السائل بقوله « لانا نرى أنهم إنما يعملون مجاناً » أم يريد أنه يجب أن تكون هذه الاعمال مجاناً وقد علمت ما تقدمت في الامرين والله أعلم وأحكم

(تقبيل أيدي الشرفاء وغيرهم)

(س ٢٧) مستفيد من سنفافوره

ما يقول المنار المنير في تقبيل اليداني أرى سادات اليمن وحضرموت المنتسبين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينكرون على من لم يقبل أيديهم ويزعمون أنهم مستحقون لتقبيل اليد فهل لهذا أهل في السنة أفيدونا

(ج) ان زعموا ان هذا حق شرعي لهم ثبت في السنة فمن ترك تقبيل أيديهم يكون مخالفاً للسنة ومرتكباً محرماً أو مكروهاً فقد زادوا في شريرة الله ما ليس منها وهذا من أعظم الكبائر وان كانوا يريدون أنه قد استحسن في الآداب العادية ان تقبل أيديهم فصارت ترك بعض الناس لذلك في بلاد جرت عادتها به لا يخلو من إشعار بعدم الاحترام فالامر سهل . والسنة في التحية السلام والمصافحة أقول هذا وانا أعلم بما قال النووي في ذلك والسنة الصحيحة تعرف بعمل الناس في الصدر الاول ونقل ذلك ولا يكتفى فيها بمحدث الآحاد اذ لا يمكن ان يشرع شيء لا يعمل به أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين ولا يمكن ان يعمل المسلمون به و يبقى مجهولاً لا يعرفه الا الآحاد من المتأخرين . وقد قال صاحب المدخل عند ذكر تقبيل اليد بدل المصافحة ما نصه « وقد وقع انكار العلماء لذلك فان كان القبل يده عالماً أو صالحاً أو هما مما فأنكره مالك في المشهور عنه وأجازه غيره وأما تقبيل يد غير هذين فلا يعرف أحد يقول بجوازه لاسيما اذا انضاف إلى ذلك ان يكون القبل يده ظالماً أو بدعياً أو ممن يريد تقبيل يده ويخاره فهو الداء العضال الواقع بالفاعل والمفعول به . ومن أعجبه ذلك منهما لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد فعوذ بالله من المخالفة وترك الامثال كل هذا سببه ترك السنة أو التهاون بشيء منها »
فأنت ترى انه قد شدد في المسألة جداً لأنه عدّها بدعة دينية وله الحق في التشديد في ذلك اذا فعل التقبيل على انه مطلوب شرعاً أو ترتب عليه مفسدة كإعانة البدعيين والظالمين على بدعتهم وظلمهم . وأما ما يفعله بمقتضى المادة لا باسم الدين فهو مباح الا اذا ترتبت عليه مفسدة ومنها أن يعتقد انه من الدين كما يزعم عادة حضرموت

باب التوسل والتعلم في المدارس والمدارس الإسلامية في روسيا

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الإسلامية في روسيا ﴾

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً في هذا الموضوع وكان موسى أفندي عبد الله أحد مجاوري الروس في الأزهر ترجم لنا مقالة من جريدة (وقت) الروسية التي تصدر في أورنبورغ كتبت بقلم رجل من أعتل المسلمين وأفضلهم في روسيا فضايق ذلك الجزء عن نشرها فقرأنا نشرها هنا لما فيها من الفائدة وهي

﴿ المدارس وطلبة العلوم ﴾

ظهرت بيننا في هذه الأيام مشكلة اصلاح المدارس . مشكلة خاضت فيها الجرائد وتحدث بها الناس في كل مجتمع وكتب فيها ما كتب من المقالات والرسائل وكثر فيها القيل والقال، وطال أمد النزاع والجدال، الى ان سئم البعض من المقال، بيد انا مع هذه الافاضة في الكلام ماخطونا الى الامام الاخطوة واحدة والمقصد شاسع لا ينال الا بعد قطع مسافة طويلة

المسئلة مهمة وجديرة بأن نغنى بها لان حياة الامم وبقائها انما يكونان بالمدارس التي هي روح الامم ومدار سمادتها وارتقاؤها في العلوم والمعارف . ولا يحصل الارتقاء في العلوم الا بالتدريج . وكم من أمة وضعت أساساً للعلم والمدنية ثم انقرضت وورثتها أمة اخرى وبنت على انقاض ما تركت الاولى وأكملت نواقصها ثم ودعت الدنيا خلفتها ثالثة ونظرت في ما تركته من الآثار وزادت عليها وظفرت بما لم يخطر ببال الثانية وهكذا الى ان بلغت العلوم والحضارة ما نراه اليوم من الرقي والكمال !

ووظيفة كل أمة في كل عصر هي ان تكمل ما ورثته من الآباء وتتركه للأبناء واذا أهملت أمة هذه الوظيفة فقد جنت جناية لا تغفر على اخلاقها بل على النوع

البشري بأسره

واذا أجلنا الطرف في مدارس سنارى الفوضى سائدة في أكنافها : لانظام ،

(المجلد التاسع)

(٣٩)

(المنار ٤: ٩)

ولا ترتيب ولا نظارة ولا محاسبة كاتمة بيت طرحت الى الشارع وقت الحريق !
ومن اراد ان يكتب شيئا فيما يتعلق بها يحار في اختيار نقطة يتبدى منها . فليس
اصلاح هذه المدارس وتنظيم دروسها أمرا هينا بل هو أمر في غاية الصعوبة
ولكن الأمة اذا تصدت لهذا الأمر بجد واخلاص ذلته مهما كان صعبا اذا لا يوجد
في الدنيا شيء أشد قوة من أمة متحدة افرادها وملتزمة اعضاؤها . وما من غاية
قاصية الا وادركتها الأمة المتحدة وما من مسلك وعرا الا وعبرته الأمة المتحدة
والمسائل التي تتعلق بمدارسنا كثيرة لا تحصى ومضمارها واسع جدا لانهاية
له . فلا خير في التحير في اختيار نقطة الكلام فأقول :

هل تقتقر مدارسنا الى الاصلاح ؟

ان مسألة اصلاح المدارس مسألة جديدة بيننا . اذا رجعنا البصر الى
ما وراءنا قبل عشرين سنة لم نثر على أفكار مكتوبة تتعلق بالمدارس الا قليلا
واذ كان هذا القليل لم يطبع ولم ينتشر بين الأمة لم يكن له أثر بالمره . ولكن
الفرق عظيم بين ذلك الزمان وبين اليوم . فانه لا يكاد يوجد اليوم من لا يبحث
عن أحوال المدارس وطلبة العلوم . وان كان بعضنا ينكر اصلاح المدارس ويحرم
تنظيم الدروس ويدعي ان وراء اصلاح المدارس ضرا جسيما يرجع الى الأمة
بالخسار فهو لاء المنكرون لا يزالون يتباحثون مع غيرهم في شأن المدارس والطلبة . والبحث
عن شيء ولو بانكار الحقيقة خير من إهمال البحث لان الناس لا يهتدون الى الحق
الا بعد نزاع وجدال وبحث وتنقيب والبحث يجلو الحقيقة ويطلم الكثيرين على مواضع
خطأهم وينقذهم من النيه في غمرات الضلال .

انا أصلحنا بيوتنا التي نسكنها والعربات التي نركبها وحوانيتنا التي نتجر فيها
ومزارعنا التي نحرثها ، والاحذية التي نخدمها ، والاردية والفراء التي نلبسها بل
وأوراقنا التي نطبع عليها كتبنا وقرآنا ، وحروف مطابنا وغيرها أفلاتكون ديار
التربية والتعليم والمدارس والمكاتب التي يربي فيها رجال المستقبل وقادة الأمة
مفتقرة الى الاصلاح ؟

كل من تعلم في مدارسنا يكون إما مدرسا في مدرسة أو معلما في مكتب أو

اماماً وخطيباً في مسجد أو عالماً ذائفاً عظيم في الأمة أورثيسا ليت من البيوت !
ولا أرى أن وجوب اتصاف هؤلاء بالفضائل الجمّة وتخلّصهم بالأخلاق الفاضلة

محتاج في اثباته الى دليل !

وإذا لم يكن المعلم والمدرس والامام والخطيب مثالا في الاخلاق الفاضلة
والآداب فلا يرجي منهم خير الأمة قطماً . وليست وظائف من يكون زوجها لامرأة
أقل من وظائف من يكون معلماً في مكتب . لان رئيس العائلة معلم في عائلته
كيف ندعي عدم افتقار مدارسنا الى الاصلاح ولا يدرس فيها «علم التربية»
وعلم الاخلاق وعلم السياسة والاجتماع . مع أن هذه العلوم لا بد منها لكل من
يرشح للتدريس ، أو التعليم ، والخطابة ، أو الكتابة !

أم كيف تحسب المدارس التي لا تسع طلبتها فضيلة من الفضائل الانسانية
ولا تدري ماهي الفلسفة الدينية معمورة غير منتقاة الى الاصلاح؟ وكيف ترجى الخدمة
للمسلمين من طلبة هذه المدارس؟

كل ما يدرس في مدارسنا عبارة عن عدة حواشٍ وشروح وبقصة كتب من
علم الكلام ألفت بعد ابتلاء المسلمين بالخلاف والجدل . اتكفينا هذه الدروس في
هذا الزمان؟

إذا قال لنا الذين يصدقون أقوال الكهان ويحكمون بما في كتب الطلامس
والجفر ويحرمون ركوب السكة الحديدية ، ويمتنعون من السفر تطييراً بحيوان
مخصوص: ان مدارسنا أفاضت العلوم منذ قرون ولا تبرح نقيض وستفيض بعد
الآن . والقارئون منا أكثر من قارئ الروس . لانهم عندنا خمسة وعشرون في المئة
وعند الروس لا يزيد عن عشرين في المئة على ان مدارسهم منتظمة ودروسها على نسق
جديد والحكومة تؤيدها بمبالغ طائلة فالذي يضطرنا الى اصلاح مدارسنا؟ قلنا لهم:
كان الذين يقرءون في عهد آبائنا قليلين جدا في المدن فما بالك يا قارى وما كان
المقصد من الكتابة يومئذ الا كتابة الكتب (الخطابات) وقراءتها أو كتابة أسماء
الموالي في سجل النفوس اذا كان القارى . اماما في مسجد . ولا شك ان هذه الحاجة
ساعة قليلة . وكانت مدارسنا في ذلك العهد تقضي هذه الحاجة . مضت الأيام وتغيرت

لازمان وكثرت الحاجات ونجحت بين الامم المنافسة في الحياة، اوده تنازع البقاء،
وكانت الغاية من التعلم في المدارس قبل اليوم بنصف قرن الالام بشيء من
الدين وتعلم الكتابة. اما اليوم فقد صارت مدارس الامم الحية دور حياة
تخرج فيها هداة الامة وقادتها، وهؤلاء القادة يقودون اقوامهم الى ما فيه صلاحهم،
وينسقونهم الى مستقبل عظيم:

اذا بقي هدايتنا حياىرى اذ تقود هداة الامم الاخرى اقوامهم الى مصالحهم
فقد خسرنا خسرانا مينا!

فلتكن مدارسنا بحيث تربي لنا هداة يقودون الامة ويكونون لها خير قدوة. وان
كان هذا الامر مما كان يمد قبل اليوم بثلاث سنين خيالا صرفا فقد صارت الآن
حقيقة جليلة كالشمس في وسط السماء.

هل كان يخطر ببالنا ان مسلمي الروس يضمون نظاما في حاجاتهم الدينية والدينية
ويوفوناه الى الحكومة وانهم يجتمعون في عواصم البلاد ويأترون في شؤنهم المختلفة
كل اربنا اليوم باعيننا؟ فلا غرو اذا رأينا بعدها وكلاء المسلمين يجلسون متكاتفين
مع وكلاء الامم الاخرى في مجالس عالية، وبالجملة اننا نضطر بعد اليوم الى ان نمش
مع أهل وطننا المتقدمين في العلوم مشركين في المصالح. واذا لم نستطع ان نمشي
معهم داسونا باقدامهم وبقينا اذلاء صاغرين.

ليست الغاية اليوم من التعلم في المدارس هي تعلم الكتابة فقط بل الغاية
كما قنا سابقا هو ان يخرج فيها رجال يكونون ائمة للامة.

المتعلمون من الروس اكثرهم يعملون أعمالا نهار فيها عقولنا واما المتعلمون
مننا فلا يقدر أحدهم على ان يتكلم بالعربية الفصحى بعد ان يكون اضع جل عمره
في تعلم لسان العرب الذي يحتاج اليه كل عالم اسلامي ديني. أيها الاخوان!
نحن في احتياج شديد الى مدارس منظمة تهربي لنا رجالا تحفظ امتنا من الزلازل
والزجاجع، والامواج والزوابع، ومن انكر هذا فقد انكر ما أثبتته البرهان والعيان.

(رضاء الدين بن فخر الدين)

(المنار) ان لنا رجاء كبيرا بمسلمي روسيا لا يزلله ما سمعنا عن جهود الكثيرين

من أساتذتهم وشيوخهم ونفورهم من الإصلاح الذي قضت به ضرورات الزمان
فإن طلاب الإصلاح كثيرون وهم الغالبون حتماً ولو بعد حين . ولعلنا نعود الى
الموضوع ونذكر ما يصل إلينا عن مؤتمرات التلاميذ الذي عقدوه في قران و بعض ما تراه
واجباً في إصلاح تلك المدارس

أنا وعلمنا الحقيقى

التقريظ

﴿الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة﴾

كتاب وجيز للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي الشهير بين فيه شعب الإيمان
الواردة في الحديث بحسب فهمه وهذا الكتاب أحسن ما اطلقنا عليه من كتبه
فقد تصفحنا منه أوراقاً متفرقة فرأينا كلاماً ممتدلاً ينفع العامة وقلما ينكر الخاصة
منه شيئاً ضاراً بعد منفرداً به فأثباته روية كثير من الناس للجن قد تبع فيه كثيراً من
المؤلفين وهو مما ينكره الخاصة ويعدون اشاعته ضارة وقد سبق للمنار دليل ذلك .
وأما ما ينكرونه أو ينتقدونه عليه مما انفرد به فلم أرفيه ما يضر القارىء مثاله قوله
«والعلم بالله على ثلاثة أقسام الاوامر الشرعية والنواهي الشرعية والمباحات الدنيوية
ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية - فعلم الامر هو علم الفرائض والسنن
والفضائل وعلم النهي هو علم الحلال والكرهية والتنزيه وعلم المباحات هو العلم بالدنيا
وأهلها وكيفية آداب المخالطة وكتساب المعيشة وصيانة المجد وحفظ حقوق المقادير
وأبهة الهيئة المجتمعة وهذه الاقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع . وأما
مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا تحتاج الى
اكتساب . وبعد هذا فالهدى هو العلم لا يستغني القلب عن العلم طريقة عين
والعقل أيضاً محتاج الى العلم النبوي لا يستغني عنه بنفسه آناً أبداً وكل علم مد شرعاه
في الاكوان انفتق رتقه بهمم الانبياء وباشرته العقول فسلكت فيه فجاءها»
فالعامي يفهم من هذا الكلام انه يطالب بالعلم الديني والدنيوي والخاصي لا يقول

ان فيه شيئاً ضاراً بعقيدة القاري، أو آدابه وإنما ينكر هذا التقسيم وهذا البيان للأقسام - ينكر على المؤلف أنه قال إن الأقسام ثلاثة وسرد أكثر من ثلاثة معطوفاً بعضها على بعض، ينكر عليه أنه جعل كيفية الكسب وصيانة المجد والعلم بجميع المباحات من العلم بالله ولم يذكر أن من العلم بالله العلم بصفاته وأسمائه وسننه وحكمه في خلقه وإنما العلم بالله في الحقيقة هو العلم بهذه الأشياء ولا يصح أن يسمى غير ذلك علماً بالله إلا بتأويل. فان قيل انه طوى هذا في العلم بالاوامر أي بالفرائض والسنن - وهو مالا يتبادر من لفظها - يقول المنكر ان سلمنا ان هذا مما يفهم منها فإنا ننكر على المؤلف سكوته عن أهم أركان العلم بالله ونطقه بما لا يعد من أركانه أو لا يهدم منه الا بتكلف من التأويل

- وينكر عليه قوله ان المباحات تتعلم من الشرع وطريقها السمع بأنه لا حاجة الى ان تتعلم المباحات تعلماً ولا تتوقف معرفتها على السمع فانها هي الاصل وإنما يتعلم من الشرع التسمان الاولان - الاوامر والنواهي - فيعلم ان ما سواها مباح على الاصل فما سكت عنه الشرع فلم يأمر به ولم ينه عنه فهو مباح وفي الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم «أتم أعلم بأمور دينكم» - وينكر عليه قوله في مدارك الحواس والعلوم الضرورية وسكوته عن العلوم النظرية ولا حاجة لشرح ذلك ولا لبيان سائر ما ينتقد في تلك الجملة. وما ينكر عليه من هذا القبيل ترتيب الشعب وخلط مسائل الايمان منها ومسائل الاسلام ومسائل الاحسان بعضها ببعض. ان اريد الا بيان ان ما ينكر على هذا الكتاب لا يكاد يتجاوز حسن البيان وتحرير المسائل الى كون ما كتبه ضاراً بمقائد القارئ أو آدابه كما يوجد في كثير من الكتب فالكتاب اذاً نافع

وقد أعجبني ما ذكره في شعبة الزكاة وهو «واذا تدبر اللبيب يرى أن الوجود كله يتمجد لله بالزكاة عملاً بشريعة الإسلام - هذه الارض التي هي أقرب الاشياء اليها تعطي جميع زكاتها من منافعها ونباتها ولا تبخل على من على ظهرها بشيء مما عندها في فصول العام وكذلك النبات والاشجار والحيوان والبحر والسموات والافلاك والشمس والقمر والنجوم الكل لا يدخر شيئاً من منافع جوهره منه

وقوائد هادته متعاقبات بعضه مع البعض في طاعة الله فانع الزكاة مخائف لجميع الموجودات بل والأرضين والسموات ولذلك وجب شرعاً قتاله وقهره واجباره على ايتاء الزكاة فتدبر سر هذا الحكم وحكمته يظهر لك شيء من جليل معاني الشريعة ففيها البلاغ اه وهو كلام ظاهر شعري وباطنه فيه حقيقة دقيقة وباليات المؤلف توصل الى السلطان بإلزام المسلمين باداء الزكاة لهله يحجب كما يحجب الى كثير من الامور الدنيوية التي يطلبها منه

وقد طبع الكتاب على ورق جيد وهو يطالب من مكتبة أمين أفندي هندية

(خلاصة السيرة المحمدية)

يجب على كل مسلم ان يعرف رسوله الذي هداه الله تعالى على يديه معرفة تفهني ايمانه به وتمني حبه في قلبه وترغبه في التماسي به فقد قال تعالى في كتابه (٢١: ٢٣) لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر والا اسوة تتوقف على معرفة سيرة من تأسى به في أخلاقه وشأنه وأعماله وسائر شؤونه . وقد كان يصعب على كل مسلم ان يقف على السيرة النبوية اذ لم يكن ألف فيها الا الكتب المطولة التي تعسر الاستفادة منها على غير العلماء . ومن محاسن هذا المصر أن ألفت فيه المختصرات السهلة في كثير من العلوم ومنها (خلاصة السيرة النبوية) للشيخ عطية محمد البشاري مدرس اللغة العربية في مدرسة المتقدين الاميرية . كتاب لا تبلغ صفحاته عقد المئة ولكنه جامع لاهم مسائل السيرة النبوية بالاختصار ، مع الاشارة الى شيء من وجوه الاعتبار ، ولملخص سيرة الخلفاء الراشدين . فأصبح لجميع نظار المدارس الاهلية ان يجملوه من أول دروس الدين ثم ينتقلون منه الى كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) وأتمنى لو يتم نشر هذين الكتابين ويقرآن لعمامة في المدن والقري . ولو كنا عارفين بطرق النشر لادر كنا بعض ماتمني من مثل ذلك . هذا ما ترى التنويه به نافعا بالاجال ولا حاجة الى الكلام عن جزئياته بالتفصيل

(اعلام البعيد والقريب . بعجز من ظن انه رد على السؤال العجيب)

للشيخ أحمد المايحي الكتبي مناظرات مع دةاة النصرانية بهمر وردود

عليهم منظومة ومنشورة ومنها (السؤال العجيب) وهو سؤال منظوم وجهه اليهم فنظم بعضهم ردًا عليه فعاد الشيخ أحمد الى ردّ الرد في كتاب منظوم منشور بلغت صفحاته ٦٨ والظاهر ان هذه الردود تتسلسل فلا تنقطع واذا كان الجدل مكروها وضارًا في الاجتماع فما يصح للمسلمين أن يفخروا به أنهم لا يتشدون ، واذا اعتدي عليهم ينتصرون فلا يُغلبون ،

﴿ كتاب الموسيقى الشرقي ﴾

يكثر المصنفون في هذه البلاد سنة بعد سنة ولكن يقلّ فيهم من يأتي بشيء مبتكر ، يعرف به المنكر ، أو يحرّر ما ليس ببحرٍ ، أو يجي به فنّات أو يقيم به رسماً درس ، وقد أهدي اليّنا في هذه الايام كتاب (الموسيقى الشرقي) فاذا نحن بمؤلفه (كامل أفندي الخلمي) يحاول فيه احياء هذا الفن الجميل — فن الموسيقى — باللغة العربية بعد ان ذهبت به السنون ، وتناولت عليه القرون ، ولم يقدم على هذا الا بعد أن أخذ له أهتته ، وأعدّ له عدته ، بممارسة الفن علماً وعملاً على أيدي اساتذة العصر فيه كالرحوم الشيخ أحمد أبي خليل القباني الدمشقي استاذه الأول والشيخ عثمان الموصلي وغيرها ثم بمراجعة أدريس بك راضب الشهر . فجاء سفر احافل الري ، كامل الروي ، يدخل في مئتي صفحة كبيرة أو يزيد ، ذا طبع جميل ، على ورق صقيل ، وزين بصور أشهر الموسيقيين المعاصرين مع تراجمهم والمختار من ألحانهم فكان بذلك ذا شجون وفنون ، جديراً بأن يكتر فيه الراغبون ،

بدأ المؤلف مقدمة كتابه بتعريف الموسيقى والنظم واللحن والصوت والاصول التي هي موازين الألحان ثم تكلم على الغناء وآلات الطرب والسمع وجاء بأقوال الحكماء والفقهاء فيه ونقل كلام ابن خلدون في الموضوع ثم عقد للصوت فصلاً خاصاً فاطال الكلام في مباحثه الطبيعية والفنية ففصلاً للنغمات ففصلاً لما يعرف عندهم بالتصوير وعند الافرنج بقلب القرار وفيها من الرسوم والجداول ، ما يجلي ما اشتتلا عليه من المسائل ، وجاء بعدها فصول في آلات الطرب — العود والقانون والكنجة الافرنجية والمرية والناي والصوتومتر والمرونوم — وقد

وضع في الكتاب رسوم هذه الآلات وشرحها وبين طرق العزف بها ثم عقد فصلا مطولا للاوزان او الأصول بين فيه أقسام الواحدة والاوزان المصرية وهي سبعة عشر وأوضح كل ذلك بالإشارات الى غير ذلك من الفوائد وهذه الفصول كلها في مباحث الكتاب الفنية . ثم ذكر فصولا أكثر مباحثها أدبية كآداب المعنى والسمع وغناء الحشاشين وملاهيهم وكيفية تعليم الفن وصفة الغني واسماء ملحن الغناء بمصر وتفضيل الغناء القديم على الحديث . وجاء بعد ذلك ببداية الموشحات ثم تراجم اساتذة الفن وتلاميذهم المختارة . وقد وضع في آخره تلاحين له عربية على العلامات الافرنجية المعروفة بالنوتة وهو ما لم يسبقه اليه أحد من أهل لغتنا فيما نعلم

أنتقى كامل أفندي على تأليف هذا الكتاب وطبعه عدة سنين في ربيع عمره وزهرة حياته فهو جدير بأن يكافأ بالثناء والشكر ومن الشكر الاقبال على الكتاب وترويضه وضمن النسخة منه عشرين قرشا وهي قليلة على حسن طبعه وورقه وصوره ورسومه فهي الجزء المادي لمادة الكتاب ، ويبقى لصاحبه حق الجزاء الأدبي لمن يعرف مكان هذا الفن من التربية والآداب ،

﴿ أبداع ما نظم في الاخلاق والحكم ﴾

جمع السيد يوسف أفندي بن عبد القوي سنو الحسيني البيروني صاحب مكتبة البدايع بمصر قصائد ومقاطيع في الاخلاق والحكم من نظم الأوائل والواخر ومرجها بمنظومات له أكثرها في الاقتباس وطبعها فكانت ديوانا جليلا وقد وضع في ذيل الصفحات تعريفا وجيزا بكل شاعر عند ذكره لأول مرة يذكر ما عرف من نسبه وتاريخ ولادته ووفاته . وهناك هذه القصيدة مما اختاره لاحد الجاهل بن قال

﴿ ومن قصيدة لمدي بن زيد ﴾

وعاذلة هبت بلبيل لومني فلما غلتي في اللوم قلت لها اقصدني

أعاذل ان اللوم في غير كنهه عليّ نبي من غيرك المتردد

أعاذل ان الجهل من لذة القبي وان المناسبا للرجال بمصد

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى
أعاذل من تكتب له النار يلقها
أعاذل قد لا قيت ما بزغ الفتى
أعاذل ما يدريك أن مني
ذربي فاني أعالي ماضي
وحمت لميقاتي الي مني
وللوارث الباقي من المال فاتركي
أعاذل من لا يصلح النفس خاليا
كفي زاجراً للمرء أيام دهره
بليت وأبليت الرجال وأصبحت
فلا أنا بدع من حوادث تعري
ففسك فاحفظها عن الفي والردي
وان كانت النماء عندك لا مري
اذا ما أمر ولم يرج منك هوادة
وعد سواه القول وأعلم بأنه
عن المرء لا تسأل وصل عن قرينه
اذا أنت فأكبت الرجال بعجل
اذا أنت طالبت الرجال نوالهم
ستدرك من ذي الفحش حقت كله
وسائس أمر لم يسسه أب له
وراجي أمور جهة لن بناها
ووارث مجد لم ينله وماجد
فلا تقصرن عن سمي ما قد ورثته
وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تلم
ولا تلح الامن الام ولا تلم

وأبعده منه اذا لم يسدد
كفاحار من يكتب له الفوز يسعد
وطاقت في الحجلين مشي المتيد
الى ساعة في اليوم أوفي ضحى الغد
أما من مالي اذا خف عودي
وغودرت ان وسدت أولم أوسد
عتابي فاني مصلح غير مفسد
عن الحي لا يرشد لقول المفند
تروح له بالواعظات وتقتدي
سنون طوال قد أتت قبل مولدي
رجالا عرت من بعد بوسى وأسمد
مى تغوها يغو الذي بك يقتدي
فمثلا بها فاجر المطالب وازدد
فلا ترجها منه ولا دفع مشهد
مى لا يبرز في اليوم بصرك في الغد
فكل قرين بالمقارن يقتدي
فقل مثل ما قالوا ولا تهزبد
فقف ولا تأتي بمجد فتجهد
بملك في رفق ولما تشدد
وزاتم أسباب الذي لم يعود
ستشعبه عنها شعوب للمحد
أصاب بمجد ظارف غير متلد
وما استطعت من خير لنفسك فازدد
وذا الذم فاذمه وذا الحمد فاحمد
وبالبل من شكوى صديتك فافتد

عسى سائل ذو حاجة ان منعه
ولخلق اذلال لمن كان باخلا
وأبدت لي الايام والدهر أنه
ولاقت لذات الفنى وأصحابي
اذا ما تكرفت الخليفة لاسرى
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه
وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجر
والأمر ذو اليسور خير منبة
ما كعب مجدا أو تقوم نواحا
ينعن على ميت وأعلن رنة

وقد اخترنا المثال من شعر العرب لندكر الناسي ونعرف الجاهل بما أوثقه
في جاهليتهم من الحكمة التي أعدتهم لفهم الاسلام وقبوله والسيادة على العالم به
لعلهم يتذكرون فيوازون بين ماضينا وحاضرنا بل بين جاهلينا قبيل الاسلام
وبين حالنا الآن في علو الفكر وعزة النفس ومكارم الاخلاق ليرأى الفريقين
أرجح — ليروا هل يوجد في علمائهم من ينطق بالحكمة التي كان ينطق بها الجاهلي؟
هل يوجد في أغنيائهم من يبذل ماله لوقاية ماله وأمنته من الخطر كما كان يبذل الجاهلي كل
ما يملك ولو لمحتاج واحد؟ هل يوجد في دعاتهم من يبذل روحه لوقاية نفسه وقومه من القتل
وحمايتهم من الظلم والكتاب يباع بأربعة قروش بمكتبة البدائع بشارع محمد علي

﴿ حديقة الآداب ﴾

جمع ابراهيم دسوقي أفندي أباطه نجل ابراهيم بك أباطه وهو الآن تلميذ
في المدرسة الخديوية ما استحسنه من كراسات الانشاء التي كتبها في المدرسة
باقراح الملمين وما نظمه عن الشعر وما كتبه من الرسائل وما خطب به في بعض
الجمعات الادبية التي يخطب فيها مثله وطبع ذلك كله في كتاب سماه حديقة الآداب
وقد أحسن في هذا العمل لان ابراز صورته العقلية والنفسية للناس قبل أن يبلغ
أشده ويتم تعليقه جدير بأن يمثت همته في كل سنة الى الارتقاء عما عرف الناس

منه ارتقاء يعرفه الناس ومن كانت حديقة الادب له بداية يرجى ان يكون
قيل الادب له خير نهاية

(اظهار المكنون . من الرسالة الجديدة لابن زيدون)

رسالتا ابن زيدون أشهر في عالم الادب من نار على علم ومن طلاب العلم من
يحفظ الرسالة الجديدة عن ظهر قلب لما فيها من الحكم والامثال، والمحاسن والتكات
والاشارات التاريخية، والمختارات الشعرية، فهي خلاصة أدب رائع، واطلاع
واسع، لا يفهمها على سلاسة عبارتها الا من ضرب في تلك المسائل بسهم، وكان
له ما توميء اليه نصيب من العلم، ومن ثم كانت الطلاب وكثير ممن يوصفون
بالتحصيل والاستاذية في قصور عن فهمها بغير معونه الشرح أو تكرار المراجعة لذلك
افرح بعض محبي الادب على الشيخ مصطفى العناني أحد مساعدي التفتيش بنظارة
المعارف ان يشرحها «شرحاً وجيزاً يتكفل محل الفردات، ويبين مقاصد الكتاب
من العبارات، ويذكر مضارب الامثال»، قائلًا انه لم يسبق لها شرح على هذا
النوال، فأجابها إلى ذلك وقد وضع الشرح في أدنى الصفحة والاصل في أعلاها
وطبعا على ذلك فكانت نحو أربعين صفحة وجعل ثمنها قرشاً ونصف قرش

نتيجة الاملاء

رسالة وجيزة في قواعد الاملاء للشيخ مصطفى العناني وهي على ايجازها
مفيدة جدا في هذا الفن حتى تكاد تكون محصية للضروري من قواعده وقد طبعت
في القلم الصغير وثمان النسخة منها نصف قرش

﴿ حيب الامة ﴾ جريدة جديدة أنشأها في تونس أحد كتابها البارعين (عبد
الرزاق النطاس) وقد عاهد الامة على الحرية والاستقلال في بيان الحقائق وإسداء
النصيحة من غير محاباة للحكومة ولا عراعاة أهواء العامة أو ما هنا منافع فيما
قد كرم وقد اختزل العدد الاول دوننا - ولعمري إن هذه الطريقة هي الطريقة
التي وثقنا الله وإياه إلى الاستقامة عليها فإنه لا خير في سواها

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

﴿ مؤتمر الأديان في اليابان ﴾

كتبنا في الجزء الثامن عشر من السنة الماضية (الصادر في ١٦ رمضان سنة ١٣٧٣) مقالة في دعوة اليابان الى الاسلام وكتبنا بعدها نبذا أخرى في ذلك (واجمع ص ٧٠٥ و ٧٩٦ و ٩٨٧ م ٨ و ص ٧٥ م ٩) وقد أشرنا في الجزء الأول من هذه السنة الى ما كان لتلك الكتابة من التأثير في بلاد الاسلام شرقها وغربها حتى ان بعض أهل الفيرة وعد يبذل المال في هذه السبيل عند ما تظفر الدعوة الى ذلك في المنار وبعضهم قد أرسل الينا حوالة مالية للإعانة على ذلك ووعد بتأليف جمعية تجمع المال من الموسرين اذا نحن شرعنا في العمل . وقد أشرنا في بعض ما كتبنا الى ان مثل هذا العمل لا يأتي الا من جمعية تقوم به لان ما يأتي من الافراد يكون ضعيفا غير ثابت ولا دائم . وكان خطر لنا من بضعة أشهر ان نسمى في تأليف جمعية للدعوة الى الاسلام تكون لها مدرسة خاصة لتعليم الدعاة ما يعدم لاقامة هذه الفريضة المحتمة فاستشرنا بعض أهل الرأي والفيرة في ذلك بمذاكرة الحاضر ومكانة الغائب فأجهمت الآراء على استحسان المشروع ولكن ظهر لنا ان بعض الكبراء منهم لا يثق بقدرة الجمعية التي يراد تأليفها على جمع المال الذي يكفي للقيام بهذا العمل خلافا لنا في اعتقادنا أن هذا المشروع يقع أحسن الوقع من نفوس جميع طبقات المسلمين ويرجى تفضيله من جميع البلاد الاسلامية اذا كان القائمون به ممن يوثق بهم في استقامتهم وكفاءتهم . وانما كتبنا ما كتبنا في ذلك لاجل تحريك الهم وتوجيه النفوس الى العمل وفق الله بعض أهل الفضل للاجتماع والمشاورة في ذلك وألفوا لجنة اجتمعت عدة مرات وبحثت في المشروع ثم لما أقبل الصيف بجره وتفرقه اختاروا أن يرجئوا الاجتماع والسعي الى ان ينتهي الصيف وكان من اقتراح بعضهم ان تعجل الجمعية باعداد ثلاثة أو خمسة نفر يستعدون

بالمطالعة والدراسة للسفر الى اليابان فاستحسن اقتراحه ولكنهم لم يشرعوا في شيء بالفعل وماسكتوا عن ذلك الا وأنطق الناس تكلمهم به خبير المؤتمر الديني الذي قرب وقت انعقاده في عاصمة اليابان

سبق للدولة اليابانية عمدة مؤتمر ديني مندسين وقد دعيت أهل الملل في هذا العام لعقد مؤتمر آخر يحضره الراسخون من أهل كل ملة يظهرن فيه حقائق دينهم وحججهم على كونه حتما مفيدا للبشر والعمران ويقال ان أولي الامر في الأمة اليابانية سيدخلون في الدين الذي يظهر لهم بعد البحث الطويل انه خير الأديان ، وأعوونها على ارتقاء الاجتماع والعمران ،

ذكرت « الجرائد المحلية » وهذا الخبر فشفل الناس به عن كل خبير حتى كان حديث المحاور والمسامر ، في كل ناد وسامر ، بل تجرد الناس بتعدادون به في مواضع أعمالهم - عمال الحكومة في دواوينهم والقضاة في محاكمهم والتجار في دكاكينهم والفعلة في مواضع الحرث والبناء وغيرها من الاعمال وكل مسلم مقيم في مصر يقول انه يجب ان يكون لمصر أعضاء في هذا المؤتمر وقلما يذكر أحد منهم اليأس من قيام الحكومة بذلك والرجاء في الأمة الا ويفصح بارتياحه الى البذل في هذه السبيل بقدر ما تسمح له سمعته ومنهم من يشترط في ذلك ان يكون من يختارون الإرسال أهلا لبيان ما يمتاز به دين الاسلام على جميع الأديان . ومن شروط ذلك معرفة حقائق الدين الاسلامي وحكته أو فلسفته كما يقولون ومعرفة الأديان الشهيرة الاخرى كالبودية والبرهمية واليهودية والنصرانية . وترى المارفين بأحوال الزمان والمكان يكادون يجمعون على انه لا يوجد في شيوخ الأزهر من هم أهل لذلك على انه قد يرشح نفسه لمثل هذا العمل من هو دون شيوخ الأزهر علما ومعرفة ومن الناس من يرشح من يهوى يظهر للناس غيره وغيره من يجب ما أجدر تلك اللجنة التي جمعها غير مرة هذا الرجاء ، قبل ان تنازعه الأهواء ، بالبحث في هذا الامر فان رأته متيسرا قامت به وان رأته متعذرا أظهرت رأيها للناس فيه لعلمهم يقنعون ،

أما الدولة العلية فتقدب أرسلت الى المؤتمر من قبلها ثلاثة نفر بأمر السلطان

و بلغنا ان بعض مسلمي الهند وروسيا قد ذهبوا من قبل أنفسهم وأول مسلم
انتدب لذلك رجل انكليزي قريب عهد بالإسلام، وان في ذلك لهبرة لأولي الاحلام،

مسألة العقبة

وجونا ان تحسن الدولة المليية المخرج من مسألة العقبة اذا كانت لم تحسن
المدخل فلم يقض لنا ما رجونا وذلك أنها لم ترض بان تحل عقدة الخلاف بالذاكرة
بينها وبين الخديوي وحكومته فاضطرت انكلترا الى أن تضرب للدولة أجلا
عشرة أيام تخرج فيها جنودها من نقطة الخلاف وتجب الى تعيين لجنة تحدد الحدود
على اوجه المطلوب وتندرها الويل والثبور اذا هي لم تفعل فأجابت انكلترا الى ما طلبت
في اليوم العاشر فكان هذا الفشل كما سبقه في مكذوبة وغير مكذوبة اذ تنال أوروبا
منا كل ما تريد في تركيا ومساكن وكل مكان ونحن مصرون على ذنوبنا التي
نؤخذ بها كما قال ربنا (وما أصابكم من مصيبة فبما كبت أيديكم) لا ملوكنا
يتوبون عن استبدادهم بالامس ولا آتتنا تتوب عن غرورها ومكابرتها واسترسالها
في أهوائها وجهالتها . والمعجب التي لا ينتضي أن أكثر الذين يوصفون بالفهم
منا يرون أنه يجب علينا إظهار القوة من الضعف ووضع الستور على عيوبنا وذنوبنا
التي حل بنا البلاء باقترافها لكيلا يشمت بنا اعداؤنا ولذلك يوهون الامة بان
كن خذلان نصاب به هو عين الفوز والظفر وسنين الحق في هذه المسألة في مقال خاص

﴿ الشيخ علي الجبري ﴾

رغب شيخ الجامع الأزهر الى الامير أن يجعل الشيخ عليا الجبري مدرسا واعظا
في المساجد المصرية . وبين له مراتبا من الاوقاف الخيرية يستعين به على عمله فأجاب
الامير الى ذلك وكتب من ديوانه الى مدير الاوقاف بعد رسم الخطاب ما يأتي
(بناء على التماس صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر قد سمحت انكارم
السنية بترتيب ستة جنهيات شهر باحضرة الشيخ علي أبي النور الجبري محسوبة
على الاوقاف الخيرية اعتبارا من ٢٦ مارس نظرا لقيامه بالوعظ وبتعليم وارشاد
المسلمين الى حقائق الدين الاسلامي واقضى تعهده اسمادكم بليغا للاسرافندم)

ميز الشيخ علي على سائر الوعاظ بجملة واعظا في جميع المآجد له ان يعلم
ويحفظ حيث وجد وأما بين الواعظ عادة في مسجد واحد وذلك أن الشيخ عليا
جوال وأرناك قاعدون أو متقاعدون . ومميز عليهم في التعيين الا وهو ممتاز
بالذات فانك ترى العالم الأزهرى من أصحاب الدرجات الرسمية إن وعظ لا يحضر
مجلسه الا الآحاد وترى الجربى - وهو ليس بصاحب درجة رسمية - يحفظ
فيحضر مجلسه العشرات والمئات . ترى غيره يحفظ في كتاب يقرأ ويحرب كتابه
ويبين للامة ما فيها من نكات البلاغة فلا يبالغ شي من معاني الكلام قلوبهم وترى
الجربى يحفظ بشير كتاب فيفهم الناس حتى يبالغ مواقع التأثير من قلوبهم ولم يذكر
كلمة واحدة من اصطلاحات فنون البلاغة . رأيت أحد علماء الأزهر يقرأ درسا
للإمامة في مسجد عينته فيه جمجمة مكارم الاخلاق فاذا هو يفسر لهم حديث
« العلماء سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » فكثرت في المسجد ساعة لم يُحد بكلامه
فيا البحث في المصابيح هل هي عين السرج فيكون اختلاف التعبير للفتن أم هي
أخص منها وفي وزن السراج والسرج والمصباح والمصابيح . فانظر ما اذا
يختارون لتلقين الناس وكيف يشرحونه لهم والجربى لا يفعل مثل ذلك وإنما يتكلم
على الناس بما يستعدونه فيديهم في عقائدهم وأخلاقهم وآدابهم وعباداتهم ومعاملاتهم
وقننا الله وإياه الى السداد والاخلاص آمين

﴿جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية﴾

ان تقرير هذه الجمعية عن السنة الدراسية الماضية ينبيء بنجاحها وثباتها وفيه
انها انفتحت على التعليم في هذه السنة نحو ٥٥٣٦ جنيناً منها ٤٣٤١ جنيناً وكمبيوتر
من الأجور التي تؤخذ من التلاميذ فتدرك لأعضائها الضوئين منهم زادهم الله توفيقاً

(تصحيح) في ص ١٥٩ من الجزء الثاني « كأفحوص القطاة » وصوابه « كأدحية
النعامة » وهو مبيضها في الرمل وسبب سبق الدهن الى الأفحوص ما ورد في الحديث
من تشبيه المسجد الصنبر به . وفي ص ٢١٧ من الجزء الثالث « فلا والذي يته في
السماء » والصواب وضع « ذو » مكان (الذي) كما هي الرواية وذو عند علي بمعنى الذي

بقرتي الحكمة من يشاؤون يؤتوا الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

الله
١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيصرون أحسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوت و«منادرا» كمنار الطريق

﴿ مصر الخميس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ - ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ ﴾

حال المسلمين في العالمين

﴿ودعوة العلماء الى نسيخة الامراء والسلاطين﴾

الشمس مشرقة تطلوq بأشعتها الارض كل يوم ، والابصار محدقة تحيط بما
يشغل فيها من كل أمر ، يكاد كل انسان يعرف اليوم من أخبار الارض ما تعرفه
الشمس ان كانت ترى الاشياء كما ترى الناس لانه جعلها بتصرفه في قوى الطبيعة
كالمدينة الواحدة يسهل على من يشاهد أمرا في رجا منها ان يفهم به الى من
في سائر الارحاء ، فالبرق الخافق ما بين الخافتين ، يفهم الى الغربيين بأخبار
المشرقيين ، وينبئ المشرقيين بأعمال الغربيين ، فطرق المبرة معتدلة ، ودواحل
المجرة مثله ، وجنى العلوم والعرفان دان ، تناوله الأيدي من كل مكان ،
هذا التواصل في المكان ، والتقارب في الزمان ، لم يدع اعذارا للشب أو جنس من الناس ،
إذا لم يجارو يبار سائر الشعوب والأجناس ، فقد عهدنا من طبيعة أطفال هذا النوع ان
يقلدوا كباره الذين ينشون بينهم في كل ما يرونهم عليه حتى يكونوا رجالا مثاهم في أعوام
معدودة ، وعهدنا من طبيعة رجاله أن يستقلوا دون من تربوا معهم بأمر تكون لهم مزايا
مشهودة ، فالقليد والاستقلال في الأعمال الكسبية ، كالتوارث والتباين في النواحي
الطبيعية ، هما يحفظ الانسان أحسن ما وجد ، وبهما يتدع عالم يجد ، فهما الجناحان اللذان
يطير بهما البشر في جواء العلوم والأعمال ، حتى يصلوا الى ما استعداد له من الكمال
ارجع الطرف الى ما رأيت من أحوال شعوب هذا العصر ، وأصنع الاذن الى ما سمع من
أخبارهم في كل يوم ، تعلم أن جميع الشعوب والأجناس قد سارت على طريق الفطرة البشرية
التي أوأنا إليها نفا ما عدا المسلمين فآهم كادوا يكونون في هذا العصر من طبيعة غير
طبيعة البشر لكنها دونها بعدان كانوا قد فاقوا سائر البشر وسادوهم فكانوا فوقهم أجمعين
ان أرقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان
تقول ان أحدا منهم ساوى شعبا من شعوب الملل المجاورة لهم ؟
قد انقد من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب الأوهو
الآن أرقى من مسلمي هذه الدولة تركيا وعربها وكردها -- أرقى منهم في الحكومة

والمدينة، أرقى منهم في العلوم والفنون ، أرقى منهم في الصنائع والأعمال ، أرقى منهم في الآداب والاجتماع ، ولك ان تستغني عن ذلك كله بأن تقول انهم أرقى منهم في جميع شؤون الحياة . وان تعجب فأعجب من هذا ان يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة أرقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على أنهم أقل منهم عددا وبالا وحقوقا في مناصب الدولة . فماذا تقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا وألمانيا وانكثرا وسائر دول أوربا اللواتي أصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كن منذ قرنين أو ثلاث قرون يرتعدن من مهايتها والخوف منها

ماذا فعل مسلمو مصر بعد الاشتغال بالترقية والتعليم على الطريقة الأوربية قرنا كاملا ؟ انهم لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محررون لشيء من العلوم بل لم تسم همهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والإرادة لا يهابون في الحق كما ولا يخافون فيه لئلا ، قد خرج حكم بلادهم من أيديهم وهذه رقبته تكاد تخرج أيضا بما يمتلك أفراد الاجانب وشركاتهم من أطيانها في كل عام وما يبتزون من أموالها في كل يوم . ولا تطيل في وصف حالهم فجزائدهم اليومية تقنيننا عن ذلك بما تسهب فيه آنا بعد الآن ، فكيف يكون حكما عليهم اذا قسناهم بنصارى أوربا أو وثني اليابان

وهؤلاء مسلمو الهند يعيشون بين أمم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن الجوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا في العلم والحكم قد أمسوا وراة هذه الشعوب كلها في العلم والعمل والترقية والثروة فلم تسم همهم لمسايقه من هم أكثر منهم عددا كالهندوس ، ولم ينجبلوا أن يسبقهم من هم أقل منهم كالجوس ،

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت الجوس أرقى شعوب الهند علما وعملا وأخلاقا وآدابا وأكثرهم برا واحسانا لانفسهم ولجميع من يعيش معهم . رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبنون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين ، سمعت خطيبا منهم يخطب في محفل حافل فأدهشني بسمو أفكاره ، وسعة عرفانه ، فقارنت بينه وبين شيخ مسلم سمعته يخطب الناس في مجتمع عام في بمباي يشبه ميدان

الازبكية في مصر وقد أحرق به الناس ، من جميع الملل والأجناس ، فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيما . سميت المسلم يذكر في خطابه من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى أنه إذا اختطف غراب عظاما من عظام الذبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقعت منه في مقبرة للكفار فإن الله تعالى يغفر لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ . وسمته يدكر تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبه وخلصها ان مر يذاله مات فحمل أهله الشيخ على أحيائه فطار في الجو ليدرك ملك الموت فيستعيد منه روح المرید فامتنع عليه ملك الموت قائلا لا يمكن أن أعيد روحا قبضتها باذن الله الا باذن من الله فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي أودع ملك الموت فيه الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وانكبت الأرواح منها فطارت كل روح الى جسدها فحي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ ولا نجراً على ذكر ما قبل في شكوى ملك لربه وما أحيب به السواد الأعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الأقوال ومن ينكرها منهم في نفسه لا ينكرها بلسانه وانما ينكر الأكتفون كل دعوة الى الإصلاح بالعلم الصحيح والثرية القويمة كما حاج أرباب العمام في بمباي على خطيب المسجد ذي المنارات أن قال في خطبته « اخواننا الشيعة » وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وأهم ما يبذلون في مولد الشيخ من القنقات ما لو بدلوها في تعميم التعليم لو في به في الهند حركة اسلامية جديدة يرجي خيرها ولكنها ضميعة المنة بطيئة السير لا يقارب أصحابها أحداً من أهل الملل الأخرى في سمعهم وجدهم فإذا جرى للمسلمين ، وما الذي دفع بهم من ضليلين الى أسفل سافلين ؟؟

بيننا غير مرة أن بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فمثاره ضرورهم بدينهم أو ابتداعهم في دينهم أو جعلهم بدينهم أو بسهم لدينهم كما يابس انقرو مقلوبا . قبلوا كل داهية عرضها عليهم رؤسائهم المفسدون بشكل ديني وان كانت ناكدة له على راسه ، أو ناسفة له من أسامه ، وأعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لهم رؤسائهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لباب الدين وصميم الدين أو من سياج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين أو بقاء الدين .

وأكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين ، وقد يرفضون كل خير بشبهة الدين قد خوبت قلوبهم من الدين حتى لا تجدي في الالوف منهم واحدا يحكم ما يعتقد من الدين في أهوائه وعاداته فالعادات والتقاليد المتبعة هي المحكمة دون ما يعتقد البرهان، أو يهترف به لأنه منصوص في القرآن ،

لا نطيل في شرح هذه المسأ ولا ندع التمثيل لما يافهم المسلمون بأساسيا لديني والديني أو الروحاني والجثمي - أساس الاسلام الروحاني توحيد الله تعالى وإسلام الوجه اليه وحده فجميع العبادات إنما شرعت لتذكير بهذا الاصل والامداد له والمحافظة عليه ومن معناه أن لا يلمس الانسان شيئا مما الامن الله تعالى أي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالمسببات ومن الشرك بالله أن يطلب الانسان شيئا ما من غير سببه العام ، المبدول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام ، فان جبل السبب أو تعذر عليه توجه الى الله وحده لعله يهديه الى صيب آخر أو يسهل له الحزن ويذل له الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا أبعد الام عن استمراف سنن الله تعالى في خلقه والاعتماد عليها دون الاسباب الوهمية ، وما نحلوه لبعض الناس من السلطة لا الهية الغيبية ، وبهذا صار غيرهم أقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل ، وإن كانوا هم أصحاب القول والدعوى

وأساس الاسلام الديني جعل أمر المسلمين في حكومتهم شوري بينهم لا يستبد بها الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم أجمع الصحابة على ان الاسلام لا ملك فيه ولا سلطان لغير الله تعالى على أهله وان أحكامه شوري بين أولي الأمر وهم أهل العلم بالمصلحة العامة والرأسي الذين تحرمهم الأمة وتثق بهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم في زمنه في الشؤون الدينية تربية للمسلمين بالعمل على ما أرشد اليه الكتاب العزيز وكان خلفاؤه من بعده يعملون برأيهم أيضا . فهذا الأساس في التسم الديني من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منه فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتحفظه شرعت الاحكام المدنية والقضائية وفروض غير المنصوص منها الى جماعة

أولي الأئمة تدعم الشورى التي هي أساس الحكم الاسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الأساس شراً مما فعلوا بالأساس الأول لأن نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناه القرآن وأجمع عليه الصحابة من حكم الشورى قد رضى به جميع المسلمين في بلادهم فيها سلطة الاملا يخلو عنه الزمان من افراد ينكرون هذه السلطة بالسنتهم دون أن يؤاخذوا جهميّات تقوّضها . على ان الانكار باللسان ، لم يتيسر لهم في كل زمان ، ولذلك اكدوا بانكار القلب الذي سماه الرسول أضعف الايمان ،

للاسلام أصول وفروع فمن حفظ الاصول وقصر في بعض الفروع لا يقطع رجاءه من مغفرة الله تعالى ومن ترك الاصول كان تاركا للدين بالمرّة غير محدود من أهله ولا رجاء له مع تركها . وأهم أصول الاسلام ما ذكرنا من التوحيد في القسم الروحاني وحكم الشورى في القسم الجسماني فمَنْ يَرْجُو النجاة في دينه من ترك الاصل الأول فحبل سنن الله تعالى وعلق قلبه ببعض عباده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا كما قال القرآن في شأن خير الخلق من النبيين والمرسلين . وكيف يَرْجُو النجاة في دنياه من رضى بحكم الافراد الاستبدادي وجعل لنفسه رئيسا من البشر مقدّسا غير مسؤول أي ان له في ملكه ما أثبت الله تعالى لنفسه خاصة بقوله (٢٣: ٢١) لا يستل عما يفعل وهم يسألون) بل كيف ينجو في آخرته من خالف نص القرآن وإجماع المسلمين في الصدر الاول وهو يسلم بقول الفقهاء عامة ان من ترك أو رضى بترك نص القرآن ومخالفة الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فهو كافر خالد في النار كعباد الاصنام طال الزمان على افعال القرآن وترك الاجماع حتى صار أكثر المسلمين يجهلون حقيقة السلطة في الاسلام بل صار الكثيرون من عامتهم يعتقدون ان للسلطان ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بتفويض من الشرع كأن الشرع جعل له سلطانا على الشرع ينسخ منه ما يشاء ويحكم ما يشاء وينفذ من أحكامه ما يشاء ويلغي منها ما يشاء فله من التصرف فيه ما لم يكن لمن جاء به إذ قال صلى الله عليه وسلم « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه البخاري . بل منهم من يعتقد أنه غير مساو لساير المسلمين في الاحكام الشرعية ومما امتاز به عند بعضهم انه اذا نظر الى امرأة

متزوجة واشتهاها فأنها تحرم على زوجها وتحمل له !! وهذا كفر صريح
 وحدثني محمود باشا داماد ان الفلاحين في الاناطول يستقدون أن السلطان
 يخالف للبشر في صورته ومن ذلك ان شعر لحية أخضر
 أما أهل العلم والفهم فهم يدعون أنهم أخذوا بالتهرب وغلبوا على أمرهم فاذا
 نطقوا بالحق عمل سيف اباطل عمله في رقابهم فلم يبق لهم الا الرضى بأضغف
 الايمان وهو الانكار بقلوبهم . هل يصدق بهذه الدعوى - دعوى أضغف
 الايمان - من يمدح المستبدين و يدهن لهم ويدافع عنهم ؟ هل يصدق بهامن
 يعمل لهم ويقبل وظائفهم ورتبهم وشارات الشرف التي ابتدعوها لأعوامهم ؟
 هل يصدق بها من لم يبدل جهده في دعوة أمثاله الى الاجتماع سرا ، التأليف
 جمعية تطالبهم بحكم الشورى جهرا ، وتقسمهم عليه بقوة الأمة قسرا ، فان الله تعالى
 ما فرض القيام بالدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة أي جمعية تكون من
 الأمة الا لتكون بأمر من المستبدين ، مسيطرة عليهم باسم الدين ، فاذا فعل هؤلاء
 العلماء بقوله تعالى (٣: ١٠٤) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
 وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وبقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى
 منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضغف الايمان»
 اذا ادعى هؤلاء المعجز عن ذلك فاذا يقول العلماء الذين لا يمنعهم مانع من
 الاستبداد ولا من غيره عن دعوة الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام
 في غير بلادهم . اذا كان علماء كل بلاد يخافون بأمر حكاهم فماذا يمنعهم ان
 يطالبوا حكام سائر بلاد المسلمين بإقامة العدل على أساسه الذي وضعه القرآن
 (٤٢: ٣٨) وأمرهم شورى بينهم) ؟ اذا كتب علماء الازهر أو علماء الهند بذلك الى
 سلاطاني الترك والفرس وسلطان المغرب وأعلنوا نصيحتهم في الجرائد فهل يخشون ان
 يقتلوا أو يصلبوا أو ينفوا من الارض ؟ أم يحسبون ان كتابتهم لا تنفيذ ولا تنفع ؟ كيف
 وهم يعلمون ان بعض السلاطين بهم لكلمة يقولها في ذلك أحد أصحاب الطرايش
 الذين لا قيمة لأقوالهم عند السواد الاعظم من المسلمين ؟ ادعوه فأرضوه ، أوخذوه فغلوه ؛
 لاشك عندنا ان كتابة علماء مصر وعلماء الهند الى السلطان العثماني بطلب الاصلاح

تفعل في هذه الدولة التي يتعنى الجميع صلاح حالها مالا تفعله الثورات التي تجري فيها أثمار الدماء طلباً للاصلاح وإزالة الاستبداد في سائر الممالك
علماء مصر أبعد عن فهم السياسة والوقوف على المسائل العامة من علماء الهند ولم
يتمودوا من الاجتماع للمشاورة في مصالح المسلمين ما تعودوا علماء الهند الذين أسسوا
جمعية (ندوة العلماء) وغيرهم فعلماء الهند أولى بأن يبدؤوا بهذه النصيحة وعليهم ان
يمجولوا بها فان نذر الدول الأوربية تنذر الدولة العثمانية بجعل سائر ولاياتها تحت
مراقبة دول أوربا الكبرى على الطريقة التي حرين عليها في كريت ومكدونية
وإذا تحقق ذلك - والعياذ بالله - فقد زالت سلطة المسلمين إذ لا يعقل أن يقضين
على تركيا وبيقين على إيران، ومرا كش كادت تكون منذ الآن في خبر كان،
إذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم - وكان إفساد
رؤساء الدنيا لم يتم الا بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين - وكان
طول الامد على هذا الافساد قد أضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال
الذاتي - وكانت عزة الأمم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال - وكانت الملوك
لا تترك استبدادها مختارة - وكانت الشعوب الاسلامية لم تسم للنهوض باكرام حكاهم
على العدل والشورى كما نهضت الشعوب المسيحية واحداً بعد آخر كما أنبأنا تاريخ من فازوا
في الماضي وكان شاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا - وكان الذي يمكن لحكام
المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم ان الدين يوجب طاعتهم على الاطلاق -
وكان الحق المجمع عليه انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - إذا كان ما ذكر كما
ذكر فالواجب على العلماء الأحرار في مثل الهند ومصر ان يبينوا الملوك المسلمين ولعامتهم
الحق في ذلك مادام في القوس منزع - أن يطالبوا الملوك بالعدل والاصلاح
في الارض بحكم الشورى فان لم يستجيبوا لهم فلا يستعجبنا عليهم بالعامه والجرائد
بعد أن يبينوا للعامه في الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة
أو السلطان أو الأمير المقيد بالشريعة والشورى المسئول لدى الامة في الدنيا وعند
الله في الآخرة وبين الآله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون

أهل علماء الهند لا يعرفون كنه الخطر القريب الذي تهافت عليه الدولة العثمانية لأن أكثر جرائدهم كجرائد مسلمي مصر تكتم عنهم ما تعرف من مساوئها - على أنها لا تعرف إلا النزول اليسير - وتحلبها بالفصائل والفواصل المتحلة التي ترى أنها تشد أواخي الآمال بها وتمثل عدوان أوروبا عليها بأقبح المثل وأشنع الصور فتخلق لها من ذلك كهيئة الأعذار عن اصلاح أمورها الداخلية ، وتجذب به إليها قلوب الشعوب الاسلامية، وهي تظن أنها لا تفعل بذلك الاخيرا والحق الذي عرفناه بمد البحث الدقيق والنظر الطويل ان ضرر هذه الخطة يرجح بجميع حسنات الجرائد واذا كان أكثر الناس يجهل هذا الضرر فان بعض أصحاب الجرائد المصرية يعرفه ولا يتسع هذا المقال لبيانها ولكننا نلفت الأفكار الى البحث في مسألتين منه (إحداهما خارجية) وهي أن دعوة المسلمين في البلاد التي وقعت تحت نفوذ أوروبا الى الاعتصام بعروة الدولة العلية هي التي كادت تجمع كلمة الدول العظمى على الايقاع بها والقضاء عليها من غير فائدة لها ولا لهم وهذا ما أعني بالخطر القريب وقد رأينا بوادره ونعوذ بالله من أواخره (والثانية - اخلية) وهي مناصبة الدولة للمسلم والتعليم والكتب والاجتماع والتعاون لاسيما في سوريا وفلسطين وكثرة المكوس والضرائب والمظالم مع قلة وسائل العمران . فلينظر المحب النصف في عاقبة أمة تعد حكومتها اقتناء أحسن كتب العلم الدينية والدينية من أكبر الجرائم والجنايات وتشدد في العقوبة عليها مالا تشدد على إزهاق الأرواح وسلب الاموال حتى صار الناس يحرقون كتبهم الموروثة !!

اذا سلمنا ما يقوله بعض أصحاب الجرائد وما يمتدده بعض المخلصين من مسلمي مصر وغيرهم ان انتقاد جرائد المسلمين لادارة الدولة ومطالبتها بالاصلاح تشهير ضار فهل يمكن أن يسلم عاقل جاهل يقول بلا فهم ان نصيحة يكتب بها علماء المسلمين للسلطان قياما بما أوجبه الله تعالى تمتد تشهيرا ضاراً ؟ أم أظن ان الجاهل الغبي الذي يخطر له مثل هذا قد خلق ولئن كان مثله مخلوقا فهو من الديدان التي لا صوت لها أيها العلماء الاعلام اذا كان الدين عندكم لكل شيء فلن تقيموه حتى تمهلوا بقول من جاءكم به (عليه الصلاة والسلام) : الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه

ولأئمة المسلمين وعامتهم: (رواه مسلم) فألى لجنة (ندوة العلماء) نوجه هذا التذكير ثم ندعو من يقرأه من سائر العلماء ان يذكر به إخوانه . ومن أحب منهم ان يراجعنا في موضوع النصيحة بالتفصيل وفي كيفية الاجماع لها وطريق أدائها فاننا مستعدون لبيان ما نسئل عنه ونضرع الى الله تعالى أن يجعل اتق: هذه الأمة على أيدي علمائها وان يصلح الراعي والرعية بإرشادهم والسلام على من أجاب داعي الله في كل مكان وزمان

باب المراسلة والمناظرة

﴿ دفاع الشيخ محمد بخيت عن رسالتيه والرد عليه ﴾

كتب الشيخ محمد بخيت رسالة سماها (إزاحة الهم والاشتباه ، عن رسالتي الفونوغراف والسوكورتاه) أورد فيها ما انتقدناه عليه في الجزء الثاني من المنار ورد عليه . وقد اطلعنا على الرد فكنا كما قرأنا جملة من أوائله ورأينا ما فيها من المكابرة والتناقض والتهاوت نقول في نفسنا ان الرجل ما كتب هذا الا ليناخط الناس لاعتقاده بأنهم لا يفهمون ما يقال وإنما يأخذون من جملة الاقوال انه قد دافع عن نفسه وفند كلام المتعرض عليه ولا أوغلنا في التراءى ترجح عندنا أنه ، نفسه لم يفهم ما كتب إذ لو فهمه لكرم نفسه أن ينسب ذلك اليها وكنا اعتقدنا فيه مثل هذا الاعتقاد عندما نشر رده الأول في بعض الجرائد الساقطة منسوباً اليها وانا نسين بعض تهافته بما فيه العبرة للقارئين

﴿ أدب الشيخ بخيت في رده ﴾

قال الشيخ في أواخر (ص ٢٩) من رسالتيه « وانما قلنا عبارة المعترض بطولها ليعلم الناظر فيها مقدار ما عليه من الأدب والاخلاق ويلبسه المطلع عليها برودا من نسيج خيوطها » اه بنصه البليغ !!
أقول انني أعترف بأن في عبارة قد المنار لرسالتيه يوسفة وأشرت الى السبب العام لذلك . ذلك انني كتبت تلك العبارة وانا متأم الروح لقوله بجواز كون إمام المسلمين كافراً واستدلاله على ذلك بمحدث لا يصح الاحتجاج به مع عدم الحاجة الى ذلك في

موضوع الرسالة . وقد تلمست له عذرا في نشر هذه المسألة في رسالة طبعها في وقت اشتد فيه الخلاف بين الدولة العثمانية ودولة غير مسلمة فأعوزني العذرونم أجدي في قوله ولا حاله منفذا لنور الاخلاص فكتبت «تحت عامل التأثير» كما تقول الافرنج فجاءت العبارة شديدة الالهجة كما يقول كتابنا ولكنها بحمد الله سالمة من مثل ما في كلام الشيخ من النبر باللقاب ، ومجاوزه حدود الآداب ، والتشدد بالفخر والاعجاب ، واليك نموذج ذلك من كلامه

قال بعد ان ذكر ان مستفيدا كتب يسأله عن عبارات أشكلت عليه في الرسالة «وقد رأينا أيضا بعض الناس قد اعترض على الرسالتين معا ونشر اعتراضه في إحدى المجلات التي تطبع في مصر فوجدناه كلاما عليه صفة العقيد (١) والحسد (٢) وملوّه نقفات النفثات (كذا) في العقيد (٣) نستفيد منه رب الفلق (٤) كما نستفيد رب الفلق من شر ما خلق (٥) ولا نجاري هذا المعترض على مثل هذا القول !! بل نستعين عليه بندي القوة والحول ، ونهوض أمرنا اليه ، وتوكل في جميع شؤوننا عليه ، فإنه سبحانه وحده هو الذي يهب لمن يشاء من عباده من العلم والحلم ما يشاء ، ويمنعهما أو يسلبهما عن من يشاء (٦) ويتليه ببغض العلم والعلماء (٧) فيخلق ما شاء ان يخلق عليهم (٨) وينسب كذبا ما شاء ان ينسب اليهم (٩) وأن لم يكن منهم في شيء (١٠) ولا شخص له فيهم ولا في (١١) فرأيت من الحكمة والصواب ، ان أجيب عما جاء في الخطاب ، وعما اعترض به ذلك السباب (١٢) اه بضم الزيه

فأنت ترى أنه لم يخل سطر من هذه الأسطر من السب والشتم والنبر واللمز والمجيب والفخر وأنه ليس فيها وراء الشتم والسباب التي دخلت في جمع الكثرة غير دعوى العلم والحلم والتوكل على الله وعلو الآداب ، والترفع عن مجازاة المعترض عليه بالسباب «هذا وما فكيف لو»

ووصف المعترض عند ابتداء الرد عليه في (ص ٢٥) بالمتعنت العنيد وقال في (ص ٢٦) إنه غاب الكلام لأنه لم يفهمه وتمثل بييت (وكم من غائب الخ ونقص منه لفظ (محيجا) و(السقيم) نزاهة وبقينا في البديع ولا يتزده عما رأيت وسترى من ألقابه في سبابه . وقال في (ص ٢٩) : حبرت عادة المعترض وأمثاله ممن كادوا يتميزون من الغيظ حسدا على أن يجترعوا علينا الأباطيل : ثم ادعى أنه في رفعة مقامه لا يخطر أحد من هؤلاء الحاسدين على جنانه ، ولا يجري ذكره علي لسانه ، قال : ولكن الحسد يسمى ويصم . وقال في (ص ٥٢) عند قول المعترض أن الاعراب هم المقيمون

في البادية: فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله تعالى ولا نقول بقول هذا المعترض الخالف لكتاب الله: فانظر الى أدب هذا الاستاذ مع الله تعالى ويعني بمخالفة كتاب الله ان كتاب الله ذكر ان من الاعراب المؤمن والكافر والمنافق واستبسط هو باجتهاده الجديد ان هذا التقسيم ينافي كون الاعراب هم سكان البادية وباليته راجع كتب اللغة وكتب التفسير قبل كتابة ما كتب لعله يعلم ان المعترض عليه لم يقل الا بما به قال النغويون والمفسرون أجمعون ولكنه اذا علم ذلك ولم يعلم انه لا ينافي التقسيم المبين في كتاب الله فانه لا يستفيد ما يمنعه من القول بان المسألة خلافية بين تعالى الله عما قال هذا الشيخ علوا كبيرا . وقال عن قول المعترض ان حديث جابر منكر أو موضوع انه جراء على الاحاديث لافرق بينها وبين الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وتعلم مكان علمه بهذا كما علمت مكان أدبه فيه . وقد دعا على المعترض في آخر (ص ٥٧) ونسبه الى الاختلاق والافتراء في أول (٥٨) وعرض بعد ذلك بما عرض به . وقال في أوائل ص (٦٠): وأما قول المعترض ان المرأة والأعرابي المقيم بالبادية وراء انعامه ليسا مظنة (الخلافه) الخ فهو قول من لم يؤته الله فهما ، ولم يذق للكلام طعما : وله كثير من مثل هذا التعبير الذي يعد في الذروة العليا من التزاهة والادب فلا نستقصيه . وقال في أواخر الرسالة ما قال من قبل في افتقاد المعترض وأمثاله حسدا له وتمثل بقول الشاعر

ان يحسدوني فاني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في صدورهم لارتقي صدرا منها ولا أرد

وقال بعد ذلك في خاتمة الرسالة « وأما مقاله المعترض من سوء الأدب في العبارة فانا نسمح فيه ونرجو الله أن يسامحه حيث كان من نفسه الامارة ومع ذلك إن عادت عدنا لها مع عدم مجاراته في السوء الذي هو غاية ما يبغيه ونقف عند رد ما يبديه من الشبهات بالحجج والبراهين وان لم يكن من فرسان ميدان المناظرة » فيا ليت شعري لو لم تكن أريحية الحلم والكرم والتزاهة والادب هزت الاستاذ الفاضل للنفو والسماح عن المعترض ماذا كان يقول فيه ، ولو لم يلذبا لتواضع والخشوع والاعتصام والتوكل ماذا كان يقول عن نفسه . هذا نموذج حلمه وأدبه وتواضعه وهضم نفسه وسيرد على القارئ نموذج علمه واجتهاده في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى



﴿ الاختلاف في عدآي القرآن ﴾

كتب من مدينة بانجهانبور الهندي ٢٧ - ٥ - ١٩٠٦ بالانكليزية ما ترجمته
سيدي العزيز

أكتب اليك أسطرا قليلة راجيا ان تعبرها التفاتك وان تتكرم بالكلام أو
باحاطي علما برأيك فيما يأتي

اني أرى اختلافا عظيما في عدد آيات القرآن الاقدس وأنه عند مراجعة
مواضيع هذا الكتاب الكريم قد تناولنا مشقة عظيمة وقد يكون الامر شاقا عليكم أيضا
وقد اختلف قراء الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة اختلافا مماثل لذلك
في (راكواز) (*) فاقدمهم يختلفون اختلافا عظيما في عدد الآيات التي تشتمل عليها
أليس من الممكن عقد اجتماع سرى يحضره مسلمون من مصر وتركيا
ومراكش وبلاد العرب والهند لاجل تمحيص المسألة

وأرى ان يكون مكان الاجتماع مكة أو المدينة في أيام الحج ومع أن هذا
الاختلاف لا يترتب عليه شيء في الكتاب الاقدس نفسه الا انه مما يوجب الاسف
ان لا يتفق المسلمون في الآيات والسور لكتاب صغير الحجم

واني لآسف على اني لا أنحصل على مناركم كما اني آسف على عدم قدرتي
أعلى توضيح أفكارى باللغة العربية حتى أستطيع ان أكتب في جريدتكم ولكنني
رجو ان توفق لخدمة نافعة بواسطة جريدتكم الدينية كما أرجو ان تكون ممتعا
بالصحة والعافية

صديقك المخلص

م . كريم بكاش

(المنار) من آيات الحياة في الأمة ان يوجد فيها أفراد يهتمون بالكليات والتجسيدييات
من كل شيء ، تتلاقى فيها أفكارهم علي بعد ديارهم فبيننا كان اخونا الهندي يفكر في
مسألة ضبط عدد الآي كان اخونا أحمد أفندي أمين الديك المصري يكتب فيها
رسالته (البرهان القويم) التي تراها في الأوراق التالية وقد جاءنا بها قبل مجيئ
رسالة الاقتراح من الهند فرأينا أن ننشرها برمتها ثم نعقب عليها بجملة وجيزة

(*) يقول مترجم الكتاب أنه لم يجد في المعجمات الانكليزية معنى لهذه الكلمة

مختصر البرهان القويير

في

﴿ الحاجة الى عد آي القرآن الكريم ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله
وصحبه والتابعين وجميع المرسلين (وبعد) فان لنا معشر المسلمين كتابا كريما
ارغمت لفصاحته أنوف الفصحاء وخرت لهانبيه سجدا أر باب المعاني وذلك
الكتاب هو القرآن الكريم الذي حاولت أساطين العلم ومصايح الهدى علماء
الأمة الاسلامية في كل عصر ان تلبس بخدته تاج الشرف فأمضوا في ذلك
اعواما من آجالهم وانضوا في تحرير أعمالهم مرهفات أقلامهم حتى أشرفت على
التمام ثم اختفت تلك الاشباح وعليها ذلك التاج الفاخر وبقيت تلك الكنوز
الثمينة تذكرا بلسان حالها قولهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

من أهم ما قام به ذلك السلف الصالح خدمة القرآن الكريم بتفسيره وجمع أوجه قراءته
وعد آياته وحصرها وعمل المعجمات المتنوعة للاهتمام به . ثم تلاهم في الوجود
ذلك الخلف فبرهن بجملة على امتزاجه بنوع من الوهن والضعف عن انتهاج مسالك
الآباء وتغذية النفوس بما تغذت به أرواحهم فقلبت قيمة ما ورثوه في أنظارهم ومقتوا
الذاكرة في شأنه مقنا إلا بقية لا تزيد على عد الأصابع في هذا المجموع الحافل أودت
أن أمم يدي مع أيديهم وأحشر نفسي في زميرتهم بعقل خدمة للقرآن
الكريم وهي (دليل للاهتمام به) فأعددت للعقل عدتي وشمرت عن مساعد

الجد فسرت بالعمل شوطاً بعيداً قاربت معه الوصول إلى ما أرتضيه من الفاية ثم
وقفت مفكراً في طريق تسميم النفع بتلك الخدمة فوجدته عدد آيات السور في جميع
المصاحف والتفاسير التي تتبادلها الأيدي عددًا خالياً من المبالغة والخلاف ولاجل
تنبيه فكرة اخواني من المسلمين وأهل العلم لتلك النقطة أخذت اشتغل لها بنفسي
مع تحقيق وتدقيق حتى وصلت بها إلى ما شاء الله أن أصل من الثقة بالنتيجة وعلى
أثر الفراغ من ذلك دعيت عوامل الاخلاص إلى وضع هذه الاسطر اليسيرة أبدى
بها الاصحاب الرأي من رجال الدين وأولياء الحل والعقد وأرباب الاقلام
نموذجاً من عملي في تحقيق عدد الآيات وبيان ماهو الأولى بالاختيار لتسميم العدد
بموجبه مؤملاً من حضراتهم تقدير الفكرة حق قدرها والمناقشة في الموضوع ونقده
وتنقيحه بما عس الحاجة إليه ثم المساعدة في تنفيذ المقترح بالإشارة إلى وجوب عدد
آيات المصاحف والتفاسير بالعدد الذي يقر عليه الرأي ويشار إليه بالاختيار طلباً
لتوحيده ومنعاً من تعدد العدود رغبة في افراد طريقة الاستهداء بآيات كتاب
الله الكريم في مشارق الارض ومفار بها والله الهادي إلى سواء السبيل

* *

١- القرآن الكريم ١١٤ سورة الأولى منها سورة الفاتحة والثانية سورة البقرة والاخيرة
سورة الناس والسورة عبارة عن عدد محدود من الآيات والآية عبارة عن مقدار
معين من الكلمات الشريفة كان النبي عليه الصلاة والسلام يوقف الحفظة والصحابة
عليه عند التبليغ ويسمى أول كلمة في الآية قرأ في الآية وآخر كلمة فيها بالفصلة
٢- كانت الحفظة من الصحابة تجتمع مع حفظ القرآن معرفة عدد آياته وبعده
آيات كل سورة من سورته وعدد كل آية من سورتها وبذلك كان اذا قرأ
القارئ منهم بعضاً من سورة قدر ما قرأه بما فيه من الآيات . وكان اذا أراد
أعد ان يستفيد منهم ما نزل من القرآن في قوم أو حادثة عينوا له السورة التي
ذكرت الحادثة فيها ومقدار الآيات الخاصة بذلك وأشاروا إلى أول تلك الآيات
بعدها الخاص بها وإلى الأخيرة منها كذلك . وما يشهد لهم بهذا أولاً ما جاء في
الكتاب السابع والستين من صحيح البخاري (كتاب المغازي) بالبواب السادس

والسبعين من أبوابه (باب قدوم الأشعرين) وهو حديث عن علقمة قال فيه (كنا جلوساً مع ابن مسعود فجاء خبّاب فقال يا أبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء الشبان أن يقرأوا كما تقرأ؟ قال أما إنك لو شئت أمرت بعضهم فقرأ عليك قال أجل . قال اقرأ يا علقمة . فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير أنا صر علقمة وليس باقرئنا أما إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي في قومك وقومه فقراءت خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله كيف ترى قال قد أحسن . . . الخ) والشاهد فيه تقدير علقمة ما قرأه من السورة بما فيه من الآيات . وثانياً ما جاء في الكتاب الثامن والسبعين من صحيح البخاري أيضاً (كتاب التفسير) بالباب السابع والخمسين من أبوابه (باب ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان . . . الخ) وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن مبيت النبي صلى الله عليه وسلم عند خالته ميمونة وقد كرهه الإمام مؤلف الصحيح في كثير من المواضع وجاء في هذا الموضوع زيادة قوله (ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شن . . . الخ) وفيه الإشارة إلى عدد الآيات الخاصة بحالة معينة مع تعيين السورة التي اشتملت عليها وعدد أول آية فيها وكذلك الأخيرة . ومن قبيله ما نقله المفسرون في أسباب نزول أوائل آل عمران عن الربيع بن أنس من قوله (نزلت أوائل السورة إلى نيف وثمانين آية في وفد نجران . . . الخ) وكذلك ما ذكره صاحب لباب النقول في أسباب النزول عن المسور بن مخرمة من قوله (قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصصكم يوم أحد فقال اقرأ بعد العشرين ومائة من سورة آل عمران تجد قصصنا يوم أحد «واذ غدوت من أهلك» . . . الخ) .

* *

٣- جاء بعد ذلك الزمن الذي رأيت فيه من عناية الصحابة بالقرآن ما أسمعناك به زمن بدت فيه ظواهر قضت على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ المصاحف وإرسالها إلى الأمصار الإسلامية المشهورة اتقاء الخلاف في ذلك الكتاب الكريم وعلى أثر ذلك قام حفاظ كل مصر من الصحابة والتابعين بتبث معارفها عن آياته بتقدير آيات كل سورة من سورته وتعيين حدود كل آية صيانة

للتوقيف الذي لقنه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولما جاء عصر تدوين العلوم
 جُمع ما قيل عن ذلك في كل مصر واذا به ستة أقوال دونت جملة وتفصيلا في
 مؤلفات جعل اسم موضوعها علم فواصل الآي وبواسطة هذا العلم تبين ان
 اثنين من تلك الأقوال الستة نقلتا عن أهل المدينة عن الامامين الجليلين أبي
 جعفر يزيد بن القمقاع وشيبة بن نصاح ويعرف أولهما بالمدني الاول وجملة
 الآيات فيه ٦٢١٠ مع خلاف فيه بين الامامين في ستة مواضع . ويعرف الثاني
 بالمدني الأخير وجملة الآيات فيه ٦٢١٤ بلا خلاف فيه بينهما رحمهما الله
 ورضى عنهما . والقول الثالث من الستة منقول عن أهل مكة ويعرف بالمكي وفيه
 روايتان احدهما عن أبي بن كعب وجملة الآيات فيها ٦٢١٠ والثانية عن غير
 أبي بلا تبين وجملة الآيات فيها ٦٢١٩ . والقول الرابع منقول عن أهل الشام
 عن أبي الدرداء وقيل عن عثمان بن عفان ويعرف بالشامي وجملة الآيات فيه ٦٢٢٦
 وفي رواية ٦٢٢٥ والأولى أرجح . والخامس منقول عن أهل الكوفة عن علي
 كرم الله وجهه ويعرف بالكوفي وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦ . والسادس منقول عن
 أهل البصرة عن عطاء بن يسار وعاصم الجحدري ويعرف بالبصري وجملة الآيات
 فيه ٦٢٠٤ واليك بيانها ملخصة

| اسم القول | عدد | ملحوظات |
|---------------|------|---|
| المدني الأول | ٦٢١٠ | وفيه خلاف بين قائله في ستة مواضع |
| المدني الأخير | ٦٢١٤ | ولا خلاف فيه |
| المكي | ٦٢١٠ | قول أبي في ذلك |
| | ٦٢١٩ | قول غير أبي ممن عد الآيات بمكة ولم يعين من هو |
| الشامي | ٦٢٢٦ | الرواية الراجعة |
| الكوفي | ٦٢٣٦ | لا خلاف فيها |
| البصري | ٦٢٠٤ | لا خلاف فيها |

— ٤ — مضت أجيال وأعوام وتلك المؤلفات في زوايا الأهل كما أهملت أساليب

السلف من الصحابة والتابعين في استهدائهم من الكتاب الكريم بالإشارة إلى آياته بمددها كما بينا منه شطرا فيما تقدم برقم ٢- وأخيرا قامت من احتياجات المفكرين داعية الرجوع إلى الاستهداء من الكتاب العزيز بما يشبه أساليب السلف في ذلك فهدت آيات السور أو أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد في مصحفين أحدهما طبع في الأستانة سنة ١٢٩٨ هجرية ويعرف بالمصحف العثماني والثاني عدده بأوروبا مستشرق ألماني اسمه (فلوجل) وطبع بألمانيا وعمل عليه فلوجل نفسه مؤلفا سماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) جمع فيه ألفاظ الكتاب العزيز كلمة كلمة وأشار إلى جميع مواضع كل كلمة في جميع السور بالأرقام التي وضمها على رؤس الآتي في المصحف المذكور وبذلك استفاد من قرآنا الكريم مهرة الغربيين في البحث والتنقيب عن المعارف العربية ما لم يحصل عليه أكثر المعلمين من أبناء اللغة العربية وأتباع ذلك الكتاب العزيز

وبالتأمل في عدد المصحفين المذكورين وجدتهما يتفقان في عدد ٣٤ سورة ويختلفان في عدد الباقي وباحصاء الآيات في كل منهما تبين أن جملة آيات المصحف العثماني ٦٣٤٤ وجملة آيات المصحف الألماني ٦٢٣٨ ولم يطابق أحد العددين المذكورين واحدا من الأعداد المقولة عن السلف ولا جمل استكشاف ما به نتج ذلك الخلاف أخذت أتتبع أولا من صحة كل قول مما نقل عن السلف في جملة آيات القرآن وجملة آيات كل سورة من سورته وبعد الفراغ من ذلك راجعت ما وثقت به على كل من المصحفين فوجدت اغلاطا في كل منهما فاحصيتها مشيرا بالصواب أمام كل غلطة مؤملا نجاحي في تصحيحها وفي توحيد عدد آيات المصاحف والتفاسير لتقريب وتوحيد وسيلة الاستهداء من ذلك الكتاب والله

المعين واليك بيان النتائج التي وصلت إليها

٥- جاء اختلاف عدد السلف لجملة آيات القرآن من نقطة واحدة وهي أن بعضهم اعتمد في عدده من الفواصل ما لم يعتمدها الآخر فواصل في عدده وعلى هذا يكون من بين فواصل الكتاب الكريم ما لم يختلف فيها أحد من السلف ومنها ما وقع فيها اختلافهم وتسمى الفواصل التي من الصنف الأول بالفواصل المتفق عليها والتي من

المفروز منها الى الفواصل المتفق عليها فتحصل جملة الآيات في ذلك القول . وباجراء الفرز والحصر بالفعل ينتج البيان الآتي

| | مدني أول | مدني أخير | مكي | شامي | كوفي | بصري |
|---|----------|-----------|------|------|------|------|
| | عدد | عدد | عدد | عدد | عدد | عدد |
| فواصل متفق عليها | ٦١٠١ | ٦١٠١ | ٦١٠١ | ٦١٠١ | ٦١٠١ | ٦١٠١ |
| جملة الفواصل الافرادية في كل قول من الخلافات | ٣ | ٤ | ٥ | ١٦ | ٤٣ | ٨ |
| جملة الفواصل المشتركة في كل قول من الخلافات | ١١٤ | ١٠٩ | ١١٥ | ١٠٧ | ٩٢ | ٩٥ |
| جملة الآيات في كل قول | ٦٢١٨ | ٦٢١٤ | ٦٢٢١ | ٦٢٢٦ | ٦٢٢٦ | ٦٢٠٤ |
| الوارد بالرواية في كتب الفواصل | ٦٢١٠ | ٦٢١٤ | ٦٢١٩ | ٦٢٢٦ | ٦٢٢٦ | ٦٢٠٤ |
| | ٠٠٠٨ | ٠٠٠٠ | ٠٠٠٢ | ٠٠٠٠ | ٠٠٠٠ | ٠٠٠٠ |

وبالتأمل في هذا البيان نجد خلافا بين ما حققناه وما جاءت به النقول عن المدني الاول والمكي ومنشأ ذلك وجود خلاف للمدني الاول في ستة مواضع ورود اضطراب في مواضع محصورة من فواصله الخلافية لم نتمتع اسقاطها وأما في المكي فلسبب ورود روايتين في جملة الآيات فيه ولاهال الراويين نسبة الاضطراب في المواضع المضطربة الى احدي الراويتين . (انظر الى قول الثالث من رقم -٣-

-٨- توصلنا الى البيان الاجمالي المذكور في رقم -٧- بعمل تفصيلي مثله لكل سورة من السور التي جاء خلاف في فواصلها وذلك بإرشاد الكتب المؤلفة في الفواصل وبعض التفاسير ولتأت هنا بمثال لسورة يوضح ذلك وليكن لسورة آل عمران فنقول:

جاء في الكتب المؤلفة في الفواصل ان سورة آل عمران مدنية وآياتها مائتان باتفاق في الاجمال (أي في جملة الآيات) وخلافها سبعة مواضع (أي فواصلها الخلافية سبع) وقد بينت كل ما يختص بكل موضع خلافي نحو قولها « (الم) عدده الكوفي (الإنجيل) الأولى عدده ما عدا الشامي ٠٠٠ الخ » ثم سردت الفواصل المتفق عليها . فلما فهمنا منها ذلك قمنا بإحصاء المواضع المتفق عليها أولا واذا بها في هذه السورة ١٩٧ موضعا ثم عمدا جدولا على الصورة الآتية للمواضع الخلافية

جدول - أ -

| نمرة مسلسله | اسماء المواضع الخلافية | مدني أول | مدني أخير | مكي | شامي | كوفي | بصري |
|-------------|------------------------|----------|-----------|-----|------|------|------|
| ١ | السم | ٠٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٠١ | ٠٠ |
| ٢ | الإنجيل الأولى | ٠١ | ٠١ | ٠١ | ٠٠ | ٠١ | ٠١ |
| ٣ | الفرقان | ٠١ | ٠١ | ٠١ | ٠١ | ٠٠ | ٠١ |
| ٤ | الإنجيل الثانية | ٠٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٠١ | ٠٠ |
| ٥ | اسرائيل | ٠٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٠١ |
| ٦ | ما تحبون | ٠١ | ٠١ | ٠١ | ٠١ | ٠٠ | ٠٠ |
| ٧ | مقام ابراهيم | ٠٠ | ٠٠ | ٠٠ | ٠١ | ٠٠ | ٠٠ |
| | | ٣ | ٣ | ٣ | ٣ | ٣ | ٣ |

وبه تبين ان كل قول من أقوال السلف عد من الفواصل الخلافية ثلاثة مواضع بلغت معها جملة الآيات في كل منها مائتي آية وعلى أثر مطابقة ما يعطيه هذا البيان من جملة الآيات المذكور عن جملة آيات السورة في كتب الفواصل نضع للسورة الجدول الآتي مجملا

جدول - ب -

| نمرة السورة في المصحف | اسم السورة | الفواصل المتفق عليها | مواضع الخلاف |
|-----------------------|------------|----------------------|--------------|
| ٣ | آل عمران | ١٩٧ | ٧ |

| ما عد من مواضع الخلاف في كل قول | | | | | |
|---------------------------------|-----------|-----|------|------|------|
| مدني أول | مدني أخير | مكي | شامي | كوفي | بصري |
| ٣ | ٣ | ٣ | ٣ | ٣ | ٣ |

وذلك لاجل أن يعرف منه جملة آيات السورة في أي قول يضم المعدود فيه من الفواصل الخلافية إلى الفواصل المتفق عليها . وبعد الفراغ من العمل على هذا النمط للثقة بالمنقول عن السلف في كتب الفواصل أخذت في مراجعة ما تحققت

فيه المطابقة وتمت به الثقة على عد المصحف العثماني والمصحف الذي عدّه (فلوجل) فكانت النتيجة ما سأذكره والله المبين

٩- قد علمنا ما ذكر برقم ٦- أن جملة الفواصل المتفق عليها بين السلف ٦١٠١ وبالتامل في المصحف العثماني وجدناه أهمل منها سبعة وواقفهم في عد ٦٠٩٤ فأصله ثم وجدناه عد من مواضع الخلاف البالغة ٢٤٨ (راجع رقم ٦) ١٤٥ موضعا وانفرد بعد خمسة مواضع لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبمراجعة دقيقة مثل هذه المراجعة في المصحف الذي عدّه (فلوجل) وجدناه أهمل من الفواصل المتفق عليها ٨٩ موضعا وواقفهم في الباقي ومقداره ٦٠١٢ موضعا ورأيناه عد من الفواصل الخلافية ١٠٨ مواضع وعد ١١٨ موضعا لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وبذلك بلغت جملة الآيات في الأول ٦٢٤٤ وفي الثاني ٦٢٣٨ واليك بيان اجمالي لذلك في الجدول الآتي جدول -١-

| المصحف العثماني | المصحف الذي عدّه فلوجل |
|-----------------|------------------------|
| عدد | عدد |
| ٦١٠١ | ٦١٠١ |
| ٧ | ٨٩ |
| ٦٠٩٤ | ٦٠١٢ |
| ١٤٥ | ١٠٨ |
| ٥ | ١١٨ |
| ٦٢٤٤ | ٦٢٣٨ |

والنتائج المذكورة إنما حصلت من عمل تفصيلي لكل سورة مما فيها خلاف على النسق الآتي وليكن التمثيل على سورة آل عمران أيضا

جدول ب - ٣ - سورة آل عمران (أي السورة الثالثة من سور القرآن)

| المصحف العثماني | المصحف عد فلوجل | عدد | عدد |
|--------------------|--------------------|---|-----|
| ١٩٧ | ١٩٧ | الفواصل المتفق عليها بين السلف في السورة | ١٩٧ |
| ١ | ١٢ | ما أهمله كل منهما من تلك الفواصل عند العد خطأ | ١ |
| ١٩٦ | ١٨٥ | الباقي الذي عدده كل منهما من الفواصل المتفق عليها | ١٨٥ |
| ٣ | ١ | ما عدده « » « » المختلف فيها | ١ |
| ١ | ١٤ | ما انفرد كل منهما بعده ولم يكن من الفواصل بل عدده خطأ | ١٤ |
| ٢٠٠ | ٢٠٠ | جملة آيات السورة في كل منهما | ٢٠٠ |

تفصيل لهذا الاجمال

أما المصحف العثماني فالفاصلة التي أهملها من الفواصل المتفق عليها هي فاصلة (ليعلم المؤمنون) ضمن الآية رقم ١٦٦ وأما ما عدده من مواضع الخلاف فثلاث هي آية الفرقان « الأنجيل » - الثانية - وأخر الآيات ١ و ٣ و ٤٨ وأما ما انفرد بعده خطأ فهو آخر آية ١٦٦ ولفظه (للإيمان)

وأما المصحف الذي عدده فلوجل فالمواضع الاثني عشر التي أهملها من الفواصل المتفق عليها هي السماء . المصير . رحيم . العالمين . العليم . الدعاء . وأطيمون . الحكيم . الكافرين . الكافرين (الثانية) . المؤمنين . البلاد . وهي على الترتيب في الآيات الموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية من المصحف المذكور بالسورة المذكورة ٤ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٤٤ و ١٢٢ و ١٢٦ و ١٤١ و ١٦٠ و ١٩٦ وأما ما عدده من فواصل الخلاف فهو فاصلة الفرقان « آخر آية ٣ وأما ما انفرد بعده خطأ ولم يكن من الفواصل فهو أواخر الآيات الموضوع على رؤوسها الأرقام الآتية وهي ١٨ و ٣٣ و ٦٨ و ٩١ و ٩٨ و ١٤٥ و ١٦٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٨ وألفاظها على الترتيب . ومن اتبني . المحراب . قائما . سيلا . اخوانا . ما يحبون . للإيمان . الطيب . شر لهم . النار . فأما من بعض . الأهار . قليلا

فانظر أعاني الله واياك وراجع هذا التحري ان استطعت وسمحت لك
الفرص ونهني على ما تبيينه موجبا لتبنيه بداعية الاخلاص الاخوي

١٠ - رأيتني أيتها القارىء الكريم أقترح في فاتحة هذه الاسطر وجوب عد آيات
القرآن في المصاحف والتفاسير عدا موحدا خاليا من الخلاف والخطأ. ووجدتني بينت
لك فيما تقدم (برقم ٣ -) ان للسلف ستة أقوال في حصر جملة آيات الكتاب
العزيز ولكنها غير متطابقة وكأني بك الآن تطالني بما أجيب به اذا سئلت
عن تعيين ذلك العدد وتحديدده ولذلك أراني ملزما بمكاشفة القارىء الكريم عن
رأبي في ذلك وعرضه على محك النظر لاختباره والحكم عليه بما يؤدي اليه النقد
فأقول: قد جعلت أول الفكرة اختيار عدد من عدود السلف الستة للعرض الذي تسكلم
في شأنه ولأجل فرزه من بينها استخرجت من مجموع الصفات التي تبينت لي في
تلك الاقوال الستة خمس مرجحات قلت اذا توفرت كلها أو أكثرها في واحد
منها وقع الاختيار عليه أو صار ذلك القول أحق بالاختيار من غيره وتلك
المرجحات الخمس هي ما يأتي

الاول - ترجيح الاقوال المنقولة عن أهل الاماكن التي يدل الوحي بها على
غيرها للصيانة التوقيف فيها بكثرة الحفاظ والمقلنين منهم في غيرها من البقاع
الثاني - ترجيح الم اضطرب الروايات في عدم مواضعه على غيره لان الاضطراب
في موضع يؤدي الى الشك فيه (والاضطراب شك يقع من الراوي بسبب النسيان
أو ضعف الذاكرة أو ما شاكل ذلك)

الثالث - ترجيح ما قلت فيه العدودات الافرادية من الفواصل الخلافية على غيره
لان الموضع الذي يأتي عدده في قولين فأكثر أقرب الى الثقة بعده مما لم يجرى
عدده الا في قول واحد

الرابع - ترجيح العدد الذي يجرم في جملة آياته وتفصيلها برواية واحدة مقطوع
بها على غيره مما ليس كذلك وسببه بين
الخامس - ترجيح ما انعدمت منه مواضع الخلف على غيره لان الخلف في موضع

موجب للشك فيه كالأضطراب بل أكثر والخلف في موضع معين من قول معين هو انقسام عادّي ذلك القول في عد ذلك الموضوع الى قسمين أحدهما يقول بعده والآخر لا يقول به (الخلف يقع من العادين أنفسهم وأما الاضطراب فإنه يقع من الرواة فتأمل)

و بعرض هذه المرجحات الخمس على كل قول من أقوال السلف الستة وجدت المدني الأخير قد فاز منها بحظ لم يكمل مثله لغيره كما تبينه من الجدول الآتي ولذلك وقع عليه اختياري فهذا ما أُجيب به ولك أيها القارئ الكريم الشأن فيما تبين فيه الأولوية والأرجحية لأنني ما قلت إلا ما وصل اليه مبلغ علمي والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
وها هو الجدول الذي أشرت اليك بالنظر فيه قريبا

| اسم القول | اعداد مسلسلة | مواضع الخلف | جنس الرواية | معدوداته الافراية | عدد المواضع المضطربة | اسم البقعة التي نقل القول عن اهلها |
|--------------|-----------------|----------------|-------------------------|----------------------|-------------------------|---------------------------------------|
| المدني الاول | ١ | ٦ | مجزوم بها | ٣ | ١ | المدينة المنورة |
| » الأخير | ٢ | ٥٥ | » » | ٤ | ٥٥ | » » |
| المكي | ٣ | لم تتحدد | المجزوم بواحدة منهما | ٥ | ٤ | مكة المكرمة |
| الشامي | ٤ | ١ | مجزوم بكليتهما | ١٨ | ١ | بلاد الشام |
| الكوفي | ٥ | ٥٥ | مجزوم بها | ٤٣ | ٥٥ | الكويت |
| البصري | ٦ | ١ | مجزوم بكليتهما | ٥٨ | ٥٥ | البصرة |

ولست تجد في هذا الجدول عندي أجرى في بقعة نزل الوحي بها مع خلوه من المواضع المضطربة وبقلة المعدودات الافراية عن غيره مع الثبوت في روايته والخلو من الخلف الا المدني الأخير كما ذكرت لك فيما تقدم



١١- ﴿ بيان الحاجة الى عد آيات القرآن الكريم بالأرقام ﴾
 ﴿ ومن ألف في ذلك ﴾

من يقف على أن آيات القرآن غير معدودة في المصاحف والتفاسير بالأرقام وأن طلاب العلم بمعاني ذلك الكتاب المحكم من المسلمين غير قليلين ، وإن كان عددهم بالنسبة الى المجموع أقل من الواجب بكثبر وأن أكثرهم من لا يحفظون القرآن يعرف الاسباب التي دعت أرباب الفكر الى تأليف (دليل الميران في الكشف عن آيات القرآن)* (١) و (نجوم الفرقان في أطراف القرآن)* (٢) و (مفتاح كنوز القرآن)* (٣) و (مرآة القرآن)* (٤) و (تحليل القرآن)* (٥) ومن ينظر في هذه المؤلفات وفي طريقة الانتفاع بها يتضح له في كل منها تقصير عما يجب من جهة وتبيين فوق ذلك اسبابا خارجية تمنع من تعميم الانتفاع بها وليان ذلك في كل منها أقول

(١) دليل الميران - هذا المؤلف أعده مؤلفه للبحث عن مواضع الآيات في سور القرآن متى علمت أوائلها ويشير الى الآية بعددها من السورة التي هي منها ويمنع من تعميم الانتفاع به ان من لم يعرف أول الآية لا يمكنه الكشف بواسطته وأن المصاحف والتفاسير المتداولة لم تكن معدودة الآيات وما كان منها ممدودا فأرقامه لا تتفق مع أرقامها

(٢) نجوم الفرقان - يشير هذا المؤلف الى مواضع كل كلمة من كلمات القرآن في جميع آياته بوضع أرقام أفرنكية كبيرة لترتيب السور في المصحف وأرقام أفرنكية صغيرة لترتيب الآيات في السور وعوائق تعميم الانتفاع به هي أن أرقامه أفرنكية وجمهور المسلمين لا يعرفون تلك الأرقام لوجود أرقام خاصة لهم وأن أرقامه لا تتفق الا مع المصحف الذي عده (فلوجل) المطبوع بالمانيا وأغلب مصاحف المسلمين

(١) تأليف الحاج صالح ناظم وطبع بمطبعة التمدن بمصر (٢) تأليف (جوستافوس فلوجل) طبع بالمانيا (٣) تأليف كاظم بك طبع أولا بمدينة بترسبورج من روسيا على الحجر ثم بالحروف في مصر (٤) تأليف عاكف أفندي تشريفاتي وهو خط بالكاتبخانه الحديوية المصرية (٥) تأليف الموسيو (لابوم) وطبع بباريس من فرانس

غير ممدودة والمعدود منها لا تتفق أرقامه مع أرقامها وأن سرد مواضع الكلمة الواحدة من كلمات القرآن بالأرقام جملة واحدة لا يسمح لطالب الكشف بالشور على مطلوبه دفعة واحدة وهو سبب ربا يقضي باهمال المؤلف

(٣) مفتاح كنوز القرآن - وضع هذا المؤلف على شكل منتزع إمام من نجوم الفرقان مع نوع من التحسين وإما على مثال (مرآة القرآن) الآتي وصفه فيما يلي فتكفل يذكّر مواضع كل كلمة من كلمات القرآن فيه بحيث يذكّر الكلمة بين ما يسبقها وما يلحقها من الالفاظ القرآنية وهو شكل يتم به تمييز الموضع المراد البحث عنه غير أنه لا يحدد الموضع تماما ولكنه يحصره في عشر آيات فقوله مثلا «٦٢ - بقره - الله لا آله الا هو (الحى) القيوم» معناه ان كلمة (الحى) التي يسبقها (الله لا آله الا هو) ويلحقها (القيوم) توجد في العشرة السادسة والعشرين من آيات البقرة أي بين الآيه رقم ٢٥١ والآيه رقم ٢٦٠ وبما ان المصاحف والتفاسير غير ممدودة بالعشرات ولا ينفرد بها من المسر تعميم الانتفاع بهذا المؤلف في الكشف بواسطة

تنبيه - اذا عدت آيات المصاحف والتفاسير بعد موحدا بالأرقام يكون مفتاح كنوز القرآن المثال الصالح لأدلة الكشف . لكن تستبدل الأرقام الدالة على عدد الآيات بنفس أرقام العشرات ويهذب وضع الالفاظ على ترتيبها الطبيعي ويزاد فيه قسم الحروف التي من قبيل إن الشريطة وما ولا الخ

(٤) مرآة القرآن - يشير هذا المؤلف الى مواضع الكلمة من السورة بعد ترتيب أحزاب القرآن بعد ان يحصرها بين ما يسبقها وما يلحقها من الكلمات الشريفة ويقرب مكان الموضع من الحزب باستعماله حرف (الاف) للإشارة الى أول الحزب وحرف (الواو) للإشارة الى وسطه وحرف (الراء) للإشارة الى آخره . وبما ان تقسيم القرآن الى أحزاب غير مألوف كان تصور تعميم الانتفاع به لا الكشف واضحا

(٥) تحليل الآيات القرآنية - أعد هذا المؤلف لجمع الآيات بحسب المعاني ففيه مثلا آيات الميراث مجموعة تحت عنوان الميراث والآيات التي تذكّر أخبار سيدنا موسى عليه السلام تحت عنوان موسى عليه السلام ولكون هذا المؤلف ترجمة للآيات بالفرنسية تعبر عن معاني القرآن بقدر الامكان وأكثر المسلمين لا يعرفون هذه

اللغة فنفعتها اذن خاصة بمن يعرفها وأرقام آياته تتفق مع المصحف عدّ (فلوجل)
المطبوع بالمانيا وهو في وضعه لم يكن دقيقا وإنما يوجب الشاء على واضعه الاجنبي
عن العربية وأهلها

تنبية — مما رأينا في مؤلفات العرب من قبيل تحليل الآيات القرآنية كتاب
(حجج القرآن) وهو قاصر على سرد الأدلة القرآنية التي يستدل بها كل فريق من
الفرق الاسلامية على مذهبه وبما أن أغلب المستعربين من المسلمين لا يحفظون
القرآن كما قلنا في أول هذا الفصل فهم اذن في حاجة الى دليل يعين على الكشف
في المصاحف والتفاسير بمجرد معرفة لفظ معين من الآية المطلوب معرفة موضعها
والى مصنف يضم الآيات بحسب المعاني والى معجم لغوي ينقسم الى قسمين يذكرفي
الأول منهما الالفاظ اللغوية بحسب ترتيبها في السور وفي الثاني تلك الالفاظ مرتبة
بحسب أوائلها وبما أننا تحققنا في المؤلفات التي وضعت لهذه الالغراض قبل
زماننا هذا تقصيرا يمنع تعميم الانتفاع بها بسهولة كما بيناه فيما تقدم وتيقنا بما ذكرناه
آنفا ان أساس ذلك التقصير اهمال اختيار عدّ موحد تعدّ به الآيات في المصحف

والتفاسير التي تبادلها الايدي أصبحنا من غير شك في حاجة الى تعميم عا

الآيات في المصاحف والتفاسير قبل عمل كل شيء

وبما أن السلف الصالح عدّ آيات القرآن قبلنا ونقل عنهم في ذلك ستة أقوال

ذكرناها برقم ٣ - أصبح من الضروري اختيار واحد منها

هذا ما أوقفني عن تهذيب دليلي لتبييضه ودعائي الى عرض هذا الفكر على
السادة العلماء والاخوان الكرام أرباب الآراء الصائبة والافكار الناقبة ليروا فيه رأيهم
وفي الختام أقدم شكري لكل من يأتي الى هذا الموضوع بالمطالعة من اقراء
الكرام و بشاركتي في الاهتمام بهذا الغرض السامي فيؤمن فيه نظره ويسرح
فيه فكرته ويدقق في تأمله ثم يعرض بعد ذلك على الاخوان المسلمين ما عن له
و يشير بما يترأى له قاصدا في ذلك وجه الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين

(أحمد أمين الديك)

(المنار) ان علماء السلف قد عدوا آي القرآن وكلماته وحروفه وكتبوا في ذلك صفات، ونظموها فيه المنظومات، كما بينوا مواضع الوقف في أثناء الآيات، وفي الاحاديث والآثار كثير من ذكر الآيات بمددها وقد أشار الى ذلك أحمد أفندي وتقدم في التفسير من هذا الجزء شاهد منه . وفي الاتقان أن سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤس الآي للتوثيق فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة والخلاف مع هذا قابل وليس بضارنا شيئاً . وأي عدد من الأعداد اعتمدنا وضبطناه بالأرقام حصل المقصود الذي نحتاج اليه في هذا العصر لسهولة المراجعة ولم يكن علماء السلف يحسون بهذه الحاجة لحسن حفظهم للقرآن واستحضارهم للآي عند إرادتها وانني لأراجع الآية بفتح كنوز القرآن في دقيقة واحدة أو فيما هو أقل من دقيقة فأستخرجها من المصحف المبين عدد آياته بالأرقام . والسبب في عناية أحمد أفندي أمين بتحرير الخلاف في العدد والعمل بما يظهر أنه أقرب للصواب هو استمداده الفطري للامور التحسينية وان كان في أمة لم تقن الامور الضرورية والحاجية . ولذلك رأينا أول من ألف في عصرنا في الموسيقى العربية والافرنجية وأول من اجتهد في مراجعة عدد الآي وضبطها وعد احاديث البخاري وعمل جدول لأبوابه ولاغرو فقد كان والده ميالاً لمثل ذلك اذ كان هو الساعي بطبع لسان العرب فكان خير خلف له فلا زال مؤنثاً

﴿ المدرسة المحمدية بقران (روسيا) ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

روسيا ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ

من أحمد جان بن محمد رحيم المصطفوي المدرس الثاني في المدرسة المحمدية بقران الى صاحب مجلة المنار حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا أرشده الله الى ما يرضى سيدي أبدي اليك العذر لعدم مكاتبتي بعد مفارقتكم مع مرور سبع سنين من تشرفي بجالسكم لعذر يطول بياؤه والعذر عند كرام الناس مقبول أما بعد فيا سيدي انا قرأنا في العدد الثالث من المنار رسالة مكتوبة من

قزآن مشحونة بالكذب والافتراء على المدرسة المحمدية التي خرج منها من طلبها من غير إخراج انتصاراً أعلى من أخرج منها من سيئي الخلق ، وهم أربعة ، و ترجمة الكتاب المفتوح كذلك . فاضطررنا الى ان نرسل اليكم بروجرام المدرسة المحمدية المتبع اليه في التدريس بها لتعرفوا بالمقاييس اليه كدبرهم واقراءهم

المدرسة المحمدية أقسام : الابتدائية -- والرشدية -- والإعدادية -- والمالية .
ومدة التحصيل في الابتدائية ثلاث سنوات ، وفي الرشدية أربع ، وفي الإعدادية أربع أيضاً ، وفي المالية ثلاث سنوات أيضاً

فالمتزم في القسم الابتدائي من الدروس : القراءة والكتابة على لسان الامهات مطابقا على قواعد اللسان - وصحيح الاملاء - وحسن الخط - وقراءة القرآن الشريف مع التطبيق على قواعد التجويد - والضروريات الدينية من الاعتقادات والعبادات والمعاملات والاخلاق - وتوسيع الفكر بالمعلومات المختلفة من أحوال الطبيعيات والامثال الحكمية ، ومن الحساب قواعد الجمع والطرح والضرب والتقسيم ، وحفظ الاذكار الصلواتية وبعض السور القرآنية التي لا بد منها للصلاة وشيء قليل من التاريخ .

ويلتزم في القسم الرشدية : القراءة العربية مع التطبيق على قواعد الصرف والنحو وانطالمة الصحيحة مهما أسكن وتقرير ما فهم باللغة العربية وصحيح الاملاء والانشاء ، وقراءة القرآن في الاسبوع مرة أو مرتين ، وبقية قواعد لسان الامهات من صرفها ونحوها ، وتمارين القراءة العربية العثمانية ، ومن الحساب تمارين القواعد (الأربع) بعلمياتها ، وشيء من الجغرافيا العمومية والوطنية ، وشيء من تاريخ الاسلام والملة ، واللغة الفارسية بقراءتها وقواعد مدحها وتقريرها وتوسيع الافكار بالمعلومات المختلفة أيضاً ، وتمارين الخط . ونخطيط الاشكال الهندسية لتعليم الرسم . وكتاب من (الفقه) الحنفية ، وكتاب من الحديث ،

ويلتزم في القسم الاعدادية المنطق (الرسالة الشمسية) ، والمعاني والبيان والبديع ، والعروض ، وأصول الفقه ، وسيرة النبي (نور اليقين) ، والمسائل الاعتقادية حسبما اکتفى به السلف (عقائد الطحاوي) ، والاخلاق النظري والعملية (الطريقة

المحمدية) ، والادبيات العربية والمثانية، والجغرافيا العمومية، والتاريخ العمومي،
 والتفسير (للعجلالين) والحديث (للامام البخاري)، والهداية (في الفقه الحنفية)،
 ومن الطبيعيات الكيمياء. ومسائل الحساب كالكسور الاربعة المتناسبة والفائض وغيرها
 ويلتزم في القسم العالي: التفسير - والحديث - وفتحه أبي حنيفة - والادبيات العربية -
 والعقائد المدونة مطابقا لحالة الامة الخاضرة (كذا)، والتاريخ مع النقد، والجغرافيا
 مع تاريخها، والطبيعيات، والبيداجوجيا (الحضرة الشيخ حسن توفيق المرحوم)
 هذا . وليحكم أهل الانصاف بما يحصل لهم في تطبيق أقوال السفهاء
 لهذا البروجرام من الصحة والفساد والصدق والكذب والحق والاختلاق . أعني
 هل يصح بعد هذا قولهم : ان مدارسنا لا يدرس فيها إلا ما بقي من خيالات
 اليونان والتفتازاني . وقولهم : ولا يدرس فيها غير ما ذكره لا من التفسير ولا من
 الحديث وغيره . وقولهم فأخرج من مدرسة عالمان اثنان ومائة طالب من ذوي
 النهى وابقوا (أوتى) من لا يهتم بشيء من الاصلاح (والمترعرعين الذين خرجوا
 من المدرسة جلهم من الصنف الرشدي وغيرهم من طلبة السنة الاولى للصنف
 الإعدادي ، وهل يمكن لهم ان يكونوا من أهل النهى دون الباقين مع ان طريق
 التعليم فيها وخيم (كما قالوا) . وهل يصح أيضا قولهم : والسلام التي تحصلها في
 مدارسنا لا تكفي للإمامة والخطابة أيضا . وقولهم : ولا يعلموننا فيها من الاخلاق
 والتربية . وقولهم : نحن لا نكون بما تعلمنا فيها الا مصيبة للعوام وعلماء السوء . وقولهم :
 اما اساتذتنا فيملون أدمغتنا بالخرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا
 باليونانيات والتفتازانيات، ويسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات . وقولهم وقولهم .
 فبرجو من جنابكم أن تنشروا هذا البروجرام في المنار وان لاندنوا وجه
 المنار بمثل هذه الأقوال الساقطة والمخلفات الباطلة .

ثم يسألنا قراء المنار ، فما سبب انتصار هؤلاء الرجاج على الباطل ؟
 والجواب : ان ناسا من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وان لم يقرؤوا
 بألسنتهم يظنون أن التدين والعلوم الدينية مانع من الترقى والتقدم الحقيقي (كما
 يظنه أمثالهم من أهل الغرب) ويرون جل المسلمين في روسيا متمسكين على

الدين ومعتادين على أهله والمدارس الدينية . ويستخرجون من هذا وذاك ان تمدن المسلمين في روسيا (بل وفي غيرها) موقوف على حل هذه العقدة أعني تفرق المسلمين من العلماء والمدارس الدينية، ولوصول هذا المقصود طريق واحد وهي (كذا) إلقاء العداوة والبغضاء فيما بين العوام والعلماء وثبتت المدارس الحاضرة أيدي سبباً ثم جمعها على الأساس الصحيح كمدارس أوروبا . فصاروا يتخذون لهذا الإلقاء والتثبيت واسطة كل ما يتيسر لهم من الأقوال والأفعال . منها اغواء الطلبة بأن حالهم ليست حالة مرضية لا من جهة الدروس ولا من جهة المدرسة ولا من جهة المدرسين ولا من جهة الإدارة والقوانين المدرسية ولا من جهة المعيشة ولا من جهة الحال ولا من جهة المآل . وليدرس في المدارس الدينية الفنون العصرية واللغة الروسية وما يتعلق بها أصلاً والعلوم الدينية تبعاً وليحول المدارس الدينية مدارس دنياوية وهكذا . لأنهم لا يحسون الاحتياج إلى المدارس الدينية كما كثر أهل فرانسوا ويقولون : ان هذه المدارس مهما تكمل يلزم ان تدرس وتفتى بنفسها بعد ما تأسس المدارس الدنياوية بين الامة، فيلزم عليكم أن تهجروا الامر ولو بسنة .

ونحن نقول : لا تمسوا مدارسنا الحاضرة ولنصلحها بالدرج ، لئلا يكون حالنا كحال جنين ، وابنوا أنتم وأسدوا المدارس المحتاج إليها الامة بجميع أنواعها من متوسطها وعاليها وليتدرس المدارس بعدها بنفسها (على انزعهمون) ، ونحن لا ننكر احتياج الامة لمثل تلك المدارس والى تعلم اللغة الروسية والعلوم الرسمية ، بل نحن نحس هذا الاحتياج كاحساسكم بل أشد، وندعو الناس إليها ومع ذلك نحس الاحتياج إلى المدارس الدينية ولا نرضى انقراضها ولا تخيل كما تخيلون وسندخل اللغة الرسمية إلى المدارس الدينية أيضاً بشرط ان يتخذ العلوم الدينية أساساً لما يتعلم فيها ولكن هذا يقتضي شيئاً من التأني ولا يستقيم بالعجلة ولا نصدق انقراض الدينية عند انتشار المعارف ، ويؤيد هذا قيام المدارس الدينية في الممالك الغربية والاميريكية مع ارتقاء المعارف فيها غاية ثم بعد برهة من الزمان وضعنا قبح هذه الحركة على علم الطلبة من الصنف العاليه فانتبه المتبصرون منهم ولم يساعدهم بعده في حركتهم فيفرقوا فقتل

فصاروا يسبون الطلبة الذين لا يتحركون بتحريكهم ففجزوا .
ثم أخذوا طريقا آخر يخفون فيها مرادهم من تحريكهم . وصاروا يدعون أن
مرادهم من التحريك اصلاح هذه المدارس مدارس دينية وهم أيضا يهتمون
للعلوم الدينية كما نهتم بل أشد ، ولكن العلوم الدينية ليس ما نسماها علومنا دينية
بل غيرها وهكذا . أهنبصه وفيه غلط تليل أشير إلى بعضه وأمله لم يراجع

(المنار) نشرنا رسالة هذا الاستاذ برمتها لأن الوقوف على حقيقة حال مسلمي
روسيا في التعليم والتربية مهمنا جدا ، لا فيهم من الرجاء وحسن الظن وصاحبنا
الاستاذ كاتب الرسالة أدري بتلك الحال . وما ذكره من ترتيب التعليم في المدرسة
المحمدية لا ينطبق على ما نكتب اليها بعض التلاميذ ولا يخلو على إجماله من انتقاد
وحاجة إلى الاصلاح وباليته يتفضل فيرسل اليها نسخة من البروجرام لنبدي رأينا
في ذلك على بصيرة تامة وقد اطلعنا على ما كتب رضاء الدين أفندي الشهير في
اصلاح التعليم في المدرسة الحسينية في أورنبورغ وودنا نشر خلاصته في هذا الجزء
والقاء دلونا مع دلوه لولا أن جاءت هذه الرسالة فحلت دون ذلك وفتحت لنا
بابا جديدا من التروبي في الحكم على تعليم مسلمي روسيا .

علمنا من هذه الرسالة أنهم يتعلمون لغة الأمهات ويظهر لما أم اللغة التبرية
ويتعلمون اللغة العثمانية واللغة الفارسية واللغة العربية وهم في أشد الحاجة إلى اللغة
الروسية ولا يستغني أهل التعليم العالي عن لغة أوربية عامة كالفرنسية أو الانكليزية
وهذا عبث ثقيل فذليل صديقي كاتب الرسالة يعرفني وجه الحاجة إلى تعلم لغة
الامهات في المدارس وليست لغة علم ولا دين ووجه الحاجة إلى اللغة الفارسية
والتركية أي جعل تعلم ذلك إلزاميا عاما . وعلمنا أنهم يقرأون معاملات الفقه في كل
قسم من الابتدائي إلى العالي ولم يذكروا مصطلح الحديث . وذكر من المصطلح الشمسية
فقط وكل ذلك منتقد كما سنبينه بعد

واما ما ذكره في سبب انتقاد المدارس الاسلامية فأصاغه ببعض المبتدئين
من المدرسة المحمدية محل نظر واعتبار ، ومهمنا ان نعرف مشار هذه الأفكار ،
وكيف السبيل إلى تلافئها ، وما يجب على العلماء فيها ، ومنعهود إلى البحث في ذلك

فَتَحْنَا فِي الْمَبْنِيِّ

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بمسئد ذلك ان يرمر الى اسمه بالمحروف ان شاء ، وانفاته كرا الاستلة بالندرج غالباً ورتما قد متاخر السبب كما حجة الناس الى بيان موضوعه ورما أجبنا غير مشترك لكل هذا ، ولمن يضي على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكركه مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا نقفله

﴿ اشتراط القبول في الوقف عتباً لا يجاب وعدم جواز بيعه ﴾

(س ٢٦) أرسل الينا أحد العلماء في بمباي (الهند) ما يأتي

الحمد لله وحده

سيدي متع الله الأنام بطول بقائكم
وقفت عندنا مسألة يظهر انفضيلتكم أهميتها من سياق عبارة السؤال الآتي
الذي تقدمه الى حضرتكم راجين من فضلكم أن تبينوا فيه الحكم على مذهب
الامام الشافعي والله يديمكم ويتولاكم
رجل وقف وقفاً مؤبداً على أولاده وهم أبنائه الثلاثة وبنته وعلى زوجته
وأخته بأه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يتصرف فيه تصرف الملكية وشرط
لهذا الوقف شروطاً منها ان يكون النظر لنفسه مادام حياً ثم من بعد موته يكون
النظر لولده فلان ثم لا كبر أولاد بنيه وهلم جرا فان لم يوجد من شرط له النظر أو
وجد ولكن قهده فيه الرشيد فالنظر لمن شرط له بعده فان لم يبق أحد من
المشروط لهم النظر فالنظر لناظر مسجد فلان (أي وان كان ابن الواقف الذي
لم يشترط له النظر موجوداً مثلاً) ومنها ان يأخذ الناظر الواقف من غلة
الوقف كل شهر قدراً معيناً في مقابلة نظره مادام حياً . ومنها ان يتصرف من غلة
الوقف على ما لا بد منه لمصلحة الوقف الحالية وان يحفظ كل شهر من الغلة قدراً
معلوماً لما يحتاج اليه صرفه لمصلحة الوقف في المستقبل كالبناء وغيره ثم يقسم باقي
الغلة على الموقوف عليهم المذكورين لاذ كرمثل حفظ الاتيسين . ومنها انه اذا
ماتت أنخت الواقف أو زوجته فسهم كل منها يرجع الى أصل الغلة وكذا ما يأخذه

الواقف في مقابلة نظره يرجع الى الغلة بعد موته . ومنها ان هذا الوقف يبقى دائماً وأبداً في ابناء أولاده ما تناسلوا لاذ كرمثل حظ الاثنيين وليس لاولاد البنات شيء في هذا الوقف وان سهم كل بنت بعد موتها يرجع الى اخوتها للذكر مثل حظ الاثنيين . ومنها انه اذا كان ولد الابن في درجة لا يرث من قبل جده وفق فرائض الله ليس له سهم في الوقف وإنما يتبرع له الناظر بنهر يسير ومقدار معين قليل لا يزداد عليه . ومنها انه اذا مات أحد الموقوف عليهم ولم يترك ولدًا صلياً فإنه ينتقل سهمه الى اخوته لاذ كرمثل حظ الاثنيين فان لم تكن له اخوة فالى اقرب عصبانة وهلم جرا حتى اذا انقرضوا عن آخرهم تصرف الغلة في جهة البر وقد بينها وحينئذ يكون النظر لناظر ومثولي مسجد فلان . وشرط أيضا شروطا آخر منها ان تقسم الغلة في آخر الشهر الثالث . ومنها انه اذا أراد أحد الموقوف عليهم السكنى في بيت مهتم للسكنى من بيوت الوقف فإنه يسلم الكرى كل شهر قدر ما يمين عليه الناظر وان لناظر ان يقطع قدر الكرى من سهم من يسكن في هذا البيت قبل ان يسلم له سهمه فان لم يستوف الكرى من سهمه يطالب به وان لناظر ان يأمر كل من أراد ممن سكن في هذا البيت بتخليته ولو من غير تقصير منه . ومنها انه ليس لأحد من الموقوف عليهم ان يطالب الناظر في حساب ما حصل من الغلة بل يقبل كلما يقدمه له الناظر . ومن أمثالها شروط كثيرة مما لا حاجة الى ذكرها الا شرطا واحدا هو ان رقبة الوقف اذا جرى عليها شيء سواء من الحرق والانهدام ولم يستطع بناؤه ثانيا فلناظر ان يقترض لأجل البناء فان لم يقترض بضمائه فليبيع رقبة الوقف وليشتر بثمنها عرضاً عنها

فلما بلغ الخبر الى الموقوف عليهم الذين هم البطن الاول ردوه ولم يقبلوه الا أن الولد الذي شرط له النظر بعد الواقف قبله ثم أكره الذين لم يقبلوه على امضائهم في ورقة التسليم ليستلموا ما يستحقونه من الوقف فقال أحد الرادين ان هذا الوقف بعد ردنا إياه صار منقطع الاول وبطل لما في المنهاج وشروحه وغيرها من كتب الشافعية حيث صرحوا بما معناه ان الوقف يرتد برد الموقوف عليهم الميمين فان كانوا البطن الاول يبطل بردهم ومن قبل بعد الرد لم يعد له فعلي هذا ابقاء هذا

الوقف على الوقفية واجراؤه بحسب شروطه لا يبيده وقفاً واكرهنا على الامضاء
مما لا فائدة فيه . فلم يسمع قول هذا القائل . وجرى الناظر الوقف بشروط الوقف
وجعل يسلم سهم الموقوف عليهم بعد كل ثلاثة أشهر و يأخذ منهم امضاءهم على
ورقة التسليم وجعل الكرى على من سكنوا في البيت الممتد للسنين وجعل يتطعم من
سهامهم قدر الكرى عند تسليم سهامهم اليهم واستمر هذا الحال مدة وفي خلالها
توفي أحد أبناء الواقف وكان من الذين لم يقبلوا الوقف ثم توفيت أخت الواقف
فجعل يعطي سهم الاول لاختوته الموجودين للذكر مثل حظ الاثنتين وجعل
سهم الاخت في أصل الغلة ثم توفي الواقف وانتقل النظر بحسب شرطه لولده فلان
المذكور فجعل يحدو حدو والده في اجراء هذا الوقف فسأله باقي الموقوف عليهم
أن يسلم لهم من عين هذا الوقف قدر سهامهم ليتصرفوا فيه مطلقاً ان يكون الوقف
قد بطل بردهم كما علم فاني هذا الناظر وامتنع عن تسليم ما طلبوه من سهامهم
في عين هذا الوقف اليهم وقال الوقف لازم على الموقوف عليهم كماهم وليس لاحد
في عين الموقوف حق ما

فأقام بمض الموقوف عليهم الدعوى على الناظر الموجود عندنا كم البلد
الذي يرى ابطال مثل هذا الوقف مطلقاً بحسب قوانينه الجارية والحكم منتظر
وباقي الموقوف عليهم كذلك تبهوا الاول في الدعوى على الناظر المذكور
ثم ان هذا الناظر احتج في جوابه دفعا للدعوى عليه (حسب ما يتضمنه
قانون المحكمة وذلك ان المدعي يقدم دعواه مكتوبة في ورقة ويحلف أن ما كتبه
فيها هو دعواه ثم يجيب المدعى عليه كذلك بتقديم ورقة مكتوبة ويرد الدعوى
عليه ويحلف ان ما كتبه فيها هو جواب الدعوى) ان الموقوف عليهم قد ابطالوا
حقوقهم في عين هذا الوقف لكونهم كتبوا امضاءهم في ورقة التقسيم
هذه هي الحالة والمسئول من فضيلتكم ان تبينوا حكم المسئلة على مذهب

الامام الشافعي

أولاً - هل يلزم هذا الوقف الموقوف عليهم المعينين الذين ردوه عند ما علموا

به من غير تراخ

ثانياً- هل يكفي في القبول امضاء الرادين في ورقة التقسيم من غير ان يتلفظوا بالقبول مع ان التلفظ بالصيغة شرط في العقود

ثالثاً- هل يؤثر القبول بعد الرد ان قلم بكفاية الامضاء في ورقة التقسيم رابعاً- ان قلم ببطلان الوقف بالرد فهل يبطل كله أو بعضه فان قلم بالثاني

فماذا يبقى وقفاً

خامساً- ماذا حكم الذي بطل هل هو ملك للواقف على ما كان قبل الوقف أم ملك للموقوف عليهم نظرا الى ان الواقف أخرج الملك عن نفسه وكان يملكهم انفعة مدة حياته أم لا يملكه أحد وتلي هذا فإمامي بطلان الوقف بالرد المستفاد من صريح عباراتهم

سادساً- هل يأثم الذي أقام الدعوى ومن تبعه عند من يرى بالقانون بطلان كل وقف على المعينين فيحكم ببطلان هذا الوقف بأسره وبجملة من تركة الواقف وتقسيمه بين الورثة الموجودين وفق فرائض الله أم لا أثم عليهم لان النظر الموجود أبي ان يسلم لهم حقهم الذي طلبوا منه من عين هذا الوقف ولانه لم يقم الدعوى من أقالها الا بدليل ان الوقف قد بطل في حتمه حينما رده اذ دخول عين أو منفعة في ملكه قهرا بغير الإرث بعيد كما هو ظاهر وثأكره الرهلي في نهاية المحتاج بشرح المنهاج أفنونا مأجورين

(ج) هذا الوقف باطل عند الشافعية لاشتماله على بعض الشروط الفاسدة وهو تفويض بيع الموقوف الى الزناظر على الوجه المذكور في السؤال قال في المنهاج وشرحه لشمس الرهلي مانصه: (ولو وقف) شيئاً بشرط الخيار) له في الرجوع عنه أو في بيحه أو في تغيير شيء منه بوصف أو زيادة أو نقص أو نحو ذلك (بطل) الوقف (على التصحيح) هـ ولا فرق بين تفويض البيع اليه متى شاء وبين تفويضه اليه بشرط كالمذكور في السؤال اذ لا يجوز ذلك بيحه بحال. واذا كان الوقف باطلا من أصله سقطت تلك الاستئلة الا اننا نجيب عنها بالايجاز

اما جواب السؤال الأول فهو ان الوقف تلي معين يشترط فيه قبوله كما صرح به في المنهاج وصرح الرهلي في شرحه باشتراط القبول عند الايجاب أو بلوغ الخبر

أي فإن نأخر بطل في حقه

واما جواب الثاني فالظاهر أنه يصح مع النية إذا لم يترتب عليه التراخي كأن
يمرض عليه كتاب الوقف قبل العلم به فيكتب عليه فوراً أنه قبله وأما الامضاء على
أوراق تقسيم الملة فهو ليس من القبول على الفور وإن استلزم الرضا بالوقت مع القرينة
واما جواب الثالث فهو أن القبول بعد الرد لا يؤثر له قال في نهاية المحتاج «فإن رد الأهل
يبطل الوقف ولو رجع بعد الرد لم يعد له» وقال ابن حجر في شرحه للمهاج (التحفة) أنه لا تأثير
لرد بعد القبول كما في قوله راجع الراد وقبل لم يستحق شيئاً ولكنه قيده بحكم الحاكم على
وجه وذهب ابن القاسم في حاشيته وذكر عبارته في شرح الروض وهي: فلو رجع بعد الرد لم
يعد له وقول الروياني يعود له إن رجع قبل حكم الحاكم به فيرد من دود كما بينه الأذري اه
واما جواب الرابع فهو أنه إذا رد بعض الموقوف عليهم بطل حقهم منه خاصة
دون سائرهم كما صرحوا به وفي حاشية الشبرايمسي على النهاية «فلو وقف على
جمع فتبطل بعضهم دون البعض بطل فيما يخص من لم يقبل عملاً بتفريق الصفة»
أقول وفي القول بتفريق الصفة مقال سيأتي على أن الأصل فيه أن يكون في البيع
أو ما هو مثله كالمصاحح والوقف ليس كذلك إذ لا معاوضة فيه ويترتب على تفريق
الصفة هنا أن يرث من قبل الوقف من الباقي فيكون حظه من تركة المورث أكثر
فإذا قيل يبطلان الوقف كله برد من رده فهو أقرب للمذهب والمعدل معا
واما جواب الخامس فهو أن ما يدل وقفه يكون ملكاً للواقف بل هو لم يخرج
عن ملكه كالوصية التي لم تقبل

واما الجواب عن السادس فهو أن من أقام الدعوى لا يبطل الوقف لاعتقاده أنه باطل
في نفسه لا شماله على الشرط الفاسد فلا يتم عليه لأنه توسل بذلك إلى إعطاء كل ذي
حق حقه وكذلك إذا اعتقد بطلانه رد البعض ترجيحاً للقول الثاني في تفريق الصفة
فالأصل في المذهب أن صححة الوقف تنوقف على الإيجاب والقبول على الفور وإن رد جمع
الموقوف عليهم يبطله لأنه يكون منقطع الأول ورد بعضهم يأتي فيه تفريق الصفة عندهم
والذي جروا عليه القول بجوازه وقال في المهاج أنه لا يظهر أي من قولي الشافعي ولكن
قال الرمي في شرحه «ومقابل الأظهر البطلان في الجميع تنلياً للحرام على الحلال قال
(المجد الطامع)

الربيع واليه رحمة الشافعي آخره ثم رد الرهلي قول الربيع باحتمال كون الرجوع في الذكور
لا في الفئوى وهو الذي جروا عليه وهو احتمال بعيد فمن لم يطمئن له واعتقد ان الحق في
تفريق الصفة البطلان في الجميع فلا حرج عليه اذا سمى في ابطال الباطل
وأما من اعتقد أن هذا الوقف صحيح في حق بعض الموقوف عليهم دون بعض
وأن هذه الأعيان التي وقفت بعضها ملك للورثة وبعضها وقف على من قبل ففي
الأقدام على دعوى تبطل الوقف منها وتجعلها كلها ملكا نظر وترجيح أحد الأمرين
فيه دقيق فقد يقال إن لصاحب الملك ان يطلب ملكه وان أدى ذلك الى ابطال
حق غيره من الوقف وابطال ما يؤل اليه من جهة البر الدائمة لان هذا غير مقصود
له وإنما يجيء بالتبع وهو الاقيس . وقد يقال ليس له ترجيح نفسه وابطال جهة البر
الدائمة لأجل منفعة العاجلة وهو الاورع . والمسألة دينية يستفتى فيها القلب والله أعلم

التعريف من باب الآثار العلمية الادبية

(الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه)

السل الرئوي أقتل الأعداء للبشر حتى قال أهل الاحصاء انه يقتل في كل
عام نحو ستة آلاف ألف (الأملايين) منهم وهو بأجماع الأطباء يقتل بالعدوى ولا
أعز لمن لدواه وفكاه بالمصابين به من الجهل بحقيقته وطرق انتقاله وكيفية توقيه ومعالجته
وقد ألف الدكتور خليل بك معادة كتابا حافلا فيها يجب ان يعرفه الجمهور من ذلك
سماه (الوقاية من السل) الخ بدأه بمقدمة في خطر هذا الداء وتاريخ طبعه ثم جاء بفصول
في حده وأسباب حدوثه وطرق العدوى والوقاية وأعراض المصاب به وتشخيصه
ودرجاته وأنواعه وكيفية معالجته بالهواء والرياضة والعتاقير والادوية وختمه بالكلام
في زواج المسلوين . وعندى انه ينبغي نكح قارى وقارئة الاطلاع على هذا الكتاب
وهو سهل العبارة فصيحها يستفيد منه كل قارى وقد طبع طبعا متقنا بمطبعة المعارف
ويطلب من مكتبتها بالنجدة ومن مكتبة المنار ومثمنه . اقرش وأجرة البريد ١٥ مائيا

(اسرار الثورة الروسية) ذكرنا كتاب السل بهذه القصة مؤلفه وهي قصة تاريخية
عصرية تمثل للقارى كيف يقوم الظلم الفاحش مع الدهاء والنظام وكيف يقاوم من
الجمعيات السرية بالدهاء والنظام فان في القصة من غرائب القصة في الظلم من

الحكومة الروسية وغرائب الكيد لها من جمعية النهلست السرية ما يرغب كل قارىء في الاطلاع عليه ولاكن لا يعتبره الا الأحياء الفضلاء ولا حياة لأمة مظلومة ليس فيها جمعيات سرية لمقاومة الظلم والتنكيل بزعمائه المستبدين فجمعية النهلست هي التي دبرت أمر الثورة الروسية التي ستكون منشأ سعادة الأمة وارتقاء الدولة كما تراء مفصلا في هذه القصة وعبارة القصة فصيحة، ومنها خمسة قروش صحيحة

(وقاية الأسنان) لو علم الناس أن الاسنان يمكن ان تبقى سليمة الى سن الشيخوخة اذا وقيت من أسباب التلف والفساد لبذلوا جهدهم في وقايتها لأنها ركن من أركان الصحة وركن من أركان الجمال وهذه الثلاثة أهم ما يهتم الناس في هذا الحياة ولكن أكثرهم لا يعلمون أنه يمكن وقايتها فهل للقارئ منهم ان يقرأوا كتاب (وقاية الأسنان) للدكتور علي بك البقالي ويعملوا بنصيحته

(نيل المراد) في تشطير المهزبة والبردة وبانت سعاد (هذه القصائد أشهر ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم وقد شطرها الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي الطرابلسي فصار شريكنا لظهيرها في المدح وبيان السيرة النبوية والشمال القديسية وهو جدير بذلك في مكانه من بيت العلم والأدب وقد طبعتها مع تفسير ما قد يخفى من كلماتها وهي تطلب من مكتبة مجلة الشيخ محمد سعيد بالسكة الجديدة

(المجلة العثمانية) مجلة أدبية علمية يصدرها في القاهرة فتحي أفندي عزي لكل شهر مرتين والعدد منها مؤلف من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٦٥ في سائر الاقطار . وقد صدر منها بضعة أعداد

(الأقلام) مجلة شهرية عمومية تبحث في كل فن ومطلب أنشأها في القاهرة جورج أفندي طوس أحد المحررين لجريدة الوطن ومحمود أفندي أبو حسين وكتب عليها «ويشارك في تحريرها خيرة الشعراء والناثقين» والعدد مؤلف من ٤٨ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا في القطر المصري و١٥٥ فرنكا في غيره تدفع عند الاشتراك وقد ظهر الجزء الأول حافلا بالمقالات الادبية والقصائد

المصرية

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

نادي المدارس العليا - مآل الطفولية الأمة

نبينا القراء في بعض السنين السائلة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها لاجتماعية التي ولدت فيها الأمة ولادة جديدة ، بعد أن أماتها الاستعداد قرونا عديدة، وهي لانزال في طور الطفولية، بما تقلد فيه الشباب والكهول من الامم الحية، ومما تلحزت له القاهرة من لذائذ التقليد إنشاء الأندية، أنشأ قوم ناديا فما قام الاوسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكتابون، وأظهر الرغبة فيه الراغبون، حتى كان منذ سنين، أن جمعت أموال ووضعت قوانين، ولكن أعيد المدل الى أربابه، قبل ان يخرج الامر من اهابه، وقد أعيدت الكرة في العام الماضي فكان الاستعداد أتم، والداعون أنهمض بالعمل وأعلم، وما للداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية بمصر وأوربا وما المدعون الامثالهم بالفعل أو بالقوة.

تمخضت الدعوة فولدت (نادي المدارس العليا) وخصوا العليا بالطب والحقوق والهندسة وقسم المعلمين العالي أي الأفريقي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دار العلوم » والأزهر . وقد دارت المناظرة في هذا الإخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين في هاتين المدرستين دون المتخرجين في تلك المدارس الأربعة وأدنى منهم !!

قرأنا وسمعنا كثيرا من انقلات التي كتبت والمباحث التي دارت في الدعوة الى تأسيس النادي وما يتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن اكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط ونصارى سوريا أو عما لكل أهل الملل فرارا من التعصب، وكحظر الخوض في المباحث الدينية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي، قرأنا وسمعنا ولكتنا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لاننا رأينا التيار مندفعاً الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

كان مما سرنا من مواد قانون النادي حظر الخمر والميسر على اهله فيه وإن
 ورن ذلك بحظر المباحث الدينية والسياسية . واكتنا لم نلبث أن رأينا ان مجلس
 ادارة النادي قد نسخ حظر المنكر وهو الخمر فأباحه وأحكم حظر المعروف وهو
 المباحث الدينية والسياسية وأصر على تحريمه فساءنا ذلك وأحزنا إذ صار النادي
 شراً من بيوت الابرار المعروفة بالقهاوي والببر (البير كمال والبارات مواضع شرب
 البيرا وغيرها من الخمر) لأن هذه البيوت لا يحظر فيها المعروف من المباحث
 الدينية والسياسية التي هي أرقى المباحث وأعلاها . وما زاد في أصفنا وعمنا تمليهم
 إباحة الخمر بكون أكثر المشتركين لا يصبرون عنها وما توقعه من إفساد التلاميذ
 المشتركين في النادي بسوء القدوة فانهم اذا رأوا من يمدونهم أرقى الآفة علما
 وأدبا بأنون في ناديتهم المنكر فانهم يقتدون بهم في ذلك طبعاً كما كان أغنى التلاميذ
 عن هذا النادي لو تبصر أولياؤهم

بيننا نحن في ألم خيبة الأمل في النادي واذا بمجلة المجلات العربية قد وافتنا
 باثنتين وعشرين صفحة عن النادي فيها من الاغراق في الإطراء ما كان حاملاً
 لنا على كتابة هذا الفصل، وأنه لقول نضل وما هو بالهزل ،
 قالت مجلة المجلات في فائمة كلامها : « اذا ذكرنا الأعوام الاخيرة فأنا
 نذكرها بهجين جزلانين لاننا شاهدنا فيها قبسا ما عم أن بات أخيراً نار هدى
 ونعي بذلك هذه النهضة العلمية الأدبية التي بدت مطالها منذ أعوام وظهرت
 اليوم في كبد سماء المجد بدرا كاملاً يرسل ضياءه اللامع الى جميع الأنحاء قدسرت به
 النواظر ، وتقرله الخواطر ، واننا لأر يد اليوم ان نشرح لتقارئين تفاصيل هذه النهضة
 السامية فليس هنا مقامها الآن ولكننا بدأنا بها تمهيدا لما سنورده من الكلام عن
 الناشئة العصرية التي يتألف منها شبان اليوم وزهرة مصر في هذا العصر
 « لقد قام شبان اليوم بأعمال جمة دلت على ذكائهم واقتدارهم ، أعمال يؤخذ
 من مجموعها أن في سو بداء وادي النيل رجالاً أكفاء اكمل عمل مجيد وان سماء مصر
 يستظل بها كثيرون من الذين نبغوا في العلم والفضل والذكاء »
 ثم ذكر مسألة انشاء الاندية وقل أمها « إحدى كبريات المسائل » وذكر

ناديا أنشىء، وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد وقل
«وقد أيدت الناشئة المصرية هذا الأمر الطبيعي ونفت من الأذهان ذلك
الاعتقاد الذي يملئه الكثيرون حجة مسددة لاجدال فيها وهي أن المصريين شعب
مكسال لا حياة أندية له وأهم قوم صدق فيهم قول القائمين «قد اتفقوا على ان
لا يتفقوا واتحدوا على ان لا يتحدوا» ولكننا نحمد الله لأن شبانا قد ضربوا ذلك
الاعتقاد ضربة جملته هباء منثورا وأرا بعدعين

«وأتدبئ بسؤال الناس عن العمل الذي قام به شبانا حتى صح ان يقال فيهم
ما قلناه اليوم. سؤال لا نرى جوابا عليه أبغ من القول ليقصد كل امرئ نادى
المدارس العليا ليشاركه بعينه اتحاد الكلمة وقوة الاتحاد والزهرة اليانعة التي تملأ
القلوب غبطة وسرورا. ذلك النادي الكائن في أعظم احياء العاصمة بجوار فندق
(سافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويترجم بذكره
ذلك النادي الذي خصصنا للكتابة منه غالب صفحات هذا العدد. ولا بدع
في ذلك لأنه غرس أيدى شبان في مستقبل العمر في حين أنه كان المنظور أن
لا يقوم به الا الكبراء وسراة الاغنياء ولكن ناشتنا برهنت على أنها قوة عظمى
تحطم في سبيل ارادتها كل عقبة كوؤود، وتدوس بقدمها الشوك الذي يستعرض
وهولها الى زاهي الورد»

ثم أفاض في الكلام عن كيفية تأسيس النادي وفوائده وذكرا كان من
مساعدة الحكومة وكبار المحتلين له ومن ارتباح الامير له اذ جعل ولي عهد مصر مشركا
فيه ونشر قانونه برمته وقال في خاتمة الفصل

«ومسك الختام لهذه المجلة المطارة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادي
الى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دامنة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا
بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل اننا أمة حية لا نقصنا للتقيام
بكبير الأعمال الا الإرادة وطرح الضمف جانبا فتمت اعتمدا على عزيمتنا تمكنا من
الوصول الى كل غاية نطلبها بلغنا الله ما نشتهي من طيب الآمال بحمه وكبره» اه
الله أكبر. ما هذا النادي الذي كبرته مجلة المجالات هذا التكبير، ونفخت

هذا التفخيم ، وجماله البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى ، وهمة عليا ، قد ذلت بهما نابتنا كل صعب ، واستهانت بكل خطب ، وناقشت الأمة من أسفل السافلين ، فخرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الامم العزيزة أو سميتها ، فان لم تكن سميتها فقد ساوتها ، ا كان هذا النادي فتحا مبينا ، أم كان استملا لا للبلاد عزيزا ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجورا ، وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد أن يجذب اليه المهاجرين له بإعلاء ذكره ، وتعظيم قدرهم بقدره ، اذ لا يجمل مثله أنه ناد قد خلت من قبله الاندية فاملا منشؤها مواضعهم فخرا ، ولا ادعوا أنهم تجاوزوا السماكين عزا وقسدا ، ولعل هذا هو الأقرب فاننا لم نكدرتم قراءة ما كتبه في مجلته حتى وافانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيدا لما سمعنا من بعض المشتركين

(الى صفوة الشبيبة المصرية)

جاءنا هذا الكتاب بوجه كانه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضاء

نادي المدارس العليا وهو بعد الديباجة

قامت قيامة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد انشئ بعد كتاب المكتبين واشترك المشتركين لكن يظهر ان القوم لم يألفوا الاجتماع بعد . فهم مشتتون على القهاري والبارت ولا يعرج على النادي من المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع اليدين ويحتج بعضهم بعدم المكان عن وسط البلدة والبعض بحرارة . والبعض الآخر بوجود أصحاب مهم لا يسمح قانونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع عديدة جئت امتلئت أنظار حضرات القائمين بادارة النادي لتلاني ذلك على قدر الامكان خصوصا فيما يتعلق ببعد الشقة وقيمة الاشتراك وأرجو من سعادتك

نشر هذا بالجريدة (دكتور . ر) مصري في ١٦ يونيو سنة ٩٠٦

(المنار) علم مما تقدم اننا نتقدم من هذا النادي عدة أمور

(١) وجود التلاميذ فيه ولا يسع هذا الفصل بيان ذلك بدلائله
 (٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار المعلمين) كمدرسة المعلمين
 الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غمض للعلوم
 العربية ومامن متخرج في مدرسة من المدارس العليا الا هو تلميذ للاساتذة المتخرجين
 في دار العلوم وان قوما يغمضون لغتهم واساتذتها لا يرجي للاه خير في اجتماعهم
 بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الازهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد
 الاجتماع في الاندية تقرب طبقات الامة بعضها من بعض لاسيما الطبقات العالية
 المحترمة وعلم الازهر في مقدمتهم ولا يحال هنا لشرح ذلك ولا شك ان علماء
 الازهر واساتذة دار العلوم ابعده في مجموعهم عن المنكر وأقرب من الامتقانة والأدب
 من مجموع المتخرجين في المدارس العليا فوجودهم في النادي مزيد كمال في آدابه

(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكان ينبغي منع البحث في انطمن
 بالأديان وكل ما ياتي العداوة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أو مقاومة
 المحتلين أو الحكومة وإباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة
 ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) إباحة الخمر بعد منعهما وهذا كبر عار على النادي من وجهين ظاهرين

(٥) سرعة ملل المشتركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاوي والبارات
 المؤذن بقلة الثبات ، - فهذه الامور كلها من دلائل طفولتنا في الحياة الاجتماعية
 ولا ينافي هذا ان في النادي أفرادا تحترم مزاياهم الفاضلة ويرجى ثباتهم ومن هؤلاء
 نرجوتلاني كل خلال والاستعانة على ذلك بنقدنا قدينا ، وإطراء المادحين ، واننا
 لا نريد بهذا الا النصيح والاصلاح والله الموفق والأمين

(خطبة الامير على العلماء في الاسكندرية)

ظنرنا بنص هذه الخطبة التي نوهت بها الجرائد في وقتها وقد ضاق هذا
 الجزء عن نشرها مع فوائدها اخرى منها مقالة من اميل القرن التاسع عشر وقصيدة أبي
 طالب مشروحة ونبذة في الثورة الروسية وتاريخ متعدد ومعدنا الجزء السادس

بوقى الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يصدق إلا أولو الألباب

الله
١٣١٥

جمبر عبادي الذين يستهون بالقول فیتسون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوي و« منارا » كنار الطريق

﴿ مصر - جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ ﴾

هدي السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

دعونا العلماء في الجزء الماضي الى نصيحة السلاطين وانا نذكركم في هذا الجزء ببعض ما يروى عن علماء السلف في ذلك جعل الامام الغزالي الباب الرابع من كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصا بأمر الامراء والسلاطين ونهيمهم وقال في أوله مانصه: «قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وان أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر في الجمل على الحق بالضرب والعقوبة . والجانز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبان الاوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع والقهر فليس لأحد الرعية مع السلاطين فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد عنه من المذورا كثر . وأما التخشين في القول كقولاه: يا ظالم يا من لا يخاف الله: وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة تتعدى شرها الى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذاك شهادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (٢) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال «قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق» (٣) ولما علم المتصلبون في الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك

(١) الحديث قال المافظ العراقي في تخريج أحاديث الأحياء رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وذكر له شارح الأحياء روايات أخرى (٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد وله ألفاظ وطرق ذكرها الشارح

موطنين أنفسهم على الهلاك محتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله . وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين من كتاب الحلال والحرام هـ ما كتبه الغزالي في مقدمة الباب

أقول قوله أنه ليس لأحد الرعية التصدي لمنع السلطان عن المنكر بالتمهر صحيح لا لما يترتب عليه من الفتنة فقط بل هناك علة أخرى هي أظهر وأولى بالتقديم وهي أن إكراه الآحاد من الرعية لسلاطين محال وطلبه عبث لا يأتي من عاقل ولهذا المعنى فرض الله تعالى الدعوة إلى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة تتألف وتستعد لذلك كما بينا في الجزء الماضي والأمة تستعد لكل شيء بقدره وقوة الأمة أشد بالاتحاد والاجتماع من قوة السلطان لأن قوته منها وقوتها من ذاتها ويد الله مع الجماعة . ومنعود في فرصة أخرى إلى التفصيل في هذه المسألة . فاننا إنما نقصد الآن إلى بيان شيء من هدي السلف في نصيحة الأمراء والسلاطين تذكرا للعلماء وكشفا للقراء عن الفرق بين حالنا اليوم وحال سلفنا أيام كانت الأمة عزيزة قوية والدين راسخا معمولاً به

ندع مما أوردته الغزالي من هدي السلف في هذا الباب آثار الصحابة لتلايقال انهم لا يقاس عليهم في بذل أرواحهم في سبيل الحق وان من كان يغلظ على عمر بن الخطاب في الحق كان آمنة عقبوته ليقينه بعدله ودينه ونذكر شيئاً مما أوردته عن بعدهم قال « وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمار ، واتق الله في أولاد المهاجرين والانتصار فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين ، وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تفعل عنهم ولا تغلق

بابك دونهم فقال له أجعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنما سألنا حاجة لفبرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟ فقال مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأبيك الشرف «
أقول هذا نصيح علماء الدين لكل عبد الملك الذي كان أول معان للاستبداد في الإسلام حتى قال علي المنبر: من قال لي اتق الله ضربت عنقه؛ وابن ملوك زماننا من عبد الملك في سياسته وفتوحاته إلا أنهم اسحق بالنصيحة منه ولكن أين الناصحون! قال الغزالي

« وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فإذا عبر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال يا شيخ ادخل إلى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب الوليد على حاجبه وقال له ويحك أمرت أن تدخل إلى رجلا يحدثني ويسأرنني فأدخلت إلى رجلا لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي (بني أمير المؤمنين) فقال له حاجبه ما سري أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا أن في جهنم واديا يقال له هبيب أعده الله لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس منسيا عليه . فقال عمر لعطاء قلت أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر ان الامر جدد فجدد . ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة أجد ألم غمزه في ذراعي

« وروى عن ابن أبي عائشة ان الحجاج دعا بفتها البصرة وفتها الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بأبي سعيد التي التي ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فعمد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه

ونلنا منه مقاربة له وفرقا (أي خوفا) من شره والحسن ساكت عاضاً على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكناً قال ما عسيت أن أقول قل اخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذي هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) فملي بمن هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم رسول الله وختمه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا أن يحول بيه وبينها وأقول إن كانت ليلي هناة فالله حسبي ، والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مضطرباً فدخل بيئنا خلفه وخرجنا

« قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت أن سئت فصدقت أو سكت فسلمت . قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن فذاك اعظم في الحجة عليك وأشد في التهمة .

« قال وبهت الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال نعم قل ما حملك على هذا ؟ قل ما أخذ الله على العلماء من المواثيق « ليبينه للناس ولا يكتتمونه » قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك انت يبلغني عمك ما أسكره فأفرق بين رأسك وجسدك . »

أقول وقد ساق المصنف هذه الحكاية في كتاب ذم الجاه والرياء مطولة بما هو أبلغ في المهرة والفرق بين علماء الدين الذين لا يخافون في الله لومة لائم وعلماء الدنيا الذين يتقربون إلى الأمراء والسلاطين بما يرضيهم من سخط الله تعالى قال « روي عن سعيد بن أبي مروان قال كنت جالساً إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر فدخل

المسجد على برذونه (١) فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلة أحفل من حلة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها ثم نثى وركه فتركه وهشي نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجهاً إليه نجافى له عن ناحية مجلسه قل سعيد وتجافيت له أيضاً عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم (٢) فما قطع الحسن كلامه . قل سعيد قتلت في نفسي لأبلون الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه ان يزيد في كلامه يتقرب إليه أو يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه . فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحو ما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكثرت به رفع الحجاج يده فضرب بها على مكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرّ فمليكم بهذه المجالس وأشباهاها فاتخذوها خلقاً وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها . قال ثم افتقر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق وقام . فجاء رجال من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون اني رجل شبح كبير واني أغزو فأكف فرساً وبفلاً وأكف فسطاطاً وان لي ثلاث مئة درهم من العطاء وان لي سبع بنات من الميال : فشكا من حاله حتى رق له الحسن وأصحابه والحسن مكب بل فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا وما الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدوّ الله غزا في الفساطيط الهبابية (أي العالية المشرقة) وعلى البغال السبابة واذا أغرى أخاه أغراه طاوياً راجلاً : فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده فقام رجل من أهل الشام كُن جالساً

(١) لعل المسجد كان لا يزال مفروشا بالرمل على طريقة الصدر الأول أو لعل الحجاج دخل بالبرذون الى صحنه دون موضع الصلاة (٢) يريد بقوله يتكلم به كل يوم انه يتكلم بمثله في الوعظ وبيان الحق كما يعلم من لاحق الكلام

الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه الذي تكلم به (١) فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشققتنا شاكبه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلبا رأيته فأعرافاه يضحك انما كان يتبسم فأقبل حتى قصدني مجلسه فخطم الأمانة وقال انما تجالسون بالأمانة (٢) كأنكم تظنون أن الحياة ليست الا في الدينار والدرهم ان الحياة أشد الحياة ان يجالسا الرجل فنطمئن الى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار ، اني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك لسانك ونولك اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا أغزا أخاه أغزاه كذا لا أبالك تخرص علينا الناس أما أسأ على ذلك لانهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني . وركب الحسن حمرا يريد المنزل فينما هو يسير اذا التقت فرأى قوماً يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والا فارجموا فما بقي هذا من قلب العبد

قال الغزالي بعد ايراد هذا الاثر : فهذه العلامات وأمثالها تبين سريرة الباطن ومما رأيت العلماء يتغايرون ويتمحسدون ولا يتوانسون ولا يندعرون فأعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين . اهـ

أقول وان حاجتهم الى التعاون في هذا العصر أشد منها في عصر الحجاج فان المسلمين اليوم على خطر وأصراؤهم وملوكهم لا يذكرون مع ملوك بني أمية وأصراؤهم حتى الحجاج فأولئك قد فسخوا الممالك وهولاء أضاعوها وأولئك حفظوا من الشريعة ما عدا جعل أمر الساميين شري بينهم فأنهم جعلوه ملكا قوامه العصبية وهولاء أضاعوا الشريعة الا قليلا هو على خطر من حملوه وسوء ادارتهم ، وأولئك

(١) يوشك ان يكون الحجاج هو الذي أوعز الى الشاميين بمثل ما فعل لا يعلم هل تدفع معاملة له للحسن شيئا من كلامه فيه وفي حكومته (٢) الجملة حسد يث رواه العسكري وابن المبارك والخراطي بهذا اللفظ عن ابن عباس وزواه غيرهم بالفاظ أخرى

كانوا يعدلون في الاحكام ويساوون الناس في الحقوق فلا يظلمون الا من نازعهم في أصل سلطنتهم وهؤلاء يظلمون في كل شيء ، ويبيعون الحقوق بالرشوة . وقد رأيت أن من علماء السلف من كان يفظ لهم وينفر الناس من أصل سلطنتهم ويفيظ أشدهم سفكاً للدماء كالحجاج أفلنا أخرج الآن الى ذلك . الخلاصة أنه لا بد من اجتماع العلماء وتعاونهم على فريضة النصيحة ، مادام في القوس منزع وفي السلطة الاسلامية رمق .

(الآثار بقية)

التعصب وأوروبا والاسلام

للحلام دول تحالف دول الحقائق ذارة ومخالفها تارة ، ورب خلاف يجر الى خلاف وحلاف ينتهي بخلاف . قديتهم الحلي بالشق حتى يجعله التهمة عاشقا ، وقد ينكر الكذب الكذب حتى يكون صادقا ، مرت على الشرق الاحقاب والقرون ، ودرجت فيه الأجيال والقرون ، وهو كما تعلم مشرق الاديان ، وضمت جميع أصناف الانسان ، ولم يقع فيه بين المختلفين في الدين المتجاورين في البيئة من الفلوفى التعصب نشر معشار ما وقع من أهل أوروبا الذين اتحدوا باسم الصليب على ابادنة المسلمين أو ما وقع من تعصب نصارى هذه القارة على الوثنيين فيها بل ولا عشر معشار ما وقع من أهل المذاهب النصرانية بعضهم مع بعض فأوروبا ما شار بر كان التعصب الديني في الأرض كما بينا ذلك في مقالات نشرت في أعداد السنة الاولى لما رجعت دول أربا المتحدة من حرب الصليب في الشرق مغلوبة على أمرها عاجزة عن بلوغ منتهى ما حددته لها تعصبها عالمة أنها دون المسلمين في القوة الحربية والقوة العلمية والادبية أخذت تستعد في العلم والعمل فكان خذلانها في تلك الحرب مبدأ حياة جديدة لها على حين كانت حياة المسلمين السابقة أخذت بالضعف والنحول فاستفادت من الانكسار ، ما لم تستفد من الانتصار ، وما زالوا يرتقون فيما تركناه لهم من علم وصناعة واجتماع واعتصام ، ونحن نتدلى بالجهل والكسل والتفوق والانقسام ، حتى دالت لهم الدولة ، وعادت لهم الكرة ، فسادوا علينا واستولوا على أكثر بلادنا وقد عاملنا أكثرهم بالشدة والقسوة حتى ضبقت بعض دولهم

أوقافنا وهدمت أضر مساجدنا ومنعتنا من التعليم الديني والدنيوي وسلطت علينا قسوسها يحقرون ديننا في بلادنا. وإن أكثر أرواحهم أحسن استعماراً وأقربهم إلى اللين والعدل لم تبلغ بعض شأواً خلفاء الراشدين في العدل والمساواة بل ولا غير الراشدين من أكثر ملوك الأمويين والعباسيين كما بينا ذلك غير مرة.

تحتج أوربا على هذه القسوة بأن الشرقيين أو المسلمين متعصبون لا يؤمن ضميرهم أن يقع على المخالف لهم الأذى أو يقيدهم أو يقيدهم أرجلهم ووضع الوقر في أسناعتهم والفتاوة على أبصارهم. ولكن انزالها الشر المحقق عليهم خوفاً من الشر التوهم منهم لا يمد تعصباً!! لماذا؟ لأنها تقول: أنهم متعصبون للدين وإنما غير متعصبين له، الشرقيون متعصبون لأن الشرق لا يعرف جاهة غير الدين، الغربيون غير متعصبين لأن الغرب لا يعرف غير الجاهة الجنسية أو الوطنية، المسلمون متعصبون انصاري غير متعصبين، التعصب الإسلامي خطر على المدنية المسيحية، مادام هذا القرآن معتقداً أو محترماً فلا إنسانية على خطر، ما يأخذه الصليب من الهلال لا يعود إليه وما يأخذه الهلال من الصليب يجب أن يسترد منه،:

أمثال هذا الكلام الذي يرددونه قد فتق آذان المطامير من المسلمين على كتب أوربا وجرائدها وفتح أعينهم ونه أفكارهم فاشتدوا أن أوربا متعصبه عليهم تحاول محو ملكهم ووجودهم إلى من الأرض وأنها تحاربهم بهذا التعصب وربما كانت نجاحهم بالتعصب فكادوا يحققون التهمة ويدعون إلى تحقيقها ولكن روح الإسلام لا يزال غالباً على مجموع الأمة الإسلامية وهو أسديته في هذا المقال

تخفت صوت القوم في اتهام المسلمين بالتعصب حينما من الاله ثم لانلبث السياسة أن ترفع به عقيرتها وقد قار في هذا الأيام وزير خارجية انكرا في مجلس العموم كاحة فيه سارت بها الركبان قال — والعهد على ترجمة الجرائد — ان روح التعصب قد زادت في القطر المصري في هذه الايام زيادة يخشى معها على مستقبل البلاد. قول كلمته في مقام الدفاع والاعتذار عن عمل أتمه السياسة الانكليزية في مصر فأذكره عليها بعض النواب في المجلس وطالب من الوزير ان يبين عند الحكومة في ارتكاب

ذلك المذكور وهو الفسوة في معاقبة طائفة من الفلاحين في حادثة دنشواي التي سارت بخبرها اركان وترى مجمل خبرها في باب الاخبار من هذا الجزء
عندي بصوت المعتذر في مقام الدفاع ان يكون خافقا ليس له صدى ولكن صوت هذا المدافع ، قد كان أشد من دوي المدافع ، خشمت له في المجلس الأبصار ، وخفنت له الأصوات ، ولم يلبث ان جعله البرق الى الأرجاء ، فكان مع البرق رعداً قاصماً في جميع الجواء ، رددت صدها الاقطار ، وكانت الشغل اشغال لصحف الاخبار ، فاه الجرائد الاوربية فتصد صدقت الوزير في قوله ، وواقفته على ما يريد به ، جارية في ذلك على نهجها المعتاد ، وتقاليدها المتبعة ، وتبعها من الجرائد الافرنجية والفرنسية في مصر من يرى أصحابها بلسم فائدة من نفيط انكسرا من المسلمين ، وأما جرائد المسلمين في مصر ومن أنصف المسلمين في المسألة من أصحاب الجرائد الافرنجية والسورية فقد أنكروا القول على الوزير وما كل منكر يعرف كيف يذكر .

وجل مسلمو مصر وأصحاب الجرائد منهم خاصة من قول الوزير وحسبوا لفاقته ألف حساب وهب الكتاب منهم لدفع تهمة التعصب عن أنفسهم فجاءوا بهنتي ما ينولد بين الغيرة والوجل ، من فنون الحجاج والجدل ، وربما كان في دفاعهم ، ما يمدد التهمة لهم مثبتا للتهمة عليهم ، ولم أر منهم من شرح ما يريد الوزير من التعصب كما اعتقدتم احتيج على بطلانه بما يرجى ان يكون مقنعاً للمتعصب ، بل رأيت كثيراً من الناس يعتقدون أن الوزير قال مالا يعتقد كما قال له اللورد كرومر وهو أيضاً لا يعتقد ما قال . أما أنا فإني أقول انها يعنيان بالتعصب غير ما فسر به هؤلاء المدافعون من الوجوه التي يقيمون للدلائل على ردها .
هل يعني الافرنج بالتعصب الاسلامي تحاب المسلمين وتعاونهم على مسابقة غيرهم في طرق الكمال الصوري والهنوي فنقول لهم انكم تشاءدون أننا أصبحنا أضعف الأمم اتحاداً وتناصراً ، وأشدّها تفرقاً وتمازراً ، هل يعنون به بعضنا وكراهتنا للمخالف لنا في ديننا وعدم ثقتنا به بحيث يصعب عليه ان يعيش بيننا فنقول لهم اذا كيف اصابت هذه الثروة الواسعة من جالية اليهود والنصارى منكم ومن

السوريين والأرمن وسائر الملل وكيف صار منكم رئيس الخفاضة الحديدية وكثير من مستخدميهها ورؤساء دوائر كثير من أمرائنا وأغنيائنا؟ بل كيف عاش بيننا المبشرون بالنصرانية آمنين وهم يطعمون بديننا وكما بنا وبنينا؟ هل ينون به محافظتنا على شرعنا من جهة الأحكام القضائية فنقول لهم هذه المحاكم الأهلية والمخاطبة ومدرسة الحقوق ونظارة الحفانية نفسها حجة عليكم فأننا تركنا معظم شرعنا الإلهية الى قوانينكم الوضعية ولم يعارض حكامنا الذين فعلوا ذلك أحد من علمائنا ولا من وجهائنا؟ هل يريدون به اعتصامنا بعروة الدين في أعمالنا الشخصية فنقول لهم ولماذا راجت خجوركم حتى عمت المدن والقرى وربحت تجارة بورصكم وبقاياكم حتى أهلكت الحرث والنسل ولماذا كان عدد اغنيائنا الذين يزورون بيوت الفسق في بلادكم كل عام ، أضاف الذين يزورون بيت الله الحرام ، ولماذا ولماذا ولماذا ١٠٠٠ هل ينون به ان مصر تريد ان تتبع سائر الأقطار الاسلامية ، بالاتحاد على الامنية التي يهبر عنها بالجامعة الدينية ، فنقول أخبرونا عن قطر بن اسلاميين اتحدت حكومتنا بها وتحالفت على دولة غير اسلامية كما تفعل دولاكم في تعاطفها وتحالفها . ما كانت حكومتان لنا متحالفتين لإعلاء كلمة الله لا سباني هذه الأزمان ، إنهم الا متخالفون لوجه الشيطان ، بالأأس قامت دولاكم على دولة مساكش الاسلامية فاتحدت على ماشاءت من السيطرة عليها ولم تطلب دولة الترك ولا دولة الفرس ان يكون لها معكم سهم ولا قلت واحدة منها بلمة نثر بالهيرة عليها أو المساعدة لما بل هما الآن متساويان كل منها تحشد الجيوش على الحدود كأنهما متحذتان على إفتنا ما بقي المسلمين من قررة واستقلال فتك كل منهما بالأخرى . على أن الحكومات هي التي تمقد المحاللات وزمام الحكومة المصرية في أيديكم وليس للأمت في أعمالها رأي ، بل اسس الحكومة نفسها من دونكم أصرا ولا نهيا ، بل نقول لهم لو كان للمصريين الذين تشكون من تعصبهم رأي لما اتفقوا على الاعتصام بالجامعة الاسلامية وإنما يصاون بما أرشدتهم اليه من العصبة الوطنية ، فإن وجد فيهم كثير من يهدون المسلم غير المصري فيهم دخيلا ويأبون الاشتراك معه في أي عمل ويفتخرون بمعاملة الاجنبي غير المسلم

إذا ما ذا يريدون بهذا التعصب المصطنع، المتحفز لمواثبة الدول، المخربق لذباع،
 المجرم مزليمة الباع، المترصص ليقفال أئروة الأروبية، الموثب ليحو آية المدنية،
 ألا أنهم يعنون ان المسلمين حريصون على ان يكون حكامهم منهم وأشدهم
 ما ينكرون من ذلك أن الاملام قد جعل من حرق الخليفة على المسلمين،
 أن يستجيبوا له اذا دعاهم الى استئصال المخالفين لهم في الدين، ويستندون أن
 السلطان عبد الحميد ما أحيا لقب الخلافة لنفسه وعني باقناع الشعوب الاسلامية
 بالاعتراف به باستخدام الجرائد وغير ذلك من الوسائل الا ليدفع نفسه بهذه
 القوة الممنوية الهائلة التي يستطيع ان يهدد بها أوربا في مستعمراتها متى شاء بل
 هو يهددها بالقوة والفعل ولولا ما أحدث له من الشواغل والعمرائيل في كل وقت
 وما تطوي عليه جوانحه من الخوف والحذر لما أمنت دهائه وقد أعطي هذه
 السلطة الدينية الخفية . هذا ما يعتقد الاوربيون في التعصب الاسلامي وهذا
 ما يخافون منه . ولما كانت مسألة العقبة ورأى اللورد كرومر أن السلطان قد ظهر
 فيها بمظهر الشدة والحزم أدلأورأى أثره بعض جرائد المسلمين فيها بمحقوق الخليفة
 والخضوع بخليفة واستنادها في بعض ما كتبت على مختار باشا الذي أنيطت به
 هذه المسألة خلافاً للعادة وقرأ ما كتب اليه في ذلك اعتقد أن السلطان قد تجرأ
 بإيجاز امبراطور ألمانيا الثمور على استعمال تلك السلطة الدينية في هذه المسألة فكتب
 الى دولته بذلك فهو قد كتب عن التعصب في مصر، ما يعتقد وتبعه وزير الخارجية
 في ذلك إذ لا مصدر له في المسائل المصرية سواء . فهل يفتأ الكثيرون يقولون
 ان اللورد قل ما لا يعتقد وكذلك الوزير؟ وهل تظن الجرائد بما أ كترت من
 الكتابة في التعصب انها قتلت في الدرورة والغازب، وأقامت الحججة على اللورد
 والوزير وسائر الاجانب،

الحجة الراهضة على تبرئة الاسلام نفسه من هذا التعصب المزعوم هي آي
 القرآن، الناطمة بتحريم العدوان، وبأن القتل الديني خاص بمن يقاتلوننا في
 الدين أي يقاتلوننا لأجل مناعتنا من الدعوة الى ديننا أو من إقامته واحياء شعائره .
 وهذه الآيات كثيرة جدا وقد تقدم تفسيراً أكثرها في المنار وحسب البصيف

منها قوله تعالى (٢:١٩٠) وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقوله عز وجل (٦٠:٨) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين *
 * انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

لوقفه الاوربيون هذه الآيات الثلاث لأدعن المنصفون منهم بأنه لو لم يفضل الاسلام جميع الملل الابهالكات كافية في تفضيله عليها ولو دوا لو أقام المسلمون هذه القرآن واهتدوا به الآيات الأولى تأذن للمسلمين قتال من يقاتلهم خاصة وتحريم عليهم أن يأتواهم المعتدين ومن فروع هذا التحريم ما جرى عليه المسلمون في حروبهم من عدم التعرض للرهبان واليهود والنساء في بلاد الحرب لأنهم ليسوا بمن يحارب وأما الذمي والمعاهد والمستأمن فيجب على المسلمين حمايتهم ممن يحاول الاعتداء عليهم فهل يجوز انتكس من يجب حمايته من عدوه؟ أما الآياتان الأخريان فقد نزلتا في التمييز بين المحاربين الثاني الدين الذين نهانا عن مواليتهم في أول السورة وفي سور أخرى وبين غيرهم. قال في أول هذه السورة (٦٠:١) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق، يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآيات وفيها بعد وصف هؤلاء الأعداء بأنهم أخرجوا الرسول والموءمنين من وطنهم (مكة) لأنهم يؤمنون بالله أنهم إن ظفروا بهم بعد هذا النبي والإخراج يكونوا لهم أعداء ويودوا لو يكفرون مثلهم و يبسطوا اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي إنهم لم يكفوا بعد الإخراج والنفي عن عداوتهم. بعد هذا قال سبحانه (٦١:٦) عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * ٧ لا ينهاكم الله (الي آخر الآيتين). فهو بعد إطاع المؤمن في تحويل المداوة بينهم وبين أولئك الأعداء الى مودة قال ان النهي عن اتخاذهم أولياء لا يعم كل مشرك منهم حتى الذين لم يقاتلوا المسلمين لأجل الدين ولم يخرجوهم من ديارهم فهو لاء وان كانوا كفارا لا ينهى عن برهم والاحسان اليهم وعن معاملتهم بالعدل وانما النهي خاص بالذين

قاتلوهم في الدين لتحويلهم عنه ومنعهم من الدعوة اليه واخرجوهم من ديارهم او
 ساعدوا المخرجين لهم على نفيهم وليس نهيا عن معاملتهم بالعدل بل هو نهى عن
 ولايتهم ومحاملتهم ومناصرتهم لان هذا ظلم بين المسلمين .
 هذا ملخص معنى الآيات فهل وجد في العالم نبي أو حكيم أو أديب أمر بمعاملة
 أعدائه وأعداء قومه بمثل هذه المعاملة التي جمعت بين العدل والرحمة على أكل وجهه؟
 ليس من اقبح الظلم واشنع الكذب والزور أو من أشد فضائح الجهل أن يقال
 في دين جاء بهذا الكمال الاعلى انه خطر على البشر لانه يأمر يا بادد المخالفين له وإن
 كانوا مسلمين لاهله ونافعين لهم كما يقول بعض الافرنجى؟ بلى ولكن أكثر الافرنج
 يحكمون على الاسلام بما يحكيه عنه افراد من غلاتهم في التعصب أو من بعض جهال
 المسلمين وغوغائهم أو الذين يتعملون السياسة ويجهلون الدين آله لها وهم به جاهلون
 اذا كان الاسلام نفسه بريئا من هذه التهمة التي يلصقها به الاوروبيون
 ويسمونها تعصبا فانى لا أرى كثيرا من عوام المسلمين الجاهلين من اعتقاد وجوب
 طاعة السلطان اذا أمر بقتل المخالفين في الدين وان كانت الامة الاسلامية قد
 أجمعت على انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ومن اكبر المعاصي الاعتداء على
 غير المقتدى . وما جاء هذا الاعتقاد من الدين بل جاء من السياسة ولا نعرف تاريخ
 حدوثه ولعله كان في أيام حرب الصليب وقد اشتهر ان السلطان سليمان استغنى شيخ
 الاسلام ابا السعود في ازام نصارى الروم لي بالاسلام أو ابادتهم لان بقاءهم منتهين
 بحريتهم في الدين والامة وجميع الشؤون الاجتماعية خطر على الدولة لانهم لتعصبهم
 لا بد أن ينتهزوا فرصة ضعف في الدولة أو تورط في حرب شاغلة فيخرجوا عليها فلم
 يفتت ابوالسعود بذلك ولعله لو وجد دليلا في الكتاب أو السنة أو أقول المجتهدين
 أو الفقهاء المرجحين يسمح له باسعاف سياسة السلطان في ذلك لاخذ به وأفتى
 وكانت القاضية

اذا صدق ظننا في كون حرب الصليب هي مبدأ هذه الفكرة فكرة وجوب طاعة
 السلطان اذا أمر بقتل المخالفين فهي غرس الاوربيين الذين اثاروا تلك الحرب
 بتعصبهم وهم الذين يسقون هذا الغرس وينموه بزعمهم انه من اصول الإسلام ثم

بدعوة بعض دولهم بعضا الى الاتحاد على المسلمين ومعاملتهم بالقسوة ليؤمن
شر تعصبهم هذا

لا أدري أي الرأي أفضل ، وأية السياستين شر ، أراي مسلم يظن ان اعتقاد
الاوربيين بأن السلطان العثماني قادر على تهيج المسلمين على النصارى متى شاء من
عوامل القوة التي ترهبهم فمن السياسة ان نمدم في اعتقادهم هذا وان كان خطأ
عسى ان يخفف ضغطهم عن تحت سلاطنتهم من المسلمين ويقل تحاملهم على الدولة
العثمانية ، ام رأى أوربي أو نصراني شرقي يتوهم المسلمين بالتعصب وانتهاز الفرص
للإيقاع بالمخالفين عامة أو بالنصارى خاصة ويظن ان هذا من السياسة امثلى التي
تعود على اصحابها بالفائدة الكبرى وتمكن لهم في الارض ، فيبلغوا ما أرادوا من
سيادة وكسب ، ألا يجوز ان أي كل من السياستين بتقبض ابرادها فيكون اتمام
المسلمين للاوربيين بأنهم مستمدون لثناك بهم عند انحركهم ارادة السلطان جاءها
لكلمة أوروبا على اتمسار اثمرة قبل اراطها . أو حدثت الشجرة قبل ان تستوي
على ساقها ، أو يكون اتمام الاوربيين للمسلمين بالتعصب هو الذي يجمع كلمة
المغربي منهم بالشرقي ، والمغربي بالعربي ، وراف منهم تعصبية تجعل الظن
يقينا ، والاماني منونا ، ولو بعد حين ؟

أليس مما يدعى له كل منصف محب لخير البشر أن اناة اتمن خبير من
يقاظها ، وأن ازالة الاحن خبير من اثارها ، فمن انظلم من علم هذا فأعرض عنه
واستبدل القربى بالنأليف ، واغرى القوي بالضعيف ، أو شغل الضعيف عن
قوته الذاتية ، ووجهه على معاداة حكومته الحقيقية ، أو انك المفرقون فر يقن - هذا
يقول لاور بان المسلمين متعصبون ، فيخذلهم بالعذاب لعلمهم برجوز ، وهذا يشغل
من تسوسهم أو تسودهم أوربا عن قوتهم الذاتية ، ويعلق أمانيتهم بالدولة العثمانية ،
ومحمد الله انه لم يوجد في جرائدنا من ينفر المسلمين من انصارى كلمة كما يوجد
في الجرائد الاخرجية والمنفرحة من ينفر النصارى من المسلمين كلمة بدعوى ان
المسلمين متعصبون عليهم ، اذ الوقت اواقعة ، وكانت خافضة رافعة

أما ميل المصيرين الى الدولة العثمانية في مسألة العقبة وفي غيرها من المسائل

فليس من العدل ان يجعل مجردة من التعصب الديني الذين يخشى منه على غير المسلمين
عادة وعلى الاوربيين خاصة لان الدولة دواتهم باعتراف انكثرا وساثر دول اوربا
على أنهم لا يرضون ترك استقلالهم لها ولا هي تطمع بذلك، ثم ان موضوع العتبة من
جزيرة العرب وكونه سيكون ابا الحرمين الشريفين بحله محطة لسكة الحديد والحجازية
واعتمادهم الديني في الحرمين معروف فذا كانوا لا يرضون بأن يكون الحرمان وما هو
حرم لهما من الجزيرة تحت سلطة أجنبية فهم معذورون لأن هذه الارض المقدسة
بمزية المساجد عندهم وأي متدين في العالم يرضى بأن تكون معا بده ومعه هذه المقدمة
تحت سلطة الخلف له في دينه ؟ اوليس الفائل بأن هذا من التعصب هو أشد

الناس غلوا في التعصب وأجدرهم بمثال « رميتي بدائها وانسلت » ؟

ان أكثر الدين يرمون المسلمين بالتعصب ينظنون بلسان السياسة والسياسة مبرورة
لا تعلم ، وامة لا نكاد نفهم ، فبني ككتيب الجفر لا يعلم ما تطبق او تنطبق عليه الا
بعد وقوعه واذا كانت السياسة تر بدعما لا يتوقف على رمي المسلمين بالتعصب فهي
ترميهم به تمهيدا لذلك العمل فلا كلام لنا مع اهلها في ذلك لاننا لسنا من أهل
الشورى في سياستهم ننتول هذا ضار بنا أو بكم وهذا نافع لنا أو لكم أو نحن
فيه سواء اذ ربما كانوا في هذه اهل يشكون من التعصب ظاهرا و ينفون في الباطن
ابجاده ان لم يكن موجودا وحينئذ ندع لامستقبل خطابهم فهو أقدر على اقناعهم
وان كانوا يقولون ذلك معتقدين له ومتهربين منه فاننا نقول لهم بلسان الصدق
كامة ربما كانت مزيدا في علمهم الواسع لا يستغنى عنه :

اننا لانكر اننا نحب ان يكون حكامنا منا فان هذا من خصائص البشر مهما
انخطوا ولا نراكم تميمونا وتعاقبوننا على كوننا من البشر ، ان تر يدون بسمية هذا
تعصبا الا اننا نرى بعض الدوائر بمن يحكمنا من غيرنا لشور عليه وهو لا مسلمور روسيا
حجة عليكم تشاهدونها الآن فهم لم يفلوا بحكومتهم المستبدة عند الفرصة ما فعل غيرهم
ولا تفسون ما فعل بعض نصابي البلقان من قبل وما يفعلون الآن في مكيدونية ، ان نحن
ان بشر مثلكم نحب مصلحتنا ونمار على حقيقة تنالنا اهل الملل تلوا باواسام عاقبة
ان كنتم تودون الوفاق والجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم فان ذلك ممكن لا يحول

دونه تعصب ديني ولا غيره ونحن مستعدون لبيان أقرب الطرق اليه ان شئتم .
وان كنتم تبغون الاثرة فينا والافتيات علينا ونهدون عدم الرضى بذلك سرا
وجهرا من التعصب فاعلموا اننا منهصون لان طبيعة البشر قد جبلت على النفرة
من المتسلط الذي يستأثر بالمصالح والمنافع فلا يسمح مختارا بشيء منها للمتسلط
عليهم الا اذا كان انتفاعه يتوقف على ذلك السماح وان كان متفقا معهم في الجنس
واللغة والدين والوطن فكيف اذا كان مخالفا لهم في كل شيء ؟ اذا الاعلاج
لهذه النفرة الا العدل والمساواة والتوفيق بين المصالح وبهذه المزايا ساد الاسلام
اكثر شعوب الارض في أقل من قرن واحد ونراكم لا ترضون بمساواتنا في بلادنا
التي نحكمها بآله بلادنا التي وقمت في حكمكم ثم تقولون ان ديننا جاء بالتعصب
على انه كان يساوي أحسن رجل من المخالفين بأعظم سيد في المسلمين كهلي بن أبي
طاب ، واننا متعصبون لاننا لا نرخص طر بألا امتيازكم علينا وترفعكم عن مساواتنا !!!

(ذلك شأن القوة تقول ما تشاء وتعمل ما تشاء ولا تخشى معارضا فيجازى
الله رؤساءنا الذين أدخلونا بظلمهم وجواهرهم واستبدادهم وأضعفوا حججنا كما أضعفوا
سلطاننا حتى صار بعض الأجانب أرحم لنا منهم فهو يدل علينا بعدله الاضافي
ولولا ذلك الاذلال لما كان هذا الاذلال)

وجملة القول - ان الاسلام اعدل الاديان وأرحمها بالمخالف فوصف الافرنج
ومقلديهم اياه بالتعصب المذموم ظلم منهم انعمت له سياسة ومنهم المتكلمون بالقسوس
والسياسيين فيه - وان المسلمين اذا كانوا الاسلاميون من التعصب فيهم أقل تعصبا لاسيما
في هذه البلاد من جميع أهل الملل العائشين معهم - وان الافرنج والتفرنجيين
هم الذين أيقظوا شعور التعصب فيهم بأقوالهم وأفعالهم ولذلك ترى المارة في
بلغة من لغات أوربا والمتعلمين في مدارسها أقرب الى التعصب من المتعلمين في
الأزهر - وان هذا التعصب لا يخشى منه على أحد من عمر المسلمين في مصر ولا
في غيرها الا اذا اتحد النصارى كلهم على محاربة المسلمين وازالة ملكهم - وان
السلطان نفسه لا يقدر على الامم بالفتير العام في غير هذه الحالة اذ لا يقوته شئ من
الاسلام ولا غيره من العناء بجواز اعتداء المسلم على من لم يعتد عليه لان هذا مخالف

لنص القرآن - وان وزير الانكليز قد غنى بالتعصب ماذا كنا تبعا للورد كرومر
 وها يعتقدان أنه قد تبيح في مصر ايام حادثة العقبة وأنه كان يخشى من الفتن
 لو اشتد النزاع وطال أمده فاحتياط انكلترا كان من العقل والسياسة - وانا
 نعتقد أنه لم يكن هناك خطر على الأوربيين - وان حادثة دنشواي لاعلاقة لها
 بتعصب الفلاحين ولا بمسألة العقبة وإنما كانت جراءتهم على الضباط احناء مجردا
 من كل ثمانية ماعدا خشونة القوم المعهودة في دفاعهم عن حقيقتهم ، وان انكلترا
 قست في عقوبتهم لكيلا يتجرأ غيرهم على مثل فعلهم - وانها خسرت بهذه القسوة
 معظم ما ربحته في السنين الطويلة من الميل اليها والانس بمحكمها الا انها خسارة تزول
 وقسوة تنسى اذا حسنت الحال بعدها - وان المصير بين أشد المسلمين تساهلا وأقربهم

للمخالف في الدين مودة

هذا وان المسلمين ثلاثة اصناف المشتغلون بعلم الدين كاهل الأزهر والمشتغلون بعلوم
 أوربا والعوام فأما الصنف الأول فيعتقدون أن الذمي والمعاهد وهو من بيننا وبين
 دولته عهد سلعي كأهل أوربا الآن والمستامن وهو من دخل من الحر بين بلادنا
 بذأمن منا - وان شئت قلت يعتقدون ان جميع المخالفين لنافي الدين غير المحاربين -
 يحرم الاعتداء عليهم وايدأؤهم بل يجب علينا حمايتهم ممن يريد الاعتداء عليهم
 ولو بمقاتلته والنفقة عليهم عند الاضطرار وتستحب النفقة عليهم اذا كانوا فقراء ،
 ومنتهى ما عندهم ولا يمار بما يؤخذ عليهم في هذا العصر هو عدم الائتلاف ولا تبساط
 مع المخالف لعدم العادة وأما العوام وهم الصنف الثالث فأنهم كما قلنا يتقدرون ان السلطان
 اذا أمر بالاعتداء على كل مخالف وجبت طاعته لاسيما اذا حمل راية الرسول صلى الله عليه
 وسلم وهم فيما عدا هذا الاعتقاد اقرب الى سلامة القلب وأبعد عن عداوة المخالف
 من عوام سائر الملل . وهذا الاعتقاد لا يخشى ضرره وجمله ماثرا للفتن الا في
 الحالة التي أشرنا اليها وهي قيام التنصاري كافة على المسلمين وان يكون ذلك فان
 كان قائم التعصب هو المعتدي والعوام يتجهزون علماء الدين فاذا حدث أمر يخشى
 معها اعتداء العوام على غيرهم فان علماء الدين يقدرون على دفع كل مخشي بالخطب
 في الجوامع وفي الجرائد مثل هذه البلاد فاذا كتب كبار علماء الأزهر في الصحف

المنشورة ان العدوان حرام امتنع العدوان وكان ذلك افعل من كثرة الشرط والجنود
وأما الصنف الثاني في الذكر أعني المتعلمين للعلوم الاوردية فأكثرهم لا يمتازون
عن العوام في علمهم وشهورهم بالدين ومنهم المارق منه والسكنهم أشد حرصا على
السلطة من غيرهم ولا شيء ينفخ فيهم روح التعصب لها مثل وقوفهم على مطامع
الاوربيين ، وسماهم لا قوالهم في المسلمين ، فهم يميلون الى التعصب بسياسة
لاتدينا ولكن روح ناهل الاسلام غاب عليهم حتى لا يعلم منه المارق منهم ،
وانني سمعت غير واحد من كبار رجال الحكومة وهمه سطيم يقولون : انهم يتهموننا
بالتعصب باليهة كان صحيحا ، فليعلم الاوربيون ان اهدنا عن التعصب اقربنا من
الدين ، وادنا من اجملنا بالدين واعرفنا بأهل اوربا في علومهم ومدنيهم لاسيما من
ذاق حفتها منا فمشارا التعصب اوربالا الاسلام نفسه واذا ظلت اوربا على انهما
والافنيات علينا في شؤنا فيوشك ان يجيء يوم يكون فيه الشك تمنا وهو ما
نسا ان المذ ان بقي البشر شره والافان في استطاعتها ان تجمع بين مصلحتها ومصلحتنا
ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشهرون ويهقلون ،
ويسرون ويألمون ، والله في خلقه شؤن ، وهو يعلم ما لا نعلم ولا يعلمون ،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ بجيت ﴾

(٧ - وصفه الفون نغراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الاول انه وصف الفون نغراف وصف من لم يره ولم يعرف
شيئا من علم مخبريه فجاء في رسالة (رفع الوهم والاشتباه) يرد على قوتنا بأنه وصفه
بالمقدار الذي يتماق به ما كان بصدده قل (كما في ص ٤٦) : وقد أخذنا وصفنا
عن أهل الخبرة به وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المقتطف
بالجزء التاسع من السنة الثانية : اه وكان نقل عبارة المقتطف في ص ٧ و ٨ و ٩ ويحي
بمطابقة وصفه لوصف المقتطف في النتيجة اتفقا على ان الفون نغراف آلة ناطقة !!

الأهل من قارئ فيفهم ، الأهل من متفكر فيعجب ، الأهل من عاقل منصف ، فيقته كنه هذا المصنف ، اننا انتقدنا عليه وصفه الفوتغراف وهو الآلة الناطقة وصف من لم يره . نعي ان الوصف غير مطابق للموصوف . فاذا كان الانتقاد خاصا بما وصف به هذه الآلة الناطقة لاني تسميتها آلة ناطقة فكيف برد عاينا بأن المنطق وصف وصفا آخر نتيجة انه آلة ناطقة ؟ أليس هذا اعترافا بأنه أخطأ في الوصف واننا أصبنا في الانتقاد عليه ؟ اذا وصف كاتبان الآلة الرافعة للانتقال فذكرنا أجزاءها وكيفية تركيبها وطريقة رفعها للانتقال فأخطأ أحدهما في الوصف وأصاب الآخر مع اتفاقهما على كون الموصوف آلة رافعة ؟ فهل يصح الرد على من يتقدم وصف الخطي بأنه أي الخطي ، موافق للمصيب في كون الموصوف آلة رافعة ؟ واذا كان قوله انه موافق للمصنف في كون الفوتغراف آلة ناطقة فقط اعترافا بأنه مخالف له في وصفها وانما يصيبون في انتقادنا فلماذا نقل عبارة المتكلم وهي حجة عليه ولا حاجة في اثبات كون الفوتغراف آلة ناطقة الى ايرادها إذ لا نزاع في ذلك ؟ ولماذا قال انه أخذ وصفه عن أهل الخبرة ؟ أليس هذا اعترافا على دعوى الأصايب في الوصف ؟ كيف يجمع بين ما يقتضي الاعتراف بالخفاء وما يقتضي انكاره ، وكيف يرد ما هو حجة عليه على انه حجته ، هل يسلم العاقل المنصف بأنه فهم ما كتب أم التأليف عنده وعند امثاله عبارة عن ايراد القول ، وقل وتقول وان لم يتصل ما يسمى دليلا بالمدلول ، سيعلم القارئ ، مما يأتي ما يدل مع ما نطقه هنا على انه كتب بغير فهم وان التأليف والمناظرة عنده عبارة عن مراجعة المسائل التي تراد من مقامها (أي من المواضع التي يظن انها توجد فيها من الكتب) وجمعها منها وكتابتها وربط بعضها ببعض بعبارات تدل على ان هذه القول موافقة لما يدعي وان كانت في نفسها مخالفة له وحجة عليه

انما كان انتقادنا عليه بما أخطأ في وصف الفوتغراف وفي قوله ان السائل الذي سأله مقم في الاناضول في الروءالي الشرقي بولاية سلاتيك لتنبه على ان العالم الديني يحتاج في هذا العصر الى الوقوف على العلوم والفنون المتداولة فيه ولو بطريق الأجمال الذي يعد صاحبه لمعرفة التفصيل عند الحاجة اليه فان المسائل

الشرعية تتلاق بأعمال الناس وصنائعهم وبمعارفهم ومواقع بلادهم فإذا كان الفقيه
يجمل ذلك نعتراً أو تعسراً عليه فهم كثير من المسائل التي يحتاجون إلى مهرة حكم
الشرع فيها وقد يتكلم أو يكتب في مسألة من هذه المسائل على جهل بموضوع
السؤال فيعرض نفسه بل وهنته للاحتقار والأزدراء . ولم نبين هذا الفرض
اعتماداً على اكتفاء اللبيب بالإشارة ولكنه لغروره بشهرته لم ينتبه للمراد وقام يوهنا
بقلة الأدب معه كما علم القارىء من الجزء الماضي

الا اننا لم نقصد تنبيهه وحده لما ذكر وانما افترضنا خطأ أحد المشهورين من
علماء الأزهر بمعارضة الإصلاح ودم العلوم التي يسمونها العصرية لتنبيه جميع من على
شاكلته إلى الحاجة إليها وكون الجاهل بها عرضة للأزدراء . واننا والله لم نكتب
تلك العبارة الوجيزة إلا بعد ان سمعنا الناس في بعض سيارهم يضحكون من تينك
المسألين ويقولون في مؤلف الرسالتين مالا ينبغي أن يكتب

رأينا بعد تردد أنه لا حاجة إلى ذكر عبارته في وصف الفونوغراف وعبارة
المقنطف التي قال أنها موافقة لها في النتيجة وبيان الفرق بينهما لان هذا لا يفيد
قراء المنار فدعه يعتقد أن الفونوغراف صندوق وأنه له مخارج كمخارج الحروف
وشيء يشبه حنجرة الانسان وان الفرض من ادارة الزنبك ادخال الهواء في الصندوق
لأجل ان يقرع ما يشبه الحنجرة ويكون الصوت وان ذلك الصندوق في مجموع
اسطواناته يشبه الانسان في استعداده لان يصدر منه ويسمع منه كلام . وان
الفرق بينه وبين الانسان من وجهين أحدهما أن مخارج الانسان مستعدة وقابلة
بعد التكلم وقبله كل كلام . . . ومخارج كل اسطوانة من اسطوانات الصندوق
مستعدة وقابلة لان يتورد عليها خصوص الكلمات التي تكلم بها . وثانيها
ان الانسان يتكلم بقصد وشعور والصندوق ليس كذلك . . . دعه في اعتقاده هذا
فانه لا بدع في خطئه اذا أخطأ في وصفه ولا غرابة في اصابته في بعضه بعد ما سمع
من أهل الخبرة ما سمع وانما العبرة في استباحته الكلام فيما لا يعلم واصراره على
الخطأ بعد العلم به ومحاولته ايهام الناس أنه أصاب . وهذه العبرة تكون أكمل في
المسائل التي من شأن مثلها ان يكون عارفاً بها وهي ما يأتي بعد المسألة الجغرافية

﴿المسألة الجغرافية﴾

قال الشيخ بخيت في أول رسالة السكورتاه : قد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالرومالي الشرقي بولاية سلا نيك العثمانية يتضمن : كذا الخ فانتم قدنا عليه ذلك وبيننا له ان الاناطول ولايات في آسيا وان الرومالي الشرقي غلب على ولاية من ولايات الدولة في أوروبا دخلت في امارة البلغار وان سلا نيك ولاية عاصمة من مكدونية لا تزال في حكم الدولة ، ونحن لو انه أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على رسالة قبيل طبعها لهم يصلحون له هذا الخطأ الذي يعد من الفضائح في هذا العصر وان لم نصرح بذلك في الانتقاد الاول بل نهبنا المؤلف الى حاجة علماء الدين لاسيما الذين يدعون الاجتهاد الى علم تقويم البلدان كما سيأتي . اعترف بالخطأ في هذه المسألة ولكنه تبرأ منه وألصقه بالمطبعة المسكينة فقل مانصه وفيه عبرتان احدهما في المباررة والثانية في البراعة :

« ان ماجاء في الرسالة الثانية في بيان محل اقامة السائل على وجهه ما ذكر خطأ لا يخفى على من يعلم الجغرافيا ومن لا يعلمها ولكنه خطأ مطبعي وقد جرى فيه الطبع بالطبع ماجاء في خطاب السائل حيث قال فيه ما افقظه (محل الحادثة بلدة دراما بولاية سلا نيك في رومالي الشرقي) اه ثم ذكر ان مثل هذا الخطأ يقع كثيرا أقول (اولا) قوله ان هذا الخطأ لا يخفى على من لا يعرف الجغرافيا غير صحيح والذي جراه على كتابته وهو بديهي البطلان ارادته ايها القاريء ان مثل هذه المسألة لا تخفى عليه والايها ما دأبه وعادته وقد روي عنه انه أخطأ فيها هو أشد من هذه المسألة ظهورا - ذلك انه كان ينظر في قضية بالمحكمة الشرعية قبيل عزله بزمن وكان أحد الخصم فيها رجل من خانية فسأله الشيخ بخيت عن بلده فقال خانته فسأله أين خانية قال في كريت سأله أأنت من أهل كريت نفسها أجاب بلى فاشتبه على الشيخ بخيت كونه من أهل خانته ومن أهل كريت مما وسأله في ذلك فأجابه ان كريت جزيرة وان عاصمتها مدينة تسمى خانية وهو منها قال الشيخ بخيت كلا ان عاصمة كريت هي مدينة كريت فقال الرجل انه ليس في جزيرة كريت بلدة تسمى كريت فلم يصدقه الشيخ بخيت وصدقته حسن بك صبري وكان

معاميا في القضية فلم يقبل الشيخ بنخيت قوله وعده غير معقول وكأنه استنبط هذه المسألة بقياس مصر على كربت إذ يطلق اسم مصر على القطر كله وعلى عاصمته . ولم يزل يجادل في ذلك حتى قال له أحد أعضاء المحكمة : ان حسن بك صبري يعد عالما اختصاصيا بمسلم تقويم البلدان حتى ان المحكمة اذا ارادت تعيين خبير في مسألة تعلق بالبلاد ومواقفها يمكنها ان تعتمد عليه فلم لا تصدقه: فقال الشيخ بنخيت وأي شيء علم تقويم البلدان او الجغرافيا هذا علم الشحاذين !!

أورد القصة بالمعنى كما بلغت ولم يفهم الحضور من مراده بقوله هذا علم الشحاذين لأنهم يعلمون ان أوسع الناس علما بهذا العلم رجال السياسة من الملوك والوزراء وقواد الجيوش على انه لا يعلم الا في المدارس التي لا يدخل فيها الشحاذين وامله يريد أن الفقراء السائحين المعروفين بالدررايش يعرفون ما يعرف أهل هذا العلم وبهذا يعد العلم منبذلا لاغضاضة على الجاهل به كأنه يظن أن هذا العلم عبارة عن معرفة أسماء البلاد فقط وفاته أن أكثر علماء الأزهر يجهلون جغرافية بلادهم نفسها الامن تملها في هذه السنين

— (ثانيا) قوله «وقد جرى فيه الطبع بالطبع» الخ من اللغو الذي لا يقبله طبع ولا عقل وما أوقعه فيه الا ابتغاء البلاغة بالجناس وتأمل قوله قبله «على وجه ما ذكر» فانه ليس له وجه وجيه

— (ثالثا) لا يعقل ان تكون العبارة في الاصل الذي أرسل الى المطبعة هكذا «المقيمين ببلدة دراما بولاية سلانيك في رومالي الشرقي» فيجعلها طبع أهل الطبع خطأ منهم «المقيمين بالاناضول بالروالي الشرقي بولاية سلانيك العمانية» فن مثل هذا الابدال واقاب ليس من طبع أهل هذه الصناعات على ان الرسالة ما طبعت الا بعد عرضها على المؤلف وتصحيحها !!!

ثم قال الشيخ بنخيت بعد ما تقدم «ويبان محل اقامة السائل لا يتوقف عليه شيء مما نحن بصدده فيستوي ذكره وعده ولذلك لم نهتم له حين ما تنبهنا اليه بعد الطبع» نقول نعم ان بيان حكم المسألة لا يتوقف على معرفة مكان من يسأل عنها ونحن لم نقل انه أخطأ في الجواب تبعا للخطأ في معرفة المكان كيف وقد شاب

على ظننا أنه لا سؤال ولا مسائل إذ لا يمكن أن يوجد مسائل مقبها في أمكنة مختلفة
فما هذه المراوغات والمغالطات

ثم قال « واما دعواه اننا ممن يذم علم الجغرافيا وينفر عنها فهي دعوى باطلة
عاطلة » الى ان قال اننا من شدة حسدنا له نخترع عليه الاباطيل . ونقول هل
ينكر الشيخ بخيت انه هو الكاتب لما نشره المؤيد في أواخر سنة ١٣١٧ بمضام
(ثابت بن منصور) في ذم الجغرافية والتاريخ والحساب العملي وزعم أنها علوم تضعف
العقل ؟ ان كان ينكر ذلك بعد اعترافه به لغير واحد من أهل الأزهر وعلمه بأن
صاحب المؤيد لم ينسه فحسبنا ما يسمعه هؤلاء من انكاره ، أم يقول ان هذه العلوم
من الكمالات البشرية لغير أهل الأزهر ومن القائض لهم لانها تضعف عقولهم
عن ادراك علوم الشرع ، أم كان ما كتبه مقاومة للاصلاح في الأزهر في ذلك الوقت
لامرما ولهذا الوقت الذي لا يطالب فيه بالاصلاح هناك مطالب قول آخر ؟
أما ما أكثر القول فيه من اننا نحسد ، فنجوا بنا عنه اننا نراه أجدر بان يرحم
منه بأن يحسد واننا ندعو الله ان لا يبتلينا بمثل علمه ونألفه وأن يعافيه هو من
الابلاء بمثل ذلك في مستقبل حياته

ثم قال « وأغرب من دعواه ما ذكر دعواه ان الاجتهاد اليوم لا يتم الا
بالجغرافيا على الاطلاق حتى فيما نحن بصدده وأمثاله مما لا يختص بكون المسائل
في مكان دون مكان ولكن الحسد يعمي ويصم والعياذ بالله تعالى » اه وأقول
ان من له ذوق يدرك به صراحي أساليب الكلام لا يفهم من قولنا ان الجغرافيا
« انتفعت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها » ما فهمه من ان
العبرة من باب الحقيقة وان الاجتهاد فيها يشمل الاجتهاد الجزئي ولو فيها لأعلاقة
له بالبلاد والمواقع ، وإنما يفهم صاحب الذوق أنها من باب العناية أو التعريف
على ان الاجتهاد المطلق الذي يكون صاحبه اماما قادرا على استنباط الاحكام
في كل موضوع يكون من تمامه الوقوف على هذا العلم لأسباب في هذا الزمان الذي
صارت مسائل الحدود فيه بين المالك من أهم المسائل وأحوجها الى التدقيق
ويترتب عنها كثير من المسائل الفقهية في زمن الحرب والسلام . وقد بينا مسائل

أخرى تتوقف معرفة حكم الشرع فيها على علم تقويم البلدان فيما كتبناه في المؤيد والمنار من الرد على ما كتبه الشيخ بخيت وغيره من علماء الأزهر في أواخر سنة ١٣١٧ (راجع ص ٧٩ م ٣ من المنار) ونكتفي بهذه الكلمات في هذه المسألة ولينتظر الرد على استنباطه جواز كون إمام المسلمين كافراً من الحديث المنكر وعلى ما قاله في تصحيحه فهو الذي يظهر غاية شوط الرجل في العلوم الدينية فيعلم هل هي مما يحسد عليها أو يستعاد منها وبالله التوفيق

﴿ رأي في اللغة العربية ﴾

قرأنا في الجزء السابع من المقتطف مقال (انتقاد فداة مصر) لجبر أفندي ضومط استاذ اللغة العربية والبلاغة في مدرسة الامر يكانا الكلية ببيروت وهؤلّف الكتب المفيدة في النحو والبلاغة فرأينا ان نقل منه رأيه في الانتقاد اللغوي ونبين رأينا فيه . قال

﴿ تأييد الانتقاد اللغوي ﴾

« وكثيرون من متقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبكمات المضحكات ولا أحاشي حلة من اكابر علمائنا وكتابتنا مما . والغريب ان بعضهم ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الا ما نص عليه في كتب امهات اللغة فان لم ينص الصحاح او الفيروزبادي أو لسان العرب على احتار مثلا يؤخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من اكابر الشعراء وافقهاء . وكاد العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة بهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانه على سعة علمه لم يرقه استعمال بعضهم « احتار » مع معرفة ان قد استعمالها قبله الامام ابن الفارض المشهور وبعض غيره من اكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمى برد المختار على الدر المختار . وكنت أعجب من تضيق هاته الفئة كل هذا التضيق وما الذي يعتمدونه في الاخذ بهذه الحطة التي أخذت بمخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة

من أشهر لغات العالم بأعتمادها على القياس ومناسبة أوضاعها له حتى في الحركات
والسكيات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبه العلامة الفيلسوف الامام الغزالي
في الرد على المشبهة والحشوية في كتابه إجماع العوام فترجح لي ان كلام الامام
هناك استهوى القوم فقاموا عليه اكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فأدى
قياسهم هذا لسوء الطامع الى ما كاد يبطل القياس في ألفاظ اللغة حيث تمس الحاجة
الى القياس وحيث لا مانع يمنع منه عقلا او تقلا وبيان ذلك

« انه ورد في السنة ألفاظ في حق الباري سبحانه وتعالى توهم الجسمية كاليد
والعين والامتواء والنزول وغير ذلك مما أخذها الحشوية دليلا على التجسيم
وامتغروا بها العامة وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدى الامام
لارد عليهم واليك بعض كلامه قال : وحقبة مذهب السلف ان كل من بلغه حديث
من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور (١) التقويس
(٢) التصديق (٣) الاعتراف بالعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكف
(٧) التسليم ثم فسر الامساك بما نصه بالحرف الواحد قال : وأما الامساك فان
لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتعريف والتبديل بلفظة أخرى والزيادة فيه والنقصان
منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد
والاعراب والتعريف والصيغة

ثم أفاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابه وحري بكل عالم
من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين
ان يقف عليه فانه مما تتناول اليه الاعناق وتطمح الى مثله الابصار في كل
زمان ومكان . ولا يبعد عندي ان علو طبقة كلام الامام الغزالي في هذا المقام
الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى أهل هذه الفئة التي أشرنا اليها ففهموا
الامساك في كل ألفاظ اللغة مع ان الامام خصه ببعض ألفاظ منها وردت في القرآن
وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم و بذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين
استعمال القياس حيث لا محذور من استعماله فابطلوا القياس بالقياس فبالفرابة

والغريب ان بعضا من أهل هذه الفئة يتساهلون في القياس الا أنهم يتأبون كل لفظ قاسته العادة أو استعماله على سبيل الكناية أو المجاز مع ان مسوع القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخف على هؤلاء . وربما استعملوا بدلا من ذلك اللفظ لفظاً آخر هو في الأصل قياس أو مجاز من ذلك خابره في مسألة كذا أو تخابروا قائلهم لا يسوئون استعمال هذه اللفظة و يعدلون عنها الى نأبأ في مسألة كذا وتنبأ أو مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من النبأ والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الا ان الخبر أعرف وأعم وأشهر . وكذلك يابون استعمال تكاثفوا على كذا من الكثف ولا يرون أنها كمتظاهروا من الظاهر على حين ان وضع الكثف للكثف في التعاون أقرب للفهم لأنه أكثر مشاهدة من وضع الظاهر للظهور . وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الا لأن العامة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعماله أو وضعه له . وبعضهم يشدد التكبير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعمله للعامة مع أنها (كهاقلة الرجل) من عال عياله كفاهم معاشهم ومأثمهم أو من عال الشيء فلانا أهمه وهفاها بالقياس على عاقلة الرجل أهم الجماعة الذين يعولهم أو الذين يهونونه ولا أوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والخارق . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جر اليه ما استهوى اقوم من اقواعد الموضوعة لتزبه الباري تعالى عن الجسمية على ما ألما اليه . فيالله متى نمدل عن هذا النخرج الذي يقضي العتل والنقل بتركه

« ولا يسعني المتام الآن ان أخوض في هذا البحث الى نهايته وربما عدت اليه في آخر اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالا بين صفحاته وانرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٣١ آخر الوجه - ولكن الرجل الفني المطبوع فيه يتأنشه الناس من كل جهة - فان كان مبدأ الفئة التي أشرنا اليها صحيحاً كانت لفظة - يتأنشه فيها شيء من العامة وعندني ان هذه العامة هي في منتهى الفصاحة وبأيت الكتاب جاء في روايته بمئات من أمثال هذه اللفظة

فإنها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتغير حتى عن العامة هـ
 (لنار) إن علماء العربية قد بينوا ما هو قياسي في اللغة كالثنائية والجمع الصحيح وما
 هو غير قياسي وهو ما يهترون عنه بالسماحي ووضعوا لذلك القواعد والضوابط ومنها أن
 أبنية الأفعال سماعية لا يصح أن تأتي من كل مادة بكل بناء وإن سمع مثله من مادة
 أخرى فإذاعه أنهم استعملوا من مادة الحيرة حار وحير وتحير واستحار فقط كتفيناها
 ولم يزد عليها أحرا حارة وحار محارة واحترار اختيارا وتحار تحاير وحرير حيرة وتحير
 تحيررا الخ وعلى هذا درج العلماء والكتاب ومضت سنتهم في انتقاد من خالف هذه
 القواعد فجاء بشيء غير مسموع وهو مما لا يصح فيه القياس وإذعان المخالف
 لاعتقاده أن يكون في المسألة خلاف في كونه مقيدة أو غير مقيدة فيذهب
 كل إلى مذهب حتى قام في هذا الزمان أناس يرون أنه يجب أن يتصرف كل
 كاتب في اللغة كما يشاء ويختار فيدخل فيها من العامي والمخترع والمخيل ما يستحسنه
 بلا قيد ولا شرط إلا مراعاة أفهام القارئين . ولو جرى الناس على هذا الرأي
 في جميع الاقطار العربية لأصبحنا بعد زمن غير طويل والمصري لا يفهم كتاب
 العراقي ، والحجازي لا يفهم كتاب المراكشي ، بل لصارت اللغة غير العربية
 المدونة في الكتب ولاحتجنا إلى معجمات جديدة وإلى نحو وصرف وبيان أيضاً
 لكل قطر

رأيت المنتصرين لهذا الرأي ثلاثة أصناف - الأول قوم قليلوا البضاعة
 في هذه اللغة وفنونها وقد نصبوا أنفسهم للكتابة والتأليف وهم صكهمون (ولو
 نشاء لأرىنا كم فاهم فاهم بسلامهم . واتمرفهم في لحن القول) والثاني أناس يودون
 افساد العربية وهم قليلون والثالث أفراد متساهلون في أمر اللفظ لتعظيم شأن
 المعاني وهم على سمة في العلم وقوة في الفهم وجبر أفندي ضومط من هذا الصنف
 ولذلك يوجد في كتابته من الاغلاط اللفظية ما لا تجد مثله في كلام من لا يدانيه
 في فنون العربية ،

يرجد في مقابلة أصحاب هذا الرأي قوم جامدون على النقل كما قال جبر
 أفندي حتى ضيقوا أبواب المجاز والنقل والقياس ولكنني لأظن أنه يوجد في المشتغين

بالعربية من يتولى في اللغة كلها بمثل ما قال الامام الفزالي في صفات الباري سبحانه وتعالى مثل ذلك ان ماجاء من هذه الكلمات المتشابهات مفردا مثلا يمتنع ثنيتيه وجمعه كلفظ عين فتدورد «واتصنع على عيني» ولكن لا يجوز ان يقال ان الله تعالى عيني الا اذا ثبت ذلك بنص من الشارع فهل يعرف المتقدم احداهم يصفهم بالجمود يقول لا يجوز ثنية شي من الفاظ العربية ولا جمعه الا ينقل عن العرب؟ اني اجزم جزما بأن رأي الفزالي وغيره في هذه المسألة لا دخل له في هذه المسألة قط

وهناك قوم آخرون وسط بين هؤلاء وأولئك يقولون ان باب القياس في أصل العربية أوسع منه في عرف واضعي القنون لاسيما البصر بين منهم وأنه ينبغي لنا ان نسال في اللغة مسلك أهلها في الاشتقاق من الجوامد والتمرير والتجوز وغير ذلك ولكن يجب ان لا نجد فيها الا ما يحتاج اليه ولا نجد في كتبها والا كانت الزيادة تكثرا يشغل علينا احتمالها بغير فائدة أو من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا يرضى به عاقل فكلمة احتار مثلا لا حاجة اليها لأنه ورد بمعناها حار وتحير وكاتب هذه السطور يرى هذا الرأي ولكنه لا يطاق العنان فيه للأفراد بما يترتب على ذلك من الفساد الذي أشرنا اليه في فاتحة الكلام بل يحتم أن يكون برأي جمعية من العلماء يبحثون في ذلك ويجهلون له نظاما وينشرون ما يرونه صوابا في الصحف ليهم الاستعمال، ويؤمن الاختلال، ولا يجوز الخروج عن شيء من النظام الحاضر في مملكة اللغة الا بعد اجتماع أهل العلم والرأي ووضعهم لها نظاما جديدا بعد المشاورة والمذاكرة خلا ما يضطر اليه الكاتب أحيانا من الحاجة الى كلمة وقلم يقع ذلك مني عن عمد ومن هذا القليل استعمال لفظ (تطور) بمعنى الانتقال من طور الى طور وقد فسرتها في عنوان المقالة (تطور الامم وانتقالها من حال الى حال)

ومن الغريب ان جبر أفندي أقام النكير أيضا على من ينتقدون الخطأ النحوي في الكلام ورماهم بأشنع الجهل فبالغ في ذمهم بأشد من مبالغة بعضهم في تبجيده بذلك . وسند كرفي الجزء الآتي شيئا مما يخالف فيه القياس لتساوله

﴿ حال المسلمين في تونس والاصلاح ﴾

لعالم مدرس بجامع الزيتونه

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 أحبيك أيها المصلح المخلص النصح النور منشى ، مجلة المنار الفراء الاستاذ
 السيد محمد رشيد رضا دام عزه ، ورواً من الحفظ حرزه ، نحية تعرب عما في الضمير
 من الشوق الى مدتك العاليا ، وحضرتك الشما ، ومقامك الاسنى ، ممن قدرك
 حق قدرك ، وادرك فيما توأمه من الاصلاح حقيقة امرك ، فاهتدى بمنارك الى
 سواء السبيل ، رغما عما يلاقيه أولئك المهتدون من قوم لم يستضيئوا بنور العلم
 ولم يلجوا الى ركن وثيق الا من رحم ربي من أساتذة خدموا الامة والدين
 وتحملوا في الدعاية الى ذلك ما يلاقيه المصلحون ، من هيج رعاع مع كل ربح
 يميلون ، ضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولكن - والمنة لله -
 لم يشبط ذلك عزائمهم فإوهنوا مسا أصابهم من النكبات ، ولا وقفوا لما اعترض
 سعيهم من العقبات ، ممن حسبهم المحافظة على صور العبادات ، والتشبث بأهداب
 العادات ، والتمسك بما قاله الاقدمون ولو قبيحا ، وتزييف ما قاله المتأخرون
 ولو صحيحا ، يزعمون ان ذلك هو الدين ، وتجاوز حده اتباع لغير سبيل المؤمنين
 ولولا ان من الله على الامة التونسية برعيها الفاضل العالم المصلح الاستاذ . . .
 لم تبرح في أدوية الضلال بهم حتى تخرجت من جامنا (الزيتونة) نشأة هذب
 الاستاذ ابقاه الله اخلاقها وأطلق أفكارها من قيود التقليد فأصبحت مجرورة
 الارسان تركض في ميادين الحرية واني لقصير في أداء ما يجب من شكره على
 ما أسداه الى امتنا عموما والى الحقير خصوصا من نعم تضيق المهارق عن
 استقصائها ، ويكل اليراع اذا كف باحصائها ، وحسي ما أثقل به عاتقي منمنة
 التعريف بذلك الاستاذ الامام قدس الله روحه فلت والحمد لله من قوم زعموا
 ان ذلك الفاضل قد ضل ضلالا مبينا . . بل أقول « والنجم اذا هوى ، ما ضل صاحبكم
 وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » ولكن من لم يكن بمرتبتك من العذل ، لم

بذوق مذاقك من الفضل ، ولعمرك الله ان من سرح بصره فيما نشرته مجلتك الفراء في ترجمة هذا الفقيه علم مصيبة رزته على الدين وما هو باول هدى لمنارك الذي يهدي الله لنوره من يشاء . . . لا برح منارك يبعث من أشمته ما يهتدي به الساري فيدأب القالي أن يطفيء منها ما يفيظه من مساعيك المشكورة ، وبأن الله الا أن يتم نوره ، اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة لما فيها من الفائدة التاريخية في رأي المسلمين بتونس وحالمهم بالنسبة الى دعوة الإصلاح وامامها المرحوم وحرية الفكر ورغبة في الصلة العلمية الاصلاحية بيننا وبين ناشيء جديد في العلم يرجى خيره ونشكر لهذا النبه الفاضل حسن ظنه بنا . ومن المعجب انه قد عهد الينا بأن نكتب اسمه دون اسم استاذ المصلح الذي أرشده الى الحقيقة ، وأقامه على الطريقة ، ولا ندرى أنسي ام هو يعلم ان استاذه قوي العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا يروعه جبل الجاهلين ، ولا يبالي عند العاذلين ، ولكنتنا رجحنا الاول احتياطا ونسأل الله التوفيق والنصر لهذا الحزب المصلح في تونس بمنه وكرمه

حاله المسلمين في حضرة موت والإصلاح

رسالة أرسلها الاديب صاحب الامضاء من حضرة موت الى السيد حسن بن شهاب في سمنافوره (بعد اطلاعه على رسالة له أرسلها الى حضرة موت يدعوها الى الخير) فرأينا ان نشرها لما فيها من الدلالة على حالة البلاد العلمية والادبية وهي :

كتابي الى حضرة الماجد الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب أسعد الله أيامه ، ورفع على هام السماء اقدمه ، والروح الى وسيم طلعت شيقه ، والعبرة لما منيت به من البين متفرقة ، والقلب مطبوع على الودله وانقة ، وقصد اكنظ بالاشتياق ، وقام فيه نبت الحب على ساق ، ولم ازل اكاومه وانا منه في عناء حتى احتج على بقول أبي الطيب * وأندشكوى عاشق ما اتلنا * وبقول الآخر * فصرح بمن نهوى ودعني من الكفى * فحينئذ فضضت ختمه ، ورفضت كفه ، وبعثت هذه البطاقة منهية اكم مالدي من الشوق المبرح ، والبين المطوح ، فإني اذا تصورت مجالسكم

الفائقة ، ونحيت مناداةكم الراقية ، استخفي الطرب ، وهزني ارجحة الادب ،
ولولا ان جناحي كبير ، لأوشكت ان أطير ، لا قضي حق قرابته التي لا تجحد ،
ولله در حبيب بن أوس حيث أنشد

ان يفرق نسب يرف بيننا أدب أقتناه مقام الوالد

وأيده الآخر بقوله

وقرابة الادبا . يقصر دونها عند الكريم قرابة الارحام

ومما يزيدني كفا ، ويحشو حشاي شغفا ، عدم أنيس أتسلى به ، وانزهه بلعه
وأديه ، لأجد الا من يسخن العين منظره ، ويكلم القلب مخبره ، ويتعب الروح
مقامه ، ويدك السع كلامه ، أما هو لاء حولي بكل مكان منهم خلف تخلي
اذا جئت في استفهامها عن ، وعلى كل حال فالحر حيا كان مصاب بيليه ، كالمصحف
في حانة خمار أو بيت بفيه ، ثم اني رأيت منكم كتابا لبعض مكاتبيكم أنتم فيه
على الايام ، وشكوتهم مقامكم هناك وعسى ان يكون من قبيل قول أبي تمام ،
واذا تأملت البلاد رأيتها تشقى كاتشقى الرجال وتسعد
وقد وقفت على رسالتك التي رقتها ، وبوشي البديع نعمتها ، فوجدتها بارعة

المبني ، رائحة المهني ،

اذا سمع الناس أفاظها خانن لها في القلوب الحسد

غاية غنية عن الاطراء والمدح ، معرضة عما يرميها به الناقصون من القدر ،

ولا بد للحسناء من ذام ، وانما ينشأ ذم المسك من الزكام

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من القهس السقيم

ولقد نثت الكفاية ، ونفضت الجعبة ، ولكن شكوت الى غير ما جدت ،

وجلبت بضاعة كاسدة ، وجلوت الحسناء لعين ، وقد ذم الله قوما « قالوا سوا علينا

أوعظت أم لم تكن من الواعظين » فما بالك بقوم زادتهم العظة نفورا ، ومنتهم

أنفسهم غرورا ، فلو دعوتهم ليلا ونهارا ، لم يندم دعاؤك الا فرارا ، نعم لو غيرك

قالها من الذين نصبوا باظهار التنسك فخاخ الكيد ، وتعارجوا لشنشنة عن فوها

عن أبي زيد ، لعثرت ظاهرا بطائل من القول ، ولكن ما شأن أولئك الا الإحالة

على الاماني الخائبة، والخزقة بالقصص والباطل الكاذبة، وقد استندم بأرضنا
بغائهم، وأكثر لأفرائهم تراهم، فالله للناس من خداعهم ومكرهم، فقد ضاقت
الحزام عن الطيبين .

أما ما طلبته من نشر الدعوة المطابق لحقيقة حكم الشرع فدونه خرط القناد،
كيف وقد أدرجوه في طائف الأعراس، وبرقوا عجايب بنقاب المداهنة، وجعلوه
قوية لاستجلاب الأيضي والأحمر، هيئات هيئات أذاك أعز من منح البعوض
فلا تبع ميراثك بندا الجاد، ولا تضع نعتك في رماذ، فأنما شمت خليا،
ورأيت مرابا، واستعطرت جهاما، فأرجع البصر، لا تفرثك الشيات والصور،
انما كل من نوى بر، ودرثك فالتمس لصحتك أنما غيرهم، اما هم فما أمهروا
نعتك الا بالأعراس، ولا قرصوها الا بالاساني المقراض، وبالجملة فالعروف بينهم
زمن، وجدير بان ينظر له بيت اخي خرافة وقتن وقد اخلاق انت يدفن في
الرمس، وينهار في الطمس، ويصير كأن لم يكن بالأمس، غيراني لا اقلظ من
رحمة الله ولا آياس، وأرجى من الدهر ان ينهم ويتفنن،

فلتتجم من بعد الرجوع واستقامة والبدن عن جد الضيب طلوع

ومنذ أيام أنشأت رساله في تزييف ماشاع عندنا من تنظيم يوم عاشوراء
واظهار السرور فيه، وقراءة أحاديث وحكايات في فضله لا يقبلها الا سفيه، وهي
وامانكم في ملي هذا . فاطروعا بهين الرضا الكلية، ووجدت من خطأ
فاجعلوا الصواب بديله، واطروعا على السيد الجليل، الشهم الشامي، محمد بن علي
وان رأي حذوف شيء منها أو زيادة فلنكم الرأي الأعلى والمأمول منكم طبعها
ليحصل الانزجار بها أو لا، انما نلت منذ الحكم منشر مجلة الدار الشرفا في مجلته
وقد ارتضاها من رأيها وما لسانه حجة الا قوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا
على آثارهم منذون) تلك كلمة هو قائلها، سبحانه بأنه ينفي الامل المشاهداها،
ودمتم والسلام

عبد الرحمن بن عبيد الله

بن حسن الشافعي

﴿رسائل سنغافورة﴾

وردت لنا عدة رسائل من سنغافورة تدل على ان بين العرب الكرام القيمين هناك تنازعا وتخاصما وتباغضا وتحاسدا انألم له النفس ويضيق منه الصدر فان أولئك الكرام أجدر الناس بالوفاق والوثام ، كما يليق بهدي دينهم وطيب عنصرهم

﴿رسالة احدى أعضاء الجمعية الخيرية﴾

فمن هذه الرسائل ما كتبه الينا أحد أعضاء الجمعية الخيرية هناك وكتب بمثله الى المؤيد فشره المؤيد غير مستحسن لهذا الخلاف واعظا أهله وعظا اجماليا فما لمن تدبره فرمى عن قوس عقيدتنا في ذلك ينكر الكاتب على السيد حسن بن شهاب ما كتبه في المرئيد فوق به سهام اللوم على مسلمي سنغافورة وعربها الكرام لتقصيرهم في تعليم اولادهم وغير ذلك مما يرقىهم ويرد عليهم وعلى كاتب آخر كتب مثل ما كتب بامضاء (حزبن) بقوله «ان مسلمي سنغافورة عموما وعربها خصوصا امشهر واشتهار الشمس في الرابعة بالمحافظة على الشرف والدين والسيرة على نهج الآداب وتعليم اولادهم لا كما زعم ذوو الاغراض في تينك المقالتين» ثم أبد كلامه بأن الجمعية الخيرية لم تنزل منذ تأسيسها (٦ شعبان سنة ١٣١٤) «توالي جلساتها باهتمام فائق فيما يعود نفعه ويجب اقيامه في مصالح المسلمين» وذكر من ذلك انها كانت عازمت على انشاء مدرسة لتعليم كلام الله وعلم الكتاب والحساب ولكن السيد محمد السقاف قام بذلك (جزاه الله خيرا) - وانها تحتفل باستقبال الوافدين الى سنغافورة من أمراء المسلمين وقناصل الدولة العلية - وانها لم تنزل قائمة بالاصلاح بين المسلمين وحل ما يشكل من اختلافهم والسعي في اتلافهم - وانها انشأت جمعية أخرى تحت مراقبتها سميت (جمعية مصالح المسلمين) وطالبت من الحكومة دفن وتجهيز من يموت من فقراء المسلمين في السجون والمستشفيات - وانها تدبر الرأي الآن في القيام بترميم الجوامع التي تحتاج الى الاصلاح وفتح مدرسة كبيرة هذا ما ذكر الكاتب من أعمال الجمعية الخيرية ثم ذكر انها في آخر جلسة لما قررت فصل السيد حسن بن علوي وشهاب والسيد محمد بن عقيل من أعضائها لان

الاول نشر كلاما عن السيد عبد الله بن عبد الرحمن عطاس لا ظل له من الحقيقة
والثاني نقل كلاما في تخطئة الجمعية - فهذا ملخص الرسالة
نشكر للجمعية كل ما ذكر من أعمالها وندعو الله ان يوفتها خير مما عملت
ونقول لاعضائها الكرام بلسان الاخلاص ان خير هذه الاعمال التي ذكرت هو
اصلاح ذات البين وادب كيف كنتم ولا تزالون تصلحون بين الناس وقد عجزتم عن
اصلاح ذات بينكم أليس السيدان اللذان قررتم فصلهما من الجمعية هما من خياركم ومن
المعروفين في جميع اقطار الاسلام بالغيرة والفضل . ألم يكن خلاف أحدهما مع
السيد العطاس مما يجب تلافيه بالاصلاح بينهما ؟ أم يجوز ان يهجرهما سائر أعضاء
الجمعية لانتادها على مسلمي سنغافوره تقصيرهم فيما يرقهم وعلى الجمعية نفسها
تقصيرها فيما يجب ؟ أليس كلامهما حقا ؟ أبعاد الاحتفال بأهراء المسلمين وأهائمه
ترقية للمسلمين في هذا العصر . أ يكفي ذلك الكتاب الذي أنشأه السيد محمد السقاف
(جزاه الله خيرا) ترقية أبناء المسلمين وهو لا يعلم فيه غير ألفاظ القرآن الكريم
والحساب والخط ؟ أين التفسير والحديث والتوحيد والفقهاء والاصول ؟ أين وسائل
هذه العلوم من فنون العربية ؟ أين تاريخ الاسلام والتاريخ العمومي الذي ينير
العقل ؟ أين العلوم العصرية التي هي اساس الثروة والعزة في هذا العصر ؟ لعل
اعضاء الجمعية الكرام يصلحون ذات بينهم ويعودون الى الاعتصام، والتعاون على
المصلحة العامة والسلام

عدة رسائل في تزوج الهندي بالشريفة

وردت لنا عدة رسائل في هذه الواقعة التي سبق لنا القول فيها فرأيناها يناقض
بعضها بعضا وعلمنا منها ان الناس فيها فريقان كل يؤيد رأيه ويفند رأي الآخر
عن اعتقاد أو تحيز فان نشرنا هذه الرسائل كلها ولا فائدة في شيء منها كنا
ظالمين لقراء المنازل . فان قال قائل إنك أفيتت في المسألة ثم نشرت بعض الرسائل
فيها فيجب نشر الباقي او النظر فيه والمقابلة بينها وبين ما يظهر بمد ذلك انه الحق
نقول ان الفتوى كانت على حسب السؤال على لا حسب الواقع الذي لم نطلب

عليه . ونكتفي بأن نقول قراء النار هناك اننا لانرجع قول أحد في هذه المسألة
فيمكن ما نشر في السؤال وغيره كأن لم ينشر

رسالة ذي اذن واجبة

ملخص هذه الرسالة ان شيخنا مما بقى النار لان تطلب يقال من كبه
يا ابي بديه جمع زخفة لقارمة محبته وقرائه وتكلم فيوم بالباطن ثم عند اجابتنا
وعا ابيه بعض هؤلاء المحبين للنار وبعد ان اسدحهم من الطعن ما ظن انه اظفروه
بوسم قلم عالم منهم محمد الله واتى عليه ثم قال : ان كتتم فجبون شأن المؤمنين
فقد قال رب العالمين (انما كتتم قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك
لا يؤمنون) الآية فهلوا الى حكم الله . وان كتتم تر يدون غير ذلك فالحاكم
الانكليزية فتوحه الابواب واعفونا من السبابه : فبفتوا وعلموا أنهم عاجزون
عن حرب الحق من جهة الشرع والقانون جميعا . هذا ملخص الرسالة وانما لم نشرها
بصفا لان كاتبها خالف طريقة حزبنا فظن بهؤلاء المعارضين وفهمه ونحن
نعم والله تعالى ان يلهم اولي ايام الادب والصواب ، ويحسن لنا ولعم المرجع والمآب

البيان في التريفة الدينية والفلسفية

موجز المشروب الخامس - التريفة الدينية والفلسفية (٥)

لومن اراد اسم المأميل

قد عرفت يا اوليهم مقاصدي ان تريبك الدينية فاني اردت ان اخطي بينك
وبين مثالك مع علي بخلافتي في هذا مخالفة تامة لما يجري عليه الامور عادة
ذلك ان المثال لا يكاد يركض حتى يذهب الى احد المذاهب التي تتنازع حكومة
الدينا فيتكبل والهاء بظلمة ديننا محتجين فيه ببدن املية (وهو امر بين البياحة)
لان يحكم نفسه ويستحق عرف بلاد ووعوا انهم قومهم وتقاليد بيتة الى تحديد الدين

(٥) تابع زينة كتاب اعمال ائمة التاسع عشر (راجع هاميل في فهرس ١٤٠٥)

الذي يجب انتسابه اليه وهو الاستيلاء على نفسه وقد يقول قائل ان الوالدین اذا فضلا ذلك لأمها يتبران أنفسهما تائيد من الامة في القيام عن المولد قبل أن يعرف نفسه بنفسه فأجيبه : اسلم لك ذلك ولكني اقول ان كل من عن الامة ان تؤدى الى المولد دينا كان حقا عليها أيضا ان تختار له حرفة او عملا من أعمال الحكومة واذا نصيرني حكومة دينية اشراكية

لا ينبغي ان يجعل ولادة المولد سببا لسلب حريته فان انقسام الوالدین في ضروب الوجدان واختلافها في الأفكار حتى في أيامنا هذه يجس و لا يهبها عليه مشكلة مرتبكة ذلك انه لا حرب الا حرب البيوت فان شأن الوالدین في الدين غالباً ان يكون الاب كافرا والام مؤمنة فكيف يكون الولد اذا تنازعه هذان الموتران ؟ اقول انه يكون كأهل زمانه حيران عاجزا فاذا كثيرا ما تلاقى في الناس شبانا مشغولين بترقيم سرائرهم بمخروق من مذاهب المتدينين ، يخطبونها مع آراء الاحرار من المفكرين ، ونصادف آخرين شاكين حائرين ، مع بقاء استسماكم بأوهام الواهين ، وقد فشا في الناس التباين والتناقض وعم بينهم التشوش والاختلاط وأما أنت فانك والحمد لله لم تبطل بشيء من هذه الخصال لأنني رأيتك !

نعتقد ان من حقنا ان نقتسم فرصة نوم عنك فندعوك الى اتباع ما نحن عليه بدون ان يكون فيه رضاك . واعلم ان لي ككل انسان غيري رأيا في المذاهب الدينية والحكمية التي يختلف الناس فيها وهو لا يلزك شيئا ولا ينبغي ان تتفعل به . «أكرم اباك وامك» ولكن لا تطع الا قبلك فأنت حر ومن حقك ان تسمى وراء معرفة الحق مستمينا في ذلك بالهمة والبسالة والنزاهة واقد كان هذا السعي ان اليوم خارجا عن وسمك وبسيدا عن مقدورك فيجب الآن أن يكون هو عليك في جميع حياتك

ومن المفروض عليك قبل أن تقتنع بشيء في مثل هذه المسائل الخطيرة ان تبحث فيها وتدرسها فان مثل من يرفض المذاهب الدينية أو الحكمية على غير علم بهما كمثل من يقبلها بدون بحث فيها ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه ، غير مسدد في رأيه ، ولا شيء في الحقيقة أدعى الى الضحك من

(المبار ٦:٩) غباوة المرضين عن أصول الدين . الاستعاضة بالعلم ٥٧

وقاحة احداث الذكارة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض
بها امثال ديكارت (١) واسبينوزا (٢) وباسكال (٣) ولايبنتز (٤) وهيجل
(٥) ليست خلية بالتمفأهم وميلهم فللاجرة الاغبياء منهم كلاً، يططنون بها في هذه
الايام وهي قول احدهم وهو لم يفتح في حياته صحيفه من كتاب الكون : « مالي
ولا ضاعة وقتي في حل ما لا يسر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة
الروح والجسم أو تغايرها فحسي الاشتغال بالعلم »
انا لا اشك في أن العلم الآن مشتغل باستشاف عمل الديانات سالكا فيه
طرقا اخرى مغايرة لطرقها كل المغايرة فانه يرجو من البحث في الحوادث بحثا تجريديا
ومراقبتها مراقبه قريبة أن يصل الى حق اليقين الذي كان أهل الدين يرجون
بلوغه من طريق الهداية الإلهية واني لجازم بأنه قد سلك أفوم المناهج لبلوغ
الحق وان كان من المتعسر معرفة النتائج التي يؤدي اليها بحثه واذا فقها حالة
المعارف على ما هي عليه الآن وجدنا شأنه المطرد أنه لم يفدنا في بعض ما قد مهمنا
استقصاؤه من المسائل الاشياء من المعرفة قليلا جدا فاننا اذا استثنينا علم تركيب
الحيوان لأنه قد امكنه ان يؤدي اليها من معاني الانسان على ما فيه من
المذاهب المتعارضة والآراء المتناقضة وتمام طبقات الارض لأنه قد فتح لعقلنا
منافذ نلح منها على بعد منتأ الحياة رأيا أن العلوم الصحيحة لم تكشف لنا الستار حتى

(١) ديكارت هو عالم رياضي جغرافي طبيعي واخص ما يعرف به انه فيلسوف
فرنسي شهير يدعونه أبا الحكمة الحديثة لكلامه عن طريقة تبحث عن الحق ولد
سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥٠

(٢) اسبينوزا فيلسوف ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧

(٣) باسكال هو مهندس كبير وكاتب شهير ولد في كير بونت فرانس سنة ١٦٢٣

ومات سنة ١٦٦٢ اثبت ثقل الهواء في سنة ١٦٤٨ وفي سنة ١٦٥٢ اعزل في بوررويال

دي شان حيث كتب اقليمياته وأفكاره

(٤) لايبنتز هو عالم شهير ولد في لايبزج وهو مخترع حساب الفروق الدقيقة

(٥) هيجل فيلسوف ألماني ولد سنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٥١

الساعة عن آلة ما من العمل الاولى التي هي اهيج اشوت العقل من سواها ولكن قد يجيبني بحجج بأذهه العمل لا ينبغي الاشتغال بها قطعا لأنها ليست من تناول العقل فأقول له ماهي غاية علمك في هذا أظن ان ما حصل من تجارب الانسان في بضعة آلاف من السنين يسوغ تحديد قواه ومساكنه المتزايدة أم تريد انه يكفيه على كل حال أن يسدل الحجاب على ما يحمله بيمين طمع عقله ويخمد شوق ادراكه؟ انا لا أعتمد من هذا شيئا بل أقول ان الانسان لا يسهل عليه الاستخذاء للجهل والاستكافة له أما لشرف في طبعه أو خمسة فيه

ولو انه كان يكفي للتخلص من المسائر الخيرة أن وصف بأنها مضلة لاجلها لكان التفصي منها في غاية السهولة. كل حي يطلب النمو لجسمه ما عدا الانسان فإنه هو الذي يختص من بين سائر الكائنات العضوية بطب الارتقاء بفكره الى ما وراء حاجاته المادية فطابه الارتقاء السكري موحود فيه سواء سمي خيالا أو غريزة دينية واست أدري مطلقا ما عسى ان يعود على العالمين على إزاله من الهائفة بتكف احتقاره والزراية عليه ومن ذا الذي في وسعه منهم أن ينتزعه من النفوس الشهريه فان تطله الانسان الى ما وراء حدود عقله من مقتضيات خلقته وليس من حقنا ان نعبر بهض الامور التي يطالبها الفكر خادعة أو وهمية لمجرد انها تهمر عقولنا أو تنوع عن ادراكنا فأما ان كان قصدهم تجريد ما يتصوره العقل من منتهى غايات الكمال مما يقارن تصوره من مرويات الوسوس والاهام والاعمال المنبئة عن النفاق والرياء فيها ونعمت وأما مدركات العقل التي شفقت من التاريخ مكانا كبيرا فلا ينبغي التمرض لها بل لا بد ان يكون لها أيضا محل في تربية الناشئين ومن هذا ترى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وانه يبعد عليهما كل البعد التنافر والتماي لان من شأنهما التضافر والتوافق

ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذهب الدينية والحكيمة منتادون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء وروساء الأديان اتمرة في ايامنا هذه بانعوا من تعاطيهم للمظالم وناجرتهم بالسرار وواقفتهم للظلمة بلانما بنا بالعقل في اشتمازه من سيرتهم الى الجحود المطلق فالقسيسون

هم دعة الاتحاد لالما ديون .

ومن اللغو تجسيم امر الاتحاد فانه ذنب ضعيف في ذاته يتزلزل منذعورا امام وجدان الانسان وانما الآثام الميئة والجرائم القوية الحقيقية بأن تدافع نور الهداية والبرهان هي التي يجرأ أصحابها عند اقترافها على التمسك برواء الدين نعم تلك الآثام هي التي يمتاز بذلك الامتياز المسائل وهو قلب شيون الدنيا وتشويش أمورها فمن ذا الذي لا يمار حين ارتكابها من الابهة الباطلة التي تسري من عتاة من تكبها لي بعض ما يتصهونه من ضروب السلطة والقوة تسمع من المتفكرين اذا راعهم تغلب الشر على الخير يصبحون قائلين لأن لا يكون لنا آله خير من وجود آله فنالم (١).

ويجب آخرت على المذاهب الدينية والحكومية أيها لم تبين للناس بيانا مقنعا شيئا من المسائل المتعلقة بنظام العالم وتنازع الخير والشر والاضطرار ولا اختيار وأنا أعلم لهم ذلك غير اني أقول ان كلا منها قد سما بفكر الانسان الى العلل وغير أحوال الامم وهدى الناس الى طراف الفنون وأعيان من الطرف والمخ المولود لظل محموبا في مجاهل الضموم كما ترى عن يودون عمال الدين المسيحي من تعليم الناشئين من لم يحسن التفكير فيما كان لهذا الدين من التأثير في آداب لغتنا وأخلاقنا وعمارتنا فهم بقولون أنه رؤيا خيثة رأها النوع الانساني في منامه وراه بنشأه في طور التبدلي والهمجية حبس روح الشر في ظلمات الجهل وكل ذلك محل للنظر والبحث ولكن هيئات أن يقصروا واحدا من الناس بأن التيار الفكري الذي جاء به ذلك الدين فغير كل ما في الدنيا لم يكن ثم موجب لوجوده .

انا أدعرك الى دراسة هذا الدين الذي أنشأ مدينتنا الحاضرة بإنشائه حسنا أو سيئا خلافا للتقاليد باطلاها وأحدثك على ان تأخذ فيها بالجد وترجع فيها الى أصولها لأن

(١) اجندر يمثل هؤلاء النظارة ان يسموا عميا فأهم عموا عن سنن الله تعالى في الكون وجهلوا ان الشر الذي يضحون منه انما نتج من مخالفة الناس لتلك السنن فهم الذين جلبوه على أنفسهم « وما ربك بظلام للعبيد » « وه الظلم انهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » تعالى الله عن الظلم علوا كبيرا اه من هاشم الترجمة

٩٠ تعليم المسيح وكون النصارى على تقيضه الاستقلال ورك التقليد (البار ٦: ٩)

ما يخص إليك من مطالمة الاناجيل لاشبه بينه وبين ما يؤخذ عن رجال الدين بحال من الاحوال فانت ترى في الاناجيل مثلا ان المسيح كان يأبى دائما امتثال أي عمل من الاعمال الظاهرة وكان يستهدف لزيارة اليهود غاية رلوهم له بمخالفته لهم كل وقت في السبت والصوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام وغير ذلك من الاعمال المشروعة واذا كان القلب يتم ترساع بعض المواضع الانجيلية فليس ذلك بدع فان المسيح انما جاء ليعلم الناس شرف صفاتهم وسوا المستضمة من منهم ووجوب تكريم الطفل والخموع على المرأة الخاطبة والمك لا نجد في غير كتابه أكثر مما نجد فيه من الميل العاطف الى كل مكروب والرحمة لكل مهان ومحقق ولا أكثر من ضرب الخمران للمتكبرين المستأثرين الذين يشتمون العاد على غيرهم من الخلق وقد كان لجه لفتراء ولكونه نفسه فقيرا يتبع الاغنياء على الدوام دون غيرهم بنوره وأسئلة الائمة ولا شك ان تمكن الصراية مع مثل هذا الادب الذي جاء به المسيح من تقوية امتياز الدرجات في الامم الخالية وبأيدي مزايا الانساب وفرط التفارب في التي لم يحصل الا بلوغ رجالها في المسكر حد الاعجاز فلك الامم التي نسي نفسها مسيحية وتمتد أنها على دين المسيح لم يدخل الايمان في قلوبها قط

اعلم ان معرفة الشيء في وقت ما من أوقات وجوده لا تمد معرفة وانما يعرف اذا عرف أصله وتاريخه ومصيره وقد نتج من اتباع البحث في الحوادث الكونية على هذا الترتيب علوم كلها جديدة كعلم تكون الارض وعلم الاجنة فطرق البحث هذه هي التي ينبغي عليك تطبيقها على دراسة المذاهب الدينية والحكومية وليس علي ان اترض بالتصويب أو التخطئة للنتائج التي يردك اليها بحك اذا حسنت فيه نيتك وصحت عزيمتك وغاية ما أبتغيه منك ان لا تقبل من الاصول على أنه صحيح الا ما تكون قد عرفت الحق فيه بنفسك

أقول ذلك وأنا أعلم اني أطلب اليك أمرا عظيما ولكن ما حيلتي ولا وسيلة غيره لتوير عقلك وهدايتك نعم ان في الدنيا كثيرا من العلماء اثقات المشهود لهم قد عهد اليهم تحديد العقائد الصحيحة في الدين والحكمة والسياسة والاخلاق

فهم يعرفون كل شيء ، ويعلمون الناس كل شيء ، وهذا هو السبب في ان نصف المتعالمين من الناشئين يمتدنون على ان يفكروا بمخاخ بعض افراد من الناس - ان صح لي التعبير على هذا النحو - على ان ثمة أمراً لن تعلمه قطعا في مدرستهم ألا وهو علم الحرية فاذا كنت تطلب الحرية فمليك ان تطلب الحق في نفسك مستهيناً في طلبة الجميع مالديك من عدد الاستدلال والنظر وانك سيحصل لك غير مرة مع احترامك وتيقنك ان تعتقد ان آراء غيرك هي آراؤك وتخطيء في كثير من المسائل قبل ان تعرف أغاليطك ولكن لا تنس ان قوت العقل كقوت الجسم لا يكسب الا بهرق العجين وان من أخلص في البحث عن الهدى فقد أظهر بهذا البحث نفسه انه جدير بالاهتمام

وفي ختام مكثوري أقول لك من صميم قلبي اني وليك التحية

(المنار) لقد نطق هذا الفيلسوف بالحكمة اذ أبان ان من غريرة الانسان ان يبحث عما وراء حاجته المادية وان هذا الارتقاء الفكري مما يمتاز به وهو مبدأ الدين في نفسه وانه مادفع الناس الى الجحود الاسوء حال رجال الدين في اتجارهم بالدين وان وجدان الدين يزلزل الاحاد لانه ذنب ضعيف في نفسه وانما الذنوب القوية التي يمز زلازلا هي التي تعرف على انها من الدين وهي ذاهبة بنور هدايته ومنفرة عنه حتى يقول العاقل ان عدم الدين خير من هذا الدين . نعم انه أخطأ في موافقة الفائلين : لم تبين شيئا من نظام العالم وتنازع الخير والشر والاختيار والاضطراب : وعذره انه لم يطامع على نهاية ارتقاء الدين لجهله بالاسلام . على انه أحسن في الرد على الفائلين بهرك دراسة الدين وفي استخراج محاسن الانجيل وتصريحه بأن النصراني غير مسيحيين . ومن أراد تفصيل هذه المسائل فليرجع الى مقالة (العقل والقلب والدين) من المنار . وأحسن في دعوة إميل الى الاستقلال وترك التقليد وتقدير الحرية العقلية قدرها



أَنَّكَ عَلِيٌّ كَسْبِي

لامية أبي طالب في الشعب

لما أنظر النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الإسلام عظم ذلك على قريش فتصدت له ومن آمن به بالأيداء بل اتصروا به وأزعموا على قتله فتمعه قومه بنو هاشم وبنو المطلب فباذتهم قريش وأخرجوهم من مكة إلى الشعب (وهو بالكسر الوادي) شعب أبي يوسف فأمر النبي من كان بمكة من المؤمنين أن يهاجروا إلى الحبشة وكان يثني على النجاشي بأنه لا ينال عنده أحد ويدخل دونه وقومه الشعب فقطعت قريش عنهم الأسواق ومنعتهم الرزق وأبست على أن لاتناكحهم ولا تقبل منهم صلحاً ولا أخذها بهم رأفة حتى يساوه للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعاتوها في الكعبة وتمادوا على ذلك ثلاث سنين ناشتد البلاء على بني هاشم في الشعب وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب أن الأرضة لحست صحيفة قريش إلا ما كان اسم الله قال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقاتل يامعشر قريش ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط ان هذه الصحيفة التي في أيديكم قد سلط الله عليها دابة فاحست ما فيها فان كان كما يتول فأفيتوا فوالله لا نسلمه حتى نموت وان كان يتول باطلاً رفنا اليكم فقاتلوا رضينا فقتلوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر فما زادهم إلا بغياً وقالوا هذا سحر ابن أخيك . وقال يامعشر قريش علام نجس ونحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والقطيعة

ثم دخل وأصحابه بين أمتار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا
وقطع أرحامنا واستحل ما حرم عليه ما ثم انصرف إلى الشعب وقال
هذه القصيدة . قال البغدادي في الخرائقة قال ابن كثير هي قصيدة بليغة
جداً لا يستطيع ان يقرها الا من نلت اليه وهي أنجل من المذات
السبع وأبلغ في تأدية المعنى : اه ونحن نذكر منها ما ذكر في الخرائقة
وقيل هي أكثر من ذلك وهو

خائلي ما أذني لأول : اذل يصفوا في حو ولا عند باطر (١)
خيل ان الرأي ليس بشركة ولا تهنه عند الامور البابل (٢)
ولما رأيت القوم لاورد عندم وقد قطعوا كل المرى والوسائل (٣)

(١) الصفوا كالمراء وصف من الضو وهو الميل ببال صفوت اليه واضغيت
يقول ان اذنه است بنات صفوا الى حديث اول اذلي لا تسمع قوله سماع قبول .
واذا كان لرسالته ورويته لا يقبل قول الاثم الاول - وهو اذني من شاه انت
يسترعى السمع ويستخف النفس للمناجاة بما ياتي من القول - فهو أجدر بأن
لا يصفوا للماذل الثاني ومن بعده

(٢) الهنه كبعفر الثوب الرقيق يشف عما وراهه فاستأوه الرأي التبر الذي
يظهر ما وراء الامور من العواقب . والبابل كالزلازل الهوم والوساوس جمع ببلبة
أو ببلال كزلزلة وزلال . ولله يعني بالرأي رأي قريش الذي يشرحه في الآيات
الثالية يقول انه ليس بالرأي الجيد الذي أمره اشتراك العقلاء فيه ولا بالتبر الذي
يكشف خبايا الامور المهمة وعواقبها . أو يريد ان الرأي الصواب في نفسه لا يكون عند التسامد
مشتركا مقسما ولا رقيقاً يدركنا خصم مقبته ويجوز ان يريد باله الضعيف . والمراد ان الرأي
عندئذ يجب ان يستقل به الناقل ويكتمه اربهم غيره .

(٣) العرى بالضم جمع عروة وهي كل ما يمسك به والوسائل جمع وسيلة وهي
كل ما يتقرب به يريد أنهم قطعوا الروابط التي كانت تربطهم في الماضي والوسائل التي
يسكن ان تقرب بعضهم من بعض ليرتبطوا بها في المستقبل

- وقد صار حونا بالعداوة والآنى (٤)
 وقد حالفوا قوما علينا أظنة
 يعضون غيظا حلقتنا بالانامل (٥)
 صبرت لهم نفسي بسمرأء سمحة
 وأبيضن عضب من تراث المنازل (٦)
 وأحضرت عند البيت رهطي واخوتي
 وأمسكت من أثوابه بالوصائل (٧)
 قياما مما مستقبلين رتاجه
 لدى حيث يتضي خلفه كل نافل (٨)
 أعود رب الناس من كل طاعن
 علينا بسوء أو ملاح باطل (٩)
 ومن كاشح يسمي لنا بهية
 ومن ماحق في الدين مالم نحاول (١٠)
 وثور ومن أرسى ثيرا مكانه
 وراق لبر في حراء ونازل (١١)

(٤) صار حونا بالعداوة جاورنا بها حتى صارت صريحة خالصة من شوائب التأويل . والمزائل المفارق المباين والصدو المزائل تصعب مصالحته وموادته وناله الإعداء قد يذهب بالعداء

(٥) التحالف التعاهد والتناهد بين فريقين على النصرة والحماية . وأظنة جمع ضاعي لظنين وهو التهم من الظنة وهي بالكسر التهمة

(٦) صبر نفسه حبسها والسمرأء السمحة النناة الدنة تسمع طامها بالهز والظعن والأبيض العضب السيف الناطع والتراث الأوث والمناول جمع مقول كمنبر وهو الرئيس دون الملك ومثله القيل وقيل يطلق على الملك وهو حينئذ مستعارا إذا يكن من آبائهم ملك .

(٧) رهط الرجل قومه والوصائل ثياب مخططة يدانية كانت الكعبة تكسى بها
 (٨) الرتاج الباب العظيم ويطلق أيضاً على الباب الصغير فيه . والنافل مؤدي النافلة وهي التطوع بالمبادرة وهي بحيث يقضي الخ مقام إبراهيم

(٩) الملاح بالشيء المواظب عليه وأصل معنى المادنا التصوق
 (١٠) الكاشح الصدو الباطن العداوة كأنه يطوي كشيحه تليها في قلبه وقالوا حاول الأمر أراداه وهو تفسير بالأعم وقال في الأساس طلبه بحياة وهو الصواب

(١١) ثور وثير وحراء جبال بمكة والراقي في حراء لاجل البر والنازل هو من يصدقيه للتعبد زمنا ثم يعزل . وثور معطوف على رب الناس مقسم به

- وبالبيت حق البيت من بطن مكة
وبالحجر الاسود اذ مسحوه
وموطى ابراهيم في الصخر رطبة
واشواط بين المروتين الى الصفا
ومن حج بيت الله من كل راكب
فهل بعد هذا من معاذ لعائد
يطاع بنا العدى وودوا لو انا
- وبالله ان الله ليس بغافل (١٢)
اذا كنتنوه بالذبح والاصائل (١٣)
على قدميه حافيا غير نائل (١٤)
وهما فيهما من صورة وتماثل (١٥)
ومن كل ذي نذرو من كل راجل (١٦)
وهل من معيد يتقي الله عادل (١٧)
تسد بنا ابواب ترك وكابل (١٨)

(١٢) البيت الكعبة وقد يطلق ويراد به بلده كما في قوله تعالى (هديا بالغ الكعبة)
فقوله حق البيت يزيل هذا التجوز ويعين ان مراده الكعبة نفسها وقوى ذلك بقوله
من بطن مكة

(١٣) ا كنتنوه اخطرا به واذا نائل جمع اصيلية لنة في الاصيل وهو ما بعد
العصر الى الغروب وجمع اصيل اعال وفي قوله الاسود حذف يهيب مثله المولدون

(١٤) موطى ابراهيم في الحجر: مكان معروف فيه اثر قدم تناقلت الربان
ابراهيم ووطى هناك حذيا نأرت قدمه فيه والتماثل لايس التمثل ورطبة حال من
الصخر ولا يريدانها كانت رطبة بجانها بل كرامة له

(١٥) اشواط بين المروتين هي مرات السعي بينهما واحدها شوط وهو الجري
الى النابة ويطلق لنة على النابة والمراد بالمروتين الصفا والمروة على التقلب وهما
علمان بمكة يسهى بينهما تسكاً وقوله الى الصفا معناه منتهية هذه الاشواط الى الصفا
اذ به يحتم السعي وتماثل اصله تماثل جمع تماثل حذف الياء ليستقيم الوزن

(١٦) ليس فيه قول شريف

(١٧) الاشارة راجعة الى ما تاذبه وهو رب الناس وتلك الامكن المقدسة
والاعتمال الشريفة والبادلون اناسكون وهم الحجاج فهو يقول ليس بعد هذا لاشياء
ما يعود ويأتيا اليه النائد فهل يوجد معيد عادل وجرير منصف يعيدني تعظيما لما عدت به
(١٨) العدى بالكسر والنجم اسم جمع اعدو وفي رواية الاعتداء وهو بالمد جمع
عدو وتصر لوزن وفي اناج بالمد وحذف حرف العطف من ودوا والتراك وكابل

كذبتهم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل (١٩)
كذبتهم وبيت الله نُبزى محمداً ولما نطاعن دونه وناضل (٢٠)
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٢١)
وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل (٢٢)
وحتى نرى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الأ نكب المتحامل (٢٣)

(بضم الباء) صنفان من العجم . كذا في الخزانة وفي القاموس « وكابل كامل من ثور صخارستان » أقول كابل عاصمة أفغانستان وهي ليست ثوراً . والمراد بسد أبواب ترك وكابل بهم ان لا يقبلهم العجم ان تصدوا اليهم فضلا عن العرب وأن ينفوا اليها فلا يعودوا (١٩) قوله نترك مكة ونظعن جواب القسم بتقدير (لا) النافية أي لا نتركها ولا نظعن لكن أمركم في بلابل ووساوس وروي ثلاثه وهو جمع تلتة بمعنى الاضطراب (٢٠) يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره فقوله : نبزى محمداً : بني الفعل فيه للمفعول ونزعت الباء من لفظ محمد والأصل نبزى بمحمد وهو جواب للقسم بتقدير النبي كالذي قبله قاله في الخزانة . وذكر البيضاوي في تفسير « تفتؤ تذكر يوسف » ان القسم إذا لم يكن معه علامة للاثبات كان على النبي . واستشهد قبل ذلك على تقدير النبي في الآية بقوله

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولوقطهوا رأسي اليك وأوصالي

ومعنى بيت أبي طالب والله لا تغلب ونقهر بمحمد والحال اننا لما نطاعن أمامه بالرماح وناضل خصومه بالسهم

(٢١) نسلمه معطوف على نبزى أي ولا نسلمه حتى نصرع حوله أي حتى نطرح حوله مقتولين والتصريع الصرع الشديد يقال صرعه إذا ألقاه على الأرض والذهول النسيان العارض والحلائل جمع حليلة وهن الأزواج

(٢٢) الروايا جمع راوية وهو ما يستقى عليه عن بعير وغيره وذات الصلاصل القرب فيها بقايا الماء وأحدثها صلصلة بضم الصادين وهي بقية الماء في الأداود والقربة . يعني وحتى ينهض قوم اليكم مثقلين بالحديد تسمع له قعقة كصلاة الماء في المزايدات والقرب .

(٢٣) الضغن بالكسر الحقد . والرديع بالفتح اللطخ والأثر من الدم وركب رده

وإنا لعمر الله إن جسد ما أرى لتتبعن أسيافاً بالأمان (٢٥)

يكفي فتي مثل الشهاب سيمدح أخي ثقة حامي الحقيقة بأمن (٢٥)

وما ترك قوم لا أبالك سيداً يحوط الذمار غير ذرب موركي (٢٦)

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمة للأرامل (٢٧)

غرو لوجهه على دمه والأنكب المائل إلى جهة والتعامل اسم فاعل من تعامل عليه
أنا مثل عليه وجار، يعني وحتى يخر الحقد على محمد مطعوناً يركب رده فعل فعل
الأنكب أي ذي النكب وهو بالفتح داء يأخذ الأبل في مناقبها فتطلع وتمشي منصرفه

(٢٤) جسد الأمر اشتد وعظم والنبس الشيء بالشيء اختلط به في ملاسته إياه
والأمان الأشراف يقسم أنه إن اشتد أمر قريش الذي رآه منها ولم ترجع عن غيرها
فإن أسيافهم ستخالط رقاب أشرافها

(٢٥) الشهاب شعله النار والسيمدح فتح السير والبال المهمتين السيد الوطأ
الأ كفاف أي المهد الجواب التي تأوي إليها الطاعة والقصاد. والحقيقة ما يحق للرجل
أن يحميه والباسل الشجاع الشديد. يعني فما حسب الصفات التي صلى الله عليه وسلم

(٢٦) يحوط يرعى ويحمي الذمار ما يندس له أنا نيل ويقولون حامي الذمار وحامي
الحقيقة لمن يمنع حرمه وقومه وكل ما يجب عليه أن يحميه. والذرب بفتح فكسر
الفاحش البذيئ اللسان وسكن الراء هنا للضرورة ولأنوا كل من يكل أمره إلى غيره
على سبيل المشاركة في الوكل. والوكل بالتحريك من يكل أمره إلى غيره مجزأً أي
كيف يترك قوم كرام يعرفون قيم الرجال مثل هذا الفتي الكامل ولا يتفانون في نصره

(٢٧) وأبيض معطوف على سيداً في البيت نيله وفسروه هنا بالكريم فني الخزانة
قال السمين في عمدة الحفاظ عبر عن الكرم بالبياض فيقال له عندي يد بيضاء أي
معروف وأورد هذا البيت: والغمام السحاب والثاب بالكسر الغيات والملاجأ بيت قومه
ويطعمهم عند الحاجة والعصمة ما يتصم به ويستمسك بالأرامل جمع أرملة وهي من
مات زوجها وهي فقيرة ويطلق على كل محتاجة لا تجد ما تلا وقال ابن السكيت الأرامل
المساكين رجالاً ونساءً وقيل إطلاقاً الأرامل على الرجل غير قياسي وأصله من

يلوذ به المهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل (٢٨)

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عتوية شر عاجلا نيرا أجل (٢٩)

بميزان قسط لا يخس شعرة له شاهد من نفسه غير عائل (٣٠)

ونحن الصميم بن ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الأوائل (٣١)

وكل صديقي وابن أخت نمدّه لعمرى وجدنا غبه غير طائل (٣٢)

أرمل القوم إذا نقد زادهم وانتقروا وهو مشتق من الرمل كأنه لم يعد له ملجأ سواه كما يقال ترب فلان وأرب إذا اتتروكا يقال فقر مدقع من الدقماء وهي الأرض لانبات فيها والتراب. حمل قوله يستسقى النمام بوجهه على الحقيقة وقالوا أنه لا تابمت على قرين السنون استسقى عبد المطلب النبي صلى الله عليه وسلم وكان غلاما فسقوا رواه الطبراني وابن سعد. ولولا الرواية لكان المتبادران الكلام كناية عن كونه صلى الله عليه وسلم مصدرا للخير والبركة وهذا المعنى شائع في الناس وكثيرا ما سمعت الإمامة يقولون في ذي الوجه الحسن لاسيما إذا كان مهذبا أن رؤيته تكثر الرزق وفي ذي الوجه القبيح ان رؤيته تقطع الرزق وربما قالوا وجهه فيهما

(٢٨) المهلاك بالتشديد جمع هالك وهو المعوز والصعوك السبي الحلال يطلب فضل ذوي

المال. والفواضل النعم العظيمة تغدق على الناس وأحدثها فاضلة

(٢٩) عبد شمس شقيق هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ويقال أنهم ما ولدنا توأمين وكان

ولد أعداء بني هاشم في جاهلية وأسلام. ونوفل هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن

قصي قال في الخزانة وكان من شياطين قرين قتلته علي بن أبي طالب يوم بدر

(٣٠) القسط العدل ويخس ينقص والمائل المائل أي جزى الله آل عبد شمس ونوفلا

الذين يعادوننا ويؤذوننا بميزان العدل الذي لا ينقص حبة شعيرة ووصف هذا الميزان بأنه

يشهد لنفسه بالقسط لأن القسط نفسه يشهد له وإن هذا الشاهد لا يميل ولا يجور. وما طالب

أبو طالب جزاء القسط لأعدائه إلا وهو يعلم أنهم ظالمون

(٣١) الصميم الخالص من كل شيء والذؤابة الأشراف مستعارة من ذؤابة الشروهي

الخصلة من شعر الرأس

(٣٢) الفبال كسر العاقبة أي خاب أملنا في هؤلاء فليس لنا فيهم غناء

سوى ان رهطامن كلاب بن مرة
 وذهم ابن أخت القوم غير مكذب
 أشم من الشم البهاليل ينهي
 براءه اليان من معقة خاذل (٣٣)
 زهير حساما مفردا من جمائل (٣٤)
 الى حسب في حومة المجد فاضل (٣٥)

اممري لقد كانت وجداء بأحمد
 فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها
 فن مثله في الناس أي مؤمل
 وأخوته دأب المحب المواصل (٣٦)
 وزينا لمن ولاء ذب المشاكل (٣٧)
 اذا قامه الحكام عند التفاضل (٣٨)

(٣٣) المعقة النقوق وبراء بالكسر جمع بري ككريم وكرام وبالفتح مصدر يستوي فيه الذليل والكثير تقول اني براء من كذا وهم براء منه وبالضم مخفف من براء ككرماء ووزنه غناء

(٣٤) زهير هو ابن أبي أمية بن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب أخت أبي طالب . والحسام السيف الطاع والجمائل ما يحمل به السيف جمع حمالة وهي العلاقة وقيل لا جمع له من لفظه والمترد المجرود . وقوله غير مكذب حال بن أخت القوم أي لا يكذب في صدقه وولائه وحساماً منصوب على المدح

(٣٥) الأشم ذو الشمم والسيد الكريم ذو الأنفة . وكانوا يتمدحون بشمم الأنف وهو ارتفاع في قصبته مع استواء أعلاه . والبهاليل جمع بهاول بالضم وهو السيد الجامع للخير والضحاك وقال ابن عباد هو الحي الكريم وحومة الشيء معظمه وجهه

(٣٦) كافت بالتشديد والبناء للدفعول مبالغة كلفت بالشيء (كفرحت) إذا أحببته وأولعت به . وقوله وجداً معناه كلف وجد وفسروا الوجد بالحزن وهو أعم لأنه يشمل كل ما تجده في قلبك من التأثر الباطن ويفسر في كل مقام بما يناسبه . ويعني بأخوة أحمد أولاده الذين ضمه إليهم بكفالتهم إياه . وهم جعفر عقیل وعلي عليهم الرضوان والسلام وقالوا ان العم أب فأولاده أخوة . وقوله دأب المحب المواصل يعني به انه دأب في ذلك أي جد فيه واستمر عليه كما يفول المحب المواصل لرسوخه في الحب وتمكنه في الوفاء

(٣٧) ذب المشاكل دفعها والمشاكل ما يلتبس وجه الصواب فيه أو طريق تلافيه

(٣٨) قوله أي مؤمل معناه هو مؤمل عظيم فأي هذه هي الدالة على الكمال

| | |
|----------------------------------|----------------------------|
| ٣٩) يوالي إلهما ليس عنه بغافل | حليم رشيد عادل غير طائش |
| ٤٠) وأظهر ديننا حقه غير ناضل | فأيده ربّ العباد بنصره |
| ٤١) تجرّ على أسياننا في القبائل | فوالله لولا ان أجيء بسببه |
| ٤٢) من الدهر جدا غير قول التهازل | لكنا اتبعناه على كل حالة |
| ٤٣) لدينا ولا يغني بقول الأباطل | لقد علموا أن ابننا لا مكذب |
| ٤٤) يقصر عنها سورة المتناول | فأصبح فينا أحمد في أرومة |

والتفاضل التغالب في الفضل وبه يظهر الأفضل

(٣٩) الطيش النزق والخفة وهو ضد الحلم وموالاته الآلة اتخاذه ولياً وناصرأ
٤٠) قوله حقه غير ناضل معناه غير خارج من مقره ولا زائل ولا متغير
يقال نصلت اللحية من الخضاب إذا زال وعادت بيضاء ويقال سهم ناضل إذا خرج
منه نصله أي حديثه

٤١) السببة بالضم العار الذي يسب به صاحبه وتجرّ من الجريرة وهي الجريمة والجنابة
٤٢) التهازل بمعنى الهزل فان تفاعل قديأتي بمعنى فعل كتوانيت بمعنى ونيت لكنه
أبلغ من المجرّد: كذا قال صاحب الخزانة وأقول ان التفاعل هنا على أصله فانه يريد أنه لا يخاطب
قريشاً بالهزل ليقابلوه بمثله أي انه ليس ممازحاً لهم وممازلا معهم في قوله وإنما يقول ذلك على
سبيل الجدّ وهذا البيت هو جواب القسم في الذي قبله

٤٣) قوله يعني بالبناء للمفعول يقال عني به إذا اشتغل به مهتماً ومعنياً واستعمل قليلاً بالبناء
للفاعل فقالوا عني كرضي والأبطل جمع الباطل وأصلها الأباطيل

٤٤) نون أحمد لضرورة الشعر والأرومة بفتح فضم الأصل المتناول في الأصل هو
الذي يتحدّد ويطول قامته لينظر إلى شيء بعيد أو مرتفع واستعمل بمعنى الترفع والتكبر
وبمعنى الاعتداء لأن المترفع والمعتدي على غيره يحاول أن يزيد في طوله (بالفتح) كما يحاول
الذي يمد قامته وينصبها أن يزيد في طوله (بالضم) وسورة الشهي بالفتح الزيادة فيه بحسبه فقالوا
سورة الحجر بمعنى حديثها وسورة المجد بمعنى ارتفاعه وأثره وسلامته وسورة السلطان بمعنى
سطوته؛ والسورة بالضم المنزلة والرفعة والشرف والفضل وأصله ما طال وحسن من البناء
وكل هذا المعاني الضميمة تظهر هنا فلتني صلى الله عليه وسلم هو الذي تقصر عن رفعة أرومته

حدثت بنفسي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرى والسكلا كل ٥١؛

(تقاريط)

(هدية الابن) رسالة كتبها بشارة افندي الياس عيد الحاج بطرس التاجر السوري ببلدة (افارة) بالبرازيل وطبعها وجعلها هدية باسم والده المقيم في (بكفيا) ببلدان . وهي تعريف ببلدة أفارة خاصة وبلاد البرازيل عامة وبحال المهاجرين السوريين في تلك المملكة . ومن فوائد الرسالة انه كان فيمن ارسلت حكومة البرتغال لاستعمار البرازيل عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية لكي تنظف بلاها من النسل العربي . اذا قد كان العرب من المستعمرين الاولين لهذه البلاد وجرى السوريون على آثارهم فهم من خيرة المهاجرين الى تلك البلاد

(تربية النفس بالنفيس) خطاب القاه الدكتور محمود بك لبيب محرم في نادي المدارس العليا بالقاهرة . اما موضوع الخطاب فيعرف من عنوانه واما اسلوبه فيمثل لك اسلوب بعض المتصوفة الذين كتبوا الاجفار ، والمصنفات في علوم الاسرار في منجهم اصطلاحات العلوم الكونية ، بايضعونه من الاصطلاحات الغيبية المكتوبة بل هو اعرب في مفرداته وجمله ، ومثاله ومثله ، واليك مثالا منه

«ان الحقيقة فردية لا تمجزأ ، وان الكون جوهر لا يتداعى ، هو لاء لا يفنثون عن بواطن الاشياء ، ويكتفون بعلم ظواهرها العاملة ، هو لاء لا يعرفون للكون في الكون الا نقط (ضبطت في الاصل كقفل) واحد فسفه المركز لاهل الكرة الارضية ، ودعه مركز السماء لاهل السموات العلية ، وأطلق عليه قلب الفلك للسموات والارضين

وشرف أصله ما للمترفعين والمعتدين من رفعة وشرف وسطوة ووحدة
(٤٥) حدثت بنفسي دونه أي حنيت نفسي امامه كالأحذب لأمنع عنه الأذى يقال
حذب عليه وتحدب بمعنى عطف وتعطف وأصله ما ذكرنا . والذرى أعلى الشيء جمع ذروة
والسكلا كل الصدور أي دافعت بأشرف الاشياء وأعظمها . ولقد صدق أبو طالب في قوله وكان
مؤمناً بالله تعالى وبنبيه ولكنه لم يذعن له بالفعل ولم يلتزم شريعته بالعمل ولكن فضله في حماية
الاسلام ومن جاء به لا تدايتها خدمة أحد في ذلك الوقت وقت العجز والضعف فجزاه الله
خير الجزاء

السبية والدينية، وصحة الطبيعة ان كنت ممن يصبح بأن «انما دة لا تتجدد ولا تنملم»
وقل عنه الروح (بالفتح) ان سألك أحد طلبة «تناسخ الارواح» اوصفه بالجر يشمة
(الميكروب) ان تهورت في نظرك الذرات؟ وعرفها بانتخاق ان درست علوم
النشوء وتأملت (داروين)، وسماها الصوت ان كان لك ميل في تعرف النفات
الموسيقية وفنونها، ونادها صوراً متحركة وثابتة ان كنت تهوى الاحسن والاجمل
من الفنون والأفنان، وقل عنها الروح ان سئلت من آل مذهب «تناسخ الاشباح»
وصفا بالذرة ان كنت ممن يستمين على رؤية دقائق الاشياء بالمناظر المجهورة
«الميكروسكوبات» واصطلىح عليها سياسة لاقتصاد للجامعة الانسانية ان
وددت تسير الأمم الى طريق الهدى والسلام، وعمار الكون بمن تخلق ونشأ فيه،
واقننا «الكربة» ان درست معلومات هارفي رمن اتبعه، وأقرأها الحرف في
كلم الفونين . وسماها الصوت ان كان لك شوقا الى «سفينة الشيخ شهاب»
او مذهب استماع مناغاة الطيور على اوكلها . أو تميل الى فنن الضاربين على
الاوتار والمطر بين بأصواتهم الرخيمة وارسمها اشكالا متحركة وثابتة ان كانت
جبتك تهوى الجميل من الفنون والاحسن من الاشكال والالوان المصورة وغير
المصورة . وسيرها سفينة تجري في انلك بأسره دبردقتها . ومبخر مائها ومهرق
قها ان تعلمت العلم ولو في الصين واجرها سيارة بارادة قائدها وقوة جاذبتها
ورافقتها ان كنت تبغ حرية الحركة والسكون المطلق فدعها كما شئت بما شئت
وفي أي مكان وزمان شئت . لا سماع بين التصويت والتسكيت لارؤية بين الظلمات
والنور . لأنمو بين الحروع والشبع . لا انتقال بين الحركة والسكون لا مفرق بين
الايض والاسود لا تجزئة بين الكل والفرد . لا هيولة بين الجوهر والمرض .
لا شفاء بين المرض وانرض ولا تعليل بين البيت والاحد . ولا روح بين القلب
والجسد . ولا شك بين التائم والمائم . لا صوم بين الشك والرؤية . لا دفا بين
الماء والنار . ولا تبسم بين البطلان والرجحان . اه المثال بنصه وضبطه
حسب القارىء هذا قد مل أو كاد اذ لم يقرأ في حياه كلاما بهذا الكلام .
الفاظ من اصطلاحات العلوم الطبيعية والدينية والصوفية والجفرية تشبه خرزا من

أنواع شتى وضع في علبه وخصخص حتى اختلط بهضه ببعض ثم استخرج فقام نظما غير مأوف ولا معروف . فياليت شهري ماذا كان من أمر أعضاء النادي عندما ألقاه عليهم الدكتور ؟ ماذا فهموا منه ؟ هل قابلوه بتصفيق الاستحسان ، أم بصفير الاستهجان ؟

﴿ الرزنامة التونسية لسنة ١٣٣٤ ﴾

كتاب كبير يصدر في كل عام تزيد صفحاته على أربع مئة صفحة كبيرة فيها من الفوائد الفلكية والتاريخية والأدبية والسياسية والإدارية والتجارية ما لا يستغني عنه قراء العربية في تونس وغيرها ومولدها سيدي محمد بن الحوجة من أفضل الكتّاب في تونس وأوسعهم علما وإطلاعا على الكتب العربية والأجنبية ومن فوائد القسم التاريخي في رزنامة هذا العام كلام مسهب لأحد علماء جامع الزيتونة الإعلام في بيان اختلاق ما كان نشر في جريدة اللواء المصرية منسوبا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو كتاب عهد كتبه الأروم بزعمهم ولم أر هذا العهد إلا في الرزنامة ولم أسمع بذلك إلا من نشرته جريدة اللواء ومنها تاريخ صيد المرجان بمياه تونس وتاريخ شركات الأخبار التلفزيونية وتاريخ خسائر الحرب بين روسيا واليابان وتاريخ الحمامات المعدنية بتونس . ومن فوائد القسم الأدبي معجم لأسماء الإعلام الإسرائيلية ومقابر الكلاب بباريس ومهددة التماسح . وأما القسم السياسي فهو خاص بحكومة تونس والحماية الفرنسية فيها وكذلك القسم الإداري وفيهما كل ما تم معرفته عن ذلك القطر . وفي هذا الجزء رسوم وصور كثيرة منها رسوم بعض المماهد الحجازية الشريفة وقبور حواء أم البشر وصورة الرئيس ابن سينا مع ترجمته . وغير ذلك . وثمن النسخة من هذا الكتاب ١٥ فرنكا وهو يطلب من إدارة جريدة المنبر ومن محل الخشاب في القاهرة

(طوابع الملوك) «مجلة فلكية جغرافية برزخية علمية تصدر في كل شهر عربي مرة لمنشئها السيد محمود العالم . قيمة الاشتراك في مصر ٥٠ قرشا أميريا» وكنا كتبنا تقريرا مطولا لهذه المجلة العربية في هذا العصر فضايق عنه الجزء الماضي ولما لم يرد إلينا بعد الجزء الأول منها شيء . وقد مضت أشهرنا كتبنا بهذه الإشارة

(المنهل الصافي) مجلة علمية أدبية تهذيبية تُصدر مرة في الشهر لصاحبها ومحررها محمد أفندي نجيب الخازني وكنا كتبنا لها تقريرا جمع ولم ينشر ثم فقدت وهي لا تزال تصدر بانتظام فتتمنى لها طول البناء والرواج بالتوفيق للخدمة العظيمة (المنبر) جريدة يومية أنشأها في القاهرة محمد أفندي مسعود وحافظ أفندي عوض الفتيان عن الوصف والتعريف لشهريتهما بتحريرهما في المؤبدتين الطوال وباشتغال الأول منهما بالصحافة مستقلا (وتقويم المؤبد) وبهذا كانا جديرين بأن تكون بدايتهما كنهاية غيرهما في هذا العمل الجليل وان يكونا مستقلين خيرا منهما هتيد بن برأي غيرهما واما يتوي الرجاء في نجاح المنبر رغبة كثير من الكتابين في أن يكونوا من خطباءه . فنسأل الله تحقيق الامل ، معاته فبق خير العمل ،

(أبو الهول) جريدة عربية أنشأها شكري أفندي الخوري في سان باولو (البرازيل) تصدر كل ١٥ يوم مرة . وشكري أفندي الخوري جدير بأن يفيد السور بين بحر بدته ويستفيد من اقبالهم حتى تكمن أسبوعية فيومية لان اسلوبه الفسكه في الكتابة يشوق القارئ لاسجا اذا كان سور ياقانه يمزج اللغة العامية بالعربية مزجا لطف من مزج الماء بالراح كما يمزج المزج بالجد فيجمع للتقاري بين اللذة والفائدة وعنايته بالمسائل الصحية والادبية انفع للناس من عناية غيره بالمسائل السياسية والمدنية

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِلْهَامِ

﴿ زيارة الامير لطلاب العلم في مسجد المرسي ﴾

أظهر الامير شيخ علماء الاسكندرية رغبتة في زيارة مسجد أبي العباس المرسي لروية طلاب العلم الديني وعين لذلك يوم ١٤ ربيع الآخر فظلم الشيخ حلقات الدروس في ذلك اليوم وأمر المعلمين بتلقين أفراد من كل فرقة مسائل يسر الامير سماعها وزينت مصلحة الاوقاف المسجد والطرق اليه زينة جميلة وبافت حاشية الامير (المعية)

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرهما من كبراء الازهر وغبته في حضورهم هذا الاحتمال وبعد الزيارة ذهب العلماء الى قصر رأس التين وسهوا من الامير النصائح التي تتفق بشؤونهم وقلد بيده الشيخ شاكر الوسام المجدي الثاني وهم ينظرون فبين لهم بالقول والفعل رضا عن عمله في ادارة التعليم لهج الناس بها للجرائد بهذه الزيارة والنصائح الاميرية ومما قيل وكتب ان الامير اعزه الله واعزبه العلم أظهر الارتياح التام للعلوم التي يسهونها العجدة كتقويم البلدان والحساب والهندسة وأنه ذم التقليد في نصائحه أوخطابه ففرحنا بذلك وسررنا لأن هذه ضائتنا المشوذة . وقد تمني بعض أصحاب الجرائد يومئذ لو يحظون بنص خطاب الامير للعلماء ونحن أحق بالحرص منهم على ذلك وقد طلبنا فحفظنا ذلك ان أحد العلماء الذين حضروا ذلك المحفل المهيب كتب ما سمعه بعد الخروج وتحرى فيه الالفاظ بقدر الطائفة وهذا نص ما كتبه

(خطاب الامير)

« الامة اذا اتحدت وثقت بأفرادها وكانت مائة الى تبادل الآراء النافعة

والسعي وراء الصالح الامام

« انه كان في مدأ الامر اذا قدمت اوسافرت من الاسكندرية وحصلت زيارات رسمية لأرى الا الرؤساء الروحانيين وبعض من مستخدمي المحكمة الشرعية حتى ظننت أنه ليس في البلد علماء فكنت أسأل عن العلماء فيقال لي إنهم في غاية الخمول ومن ذلك الوقت عزمتم على رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم وترتيب مرتبات تقوم بمحاجتهم وكان نتيجة ذلك المعاهد العلمية في الاسكندرية . وعند ذلك احتجنا الى بعض العلماء من الازهر تسمية للمواد العلمية (المصرية) فحضر البعض وكان بينهم وبين الاسكندريين غاية الوثام حتى داخلهم بعض الدسائس التي أوجبت زيادة النمرة فيما بينهم وقامى فيها الشيخ شاكر بعض المقاساة كما قامى في المدة الاولى من الحصاد فوجدنا أن هذا أمر شاق جدا فعرزنا على ماملة علماء الاسكندرية بالقسوة الشديدة وارجاعهم الى الحالة الاولى لولا اننا أملنا اصلاح الحال ومناجبة العمل النافع

«غير ان ما زال يوجد (الاصل «في» بدل يوجد) بعض افراد يحبون أن يستملوا «الفنفة» لانهم لا قدرة لهم على العمل لانه ليس كل متعمم شيخ فان بعض الناس يظهرون بمظهر العلماء ولا يحسنون شيئا من العمل مع ان العمل قد وضمنا له البر وجرامات حتى مشى على (الكثرة) وصار الاخلال به مضر جدا

«وانا أوصيت الشيخ شاكر ان يضم كل واحد بحسب ما يمكنه من العمل فمن له قدرة على درسين يقرأها كذلك من يقدر على الاكثر أو الاقل ، فينزم كل واحد السكينة ويلزم الكبير يرحم الصغير والصغير يعتبر الكبير وان يترك «الفنفة» فاني ان شاء الله لدينا الميزانيات ولنا الامل في ان تزيد الماهيات والمراتب حتى يعم النفع وكل ميزانية تظهر فيها من الخيرات ما فيه الكفاية

«انا اشتد على الشيخ شاكر بيني وبينه ودأبنا أقول له عامل هؤلاء الناس بما فيه الراحة ولي امل شديد في حصول المطلوب كما اني سررت جدا من حالة ابي العباس والطلبة ورأيت نجاحا باهرا ولي امل ان شاء الله ان يكون الازهر كذلك (وهنا ضجة من كبار مشايخ الازهر تقول - وفي رواية قوايه ان بعضهم قال - نعم فهم يا أفندينا نجاح باهر جدا استحنناهم فوجدنا الامر فوق المرام بهمة أفندينا) الحمد لله لنا امل قريب يظهر علماء من الاسكندرية ينعمون وطهم واذا خطب أحدهم لا يخشى الانسان من سماع خطابته ولكن هذا لا يكون الا بالمخاطفة على النظام وترك الفساد والحسد كما اننا مستعدون لسماع أي شكوى فأبوابنا مفتوحة لسماع أي شكوى ولكن لا يجب المجاهرة والتمشاه بين الناس (وهنا التفت الى شيخ الازهر وقال له) أحب أن يكون الازهر متحد مع الشيخ شاكر حتى يحصل نجاح عظيم فان حالة اسكندرية تسر جدا وأرغب أن يكون الازهر كذلك . ثم اني أحب جدا لزوم السكينة وان لا يحصل شيء ابداحي اذا جئنا من السفر لانسمع الامايسرنا » هـ

قال الكاتب انه لم يترك شيئا مما فيه الامير الا كلمة أشار بها الى أن بعض المشايخ جاءه لاجل الفنفة والوشاية فأمرزكي اشافكرشه (أي طرده) ولم يأذن له في الدخول : أقول وهذا عين الحكمة ولا أحد أقدر على تأديب صغار العقول من

الشايع من الامير وقته الله . وهذه النصائح صريحة في استيائه من حال الازهر
وكون هذه المشيخة الجديدة لم تأت على ما يرغب ويرجو ولم ينس الناس هنا
خطبته عند لباس الكسوة لشيخ الازهر الحاضر

﴿ الجريدة ﴾

اندب جماعة من أعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم من كان ذا كرم الاستاذ
الامام في مسألة انشاء جريدة يومية على الوجه الذي ذكرناه في ترجمته الى
تنفيذ هذا المشروع فدعوا غير واحد من وجهاء الاغنياء للاكتتاب فاكتبوا
في مجلس واحد بعشر آلاف جنيه ونيف ثم وضعوا قانونا لشركة المساهمة وعينوا
مديراً للجريدة وأعضاء للمجلس الادارة الذي يدير العمل وسموها « الجريدة »
وهم الآن يسعون في تأسيس المطبعة والبحث عن العمال والكتاب

رأيت أكثر من سمعتهم يذكرون الجريدة حتى بعض المكتتبين يقولون
نخشى ان نكون مقطعا ثانيا ومن الناس من يجزم بذلك ويستدلون بأن وجهاء
الاعضاء استشاروا اللورد كرومر في أمرها وقد أيد بعض الجرائد اليومية هذا
الرأي فزاد انتشارا ولا ريب عندنا في حسن نية أهل الرأي من القائمين بهذا
العمل وقصدهم فيه الى خدمة هذه البلاد وعدم اضرار مصلحة على مصالحها ، وانهم
يعلمون كما يعلم كل عاقل ان ليست مصلحة البلاد في اتخاذ حكومتها خصما لها
والمحتلين أعداء لاهلها وأن ليس من الخدمة النافعة ان تهرب الجرائد عند
كل عمل منتقد للحكومة صاحبة ان هذا من سوء نية الحكومة أو المحتلين ،
وانهم يريدون به هضم حقوق الوطنيين عامدين متمهدين ، كما يعلمون أن من
الحياة للبلاد السكوت عن انتقاد ما يجب انتقاده من أعمال الحكومة ومشروعاتها
بالدليل والبرهان ، مع أدب القلم واللسان ، وتلك هي الطريقة المثلى ، في هذه
الخدمة الفضلى ، وسبى أكثر الناس ان الجريدة خير مما كانوا يظنون فأعضاء
مجلس ادارة الجريدة خمسة وعشرون رجلا ليس فيهم من يهدار كنانة يشنه ولا
لرفته كما هو شأن سائر أصحاب الجرائد فالرجاء في اخلاص هذه الجماعة أقوى
من الرجاء في اخلاص أولئك الافراد

على ان الفائدة الحقيقية للجريدة موقوفة على حسن اختيار الذين يقولون كتابتها
وتحريرها فانها ظن مجلس ادارتها بالكتابيين المحررين القادرين على الاجادة في مسائل
الاجتماع والاخلاق والاقتصاد والانتقاد والزراعة والتجارة والآداب والشريعة
والقوانين ممن لا تيسر ايدي اصحاب الجرائد الاخرى الى استهال أمثالهم تسنى
لها ان تكون أرقى من كل ما عداها وبذلك تكون قدوة صالحة للجرائد كما هو المرجو
وإذا هي ظهرت مثل أرقى الجرائد الحاضرة وآها الناس دونها لانهم ينتظرون أن
تكون أكثر اتقاناً فهم يزعمون بهذا الميزان

حادثة دنشواي

في ١٣ يونيو ذهب بعض ضباط جيش الاحتلال لصيد الحمام الداخن في
جبهة دنشواي التابعة لكرشبين الكوم وكانوا أموا براني سيرهم بفرقتهم الى الاسكندرية
ولما شرعوا في الصيد استاء أصحاب الحمام واتفق ان اشتعلت النار في جرن (بيدر)
بالقرب منهم فانهم فانبهرت بعض الفلاحين لصددهم عن صيدهم حراس عليه وخوفاً على
أجران غنمهم ان تسرق من نزل البنادق وفي أثناء المماومة أصيبت إحدى نساء الفلاحين
بنار بندق الضباط وظن أنها قتلت فمادت المماومة ملا كد وضرباً بالهصي واطوب
فجرح غير واحد وأمر الرئيس أحد الضباط المضر و بين بالسير الى المعسكر لطلب
النجدة فسار في حرق محرق فأصيب بضربة الشمس على رأسه المشجوج فمات
في الطريق . وأثبت التحقيق ان الضباط مالوا الى المسالمة وسلخوا أسلحتهم
للفلاحين فإزانهم ذلك الاخشوة وعقدوا وانا وقد سلخوا من الضباط ساعة وسلسلة مفاتيح
وصفارة وأخذوا سلاحهم كما هي عادة بعضهم مع بعض في مثل هذه الحال .

هذا وقد عظم أمر الحادثة على المحنمين لأن العازب بعد الإهانة الصغيرة كبيرة
ومن يهن يسهل الهوان عليه فأجمعوا أمرهم على محاكمة الفلاحين في المحكمة
المخصوصة بمن يعتدي على أحد من جيش الاحتلال فاجتمعت هيئة المحكمة في
شبين الكوم (في ٥ ج ١) وحكمت حكماً لا يقبل الطعن ولا الاستئناف على أربعة
من الفلاحين بالشنق وعلى اثنين بالاشغال الشاقة المؤبدة وعلى واحد بالاشغال الشاقة
١٥ سنة وعلى أربعة بالاشغال الشاقة ٧ سنين وعلى ثلاثة بخمسين جلدة ثم بالحبس

مع الشغل سنة وعلى خمسة خمسين جلاة فقط
وقد نفذ هذا الحكم علنا على جميع المحكوم عليهم في قرية دنشواي وبعضهم
ينظر الى بعض والاهل والاقربن ينظرون وعسكر الاحتلال محيط بالمكان
وكان الجلاة في نظر الناس أشد من الشنق فكان لذلك أشد تأثير المزعج للناظرين
ثم لجميع أهل القطر فببت الجرائد للانتقاد والشكوى وكثر انعط الناس بظلم
الانكليز وقال المتقدمون منهم انما كان ذلك اللين السابق قبل تمام التمكن في
البلاد. ثم روعوا بزيادة جيش الاحتلال وبما قال باظر خارجية انكلترا في التعصب
وقد اشرفنا اليه في مقالة التعصب من هذا الجزء حتى قصرت السنة الذين كانوا يشتون
على اعمال الانكليز النافعة ويفضلونهم على جميع الدول
يقول بعض المنتقدين على الاحتلال ان هذا الحكم سياسي ويقول من ينتصر
للانكليز في كل شيء بل هو قضائي عادل وعندني أن الأوابن هم المنتصرون لان القوم
اذا كانوا يعتقدون أن الحكم القضائي العادل الذي هو انحصار المساواة في مثل هذه
الواقعة يجرى الفلاحين على جيش الاحتلال لتعصبهم أو لخشوتهم وان هذا الجيش اذا
لم يكن مما لا تطمح الفروس الى الجراة عليه فانه لا يمكن للمخاضين ان يقيموا في البلاد وكانوا
قد قسوا في الحكم للإهاب وإقال هذا الباب فان السياسة المتبعة في كل زمان
تقول لهم أصبتم في التكيل بضمه رجال وعتابهم باكثر مما يحكم به العدل في
القصاص العادي لمنع حدوث فن ربما أدت الى قتل من لا يحمى من الرجال
وافساد كثير من الأعمال. واذا نحن قلنا ان هذا الحكم قضائي لاسيما يقول
لنا المتقدم ابن القانون أو الشرع الذي نبى عليه الحكم ومي كان الرأي المجره
قضاء عادلا وكيف يكون من العدل قتل كثيرين بواحد وجلد كثيرين وتعذيبهم
طول الحياة لجرح بعضهم من يكفي لسفاته أيام معدودات ؟
فاللائق بمقام الانكليز في الوجود ان يكون الحكم سياسيا وان كانت السياسة
مجهولة للفلاحين ونسأل الله ان يوفق الحكومة والمسيطرين عليها الى الطريقة المثلى لحفظ
الأمن وتهذيب الفلاحين ايمتع العدوان الذي أصل في البلاد بضمف الدين وقوة الجهل
وزوال هيبة الحكومة وان لا يمود مثل هذا الخطأ في الفهم بين الخنئين والمصريين آمين

✦ وفد الشريف الى اليمن والثورة ✦

بلغنا ان الشريف أمير مكة المكرمة أرسل وفدا مؤلفا من أحد الاشراف وأحد العلماء وثلاثة نفر تابعين لها الى زعيم الثورة في اليمن ليقنعه بالخضوع لدولة العلية . والدولة لا تزال ترسل الجيوش الى اليمن تباعاً والثورة تزيد قوة وامتدادا وان قليلا من العدل والحكمة خبر من ذلك كما وأتى لنا بهما

✦ لدولة وموتمر الأديان في اليابان ✦

بلغنا ان ما شاع في مصر وكتبنا في جزئه سابق من ان السلطان أرسل وفدا الى مؤتمر الأديان في اليابان غير صحيح واليابان طالبت منه ذلك فلم يجب وقد كتب من الاستجابة الى بعض الناس هنا بذلك قال الكاتب وانني قبل ان أكتب هذا قد اجتمعت بأحد مدحت أفندي الذي ذكرت الجرائد المصرية انه أحد أعضاء الوفد

﴿ الى وكيل المنار الصديق في تونس ﴾

قد بسطنا رجاءنا لو كبل المنار الفاضل في الجزء لآخر من السنة الماضية والجزء الاول من هذه السنة بأن يتفضل علينا بالحساب عن السنين التي نكرم بقبول الوكالة فيها فلم يجر جوابا ولكن صديقه الحميم الذي من علينا بأن نعهد اليه بالوكالة وكفه القبول كتب لنا فيما كتب بأنه قد بادر الى محاسبة المحصل وأنه أرسل طائفة من النقود التي حاسبه عليها وأنه لا يابث أن يكتب لنا بيانا بتصفية الحساب عن مدة وكالة صديقه . ولما طال العهد بالوعد كتبنا اليه نذكره فلم يرجع لنا قولا ولكن جاءتنا طائفة من النقود في حوالة من المحصل على البريد فاضطررنا الى التذكير بلسان المجلة . ولا يعزب عن فهم الصديقيين الأديبين اننا أحوج الى بيان الحساب منا الى ما أرسل من النقد لأن سنة المنار التاسعة قد انتهت بهذا الجزء ونحن لانعرف ممن سدد قيمة الاشتراك الا من جرت عادتهم بإرسال ما عليهم لنا ولعلمهم لا يبلغون عشرة في المئة من مشتركي تونس ولهذا يتعذر علينا ان نطالب أحدا منهم بشيء ما لم نطلع على نتيجة أعمال الوكيل ، وما كان من أمر التحصيل ، فمسي أن يتفضل الصديقان بالبيان المنتظر ليدني لنا عرفان ما هنالك من حقوق المنار ، ونستريح من ألم الانتظار ، ونشكو لها الشكر الصميم ، وأعمالنا بالحواتيم ،

بؤني الحكمة من ينشأ من بؤن الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يند صكر الأولو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيؤمنون أن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوتاً وهو منارة كمنارة الطريق

﴿مصر - رجب الحرام سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦﴾

سيرة السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

تابع لما نقل عن الأحياء

« وحكي أن حطيظاً الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال أنت حطيظ؟ قال نعم سل عما بدا لك فأنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال إن سئلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوقبت لأشكرن . قال فما تقول في؟ قال أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة . قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال أقول أنه أعظم جرماً منك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم . قال فقال الحجاج ضموا عليه العذاب قال فأنتهى به العذاب إلى أن شق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون تصبة تصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً . قال فقيل للحجاج أنه في آخره قال فقال أخرجه فارموا به في السوق . قال جعفر (أبي راوي الحكاية) فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيظاً ألك حاجة فقال شربة ماء فأثوره بشربة ثم مات وكان ابن ثمان عشرة رحمه الله تعالى

وروي ان عمر بن هبيرة (والي العراق لبي أمية) دعا بفتحاء أهل البصرة
وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرأها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً
الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء الا وجد عنده منه علماً ثم أقبل على الحسن البصري فسأله
ثم قال هما هذان - هنا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل أهل البصرة يعني
الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن فأقبل على الشعبي فقال يا أبا
عمر واني أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة
ابليت بالرعية ولزمني حقهم فاننا أحب حفظهم وتمهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم
وقد يلزمني عن العصاة من أهل الديار الا امر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من
عظائمهم فأضمه في بيت المال ومن نبتني ان أردت عليهم فيبلغ أمير المؤمنين اني
قد قبضته على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا انفاذ
كتابه وانما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي اشباهه من الامور
واية فيها على ما ذكرت قال الشعبي قلت أصلح الله الأمير انما السلطان والله
يخطئ ويصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال فله الحمد
ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول
انه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابليت بالرعية
ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتمهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك وحق عليك
ان تعوطفهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استرحني رعية فلم
يخطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة» (١) ويقول اني رأيت ما قبضت من عظائم ارادة
صلاحهم واستصلاحهم وان يرجعوا الي طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين اني قبضتها
على ذلك النحو فيكتب الي ان لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع انفاذ
كتابه وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين والله احق ان يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق فلعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً
لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه

(١) رواه البهوي باسناد ابن والشيخان وغيرها بالمعنى

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزيدك عن سر برك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك فمدح سلطانك ودياك خلف ظهرك وتقدم على ربك
وتنزل على عمالك يا ابن هبيرة ان الله ليمسك من يزيد وان يزيد لا يمنك من
الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة في معصية الله واني احذرك بأسه
الذي لا يرد عن القوم المجرمين: فقال ابن هبيرة اربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض
عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفضل وانما ولاء الله تعالى ما ولاء من أمر هذه الامة لعلمه به وما يعلمه مما فضله
ونيته: فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من ورائك بسوط وسوط وغضب بغضب
والله بالمرصاد يا ابن هبيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على
أمر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يفرح ويمسك فقام ابن هبيرة وقد بسروجه
وتغير لونه قال الشعبي فقلت يا أبا سعيد أغضبت الامير وأوغرت صدره وحرمتنا
معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرف
وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا ما أدبي اليه وكنا أهلا أن
يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الامثال الفرص العربي
بين المقارن (١) وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عزوجل وقلنا مقاربة لهم
قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحايه

وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس أمير
المؤمنين ابي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى
الفقاريون وشكوا الى ابي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين
سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد
انهم أهل تحطم في اعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعتم فقال
الفقاريون يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير
الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

(١) وفي نسخة المقاريف وكلاهما جمع مقرف كحسن وهو ما كان ابوه زهير

عربي ويقال به الهجين

فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك فقال ما نقول فيّ قال تصفني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجملته في غير أهله وأشهد أن الظلم يبابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فتبص عليه ثم قال له أما والله لولا أني جالس هنا لأخذت فارس والروم والنديم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقسما بالسوية وأخذوا بأفقاء فارس والروم وأصغروا آذانهم قال فعلى أبو جعفر قفاه وخلي سبيله وقال والله لولا أني أعلم أنك صادق لتقتلك فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين أني لأنصح لك من ابنك المهدي قل فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سررتني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي فقال يفر الله لك يا أبا عبد الله كنا مهدي كنا كان في المهدي وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث اليّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد عليّ واستجلسني ثم قال لي ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي قل قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد ألا أخذ عنكم والاعتباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أنك لا تجهل شيئاً مما أقول لك قال وكيف لأجبه وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك واقدمتك إليه قال قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فانتهره المنصور وقال هذا مجلس مشوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانسطت في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فأحسها نعمة من الله سمعت إليه فإن قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه يزيد بها أثماً ويزداد الله بها سخطاً عليه» يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعسا وال مات غاشياً

رعيته حرم الله عليه الجنة» (١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امثلكم لكم حين ولا كم أمورهم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيا مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمدا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط اه فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تفتق عليك دونهم الابواب ولا تقم دونهم الحجاب تبهج بالنعمة عندهم وتبتسبب بما أصابهم من سوء، يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تمايلكم أحرمهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعت منهم فئام وراء فئام وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية دخلتها عليه ، أو ظلامه سقتها اليه، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يسمك بها ويروع بها المنافقين فأناه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ايشارهم وسفك دماءهم وخرّب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيّبهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فأناه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا منكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الأعرابي قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك ابدا ولو على نفسي فدعا له بخير (٢) يا أمير المؤمنين قد سألت جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امانة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تحميها خير من امانة لا تحميها » (٣) نصيحة من لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لا يفتني عنه من الله شيئا اذ أوحى الله اليه (وانذر عشيرتک الاقربین) فقال يا عباس وياصفية

(١) رواه وما قبله وكذا حديث الجريدة الآتي ابن ابي الدنيا في مواعظ

الخلفاء وابونعيم وابن عساكر والبيهقي في الشعب (٢) رواه من ذكر وابوداود والنسائي

(٣) رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي وابونعيم وابن عساكر

عبي النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست أغني عنكم من الله شيئاً ان لي عملي
والكم عملكم (١) وتدقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقبم أمر الناس الا حصيف
التمل أرباب امتد لا يباع منه نلى عررة ولا يخرف منه نلى حررة ولا تأخذة في الله
لوهة لائم وقل الامراء أربعة فامير قروي ضف (أي منه) نفسه وعماله فذلك كالجاهد
في سبيل الله يد الله باسعة - ايه الرحمة وأمير فبه ضف ضف نفسه وأرتم عماله لضفه
فمرو على شفا هلاك الا أن برحه الله وأمير ضف عماله وأرتم نفسه فذلك الحطمة
الذي قل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة الحطمة » فهو الهالك
وحده (٢) وأمير أرتم نفسه وعماله فهلكوا جميعاً :

وبعد أن أحال في وعظه بما حذفنا به اختصاراً قل

« يا أمير المؤمنين من أشد الشدة اقيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله
انتقوى وأنه من طالب الهز بطاعة الله رفهه الله وأتزه ومن طالب به صبة الله أذله
الله ووضع فمذه نصيحتي اليك والسلام عليك : ثم نهضت فدل لي الى اين فقات
الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فدل اذ اذنت لك وشكرت لك
نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعاليه أتوكل وهو
حسبي ونعم الوكيل فلا تخاني من مطالعتك أي بي بمثل هذا فانك المقبول القول
غير المتوهم في النصيحة : فقلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن مصعب فامر
له بهال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقل أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع
نصيحتي بهرض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك
« وعن ان المهاجر قل قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا
فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به
فاذا طلع الفجر جمع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقبمت الصلاة
لبصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطرف اذ سمع رجلا عند
الملتزم وهو يقول : اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه مخرجو الاحاديث السابقة ومسلم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظلم والطمع: فأسرع المنصور في مشيئته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجدين وأرسل إليه فدعاه فاتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين فصلي ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا الذي سمعته بك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني . فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي انبأتك بالأمور من أصولها والاعتصمت على نفسي ففيها لي شغل شاغل . فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح مآثر من البغي والفساد في الارض أنت: فقل وبمحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في بدني والحلو والحامض في قبضتي: قل وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأنتقلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجننت نفسك فيها عنهم وبهتت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا ظلمة إن نسيت لم يذكروك ، وإن ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ، ولا أحدا الا وله في هذا المال حق ، فلصار آك هو لاء انفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يجيبوا عمك تجبي اليك الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا نخونه وقد سخرنا فآثمروا على ان لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالفهم أمر الا أفصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما تشر ذلك عمك وعنهم أعظمهم الناس وها بهم وكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والوال ليقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك ليناوا ظلم من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بنيا وفسادا وصار هو لاء القوم شمرك في سلطانت وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان أراد رفع صوته أو قصته اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفك للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك

الرجل فيبلغ بطانتك سألو أصحاب المظالم ان لا يرفع مظالمته وان كانت للمظالم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزل المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويمتل عليه فاذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضرا بامبرحاليكون نكالا لغيره وانت نظرو ولا تنكرو ولا تغير فما بقاء الاسلام وأهله على هذا . ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلالته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي الى أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الاسلام فيبتدرونه : مالك مالك ؟ فيرفعون : ظلمته الى سلطانهم فينصف . ولقد كانت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض العيين وبها ملك فقدمتاهمة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه مالك تبكي لا بكت عيناك فقال أما اني لا أبكي على المصيبة التي نزلت بي ولكن أبكي لمظلوم صرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قل امان كان قد ذهب سحبي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يابس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رافة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك «

وبعد ان أطال في موعظته وخوفه من الله وعذاب الآخرة بما حذفنا به هذه الاختصار بكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخفق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر من الناس الا خائنا فقال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هر بوا منك مخافة ان يحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الابواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل . وانا ضامن على ان من هرب منك أن يأتيك فيما ونك على اصلاح أمرك ورحمتك . فقال المنصور اللهم وفقني ان أعمل بما قال هذا الرجل

(المنار) أليس ملوكنا الآن أحوج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين أليس حالهم شرا من حاله وملكهم دون ملكه وهروب الخيار منهم أكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم أشد من خطره عليه في زمنه ؟ بلي ولكن أين العلماء الناصحون ؟

المعارف في مصر قبل الثورة العرابية

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا في طور جديد من الإصلاح الحقيقي وكان الفضل الأول في تنفيذ ذلك لرياض باشا وكان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلا مفكرا وروحاً مديراً اذ كان برئاسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كما سيطر على جميع أعمال الحكومة كما بيانا في ترجمته من المجلد الثامن . ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقادا كان له شأن عظيم في اصلاح شأنها واننا نورد هنا بعض مقالاته نقلًا عن الجزء الثاني من تاريخ حياتها (الذي يطبع الآن) وهي

وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ - ٧٠

ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثير تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكانهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كفتهم الحكومة امر ذلك كله بشباتها وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيئتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جيراننا من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتناكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجهين آمالهم الى نظارة المعارف المصومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاما كثيرا اذ كره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن تحت شروط لا بد من استيفائها (ولنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريبا على الأذان وحشيا عن القلوب يساق الناس اليها (كأنما يساقون الى الموت) اذ كانوا يظنون ان الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

هو الشقاء الدائم والبلاء المحتم و بعض الناس بعد التنبيه كانوا لا يرون خطة أرفع من خطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للكاتب من المكانة عند المحكم والتصرف في الحقوق فاكثفوا بإرسال ابنائهم الى الكتبة يعلمونهم حتى اذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطوَّبة بدون حاجة الى مدرسة ولا مكتب منتظم وبعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت توجد له أسباب تمنعه من تربية أبنائه فيها اولئكَنا لا نبيد بها وأما في أيامنا هذه فتمت تنبّه العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حق الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء تربية أبنائهم من الآن فصاعداً على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهالة السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظيف في الخدمات الميرية أو طلب الكسب من وجوه آخر ولهم شوق تام الى كسب فضيلة العلم فلا تساعد أحوالهم بالضرورة على الرجوع الى التعليم في مكاتب الاطفال وتعطيل اسباب معاشهم فيود الكثير منهم ان تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الأزمنة السابقة أزمنة جهل آباءهم لعلهم بذلك ينفعون أنفسهم وبلادهم بأكثر مما يقدرون عليه الآن حتى اهتم بعض من الشبان من مدة نحو سنتين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعد المقادير على النجاح وكانوا في انتظار توفيق السهي يسوق اليهم ذلك الخير حتى سمعوا بان نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سبقت لنا نودي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة ان تكون دروسها باللغة الفرنسية خاصة ولا يقبل فيها الا من كانت عنده مبادئ الرياضيات والطبيعات وله تقدم في اللغة الفرنسية وقالوا ياسبحان الله ان المدارس الليلية في البلاد المتقدمة تُقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتحاشي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الغربية أو العسرة التفهيم وذلك لفائدتين (الاولى) ان كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه ان يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تفرهمة الذين لم ينالوا حظ التعليم في صغرهم وينتشر العلم حقيقة اذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أشغاله النهارية (والثانية) انه اذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العلمية لقر بها الى الفهم كاحداثيات تسلي
بها النفس بل الذمّن ذلك اذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا ويخرج بنور جديد
فتجذب نفوس الناس الى مستملحات العلم فبدل صرف أوقات ليلهم الطويل
في مضاجعهم يتقلبون من جانب الى جانب أو في بيوتهم بمحادثات لا طائل
تحتها أو في أما كن أخرى تتحاشى عن ذكرها يهرعون الى مههد العلم ليفقدوا
عقولهم ويروحوا قلوبهم ولم نسمع ان أمة متمدنة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها
ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجليلية في بلادنا واخترعت طريقة جديدة وهو
جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد بالكلمة لا يفهمه
المتفهم منهم ولا العامي والعلوم التي يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس
الذين هم أحوج الى التعليم وأولى به وهم الخدمه وأرباب الكسب المحبون لنيل
فضيلة العلم ولا يستطيعون، ويثلهفون على ذلك ولا يجدون، وهو مما يجب الاسف
خصوصا وقد تواتر على الألسنة ان غالب من قبلوا فيها أجانبا (وان كان ذلك
غير صحيح فعندي علم اليقين بأن الأكثر وطنيون لكن من الذين تعلموا في
مدارس الفرير ونحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فترقين حتى صارت
مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أبقنا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون
من ذلك شيئا أولا حظت نظارة المعارف انها بذلك تستحصل في زمن قريب
على أساتذة نجعلهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فان كان هذا الوجه الاخير قلنا
انها ستجمل (مدرسة الخوجات) نهارا فلها أن تزيد في عدد تلامذتها ماشاء لهذا
الفرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتمدنة لتأتى لنا الوصول
الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينتظم في تلك المدرسة
ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلها لكن منعه كون التدريس بلغة أجنبية وكون الدروس
فوق البدايات وان كان الثاني قلنا ان الاستعداد والشوق موجودان في كثير من
الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شباننا الى هذا
الحد وان كان الاول قلنا الاولى ان لا نتكلم واننا وحق الحق لفي حاجة كلية
الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستبدا بما أخذناه من البدايات سهل الوسائل ميسر الأسباب

بالفة بلادنا عامة أو خاصة حتى تنقطع حجة الجاهل و يبطل برهان المكاسل
وتنبعث الفيرة في الكل اذا أقبل البعض على التعليم و يقع التنافس في الفضائل
و يجد الشبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا وتوهمهم الذمة و تلعنهم ضمائرهم
اذا تركوه اذ لا يجدون لهم علة يتعلون بها اذ ذاك بل يرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم
اللي اجباريا عاما لكل مستخدم وقارىء لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا
لضرورة تمنه من مرض ونحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين
في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدرون على تحقيق
القضايا وحل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنائيات والحقوق والحسابات ونحو
ذلك وهذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة وذوي عقل وافر
وهذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد
الاستقلال في سيره

هذا حاصل أقوال الناس في شأن المدرسة الليلية التي افتتحها نظارة المعارف
قريبا وربما كانت تلك الأقوال - صحيحة لكن ان صح ما قالوا فليهم بتقديم
آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليترى فيها ثم يجيبهم الى مطروحينهم ان رآه موافقا
وخاليا من الموانع والمخزورات والافتقار بأن تهيم النفع غير ممكن فحينئذ يعلمون
الحق ويربحون أنفسهم من الجدال ولهم أقوال في مواضع شتى يمنعنا من
ذكرها في هذا العدد ضيق المقام وربما نذكرها غدا ان شاء الله

وكتب في العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها وأفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق ونذكر
بعضها في هذا العدد حفظا لمتفرقات الأقوال لعل شيئا منها يقارن صحة فيصادف
قبولا وليكون ذلك دليلا على تنبيه الافكار والتفات اذهان الناس الى النافع الحقيقي قالوا
نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشورا مبسوط العبارة مشحونا بالعلماني
الرفيعة قاضيا على نظار المدارس والمكاتب ومعلميها بوجوب التفاهم لوظائفهم وقوامهم

بواجبناهم مبينا لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريفة الجديدة قد أظهرت أن في بعض المدارس قصورا في التعليم وفي بعضها كالأوزيادة فاستوجب موظفو الأولى التوبخ والانداز وموظفو الثانية الشكر والثناء فعلى الجميع من الآن فصاعدا بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة نفعلا وتبصر الاحفظا ولقائمة و بين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهيم وانذر من لم يحذ حذوها بوقوعه تحت مسؤولية الديوان

فأشرحت صدور العامة والخاصة بهذه التسيبات الأكيدة والتعليمات المفيدة وقلو العمل بهذا المنشور لا طمأنت نفوس الكافة الى تربية ابناءهم في مدارسنا التي يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليرتبي بها على توالي الازمنة رجال يكونون فخر البلاد وحماء زمارها فتدكالت النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس الفرير والانكليز والامريكان والبروسيان وغيرها عامرة بأبناء الأهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منهم اللادق بشأنا ولم يكن ذلك الا لما أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع سراع الآداب التي يفرح بها الوالدان والاقارب في المدارس الاجنبية واغفالها في مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فان التفات سمادة ناظر المعارف الى كيفية التعليم وتشديده في ان تكون على وجهها الحقيقي مما يعيد الآمال ويقويها

الا أنهم يتساءلون فيما بينهم بسوء الآلات كثيرة منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتحان اجتهادهم من النظار والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبة وهي من أجل المكافأة وأجملها ولها تأثير في جلب الرغبات وتقوية العزائم لكنها لا تلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المعاشية فان من ضاق عليه العيش وكانت حاجاته أكثر من اراده لا تنفك عنه الوسواس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتقلب مننصات الحاجة وآلامها على الفرح الذي أنهته عند ماسمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهاده ويحبط من همته بل ربما أورت خلافا في كيفية تاديبه لوظائفه خصوصا اذا

رأى غير المجتهد مماثلاً له في الرزق وأوفر راتباً منه ولقد صدق القائل النقص من الرواتب نقص من الاعمال: لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع أن المسوع إن ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستفراقها بل نود لو يزداد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الغرض منه حق الإدراك وإذا أدركوه فهل يوجد عندهم من اقوة العملية والتدريب على الطرق الجديدة ما يؤهلهم لأجرائه والسير بمقتضاه بحيث تحصل النفاية منه بمجرد نشره أو أن الكثير منهم محتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتمرن عليها والبعض ربما لا يمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم وهل امتحن المعلمون والنظار كما امتحنت التلامذة وعلم المستعد منهم وغير المستعد بوجه الدقة والضبط حتى إذا وجد منهم من لا يليق لوظيفة أنزل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع إلى ما يستحق لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتخشى عواقب الجهل والاهمال ويتوفر على المعارف زمان تجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خساراً على التلامذة المساكين ولا تقصد بالامتحان إلا السؤال في الفن الذي يعلمه فإذا تبين أنه يمكنه الاحاطة بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عدّ عارفاً ثم طاب اللقاء والتدريس وكيفية التفهيم قرب عالم لا يستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفون بفنونهم قادرين على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألفوا بعض الطرق العتيقة وتعودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وإن كانوا علماء بفنونهم والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علماً ويهجز عن تمرين المعلم عليها عملاً والبعض يوجد خالياً من الأمرين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذه كل ذلك يزعمون مشاهدته بالعيان ويوجد بين المعلمين صنف من النباه لا يجب أن يجهد نفسه في التعليم ويكتفي في درسه بحكاية بعض ما وقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف فهل تعينت هذه الأوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضله وعرف الناقص مقدار نفسه وأنزل كل منزلته؟ هل اختارت نظارة المعارف لأجراء هذا المنشور أشخاصاً

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هذا ليقفوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلاً ويقدموا جميع ما يرونه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فإن رأوا نقصاً عرفوا سببه ومن أي الجهات منبئه وإن كان اعء حاجاً في طريق التلميذ ارشدوا المعلم بأنفسهم وبينوا له الطريق مرة بعد أخرى فإن اعتدل والا اعتزل ويكون أولئك الاشخاص تحت مسؤولية شديدة اذا ظهر فيما بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فإن ذلك يبعث الغيرة وينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل الى المقصود باقرب الطرق المؤدية اليه ويسهل تدارك الخلل اذا ظهر وازالة النقص اذا طرأ؟ هل دقت نظارة المعارف في معرفة اخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الاطفال في كفالتهم يدبرون أمورهم ويرشدونهم الى كمالهم وفصلت بين صاحب الاخلاق الفاضلة والافكار المستقيمة والهمة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم اليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكاله درسا آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتنتجع هذه الكمالات في نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية وبين من لا اخلاق له بأن يكون أحمق أو دينيئاً أو عديم الغيرة والذمة أو رديء الافكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرته التلامذة لهم موجبة لتلوهم بالذائل وتكون كوائه في الدرس ممزوجة بسم الفساد فتتبع أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلاً وقد ضاع الزمان وولى الشباب واما علما صناعيا مصحوبا بشرور تعود على صاحبها بالشقاء وياليتها تكون قاصرة عليه ولكن تتعدى الى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بارشاد الرقابا النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والامانة في الخبر والصدق فيه يميز الخبيث من الطيب ويبحث عن المستقيمين على قدر الطاقة في انحاء البلاد لتفويض اليهم تربية الاطفال والشبان ليكونوا رجالا ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أملاً بمحصولها على رجال تقيمهم في وظائفها الكثيرة يؤدون واجباتها بالضبط والامانة

يقولون انه لاشك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلاً ليست أساليبها سهلة المأخذ على التلامذة ولا موافقة لطريقة التعليم في المدارس من اشتغال التلميذ بفنون كثيرة في زمان واحد وأنه يلزم إيجاد طريقة جديدة في التأليف وازالة كثير من الصعوبات التي عاقت كثيراً من الناس عن التعليم فهل حصلت العناية بتصنيف تلك الكتب وان حصلت فبمن أنيط تصنيفها وهلا شكل مجلس للنظر في مثل تلك التسهيلات ودعي اليه أعضاء ممن لهم سعة في الفكر والاطلاع على الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي تدريسها في أي الفنون حتى يثنأى اجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال من المحقق ان سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في سفره الى الجهات البحرية قد رأى أموراً كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة المعارف أشياء مهمة لا بد من تقريرها والاسعاف بها فهل أجيب طلبه وحصلت المذكرة في تلك الآراء القوية التي أبدأها حتى يفرغ من تنفيذ مقتضاها الى البحث في غيرها من الجهات القبلية

هذه جملة من سوء الاتهم سردناها للاحاطة بها وإنا نحجيب عن ذلك بأن نظارة المعارف هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لا تفعل شيئاً مما تعلمه نافعاً ومفيداً ومن اليقين أنها لا تشرع في شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبتة قد أعدت لمقاصدها وسائل اذ تعلم ان زماننا هذا لا يرى فيه الا الأثر الظاهر ولا يؤثر عن رجاله الا الاعمال الحقيقية أما صدور الأوامر والنطق بالالفاظ العالية بدون ترتب فائدة عليها فقد مضى وقته وان الآمال متعلقة برجال تلك النظارة العرفاء الاجلاء كسعادة ناظرها الاكرم الحريص على تقدم العلم والغيور الرفيع الالهة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الخاضق وكيل المسكناب الالهية حضرة على بك فهمي وسنرى من أعمالهم ما يرفع جميع هذه الأوهام ويفتح للمعارف في عصرنا هذا ناريناً جديداً فهذه هي الفرصة التي نرى فيها الحكومة للمالية مساعدة على نشر المعارف وتأييدها فطيناً ان لا تضيحها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٦ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من المحقق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية مهارا عن التعليم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه ولهم من اوقات الليل الطويل فرصة لا يضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا في تعلم ما ينفعهم ويزيدهم نورا وبصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي لغة بلادنا وقرأ فيها درس باللغة الفرنسية يكون قاصرا على تعليم اللغة لا غير بتدأ فيه من الهجاء الفرنسي الى نهاية ما يلزم ان يتعلم في تلك اللغة اما دروس اللغة العربية فمنها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها ما يكون في بعض علوم آخر نافعة من آداب وتاريخ احوال الامم وتاريخ طبيعي وبعض مبادئ الرياضه (فيما سميت) بحيث لا تنقص عن تلك المدرسة التي سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخوجات الليلية) في جوهر ما يقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك اجنبية وهذه آخذة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله للوطنيين وتلك لا تنوسم فيها ذلك الا ببرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لا تضرب في المقصود ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الاجنبية يعد فضيلة يسمي اليها ويهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لا فضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية تقصد وانما هي وسيلة لا احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والافكار التي ربما لا تكون مبسوطة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الاجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنسية مثلا اذا لم تكن عنده مبادئ علوم وملكة ادراك في بعض الفنون التي يطلب التفنن فيها لا يعد مصيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادئ حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة يتيسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم الليلين قاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون منها بعض مبادئ العلوم كما عزمت عليه نظارة المعارف الجليلة التي لانزال نرى مساعيها في تقدم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يخلد لسادة ناظرها ووكيلها طيب الذكر والثناء

وبافتتاح هذه المدرسة يفهم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة الليلية وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهاننا فعليا لاجدليا يقنع الناظرين ويفهم المتخصصين ويذهب بتعللات المتعلمين ومطالبنا لأصحاب تلك الافكار بالبرهان الفعلي أيضا وهو توجه الهمم الى التعلم وافراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تظهر فوائد هذا الاثر وانا على يقين من أن المستخدمين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يعرفون قدر المعارف ويقدرونها حق قدرها يجيبون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم لي طلبهم ويكون اجر بدة الوقائع المصرية شرف الإخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الامر وما فيه اه

(النار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة في المعارف فهي سبب انشاء المدرسة الليلية العربية وسبب اشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة فقيدنا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حادي الاصلاح ومرشده في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد الى حديث الناس لان الكاتب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيرا من انتقاد واحد وما لاس الباحثون المنتقدون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان الفقيه واستاذ الحكيم عقله المفكر ولسانه الناطق . أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب العهد بالازهر واسلوب السجع في غاية السلامة وله مقالات أبلغ منها عبارة لانها أرقى موضوعا وفكرا وسنورد للقراء نموذجها

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿ آراء وأفكار ﴾

للكنور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طه

هذا عنوان مقال لي جديد ، أريد أنه أفصح فيه عن رأي أئديه لعلماء المسلمين ، المحققين منهم لا المقلدين ، حتى إذا ما كنت مخطئاً أرشدوني ، وإذا ما كنت مصيباً أيدوني ، وبشي من علمهم أمدوني ، فاني لست ممن يهوى الإقامة على الضلال ، ولا ممن يلتذ بمحدث مع الجهال ، فلذا أجهد النفس في تحقيق الحق وتمحيصه ، والاسراع إليه إذا بدالي بارق من بصيصه ، وهاأناذا أشرع في إيضاح المقصود بالتدقيق ، راجياً من الله التوفيق ، للهداية إلى أقوم طريق فأقول : -

لاخلاف بين أحد من المسلمين ، في أن متن القرآن الشريف مقطوع به ، لانه منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولا نقصان ، ومكتوب في عصره بأمر منه عليه السلام ، بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقاً إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل ، ومن ذلك نعلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . فلو كان غير القرآن ضرورياً في الدين لأمر النبي بتقييده كتابةً وتكفل الله تعالى بحفظه ولما جاز لأحد روايته أحياناً على حسب ما أداه إليه فهمه .

فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاتيان بمثله " ولم يضمن ما في الأحاديث من الواجبات كما ضمن ما في القرآن حتى نأمن عليه من التفسير والتحريف والاختلاف ؟ ولم كان بعض الدين قرآناً والبعض الآخر حديثاً وما الحكمة في ذلك وما الفرق بين الواجب بالقرآن والواجب بالسنة ؟ فهذه بعض أسئلة ألقها على الباحثين ليحييوا عنها إن كان ثم جواب .

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم (هل يجب الوضوء من التقي ؟) فأجاب عليه السلام (لو كان واجباً لوجدته في كتاب الله تعالى) فهذا الحديث صح أو لم يصح فالمقل بشهده ويوافق عليه وكان يجب أن يكون مبدأ المسلمين لا يحدون عنه . ولكن ويا للأسف

لحق المسلمين ما لحق غيرهم من الأثم فدفع بهم في ظلمات في بحر لحي يتشاه موج من فوقه
موج من فوقه سبحانه ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج أحد منهم يده لا يكاد يراها ومن لم
يجعل الله له من كتابه نوراً فإنه من نور

ولع الناس في الأعصر الأولى بالروايات القولية ولو عاوتها خروا بسكرة جمها
جموعاً حتى ملأت الآفاق وكثرت فيها التضارب والاختلافات وصار من
المستحيل أن يعمل الإنسان بدينه بدون أن يقلد غيره ممن أقنوا أعمارهم في عمل مذهب لهم
فأصبح التقليد من أوجب الواجبات في دين المسلمين بعد أن كان من الأدعاء القرآن
المجيد . تنوعت المذاهب واختلفت المشارب وتعددت الآراء في كل فرع من فروع الفقه حتى
تجدد في كل مسألة أن كل ممكن من الممكنات العقلية قد صار مذهباً لا حداً لثمة ووجب على
المقلدين القول (بأن السكك على الحق) فأصبح القول باجتماع الضدين بل النقيضين عقيدة من
عقائد الدين بين المسلمين فحق عليهم القول بأن سيتبعون سنن من قبلهم حتى لو دخلوا جحر
ضب لدخلوه . أراد بعضهم أن يزيل عن العين الرمد فقال بسد باب الاجتهاد . وبذلك شفى
الرمد بالأعماء . فصار كل من أراد أن يستعمل عقله في الدين رموه بأنه من المارقين . وهكذا
ضاع الحق بين الأباطيل : ولولا عناية الله لا زهقت روحه الأضاليل

نظر المجتهدون في الأحاديث نظرة فعلموا ما فيها من الاختلاف . ونحقتوا أن أكثرها
موضوعات . ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهباً اضطر أن يرفض منها ما صح عند غيره .
فهل يعقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله ؟ وهل يعذر
المسلمون في تركهم القرآن خلف ظهورهم والاشتغال عنه بهذه المذاهب وصرف الوقت في
مراجعة الروايات التي لا تحصى لظنهم أن القرآن غير واف بالدين كله . والله تعالى يقول
(ما فرطنا في الكتاب من شيء) . وإذا صحت مذاهبهم فأي تضييق أكبر من ترك القرآن
لاكثر واجباتهم في الصلاة والصوم والحج والزكاة وغير ذلك ؟

دين الله سهل ليسور . والتقليد فيه محذور . فلو كان العمل بما في الأحاديث واجبا للزم
كل مكلف أن يترك أي شغل آخر ويقضي الليالي الطويلة . في مطالعة المجلدات
الضخمة من كتب الحديث ؛ ليعرف الضعيف والصحيح والموضوع ؛ والحسن
والموقوف والمرفوع ؛ والناسخ والمنسوخ

فهل في شرعه الانصاف أني أكلف خطة لا تستطاع ؟
يحتج السنيون على صحة قولهم بنحو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولكننا نحن القرآنين نقول إن اطاعة الرسول لا نزاع فيها ولكن النزاع في مسألة أخرى وهي: هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه كتاب الله؟ فإذا كان ذلك صحيحاً فهل لأولياء الأمر أن يفرضوا علينا صلوات سبع بدل الخمس أو صيام شهرين بدل الشهر ونحن مأمورون بطاعتهم مثل طاعة الرسول؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال جميع أصحاب المذاهب ميزوا بين أمر الله وأمر الرسول أو بين الواجب والسنة وبين المفروض والمنسذوب؟ أليس ذلك إقراراً منهم بالفرق الهائل بين الكتاب والسنة؟

نحن لا نجعل أن كل مذهب منها يقول ببعض فرائض لأثر لها في الكتاب ولكن الذي نلاحظه على أصحابها ونشكرهم عليه أنهم كانوا دائماً يجتهدون أن يأخذوا دليلهم على الفرضية من الكتاب إن أمكنهم حتى أن كثيراً منهم قال بعدم وجوب أشياء كان النبي عليه السلام يواظب عليها ويأمر أصحابه بها إذ لم يجد دليلاً عليها من القرآن. فأبو حنيفة مثلاً قال بأن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بواجبة لأنه لم يجد أمراً بذلك في كتاب الله وكذلك قال في الاستنجاء. وذهب الجميع إلى القول بأن المضمضة والاستنشاق ليستا من فرائض الوضوء وغير ذلك كثير حتى أنك تجدهم يستنبطون كل ما قالوا بأنه فرض من الآية الواردة فيه. وبعد ذلك يقولون بأن ما زاد عليه فهو سنة ولو لم يثبت أن النبي تركه مرة واحدة. أليس ذلك أثر من آثار الفطر السليمة الباقية في نفوسهم؟

إذا نظرنا في جميع المذاهب المعروفة واستخرج منها جميع ما أجمعوا على وجوبه وجد أنه كله مستنبط من القرآن الشريف إلا مسائل قليلة جداً أذكر منها بعضها لأهميتها كعدد ركعات الصلاة. ومقادير الزكاة وما يتعلق بها

لا شك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلاً للنزاع. ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر في القرآن رأي أنه لا يجب. وربما كان ما يفعله النبي صلى الله عليه وسلم هو مندوب إليه ندباً شديداً أو أنه تطبیق لا وأمر القرآن الباقية على أحوال الأمة العربية بحيثان غيرها من الأمم لها أن تستنبط من الكتاب ما يوافق أمورها وأحوالها كما سنين ذلك في مسألة الزكاة ولنبدأ الآن بالبحث في مسألة ركعات الصلاة. قال الله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتن أن يفتنكم الذين كفروا وإن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً* وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) إلى آخر الآية . فيتمتع من هذه الآيات الكريمة . أن قصر الصلاة مباح في السفر إذا خفت الصدور وأن صلاة الخوف للامام ركعتان فقط وللمؤمنين واحدة يصلي نصفهم الركعة الأولى معه ثم يصلي النصف الآخر الركعة الثانية . وهذا هو المتبادر من القرآن الشريف وما ذهب إليه ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد فإذا كانت صلاة الخوف ركعة واحدة للمؤمن وظاهر من السياق أن هذا قصر أي دون الواجب فيكون الفرض في أوقات عدم الخوف هو أكثر من ركعة أي إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت من أوقات الصلاة أكثر من ركعة ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما شاء وبعبارة أخرى إن الإنسان يجب عليه أن يصلي ركعتين على الأقل وله أن يزيد عن ذلك ما شاء إن يزيد بحيث لا يخرج عن الاعتدال والقصد فإن الغلو في الدين مذموم وكذا في كل شيء (إن الله لا يحب المفسرين) ومن ذلك تعلم أن عدد ركعات الصلاة غير معين إلا بهذا القدر فقط وهو أن لا تنقص عن اثنتين ولا تزيد إلى درجة الإفراط وبعد ذلك فللمسلم الاختيار فيما يفعل على حسب ما يجده من نفسه ومن وقته . ولا يجوز له القصر عن الركعتين إلا فيما ذكره القرآن الشريف . والذي يدل ذلك من السنة على أن هاتين الركعتين لهما الشأن الأكبر في الدين ما يأتي :-

(١) أول ما فرضت الصلاة كان النبي عليه السلام يصلي دائماً ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزاً من إقامته بالمدينة . فان قيل لعل ذلك كان في أول الأمر لحديث عهد المسلمين بالاسلام فناسب أن يكون التكليف حينذاك خفيفاً قلنا إن اليهود في طباع البشر أن يكونوا عند دخولهم في دين جديد شديد الرغبة في القيام بجميع واجباتهم الدينية ويطلبون المزيد . وكلما طال عليهم العهد أخذوا في الهاون فيها . ولذلك كان المسلمون في أول الاسلام يقومون الليل بعضه إن لم يكن كله . وكما ازداد اضطهاد المشركين لهم كلما ازدادوا رغبة في الصلاة فلو كفوا بأكثر من ركعتين في أول الأمر لوجدوا في أنفسهم من الرغبة الشديدة في العمل ما لا يجدونه فيما بعد وخصوصاً لأنهم كانوا غير مكلفين بالجهاد ولا بغيره كالصوم والحج وغيرها . ثم لو سلمنا أن التخفيف في الصدر الأول كان لمرعاة جانب المسلمين الحديثي المهذب بالدين وهم إذذاك نهر قليل فلماذا

لا يراعى جانب من دخل في الدين فيما بعد وقد كانوا يعدون بالملايين؟ فلهذه الاسباب نحن نخذ هذه المسألة دليلاً على أن النبي ما كان يكتب بالركعتين في ذلك الوقت إلا لبيان أنهما أقل الواجب ثم زاد عليهما فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى.

(٢) إن النبي لما زاد عدد ركعات الصلاة كان يقتصر على ركعتين في سفره ولو لم يكن هناك خوف من العدو. ولو كان السفر قصيراً جداً. ولو أقام بالجهة التي سافر إليها بضعة عشر يوماً وزال عنه العناء والتعب. فلو كانت الزيادة واجبة لعد هذا تهاوناً وخصوصاً لأن القرآن لم يسمح بالقصر الا عند الخوف من العدو ولكنهم يقولون تحكماً ان هذا هو القصر المراد في القرآن ولا يبالون بمخالفة الظاهر منه ونحن نسمي ذلك (اكتفاءً بالواجب) محافظة على مقام القرآن الشريف ولا نقول في قوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) ان هذا القيد في الآية المذكورة آنفاً لا مفهوم له كما يقولون اتباعاً لمذاهبهم.

(٣) كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الاخيرتين وان جهر في الاولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن فهل يدل ذلك على أن منزلتهما أقل من الركعتين الاولين

(٤) إتنا إذا نظرنا الى عدد الركعات التي كان يصليها النبي في أوقات الصلاة مع قطع النظر عما سماه الجتهدون سنة وما سموه فرضاً نجد أنه لم يحافظ على عدد مخصوص فكان تارة يزيد وتارة ينقص ولذلك اختلفت المذاهب في عدد السنن وفي المندوب والمستحب والرغيب الى غير ذلك من التقسيمات والاسماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أصحابه ثم إن عدد الركعات التي كان يصليها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مختلف أيضاً فصلاة الصبح مثلاً أربع ركعات والظهر عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة. ولكن الشيء المطرد الذي نلاحظه أنه ما صلى وقتاً أقل من ركعتين ولا تقيد بعدد مخصوص وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه كل التأييد.

وأما كونه كان يصلي بعض هذه الركعات في الجماعة ويواظب على ذلك وإن كانت الصلاة رباعية أو ثلاثية لم يسلم الا مرة واحدة وأنا ترك سهواً بعضها أعاده وسجد للسهو فكل هذه أشياء لا يصح أن يرد بها علينا. أما صلاة الجماعة فهي غير

خاصة بالفرض فصلاة العيدين والكسوف والخسوف والاستسقاء وغيرها كان يصليها جماعة وكذا صلى بعض النوافل واما المواظبة على جعل بعض الصلوات أرباعاً أو ثلاثاً فهو لا يدل على وجوب ما فوق الركعتين لأن هذه المواظبة المزعومة غير مسلمة كما بينا ذلك فيما سبق وإذا سلمت فكم من أشياء واظب عليها طول حياته وقال بعض الأئمة انها غير واجبة مثل الاستنجاء أو الاستجمار ومثل قراءة الفاتحة في كل ركعة والمضمضة والاستنشاق وغير ذلك كثير جداً. وأما قرن الركعات بتسليمه واحدة فكم من أشياء قرنت بل من جت بالفرائض وقال الأئمة انها غير واجبة مثل كثير من أعمال الحج والوضوء والصلاة، ولم لا نتخذ نحن جلوسه صلى الله عليه وسلم دائماً بين الركعتين الأولى والأخيرة الأخرتين إشارة منه إلى فصل الواجب عن غير الواجب وكذا عدم الجهر في الأخيرتين وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة فيهما وأما إعادة ما تركه سهواً وسجود السهو فهو أيضاً غير دليل لأن السبب فيه هو أن النبي عليه السلام لما كان ينوي أن يصلي أربع ركعات مثلاً ويجد أن قلبه اشتغل بشي آخر انساه ما هو فيه كان يعد ذلك تقصيراً أو ذنباً فيسجد سجدتي السهو استغفاراً لله تعالى وطلباً للتصحيح عنه وذلك بعد أن يعيد ما كان نوى أن يصليه ونسيه عقاباً للنفس وان كان سهواً لا تفكر فيها أمر شريف يليق بالأنبياء فان حسنات الأبرار سيئات المقرين وليس سجود السهو هذا خاصاً بترك الفرض بل اذا نسي الانسان أي شيء مما نوى عمله لله حق عليه أن يفعله فاذا نوى ان يصلي مثلاً أربع ركعات فصلى سهواً ثلاثاً ثم تذكر فليصل ما نسيه وليسجد لله . قال عليه الصلاة والسلام (اذ قام أحدكم يصلي اتاه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى فاذا وجد ذلك احدكم فليسجد سجدتين)

واما الاحتجاج بالاجماع فهو غير حجة علينا لان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ما كانوا يعرفون اصطلاحاتها هذه الفقهية فلا يميزون بين ما نسيه نحن الان سنة او فرضاً او مندوباً او مستحباً بل كانوا يحافظون على كل شيء را والنبي عليه السلام يفعله . واما اجماع الخلف فلا نبياً به والاستشهاد بمحدث (لا تجتمع امتي على ضلالة) ان صح هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام فنحن لا نقول ان المسلمين اجتمعت في هذه المسألة على ضلالة فان من هرف ان الواجب عليه ركعتان على الاقل فصلى ارباعاً قلبيداً للرسول عليه السلام شكرناه وشكره الله ورسوله وزاد الله اجرنا وانما الفرض من هذا البحث هو توجيه المسائل عامياً ليس الا . وهو يفيدنا أيضاً في مسائل اخرى من الوجهة العملية فوأن لا تحصي

﴿ مبحث الزكاة ﴾

نذكر أولاً مقدار النصاب من الذهب والفضة والماشية وما يجب في كل من الزكاة حسب ماورد في السنة المتواترة (١):

| النصاب | ما يخرج من الزكاة |
|--|-------------------|
| (١) من الذهب ٢٠ ديناراً (أي ١٠ جنبيات تقريباً) | نصف دينار |
| (٢) « الفضة » ٢٠٠ درهم | ٥ دراهم |
| (٣) « الابل » ٥ جمال | شاة واحدة |
| (٤) « البقر » ٣٠ بقرة | عجل تبيع |
| (٥) « الغنم » ٤٠ شاة | شاة واحدة |

فالذي يكاد يحزم به العقل أن قيمة النصاب من كل لا بد أنها كانت عند العرب متساوية أي إن من كان عنده منهم ٢٠ ديناراً كان كمن عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جمال أو ٤٠ شاة ولذلك تؤخذ شاة واحدة ممن عنده ٤٠ شاة وكذا ممن عنده ٥ جمال. ولو لم تكن جميع هذه المقادير متساوية لكان هناك ظلم ظامر لبعض الناس دون الآخرين. وما يرجح أن هذه المقادير إن لم تكن متساوية فهي متقاربة جداً أن مالكا رضي الله عنه جعل القطع ليد السارق مشروطة بسرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم لتساوي هذين القدرين وعليه يكون نصف الدينار يساوي ٦ دراهم. وإذا لاحظنا أن ما يؤخذ من نصاب الذهب هو نصف دينار وما يؤخذ من نصاب الفضة هو ٥ دراهم أدركنا أن ما يؤخذ من كل هو متقارب جداً إن لم نقل إنه كان متساوياً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الأمر كذلك كان ثمن الشاة أو العجل التبيع هو ٥ دراهم أو نصف دينار أي نحو ٢٥ غرثاً صاغاً مصرياً بالتقريب. وذلك في مبدأ الاسلام وهي قيمة زهيدة جداً ولا شك أن هذه القيمة تختلف اختلافاً كبيراً بحسب البلاد وبحسب الازمنة ومن ذلك نعم أن ما ينته السنة للعرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع الأمم في الاوقات المختلفة ولذلك لم يرد شيء من ذلك في القرآن مطلقاً لانه هو الكتاب الوحيد الذي أمر النبي أصحابه بحمله بجميع الطلبن وترك أمثال هذه التفاصيل فيه لتصرف كل أمة في الامور بما يناسب حالها فيجب على أولياء الامر بعد الشورى ومراجعة نصوص

(١) قوله السنة المتواترة فيه نظر

الكتاب أن يضموا للامة نظاما في هذه المسألة وفي غيرها لتسير عليه . ولا يصح أن نحمد على ما وضع للعرب في ذلك الزمن جهودا يبعثنا عن العقل والصواب فان الذي عنده عشرة جنبيات أو خمسة جمال مثلا إذ عد غنيا عند قوم فلا يلزم أن يكون غنيا عند الآخرين ثم إن ربع الشهر إذ قام باصلاح حال الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين وبالنفقة منه على العاملين على الزكاة والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وفي تحرير الرقاب إذا قام بكل هذه الشؤون في زمن أو بلد فليس ضروريا أن يكون كافيا كذلك في زمن آخر أو في بلدة أخرى . ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تمييز شيء من ذلك في كتابه تعالى . وغاية ما ذكر فيه الحث على إعطاء الزكاة وأنها تؤخذ من أصحاب الاموال وأن تعطى من ثمر النخل والزيتون والرمان يوم حصاده ولنا أن تقيس على ذلك أن زكاة الاموال تؤخذ سنويا من أربابها وذكر فيه أيضا مصارفها التي أشرنا إليها سابقا

وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو بعبارة أخرى (والكتاب والقياس) وأما السنة فما زاد منها عن الكتاب إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه . وما فيها من الحكم الكثيرة نقبلها على العين والراس . وكذلك أي حكم من أي مصدر آخر

﴿ كلمة في الصوم والحج ﴾

أما الصوم فجميع ما اتفق على وجوبه المجتهدون هو واضح في القرآن وكذلك جميع أركان الحج وهنا يناسب أن أذكر شيئا عن تقبيل الحجر الأسود ردا على أعداء الإسلام فأقول

هذا الحجر موضوع في أحد أركان الكعبة وأصله علامة وضعها ابراهيم عليه السلام ليصرف به الركن الذي يبدأ منه بالطواف والظاهر أنه قطعة أخذها ابراهيم من جبل هناك يسمى أباقيس كما يستخلص من هذه الرواية (إن الله استودع الحجر أباقيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي يمني بي فإخرجه له فلما انتهى ابراهيم لمحل الحجر نادى أبو قيس ابراهيم فجاه فخر عنه فجاه في البيت) فهذه الرواية على ما فيها من الاوهام وكذا غيرها يدلنا على ما أخذ هذا الحجر وتاريخه . وقد شوهد أن النبي قبل هذا الحجر وكذا الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لأنهما ليسا على قواعد ابراهيم . وهذا العمل هو ضرب

من ضرور العبادة والتسذل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعا لله وانكسارا مع العلم بأن الحجر والارض لا قيمة لهما بالمره ولولا سقوط منزلتهما لما كان هناك تعبد في وضع الوجه عليهما . ولم يأت معنى التعبد إلا لوضع أشرف عضو في الانسان على هذين الشئتين الخبيرين تعظيما لله كمن يقبل أعتاب الملوك أو ذيل ثيابهم ولذلك قال عمر رضي الله عنه (والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) ومع كل ذلك فليس التقبيل ركنا من أركان الحج ولم يقل أحد بوجوده ولم يرد للحجر الاسود ذكر في القرآن الشريف مطلقا ولا لبئر زمزم ولا للشرب منها فلندع ما يهذي به الاغبياء الجاهلون من الطاعنين في الاسلام

بقي علي لا يفاء موضوعنا حقه أن أتكم على مسألتين أخريين لورود نهي كثير عنهما في السنة وعدم ورود نهي في الكتاب

(المسألة الاولى - قتل المرتد) إنه لم يرد أمر بذلك في القرآن فلا يجوز لنا قتله مجرد الارتداد بل الانسان حر في أن يعتقد ماشاء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما ما حصل من ذلك في صدر الاسلام فقد كان لضعف المسلمين وقلة عددهم بالنسبة لاعدائهم والخوف من افشاء أسرارهم وإعانة العدو عليهم وتمكينه منهم وتشكيك ضعاف المسلمين في دينهم أو لأن المرتد كان ممن آذاهم وأبيح لهم دمه فلما تظاهر بالاسلام كفوا أيديهم عنه ثم لما عاد عادوا اليه فهذه أسباب قتل المرتد في العصر الاول . أما الآن فان وجدت ظروف مثل تلك وحصل مثل ما كان يحصل جاز لنا قتله لانه صار ممن حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد . قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية

وأما قتل المرتد لمجرد ترك العقيدة فهذا مما يخالف القرآن الشريف (لا اكره في الدين قد تبين الرشد من الغي) وورد في الحديث ما معناه « اذاروي لكم عن حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه »

(المسألة الثانية - رجم الزاني المحسن) حد الزاني في القرآن الجلد . وقد أنكر بعض المعتزلة الرجم وكذا جميع الخوارج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فان أتيتن بما حشة فعلن نصف ما على المحصنات من العذاب) أي ان الامة اذا زنت بعد الاحصان تعاقب بنصف

عقاب المحصنة من الحرائر أي تجلد خمسين جلدة . فقالوا لو كان عقاب المحصنات الرجم لكان حد الاماء نصف الرجم والرجم لا نصف له . ثم ان القرآن تكلم عن الزنا وحده وعن رمي المحصنات به وعقوبته وعن اللعان وكل ذلك بايضاح تام فلو كان الرجم واجباله كره الله تعالى في القرآن فهذه حجة هؤلاء القوم . والذي نقوله نحن ان الامام انا وجد ان الامة قاسية غليظة القلوب منتشرة فيها النسق والفجور ولا يردعهم الجلد ولا يؤثر فيهم خشوتهم وشدتهم وخاف على الامة الضعف والانحلال والفساد جازله والحالة هذه ان يقرر الرجم عقوبة للزنا وان يعتبر من اقدم عليه وهو محصن مفسدا في الارض عاصيا لله محاربا له ولدينه عملا بالآية السابقة . وعذر من لم يكن محصنا . او ان تكرر منه الذنب ولم يردعه الجلد جاز الامام ان يقدر الرجم على غير المحصن ايضا بعد عدد مخصوص من وقوعه في الاثم . والخلاصة ان المسألة تركت ليتصرف فيها اولو الامر وليتشاوروا فيها فان كان الفساد في الامة قليلا ووردعها الجلد فيه وان كان المفسدون كثيرين ولا يباليون بالجلد ولا بالدين اوجبوا تقتيلهم .

وكذلك ترك القرآن كثيرا من الحدود واطلق الكلام في قطع يد السارق والظاهر منه ان القطع لا يجب لأول مرة بل يستتاب السارق فان تاب واصلح واقتطعت يده . فهذه افكاري في هذه المواضع اعرضها على عقلاء المسلمين وعلمائهم وارجو ممن يعتقد اني في ضلال ان يرشدني إلى الحق والا كان عند الله آثما

الخاتمة

إذا تقرر ذلك المذهب فما على المسلم الا أن يطالع كتاب الله تعالى مطالعة إمعان وتدقيق وعمل فكل وان يستتج جميع ما يجب عليه في دينه وديناه من اعتقادات وعبادات وأخلاق ومعاملات فان في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسعادة الدنيا والآخرة ومن اقتصر عليه علم سخافة من عباب الاسلام بأشياء ألصقت به وليست منه . فاللهم اهدنا بكتابك . وأفهمنا من أسرارك . واقبح أعيننا وأثر بصائرنا . انك هادي الضالين مرشد الخائرين آمين . اهـ

(المنار) قد سبق الكاتب الى هذا الموضوع غير واحد من المسلمين الباحثين من أشهرهم مهزبا باقر الشهير الذي كان تنصر وصار داعية لمذهب اليهودية ثم عاد الى الاسلام باجتهاد جديد، ودعا اليه في انكسارها بغيره وعزم شديد، وقد ذكرني الكاتب في هذا الموضوع مرارا وكذلك يفيقه الدكتور عبده افندي ابراهيم فأشرت عليه بهذا البحث في كثير

من جزئياته ان يكتب ما يراه لعرضه في المنار على العلماء والباحثين فننظر ماذا يقولون ثم نقفي عليه بما نتقدمه فنحن ندعو علماء الأزهر وغيرهم لبيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ودفع ما عرض دونه من الشبهات فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلاسفة اليونانية او شدوذ الفرق الاسلامية التي اقترضت مذاهبها وانما تكون باقتناع المطلعين من أهله بحجة الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة وأهونها ما يعرض للمعتقدين المستمسكين ككتاب هذه المقالة فإني أعرفه سليم العقيدة مؤمناً بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤدياً للفریضة وانما كان إقناع مثله أهون على علماء الدين لأنه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره لاقتناعه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي

وانني أعجل بأن أقول ان أظهر الشذوذ في كلامه ما قاله في مسألة الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم مبين للتزويل بقوله وفعله كما ثبت بنص القرآن وقد تواتر عنه ما يفيد القطع بأن الصلاة المفروضة هي ما يعده جميع المسلمين اليوم فرضاً والكتاب لم يستغن عن السنة في بيان دعواه ان الفريضة ركعتان وغير ذلك ولا اصيل في المسألة الآن وانما ذكرتها لثلاث تعلق شبهتها بأذهان بعض القراء فيطول عليهم المهد بالجواب عنها ومنفصل القول في الموضوع بمد أن ننظر ما يكتبه العلماء من بيان ما يجب عليهم او السكوت عنه ونحب أن يكون معظم ما يكتب في أصل المسألة لافي الامثلة التي أوردها والله الموفق

الرد على الشيخ نجيت

رعب الينا ثلاثة قرآن تكف عن الرد على الشيخ نجيت أحدهم صديق لنا في القاهرة يرى ان كل ما يكتب في المنار أنفع من هذا الرد فينبغي اختيار الانفع وتقديمه على مادونه والثاني أحمد أفندي وجدي أحد طلاب مدرسة الحقوق كتب الينا من السويس كتاباً أتى فيه على المنار وذكروا من فائده ما ذكر ورأى ان هذا الرد من المسائل الشخصية التي لا تليق به ولا ترتاب في اخلاص هذين الناشرين الثالث مجهول أرسل الينا رقياً من الإسكندرية كله سباب وشتم وحكم علي قلبنا وسريرتنا ومما قاله ان الشيخ نجيت اعترف في رسالته الثامنة بأنه أخطأ ولكنه أحب ان يدارى خطأه ويوهه فبا كان يجوز به هذا ان نورد الي

بيان فضيحتة أو ما هذا معناه ولو لا هذا المعنى لم نذكر هذا الكاتب الحيان السباب فنبداً بالجواب عن هذه الكلمة وان لم يستحق كاتبها جواباً فنقول لو أن الشيخ نجيت اعترف بخطئه في قوله ان خليفة المسلمين يجوز ان يكون كافراً وان حديث ابن ماجه الذي احتج به لا يحتج به لان سنده لا يصح ومنتها لا يدل على ما قاله في رسالة السكورتاه لكفنا عن الرد عليه وإن بزنا بألقاب الجبل والحسد و فاننا لسنا ممن ينتصر لنفسه دون الحق وقد سبنا كثير من السفهاء في الجرائد وسعى كثير من المفسدين في ايذائنا ولم نقل في أحد منهم كلمة سوءاً نتصاراً أو انتقاماً وقد هضم أناس حقوقنا المضموية واكل آخرون مالنا بالباطل فلم نقل في أحد منهم كلمة ولكننا قد اتفقنا غير مرة على اصدقاتنا وفي هذا الجزء وما قبله شيء من ذلك وفي مقابلة هؤلاء الثلاثة ترى كثيرين من أهل الأزهرو غيرهم من أهل الرأي والفضل قد استحسنوا هذا الرد وعده من أفضل طرق الإصلاح وخدمة العلم في زمان كثير فيه التهجم على التأليف واعادت الجرائد مدح كل تصنيف لاسيما اذا كان لصاحبه حظ من الشهرة وكفيل من الجاه وفي ذلك من الغش للامة ما فيه وما زال المشتغلون بالعلم يرد بعضهم على بعض ونحن الآن أحوج الى هذا منا في الزمن الماضي لما في نشر المصنفات الضارة بالطبع من عموم الضرر والافساد

تعود الناس عندنا قراءة رد بعض الجرائد على بعض في مسائل السياسة والأخبار ولا يرون مجرد الرد دليلاً على العداوة والشخصية ولم يعودوا مثل هذا في مسائل العلم والدين وان كان ضرر الخطأ في هذا أشد لذلك توهم بعض الناس ان بيننا وبين الشيخ نجيت عداوة لاسيما بعد نشر ما نشر في المؤيد فاسرع اليها بعض مبغضيه يذكرون لنا من السيئات ما لا نحب ان نسمعه ان صدقناهم فيه فكيف نرضى ان نذكره في المنار ومنه ما يتعلق بالمعاملات والمال وليس من شأن المنار الخوض في ذلك

نعم ان المنار لم ينشأ للبحث في الدين فقط كما نسمع تارة بعد تارة من المفتاتين علينا بأهوائهم ولكن باب الأخبار الذي فتح فيه من أول نشأته لا يدخل فيه الا ما كان فيه عبرة وموعظة للامة

فليعلم القاصي والذاني أنه لا عداوة بيننا وبين الشيخ نجيت واتنا لا نحب ان نسمع عنه شيئاً مكروهاً وأن ما يتفق لنا سماعه نطويه ولا ننشره الا أن يكون مما يؤيد حاجتنا في المسائل العلمية والدينية التي تناظره فيها اذ لا محاباة في العلم والدين هذا وقد سبق الي فهم صاحب المؤيد ان ما كتبناه في الجزء الماضي يشعر بأنه هو الذي

أخبرنا بأن الشيخ بختيا هو الكاتب لما كان نشر في المؤيد بمضاء (ثابت بن منصور) فكتبنا اليه ميينين اننا لم نقصد ذلك وأن العبارة لا تدل عليه بل فيها ما يدل على ان ذلك كان معروفا لغير واحد . وأزيد الآن أنه كان في المقالة التي نشرت يومئذ في المؤيد ردًا على ثابت بن منصور إشارة الى أن الشيخ بختيا هو الكاتب لها لا أزال اذكرها وهي : لو ان الشيخ ثابت بن منصور ركب مركبة لتنقله من الخر نقش الى الازهر وكان سائقها لا يعرف جغرافية القاهرة فسار به الى جهة باب الحديد ما كان يفوته الدرس : او ما هذا معناه فذكر خروجه من الخر نقش كان إشارة من الكاتب الى ان ثابت بن منصور هو الشيخ بختيا . واننا نعرف كثيرين كانوا يعلمون ذلك ومنهم بعض اساتذة المدارس الاميرية كان المقصود من كتابي الى المؤيد ان أبرأ من اتهام صاحبه بأنه هو الذي اخبرني بأن ثابت ابن منصور هو الشيخ بختيا وليس فيه كلمة تشعر بانتقاد الشيخ بختيا وانظر ما كتبه هو الى المؤيد فاننا ننشره لسافيه من العبرة في اللفظ والفحوى وكثرة الادب وقلة الدعوى ولفائدة تذكرة بعد وهو

﴿ بيان حقيقة ﴾

صاحب المؤيد الاغر سعادتلو أفندم حضر تلمي
وهدفاني أرجو نشر ما يلي بجرادة المؤيد اظهارا للحقيقة ودحضا لما افترى به
علينا ونشرتموه بها
قد رأيت بعدد ٤٩٥٦ و٤٩٥٧ من جريدة المؤيد ان صاحب مجلة
المنار قد ادعى اني كتبت رسالة لجريدة المؤيد ونشرت بها سابقا تحت امضاء
(ثابت بن منصور)

وحيث أن هذه الدعوى باطلة عاطلة وتضاف الى غيرها من دعاويه علينا
وعلى غيرنا ولا يستطيع أن يأتي بواحد يزعم اني خبرته بأن كاتب الرسالة
المدكورة ولا أن يقيم حجة ولو أوهى من بيت العنكبوت على ذلك
وحيث أنه يجوز أن يكون المقتضين اليها قد افترى ذلك علينا ليشوه وجهه
الحقيقة الساطعة بر بدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأبي الله الا أن يتم نوره
ويمكن المؤيد أن تراجع الحقيقة ليعلم اني لم أكتب له هذه الرسالة كما أنه
لم يسبق لي اني كتبت المؤيد ولا غيره من الجرائد في شيء ما أصلا فقد جئت

الى جريدتكم الغراء بهذه السطور الوجيزة لنشرها بها دحضا لتلك المقريات . ولو اني
كتبت أو اكتب الى جريدة لكتبت بامضائي وحاشا ان اكتب بامضاه مجهول مستعار
فاني ممن يعتقد ان التجميل جهالة لا يرضاه لنفسه عاقل ولا يقدم عليها الا خائف أو جاهل
ولكن الدعاوي المختلفة على الناس قد سمت بها البلوى سلفا وخلفا حتى قال الشاعر قديما

لي حيلة فيمن يتم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة

وقفنا الله للصدق في القول والاخلاص في العمل ووقانا شر الخطأ والخطل فانه سبحانه

بيده العصمة وتمام المنة والمنة

كتبه محمد بن نخت المطهري

الحنفي بالازهر

(المنار) كنت انتمى لو يعلم الشيخ بنخت موقع كتابته هذه عند أهل الفهم
والمعرفة بالكتابة وما ذا قالوا في نقد بعض المفردات والاسلوب الذي اكتسبه
من المحكمة ولكنهم لم يهتموا الى متعلق « وحيث وحيث » في كلامه . ونقول اذا
كان الشيخ نفسه يجوز أن يكون بعض المفضين له أو (اليه) قد افترى عليه ذلك
وأخبرنا وصدقناه فلماذا جزم باننا نحن الذين افترينا عليه هذه الفرقة
هذا مالا ينبغي ان نطيل فيه وأهم ما أقصد بنشر رسالته هذه بيان أنها تدل
على رجوعه عما كان يقوله في دروسه ومجالسه في شأن الكتابة في الجرائد فقد بلغنا
من طرق كثيرة أنه يقول بأن الكتابة في الجرائد محرمة لأن الجرائد عرضة للاهانة
واهانة ما يكتب فيها محرم لاسيما اذا كان فيه اسم من أسماء الله تعالى أو أسماء
أنبيائه وملائكته أو شيء من القرآن أو الاحاديث . وها نحن أولاء نراه كتب
في جريدة كتابة مشتملة مع اسم الله تعالى على شيء من كتابه العزيز . فإن كان
ينكر أنه قال بتحرير الكتابة في الجرائد حتى فيما هو دفاع عن الاسلام وتأيد
له كالرد على هانوتو (مثلا) فاننا نسلم له انكاره وحسب الناقلين ذلك عنه أن
يعرفوا أيهما الصادق كما عرف الناقلون عنه أنه هو الذي كتب بامضاه ثابت بن
منصور أيهما الصادق . وان ادعى ان رأيه واعتقاده قد تغير فاننا نسلم ذلك ونشكره له .
هذا وقد ضاق هذا الجزء عن بقية الرد عليه في مسألة الامامة وموعدها الاجزاء الآتية

﴿ رأي في اللغة العربية . واغلاط الكتاب ﴾

وعدنا في الجزء الماضي ان نبين شيئا مما خالف القياس فيه جبراً فندي ضومط
تساهلا في القياس وحباً في سمته لاجهلاً ولا ضعفاً في اللغة وفنوها وانا نقول قبل
ان نورد ما لامندوحة لنا عن ايراده ان مثل هذه المخالفة والخطأ مما نراه في كلام
جميع كتاب العصر الذي نطلع عليه ولا أستثني النقادين الذين بذلوا جل عنايتهم في
في التحرير والتصحيح وانا أقرّ بانني كثيراً ما أراجع بعض مباحث المنار السابقة
فأجد فيها من الغلط ما أعلم ان علته السهو العارض أو الجهل السابق لا مجرد تحريف
الطبع وأكثر ما يقع لنا من ذلك استعمال كلمة عامة أو جمع غير قياسي أو تعدية فعل
بما لم تعد به العسرب ونحو ذلك مما يكثر في الجرائد والمطبوعات المصرية ونقرأه
كل يوم فيعلق منه باذهاننا ما يعلق على انتقادنا له فيسبق الى أقلامنا . أعتذر
بهذا عن نفسي وعن غيري من العارفين باللغة وأنى لمثلي أن يسلم من مثل هذه الاغلاط
الفاشية وهو ممن يكتب المقال فيلقيه الى عمال المطبعة ورقة ورقة من غير ان يسند
اليه النظر أو يقرأ منه سطرًا ابتغاء التصحيح والتحرير وأما تصحيح الطبع فإنه
يشغل صاحبه عن كل ما عداه حتى لا يكاد المصحح يفهم ما يقرأ كأن قوة ذهنه
كلها توجهت الى النظر في صور الكلام ومحاوله تطبيقها على الاصل الذي طبع المثال
الذي يراد تصحيحه عنه

أقول اني لم أسلم من الغلط ولم أر أحداً من كتاب العصر سلم منه ولكن
أصحاب الملكات القوية والاطلاع الواسع في اللغة يقل غلظهم جدا حتى ان العالم
النقاد ليقرأ لا حدهم عدة فصول لا يجد فيها غلطة وهو لاء قليلون في كتابنا اليوم
وأكثر منهم من لا تقرأ لا حدهم بضعة أسطر الا ويثر ذهناك بغلطة ويرتبك فهمك عند
جملة ولا أرى من الصواب اضاءة الوقت في الانتقاد على هؤلاء ولكن الانتقاد على هفوات
الكتاب البارعين والعلماء الراسخين ، وعلى المتوسطين بينهم وبين أولئك المتطمين ،
هو الذي يحجب اللغة ويرقي بها الى أعلى عليين ، وإعلاء شأن اللغة واجب في نفسه
لا ينسخه وجوب انتقاد المصنفات من جهة موضوعها ومسائلها فاذا قام بهذا قوم
وبهذا آخرون رجي لنا ان نرتقي في العلوم وفي اللغة التي تؤدي بها العلوم ولكن جبر

أفندي لا يحفل بانتقاد اللغة بل يكتفي بأن يكون ما يكتب مما يفهمه القارى وإن مزج بالالفاظ العامية التي ليست من اللغة وبالاغلاط النحوية وأبق من أساليب العرب وهذا هو ما تنتقده عليه وتقول أنه يجب على كل كاتب أن يتبع أئمة اللغة وفنوعها فيما قرره فلا يقبس على الساعي ولا يخرج في القياس عن حدوده ولا يدخل الكلمات العامية المحضة في كتابه ولا بأس بغير المحضة وهو ما كان عربي الاصل وهو أكثر كلامهم على تحريف فيه يسهل نصحيحه . ذلك ان التسهل وترك الأمر فوضى للكاتبين بدعوى العناية بالمعاني مما يفسد اللغة بما يجرى . الجهلاء والضمفاء على التأليف مع كثرة غلطهم ودخيلهم ويشي همة غيرهم عن التحصيل والاتقان

يرى جبر أفندي ضومط ان هذا التسهل مما نحتاج اليه ونحن نمنع ذلك على اطلاقه كما علم من الجزء الماضي وإنما نريد ايراد بعض ما وقع له من الخطأ وإن كان لا يكاد يسلم منه أحد منا لتبين انه لا حاجة اليه فيقال ينبغي أن نجيزه للحاجة وإن في الصواب الذي لا نزاع فيه مندوحة عنه وليعلم الذين ينتقدون بعض عباراته في كتبه ان جل ما يرونه فيها خطأ براه هو صوابا فهو لم يأنه عن جهل (حاشاه من ذلك) فلا أريد بما أورده من الامثلة تحرير مسائلها والجزم بأنه لا يمكن تأويل شيء منها ان أريد الا أنه خالف القياس المعروف لمحض التسهل من غير حاجة اليه

أول ما خطر في بالي مما انتقد عليه في كتبه قاعده التي بنى عليها كتاب فلسفة البلاغة وهي على ما ذكر (الاقتصاد على فهم السامع) فالإقتصاد لا يتمدى بعلي والمعنى المراد من القاعدة لا يفهم منها بذاتها بل بما شرحها به ولو قال التوفير بدل الاقتصاد لكانت العبارة صحيحة اذ يقال وفر عليه وان لم نخل من توسع في افادة المعنى المراد هو مما يهتد في المواضع بل لو قال (القصود في كدّ ذهن السامع) لم له ما أراد ولم يعد الفعل بما لا يتمدى اليه في لغة العرب فكل عالم باللغة يفهم هذه العبارة لأول وهلة من غير كد للذهن ولكن عبارته لا تكاد تفهم مع كد الذهن الا بعد الوقوف على ما فسر بها فما لا خطأ

فيه هو الذي يتفق مع القاعدة ومثله من يعلم ان اقتصد لا يتعدى بعلى ولكنه التساهل الذي اتخذته مذهباً

ومن مخالفة القياس في مقالته (انتقاد فتاة مصر) قوله (كما في ص ٥٤٥ من المتكطف) : والتفحيم فيها على الخراب : لا يقال في اللغة تفحيم عليه كما يقال هجم عليه وإنما قالوا تفحيم الفرس بصاحبه اذا ند به فلم يضبط رأسه واذا ألقاه راكبه فكان ينبغي ان يقول : ونفحما أو تفحيمها بنا في الخراب :

ومنها قوله في ابتداء كلام (أولاً الانتقاد النحوي) ثم قوله (ثانياً الانتقاد البياني) الخ وهو يكثر من مثل هذا في كتبه تساهلاً في مجازاة كتاب الجرائد وأمثالهم وهذا غير مبرور في الكلام العربي الصحيح أو الفصيح ولا يمكن اعرابه الا بتكلف لا حاجة اليه امكن الاستغناء عنه بقولنا (الاول كذا . الثاني كذا) وقد استعمله في اثناء الكلام كما يستعملونه ومنه قوله (في ص ٥٤٥) وفيه مثال آخر : وانها أجدر كتاب لحد الآن يحسن بنا أن نضمه بين أيدي شباننا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولاً لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير : الخ واتي أجزم بانه لولا رأيه الذي ذكرت لما سقط من قلمه مثل هذه الجملة التي لا تكاد تنطبق على قاعده فيما أرى ولا أظن ان العالم بالعربية في الهند وبنجاري وروسيا وتركيا يفهمها كما يفهمها من ألف هذا الاسلوب واعتاد قراءة مثله من سوري ومصري

ومنها ابتداءه الكلام بالعطف كقوله « واكثر كتابنا » وادخال قد على الفعل المنفي كقوله : قد لا يعد ، قد لا يعقل ، قد لا تخلو ، وكان يمكنه ان يستغني عن الواو ويستبدل ربما بقدر لفادة التقليل ولكنه يكتبني باستعمال الناس مجوزاً وقد استعمل المناطقة قد مع النفي في القضايا الشرطية السالبة وهو يحتاج بمن دونهم في الاستعمال كابن الفارض وابن عابدين

ومن المفردات قوله (في ص ٥٤٧) « صفيح الاحرف » وكلمة صفيح لم يتفق عليها عمال المطابع فنقول انه اتبع الصرف وان كان عامياً ولا هي من الكلمات التي لا يوجد في العربية ما يعني عنها اذ يمكن ان يقال مرتب الحروف أو جامع الحروف — وعامة المصرين يقولون جميع ومنهم من يكتبها جامع بصيغة المبالغة —

ومنها قوله (في ص ٥٥٢) « مقاسة » والصواب مقيسة ولعل هذا من السهو أو غلط الطبع ومثله قوله (ص ٥٥٤) بصوغ بالصاد
وأما الالفاظ التي صححها وتمحل لجعلها قياسية فإلحاحها إلى استعمال تكاتفوا
منها مع كثرة ماورد في معناها وقوله في تعليل قياسها على تظاهروا : إن وضع
الكاتف للكاتف في التعاون أقرب للفهم لأنه أكثر مشاهدة من وضع الظهر
للظهر : فيه نظر إذ لا نسلم أن معنى تظاهروا في الأصل وضع كل ظهره إلى ظهر
الآخر والاظهر أن معناه كان كل منهم ظهيرا للآخر أي معينا والظهير المعين والقوي
الظهر ولعل هذا هو الأصل ولما كان قوي الظهر من الأبل والدواب مما يعتمد
عليه في الإعانة سمي المعين ظهيرا . ويجوز أن يكون من المظاهرة بين الثوبين
ونحوها أي المطابقة بينهما لأن المتظاهرين يكونان كشيء واحد أو هو من حماية
الظهر وهو معهود عندهم فعاونك يمنع عنك من ورائك وانت تمنع عنه من الامام
من حيث يمنع كل منكما عن نفسه وهذا نحو جعله من وضع الظهر للظهر ولكنه أظهر في
التعاون . ومن ماشاك كتفا إلى كتف لا يفهم من مماشاته لك أنه يمنع عنك
ويعاونك كما يفهم مما تقدم .

وما قاله أيضا في تصحيح استعمال لفظ العائلة بمعنى الأكل أو العشيبة غير
ظاهر فإن العاقلة وصف لمحدوف معروف أي الجماعة التي تعقل أبل الدية عن
القاتل من عشيبتها فإذا كانت العائلة من عال عياله بمعنى كفاهم معاشهم ومأتمهم
يكون معنى الكلمة : الجماعة العائلة أي المنفقة : وإنما المنفق هنا واحد وهو العائل
والمنفق عليهم هم الجماعة أي العيال ومثل هذا يقال في تعليله الآخر ولو قيل أن
الكلمة محرفة عن العاقلة بإبدال القاف همزة كدأب العوام لم يكن بعيدا
هذا ما يأتي به التسهيل وهو إذا كان سهلا في نفسه ويمكن تأويل بعضه
فهو عظيم من عالم يعد من أوسع علماء اللغة اطلاعا في هذا العصر فإذا نقول في
كتابة جماهير المعاصرين الذين لا نكاد نفهم كلامهم لولا معرفتنا باللغة العامية
على أن منه ما لا يفهم منه الغرض الجميل إلا بموتة القرائن . فإذا كان صديقنا
يحصل المهار في جيد الكتابة ورويتها فهم القارئ فعليه أن لا ينسى أن العبرة

بالقارىء العارف بالربية الصحيحة المدونة المقروءة دون العامية التي تختلف باختلاف البلاد. فاذا كان فهم المصري لا يقف في فهم قول بعض الكتاب في بعض الصحف « المرأة التي عندها أطول شعر من غيرها » فإن فهم الحجازي والنجدي والعراقي وكذا الاناطولي والقوقاسي ونحوهما من الاعاجم الذين تعلموا اللغة من الكتب لا يدرك المراد منه مهما كد ذهنسه ولعل أقرب ما يخطر لامثال هؤلاء بعد طول التأمل ان معنى الجملة « المرأة التي يوجد عندها في الدار مثلاً أطول شعر هو من شعور غيرها لا من شعرها هي » وإنما أراد الكاتب أن يقول « أطول النساء شعراً » فمن تأمل هذا جزم بأنه لا يجوز لنا ان نخالف القواعد والنقل في اللغة - مفرداتها وجمها وأسايبها - الا اضرورة يقدرها علماء هذا الشأن بقدرها . واني أميل الى مخالفة المتقدمين في بعض ما قالوا انه سماعي ولكنني لأجيز نفسي الانفراد بذلك واستعماله لغير ضرورة حتى يوفق الله علماء هذه اللغة لتأليف جمعية تمهض بهذا العمل وعسى أن يكون ذلك قريباً

— ❦ كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم ❦ —

ألف الدكتور مرجليوث لانكليزي المستشرق كتاباً بلغته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في مقدمته انه يعد النبي محمداً من أعظم الرجال وأنه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب وانه يجله وبؤدي له ما يستحقه من التظيم والتبجيل ولا يقصد بتأليف كتابه الدفاع عنه ولا ادانته كما فعل غيره من كتاب المسلمين أو النصارى فليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تقبيحه والطعن فيه . ومن علم ان هذا المؤلف عرف اللغة العربية معرفة قلما يساويه أحد من الفرنج فيها واطلع على كثير من كتب المسلمين يظن ان فهمه للاسلام وتاريخه أدق من أفهامهم فهو أجدر بالقدرة على بيان الحقيقة ولكن قراءة بعض ما كتب تكفي للذهاب بهذا الظن

يحول بين الافرنج وفهم الاسلام وتاريخه أمور اذا سلم بعضهم من بعضها فيندر ان يسلم منها كلها أحد (منها) تأثير ما نربوا عليه ونشئوا فيه من كراهة

الإسلام واحتقار المسلمين تعصبا لدينهم . ومن ختم على شعوره ووجدانه من أول نشأته بخاتم تعسر عليه ففضه فإن هو فضه تعسر عليه محو أثره وإن هو نزع بقة التقليد ، وأوى إلى ركن الاستقلال الشديد ، وناهيك إذا كانت حياته الاستقلالية .
تؤيد ذلك الشيء المصلحة السياسية ، وهذا هو الأمر الثاني وبيانه أن حرص الأوربيين على الفتوح والتغلب وشرههم في الكسب من الشرق وماتكن صدورهم من الضغن والحقد على جيرانهم من أهله كل ذلك مما يصرف أبصارهم عن محاسن الإسلام حتى لا يكاد يقع بها إلا على ما يمكن انتقاده ، إلا أهل الانصاف الكاهل الذين انسلخوا من تأثير التقاليد والسياسة ووجهوا ككل عنايتهم إلى معرفة الحقائق وقليل ما هم

(ومنها) وهو الأمر الثالث سوء حال المسلمين في هذه القرون التي ارتفع فيها شأن أوربا في السياسة والعلم وال عمران فقد أمسى المسلمون حجة على أنفسهم وعلى دينهم كما بينا ذلك مرارا

(ومنها) ما تعودوه من الجراءة على الحكم في المسائل التاريخية وكل ما هو غير محسوس بالقرائن الضعيفة واستنباط الأمر الكلي من أمر جزئي واحد واختراع الملل والأسباب للحوادث بمجرد الرأي والتحكم (ومنها) عدم اتقانهم لفهم اللغة العربية وفنونها اللغوية والشرعية لانهم لا يتلقون كل فن عن الأساتذة الماهرين فيه . وقد ينبغ المحصل لبعض العلوم باجتهاده دون التلقي عن الأساتذة الماهرة حتى يبرز على كثير ممن تلقى ذلك العلم ويظهر فضله عليهم ثم هو يخطئ فيما لا يخطئ فيه من هو دونه في التحصيل من أهل التلقي . وقد سمعت رجلا من أعلم المستشرقين بالمربية وأدقهم فهما لها يقول ان المسلمين يقدمون الحديث على القرآن فانكرت عليه ذلك فاحتج بكلام علي لابن عباس (رضي الله عنهما) لما بعثه للاحتجاج على الخوارج وهو : لانخاصهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محمصا : اه فقلت له ليس المراد بالسنة هنا ما اصطاح عليه المحدثون والفقهاء وإنما المراد بالسنة الطريقة التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العمل فهذه هي التي لا محيص

عنها لانها لا تحتل التأويل ولا القال والقال وأما الاحاديث القونية فان التأويل ينال منها كما ينال من القرآن أو يكون أشد نيلا ومن ذلك تأويل عمرو بن العاص الحديث الناطق بأن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية بقوله : أما قتله من أخرجه ؛ يعني عليا فقال علي اذا ما قتل حمزة الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه هو الذي أخرجه . ولم نعلم أن أحدا من المسلمين قويمهم وضعيفهم متبعهم ومبتدعهم فهم من كلمة علي كرم الله وجهه ما فهم هذا العالم المستشرق

وجهة القول ان المنصف من الأوربيين يعسر عليه ان يفهم الاسلام حق فهمه بمجرد الوقوف على فنون العربية والاطلاع على كتبها فبالك بغير المنصف وغير المتقن . وسئرى فيما انتقده على الدكتور مر جليوث أن السبب في أكثر غلطه وخطاه في هذه السيرة هو التحكم في الاستنباط والقياس الجزئي وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الاقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة والافهوا من أعلمهم ومحبي الاعتدال فيهم وانما نبداً بخير قوله وأقر به من الصواب

ذكرنا ما قال في مقدمة الكتاب من أنه بعد النبي محمداً من أعظم الرجال الخ وما عده له من المآثر غير تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب أمهران عظيمان أحدهما وجوب حسم المسائل التي تتعلق بسفك الدماء بغير الحرب والثاني أنه اذا ثارت الحرب يجب الحصول بسرعة على النتيجة لأن تعاد الحرب وتكرر بدون جدوى (راجع ص ٥٥) منه

ومما اعترف به ان النبي كان صادق الكره للشعر والسجع قال ولعل السبب في ذلك أنه لم يتعلمها ولم يكن للعرب من أساليب الانشاء سواهما : قال هذا في ص ٦٠ وفيه رد على ما نقله في ص ٥٥ عن مايور في قوله ان أهل البدو كانوا كثيرى الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان في التعبير وأنه ان صح ذلك فلا يبعد ان النبي مارس هذا الفن حتى نبغ فيه : أقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم عني بذلك أو مارسه لعرف ذلك عنه ولظهر أثره في لسانه في سن الشباب ولكن لم ينقل عنه قبيل النبوة شيء من ذلك قط ولم يكن يوصف بالفصاحة

والبلاغة بل كان يوصف بالصدق والامانة وأحسن الاخلاق فقول المؤلف هو الصواب

وما خلط فيه الثناء بالانتقاد قوله (في ص ٦٣) ان النبي بين لقومه بياناً مؤكداً ان الكسوف والخسوف لا يكونان لأجل امرئٍ مهما علا قدره ولكنه مع ذلك عدماً أمراً ذا بال وأنشأ لهما صلاة مخصوصة : ونقول ان في بيانه هذا منقبة غير مجرد بيان الحقيقة وتطهير العقول من الوهم وهي أنه لم يرض ان يعظم شأنه بالباطل فقد قال ذلك يوم مات ولده ابراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فظن الناس انها كسفت لأجل موته فأخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آياتان من آيات الله أي من دلائل حكمته وقدرته كما بين ذلك في آيات من كتابه كقوله (٣: ٥٥ الشمس والقمر بحسبان) وأنهما لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته والحديث في البخاري وغيره . وأما أمره بذكر الله والصلاة عند الخسوف والكسوف فذاك لان أهم أغراض الدين التذكير بقدرته الله تعالى وحكمته وتوجيه القلوب اليه بالشكر والدعاء وتأثر القلوب بذلك عند حدوث مظاهر القدرة والحكمة والنظام أقوى وأكمل ولذلك كانت مواقيت الصلوات الخمس متعلقة بما يحدث من التغير في الطبيعة كل يوم وليلة كطلوع الفجر وزوال الشمس وميلها وغروبها وزوال أثر ضوءها بتغيب الشفق . ولذلك شرع الذكر والدعاء ايضاً عند نزول المطر فالدين يرشد الناس الى ذكر الله تعالى عند كل حادث يذكر بقدرته وحكمته كيلا ينسوه فتقلب عليهم حيويتهم فيفتروا بعضهم بعضاً

ومما اعترف به من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحرار في تعليقه على اتساع دائرة التعليل عنده كما ستعلم ما قاله في ص ٦٣ ايضاً وهو : انه كان له وسائل لمعرفة الاسرار نهجاً عن ادراك حقيقتها وان الطبيعة دون الخنكة أعطته موهبة يحسد عليها ألا وهي معرفة طبائع البشر فقلما أخطأ في معرفة أحد بل لم يخطئ قط : ونحن نقول ان الله الطبيعة هو الذي فضله بذلك ليستعين به على هداية البشر وقد كان ذلك وما النبوة الا تخصيص السهي غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور فما هذه الحيرة في التعليل ، والانقطاع في وسط السبيل

ومما حار في تعليقه وهو من هذا القبيل سبب شروع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة فقد قال (في ص ٧٢) : يستفاد من تاريخ اشهر الرجال أن بدأهم بالأعمال العظيمة كان لأسباب معروفة تدعو الى ذلك أما النبي فلا يعلم سبب لبدئه في دعوى الرسالة: ونقول لو كان هذا الامر من قبيل تأسيس الممالك لكان يستحيل أن يقدم عليه العاقل من غير أسباب طبيعية تفيد اليقين أو الظن بالنجاح ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الامر العام العظيم الذي هو أكبر من تأسيس مملكة من غير أسباب طبيعية تمهد له النجاح ككثرة المال والمواطأة مع الزعماء والاعوان وسائر أسباب القوة ولا عجب في ذلك فانه كان معتمدا على خالق الاسباب والمسببات ، وفاطر الارض والسموات ، الذي أمره بالدعوة والتذكير ، على أنه هو الولي له والنصير ،

وقال (في ص ٧٤) : ان عظمة النبي كانت في أمرين أحدهما معرفة ان الامة العربية تحتاج الى نبي وثانيهما جعل هذه المعرفة ذات أثر : وتقول ان أمن النبوة لم يكن يمثل هذا العمل والتدبير والعمل والتدبير اذ لو كان كذلك لكان الاعتماد فيه على الاسباب الطبيعية وقد تقدم آنفا انه لم يكن هناك أسباب اذ لو كانت لعرفت لان الاسباب التي تأتي بأعظم المسببات لا تخفى

وقال في (ص ٨٠) سو الان لا يمكن الاجابة عنهما (الاول) كيف أتت فكرة النبوة لمحمد (ص) ذلك الرجل العربي دون سواه (الثاني) كيف صادفت فيه من الصبر والعزيمة وقوة العارضة ما محقت به ؟ ولكن نقول كما كان يقول كارليل من أيام « تيوبال كين » كان الماء يصل الى درجة الغليان وكان الحديد موجودا ولم يوجد من تلك الربوات من الناس من يخترع الآلات البخارية : وتقول نحن انه ذهل عن الفرق العظيم بين اختراع الآلات البخارية وبين النبوة فان أول من لاحظ أن البخار الماء قوة يمكن استخدامها للرفع والدفع مثلام يهتد الى استخدامها في تسيير المراكب البحرية والبحرية ونحو ذلك وانما وهل الناس الى هذه الغاية بتدرج بطيء يبنى فيه اللاحقون على ما وضع السابقون والنبي ادعي النبوة وجاء بالشرعية فقررها بالكتاب والعمل وجذب الناس فم له تكوين دين

وشريعة وأمة أحدثت بهدايته دولة قوية ومدينته راقية
وقال (في ص ١٤٤) ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كاحد أنبياء بني
إسرائيل : ونقول ان هذا يناهني مازعم في غير موضع من أنه قام بهذا الأمر عن
فكر وتدبير وانه كان يتعلم ويستفيد ويدعي ان ما استفاده من الناس وحي من الله
ومما أعياه تعليله فأحاله على الغيب ما تراه (في ص ٣٦٨) من قوله لا بدانه
كان للنبي (ص) وسائط سرية لمعرفة الاخبار بسرعة غريبة : يطل بذلك ما كان
يقوله صلى الله عليه وسلم بالوحي والالهام ولو كان هناك وسائط لما خفيت عن
أولئك الاذكيا الذين كانوا معه وكان ذلك كافيا لانفضاضهم من حوله وعدم
بذل أرواحهم في سبيل دعوته

ومما مدح به وأثنى قوله في (ص ٤٥٨) ان النبي نهى عن التعذيب والتمثيل
الذي لم تحرمه أور بالاحديثا : ونقول انها وان حرمته في بلاده لان الامه قويت
على السلطة فيها فهي تبيحه أحيانا في غير بلادها ففي لم تتمكن من هذه الفضيلة تمام
التمكن . هذا جل ما أنصف فيه وسدد وقارب وسند كره نموذجاً من خطاه في تاريخ
الحوادث و بيان تعليليها وأسبابها

فَتَاوَى الْمَلْبُوكَاتِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالباً و ربما قد منما تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولان
يتمهي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاشغاله

﴿ أسئلة من أحد علماء تونس عمت بها البلوى ﴾

(بيع الدين بالنقد والاراق المالية)

(ص ٢٧) هل يجوز بيع الدين الى بعض البنوك او غيرها بأحد النقدين

أو بالاوراق المالية

(ج) لأعرف نصاً في الكتاب أو السنة يمنع ذلك وهو في القياس أشبه

بالحوالة منه ببيع النقد بالنقد فان المراد من هذه المعاملة ان يقتضي المشري ذلك الدين لأنه أقدر على اقتضائه وليس فيه من معنى الربا شيء ولكن صورته تشبه بعض صوره الخفية غير المحرمة في القرآن ولذلك يشدد فيه الفقهاء ولما احتاج الى ذلك أن يأخذ ما يأخذ من البنك أو غيره على أنه دين يحوله بقيمته على مدينه أو بأكثر منه ويجعل الزيادة أجرة أو ما شاء. وههنا مسألة يجب التنبيه لها وهي أن ما ورد في الشرع بشأن ما يصح من المعاملات المالية ونحوها وما لا يصح لا يراد به ان ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات وترك الفواحش وإنما المراد بذلك منع التظالم والتغابن بين الناس فكل معاملة لا ظلم فيها جائزة وما كان فيها ظلم فهي حرام إلا أن تكون برضى المغبون فمعنى صحة البيع ديانة أنه لا ظلم فيه بنحو غبن أو غش وحكمه النفاذ وعدم استقلال أحد المتبايعين بفسخه ومعنى بطلان البيع ان فيه ظلماً لأحد المتبايعين وحكمه ان لا ينفذ الا اذا رضي المظلوم فاذا أراد فسخه جاز له ذلك. مثال ذلك بيع حمل الحيوان مبي عنه لأنه غرر فاذا اشترت مافي بطن الفرس باختيارك ورضاك فولدته ميتا ولم ترجع على البائع بالثمن بل سمحت به راضيا مختاراً ولو لموافقة العرف فان الله تعالى لا يعاقبه على أكله. هذا ما كنت أعتقد في مسائل المعاملات كما سبق القول في المنار ولم أكن رأيت فيه قولاً لاحد وقد رأيت اليوم نحوه لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ولا شك ان من يبيع دينه لا يكون ظالماً لاحد ولا آكلاً ماله بالباطل الذي ليس له مقابل وقد يكون تحريم ذلك عليه ظلماً له لان الغالب في سبب مثل هذا البيع عجز الدائن عن اقتضاء دينه بنفسه أو توقفه على نفقة كثيرة وكلاهما ضارٌّ به وهذا وان الدين قد يكون ممن عروض والامر فيه عند الفقهاء لاسيما اذا بيع بالاوراق المالية أهون والله أعلم

﴿الاوراق المالية نقود﴾

(س ٢٨) هل تعتبر الاوراق المالية التي تحملها الدولة كالمسكوكات في المعاملة نقداً أو عرضاً أو شيئاً آخر غيرها
(ج) الاوراق المالية المسماة (بنك نوت) هي من قبيل النقود المسكوكة وأكثرها تضمن بقيمتها المرقومة عليها ذهباً فمن ملك ورقة من ورق البنك الاهلي

في مصر مثلا كان كمن ملك مثل ما كتب على هذه الورقة ذهباً لان الحكومة ضامنة لها تأخذها في كل حين بتلك القيمة كما يأخذها كل من يعتمد بتلك الحكومة من التجار وأصحاب المصارف (البنوك) وغيرهم والفقهاء يمدون هذا الورق كوثيقة الدين (المحلى بأحد النقيدين يمد من العروض)

(س ٢٩) هل يوجد في الشريعة السمحة ترخيص للتجار في مسألة المحلى بأحد النقيدين فيعتبر كسائر العروض لكثرة تداوله ورواجه وصيرورته قسماً كبيراً من البضائع وعسر العمل فيما تقرر في الفقه بشأنه مع مراعاة الاجانب (لنا في التجارة وانزاع روتنا اذا أبيع لهم ذلك ولم يبيع لنا)

(ج) المحلى بالذهب والفضة لا يمد ذهباً ولا فضة في الحقيقة ولا في العرف فهو من العروض بالضرورة وقد رخص بعض العلماء ببيع المحلى بنقد من جنسه مع التفاضل وهو أقرب الى الربا من بيع المحلى . قال ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين مانصه :

﴿ فصل ﴾

وأما ربا الفضل فأبيع منه ما تدعو اليه الحاجة كالعرايا (١) فإن ما حرم سداً للذريعة أخف مما حرم تحريم المقاصد وعلى هذا فالمصوغ والحلية ان كانت صياغته محرمة كالأنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فانه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالائمان وهذا لا يجوز كآلات الملاهي وأما ان كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلقة النساء وما أبيع من حلقة السلاح وغيرها فالماقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها فانه سفه واضاعة للصيغة والشارع أحكم من أن يلزم الامة بذلك فالشريعة لا تأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس اليه فلم يبق الا أن يقال لا يجوز بيعها بجنسها

(١) العرايا جمع عربية وبيع العرايا هو بيع الرطب بالتمر وهما ربويان كما تقدم ولكن الشارع أباحه للحاجة اليه لان صاحب التمر قد يحتاج الرطب ولا يكون بيده نقد يشتريه به وكان ذلك يكثر في زمن التشريع

البتة بل يبيها بجنس آخر وفي هذا من الحرج والعسر والمشقة ما تنفيه الشريعة فان أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به ما يحتاجون إليه من ذلك والبائع لا يسمح ببيعه بغير وشعير وثياب . وتكاليف الاستصناع لكل من احتاج إليه اما متعذر أو متعسر والحيل باطلة في الشرع وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب وأين هذا من الحاجة إلى بيع المصوغ الذي تدعو الحاجة إلى بيعه وشراؤه فلم يبق الاجواز ببيعه كما تباع السلع فلم يجز بيعه بالدرهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيها ما هو صريح في المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ولا ننكر تخصيص المصام وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهو بمنزلة نصوص وجوب الزكاة في الذهب والفضة والجمهور يقولون لم تدخل في ذلك الحلية ولا سيما فان لفظ النصوص في الموضعين قد ذكر تارة بلفظ الدرهم والدنانير كقوله الدرهم بالدرهم والدنانير بالدنانير وفي الزكاة قوله « في الرقبة ربع المشر » والرقبة هي الورق وهي الدرهم المضروبة وتارة بلفظ الذهب والفضة فان حمل المطلق على المقيد كان نهيها عن الربا في النقدين واجبا بالزكاة فيهما ولا يقتضي ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداها بل فيه تفصيل فتجب الزكاة ويجري الربا في بعض صورته لافي كلها وفي هذا توفية الأدلة حقها وليس فيه مخالفة لدليل بشيء منها

بوضحة ان الحلية المباحة صارت في الصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأثمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يجري الربا بينها وبين الأثمان كما لا يجري بين الأثمان وبين سائر السلع وان كانت من غير جنسها فان هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأثمان وأعدت للتجارة فلا محذور في بيعها بجنسها ولا يدخلها : إما ان يقتضي واما ان تربي : (١) الا كما يدخل في سائر السلع اذا بيعت بالثمن المؤجل ولا ريب ان هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد

(١) هذه العبارة مقولة وهي كلمة آكلي الربا الجلي المحرم بنص القرآن كان يكون لاحد من دين مؤجل على آخر فاذا جاء الاجل قالها له ومعناها ما أن تعطيني الدين واما ان تزيد فيه لاجل الإنشاء والتأخير في الاجل

عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر
 بوضحه أن الناس على عهد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخذون الحلية وكان
 النساء يلبسها وكن يتصدقن بها في الأعياد وغيرها ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطونها
 المحاويج ويعلم أنهم يبيعونها ومعلوم قطعاً أنها لا تباع بوزنها فإنه سفه ومعلوم أن مثل
 الحلقة والخاتم والفتحة لا تساوي ديناراً ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا
 أتقى لله وأفقه في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الخيل أو يهاووا الناس
 بوضحه أنه لا يعرف عنه أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الحلي إلا بغير

جنسه أو بوزنه والمنقول عنهم إنما هو في الصرف
 بوضحه أن تحريم ربا الفضل إنما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم
 سداً للذريعة أبيع للمصلحة الراجعة كما أبيعحت العرايا من ربا الفضل وكما
 أبيعحت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر وكما أبيع النظر للخاطب
 والشاهد والطبيب والعامل من جملة النظر المحرم وكذلك تحريم الذهب والحرب
 على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعله وأبيع منه ما تدعو
 إليه الحاجة وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من
 وزنها لأن الحاجة تدعو إلى ذلك وتحريم التفاضل إنما كان سداً للذريعة
 فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو
 بالليل والحل باطلة في الشرع وغاية ما في ذلك فعل الزيادة في مقابلة الصياغة
 المباحة المتقومة بالأثمان في الغصوب وغيرها وإذا كان أرباب التحليل يجوزون
 بيع عشرة بخمسة عشر في خرقة تساوي فلساً ويقولون الخمسة في مقابلة الخرقة
 فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصياغة وكيف تأتي الشريعة
 الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول بحكمة وعدلاً ورحمة وجلالة بأباحة هذا
 وتحريم ذلك وهل هذا إلا عكس المعقول والفطر والمصلحة والذي يقضي منه
 العجب مبالغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل
 زيت وحرموا بيع الكست بالسهم وبيع النشا بالحنطة وبيع الحبل بالزبيب ونحو
 ذلك وحرموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاءوا بربا النسيئة وفتحوا للتحليل

عليه كل باب فتارة بالعينة وتارة بالحلل وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ثم يطلقون العقد من غير اشتراط وقد علم الله والكرام الكتاتيون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر موجلة بعشرة نقدا ليس إلا ودخول السلعة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره فهلا فعلوا هاهنا كما في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله المحجب كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة الى ربا النسئثة بخنا خالصاً وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصياغة بحظها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية. وإذا حصص الحق فليقل المتعصب الجاهل ماشاء والله التوفيق فان قيل الصفات لا تقابل بالزيادة ولو قوبلت بها لجاز بيع الفضه الجيدة بأكثر منها من الرديئة وبيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ولما أبطال الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

قيل الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالأثمان ويستحق عليها الأجرة وبين الصفة التي هي مخلوقة لا أثر للعبد فيها ولا هي من صنعه (١) فالشارع بحكمته وعدله منع منه مقابلة هذه الصفة بزيادة اذ ذلك يفضي الى نقض ما شرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والمائل لا يبيع جنساً بجنسه الا لما بينهما من التفاوت فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة (٢) التي جوز لهم المعاوضة عليها معه يوضحه ان المعاوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة الى غير أصلها وجوهرها اذ لا فرق بينهما في ذلك

يوضحه ان الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة بيع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك ولا يقول له لا تعمل هذه الصناعة وأركها ولا تقول له تحيل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل ولم يقل قط لا تبعه الا بغير

(١) لعله سقط من هنا لفظ بين الذي هو الخبر (٢) وفي نسخة الصناعة

جنسه ولم يحرم على أحد ان يبيع شيئاً من الأشياء بجنسه فان قيل فهب ان هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير المطلوبة اذا بيعت بالسياتك مفاضلاً وتكون الزيادة في مقابلة صياغة الضرب قبل هذا سواء ال وارد قوي وجوابه ان السكة لا تتقوم فيه الصياغة للمصلحة العامة المقصودة منها فان السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة فان كان الضارب يضربها بأجرة فان القصد بها ان يكون مهيار للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة في العرف ولو قوبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت لاجلها واتخذها الناس سادة واحتاجت الى التقويم بغيرها ولهذا قام الدرهم مقام الدرهم من كل وجه واذ أخذ الرجل الدراهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافاً ويرد خمسين ثقلاً بوزنها ولا يأبى ذلك الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئاً وهذا بخلاف المصوغ والنبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يضربوا درهما واحداً وأول من ضرب بها في الاسلام عبد الملك بن مروان وإنما كانوا يتعاملون بضرب الكفاراه المراد منه

الرخص للمسافر في السكك الحديدية ﴿

(س ٣٠) هل يجوز للمسافر في السكك الحديدية الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ان سافر وقت الظهر أو وقت المغرب وهو يتحقق أنه لا يصل الا بعد خروج الوقت ولا سبيل له الى الصلاة في اثناء السفر أم لا بد من الوقوف عند ما تقرر في الفقه في هاته المسألة

(ج) للمسافر في هذه السكك من الرخص ما للمسافر في غيرها لان الشارع لم يشترط في السفر الذي تباح فيه الرخص ما يخرج المسافر في هذه السكك منه . على ان رخصة الجمع بين الصلاتين مما ورد الحديث الصحيح بإباحتها للمقيم فان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء في المدينة كما في صحيح مسلم وسنن الشافعي وقد أول فقهاء المذاهب ذلك ليوافق مذاهبهم ولكن ابن عباس راوي الحديث قال في تهليل ذلك «لئلا يخرج امته» فعلم أن ذلك رخصة مطلقة توتي عند الحاجة اليها

باب التوبة والتعلم

المكتوب السابع من أميل الى أمه
في ابتداء العشق وغرور الشاب الغرّ بالمشوقة

عن بن في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦٦

لقد كان قولك حقاً أيتها الوالدة العزيزة فأني قد خدعت نفسي ولا حق لي في الشكرى على كل حال ممن كنت أحبها لأنها لم تكن التزمت لي شيئاً ولا وعدتني الصدق في حبي بل أنها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التجيل والتكريم تفضلت فقبلت مني اعتباطاً صنوف اجلالي ودلائل اعظامي وقد كان هذا منها لي تشریفاً كبيراً وأظن أن من كفران نعمتها ان أهمها بخياني فإنه لم يكن من ذنبها ان كنت جاداً فيما لم يكن غيري يتعاطاه الاهازلا

على أبي ان قلت لك اني كنت أفكر في أمرها دائماً على هذا النحو كنت كاذبا فان الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذهول خيل لي فيها ان السماء خرت على رأسي وصرت كاني في حيز الفناء وانك قد تقولين انك لست أول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الاباطيل وزوال الاوهام وهو قول لا ريب عندي في صحته غير ان ما ينتاب الانسان لأول مرة في حياته يخيل له انه لم يحصل لاحد غيره في الدنيا فكنت أسائل نفسي هل يمكن أن يوجد في البرية من يبلغ مبالغها في الخيانة أو ليس الحسن الانقبا لانفاق وأقول انها لشدة ما سخرت مني لسلامة نبي وسرعة تصديقي واحس بقشعريرة الفيرة تدب في جسدي حتى تبلغ نخاع عظامي .

وأول يوم قامت بنفسي فيه الريب على صدقها فررت من المدينة هائماً على وجهي كالمجنون أخبط خبط عشواء وقد تعاقبت على بهري في مسيري مشاهد حمة من سنابل الخطة المدركة ، والقنابر المفردة ، وما في الهواء من الروح الخافق

تابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في العربية

وجدنا وحبا والكنفور والطواحين التي تنكشف للرأي في أمكنة مختلفة من خلال حجب الأشجار وقد مزقها يدالريج ، وخرير الماء المتدفق من ينابيعه المنتجة تحت الحضرة والديكة المقبضة المنطرسمة واقفة على الدمن ورافعة عقيرتها بزقائها النفاذ في كبدالسياء، وامرأب العصافير نائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر التي لولا هذه الاحوال لمزت نفسي وشرحت صدري فلم تلقني عن هذه الفكرة الثابتة في ذهني وهي أنها تعشي

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شبجا مبهما يسري وجدران البيوت كأنه ظل فلما بلغ منعتف الشارع سقط عليه ساطع نورالانوار المنعكس فأراني انه فتاة شاحبة اللون رثة الثياب تحمل طفلا في يديها ولست أدري تمام الدراية لماذا خطر بفكري لرويتها انها شديت ثم هجرت وسألت نفسي سوألا محقق هل تنقسم النساء في هذه الايام الى طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة . تأثرت هذه الفتاة بعضا من الزمن يجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف مره حق المعرفة فكلمها كانت تمر على نور مصباح كنت اخالني أقرأ في وجهها خاطر الانتحار وقد كنت من تسخطي لحالي بحيث ابي كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال البر وما عمت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى فناء نكتنفه اطلال دارسة وفي دكن من هذا الفناء بر سردت فوهتها بغطاء غليظ من خشب مسوس مشقق فرفعت الغطاء بأحدى يديها العاريتين واتكأت بمرقبتها عن فم البئر وأرسلت بصرها في غيابتها وعليها سمة القنوط وفي هذه الساعة انفلت القمر من قبضة السحاب فألقى نوره الاغر على بلاط الفناء المتوحل وكنت اذذاك مختفيا خلف جزء من جدار أتبع جميع حركات الفتاة المسكينة بامعان لاني لم يكن بقي عندي ريب في أنها قد صممت على الانتحار وكنت أقول في نفسي: أقل ما في الامر اني ها هنا لا أضعها منه وما كنت أجسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تز يدها رويتها لمن شاهدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فبعد ان تروت هنية كان جبينها الكشيب في اثنائها مسرح الانفعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهممت بكلمات مبهمه وهي مهبز رأسها ثم هرولت داخلة أحد الاكواخ الحقيرة وأغلقت بابها عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سأعلمه من أمر هذه البانسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير نتيجة نفس من الموت كانت توأم من الحب ثم اضطرت الى الكفر به واهنه كاني بك تساليني كيف ظهر لك انك ألوهية طوى امرأة طائشة اجيرة فامتأ ذلك في تنزيهك عن سباع تفاصيل هذا الامر لانها لا تليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بانها كانت تحرض طالبين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا بقطع النظر عن أمير ورتيمبورغي (١) يقال انها تحبه لماه فليت شعري هل أبصر احد في حياته نظيرة لتلك المرأة

لم يكن همليت (٢) مثلي في سوء الحظ لما كان يقول لمعشوقته أو فيليبا: «أيتها المرأة اسمك الخور فان اسم صاحبي هو الكذب والمكر والغش» . هذا هو التمثال الذي بخبرته بيخور أماني وجعلت له بين الآلهات المفيدات مكانا وكنت أعنى لو دنت مني الكواكب فانهزعتها من نظامها ونظمت له منها كايلا . على ان لي أمرا يسلميني وهو اني لم أدنس الحب في حال جنوني به

فاعلمي يا أماء انه لا يزال من حقي ان انظر اليك غير خجل لان خطيبي انسا كانت سوء حكم لا ارتكابا لشيء من الحنا ولكن هذا لا يقلل من استباحتي لهفوك فاعفري لولدك هفونه حتى يمكنه ان يغفرها لنفسه . اه

﴿المكتوب الثامن من هيلانه الى اميل﴾

عن لوندرة في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٦٠

اعلم يا ولدي العزيز ان ما تقع فيه من ضروب الغي هو الذي يهدينا سبيل الرشده وان ما نقره من الذنوب هو الذي ينبئنا اذا تألمت منه ضمائرنا بأن لنا

(١) ورتيمبورغي نسبة الى ورتيمبورغ احدى ولايات المانيا (٢) همليت هو أمير جوتلاندي الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثرا أبيه الذي قتلته أخوه بالسهم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلاندي شبه جزيرة بالدنمارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦٠ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأبي هي ان نستفيد من كليهما لتعلم
لم تدهشني نهاية قصتك وسأتحامى كل التحامى ان أعيب سيرتك فيها لانيك
قد عبتنا بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسعي تأديته اليك من النصائح قبل
ختمها المحزن ليساوي ما وعظمتك به نجر بتك الذاتية. ان في أمور الكون لمدلا
وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلذ للخيالة الانسان
ان تزينها بالالوان الموهمة وتفسحها بالاستار الحاجة وبهذا كان الدهر استاذنا جيمما
على اني ان لم أقرّ لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق
والحيرة كنت قد كتمتكم بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطيب عنصرك
وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكفيني للتاكد من انك لا تسفل
لارتكاب دينئة ما ولكني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب
وجمحات العجب المفتون وأماي البسالة الخادعة فما يوجب الاسف ان أصدق
الناس في الحب وأخلصهم لهم كذلك اشد هم تعرضا لمخاطر دسائسه وأما الشبان
الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجامدة
لا تتخدع بكذب الظواهر وهم الذين جعلت لهم المحبات المهيجة كما جعلت الخجور
المتبلة للسكبرين

تراهم يبدون من الهمة والنشاط في تحصيل الغبطة أكثر مما يلزم وهم مع
هذا في اسوء عيش وانكده هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتعاطون لدسائسه
اعتاضوا عن الحب بظله اعنى الظرف والكياسة في معاشره النساء وان خسة عواطفهم
تمتل على خلوهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصفصاف الجوفاء التي
تصادف على حافة السواقي (الانهار الصغيرة) في انها تعفن قلوبها لم يبق لها حياة
الا في قشورها

ان الامم التي لا تجل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهن غير جديرة بالحرية
يدلك على ذلك أن عصور الاستعباد والمخاطط النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق
والانهماك في الرذائل فاذا زالت هيبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس
بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم ما يضيئون فيه أوقاتهم

يتصيدون الملاذ السهلة فأربأ بنفسك عن هذه الردغة (١) فلا مقرر لك فيها
 اني ربما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيرا لمن هم في سنك ان يضلوا
 فيشطوا في طلب مثال من الواقع لما ينخيلون من منتهى الكمال فيمن يريدون ان
 يجملوها مناطا لجهنم وهو قريب المزال حاضر بين أيديهم . اري انك فوق حنقك
 على من غرتك نادم على ان كنت غير صادق في محباتك فتأمل في باطن ما تحفظه
 ذا كرتك تجدني قد أصبت المرمى فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من اترابك
 تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتنكر ملامح وجهها وابتسامها وجرس صوتها وكل
 ما يتعلق بها حتى ثنيات حلقها تمام النكر وان مثالها الظاهر ليسري سرعان الشماع
 فوق كتابك اذا فتحتة لتقرأ فيه ما صنفه الشعراء وأنت تود لو تشاهد منها كل ما في
 الكون من الجمال وتسمع جميع ما للبرية من الأغاريده وهي التي ينطبق عليها ما تخيله
 من معنى الفضيله وتود من اجابها لو تكون أفضل الفضلاء فتلك الذات هي التي تحبها
 فان لم تكن تأنس من نفسك شيئا من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلا ولم بأن
 لك ان تعتقد في نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس ويبعث
 على طلب الخير وعلى ان يقتضي المحب من نفسه المحبوبة كل ما يقتضيه لنفسه منه
 لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تر بصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس
 اسمه باجرائه على لسانك قبل حصوله والاندمت فيما بعد أن لو ثقت شفقتك بالكذب
 والشبان خطأ آخر في الحب وهو أنهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع
 كالتى ثروى في القصص ازدادت لذته وكثرا لا يتهاج به فليس الامر كما يتوهمون
 لان في الحب من العظمة الذاتية ما يفنيه عن زخارف الخيال . ان الفلاح البار اذا
 راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقتة وأخذ يلحظ زوجته وهي
 تغزل أو تخبيط بجانب المصطلى ثم يمسح رءوس أولاده غلاظ العضلات مناديا كلا
 منهم باسمه وينسك في نفسه زمن ترقبه لزوجته « جنة » يوم الاحد في ظل شجرة
 الدرदार الكبرى في المزرعة ويراها لا تزال غضة الحسن موفورة الشباب كان أبهج

خيالا اضعافا كثيرة من حظي الالهة من الالهات الحب الجديدة
الشباب هوسن الاماني والاحلام وطور الخيالات والاهام ثم ان كثرة المطالعة
لاثرة لها في أغلب الاحيان الا افساد حكم القلب . على ان الحب في غاية الغنى عن
القمصن الخرافية لانه عبارة عن تاريخ لاصح ما في فطرتنا من ضروب الوجدان
واشدها استقلالاً فويل لمن لا يشقى ويتوله الا في الحلم لانه لا يثبت ان ينكشف
وههنا اذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اهتمامك باختيار امرأة تحبها ان توجد لنفسك بين الناس
مقاما فان كل عمل تعلمه في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك في نظر نفسك ومغالبة
مالاثرة من أنواع الميل الاعمى وبلوغ ما الانسان من الشرف يفيد المرأة التي تتحبها
كما يفيدك وكن واثقا بأن هذا لا يعد منك في حقها كثيرا اذا كان يهيك ان
تكون أهلا لاجلالها لك حفظا لشرفك وصونا لعرضك

حاشية : فاتني ان أخبرك بأن « لولا » تعلم الطب من أجل أن تقبلها جمعية
الطبيبات بلوندره في عدادهن وكانا نجيبك اه

(المنار) ليتأمل اللبيب هذا التذكير اللطيف بلولا التي تربت مع أميل مثل
تربته بعد بيان من تستحق الحب وبيان حقيقةه وغرور الشبان فيه فيالله ما هذه
الحكمة في هذه البلاغة

أنا كل يوم

﴿ التقریظ ﴾

﴿ فرقان القلوب ﴾

كتيب جديد للشيخ محمد ابي الهدي افندي الصيادي الشهير قال في فاتحته
« وأرى ان هذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس في مكاتب الاسلام .
لينتفع به ان شاء الله الخاصي والمعام ، فباقرائه ينتفع بالثواب المنتهي ، وبتعلمه

ينتفع في دينه المبتدي » وتقول ان موضوع الكتاب مما يفيد المبتدئين لانه في أحكام وحكم أركان الاسلام الخمسة ولكن هناك مانعا من تدريسه وهو ما فيه من اصطلاحات الصوفية المعروفة وغير المعروفة التي يعسر على معلمي المدارس معرفة المراد منها أوبيانه للتلاميذ فإذا ترى في فهم التلاميذ لها واستفادتهم منها ؛ وما قولك في كتاب تذكر فيه العبارة وتفسر بعبارة أشد منها غموضا . مثال ذلك ما نقله عن الشيخ احمد الرفاعي الكبير في بيان حقيقة التوحيد وفسره وهو كما في (ص ٤) « وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه ، ومعنى ذلك الوجدان ان استدلال العقل وتسلط فهم القلب على ما يسكن اليه الحاطر ويقف عنده السر من البراهين النظرية التي تؤيد سر التوحيد فيعتقد العاقل بسبب تلك البراهين القاطمة وجود الخالق ولا ينصرف رأيه الى التعطيل ولا الى التشبيه »

الظاهر أن هذا كله من كلام الرفاعي ونقول قبل بيانه له ان معلمي المدارس لا بد أن يتفوا أمام هذه الجملة موقف الحيرة ويعسر عليهم ايصالها الى أذهان تلاميذهم لأنهم لا يعقلون وجها لتفسير وجدان التعظيم باستدلال العقل فان هذا الوجدان محله القلب واستدلال العقل أي فكره في تأليف الادلة النظرية من عمل الدماغ . والقلب يطلق في لغة القرآن على ما يكون به الفكر والادراك وعلى ما يكون به الشعور والوجدان ولعله يرى أن العبارة قد مزجت الاستعمالين فبني أحدهما على الآخر . ولا شك عندي أن فهمه يقف عند تفسير وقوف السر وتأيد سر التوحيد وتسمية البراهين النظرية براهين قاطمة وجعل نتائجها الاعتقاد بوجود الخالق مع أنها اقيمت على توحيدته ، والكلام في توحيدته إنما يبنى على التسليم بوجوده، وعدم الانصراف الى التعطيل والتشبيه يصدق بقله الذهن عنهما فلا تكون تلك البراهين مفيدة للتوحيد ولا مفسرة لذلك الوجدان . فاذا وقف المدرس أمام هذه العبارة الرفاعية الرفيعة هذا الموقف، فهل يناشئه منه ما بينها به المصنف ، اذ قال

« وبيان ذلك ان ينظر في هابطة السرور وهابطة الحزن وحال الانقباض

وحال الانبساط ومسامرة الخاطر ونشأه الحب وزفرة البغض ووارد الرأي وطلسمية الفكر والحرص والزهد والحقد والصفح وأمثال ذلك من دقائق الاسرار القلبية التي تتدلى الى القلب وتقوم بالعقل ومثلها اللطائف المجردة الخمسة: الشامة والباصرة والسامة والطاعة واللامسة كلها موجودة في الوجود غير منكر وجودها وغير مدركة كقيمتها ولهذا السر القاطع والدليل الساطع قال تعالى (وفي انفسكم أفلا تبصرون) فاذا استدلل العقل وتسلط فهم القلب على وجود الخالق بما في الذات المصنوعة من الدلائل التي تجحد - و - - فهناك لا بد ان يعظم مولاه ويقول أشهد ان لا اله الا الله « الخ ثم انتقل الى الكلام عن المبلغ لهذه الكلمة صلى الله عليه وسلم

هذا نموذج من أول الكتاب وفيه ما هو أشد غموضاً منه في نفسه وفي الموضوع الذي دسّ فيه وناهيك بكلامه في الارواح عند الكلام أسرار الحج الذي جعله وسيلة للقول بأن النبي صلى عليه وسلم مد يده من قبره الشريف حتى خرجت الى المسجد فقباها الشيخ احمد الرفاعي والناس ينظرون وللشيخ ابي الهدي غرام باذاعة هذه الدعوى حتى لم يدع الكلام في الدين وأركانه يخلو منها وقد ذكر هذا الكتاب وجه امتياز الرفاعي على الصحابة وأئمة آل البيت بهذه المنقبة وذكر أنه ثالث عشر أئمة آل البيت أي انه يلي الامام محمد المهدي المنتظر

فلينظر الناظرون أين مكان الامة بمدارسها ومعلمها من رأي مؤلف هذا الكتاب ؟ ترى المتخرجين في مدارس الاستانة اكثرهم ماديون وترى مدارس مصر قريبة منها وترى بعض الناس يكتب في الصحف اليومية ان دين الاسلام قد تحجر من شدة الجمود فلا يقبله أهل هذا العصر بالصفة التي دونت بها في الكتب ثم نجد فيما من يرى انه ينبغي لنا أن نعلمه من مثل هذا الكتاب فإذا هذا الخلف العظيم



بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِصْلَاحِ

﴿ الشورى في بلاد فارس ﴾

تحدثت الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للإصلاح وأن هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا . وكان الناس يظنون أن العقبة الكؤود في طريق الإصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالممك والامراء واعتقادهم كغيرهم أن الإصلاح إنما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الدستورية واستطابوا ثمراتها . ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الإصلاح ويلحون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصيرة أن القول بوجود الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس الى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية الا بالعلم الصحيح ولا علم الا بالاجتهاد فالاجتهاد أقرب الى الهدى وان ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالصمى وان اتسعت دائرة تقليده . وأما الاعتقاد بالمهدي فإنه لا يصد عن الإصلاح اذا عقل طلابه، يقولون لأن نجدنا المهدي أقوىاء صالحين خير من أن نجدنا ضعفاء فاسدين (كما بينا ذلك في كتاب الحكمة الشرعية) رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الإسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهناه الممك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين وانتي أقول الآن في هذا العمل الجميل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية والقصائد البليغة وهي أن كتاب الله تعالى جعل أساس المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز أن يسمى إسلامياً فاذا نفذ حكم الشورى في البلاد

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يعنى حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لا حكم من يسمي نفسه سنياً أو غير سنني وهو يخالفه

جامع ومدرسة دينية في ديروط

أكبر آيات الارتقاء البيئية في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نموّ وازدياد يدل على أنه أثر لحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا اليها بدعاة الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجه مركز ديروط الوجيه فأخذت بجانب داره في بلدة ديروط مسجداً جامعاً ومدرسة دينية لتعليم المعلوم الازهرية وكتاباً تحضيرياً لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطيانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمتعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعاً للزهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيراً ما تقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ما شرط ولو شئنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله وانما نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي لحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكبر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيراً من وجهاء القاهرة ومديرية أسيوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال محمود بك صادق رئيس أقلام الديوان الخديوي مندوباً عن الأمير وحضره أيضاً مدير أسبوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوائين وكثيرون. وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص إلى ديروط يوم الخميس ثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب بديء الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيداً ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلاً ما معناه أنه يرجو أن يكون هذا العمل ناشراً للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهداً لحياة الأرواح وحياة الأرض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الأزهر خطبة قال إنه يتكلم بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء. وموضوع الخطبة ملخص ما قيل في تفسير قوله تعالى (إنما يهجر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بني لله مسجداً ولو كفه حصص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومن ذلك تفسير المفحص والنسبة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها. ثم أثنى على قطب بك قرشي الشاء الأوفى وختم كلامه بالدعاء لاسطان وللخديوي والثناء عليهما بالاطراء المعتاد. وتلاه الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلة العاملين وبين أنه لا يرجي أن يعود إلى مصر مجدداً السابق إلا إذا كثروا العاملون وانتقل من ذلك إلى الشاء على قطب بك قرشي ثم السلطات والأمير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا ميل إلى الأدبيات وأسعني لنفسه شعراً حسناً يدل على مستقبل أحسن منه إن شاء الله تعالى. وخطب محمد أفندي أحمد الصميدى فتكلم عن تأثير العلم في مدينة اليونان والرومان والعرب وأوربا واليابان ثم انتقل من ذلك إلى شرح عمل الواقف

وإطرائه ومدح السلطان والخديوي . وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئا للخطابة فحال ضيق الوقت دون تلاوتها . وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب فارتجبل خطابا وعي كثيرا منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت بقرائته فيه ما كنت ناسيا منه وبعض ما نسيه المكاتب فأنا أنشر هنا ملخص ذلك وهو اننا نحتفل اليوم بميل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول

كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به التيام بالمصالح العامة وبذل المال في سبيلها هو الاساس الذي بني عليه مجد الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة وبه تسود الامم في كل زمان ومكان

كثير الكلام في هذه الايام في ضعف المسلمين وتأخر شعورهم عن جميع شعوب الارض في كل شيء ، وكثير القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون في أن ارتقاء الامة متوقف على وجود العاملين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم . اننا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جراثيم الحياة ما يكفي لانعاشنا وإقالة عثارنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون الامة . قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا انني قلما ذآرت الوطنيين في مسألة الا ورأيت فهمهم فيها كفهنا فالظاهر انه لا فرق بيننا وبينكم الا في شيء واحد وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا ونذرهم فيكم

ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان مدارس من تلك الاوقاف وذهبت معالمه وما عاد ملكا للجهل بأصله هو اكثر مما بقي

كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة وحافظ لشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان بل جملة هو وبذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لا ترتقي الا بهم لاسيما في هذا الزمان الذي لا يقوم فيه عمل عظيم الا بالمال فالبنل فيه يهد بمغابة الفتوح والباذلون في مصاف الفاتحين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالأعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الذين يقومون بالأعمال النافعة للامم موضع الأئمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقندي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محيي السنة بعد موتها وانطماس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة لأن محيي الشيء بعد الموت كموجده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقى الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في اشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فتقد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه انه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فان المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلما ينتقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الاحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الانتقاد صواباً ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للازهر كالجامع الأحمدي وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لا حاجة اليه بالمرّة ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يابق

به فحسبه ما يراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني ؛ اننا نرى أكثر المعلمين في المدارس الابتدائية لم يزيدوا أمتهم الا خيالاً و بلادهم الا خراباً لأنهم لا هم لهم الا اللذات الحيوانية والحظوظ الشخصية ومهما كان حال طلاب الملوم الدينية رديثاً فإنه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد التعليم الديني اذا أدى على حقيقته تهرقى النفوس وتقل الجرائم والفواحش ويندر سلب الاموال ونهش الاعراض ويثر الصدق والامانة والمودة في الناس . قد يقال ان هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجميلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسعى في تكميل الخير الناقص لاني ازالته من الوجود بالمرّة . ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا . ان كل شيء عندنا ناقص ولو كملنا في شيء من أمور الاجماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان الكمال يمد بعضه بعضاً

لست أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لا حاجة اليه كيف وهو وسيلة للبرقي الى تعليم أعلى منه لا رتقي البلاد بدونه وإنما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد . نحن في أشد الحاجة الى تميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجعله وسيلة لما فوقه . وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان . ففرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في مجله فان التعليم الديني ميسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال بمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى ان تأثير هذا الاحتفال في نفع روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشعر . فان احتفالاً بحبيب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الأمة ينظر اليه الناس بعين الرضا ويعد حضوره هولا شهادة فعلية
بنفقه وشكرا لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال . وإذا كان المحتفل
ينوي باحتفاله الترخيب في مثل عمله فإنه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على
العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن حب الثناء
في الحق لا ينافي الاختلاص في العمل
ثم نحننا القول ببحث الأغنياء على الأعمال النافعة للأمة والدعاء باصلاح
الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الأمة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتذكيل ابن سعود به وبقومه
وبعد أن قتل صار ولده متعب أميراً مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بهد
ذلك أن استولى على أكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ما يقال
له العدو يهد عن حاييل (بلاد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متعب
للحصار وضافت عليه الدنيا لان بلده ليس فيها من القوت ما يغنيها عما يأتيها من
العراق فتوسل باين عون باشا شيخ الزبير بان يوسط ابن صباح شيخ الكويت
في الصلح بينه وبين ابن سعود فذهب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما
كان بينه وبين ابن صباح منذ سنوات من الشجاء فأكرم ابن صباح وفادته
وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متعب بن
الرشيد حتى يتذاكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندرى على أي
شيء تم ذلك الصلح وامله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط
به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فأنها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم
بين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفاً لنجد فأقام في المدينة المنورة
ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في الشيحة مع المساكر المنظمة التي هناك (والشيحة
قرية من قرى القصيم) وكان متعب ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سعيه التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هون عليه شأنه. ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكرة من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملاحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد. جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف . وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والمسكر في قصر بريده وقصر عزيزه ويكون هو احاكم للقصيم يجمع المال ويستقل بالحكم . وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرا من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود اننا خاضعون لامر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لا غناء فيها لاهلها فنحن لا نرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشي فلا تقبل لك قولا واذا كان عندك أمر من السلطان فاننا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فاننا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين في رفعه عنا ولا نشك في أنه يرجعنا ولا يكافنا ما يشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا . ووافق الشيوخ على ذلك . وقد أثنى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يعرض به فاستاء وافترقا مفضيين ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثر والاعتداء على المساكن بالاعتداء والنهب والسرقة فلما أعياهم أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حماية المسكر من البدو وكان ابن سعود لا يزال مفضيا مما قابله به المتصرف من العظمة والظفرمة ومن مدح خصمه في وجهه فاجابه انك أنت والعسكر ما جئتم الا لحماية فكيف تطلبون منا أن نحملك فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الإقامة هناك مع مناوآته والتكبر عليه ألان له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه أنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يبقيه عنده فقبله وأمر الاعراب بالكف عن المسكر فأطاعوا وحسنت الحال . وكان ذلك قبل الصلح مع متعب

بؤنوا الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

الله
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوي و« مناراه كنار الطريق

مصر - شعبان سنة ١٣٢٤ - أوله ١٩٤٥ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٦

خطأ العقلاء

من مقالات الأستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعريض بالعرايين
 كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ - ٤ أبريل سنة ١٨٨١
 ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا اكثروا من دراسة الفنون الادبية
 ومطالعة اخبار الامم واحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم افكار جليلة وتنبعث في
 نفوسهم همم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الغاية التي ينبغي ان يكون العالم
 عليها واكونهم اكتسبوا هذه الافكار وحصلوا تلك الهمم من الكتب والاخبار
 ومعايشة ارباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون ان وصول غيرهم الى الحد الذي
 وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتامها على مقتضى ما علموه هو
 امر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من
 أيديهم والالفاظ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلبا حاثا ان يكونوا على
 مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وناموسها العام على طبق افكارهم وان
 كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصا معدودين و يظنون ان
 افكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب ولدقاتر ووضعت اصولا
 وقواعد لسير الامة بتامها ينقلب بها حال الامة من أسفل درك في الشقاء الى
 أعلى درج في السعادة وتبديل العادات وتحول الاخلاق وليس بين غاية النقص
 والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم

تلك ظنونهم التي محدثهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات
 وانهم وان كانوا أصابوا طرفا من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته
 وارتفاع الهمة وانبعثت الفيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيما من حيث انهم لم
 يقارنوا بين ما حصلوه وبين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يختبروا قابلية
 الاذهان واستعدادات الطباع للانقياد الى نصائحهم واقتفاء آثارها ولو أنهم
 درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعادته
 الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لهلوا انت الامم في
أحوالها العمومية كالأشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الاحوال العمومية هي
عبارة عن مجموع الاحوال الخصوصية وليست الأمة مثلا الا مجموع أفرادها وليس
حال الهيئة المركبة من تلك الافراد الا مجموع أحوال هاته الافراد

فعلى من يريد كمال امة بثامها ان يقدر ذلك بكامل كل فرد منها ويسلك
في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها تكميل الواحد هل يسهل على صاحب
الفكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم
شيئا من مبادي العلوم تلك الافكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة
المطالعات؟ كلا بل لو أراد ان يجعل شخصا من الأشخاص على مثل فكره احتاج
الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادي الفنون السهلة التحصيل ثم يتدرج
به شيئا فشيئا حتى ينتهي بعد سنين عديدة الى بعض مطلوبه ثم هو في خلال
ذلك محتاج الى ان يحمى أعماله ويقيدها بقيود من الرغبة والترهيب وان يراقب
حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والافكار أو المائلين الى
الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لا بد
منها فان اختل شيء من الترتيب في التعليم بأن قدم الاصمب على الاسهل مثلا
أو أهل ملاحظة أعماله وأحواله اختلت التربية وذهبت الاتعاب سدى واستحال
صيرورة حال ذلك الشخص مماثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تهويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرحوية هل يمكنه
ان يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كلا ان الذي تمكن في العقل أزمانا
لا يفارقه الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد اولا في ازالة الشبه التي
تسبب بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بعبارة
واحدة ولكن ببارات مختلفة في التقريب بعضها سهل المأخذ قريب المنال
والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخر برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ
تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرّه نصحه الى الضرر
بنفسه. تلك هي الحالة المشهودة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لا يباشر ولا يخالط في خلال تعلمه الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يخالط غيره ممن يؤيد فكره الاول طال الزمن وربما لم يجمع فيه الارشاد وأظن (أن) هذا يعترف به كل من مارس الاخلاق والمادات

ان كان هذا حال شخص واحد اذا أردنا اصلاح شأنه في صغره أو كبره مع انه يسهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنهه أو صافه ودرجات تقدمه في المقصود وتأخره فيه فما ظنك بحال أمة من الامم تختلف عناصرها وتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجهالة ان تكلف الامة بالسير على ما لا تعرف له حقيقة أو يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلية كما انه لا يلقى ان يطلب من الشخص الواحد ما لا يعقله أو ما لا يجد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تحذيرات فيها لا تبعد منها بالمرّة فاذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى بالدريج حتى لا يمضي زمن طويل الا وقد انحلوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحطة الى ما هو أرقى وأعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود ما لم يصلوا الى كنهه أو كلفوا من العمل ما لم يمهده أو خولوا من السلطة ما لم يعودوه رأيتهم يتخبطون في السير لحفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أفسس منها بحكم الاستعداد القضي عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة في الانتخابات العمومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شا كل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونعلم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الامة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتشوق النفوس الحرة ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لانستحسن ان تكون

تلك الحالة بعينها لافغانستان مثلاً حال كوننا على ما نعهد من الخشونة فإنه لو
فوض أمر المصالح إلى رأي الأهالي لرأيت كل شخص وحده له مصلحة خاصة
لا يرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهم أن ينتخبوا مائة
نائب مثلاً لرأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أو نسيباً أو قريباً فربما ينتخبون
آلافاً مؤلفة ثم لا ينتهي الانتخاب إلى المرغوب أصلاً لوقوف كل واحد عند
انتخابه الأول ولو وكل اليهم انتخاب رئيس للحكومة لانتخبت كل قبيلة رئيساً
منها ثم يقع الهرج بين الرؤساء وهكذا حال الأمم التي تعودت على أن يكون
زامها بيد ملك أو أمير أو وزير يدير أعمالها بدون أن يكون لها دخل في رؤية
مصالحها لا يمكن أن يطلب منها الدخول في أعمالها العامة والافسدت فإذا أردنا
إبلاغ الأفغان مثلاً إلى درجة أميركا فلا بد من قرون نبث فيها العلوم وتهذب
العقول وتذلل الشهوات الخصوصية وتوسع الأفكار الكلية حتى ينشأ في البلاد
ما يسمى بالرأي العمومي فعند ذلك يحسن لها ما يحسن لأمريكا
ويأعجبها هل الشخص الذي توارث العوائد عن آباءه وأجداده ومرن عليها
من مهده إلى كهولته وتمود تفويض مصلحته إلى إرادة غيره يصح أن يطلب
منه في زمان واحد خلع جميع ذلك، ويلقى إليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم
يفكر فيها أن هذا خطأ ظاهر

ولكون أرباب الأفكار من يرومون أن تكون بلادنا وهي هي بلاد أوروبا
وهي هي لا ينجحون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أتعابهم أدرج الرياح
ويضرون البلاد بمحمل المشروعات فيها على غير أساس صحيح فلا يمر زمن
قريب إلا وقد بطل المشروع ورجع الأمر إلى أسوأ مما كان فيفوت الزمان وهم
على حالهم القديم وكان فهم أمكان أن يكونوا على أحسن منه فمن يريد خير
البلاد فلا يسعى إلا في اثقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه إن كان
طالباً حقاً بدون اتعاب فكر ولا إجهاد نفس وفي الكلام بقية أذكرها فيما

وكتب في العدد ١٨٢

كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس في أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بأنه يريد تقدمها ونقلها من حالة الهمجية (على ما يزعم) إلى حالة التمدن التي عليها أبناء الأمم المتمدنة وجعلوا الوسيلة إلى ذلك أن تنقل عادات أولئك الأمم المتمدنين وأفكارهم وأطوارهم إلى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لعاداتهم وأخذنا الآن بأفكارهم اليومية وتشبهنا بهم في الأطوار كاف في أن نكون مثلهم وأن استلما تلك العادات وتلقينا لتلك الأفكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الأسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الأمم إلى هذه الحال التي هم عليها حتى يعتدوا مثلها أو قريباً منها ليرقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن أن تكون بداية مع أن ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا إليه إلا بعد معاناة أتعاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة ويبعدون عنه أخرى كما يرشدنا إليه تاريخهم حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الأهالي وغيرت أخلاقهم ونهت الضرورات أفكارهم وهذبت المخالطات الجهادية والتجارية عقولهم أن بداية التقدم الأوروبي في الحقيقة كان في نفوس الأهالي وأفراد الرعايا علمتهم الحروب الصليبية سبر البر والبحر وخالطوا فيها الأمم الشرقية أجيالاً وطمحت أنظارهم لمغالبتهم فدققوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم إذ ذاك) وبحثوا في أحوالهم فرأوا لهم عادات جميلة وفيها بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم اتساعاً وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقة الحرية ولذلك كان الفنى والمزموكرات أقطارهم فاخذ أهالي أوروبا عند ذلك في تقليدنا لكن لاني البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات إليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوها من وجوه الكسب فكان ذلك أساساً للعمل وقصر في النفوس وثبت في العقول وبنوا عليه ما شاءوا ولو تأملنا تاريخ سير التقدم الأوروبي لرأينا

أسباب التقدم بجمعها سبب واحد وهو احساس نفوس الاهالي بالآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلاء) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكثاب ووفرة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة العدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التعاضد والتعاون على ترويض وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تمعد لذلك المحالفات والمجاهدات وتأنف له الجمعيات فكان جرثومة تقدمهم أمرا منبثا في غالب الافراد ومحرضا في أغلب العقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك التقييدات التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغيير جميع العوائد والمشارب والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم ويتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناؤهم من بعدهم

أما عقلاؤنا فقد وجهوا نظرهم الى حالة التمدن الحاضرة والاهالي على غير علم منها بانفسهم فاستلقتهم العقلاء اليها لكن لا بتحرك غيرتهم الى العمل اختيارا أو الجأتهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد التمدنية ويشهدوا عاداتها واحوالها ويهتم العقلاء منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقعه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد تظهر عليهم الرفاهية وترى عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم ويتفكرون فيما لا يعقل فسادوا بيننا بنية وزينوها بما لم نكن نعهده من أنواع الزينة وجلبوا الينا من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب مقبوره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبئه ورأيناهم يترنون بهذه اللطائف التي تذهب الحزن وتشرح الخواطر ويتنافسون فيها فاعجبنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا أئمة لنا في العمل فاخذنا تشبه بهم لكن فجا رأينا وهو الزينة والبهرجة

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك ترى أفكار القالب ما دائما عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشييد الابنية وتنجو به وضعها واتقان ترفيها وتزبين بواطنها وظواهرها والتوسع في لوازم المأكل والمشرب والآلاتها وأوانيها والتفنن فيها وجلب ما هو أغلى ثمننا وأدخل في انظر وأجاب للأنس والتأنق في الملابس ومحاذاة الاوربيين فيها ومحاوله ان تكون على النمط الاعلالي عندهم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفردات وتأقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلا عنه وارتفعت عن الطاقة قيمه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في افتتاح البلاد وتملك الحصون وبالجملة فقد سلكنا مسالك المتمدنين في ثمرات تمدنهم التي جعلوها من زوائدهم فاسرفنا في الانفاق وصار الناظر للملابسنا ومساكننا والذائق لمطاعمنا ومشاربنا يشهد باننا في ذلك بحمد الله متمدون فقد اشركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال المتمدن من طلبه للتمتع بالذائذ وركونه لترويح النفس وتخفيف أتعابها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل لدجاجة رأت ان الاوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستعداد (أي بأن تكون أوزة) فحبت نفسها واستعملت قوتها للدافعة حتى انشقت منها ما انشقت وعزقت منها ما عزقت فان افراطنا في تقليد الاوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي نظنها تفوق عاداتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى اللذائذ واستكمال لوازم الترف والنعيم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل يوجب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصل الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الذاتي الذي يتبعه الفنى والثروة والراحة المستتعبة للذة الحقيقة والنعيم الباقي في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح الثروة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أعني الاحساس بوجود اللذائذ والآلام والتشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الامم المتمدنة فصح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فانهم رأوا
 أبواب اللذات مفتحة قبل ان يجدوا عقلا يقدر لهم ما يلزم منها وما لا يلزم
 كل ذلك نشأ من جلب تلك العوائد الترفيية الى بلادنا وطلب التحلي بها
 بدون ان نحوز ما يوصلنا اليها من أنفسنا ولتينا قبل ان نشيد بيوتنا بالارتفاع
 الشاهق والترتيب المحكم وزينها بأنواع النقوش والفرش والاثاثات أبقيناها على
 بساطتها وشيدنا في عقولنا الهم الرفيعة والحمة التي لا تمتد اليها الايدي وأحكنا
 طرق سيرنا في حفظ حقوقنا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ
 علينا ما وجدنا وتجذب اليها ما فقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من
 رحمة بالضعفاء ورفق بالملهوفين وغيره على البلاد وأنفة عن الصغار

لعمرك الله لو قدمنا هذه الزينة الجوهرية على ذلك الرونق الصوري لكان
 العالم بأسره ينظر اليها نظر الراهب الخائف أو برمقنا باحظ المعظم المبجل وكانت
 معيشتنا البسيطة أوقع في نفسه من معيشته الرفيعة وكان ذلك سهلا لو ان الزاعمين
 فينا حب العرق والتقدم ساروا بنا من البدايات وحججونا عن النهايات حتى لا تراها
 الا من أنفسنا فنطلبها لالا انها أعجبت النظر ولكن لانها بنت الفكر وتيجته وكانوا
 يعملوننا محاذاة المتمدنين في أصول أعمالهم لاني زواندها فكنا بذلك نصل الى
 ما وصلوا اليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي نالوا فيه ما نالوا لكن فوات الوقت
 ونحن الآن فيه فعلينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد الامل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ ابريل سنة ١٨٨١

كلام في خطأ العقلاء

لسنا ننكر ان بلادنا كانت في الازمان السابقة تحت تصرف أقوام خشنين
 لا يعلمون للخلفة غاية الا وجودهم الشريف وكانوا يعدون افراد الاهالي انعاما
 خلقت لهم يستعملونها كيف يريدون (كما كان ذلك شأن سائر الامم غربية
 وشرقية) فارتعموا أنف الطبيعة ومحو أنوار الالهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس
 عباده لفهم منافهم ومضارهم حيث وقفوا سدا حصيناً بين كل شخص ومنافه

فامتأثروا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل العامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ما تبدو الثمرة يسرع حاكمه الى قطفها وكانت حياته معقودة بفضب ذلك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كوريض بالغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لقضاء حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو درء مضره بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وما ملكت يده حل للأمر عليه وليس لتصرف ذلك الأمر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصعد بها تاريخ هذه البلاد اجيالاً كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لا نصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني ففيت الارادة ومات الاختيار وطفى نور الفكر بالمره

وكان من جهة التقييدات العنيفة التي وضعا أولئك المتسلطون الحرج على أهالي المدن وغيرها في الاعمال والاقوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقة يقال لها الكبسة وهو ان يهجم رجال الضابطه على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجتماع على فسق كفضح بالنساء أو شرب للسكرات وماشا كل هذا فان وجدوا شيئاً من ذلك ساقوا من مجلدونه الى حيث يستوفي عقاباً أليماً وكذلك وضعوا في الافواه لجاماً من الرهبة فلا يكاد ينطق الناطق بكلمة في مطلب علمي أو تجادل في حال شخص الأوي يرمي بكفر وزندقه أو طعن في حاكمه وله عند ذلك الويل الذي لا مخلص منه كل ذلك سمعنا بعضه بالنقل ورأينا بعضه الآخر بالبيان

فتلك كانت حالة تعيسة يجب على عقلائنا ان ينتحلوا كل وسيلة لتخليص رقاب العباد منها فرزق الله هذه البلاد باناس خالطوا الامم المتعددة وطلعوا أحوالها ورأوا ماعليه أهلها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتعددة لكنهم أول ما بدأوا به ان أباحوا (ما أقبحها من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يخص

نفسه بإرادته و يتكلم فيما هو مقصور على ذاته بمقتضى فكره و شرطوا في ذلك شرطاً (ماأنفسه من شرط) وهو ان تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطاته مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن الجبوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية و نادوا بها على اللسنة الظالمة فكان حاصل تلك الحرية ان لاجنح على من ارتكب أي جريمة و تطبع باي خلق حسنا كان أو سيئا وذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسداً وانما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطلوباً أو يستقضى منه مسلوباً أياً كان فلم يحملوا للسلطة حداً معيناً وهو الذي نسميه بالقانون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبقرها على ما كانت عليه و جعلوا تلك الحرية غطاءً على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقدروا الامم المتعددة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العمومية الثابتة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح و عظم ان كانوا متعمدين هذا التقييد ثم أنهم قلدوها في الاحوال الجزئية الشخصية مع علمهم ان البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فلذلك اندفعت الناس الى انتهاب الشهوات و هتكوا حرمة الوقار و مهالكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا ييلفه الاوربيون في بلادهم الباردة و كثرت لذلك الخانات و مخازن الشراب المهلك للعقول و الابدان ثم تولموا بما يتبع السكر من الهو و الهب و تنافسوا في الخطوة عند النساء الباغيات و اتسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة و الملاعبة بين النساء و الرجال في الطرق و الشوارع و تصدى ذلك المرض المصدي الى الحرائر فذهب الكثير منهن الى حيث ينتهين و اففضحت بذلك بيوت شريفة و كلما طلبت لذلك منعاً أو رمت له دفناً قال المولع هذه حرية فضاغ شأن الآداب و انحطت قيمة الشرف و الوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء و ذوي المقامات يتسابقون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة و يدعون اليها من دونهم و من فوقهم (الا قليلاً) و يصرفون فيها مالا يقدر من النقود (و سأجعل لذلك موضوعاً خاصاً) و كاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي هذه نتائج حرية ذلك العمل

وأما نتائج حرية الفكر (التي يزعمونها) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس يجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فان قيل له خفض من صوتك واجمل في قولك فما كل الناس يرضاه قال اننا في زمان الحرية على ان أفكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادي ربما يقال انه اتخذها مشرباً بل ألفاظ حفظها من معاشره لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها لعجز عن التعبير والتجأ الى التهوس ورمى من يخاطبه بالجهل والحشونة حيث لم يواقه على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية التي يظنها نوراً وتبصراً ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والعاذ بالله ثم يسأل عن حكمة المعراج ومنهم من ينكر النبوات ويعتقد بالشياطين وما أشبه ذلك فهو لاء من الجهل بمكان لا يعلوهم فيه حيوان فضلاً عن انسان فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاً ونا لم تدع لها أثراً يحمد وان كان الأورباويون يحرصون عليها فان استعداد بلادنا لم يكن ملائماً مثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فان الجاهل الذي لم يتعود على تصرف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شهواته الحيثة تبيمه بأبخس الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر وتغله بطوق الذل والمار و ياليت بقي تحت سيادة القانون يسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكبسة على ما كان فيها من الخطر على النفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تقدم فيه التريسة فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فترفع الكبسة بنائها ويذهب الناس أحراراً بطبعمهم وما كان ذلك بعسير ولا محتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها فلك الحرية التي سموها اطلاق الفكر قد عتقت صاحبها من قيد العقل وأسلمته الى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيف ما يقتضي من المضرات ولو أنه

بقي تحت سيادة العقل بسوسه المهذبون وبقوده المتبصرون حتى يعلم من أين تأتي الأفكار وبأي الوسائل يوفي العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى ولم يكن محتاج الا لتخفيف يسير في شغاعات المتصبيين وتعيين دائرة منتظمة يردد الكلام بين محيطها الى زمن معين حتى تستقيم العقول فتضرب لنفسها حداً تقف عنده ولكننا طلبنا ان نكون على مثال الاوربيين في عوائدهم حتى المضرة بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وباليت العقلاء منا في الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتمدنة في الازمان السابقة عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم ان يضعوا لأهل البلاد قانوناً بسيطاً ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه من ادراكهم ثم يفوض الى أهل كل بلد ان تنتخب منها عدداً معيناً ليقوم بالتفصل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها ويذهب اشخاص من العارفين الى القرى والمدن ليفهموا أوثق مواد القانون السهل البسيط ويدربوهم على كيفية العمل به ثم لايزلوا على المراقبة ازماناً فلا تمضي مدة حتى يكون جميع الاهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتنه فيهم القوة ونحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد ايطاليا وفرنسا وغيرها في مبدأ تمدنها ثم يتدرجوا في القوانين الى ارقى مما وضعوا أولاً مع تفهيمه وتعليمه لجمهور الاهالي ليعلموه فيقفوا عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لا يفهمها الا الراسخون في العلم وهي محفوظة بين دقات الكتب وصدور بعض من الزبهاء لكن الاهالي أنفسهم الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم ان يعلموا بمقتضاها ان هذا لشيء عجاب غير ان العقلاء منا يقولون لا بد ان نكون مماثلين لأوربا في القوانين والعادات رغماً عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين لأحكام بقعنا وما تقتضيه طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبداً وانا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الاعمى واستمر بنا الأخذ بالانهايات الزائدة قبل البدايات الضرورية الواجبة ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وان

يكون انتقالنا عنها (لوانتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فلي من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقاً قوياً ولاأراه الا نشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) أما لا يكتفي بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بإرسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لا بد من تشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات والا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صفار المأمورين عن الاجراءات المضرّة بالحكومة والاهالي معا ثم وضع حدود قويمة للاعمال الشخصية والاخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والاعمال من أهم واجبات البلاد وبدونها لا يمكن اصلاح شي من أمورنا وليس بجائز أن يجعل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط ومركز النظر في جميع ذلك نبهاء البلاد وذو الشأن فيها فليعلم ان كأوصادقين في الوطنية ان يبذلوا الجهد في طلب ذلك والقيام بما يلزم والاقامهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب في العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ - ٤ ما بر

سنة ١٨٨٢

التمرّن والاعتیاد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الامرین عزم وليس بعده الا الطلب بالفصل أو التترك والتترك لا يحمل النفس كبر مشقة سوى الوقوف على كون المتروك من الامور التي تكلف بها النفس تكليفا ضرورياً أو كاليا كان من الامور المباحة أو المحظورة فاذا وقفت على حقيقته انصرفت عنه انصرفاً

أما الطلب فهو أحد الامرین الذي يحمل النفس عنائین أحدها يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أر باب الحل والعقد ورجال النقد نسبة الامرین المتضايقين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الأول فهو البحث في أصل الطلب واستنصاء ما يعود منه على الطالب أو غيره من المنافع والتغيب عن الوسائل التي توصل إلى الغاية بلا مشقة ولا فوات منفعة وتقدير الأعمال إزاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل في الأعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله إنما يكون بعد أن نعرف نسبة الطلب إلى غيره من المطالب ليترجح عما سواه بخصوصية من الخواص حتى لا يلزم على الشروع فيه التراجع بالمرجح هذا شرح حال العناء الأول وليس بعده إلا الشروع في العناء الثاني عناء الأعمال البدنية

أما فوائد الأعمال فهي وإن كانت جزئياً غير قابلة للدوام والاستمرار إذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فتأخر كذلك ولكنها تقبل الدوام بكليات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لا يستغني عن هذه الفوائد وقتاً من الأوقات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته إلى فوائده سواء كانت من الضروريات أو الكماليات فهو محتاج إلى دوام الفوائد ودوامها يتوقف على دوام الأعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس إدامته العمل المطلوب في موضوعنا هذا أمراً من لوازم وجود ذاته فيحتاج إلى صفة زائدة تقضي عليه أن يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافياً لهذا الاقتضاء إذ ربما تحتمت الحاجة بدون أن يتمتق دوام العمل وإلا لم نسمع بذكر التهاون والكسل والاهمال وما شاكلهما على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها في الدرجة الأولى درجة الاضطراب البحث فهو بنفسه كاف لإدمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالإدمان أي التمسمة لملته هي التمرن والاعتیاد وبعبارة أوفق بالفرض: إن ما لا تدعو إليه الحاجة أصلاً في زمن من الأزمان قد تدعو إليه في زمن آخر لا لسد الاضطراب البحث بل لما زاد عنه من الحاجات الثانوية كالكليات والمحسنات وقد تدعو إليه بعد زمن طويل أو قصير لسد الاضطراب البحث فلا يجد الإنسان عنه فراراً فيتكلفه مقهوراً مقسوراً يتصور المنفعة على بعد ولكنه غائب في دهشة آلام الأعمال التي لم يتكلفها يوماً من الأيام لولا حكم الصروف والحادثات التي قلبه على بساط القهر قلب المصفر

في يدي الطفل فلا يزال يحس بالألم ويدمن العمل حتى يهون عليه شيئاً فشيئاً
الى ان يزول الألم بالكليّة ولا يجد الاعمال بدون ألم فاذا مضت برهة بعد
الابتداء يحس من نفسه بعض الميل الى العمل فكان الألم الاول اسنحال الى
ضده (على حكم تلاقي الطرفين) و يجد منه باعثاً طبيعياً اليه وهكذا يزداد الميل
ويشدد المشق حتى لا يميل به الكسل يوماً ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود
من التمرن والاعتياد

أما كون الشيء ربما يكون ضرورياً في وقت دون وقت فالامر فيه وان
كان على ما أظن لا يحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لنوضيحه لبعض
الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لا يقف عند حد محدود فيما ينطق
بلوازم حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب يعده من قبيل النملدن
أو الحضارة أو الترف في المعيشة أو غير ذلك بل يكفيه ما يسد الرمق من القوت
ويقويه الحر أو البرد من اللباس ويكفيه وقت الايواء من البيوت غير أنه لما
تأتى في هذه الضروريات بعض التائق ورأى أنها تقبل التحسين شيئاً فشيئاً أخذ
على نفسه أن لا يقر له قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل
ما يتأدى اليه فكرته فجد واجتهد واستطلع بقوته النظرية خواص العناصر فحسبها
عند ما اكتشف منها معدات تساعده على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها
بصفتي التحليل والتركيب حتى فتح أبواباً للتجارة والزراعة والصناعة ووصل
الى ما وصل اليه الآن وهو في هذا السير الطويل ينحدر أثقالاً على أثقال كلما
وصل منه الى درجة ظننها آخر الدرجات وحسب نفسه فيها غريباً فيتخذ نتائج
تقاليدها الغربية زينة شأن كل أمر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز
قال الشاعر

سبحان من خص القليل بهز
وأناس مستغنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذي
نفس لمحتاج الى أنفاسه
فاذا توطنت نفسه الى هذه الفرائب زمتنا استراد منها حتى يبلغ بها حد

الكثرة فيسعملها في لوازمه الضرورية في كافة أحواله ولا يخص بها وقتا دون وقت الى ان تصبر من قبيل الأمور المعادة التي لا يستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال ويتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بمقامة المنيف ويحبط بمقداره الشريف ولا يندكر أنه هو هو الانسان أيام كان يقات بسائط النبات ويستتر بأوراق الأشجار ويأوي الكهوف والأغوار فبان بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر تقول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئته الاجتماعية البشرية ما وصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لا بد كما يشهد العيان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان ما كفه) بحكم الحيوانية مطبوع على التعدي والشره فتفاخرها بما يدهش العقول ويهبر النواظر من صناعاتها الفرية وأوضاعها الجميلة فتمقها تلك عين الذاهل المندesh وتتوهم أن ضعفها واقعي فتنبض نوعاً من الانقباض فاذا توسمت فيها هذه الانكماش والذعر (الخوف) أخذت تهددها بما تطلب عليها من ضروب الحيل والدهاء و بما تنظاها به من قوة الجند وكثرة العتاد فتقف تلك وقفة الخائر المنفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ما وصلت الى ما وصلت الا بالعلم والعمل المتوقفين على الكد والاجتهاد فتندفع وراء الجذب بحكم الاضطرار حتى تصل الى ما وصلت اليه أوتكاد غير ان تلك أيضاً بعد ان تدوق لذة التقدم وتنسبها سكرة التيه طعم الذل الذي كانت تقاسيه تحت رهبة جارتها الأولى تعامل الأمة المجاورة لها أيضاً بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضطرها كذلك الى ان تركب متن الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من يجاورها من الأمم حتى تنتظم الأمم جميعاً في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب التسابق طبيعية في الناس فلا تراهم يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أهة كذا اتمرت فرصة عظيمة وفتحت بابا من أبواب التقدم عاد عليها بالنماء في الاموال والانفس والثمرات و بأن مجاورها يخشون بأسها ويرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن في الحسبان ولا تسكن خواطر بقية الامم والممالك حتى ينساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الامم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التلقبات والتقلبات يحكي حال الجمعية الانسانية من يوم ان تفرقت شعوبا وقبائل يتخالفون في العوائد والاخلاق فيتنافسون وينحاسدون على التقير والتظهير ويغلب عليهم حب الذات والميل الى الخصوصيات فيدعون أنهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يتقلبون على جمر الشحناء ويعذبون بعوامل البغضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في مخالب التكلف ومشاغ التثقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا وينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجهد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في يرادي الراحة عند ما يصلون الى نقطة التمرن والاعتیاد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات تقدمهم غير متناهية فلا يزالون يترددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى المجري الطبيعي فيلتثمون بعد التفرق ويرفعون عن أعينهم حجاب هذا النشأت و ياليت شعري ما هو النازل الذي حل بالانسان فغير معاملة الطبيعية وبدل أخلاقه السلمية وحل رابطة النوعية والا فهمدنا به ان لم نقل انه من أم وأب تسليما جدليا فهو من نوع واحد يشف مرآه عن الوحدة النامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد و بطتها عادات وأخلاق منحدرة الصفة ولقد رمزت تعاليمه الحاضرة - التي منها وهو أكبرها تعميم المواصلات وتأکید الروابط بين الممالك وحركة الاجتماع والتألف - الى هذا السر المكنون وبشرتنا المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة العمومية حفظا لحقوق الانسان وصونا لذمة الشرف بان الحركة العمومية موجهة الى النقطة الاولى

وكما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيراً خفياً في الجم الغفير من عقلاء الناس فمالوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتعصبوا لجنس ولا دين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لا ترى الجمعية البشرية بعد إلا كساكني منزل واحد يرتفقون بمنافعه على السواء ويجدون من بركات الارض ما يكفيهم مؤنة التعب ويكفهم عن الشقاق والعناد اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل قبيل نازل توجه الكل الى اتقاذه مما ألمّ به وساروا جميعاً على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطير النياحة، ومصرته على السباحة، ثم لا ترى فيهم اذ ذاك ما يحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لا ترى الا أعمالاً جارية على منهج السهولة منهج الثمرن والاعتياد اه من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المرسلات والمناظرة

الدين كل ما جاء به الرسول ﷺ

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار
أطلعت على المقال المدرج في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي
توفيق تحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)
فأدهشني العجب لما رأيته فيه من الفلسفة الحارقة التي لم يسبق لها مثال اذ
قرر حضرة هدم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلاً ثبتت جذوره في قلوب
جميع المؤمنين) ثم ان الكاتب لخص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصاً يمكن
التراع فيه على انه لا حاجة اليه ثم قال مانصه
ولمصري لولم يكن الرسول منبياً لأحكام الله التي لم تفصل في التثريب ككيفية الصلاة
من ركوع وسجود وتسييح وتهيل ومشرعاً لما لم يرد في القرآن حكمه وان ما بينه أو شرعه
واجب الاتباع تعطلت وظيفته وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثاً وباطلاً قل

لي بأبيك اذا لم يكن أمر الرسول صاحب الشرع وصاحب الوحي المعصوم من الخطأ والزلل كأمر القرآن والكل من عند الله فما معنى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ومعنى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ومعنى « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » ومعنى « ومن يعص الله ورسوله وينهه حدوده يدخله نارا خالداً فيها » ومعنى « وما ينطق عن الهوى » قل لي بانصاف لولم يبين الرسول كيفية الصلاة التي أمر الله بها من ركوع وسجود أكان أحد من الصحابة يمكنه أن يؤديها على حسب رغبة الله فيركع الركوع المخصوص ويسجد مرتين في كل ركعة ؟ ما أظن ذلك أبداً ولا أظن أن الكاتب نفسه عرف كيفية الصلاة إلا عن سنة النبي اذ القرآن لم يبين ان يسجد الانسان مرتين بل أجمل الامر وترك كيفية التفصيل للنبي . أيريد الكاتب ان يفهم في الدين فهما غير ما كان يفهم رسول الله و بذلك يكون الدين أو القرآن (كالأسنك) صالحاً لكل زمان ولا يكون جامداً متحجراً كما يقول البعض

ان قول الله عز وجل « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » لبرهان قاطع على ان سنة الرسول يرجع اليها ككتاب الله

وكذا قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » أدل دليل على أن أوامر الرسول ونواهيها واجبة على متبعيه ولا يشبه عليه انها نزلت لسبب اذ العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولماذا لم تذكر طاعة الله الا مقرونة بطاعة الرسول أكان ذلك من باب ترادف اللفظ على المعنى الواحد فذكون طاعة الله هي اتباع أوامر القرآن وطاعة الرسول هي أيضا اتباع أوامر القرآن أم كانت طاعة الله فيما أمر به في القرآن وطاعة الرسول فيما بينه من الاحكام التي لم ترد فيه ! قل لي أي المعنيين أرجح عندك لا أظن الا الثاني الذي لا يقبل العقل السليم غيره

واني واثق من أن الكاتب مقتنع بالقرآن حيث جزم بصحته أفلا يقتنع بما

سردته له من الآيات

ولو كنت أعلم انه يقتنع بالأحاديث التي لم يستغن عن الاستدلال بها في

مقاله لا وردت له كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي تزيل عنه الشبهة كحديث « أنتم أعلم بأمور دنياكم فاذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به » وحديث « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وحديث « ألا اني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم رسول الله كما حرم الله »

يقول الكاتب ان آية القصر تفيد ان الصلاة المقصورة ركعة واحدة للمأموم واني لا اعجب كيف استنتج ذلك لأن الآية لا تفيد ركعة ولا اثنتين ولا ثلاثا لأن الله يقول « فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » ولفظ سجدوا لا يفيد ركعة ولا غيرها

أما ما يقوله من ان النبي كان يواظب على أعمال من العبادة كثيرة ولم يقل أحد بوجوبها مما يدل على أن المواظبة على الشيء لا تقتضي وجوبه فهو مردود لانه بين لأصحابه الواجب والمندوب وجرى على ذلك نحو أن بعائة ألف مليون مؤمن (كذا) من عهده الى وقتنا هذا من غير ان يشذ منهم واحد واني أخجل ان أقيم على ذلك دليلا لان اثبات البديهيات من المشكلات . أفلا يقنع حضرته ما أقنع أوامك الملايين

يقول ان النبي لم يأمر بكتابة الأحاديث في عهده كما أمر بكتابة القرآن مما يدل على انه لم يرغب ان يبلغ عنه شيء من غير القرآن . وهذا أيضاً مردود لانه كما أمر بكتابة القرآن أمر كثيرا بحفظ ما يقول ويفعل روي عنه هذا وقد حفظت أحاديثه في صدور الرجال الذين حفظوا القرآن وحرصوا عليها حرصاً شديداً حتى ان الواحد من أصحابه كان لا يعمل عملاً الا ويستشهد عليه بجملة أحاديث وقد خلف من بعدهم رجال دون بوهافي الكتب كما دونوا القرآن وتحروها

رواية ودراية حتى ضرب بهم المثل في شدة التحري لسنة الرسول (راجع مصطلح الحديث وتاريخ البخاري وغيره) وجعلوا لها مراتب يعمل بحسبها في الأحكام حتى صار اشتباها بأحاديث الكذابين محال (كذا) وما كنت أظن ولا يخطر ببالني ان حضرة الفاضل صاحب المنار يذاكر الكاتب في هذا الموضوع ولا يقنعه وهو ابن بجدتها وبأمره يعرض مقاله في المنار مع خلوه من الفائدة لأن هذا يعد خلق مشاكل جديدة بين المسلمين وليس هذا مما يتناوله الاجتهاد المزعوم ولعمري اذا كان فتح باب الاجتهاد يجر الى ذلك فسد بالطين واجب

ماذا يا حضرة الفاضل تطلب من الازهرين وغيرهم من العلماء أن تطلب دليلاً منهم على ان أقوال الكاتب فاسدة بعد ما قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول الخ وهل بعد أمر الله صراحة كلام لأحد وهل بعد اجماع ملايين من العلماء على ذلك محل للاستفهام والسؤال كلا هذا وأرجوكم يا حضرة الرشيد المرشد سد باب مثل هذه المواضيع ونشر هذه المجالة التي لا أكتب بعدها أبداً في هذا الموضوع وقفنا الله واياكم وجميع المسلمين الالتهداء بهدي الكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين أحمد منصور الباز

نقيب أشرف مركز كفر صقر من طوخ

(المنار) حذفنا من هذه المقالة ما يخص به كاتبها المقال الذي يرد عليه وقد أشرنا الى ذلك في موضعه. وحذفنا منها نحو ستة أسطر أخرى ينكر بها الكاتب مقاله الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي في اختلاف الأمة في فهم الدين وانما حذفناها لأنه لم يترنم فيها ما يجب في المناظرة ولأنها ليس فيها شيء من القوة إذ مضمونها ان الأمة اتفقت على الشهادتين وسائر الأركان الخمسة وليس هذا نفيًا لاختلاف الأمة. ولو كنت أجيز لنفسي مناقشة أحد من المتناظرين في أثناء المناظرة لذكرته بالأحاديث التي نطنت بأن الأمة ستفترق وبمخالف الفقهاء والمثلكم وبأن الرجل لم يقل أنهم اختلفوا في كل أصل وفرع.

أما تعجب الكاتب من عدم إقناع صاحب هذه المجلة للدكتور صدقي ومن حمله على كتابة رأيه في المسألة ونشرنا إياه فله وجه ومن أسباب ذلك أنه لم يتفق له أن ذا كرني في ذلك الا وأنا مشتغل بالكتابة اشتغالا لامدوحة عنه واتني أعلم ان من الناس من يعتقد مثل اعتقاده في ذلك فلهذين السببين ولاعتقادي ان الانسان اذا كتب ما يخطر له فان هذه الخواطر تنتقل بالكتابة من حيز الاجال والابهام الى حيز التفصلة والجلال حتى انه كثيرا يظهر للكاتب الخطأ فيما كان يعتقد عند كتابته له . وكنت أريد أن أبين له رأيي فيما يكتب قولاً لا كتابة ولكنه اقترح ان ينشر ذلك ليعرف رأي علماء المصرفيه فنشرناه ليكون الرد على ما فيه من خطأ وشدوذ رداً على كل من يرى هذا الرأي وقد حدثنا بعض كبار شيوخ الأزهر وأذكاء المجاورين ان أهل الأزهر اهتموا بذلك المقال وتحدثوا بالرد عليه وأهم ظنوا ان المنار ربما يتعقبهم ويرد عليهم فقلنا لهم اننا لأنرد على أحد ولاكتنار بما نكتب في الموضوع شيئاً بعد انتهاء المناظرة لاندكر فيه أحداً من المتناظرين ولا نرد عليه . ثم بلغنا ان بعض الاستاذين قد شرع في الكتابة بالفصل . ونحن لانشرط على من يكتب الأتزاها العبارة وسلامتها من الطعن والنهكم عملاً بأدب القرآن الحكيم (وانأوا اياكم لعل هدى أوفى ضلال مبين)

تعليم الدين للأحداث وخطبة الجمعة في الأستانة

جاءتنا رسالة من عالم عثماني عنوانها «أهكذا يخلف محمدني أمته» لانستحسن نشر مثلها في شدته وان كان حقاً ولكن رأينا ان نأخذ منها ما هو من أخص مباحث المنار وهو مسألتان احدهما طريقة تعليم الدين للأحداث وطريقة وعظ الرجال به بتركيا في هذا العصر الذي يسمونه «الحميدي الأور» ذكر الكاتب في أوائل رسالته أن بعض المستخدمين بنظارة المعارف في الأستانة كان قد رفع تقريراً الى المابين يلفت فيه السلطان الى فقرة «وتخلع وتترك من يفجرك» الواردة في دعاء القنوت وينبه الى وجوب حذفها من هذا

الدعاء أو حذفه هو برمه من أدعية الصلاة . وقال ان السلطان استشار بعض بطائنه في أمر هذا التقرير فأشار عليه بالانغضاء عنه وبين له سوء عاقبة الأمر بتركه . ذلك ان قراءة هذا الدعاء برمه في الوتر واجبة عند الحنفية والترك منهم ومن تركه عمداً وجبت عليه إعادة صلاته . وقال الكاتب «ان هذا الخبر يمي الى سبط الفاتح (سوخته لر) فسخطوا وبربروا ، وتقموا وكفروا ، فأشار ذلك الداهية على جلالته بأن يصدر ارادة بمنع الجهر بمعاقرة الخمر جهرأ على برازيق الطرق والمحال العمومية فما أسرع ما كان ذلك مطفئاً لجمرة أصحابنا الشيوخ وداعياً لفت حذتهم وارجاع ثقتهم »

« ولم يكن يخطر لنا هذا الأمر بيال سيا والارتياب في الخبر مدعاة لتسيانه لولا كرسية تركية صغيرة تسمى (الفباي عماني) طبعت برخصة نظارة المعارف في مقر السلطنة سنة ١٣٢٢ وقد حوت ما يحويه أمثالها مما يلزم للمبتدئ - تعلمه لاجل حذق القراءة . تصفحت تلك الكراسة فوجدت فيها جميع الادعية الماثورة حتى « رب يسر ولا تعسر » لكنني لم أر مؤلفها ذكر فيها دعاء القنوت الواجبة قراءته على مقلدي مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه والترك في جملتهم . (وذ كر هنا كلاماً شديداً ثم قال)

« وقد استفاض مؤلف الكراسة عن دعاء القنوت بهذه الفقرات « الله بردر محمد حق رسوليدر سلطان عبد الحميد خان ثاني أفند يمزحضر تلري مقدس خليفه سيدر . بزم سو كيلي بادشاهمز در - الله تعالى به بيغمبر يمز بادشاهمز اطاعت أيبرز أمر لر نبي طوتار نهيلرندن اجتناب أيلرز » ومعنى ذلك « الله واحد محمد رسوله حقاً سيدنا حضرة السلطان عبد الحميد خان الثاني خليفته المقدس ومليكننا المحبوب - نطيع الله ونبينا وسلطاننا وننمسك بما أمروا به ونجتنب ما نهوا عنه » « فعاودني عند قراءة ما تقدم الوجود وعجبت من هذا الارتقاء الذي شمل جميع شؤون الامة حتى دينها : فبعد أن كان المسلمون في أول نشأتهم يؤمرون بالتوجه الى الله وحده وتمييزه عما سواه بالاخلاص اليه أخذوا في هذا العصر « عصر الرقي » يعلمون ابناءهم التوجه الى « ثلاثة » بحيث بشر كونهم في خصائص

الالهية كي لا يفوت المسلمين التشبه بغيرهم من آخذله ثلاثة أقانيم . وبإلتهم اذ فعلوا ذلك قرنوا اسم الاقنومين الأولين بألقاب اتبجيل وصفات التقديس كما قرنوا اسم الاقنوم الثالث !

هكذا أخذ المسلمون عن أنفسهم وصوروا في وجدانهم وحسهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون من تنشئة ابنائهم : فلا يكاد الناشئ يزابل المكذب ويفلت أمثال الكراسية المذكورة من يده حتى يتناول جريدة من جرائد أمته فيقرأ فيها في وصف القصر «عنه فلك مرتبه» وفي وصف المقصور « ذات قدس سات » « ذات فرشته سات » أي اللات المقدسة الشائل أو التي شائلها كشائل الملائكة .

وإذا أراد أن يمتع بصره بمشاهدة حفلة صلاة الجمعة (السلامك) رأى (كما رأيت بعيني) عمارة شيخ الإسلام تهوي الي بين قديمي جلالته وهو يشكر له ويدعو . وإذا أم المسجد لأداء فريضة الجمعة سمع حمامة المنبر المطوقة بالذهب يفرد بصوت يستثير الطرب، و يقول :

الحمد لله ثم الحمد لله . الحمد لله الذي أيّد دين حبيبه بدوام سلطة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . وأبقى شريفة نبيه ببقاء سلالة آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . فسبحان الذي أخذ انتقامه من عدوه بهدالة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له منح الأمن والراحة على عباده بمحافظة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نبى نصره الله على عباده بأطاعة عساكر ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . صلى الله عليه وعلى آله .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» صدق رسول الله الذي مدح في حديثه جنود المتسبين بملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» اه

اضحك أيها القارىء، اضحك الله سنك كأي بك وقد ارتبت في هذه الخطبة وحسبنا من أوضاع كاتب السطور أو تاجنه لكني أحلف لك بكل ما تكلفني الحلف به أن هذه الخطبة قرئت مرات متعددة في اسكدار في جامع رأس السوق في نبي چشمه، وبعض الذين يفهمون نهضوا حالاً وانخزلوا عن الجماعة وخرجوا من الجامع، وقرئت أيضاً في جوامع أخر وأجيز واضحها بثمة ليره، وسمها شيخ الاسلام وغيره من العلماء وسكتوا.

لم يعن الشارع بجمل خطبة الجمعة والانصات اليها من الفروض الا لما من حقه ان يكون لها من التأثير في نفوس المسلمين بحيث تحفزهم لشحن عزائمهم وتوجيه همهم نحو لم شعهم وتوفير كل ما فيه رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم بين الأمم، وما قط قصد الشارع أن تكون خطبة الجمعة قصيدة محشوة بالقاب الاطراء والتعظيم وارثكاب الكذب على حد قولهم «اعذب الشعرأ كذبه» - ولا دوراً أو موالاً يتوخى فيه حسن الايقاع ومواقفة اصول الانعام وتكون للأمة بمثابة «نشيد وطني» كما عند سائر الأمم.

أن شئت أيها القارىء الاستثناس لما تقول بما قرره العلماء رضي الله عنهم في هذا الصدد فدونك ما قاله واحد من كبارهم وقد عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري .

«ومما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فاما اصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المهدب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه

«وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلا وهو ظالم أو يصفه بالقازي وهو لم يوجف على العذو بخيل ولا ركاب، ولكن هطاق الدعاء لهم بالصالح لا بأس به .

«وقد اتفق ان الملك الظاهر يبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها الى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال - مع كونه تركياً - مللنا الخطيب يقول في خطبته

السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا وأمر به أن يضرب بالمقارع فتشفع له الحاضرون . هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خاص الا بعد الجهد الشديد . واتفق مثل هذا البعض أمراء مصر في زماننا (يعني محمد بك الألفي أحد أمراء المماليك وقد نازعته نفسه بالخروج على السلطان فأرسل مملوكه محمد بك أبا الذهب الى الشام للاستيلاء عليها كما فعل محمد علي باشا في إرسال ابنه ابراهيم والتاريخ بعيد نفسه) لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكانت مفرورا بدولته مستبدا برأيه فأطرب الخطيب في مدحه فلما فرغ من صلواته أمر بضرب ذلك الخطيب وإهانته وتقيده عن مصر الى بعض القرى .

« فهذا وأمثاله ينفي للخطباء ان يلتمسوا سخط الله برضا الناس فان ذلك موجب لسخط الله والمقت الابدني نسال الله العفو » اه
من أمن نظره فيما قلناه ونقلناه بأسف لحال الأمة الاسلامية كيف ان «ساحتها وكبراءها» في العصور المتأخرة أماءوا في إدارة شؤونها وتربية ابناءها واستدرجوها في الاستكاثرة والاستخذاء حتى نزع من روح الحرية وفقدت النعمة والحمة وحل محل ذلك انضعف والحوول وعدم المبالاة بحفظ الحوزة وحماية الحقيقة . الخ

﴿ رأي واقترح في مقالة التعصب لعالم فاضل ﴾

الى منار الاسلام، والهادي اذا ضلت الافهام، وطاشت الاحلام
قرأت في المنار الرفيع المقالة المسببة، بل الآية المعجبة، التي تحت عنوان (التعصب وأوربا والاسلام) بعدما استقصيت كل ما سبقها في موضوعها فوجدتها فضلا عما اشتملت عليه من البراهين القاطعة، والآيات الناصحة، في تبرئة دين الله الاسلام وأهله مما يكون منزع شقاق أو افتراق بين أهل الارض مهما اختلفت نحلهم، أو تباعدت حللهم، وأنه بعكس ذلك يدعو الى الوئام العام، ولم تتحرك في القوس منزعاً لرام، قد بينت حقيقة الحال على وجهها بما لم يسقطه به ناطق أو محرم وكشفت النقاب عن حر المسئلة التي تخبط فيها ذوو السياسة والكتاب

فألبسوا الأمر غير لباسه، وبنوا البيت على غير أساسه
فجاءت مظاهرة رأي خواص المسلمين الذين يعول عليهم، ويستند في مثل
تلك المواقف الحرجة اليوم، ويأخذوا لو ترجمت هذه المقالة ونشرت في جرائد أوروبا
تحت عنوان (رأي علماء المسلمين الآن) ليعلم أهلها عامة والانجليز خاصة ما عليه المسلمون
في دينهم الخالص وأن هناك من يتف على دخائل الاغراض، وحقائق الامراض،
وما لهم من مفارم ان كانوا قساة، أو مراحم ان كانوا أساة، وبالاختصار أقول
ان المسلمين لينبطون أنفسهم قبل غيرهم بمثل هذه المقالة التي لا يسع كل
منصف عدل من الفريدين الا الاذعان لما جاء فيها ان لم يكن ظاهراً فباطناً وأنا أشهد
الله اني من المعترفين بأنها هي طريق الحق التي لا غبار عليها فرض ذاتي أو عرضي
وانها مرآة مافي قلوب المسلمين الخالص الذين لا يدينون الا للحق وداعيه، والعدل
ومراعيه، فلتسلم مطبعة المنار ليقوم بها الدليل ويعرف حكم التنزيل، وحسبنا الله ونعم
الوكيل

أحد قراء المنار

فَتَاوَا الْمُبْتَلِينَ

فتحن هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرم الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالباً ورمما قد متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا. ولمن
يعضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا نقفله

﴿أخذ الحق من الوالدين وضابط العقوق﴾

(س ٣١) من أحد القراء بمصر: ما قول عالم الامة الاسلامية وحكيمها ومرشدها أستاذنا
السيد محمد رشيد رضا لازل كعبة للسائلين في رجل اشترى لولده أملاً كامن أناس
أجانب بعضها وهو صغير والبعض الآخر وهو كبير وودع الوالد الثمن من عنده
فلما رشد الولد واراد أن يأخذ ما اشترى له منعه والده من أخذها فهل يجوز للولد
أخذها منه وله الحق في ذلك لكونها ملكه أم لا وهل تعد إساءته بأخذها منه

عقوقاً يماقبه الله عليه في الآخرة أم لا أفيدوا الجواب بالدلائل الشافي لازلم نجما للهتدين

(ج) الفقهاء يجيزون أخذ الحق من الوالدين وان اسماء اولاء يعدون ذلك من العقوق الذي هو الايذاء الشديد عرفاً والمسألة مشكلة من حيث صلة الولد بالوالد واننا نذكر أحسن ما قاله الفقهاء في ذلك ثم نسميه النصيحة النافعة ان شاء الله تعالى . قال شيخ الاسلام السراج البلقيني في قناره كما نقل عنه ابن حجر في الزواجر ما يأتي :

«مسألة قد ابتلي الناس بها واحتيج الى بسط الكلام عليها والى تفاريحها لتحصيل المقصود في ضمن ذلك وهي السؤال عن ضابط الحد الذي يرف به عقوق الوالدين اذ الإحالة على العرف من غير مثال لا يحصل به المقصود اذ الناس اغراضهم تحملهم على أن يجهلوا ما ليس بعرف عرفاً لاسيما اذا كان قصدهم تنقيص شخص أو اذاه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهو انه مثلا لو كان له على ابيه حق شرعي فاختر ان يرفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فلو حبسه فيها يكون عقوقاً لا (أجاب) هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الاكابر انه يعسر ضبطه وقد فتح الله سبحانه وتعالى بضابط أرجو من فضل الفتاح العليم أن يكون حسناً قول: العقوق لأحد الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً من جملة الصغار فينتقل بالنسبة الى أحد الوالدين الى الكبار أو أن يخالف أمره أو يهيه فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه ما لم يهيم الوالد في ذلك أو أن يخالفه في سفر يشق على الوالد وليس يفرض على الولد أو في غيبة طويلة فيما ليس بعلم نافع ولا كسب أو فيه وقية في العرض لها وقع . وبيان هذا الضابط أن قولنا ان يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً مثاله لو شتم غير أحد والديه أو ضربه بحيث لا ينتهي الشتم أو الضرب إلى الكبيرة فانه يكون المحرم المذكور اذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة . وخرج بقولنا أن يؤذي ما لو أخذ فلاناً أو شيئاً يسيراً من مال أحد والديه انه لا يكون كبيرة وان كان لو أخذه من مال غير والديه بغير طريق معتبر كان حراماً لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل

ذلك لما عنده من الشفقة والحنو فان أخذ ما لا كثيرا بحيث يتأذى الأخوذ منه من غير الوالدين بذلك فانه يكون كبيرة في حق الاجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا وإنما الضابط فيما يكون حراماً صغيرة بالنسبة الى غير الوالدين .

« وخرج بقولنا « ما لو فعله مع غير والديه كان محرماً » ما اذا طالب الوالدين عليه فاذا طالب به أو رفعه الى الحاكم يأخذ حقه منه فانه لا يكون من العقوق فانه ليس بمحرام في حق الاجنبي وإنما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً وهذا ليس بموجود هنا فافهم ذلك فانه من النفائس . وأما الحبس فان فرعنا على جواز حبس الوالدين الولد كما صححه جماعة فقد طلب ما هو جائز فلا عقوق وان فرعنا على منع حبسه كما هو المصحح عند آخرين فان الحاكم اذا كان معتقده ذلك لا يجيبه اليه ولا يكون الولد الذي يطلب ذلك عاقاً اذا كان معتقده الوجه الأول فان اعتمد المنع وأقدم عليه كان كما لو طلب حبس من لا يجوز حبسه من الأجنب لا يسار ونحوه فاذا حبسه الولد واعتقاده المنع كان عاقاً لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لا يجوز كان حراماً وأما مجرد الشكوى الجائزة والطلب الجائز فليس من العقوق في شيء .

« وقد جاء ولد بعض الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من والده في احتياج ماله وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك عقوقاً ولا عنف الولد بسبب الشكوى المذكورة » وأما اذا نهر الولد أحد والديه فانه اذا فعل ذلك مع غير والديه وكان محرماً كان في حق أحد الوالدين كبيرة وان لم يكن محرماً وكذا (أف) فان ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنهما والحال ما ذكر ان يكونا من الكبائر .

ثم ذكر البلقيني مسألة مخالفة الأمر والنهي فيما يدخل الخوف على الوالد ومسألة السفر وليس من موضوع بحثنا . وقد بحث ابن حجر بهد ايراد هذه الفتوى في الضابط وعنده ان المدار في العقوق على ما يتأذى به أحد الوالدين تأذياً ليس للغير عرفاً وان لم يكن محرماً لو فعله مع غيره قال « كأن يلقاه فيقطب في

وجهه أو يقدم عليه في ملأ فلا يقوم له ولا يعبا به ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذناً عظيماً . وقال الفزالي في الاحياء «وجهة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر قسمها وأن يسألاه حاجة فلا يعطيها وان يسأله فيضرب بهما» وهو قد نقل ذلك عن القوت لأبي طالب المكي أقول لاشك ان إيذاء الوالدين محرم ولكن ليس كل إيذاء عقوقاً وإنما العقوق هو الإيذاء الشديد وهو يختلف باختلاف العرف عرف العقلاء وأصحاب الذوق السليم والمعرفة بأداب الشرع وأحكامه والافان من الوالدين من يؤذيه اتباع ولده للحق ومخالفته لهواه الباطل ولذلك قالوا انه لا يجب على الولد أن يطلق امرأته امثالاً لأمر أحد والديه وان مخالفتها في مثل هذا لا تعد عقوقاً . ومثل ذلك مخالفتها في كل ما فيه مصلحة له وفي تركه مضرة . نعم ان من البر المحمول أن يؤثر سرورها على سروره عند التمارض لاسيما اذا كانا معتدلي الاخلاق سليبي الفطرة .

وهنا مسألة مهمة لا بد من الامام بها في هذا المقام لا يوضح الحق في الواقعة المستول عنها وهي ان كثيراً من الوالدين يستبدون في أولادهم استبداداً أشد من استبداد الملوك الظالمين في رعيتهن حتى يعيش الولد معهما في غم دائم ونكد لازم . والسبب في هذا الاستبداد الذي يكاد يكون منافياً للفطرة البشرية في الوالدين هو الاعتقاد بأن لها حقوقاً عظيمة على الولد توجب عليه ان يخضع لكل ما يريدان وأن لا يكون له معها ارادة ولا رأي ولا ملك وان صار أوسع منهما علماً وأجود رأياً وأكبر فضلاً فهما ينظران اليه في شبابه أو كهولته كما كانا ينظران اليه في حداثة . يقع هذا من الأم قليلاً ومن الأب كثيراً لاسيما اذا كان من أصحاب المال أو الجاه فانه حينئذ يفتل عليه الشعور بمرزة سيادة الوالدية وعزة الغنى والرفعة جميعاً ويلذ له أن يرى ولده مفتقراً اليه عاجزاً عن الاستقلال بنفسه وذلك منتهى الجهل وفساد الفطرة وغاية الإسراف في الاستبداد وهو العلة لما نرى عليه أبناء الاغنياء والكبراء الجاهلين من المعجز عن كسب الثروة وعن حفظ ما يرثون منها والسبب في اسرافهم في كل أمر

أما الآباء العتلاء فهم الذين يعينون أولادهم على برهم ويربونهم على الاستقلال بأنفسهم لأنهم يطمون أن هذا الاستقلال خير لهم من المال والعقار ومن الجاه والأ نصار لأن عدمه يذهب بكل شيء موروث وهو الذي ينال به كل خير معدوم . ومن التربية على الاستقلال ان يعطي الغني واده شيئاً من ماله وعقاره في حياته يستغله ويتمتع بثمرته تحت نظر الوالد وارشاده ولذلك فوائد كثيرة لا محل هنا لشرحها . وقد رأيت بعض الشيوخ المدبرين في طرابلس الشام يقسم بين أولاده كل ما يملكه ويمسك لنفسه ما لا بد له منه ويقول لو أمسكت عنهم لتمنوا موتي ليتتموا بما في يدي أما الآن فهم يحبوني ويتمنون ان تطول حياتي : وقد رأينا بأعيننا صدق هذا القول فيهم . وكان محمد باشا المحمد أغني أهل بلادنا (لواء طرابلس الشام) وأعتلهم وقد قسم جميع ما يملك بيده وبين أولاده في حياته بالمساواة ليعودهم على الإدارة والاستقلال ، ويربهم على العز والاستقلال ،

وما يؤثر عن القدماء في تأييد هذا ما قاله الأحنف بن قيس لما وبه وناهيك بعقل الأحنف وحكمته . قال يزيد أرسل معاوية الى الأحنف بن قيس فلما صار اليه قال : يا أبا بجر ما تقول في الولد ؟ قال يا أمير المؤمنين أولادنا ما رقلو بنا ، وعماذ ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وساء ظليلة ، وبهم نصول على كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمتحوك ودمهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ، ويودوا وفاتك ، ويكرهوا قربك ، :

هذا وانما زدت في جواب هذا السؤال عما سئلت عنه لأنه يثقل علي أن أفي الابن بأن له أن يأخذ حقه من أبيه كما أفي الفقهاء ولا أصل ذلك بما أرجو أن يكون سبباً في البر والصلة وتنبيه عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الوالد له له يتم فضله على ولده بتسليمه ما اشتراه له من قبل ليكون قررة عين له ومحبا لطول بقائه ومعاناه على بره وشكره . وأنصح للولد أن يبالي في استعطاف والده واسترضائه حتى تطيب نفسه بذلك وأذكر الوالد بعد ما تقدم كله بما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمران النبي على الله عليه وسلم قال «رحم الله والد الأعان ولده على بره» فان هذا الحديث من الادعية التي ترشد الى الحكمة السامية وان كان في مسنده

مقال • ورواه الفوقاني من رواية الشنبي مرسلًا كما في شرح الأحياء والله الموفق

﴿السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان﴾

(س ٣٢ من أمين أفندي محمد الشبامي في سواكن: اننا مستخدم حكومة السودان أكثرنا يترك زوجته ويسافر بدونها لعدم رغبتها في السفر بصحبة الزوج فحجة بأن الشرع الشريف لا يجيز نقل الزوجة الى بلد آخر فيقع الرجل في أحد أمرين إما التزوج بالسودانيات اللاتي لا يحصن فروجهن وإما اتيان ما حرم الله وكلاهما صعب . فهل يوجد نص شرعي في الكتاب والسنة على حقيقة ما يدعي نساءنا أم هن يعملن بحكم العادة . وإذا طلب أحد من المحكمة الشرعية الإلزام زوجته بالسفر معه فماذا يكون الحكم . وانني أتذكر آية شريفة وهي قوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) ولا يخفى كم أن وسائل الراحة متوفرة في السودان للغاية وإن الانسان ليتكبد خسائر جسيمة لعدم وجود أهله معه اهتصرف

(ج) السبب الحقيقي لعدم رضا النساء بالسفر مع أزواجهن هو فساد التربية وقلّة الدين أو كراهة الزوج لسوء معاملته ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة يبيح للمرأة عصيان زوجها في مثل هذا السفر الذي لا ضرر فيه ولا ضرار بل الكتاب والسنة يوجبان على المرأة طاعة زوجها بالمعروف

ومما ذكّر الله أن تبيح الشريعة هذا الخلل الذي يخرب البيوت ويفرق بين المرء وزوجه ويرهقه من أمره عسرا . نعم أنها تحرم على الرجل أن يضار المرأة بسفره أو غيره ليضيق عليها وإذا ثبت ذلك عند الحاكم فله أن يمنعه منه وفي غير هذه الصورة يجب على الحاكم أن يلزم المرأة بطاعة زوجها . وأما الحاكم الشرعية في هذه البلاد فلا يبحث عن أحكامها في باب الفتوى لأن غرضنا من هذا الباب بيان أن أحكام الشريعة توافق مصالح البشر في كل مكان وزمان وأنها قائمة على أساس العدل والأحسان وإن ما يسمع عنها أويرى من أهلها مخالفا لذلك فهو بعيد عنها وهي رتبة منه

﴿رعي المسلم بالكفر﴾

(ص ٣٣) من الشيخ عبدالله الحضرمي بسنفا فوره
 ما قول سادتنا العلماء الاعلام أنار الله بهم الاسلام فيمن سب مسلما بما
 لفظه: من أنت ومن تكون يا كافر يا ملعون يا عدو الله ورسوله يا يهودي يا نصراني
 يا خنزير يا كلب: ثم عقب بعد السب بقوله ما قدرك الا الضرب بالنعال وتكرر
 منه القول عمدا بحضور الجم الفغير حال كونه صحيح العقل والبدن فما الحكم
 على قائل هذا القول الشنيع فهل يرد عليه قوله ويصير به كافرا مرتدا والعاذ
 بالله أم لا فان قلم بكفره وردته لحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها»
 فهل تطلق زوجته ويستباح ماله ودمه ان لم يتب ويرجع للاسلام وان قلم بهدم
 كفره وردته فما الحكم عليه في حق أخيه المسلم ان لم يسامحه ويعفو عنه وكان
 جواب الثاني للبادي مستندا للحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها» الى
 آخر الحديث: ليس أنا بكافر ولا ملعون ولا عدو الله ورسوله ولا نصراني ولا
 يهودي: الي آخره أفقونا ما جورين إنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة
 إلا بالله العلي العظيم

(ج) الظاهر أن هذا الساب لم يقصد بما نيزبه الا الالهة وهو لا يكفر
 بذلك بل عليه التعزير وهذا من المحرمات يجب عليه التوبة منه واستحلال من
 سبه أما الحديث الذي ذكر في السؤال فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر بلفظ
 «أبما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ان كان كما قال والارجحت
 إليه» وفيه روايات أخرى عنده وعند البخاري وغيرهما: قال النووي في شرح مسلم:
 «هذا الحديث مما عده بعض العلماء مشكلا من المشكلات من حيث ظاهره من
 حيث أن ظاهره غير مراد وذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المؤمن
 بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين
 الاسلام واذا عرف ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه» ثم ذكرها وهي
 خمسة (١) أحدها أنه محمول على المستحل (٢) أن معناه رجعت تقيضه عليه
 يعني أنه أراد أن ينقص أخاه فكان هو الناقص بقوله السوء (٣) أنه محمول

على الخوارج الذين يكفرون المسلمين . وردّه النووي (٤) معناه أن ذلك يؤول به الى الكفر على حد قولهم المعاصي يريد الى الكفر (٥) أن معناه فقد رجع عليه تكفيره (قال) فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً فكأنه كفر نفسه أما لأنه كفر من هو مثله وإلا لأنه كفر من لا يكفره الا كافر يعتقد بطلان دين الاسلام . أقول والذي حقه النزالي ويدل عليه أول كلام النووي وهو ما لا خلاف فيه عند العارفين أنه إنما يكفر بذلك إذا كان قصده أن ما عليه المسلم من الاسلام كفر وهو لا يقصد هذا الا إذا كان يعتقد بطلان دين الاسلام

باب التعليل والتعليل

المكتوب التاسع من «إميل» الى أبيه

الاستقلال في العلم . فلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدنية . الاعتماد على العقل دون الخطابة . حب الوطن - هيدلبرغ في ١٨ يناير سنة - ١٨٦
غادرت مدينة بن وتقلت كتي (وهي كل ما أملكه تقريباً) الى مدينة هيدلبرغ ومن نظام المدارس الجامعة في ألمانيا أنه يجوز لطلبها مطلقاً أن ينتقلوا من احداها الى الأخرى من غير أن يكون في ذلك ضياع لحقوقهم فيما نالوه من الدرجات . على أن هذا التنقل يمكن الطلبة من الاختلاف الى دروس أساتذة وأشهرهم في كل فرع من فروع العلوم البشرية .

إني أخاطب تعلمت كثيراً من دروس هؤلاء الاساتذة المفيدة ولكني كل يوم أتبين أن تعليم المدارس بجميته لا يمكن أن يقوم لطالب الحق مقام عمله الذاتي الذي يجري فيه على ما ترشده اليه سريره

أرى مذهبين يتنازعان عقول البشر أعثر عليهما أينما وجهت فكري فأجدهما في العلم والحكمة والدين والسياسة ومتنضي المذهب الأول أن العالم خلق مقسوراً أي ان كل ما فيه خصص بإرادة أزلية وأن صور الحياة في الكائنات

الحية ثابتة لا تتغير فتندمج الأصول بعضها في بعض وتنتج الفروع ناقلة مخصصات كل نوع عن مثال أزلي له . ومقتضى المذهب الثاني أنه وجد مختاراً بمعنى أن الكائنات لم توجد من العدم بل استعالت من طور الى طور وأن القوى لم تسبق في الوجود بل نمت وأن الأنواع النباتية والمعدنية (هكذا في الاصل ولعل صوابه والحيوانية) مستمرة البقاء غير أنها تتغير وترتقي على مقتضى نواحيس طبيعية

وإذا انتقلت من العلم الى التاريخ وجدت هذا الخلاف بعينه في آراء الناس فبرى بعضهم أن التمدن قديم وجد مع الانسان يعني أن الاجتماع أوجدته قدرة أعلى من قدرة البشر وأن أي أمة من الأمم ليس لها أن تختار قوانينها وأوضاعها وأن للحكومة مثلاً لا تحيد عنها إلا م حتى تسقط في مهاوي الفوضى ويرى بعض آخر خلافاً للأولين أن الانسان نشأ منوحشاً أي أنه كان قرداً متقن الحلقة ففر من بين الحيوانات وأنشأ على التعاقب قوانينه ومعايشه ومكائنه في البرية بعد ان خلق نفسه - ان صح التعبير على هذا النحو - وأن الأمم قد مرت في أطوارها وبدأيا أوضاع لم تلبث أن باعدتها بتأثير الترقى الذي لاراد له فكانت الارض كانت بنفسها يكون الانسان بنفسه ويؤلف مجتمعه بقواه الذاتية .

وإذا رجعت الى الديانات وصدقت أقوال مؤولياها كانت كلها موحاة من الله فإذا سألت خصومهم عن رأيهم فيها قالوا انها أمور طبيعية تدخل في قوانين إدراك الانسان المألوفة

وكم يكون التباين أشد ومسافة الخلف أوسع اذا سألت أهل وطني عن آرائهم في الامور السياسية . وقد استخلصت من اختلاف طرق النظر هذه نتيجة هي أي مع بحثي في أفكار غيري وآرائه لا ينبغي لي أن أعول الا على شهادة عقلي وسريري هذه هي السبيل التي صممت على سلوكها وهي التي أوضحتها لي أنت أيضا ويبعد كل البعد أن تكون هذه الضرورة الملجئة لي الى الحكم بنفسي على الامور مدعاة الى الكبر والصلف بل انها تبعث في نفسي الذلة والاستكانة لاني أكون مضطرا في كل وقت الى الاعتراف لنفسي باني لا أعرف شيئا وأنه يجب على أن

أندرع بالاقدام وأن أوسع نطاق معارفي وأختلس من النظر في الحوادث مقدمات
اقتناعي وأما البراهين الخطائية التي كنت أعتقد في ساعة من الساعات أنني أدرك
بها ما لا حد له من العوالم فقد تبين لي أنها شبيهة بتلك الأصداف التي يتناقلها
الاطفال في أيديهم ويضعونها على آذانهم متخيلين انهم يسمعون فيها اصطرخاب البحر
على أنني لا أدرس وأبحث من أجل أن أكون عالماً فكل ما ينتهي اليه
طبعي ينحصر في فهم حاجات العصر الذي أعيش فيه والاختذ بناصر الحق وهيبات
ان أنسى بلادي أو أعيش غير مبال بمجاهداتها فأنى وان ولدت في بلاد أجنبية
أجد فرنسا حينما نظرت فانها تبدو لي في انتصارها الكثير الذي انتشر في أرجاء
الدنيا وأراها حتى في مصائبها التي نزلت بها عقاباً لرجل من رجالها على تفطرسه
وتجبره . هذا الوطن الذي مارأيت في حياتي هو في نسبته الي أي الثانية فلا يذكر
الا ويتسر جلدي لذكوره ولا ينتقص إلا ويتبين دعي كله انتقاماً له وليس
الذي يبهرني منه هو غزواته ووقائعه الحربية وانما هو تاريخ مكافحاته ووثباته
الباسلة في طريق الحرية واني أحب مفكره الذين يعملون فيه وهم يضحكون وأعجب
بكتابه الذين يبيعون القلوب وهم لنور العلم يشنون فأنا من صميم قلبي ملك له وبما
في نفسي من الأمل في خدمته يوماً ما تجدني مفتبطاً ومعتزاً بالانتساب اليك . اه

﴿ طبعة الرافعي للقرآن الشريف ﴾

طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الأزهرية في مصر المصحف
الشريف طبعة لطيفة تمتاز على جميع طبعات المصاحف بتفسير الألفاظ الغريبة
على هوامش الصفحات وبعد الآيات الكريمة بالأرقام على لطف حجمها وحسن
حروفها واننا نعتمد عليها في بيان عدد الآيات في المنار الا أننا نذكر العدد في
أول الآية وهي في هذا المصحف في آخرها . وهو يطلب من طابعه في تلك
المكتبة فجزاه الله خيراً



أناك على البرية

﴿ قصيدة حنفي بك ناصف في قنائه ﴾

حنفي بك ناصف شهير بملمه وأدبه وقد نظم هذه القصيدة عندما عين قاضياً في محكمة قنا الأهلية وهي من أبدع ما نظم في الهمع بمعرض المدح وأظهار السخط بمظهر الرضا قال مخاطباً المستشار القضاي أولناظر الحفانية

رقيتني حساً وممى فاصنعك الشكر المثنى
وجعلت رأس الحاسدين بمصر من قدمي أدنى
وجعلت سدة منزلي من أسقف الهرمين أسنى
أسكنتني في بقعة فيها غدوت أعز شأنا
أرد المشارع سابقا والسبق عند الورد أهنا
وأزور آثار الملوك وكنت قبل بها معنى
بلد اذا حلت به قدماك قلت حلت حصنا
جبل المقطم حواه متعطف كالنون حسنا
هيات ان يصل العبدوله ويدرك ما معنى
أرايت يوما مثله في القطر تحصينا وأمنا
النبت في غيطانه متقدم غرسا ومجنى
والشيء يعظم حجمه في جوه ويزيد وزنا
فالسدر كالرمان والا جبر كاليض الهني
والدوم فيه دائم يفنى الزمان وليس يفنى
فخاره لهج الانا م بمدحه يسرى ويمنى

يكني لترويح الاوا ني ان يقال (قنا) فتقني
قالوا شغصت الى (قنا) ياصرحبا بقنا و (أسنا)
قالوا سكنت السفح قنا ت وحبذا ابالسفح سكني
قالوا قنا حرٌّ قنا ت وهل يرد الحر قنا
سرُّ الحياة حرارة لولاه ما طير تقني
كلا ولا زهر تبسم لاولا غصن ثني
والحي بدء حياته بعد التزام البيض حضنا
تندفق الانهار من حر وتزجي الريح مزنا
ها قد أمنت البرد وال برداء والقلب اطمانا
ووقيت أمراض الرطوب به واستراق الريح وهنا
ألقى الهواء فلا أها ب لقاءه ظهرا وبطنا
وأنام غير مدثر شياً اذا مالليل جنا
قد خفت النفقات اذ لا أشتري صوفا وقطنا
وفرت من ثمن الوقود النصف أو نصفاً وثمنا
فالشمس تكفل راحتي فكأنها أمي وأحني
فاذا بدت لي حاجة في النسل ألقى الماء سخنا
أو رمت طبعنا أو علا ج الخبز ألقى الجو فرنا
سكني القرى تدع السفينه موكل بالمال مضني
أي الملامي فيه يصرف ماله ومتي واني
كل امريء تلقاه من بمد الظيرة مستكنا
ويرى الغريب السعر أيسر حالة وأخف غبنا

يجد الحليب بينه لنا ويلقى السن سنا
 عش في القرى رأسا ولا تسكن مع الاذئاب مدنا
 واربا بنفسك أن ترى مسترنا في العيش جينا
 ودع الجزيرة والمها والجسر والظي الاغنا
 واسل الاغاني والتوا ني واسأل الرحمن عدنا

﴿ طبقات الشافعية الكبرى ﴾

طبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع شهيرة وكنت رأيت نسخة منها في طرابلس الشام فأعجبت بها وتمنيت لو تطبع فلما جئت مصر وجدت نسختين منها في دار الكتب المصرية يظهر أن احداها منقولة عن الاخرى لأهما منساريان في التحريف ولو وجدت نسخة صحيحة منها لطبعتها. وقد طبعت في هذا العام بمصر على نفقة الشريف أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي القاسمي عن نسخة أصح من النسخ التي اطلعت عليها على أنها لاتسلم من تحريف لا يقف في طريق الاستفادة منها طريقة السبكي في هذه الطبقات أن يذكر ما يؤثر عن المترجمين من غريب العلم والرواية وشوارد الفوائد والمناظرات مع المعاصرين ورفائق الاشعار وأن يبسط كثير من المسائل المهمة أو المشككة على سبيل الاستطراد فطبقاته أسفار تاريخ وحدايث وكلام وفقه وأدب والكلام فيها شجون. طبعت في ستة أجزاء تزيد صفحات المجلد منها على ٣٠٠ صفحة أو تنقص قليلا ونعنا خمسون قرشاً ويطلب من محل الحاج محمد السامي في القاهرة

﴿ مقامات بديع الزمان الهمداني ﴾

مقامات البديع أشهر من نار على علم وهي أحسن من مقامات الحريري أسلوباً فهي مفيدة في طبع ملكة الانشاء العربي في نفوس المتأدين وأسلوب

الحريري ليس بعربي فهو لا يجتدي في الكتاب وإن كان قد بلغ القاية في إتقان الصنعة أو إتقان الكلف كما كان يقول الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد طبع مقامات البديع في هذه الأيام محمد أفندي محمود الراهبي طبعة مشكولة وعلق عليها شرحا وجيزا معظمه في تفسير الغريب ولا بد أن يكون استعان على ذلك بشرح الأستاذ الامام اذا يكون شرحه أقرب لثقة به ولم يتح لنا مطالعة شيء منه . ونحن التسخة منه أربعة قروش

﴿ أحسن ماسمت ﴾

ينسب الى أبي منصور الثعالبي ديوان من مقاطيع الشعر قال انه أحسن ما سمع من مختاره وقد قرأنا طائفة من ذلك فإذا هي لاتصل الى مرتبة الوسط مما سمعنا وأين نحن من صاحب اليتيمة في سماعه وإطلاعه فالغالب على الظن أن هذا الديوان من وضع مثل ابن حجة الحموي على أن ما فيه من الشعر يعجب أكثر القراء في هذا العصر فهو مما يرجى رواجه . وقد طبعه محمد أفندي محمود الخادم مدير مطبعة الجمهور ومحمد أفندي حسن اسحاق مع شرح وجيز لبعض آياته علقه عليه محمد أفندي صادق عنبر وجعل له مقدمة حسنة الديباجة ذكر فيه من محاسن اللغة وشنع على أهلها ووصف من تقصيرهم في خدمتها وقال : ولولا ان منهم قديين ألمعين عاملين على احيائها لأوشكت اللغة ان تقع فيا نخاف : وقال انه يعني بهذين الفذين الشيخ ابراهيم اليازجي والشبخت محمد المهدي مدرس العلوم العربية في دار العلوم (أي مدرسة المعلمين بالناصرية) وقد أطراها بالآلقاب . ونحن لانكر ان كلا من الرجلين يخدم اللغة . اليازجي بما ينتقد به الجرائد والمصنفات ويبين ما فيها من اللبخل والمنط والمهدي بتخريج معلمي المدارس الاميرية وطبع الملكات الصحيحة في نفوسهم وهم العمدة في إحياء اللغة في هذه البلاد . ولسكننا لاوافق الكتاب على الشكوى من الخطر على اللغة وعلى حصر احيائها في هذين العاملين فان في مصر وسوريا وغيرها من الاقطار كثيرا من العلماء والكتاب العاملين لاجياء اللغة العربية بالكتابة والنقد والتعليم . أما امام النهضة في هذه الديار

فالسيد جمال الدين والاستاذ الامام رحهما الله تعالى فالسيد هو ارشد الاستاذ وغيره الى الخروج باللغة من المضيق الذي جعلها الأزهر فيه وكان من عمل الاستاذ ومساعديه في المطبوعات والأزهر وغيرهما ما أشرنا اليه في ترجمته وشرحناه في تاريخه الذي يطبع الآن

الديانة الاسلامية . للمكاتب الاميرية

كتاب وضعه الشيخ أحمد ابراهيم المصري المدرس بالمكاتب الاميرية (وهو غير الشيخ أحمد ابراهيم الشهير مدرس الشريعة بمدرسة الحقوق الخديوية) موافقاً لما يدرس في السنين الثانية والثالثة والرابعة بتلك الكتابات . وقد نظرت في بعض صفحاته عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشتمل على مسائل من العقائد والاحكام وعلى كثير من الوصايا والحكم والاحاديث والحكايات الأدبية وقصص الأنبياء عليهم السلام . وقرأت منه جملاً متفرقة فرأيت ما ينتقد في كثير من الابواب . رأيت في أول الكتاب يعرف الدين الاسلامي بأنه فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه . وهذا التعريف لا يشمل العقائد التي هي أساس الدين . ويعرف الايمان بأنه التصديق بما جاء به النبي من الاحكام الشرعية وهو أيضاً لا يشمل العقائد وأخبار الانبياء وغيرهم لانها لا تسمى احكاماً وهو قد انفرد بهذين التعريفين وهما منتقدان من وجوه أخرى فلا يعذر فيها كلاً يعذر بالاكتمال في قسم الإلهيات من العقائد بعد الصفات العشرين ونحو ذلك . وما ذكره من مختصر قصص الانبياء فيه مالا يصح وقد أخذه من القصص المتداولة فمسي أن يعنى بتقريب الكتاب عند طبعه مرة أخرى

ديوان الرافي

قد صار مصطفى صادق أفندي الرافي من شعراء العصر المشهورين وله على حداثة سنه ديوان كبير طبع في هذه الأيام الجزء الثالث منه فكان نحو ١٥٠ صفحة وقال ان هذا الجزء تمام الديوان فهو ميسر سائر شعره باسم آخر أو أسماء أخرى . وقد جعل لهذا الجزء مقدمة في نقد الشعر ملك فيها مسلك

الخيال والفلسفة فأتى فيها عبارات رائعة ونكت دقيقة وحلق بمبارات أخرى في جو الخيال حتى جاوز مسرح النظر فلم يدرك غايته ولم يهتد الى مراده . وسنين قيمة هذا الجزء بنقل شيء منه كما فعلنا في تقرّبنا ما قبله ففرض الموصوف على القارى أن يبلغ في التعريف من عرض وصفه . وثمن هذا الجزء وحده خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد وثمن الثلاثة الأجزاء عشرون قرشاً وهي تطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ غرائب الاتفاق ﴾

غرائب الاتفاق قصة طويلة تدخل في ثلاثة أجزاء بنيت حوادثها على المصادفات الغريبة التي لا تكاد تقع ولكن حسن البناء يقربها من الأذهان ، حتى لا تخرجها من دائرة الامكان ، وأنفع ما فيها للقارى تصوير الوفاء بأجل صورته ، أو كل مظاهره ، والصدقة في أبهى مراتبها ، وأبدع مجالها ، وذلك بين ظاهر فيما كان بين يوشع وفيلب منذ تعارفا الى أن ماتا . وفيها شيء آخر خفي ينبغي أن ينبه اليه وهو سوء عاقبة الخياليين والخائنين وحسن عاقبة أهل الاستقامة والصدق . وفيها من الأفكار الضارة مالا تحلو القصص من مثله كذكر الحيانة والفسق والخيال . القصة أفرنجية الاصل وقد نقلها الى العربية فقيد النظم والنثر والقصص شاكر شقير اللبناني وطبعت في مطبعة المعارف الشهيرة بالإتقان وهي تطلب من مكتبتها وثمن الأجزاء الثلاثة عشرون قرشاً

﴿ كربة الثلج ﴾

هي القصة الثالثة للسنة الثانية من سني (الروايات الشهرية) التي يصدرها يعقوب أفندي جمال . مؤلفها اسكندر دوماس الشهير ومترجمها حنا أفندي أسعد فهني وقد بين بها المؤلف شيئاً من أحوال التتر المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم في داغستان أو اعتقاده وتخيلاته فيهم وثمنها خمسة قروش

﴿ عذراء دنشواي ﴾

قصة يعرف موضوعها من اسمها واضعها محمود طاهر أفندي حقي وقد نشرت في جريدة المنبر المصرية وهي تشرح بعض أحوال الفلاحين في أرياف مصر وتمثل

أفكارهم في محاوراتهم بلغتهم العمامة وعن النسخة منها أربعة قروش وتطلب من
الكاتب الشهيرة

﴿ الدين والادب ﴾

مجلة اسلامية أنشأها بقران (روسيا) في أوائل هذا العام (ملا عالم جان
البارودي) العالم الشهير بشيرته وبخدمته للاسلام في مدرسته وجريدته . وهو يفتح
كل عدد من هذه المجلة بتفسير آيات من القرآن المجيد بالترتيب كما يفعل وينذكر
فيه شياً من المسائل الشريفة ومباحث التربية والتعليم وغير ذلك من المسائل النافعة
فدنا له تعالى أن ينجح عمله ويديم النفع به

﴿ النبراس ﴾

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها ومدير
تحريرها أحمد (أفندي) شاكر» صدر العدد الاول منها في ١٢ رجب الموافق لاول
سبتمبر وفيه بهد الفاتحة نبذة في تاريخ المدارس في الاسلام ونبذة في الكتابة
والورق وأخرى في تاريخ محمد علي جد الاسرة الخديوية بمصر ومسائل شتى لم
نجد وقتنا يتح لنا قراءة شئ منها . والعدد منها مؤلف من ست عشرة صفحة وقيمة
الاشتراك فيها عن سنة واحدة ١٥ قرشا في مصر وخمسة فرنكات ونصف في غيرها
فنتمنى لها النجاح والتوفيق

﴿ الكوثر ﴾

«مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشأها ومحررها محمد شفيق (أفندي) مدرس بمدرسة
والدة عباس باشا الاول» صدر العدد الاول منها في اول اكتوبر (١٣ شعبان) ولم
يبين فيه موعد صدور المجلة وهو مؤلف من ٢٤ صفحة نصفها عربي والنصف الآخر
انكليزي . وفي الورقة الأولى صورة أمير البلاد وعبارة في (تقدمتها) لا عتابه .
فنتمنى لها التوفيق والنجاح

﴿ المزيج ﴾

جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية يصدرها في تونس أحد كتابها

الباحثين في شؤون الإصلاح محمد بن عمران وجعل جل عنايته البحث في طريق
التعليم في الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) والظاهر أن كتابه في ذلك أزعجت
القوم إلى المقاومة فنسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الأمة وكشف ما غشينا
من الغمة

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

﴿ رأي في الصيام والسياسة ﴾

ينقسم المسلمون إلى قسمين فمنهم مسلمون صادقون وهم العارفون بالاسلام المذعنون
له وهم الذين يحافظون على الفرائض ويحجبتون كباثر الأثم والفواحش الا للهم
وإذا مسهم طائف من الشيطان فتركوا فرضاً أو أصابوا ذنباً ذكروا الله فاستغفروا
لذنبهم، وأنابوا إلى ربهم، ومسلمون جنسيون أو جغرافيون وهم أصناف نخس
بالذكر منهم الذين لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا يدعون لما عرفوه منه فهم
لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يحجبتون ما يأمرهم به الهوى من المعاصي
ولكنهم يتمسبون للاسلام بالكلام فيمدحونه ويدافعون عنه بالحق وبالباطل
لا يدخرون في ذلك وسماً لاسيما اذا كانوا من أهل الخوض في السياسة والحظوة
عند الحكام. وقد يبلغ التحمس بالرجل منهم حتى يظن المسلمون أو القارئون
لكلامه أنه من أقوى الناس إيماناً وأصدقهم اسلاماً وهو لاء جديرون بأن
يسموا بالمسلمين السياسيين واليهم توجه الكلام فنقول :

إذا كنتم لا تتركون الاسلام من حيث هو دين شرع لتطهير النفوس وترقية
الأرواح واعدادها بالتهذيب في الدنيا لسعادة الآخرة ورأيتم أنه لا بد من
المحافظة عليه من حيث هو جنسية لاستبقاء الأمة التي هي قوام سياستكم أفتررون
أن هذه المحافظة تتفق مع ذلك الترك الذي عم العقائد الخفية والآداب الاجتماعية
والشعائر المليية. ألا تعلمون أن المحافظة على الشعائر الظاهرة هي آخر ما يزول من

مقومات الأمم وحوافظ وجودها فإذا كنتم تهدمون الشعائر الظاهرة حتى الصيام ففقطرون في رمضان جهراً ندخنون في النهار بل تنصب لكم الموائد بعد الظهر فتأكلون عليها مع أهلكم وأولادكم فإذا أبقيت من المقومات لهذه الجنسية السياسية . ان كنتم تظنون أن وضع (الفتي) في حجرة الخدم لتلاوة القرآن في الليل كافياً لحفظ هذه الجنسية فانا قطع بأن هذا الظن من الاثم ، وانكم لستم فيه على بينة ولا علم ، فليكنم أن تفكروا في هذا المذهب في الجنسية ، هل هو مؤد الى غايتكم السياسية ، فان رأيتم بعد التفكير - ولا بد أن تروا - أنه غير مؤد الى هذه الغاية فارجعوا عنه ، الى ما يبين لكم أنه خير منه ،

هذا الفريق من المسلمين السياسيين يتبعون في جنسياتهم الدينية ملوكهم وأمرائهم ولكن الملوك والأمراء لا يتركون الشعائر المليية المألومة من الدين بالضرورة جواراً بل يؤدونها ويزيدون عليها شعائر أخرى ليست من الدين كالاحتفال بليالي المولد والمعراج ونصف شعبان . ومن كان منهم لا يصوم رمضان بسر فطره ويرائي بالصيام . فهذه المجاهرة بالفطر في نهار رمضان ممن لهم مكانة في الامة افساد في الدين والدنيا وافساد في السياسة والاجتماع فان هذه الامة لاجنسية لها في غير دينها فاذا افسده هؤلاء على العامة تعذر عليهم وعلى غيرهم من الخاصة استبدال رابطة جنسية أخرى به في زمن قريب ، وهل تمهلها الأمم القوية لتجد هذه الرابطة - اذا أمكن - في زمن بعيد ؟؟

أما الذين لا يصومون من الفوغاء الذين لا رأي لهم ولا فكر في أمر الاجتماع فلا كلام لنا معهم لأنهم لا يقرؤن واذا قرؤوا لا يفهمون واذا فهموا لا يعتبرون « أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون » لا تقل ان المنار ما زال ينكر كون الاسلام جنسية ويقول ان اتخاذ جنسية لا ينجي صاحبه عند الله تعالى فما باله اليوم يرضى بهذه الجنسية ويأمر المسلمين سياسة أن يزاوا بالمحافظة على الشعائر في الظاهر وان كفروا بها في الباطن : انك ان تقل هذا أجبت ان الاسلام قد شرع للناس ليكون وسيلة الى سعادة الدنيا والآخرة مما وانما يكون كذلك اذا أقيم على أساسه الصحيح ومن فوائد المحافظة

على شعائره الظاهرة في الدنيا تقوية الروابط الاجتماعية فمن أقام الدين ظاهراً وباطناً فقد سلك سبيل السعادتين ومن تركه ظاهراً وباطناً كان يهدمه لركني السعادة بلاء على غيره بما يعطيه للضعفاء والاحداث من سوء القدوة ويحرجهم على ترك الشريعة فشره يتعدى الى الأمة لا يكون قاصراً عليه واياه نعت بأن لا يكون فتنة لغيره وأقل ما تنتفي به فتنه ان يحافظ على الشعائر في الظاهر فلا يكون من الهادمين لركني الشريعة والدين - والا فليخرج منه بالمرّة - وهذا قسم ثالث .

وبقي من القسمة العقلية أن يقيم الدين في الباطن دون الظاهر بأن يوقن بمقائده ويتخلق بأخلاقه وآدابه ولكن يهمل الاعمال الظاهرة والشعائر العامة كالجمعة والجماعة وصيام رمضان والحج مع الاسنطاعة وهذا ما يدعيه أناس من أهل العصر ويدعون أن من الدليل على صحة اسلامهم غيرتهم على الدين وأهله ويقولون إنهم أقاموا الركن المنصوي من الاسلام وهو الاشرف والانفع وأهل الأزهرومن على شاكلتهم أقاموا الركن الصوري كالصلاة والصيام وهو الأدنى والأقل فائدة بل الذي لا فائدة له في نفسه . هذا ما يقولونه والعقل لا يسلم بأن أحداً يوقن بمقائد الدين ويتأدب بآدابه ثم يتترك أعماله وشعائره فان الانسان قد طبع على أن تكون أعماله أثراً لا اعتقاده ووجدانه فلو أيقنوا بمقائد الدين واصطبغ وجدانهم بصبغته لعملوا به . أما هذه الفيرة التي يدعوها فهي غير صحيحة وأكثرهم غير صادق في دعواهم بها ومن عساه يكون صادقا فهو لا يغار على الدين ولا على أهله من حيث هم أهله وإنما يغار على مصالحهم السياسية والاجتماعية لأنه من رؤسائهم أو من الراجين للزعامة فيهم فهو لا يطلب الالرياسة فقط ولهذا حاولنا أن نقيم عليه الحجة بأن غرضه السياسي من الأمة لا يتم له مع هدم شعائرها ومقوماتها المالية والاجتماعية وأما الذين يقيمون الشعائر الظاهرة دون الباطنة كأداب النفس والفيرة الصحيحة التي تبعث على الدفاع عن الحقيقة وعلى جمع الكلمة واحياء مجد الأمة فلا ننكر أن اسلامهم تقليدي لا ينفعهم في الآخرة اذا لم يكن له أثر في أرواحهم يحملهم على ما أشرنا اليه وفائدته في الدنيا قليلة لانها لا تتجاوز العامة فاننا نرى الخاصة المتدين منهم وغير

المتدين في حنق شديد على رجال الدين الذين ليس لهم منه الا التقاليد البدنية الجافة التي لا أثر لها في ترقية الأمة وهم لا يقولون ان صلاتهم وان لم تنه عن الفحشاء والمنكر وصيائهم وان لم يعدمهم للتقوى مما يضر الأمة من حيث انه صلاة وصيام بل يقولون انهم بذلك حالوا بين الأمة وبين الترقى في العلوم والآداب والاجتماع

هكذا تفرقت الأمة أيدي سببا ففالت الأمم الأخرى منها كل ما تريد والسبب في ذلك أنه لا يوجد فيها زعماء أقاموا ركني الدين العسوري والمنوي أو الجسدي والروحي وهي لا تنهض بغير هؤلاء الرجال وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى منهم ولكن لم تكد الأمة تعرف له ذلك حتى توفاه الله اليه ولو طالت حياته لرجي - وقد عرف قدره - ان ينهض بها نهضة عظيمة

الصيام والنساء العامة

لاخلاف بين المعتلاء المتدينين وغير المتدينين ان المرأة أحوج الى التربية الدينية من الرجل ومن يقول من الماديين ان العلم البشري يعني عن الادب الديني وان العالم الكامل مستغن عن الدين لا يقول ان الجاهل يستغني أيضاً عن الدين فجميع المعتلاء منفقون على أن ترك العامة والنساء للدين من أعظم البلاء والمصائب على البشر ولذلك ترى أهل أوربا يعنون بتربية النساء تربية دينية وان علموهن العلوم العالية كما يعنون بحفظ الدين على العامة . وقد علمنا من كثيرين ان عبيد الشهوات في هذه البلاد قد حملوا نساءهم على ترك الصيام وهو آخر ما يحافظ عليه النساء من أركان الدين وشعائره كما أنهم صاروا قدوة سيئة في ذلك للعامة . ولم يفتن الذين يدعون الفهم والرأي منهم الى عاقبة ترك النساء وغوغاء العامة للدين مع فقد العلم والتربية العقلية وان ظهرت بوادر ذلك في تهلك النساء واسرافهن وفي خيانة الخدم والعمال والصناع وغشهم وفسادهم . ألا يوشك ان تكون هذه الفوضى الدينية الأدبية في هذه البلاد شرا عليها من كل ما يهدده المتحدلقون شرا اجتماعياً أو سياسياً ولكن من يتدارك ذلك والأمة ليس لها زعماء وحكامها ليسوا منها ليصنوا بتعليمها وتعليمها ويلزموها بما يرفع شأنها إلزاماً

﴿المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية﴾

لم يمت مشروع المدرسة الكلية بموت المنشاوي بل ولا بموت الامناذال امام الذي كان عازما على انشاؤها في الشتاء الماضي بل كان يتمخض في الخفاء وبعده عدته ليظهر في مظهر كامل ولكن مصطفى كامل بك الفمراوي فاجأنا بفتح باب الاكتاب للممل من حيث لا يدري بأن هناك سميالوجي وينتظر

أرسل الينا هذا الاريحي الفاضل - كما أرسل الى جميع الصحف العربية - رسالة يذكرفها وجه الحاجة الى انشاء المدرسة الجامعة وتوقفها على بذل المال وأنه «بادر الى الاكتاب بخمس مئة جنيه أفرنكي لمشروع انشاء جامعة مصرية عامة» بثلاثة شروط (أحدها) أن لا يخصص مجلس أودين (ثانيتها) أن تكون ادارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة يصلحون لذلك (ثالثها) أن يكتب الاهالي بمبلغ لا يقل عن مئة ألف جنيه . وما قرأنا هذه الرسالة الا اعترانا مع الشكر لأريحية صاحبها وجوم امتعاض شديد خوفا من الفشل باظهار المشروع قبل ان تعدله عدته وزاد هذا الامتعاض نشر الجرائد لاكتتابات كبيرة كذبها ثانيا من عزيت اليهم أولا ثم لم نلبث ان انشرنا صدرا لما حضن المشروع سعد بك زغول الرجل الحازم القدير ونجدد لنا أمل بالنجاح نسأل الله أن يحققه وسنعود الى الكلام في ذلك

﴿الأزهر ومشيخته﴾

كثير الخوض منذ سنة في الأزهر ومشيخته ومجلس ادارته وكتب في الجرائد بعض ما يتحدث به الناس من الخلل في الإدارة والمجابهة في الامتحان وشهادة العالمية وبيع الشهادات بالدرهم وما بين شيخ الجامع ومفتي الديار المصرية من المناصبه والمناصبه ومما اشبع أن المفتي شككا شيخ الجامع الى رئيس النظار والى السيد البدوي وقد بلغنا أن شيخ الجامع ضاق صدره فاستقال رانه سيقال بعد أن يعين الشيخ شاكرا وكيلا للأزهر تمهيدا لجلسه أهيلا بعد استشارة الامير لحكومته في ذلك وسنعود الى ما نراه نافعا من الكلام عن الأزهر في الجزء الآتي

﴿تنبيه﴾

ضاق هذا الجزء عن تمة التفسير وعن الرد على الشيخ نخيت وعلى الدكتور من جليوث

فبشر عباده الذين يستمرون القول فيتمون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الْحَمْدُ لِلَّهِ

١٣١٥

بإذني الحكيم من يشاء ومن يهتد للحكمة فقد أتى
خيرًا كبيرًا وما يصدك إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و« مناراه كمنار الطريق »

﴿ مصر - رمضان سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١١٩ كتنوبر (أيلول) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب المقالات

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها

انتشرت في العدد الثالث من العروة الوثقى بالعنوان الآتي (١)

سَنَّهُ اللهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا

أرأيت أمة من الأمم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشق عنها عماء العدم فإذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الأركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة الهمم تخمد في ساحاتها عاصفات النوازل وتنحل بأيدي مديريها عقد المشاكل نمت فيها افئذ العزة بعد ما ثبتت أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستعلت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقتها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الأمم بأن لا سعادة الا في انتهاج منهجها وورود شريعته وصارت وهي قابلة المدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مديروها وهو لها بدن عامل وبعد هذا كله وهي بناؤها وانتم منظومها وتفرقت فيها الأهواء وانشتت العصا وتبدد ما كان مجتمعاً وأحل ما كان منعقداً وانفصمت عرى التعاون وانقطعت روابط التعاضد وانصرفت عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلمح في مناظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي المتحسين معه بلحمة الامة وأنه أحوج الى شد عضدهم من تقوية ساعده والى

(١) نشرنا هذه المقالة في المجلد الأول من المآر ونعيد نشرها الآن لما فيها

من التذكير الذي يجب أن لا ينسى والعنوان لنا

توفير خيرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سات يخيله الناظر اليه صحوا
وذبول يظنه المفرور زهوا وأخذ القنوط بأمال ارتكك لدهوشين فأبادها وحدثت
فيهم قناعة اليهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر للحق في خيال احدهم
او استنفره داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرفاً او يعيد لها مجداً عمدته هوساً
وهدياناً اصيب به من ضعف في المزاج او خلل في البنية او حسب أنه لو أجاب
داعي الذمة لماد عليه بالو بال واوردته موارد الهلكة او لصار من اقرب الاسباب
لزوال نعمته ونكد معيشته و يحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالاً من اليأس
ففضل يدها عن العمل وثقف قدماءه عن السعي ويحس بعد ذلك بغاية المعجز عن
كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما أتى اسلافه من قبله وتجمد
قربحه عن فهم ما قام به أوامك الآباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقيا
على ما أورثوه لاعتقابهم ويبلغ هذا المرض من الامة حداً يشرف بها على الهلاك
ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم

نعم رأيت كثيراً من الامم لم تكن ثم كانت، وارتفعت ثم انحطت، وقويت
ثم ضعفت، وعزت ثم ذلت، وصحت ثم مرضت، ولكن أليس لكل علة دواء؟ بلى
وأسفاً ما أصعب الداء وما اعز الدواء. وما اقل العارفين بطرق العلاج كيف
يمكن جمع الكلمة بعد افراقها وهي لم تفرق الا لأن كلا عكف على شأنه...
استنفر الله، لو كان له شأن يعكف عليه لما انفصل عن اخيه وهو أشد اعضائه
اتصالاً به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه نعم ربما النفث
كل الى ما هو في فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا
يدري من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون في أمن عليها. كيف تيمث
الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ما سكنت زماناً غير قصير الى ما ليس من
همالها؟ هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان، الفوز في
سلكه سواء خصوصاً بعدما استدير المقصد وفي كل خطوة يظن انه على مقربة
من المظوة؟ كيف يمكن تنبيه المستغرق في مناهه المبتهج بأحلامه وفي اذنه وقر
في هلامه خدره؟ هل من صيحة تقرر قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة

تتباعد انحماؤها وتتناهى أطرافها وتباين عاداتها وطبائرها؟ هل من نبأة تجمع أهواءها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعدما تراكم جهل ووران عين وخيل للمقول ان كل قريب بعيد وكل سهل وعرة؟ أيم الله انه لشيء عسير يعيا في علاجه النظامي ويحار فيه الحكيم البصير. هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل الداء وأسبابه الأولى والعوارض التي طرأت عليه؟ ان كان المرض في أمة فكيف يمكن الوصول الى علله وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعترأها فيه من تنقل الاحوال وتنوع الاطوار؟ أيمكن لطبيب يعالج شخصا بهينه أن يختار له نوعا من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون على بينة من حقيقة المرض؟ والا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثيما في طور من اطوار العمر ثم لا تظهر الا في طور آخر لتغلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدو أثرها. كلا انه ليصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد منوع عمره محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة ملة طويلة الأجل وافرة المسدد؟ لهذا يندري في أجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المشبهون بهم كثيرين. وكان المتطبب القاصر في الامراض البدنية لا يزيد علاجه المرض الا شدة لولا مساعدة الاتفاق والصدقة بل ربما يفضي بالمريض الى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون بتعديل أخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اغلالها ووجوه الملة فيها وأنواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد في أفرادها من المذاهب والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف واقعهما من الارض ومكانتها الاولى من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيما بين المثلثين فان أخطأ طالب اصلاحها في اكتناه شيء مما ذكرنا نحول الدواء داء والوجود فناء. فمن له حظ من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الاطام الالهي لا يجراً على القيام بما يسمونه تربية الامم واصلاح ما فسد منها وهو يحس من نفسه أدنى قصور في أداء هذا الامر العظيم علماً أو عملاً. نعم يكون ذلك من محبي الفخفة الباطلة وطلاب العيش في ظل وظائف ليسومن حقوقها في شيء.

ظن أقوام في هذه الازمان ان أمراض الامم تعالج بنشر الجرائد وأنها تكفل أنهاض الهمم وتنبيه الافكار وتقويم الاخلاق كيف يصدق هذا الظن وإنما لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يتصدرون بما يكتبون الانجاح الامم مع التفرغ عن الاغراض فبعد ماعم الدهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكتابتون لا تجد لها قارئاً واثم وجدت القاري قفلاً نجد الفاهم والفاهم قد يحمل ما يجده على غير ما يراد منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيشبهه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضماً . على ان الهممة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدفق سيول الحوادث؟ ان هذا وحقت لمز يز.

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبئة في أقطار واسعة من الارض مع تفرق أهوائها واخلادها الى مادون رتبها بدرجات لا تحصر ورضاهها بالدون من العيش والتماس الشرف بالانماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها راضخاً لحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القاتلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف بأوربا حتى تعم المعارف جميع الافراد في زمن قريب وتهيئ عمم المعارف كملت الاخلاق واتحدت الكلمة واجتمعت القوة . وما أبعد ما يظنون فان هذا العمل العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر يحمل الامة على ما تكره ازمانا حتى تذوق لذته وتجنبي ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد نائباً عن سلطته في تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف وداوته فهل مع الضعف سلطة تقهر وثررة تفي ولو كان للامة هذان لما عدت من الساقطين . فان قالوا يمكن التدريج مع الاستمرار والثبات واقضاهم على الامكان لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعون لهم سيلاً لان يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر . . . على أنا لو فرضنا مسالة الدهر ومنعت الامة مدة من الزمان

تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شياً فشيأً فما يصح الحكم بأن هذا التدرج يفيد فائدة جوهرية وان ما يصيبه البعض منها بهبوه الكمال الاثوبه ويمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء امته واعجباً كيف يكون هذا وان الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم الغريبة عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبثت واستوت على سوقها وأينعت وأثمرت و بأبي ماء سقيت و بأبي ثربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في مناشئها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهراً من القول لانبا عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجأة بعض الافراد بها وسوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرها يقوّم من أفكارهم ويعدل من اخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم لعل الاقرب ان ناقلي تلك العلوم وهم من امة هذا شأنها مع ما ينعكس اليهم من الارهام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يعظمونه من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخلط غريب لا يزيد طبائعها الا فساداً .

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن بنايعها من صدورهم ولو صدقوا في خدمة أوطانهم ؟ يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطبائعها وما صرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبعدهم عن أصله ولهم بمحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتية يظنونه على ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الضمير ما لا يرام الامن الكبير وبالعكس غير ناظرين الا الى صور ما تعلموه ولا مفكرين في استعداد من يمرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمد أو يزيد لها على ماها أضعا فاما وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم طائفة وحيلة . فهو لاء الصادقون الامن وقته الله منهم بمنائيه الالهية يكون مثلهم كمثل والده حنون يلذ لها غذاء فتفيض منه على ولدها وهو رضيع ليساهمها في اللذة وسنه من اللبان لا يقبل سواه فيسرع اليه المرض وينتهي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحلاة يشتنون بهية الجمع ويبددون أخريات الائتام ان كان الفساد أبقى للقوم بعض الروابط

فهؤلاء المفرورون يفشونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الاخيرا ان كانوا مخلصين ويوسعون بذلك الحصص (الحرق في باب ونحوه) حتى تعود ابوابا وياعدون ما بين الضفاف حتى تصير ميادين لتداخل الاجانب تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين ويذهبون بأمتهم الى الفناء والاضمحلال وبئس المصير .

شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد وبشوا بطوائف منهم الى البلاد الغربية ليحملوا اليهم ما يحتاجون له من العلوم والمعارف والصنائع والآداب وكل ما يسمونه تمدناً وهو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني . هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة . هل صاروا أحسن حالا مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الخيل الجديد . هل امتنقذوا أنفسهم من أذياب الفقر والفاقة هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم اليه الاجانب بتصرفاتهم . هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور؟ هل نالوا بها من المنفعة ما يدفع عنهم غارة الأعداء عليهم؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والتصرف في الافكار حدا يعيل عرائم الطامعين عنهم؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية فهي تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا وان بادت في سبيلها خلفها وراث على شا كتتها كما كان في كثير من الامم؟

نعم ربما يوجد بينهم افراد يتفهمون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شا كلها ويصوغونها في عبارات متقطعة بترء لاتعرف غايتها ولا تعلم بدايتها ووسموا أنفسهم بزعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم فقلبوا أوضاع المباني والمساكن وبدلوا هيئت المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعمدوها من مفاخرهم وعرضوها معرض المباهاة فسفروا بنلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا عنها أعراض الزينة مما يروق منظره ولا يحمده أثره فأماتوا أرباب الصنائع من قومهم وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ما تستدعيه تلك العلوم

الجديدة والكمايات الجديدة لأن مصانعهم لم تتحول الى الطرز الجديد وأيديهم لم تعود على الصنع الجديد وثرورتهم لا تفسد جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدد لا تف الأمة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا الا لأن تلك العلوم وضمت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها...
علمتنا التجارب ونطقنا مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المتحللين اطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوي لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهبط الوسواس ومخازن اللذائس بل يكونون بما أفهمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثلهم شوماً على أبناء أمتهم يذلونهم ويحرقون أمرهم ويستبينون بجميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الأمة بقية من الشم أو نزوع الى معالي الهم انصبوا عليه وأرغموا من أفقه حتى يحس أثر الشهامة ويخمد حرارة الغيرة ويصير أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبيين وأرباب الفارات يمسدون لهم السبل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطانهم ذلك بأهم لا يعلمون فضلاً انهم ولا يظنون ان قوة تغالب قواهم .
أقول ولا أخشى لو مالو كان في البلاد الافغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ما تغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الآبدين . فان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فيياتون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرق الاجانب أرضاً لاية أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون انفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدمهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لقتلهم كأنما هم منهم ويعدون الغلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم .

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الأثر لو صحت الضائر فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا ماراً ينامن آثارها والوقت ضيق والخطب شديد؟ أي جهوري من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا الغفالات؟ أي اقصة تزعج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخاملة؟ أي نفخة تبعث هذه

الأرواح في أجسادها، وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها؛ الاقطار فسيحة الجوانب، بميدة المناكب: المواصلات عمرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشامي، الرووس مطرقة الى ماتحت القدم أو منفضة الى مافوق السماء، ليس للاصهار جولان الى الأمام والخلف واليمين والشمال ولا للأسباع إصغاء ولا للنفوس رغبات واللاهواء نحكم وللوساوس سلطان ما ذا يصنع المشفقون على الأمة والزمن قصير؟ ماذا يجاولون ولا خطار محدقة بهم؟ بأي سبب يتمسكون ورسل المايا على أبوابهم؟

لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من البيان ولكني أستلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل أرسل طرفك الى نشأة الأمة التي خلت بعد النباهة وضعت بعد القوة واسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنمة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل فقد يكون ما جمع كلمتها وأمهض هم أحادها ولحم ما بين أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رووس الأمم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها إنما هو دين قويم الأصول محكم القواعد شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مزك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدنية . فان كانت هذه شرعها ولها وردت وغنها صدرت فما تراه من عارض خللها وهبوطها عن مكانتها إنما يكون من طرح تلك الأصول ونبذها ظهرياً وحدث بدع ليست منها في شيء اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أنى لأجله وما أعدته الحكمة الإلهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجاباً بين الأمة وبين الحق الذي تشر بنداثة أحياناً بين جوانبها فعلاجها التاجع إنما يكون برجوعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وايقاد نيران

الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطبئة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم بإحياء الامة الا الى نفخة واحدة يسري نفعها في جميع الارواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم وروضوا اقدامهم على طريق نجاحهم وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يلقوا بسيرهم منتهى الكمال الانساني ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً وجمل النهاية بداية وانفكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فيعكس عليه القصد ولا يزيد الامة الانحسار، ولا يكسبها الاتصاف، هل تعجب أيها القارئ من قولي ان الأصول الدينية الحقة المبرأة عن محدثات البدع تنشي للأمة قوة الاتحاد وتتلأف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبصتها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنتهي بها الى أقصى غاية في المدنية؟ ان عجبت فان عجبك أشد . هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بعثة لدين من الممجبة والشتات واتيان الدنيا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهدبها ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وسامت من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نبهتها شريرتها وآيات دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها وقلوا الى بلادهم طب بقراط وجالينوس وهندسة أقليدس وهبئة بطليموس وحكمة أفلاطون وأرسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمة سادت تحت هذا اللواء إنما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها

وقد نكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك وافتتاح الاقطار وطب السيادة على الأمصار وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنيا وبعد الغايات وعلو المقاصد هي التي هذبت أخلاقهم وقومت أفكارهم وكفتمهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الامور وسوافلها ثم بعد ماضى زمان من نشأتها أصابها من الأخطاط ما أصابها . فيبان أسباب الخلل فيها وعلاؤه ففرد له فصلاً مستقلاً في عدد آخر ان شاء الله هو الموفق للصواب

﴿ سيرة السلف الصالحين، في نصيحة السلاطين ﴾

﴿ تابع لما في الجزء السابع وما قبله ﴾

قال في الأحياء وعن أبي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنؤه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخياً لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه فاشتد ذلك على هارون فكتب إليه كتاباً يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى وأخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أي قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبك ولم أقطع منها ودك وأني منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقي من اخواني وأخوانك أحد إلا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني وأني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت إليك كتاباً شوقاً مني إليك شديداً وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالمجمل المعجل »

فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فألق كتابي هذا إليه وع بسعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال فاقبلت إلى المسجد فلما رأيته قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الأبخير قال عباد (المآثر ٩:٩) (٨٥)

فوقمت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأيت نرات بياب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بياب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فأرفع أحد الي رأسه وردوا السلام علي برؤس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيتهم الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فرحم وسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه الي من كان خلفه وقال يأخذه بضمك بقروءه فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده قال عباد فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قرائته قال اقلبه واكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه قليل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجزي به وان كان اكتبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا قليل له ما تكتب فقال اكتبوا

« بسم الله الرحمن الرحيم - من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الي العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد لذي سلب حلاوة الايمان أما بعد فإني قد كتبت اليك أعرفك أنني قد صرمت جيبك وقطعت ودك وقليت موضعك فانك قد جمعني شاهداً عليك بأقرارك علي نفسك في كتابك بما هجمت به علي بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفدته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني علي نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت علي بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن

وأهل العلم والأرامل والأيتام أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشد يا هارون
متررك وأعد للمسئلة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم
المدل فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلالة العلم والزهد ولذيد القرآن ومجالسة
الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظلما وللظالمين اماما يا هارون قدمت على
السري ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب
العالمين ثم أقدمت أجنادك الظالمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون
يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون
ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على
الناس فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى (احشروا
الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى
ويديك منلوتان إلى عنقك لا يفكها إلا عدلك وانصافك والظالمون حولك وأنت
لهم سابق وامام إلى النار كاني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت
المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيات غيرك في ميزانك زيادة على
سيئاتك بلاء على بلاء وظالمة فوق ظلمة فاحفظ وصيتي واتمظ بموعظتي التي
وعظتك بها واعلم أنني قد نصحتك وما أقيت لك في النصيح غابة فاتق الله
يا هارون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلافة عليهم واعلم
ان هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل
بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفسه ومنهم من خسر دنياه وآخرته
واني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فإياك أياك أن تكتب لي كتابا
بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام»

قال عباد فأتى إلى الكتاب منشورا غير مطوي ولا محتوم فأخذته وأقبلت
إلى سوق الكوفة وقد وقمت الموعظة من قلبي فناديت يا أهل الكوفة فأجابوني
فقلت لهم يا قوم من يشترى رجلا هرب من الله إلى الله فأقبلوا إلي بالدينار
والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال
فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافياً راجلاً فهزأ بي من كان على باب الخليفة ثم استوهذني فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائماً وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي وللدنيا مالي وللك يزول عني سر يعا ثم ألقيت الكتاب إليه منشوراً كما دفع إلي فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ ويشيق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفیان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبید الدنيا ، المفرور من غر وموه ، والشقي من أهلكتموه ، وان سفیان أمة وحده فآتركوا سفیان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفیان إلى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبداً نظر لنفسه واتقى الله في ما يقدم عليه غداً من عمله فإنه عليه يحاسب و به يجازى والله ولي التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولمون به اذ أقبلت هواج هارون فكف الصبيان عن الولوج به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفاً عن عرفة على ناقه له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك : قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال يا بهلول زدنا رحمة الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آناه الله مالا وجمالاً فانفق من ماله ، وعف في جماله ، كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار : قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيناه قال يا أمير المؤمنين هو لا ، أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين

لا يجوز. قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك قال فرجع بهلول
 رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فبحال أن يذكرك
 وينساني قال فأقبل هارون السجاف ومضى: (ثم قال في الاحياء بعد نصيحة للمؤمن)
 وعن أحمد بن ابراهيم المقرئ قال كان أبو الحسن النوري رجلاً قليل الفضول
 لا يسأل عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج اليه، وكان اذا رأى منكراً غيره ولو كان
 فيه تلفه فترز ذات يوم الى مشرعة (١) تعرف بمشركة الفحامين يتطهر للصلاة اذ
 رأى زورقاً فيه ثلاثون دنناً مكتوب عليها بالقار: «لطف» . فقرأه وانكره لأنه لم يعرف
 في التجارات ولا في البيوع شيئاً يبرعه بلطف فقال للملاح ايش في هذه
 الدنان؟ قال وايش عليك امض في شفتك فلما سمع النوري من الملاح هذا
 القول ازداد تعطشا الى معرفته فقال له أحب أن تخبرني ايش في هذه الدنان قال
 وايش عليك، أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان
 يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر؟ قال نعم قال أحب أن تهطيني ذلك المدري
 فاغناظ الملاح عليه وقال لعلامة أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المدري في يده
 صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دنناً حتى أتى على آخرها الا دنناً واحداً والملاح
 يستغيث الى ان ركب صاحب الجسر (٢) وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري
 وأشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه
 سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويده عمود يقبله
 فلما رأي قال من أنت قلت محتسب (٣) قال ومن ولاك الحسبة قلت الذي ولاك الامامة
 ولاتي الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الي وقال
 ما الذي حملك على ما صنعت قمت شتقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف
 مكروه عنك قد قصرت عنه قال فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه الي وقال:
 كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ قلت في تخلصه علة أخبر بها
 أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرني فقلت يا أمير المؤمنين اني أقدمت على

(١) مورد ماء (٢) أي الحاكم المولى من الخليفة وهو كالحافظ في مصر (٣) المحتسب
 هو من يزيل المنكرات كالبوليس

الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هية الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحالة الى أن صرت الى هذا السن فاستشمرت نفسي كبرا على اني أقدمت على مثلك فمعت ولو أقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أهال فقال المعتضد اذهب فقد أطلقنا يدك خير ما احببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين قتلك يا أمير المؤمنين بغض الي التغيير لاني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي فقال المعتضد ما حاجتك قتل يا أمير المؤمنين تأخر باخراحي سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة الى أن توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد

فذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاهم بسطو السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يجرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فليتها وأزال مساوتها وأما الآن فقيدت الاطماع السن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والا كابر والله المستعان على كل حال اه

(المنار) هذا كلام الامام الغزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يفخر اهل هذا العصر بهم فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائه الذين اضعوا الدنيا والدين وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في اسفل سافلين . ولا نطيل هنا في وصفهم فحسبك ما قرأ في المقل الآتي ولكننا نقول ان الزمان لا يتخلو من العلماء الخالصين وهؤلاء هم الذين ندعوهم الى نصيحة ملوكنا وامرائنا قبل ان يضيعوا هذه البقية القليلة التي بقيت لنا فالخطر قريب ان لم يتداركوه نزل والعياذ بالله تعالى

﴿ الجامع الأزهر - مشيخته وإدارته ﴾

كتبنا في الجزء الثاني من منار السنة الماضية (ص ٧٦ م ٨) ما نصه :
 ما كانت مشيخة الأزهر في زمن من الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من
 الحكام كما نراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيوخ هذا الجامع
 عدة مرات في بضع سنين - عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير
 وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فاختار الأمير
 للشيخة الشيخ سليمان البشري ثم عزله بمحض إراداته وولى مكانه السيد عليا
 اليلادي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الأمر كما يقال . وفي هذا الشهر (أي
 صفر) استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشريفي باتفاق
 الحكومة ثم ذكرنا استقالة الأستاذ الامام وبعض أعضاء مجلس الإدارة

وكتبنا في نبذة أخرى أن الأمير قد اتفق مع حكومته على أن كل ما يهم
 الحكومة من الأزهر شيئان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة
 الشرعيين وأن التعليم فيه لما كان غير كاف لتخريج القضاة عازمت الحكومة على
 انشاء مدرسة لتخريج القضاة خاصة . ثم قلنا أنه كثر التساؤل بين الناس عن
 سبب استقالة الشيخ محمد عبده من إدارة الأزهر مع حرصه على اصلاحه وأجبتنا
 عن ذلك بالإشارة إلى الشغب الذي بلغ في ذلك العهد غاية في ذلك المكان فإن
 بعض الشيوخ الذين يترددون على قصر الأمير كانوا يحرضون مدرسي الأزهر
 على الشكوى من شيخ الأزهر ومجلس الإدارة وعدم الخضوع لما يراد تنفيذ
 من قانونه وعلى ما هو أعظم من ذلك وقد اشتهر عند الكثيرين أن الغرض من
 ذلك أن يستقيل شيخ الأزهر والمفتي « رحمهما الله » وأن الأمير هو الذي يريد
 ذلك . وأكد ذلك ما نشره لذلك العهد في الجوائب المصرية والمؤيد وغيرها
 من الجرائد التي نخدم « المية » وأهم ذلك مقال سيء حديث قال صاحب
 الجرائب أنه جرى بينه وبين شيخ من كبار علماء الأزهر وصفه بأوصاف فهم الناس
 منها أنه الشيخ عبد الرحمن الشريفي الذي كان بعض بطانة الأمير يحاولون اقناعه

قبول المشيخة التي أيقنوا أن البيلاوي مستقيل منها لما اتخذ ذلك من الأسباب
الملحجة . ولما استقال السيد البيلاوي وعين الشيخ الشريفي شيخاً للأزهر واحتفل
بإلباسه الخلع بمحضرة الأمير أقي الأمير ذلك الخطاب على الشيوخ وكان مؤيداً
لروح ما كانت تنشره تلك الجرائد

كان مدار ذلك الكلام على أن كل ما بهم الأمير وحكومته من الأزهر أن
يكون في أمان وهدوء بعد عن الشعب والتملأكل وأن يظل مدرسة دينية كما
كان وربما كانوا يظنون أن سكون الأزهر وراحة أهله ورضا كبار شيوخه من الأمير
واخلاصهم له هو مما يتجه جعل الشريفي شيخاً للأزهر لأنه في مقدمة العلماء
الأزهر بين الذين يرون وجوب بقاء الأزهر على حاله التي كان عليها في زمن
تعليمهم فيه وترك الشيخ محمد عبده له وهو هو الذي يريد تغيير نظام التعليم وزيادة
المعلم والفنون فيه ولكن جاء الأمر على قبض ما كان يظن أولئك الظانون فاستاء
محبو الإصلاح من أهل الأزهر ترك الأستاذ الامام لإدارته كما استاء عملاء
المسلمين في كل مكان . وأما المحافظون على الحالة المتبعة فقد رأيناهم على عهد
الشيخ الشريفي اشتد استياء من إدارة الأزهر منهم على عهد من سبقه كما أشرنا
إلى ذلك في العدد الماضي وكثير في هذا كلام الناس وكتابة الجرائد بالشكوى
من حال الأزهر والطمع في علمائه حتى إن بعض الافندية كتب في بعض الجرائد
اليومية يقول في بيان جهل علماء الأزهر بالدين وقد الثقة بهم ما معناه إن الناس
لا يقصدون في حل مشكلات الدين والدفاع عنه الا الى بعض حملة الطرايش
وفي ذلك هضم لغير الأزهرين من حملة العمائم كما تارة المدارس الاميرية وغيرهم
هذا ما ذكرنا برسالة كان أرسلها الينا زعيم النهضة الاسلامية في الهند السيد
النواب محسن الملك خان الشهير بعلمه وفضله يرد بها على ما كنا اعتدنا به عن
علماء الأزهر تعقياً على رسالته التي نشرناها في الجزء السادس من السنة الماضية
وهي التي أظهر فيها استياءه واستياء مسلمي الهند من ترك الأستاذ الامام للأزهر
وطعن فيها بعلمائه طعناً شديداً فلم نر نشرها في ذلك الوقت لما منع زال فنحن نشرها
الآن وهذه هي

بسم الله الرحمن الرحيم - واياه نعبد واياه نستعين

سعادة الفاضل الحكيم العلامة دتم بالمرز والكرامة

سلام عليكم فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه النبي
الكريم . وعلى آله وصحبه السادة الها ميم . وبعد فانا قد سررنا وتوسطنا بمحسن
ضنيكم البنا من نشر رسالتنا المشبعة الطويلة التي كتبناها اليكم في قضية علماء
الازهر واستقالة الاستاذ الامام الكبير محمد بن عبده في مجلتكم الباهرة الفراء التي
صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي وقد سررتني أيضا ما قد
استبعم ذلك بانتقادكم الحافل البديع غيب هذه الرسالة بحامون فيه عن علماء
الازهر واستفراغكم الوسع بذلك في دفع ما وقع من الغلط والخطأ في الآراء التي
ارتقاها الناس فيهم ولكن الذي أمل من طيب خلقكم وطهارة سريرتكم هو
ان تصفروا عني مما قد مجاسرت في الاتقاد على هذا الاتقاد فانه يا اخي ليس فيما
أحسب مما ليظنن به بال احد او ان يفتدبه ما قد رآه اكثر أهل النظر في هؤلاء
العلماء من أنهم لا يجبون اشاعة العلوم الحديثة ولا يجوزون لها السبيل والتطريق
في المدارس والكليات ولا واحد عندي يقطع عن رأيه ذلك فيهم فيما احسب
قد علمت يا سيدي ان نصف علماء الأ زهر وتعصبهم للعلوم الخلقية البالية وخلافهم
الاصلاح في شؤون التعليم والأخذ بالعلوم الحديثة ليس مما يرتاب فيه احد فقد
شجنت بذلك الجرائد المصرية كلها لا سيما مجلتكم الباهرة التي نصت على انهم
لا يجوزون المدول يسير عن المنوال العتيق الذي يجري عليه نصاب التدريس
في الجامع الازهر ويخرجون في تشكيل صناعة التاريخ والجغرافيا في نصاب
الدرس الحاضر فما ظنك بالعلوم المايلة الا فرنجية وما هي فيه من المنهاج الجديد
في أرض أوروبا فأحسبت يا سيدي ان الذين لا يزالون يقرءون ويتلون الجرائد
المصرية ولا يفترون عن مطالعة جريدتكم الفراء ليلا ونهارا أقرأهم يقلعون عن
رأيهم في شأن هؤلاء العلماء أم ترى ان اعتقادهم في هؤلاء فيما أفديتم بنفسكم
بأنهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين وتفسد العقائد في قلوب

المسلمين وإن اصلاح طريقة التعليم خروج عن صراط السلف المستقيم أقرى
أن هذا الاعتقاد منهم يزول أو يحول أو يضمحل بشئ من قلوبهم مما كان عندهم
من قبل أما تراحم يوافقونك في قولك وكل هذه الظنون فيهم باطلة كلا ولا كرامة
وحاشاهم عن ذلك

فأما أتم فمصري لم قالوا جيدا في المحاماة عن هؤلاء العلماء وأنتقم في بيان ذلك
بمجتنبين وكذاهما نتقد عليهما ونظري وزنها ورجحها على منهاج أصحاب النظر
أما الحججة الأولى فقولكم إن من أصحاب الدرجة العلمية الأولى فيهم من يطلون
أولادهم العلوم الدينية في المدارس الأميرية وغيرها الخ وأما الأخرى فقولكم ولا
يطلون بدين أكارأمرائهم وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر وأوروبا
الخ ولكن هذا الكلام منكم لا يجديهم نفعاً ولا يحميهم أو يذب عنهم بشئ فقد
عرفتم ما هو من دين علماء هذا العصر أنهم يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا
يقولون وهم الذين قال فيهم الشاعر البارف الحكيم مصلح الدين السعدي
الشيرازي وهو من معارف الشعراء ومشاهير أهل النظم - قال :

ترك دنيا مجردم آموزند خو يشتن سم وغله اندوزند

يعني بذلك أنهم يعلمون الناس ويحملونهم على رفض الدنيا وترك زخارفها وهم
بأنفسهم يكتزون الفضة ويحتكرون الطعام لأنفسهم (هـ) ومن ديدنهم أيضا أن
لا يطنوا بشئ على الأمراء والولاة كما لا يحرموا من صلاتهم ولا يأبوا عن
استبلااب خيرهم وبنراتهم بل واناراهم يوافقون العامة في بدعهم ولا يشتمون
بشئ على أفعالهم ويشاركونهم في الأحداث الفظيعة التي يتنون بها في الدين
فأراهم لا ينفكرون عليا بل يعاضدونهم بمواقفهم ومشاركتهم فيها وشاهد ذلك
قولكم في هذه النمرة التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الأول الماضي
و فتاوى الأزهر يقررون في كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور وأنقاد
المساجد عليا وأنقادها أعيادا وتنظيمها ثم أنهم يشاركون العامة في هذه الأعياد

(هـ) قال الشاعر العربي (ودعوا لنا الدنيا وهم يرضونها أقارب حتى ما يدروا نيل)

التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أئمتهم في الفقه ثم أنهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد امرني بذلك بعضهم وكان شيخنا للأزهر قائلاً انك من اهل العلم لا يليق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن « وقد صرحتم قبل ذلك بشيء في قولكم ص ٢٢١ من هذه النمرة الحاضرة » وإنما صرح العلماء بكَراهة حلق الرأس وكونه مخالفاً لسنة لأنه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاما اذا اخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجهاً في هذا النصر الى علماء الدين فانهم يحقون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون «

هذا ام كيف يوافقكم احد في قولكم « ظلم والظلم لعلما الأزهر ان يقال فيهم أنهم يعدون علوم الدنيا خطراً على الدين أو عائقاً عن علومه وانهم يجادلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين « الى آخره

وقد سلف منا مرارا انا قد رأيت في الجواب المصرية انها قالت في شأن رجل عظيم من العلماء « انه محترم المقام بين علماء المسلمين بحله كبيرهم وصغيرهم لعلمه وفضله وبيدونه حجة وقته وامام زمانه في علوم الدين وأصول الشريعة « فهذا العالم الجليل الذي رأس العلماء في عصره ومن رأيه ما يقول لمدير الجواب عاتك أمانته « غرض السلف من تأسيس الأزهر اقامة بيت لله يعبد فيه ويطلب فيه شرعه ويؤخذ الدين كما تركه لنا الأئمة الاربعة رضوان الله عليهم وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم العصر فلا علاقة للأزهر به ولا ينبغي له « ولما راجعه المدير واستحماه بالسؤال قائلاً « هل حدث يا مولاي ما يقف للأزهر في الخدمة المطلوبة منه فبسم الاستاذ ثم قال بل ان الذي من شأنه أن يهدم معالم التعليم الديني ويحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب تجارب الدين وتطفي نوره في هذا البلد وغيره من البلاد الاسلامية الى آخره « وتجاهر في آخر كلامه متظاهراً قائلاً « ان الأزهر انما وجد لحفظ لدين ونشر علومه ليس الا وليركوه كما هو حصن للدين وان أرادوا به اصلاحاً فليكن الاصلاح

منحصرا في حفظ صحة الطلبة والسهو على راحتهم وتقديم الغذاء الصالح لهم وما سوى ذلك من مبادئ الفلسفة والعلوم الحديثة العالية فتدخله الحكومة انشاءت على مدارسها الكثيرة التي هي في حاجة ماسة اليه

أم كيف نصدقكم في قولكم هذا وأنا نرى هؤلاء العلماء قد ثاروا وشغبوا الناس وأثاروا في اصلاح الأزهر بما اضطر الخديوي الي اخذ الفتنة وخاطب شيخ الجامع الأزهر قائلا « ان الجامع الأزهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية اسلامية تنشر فيها علوم الدين الحنيفة في مصر وجميع الاقطار الاسلامية.. ولقد كنت أود أن يكون هذا شأن الأزهر والأزهرين دائما » وما كان

يخال ان هؤلاء الرهط الذين يرومون الاصلاح كلهم مفسدون قال فيهم « أول شيء أطلب أنا وحكومتى أن يكون الهدوء سائدا في الأزهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشغل علماءه وطلبته إلا بتلوي العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء ومن كان يحاول بث الشغب بالوساوس والاهام أو الايهام بالاقوال أو بواسطة الجرائد والاخذ والرد فيها فيمكن بعيدا عن الأزهر ومن كان أجنيا من هؤلاء فأولى به أن يرجع الى بلده ويث فيها ما يريد من الاقوال والآراء المفيدة للدين ولمصلحة الأزهر والأزهرين » (١)

فهل في الوجود أحد يقف على هذه الاحوال ويرفها حق المعرفة ثم يرتاب في أن هؤلاء العلماء أكثرهم لا يجوزون الاصلاح في النهج القديم للتعليم ومحسبون أن العلوم الحديثة بأسرها ماطفنة لنور الاسلام وامري أن هؤلاء العلماء هم الذين اتخذوا جامع الأزهر الذي كان من حقه أن يكون رحمة وبركة للمسلمين مركزا للنسبة وموطنا للمذلة ومعقلا للمستربة وموضعا للمسغبة ولو نظرت الى العلوم التي تدرس فيها لوجدتها بأسرها علوما بالية عتيقة اتخذها المفردة من العلماء علوما دينية ولا نجد فيها الا تلقين نبد من المسائل التي تسمثر منها المقول ونجح قبولها احلام الفحول وذلك من اجل مخالفتها لقواعد الحكمة واصول الفطرة ولا يوجد فيها غير تعليم ماعداها من المطالب التي لا تستنير بها ادمغة الرجال ولا

(١) المنار: قالت جريدة اللواء يومئذ ان المراد بالأجنبي هنا صاحب المنار

ينسج بها فضاء علمهم ومعرفتهم بل يتركز بها التقليد في تخوم قلوبهم وقد امتلأ القرآن العزيز بدمه وشحن الكتاب المجيد برده وجل همتهم في ان يحمل الناس على منهاج يعتقدون به ان الاسلام بدع هذه البدع ونفس هذه الاحاديث التي ليست بأدون من احاديث خرافة بل عين الشرك الجلي فضلا عن الشرك الخفي وانما جهدهم في المنع عن تعليم صنعة تنفهم بشئ اما في الدنيا أو في الدين هذا شي من حالم في تعليم العلوم فأما سبيل التعليم ومنهاج تدريسهم ونظم الامور فيه فامرء اشهر من ان يذكر وايين من ان يوضح ولقد تفجع له بعض فضلاء الهند الذي كان حلا بالقاهرة وكتب في ذلك كتابا الى حيدرآباد عاصمة دكن ولقد نشرتموه في الجزء العاشر من المجد الخامس من مجلثكم المنار وبعد ذلك فهل تحسبون انا نحسن الظن بهؤلاء العلماء ونضمهم في ميزان علمائنا السلف الذين مضوا الى رضوان الله كالامام الغزالي وابن رشد الاندلسي والامام ابن الخطيب الرازي وغيرهم فقد كانوا يعتقدون ان العلوم الكونية والعقلية عين هذه العلوم الدينية وكانوا يحضون المسلمين ويحثونهم ويحرضونهم على تحصيلها في تأليفهم وكتبهم واسفارهم ووزرهم التي كانوا يعملونها لنشر تلك العلوم ومخاطبون فيها اخوانهم المسلمين قائلين « معاشر الخلان اني آنت نارا في وادي هذه الفنون آتيكم منها بخبر أو قبس لعلكم تصطلون » اوليس هؤلاء العلماء قد عثروا على قضية عمر بن حسام فيما اخرج الخبر به الامام الرازي في التفسير الكبير من ان عمر بن حسام كان يقرء كتاب المجسطى على عمر الابهري فقال بعض الفقهاء يوما ما الذي تقرؤنه فقال افسر آية من القرآن وهي قوله تعالى « اقلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها » فانا افسر كيفية بنائها ولقد صدق الابهري فيما قال فان كل من كان اكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان اكثر علما بجلال الله وعظمته انتهى كلام الرازي بعبون الفاظه

اولم يشر علماء الازهر على فصل المقال للحكيم الفيلسوف القاضى ابي الوليد بن رشد (الذي) نص فيه على وجوب معرفة الموجودات والعلم بحقائقها من جهة الشرع وان القرآن العزيز قد امرنا بذلك امرا اكيدا في كثير من الآيات وكتب في

آخر ذلك ماتلك عيون الناظر . وقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرع وان من نهى عن النظر فيها فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية البعد عن الله تعالى او لم يدرك هؤلاء العلماء ان الامام الفزائي كان من قوله في علم الهيئة فيما نقل عنه الفاضل عصمة الله في التصريح شرح التشريح - للشيخ العلامة بيا الدين العاملي من انه من لم يعرف الهيئة والتشريح فهو غيب في معرفة الله واعظم من ذلك كله الاثر المأثور المشهور عن سيدنا علي فيما اشار به على سيدنا عمر رضي الله عنه بعدم احراق خزائن الكتب بالاسكندرية قال انها علوم ليست تخالف القرآن العزيز بل تعاضده وتفسره حتى التفسير لا سراره الغامضة الدقيقة وهو قول معروف عنه وقد اخرج الخبره مفصلا الحكيم المؤرخ الاسلامي القاضي الصاعد الاندلسي في طبقات الامم فيما نقل عنه العلامة المحدث ابن عيش القرشي التيمي في بعض مقاطع القسم الاول من الجزء الاول من كتاب الكشف عن الغائبة فليرجع اليه

هذا وانه ان يذهب عنا الاسف والكد الذي نجده في انفسنا من جهة قضية الخلد يوي وآرائه ومن جهة الحال التي نحس في علماء الازهر ونحن بهذا المصر في حاجة الى مثل الرازي والفزائي وابن رشد الاندلسي وامثالهم من العلماء ومن كانوا في ميزانهم في الدهر الحاضر مثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده واضرا به الذين يضيئون العالم بنور الدين وضياء الاسلام ويبينون للناس ومن في قلوبهم مرض وزيف من الحق ان الديانة الاسلامية كلها تطابق العقل والقطرة حذو القطرة والقذرة وان العلوم العقلية والكونية بأسرها في الاصل علوم دينية يجب على المسلمين تعلمها والاخذ بها وتعلمها فيخرجوا بذلك عن قعر النذل وغيابة الهوان والصغار التي اتوا فيها وهم صاغرون وقد لزم الاسلام بهم عار قبح به منظره وماءت بذلك هيئة وهم يظنون من أجل ذلك ان الاسلام هو الرادع للناس عن التمدن والارهاق في معارج المز والاعتلاء فأما نحن فلسنا في حاجة الى امثال هؤلاء الذين يقولون ان العلوم الحديثة مطفئة لنور الاسلام ومخمدة لناره ، ومطمسة لآثاره ، ومجلية له

عن عقرداره ومحله وقراره ،

اوليس ان الحال التي انتهت اليها هيئة المسلمين مما يتضاحك بها الاعداء ويتصاوخ لها الاولياء بالعويل والبكاء ، وتسكاب الدماء ، اوليس قد تراكت على المسلمين سحائب الذل والهوان ، وجللتهم غياهب العدم من كل جانب ومكان ، ابي نقطة في الوجود من نقاط الارض يكون فيها من حال المسلمين مالا يتصدع لها القلوب وتتفطر بها الالكباد وتجود لها المحاجر والاماق بانهار الدماء السائلات ، وتسكب لها قاني الامطار من المقل الفائرات ، خرجت الممالك من ايمانهم ، واضمحلّت الدول التي بقيت في ايديهم كأنهم لا حراك بهم وصاروا في العالم كأنهم اللعبة تتداولها ايدي الاجانب وتلاعب بها اكف الابعاد ، بما خرجوا عن امتلاك الاقارب لا يحس فيهم شيء من آثار الثروة ، ولا عندهم ميل الى التجارة والصنعة بل هم زاهدون فيها ، وراغبون عنها ، يستبشرون شكلها ومنظرها ويستقظنون محلها ومصدرها ، ورضوا بالافتقار في تحصل كل شيء ، حقير وجلب كل ماعون يسير ، من أرض أوروبا يستجلبون الفرش والسرج للمساجد والصوامع من ارض الافرنج ولا يتخذون من ذلك شيئاً بانفسهم وايديهم . لم يبق لهم عزّة ولا ضولة ، وما بقي عندهم امرّة ولا دولة ، واما عددهم فهم وان كانوا ييلنون الي الف مليون نفس في العالم فهم بعد لسواقي قطر من اقطار الدنيا ممن ينتخر هناك بوجودهم ولا ممن يتفاخر بهم على لسان وليهم وودودهم او ليفرح الرجل بالنظر الى عيونهم واشخاصهم او يسيراخوم اذا كان يرمى الى عددهم وافرادهم . فماذا يكون من السبب الاصيل في ذلك ويبد من رهنّت ذمة هذه الامور والتي احسب ان جل السبب في ذلك ليس الانقارهم عن العلوم الحديثة وتعاميم عنها واثم ذلك كله على عاتق هؤلاء العلماء الذين يندرون تلك الاوزار ويجوزون للمسلمين ان يخرجوا عن غمار الذل والصغار ومن ثم تراهم يرفعون عن التعاليم النافعة ويردعون الناس عنها لفتاوى التكفير لمن ولع بهذه العلوم الحديثة ويحولون بينهم وبيننا وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يبحرون ولا يشعرون ان ارتقاء الاوربيين الذي يضرب به المثل اليوم ليس الامن جهة توغلبهم في العلوم الجديدة ونبوغهم في الحكم الحديثة وكل دولتهم وقوتهم منسوبة في

الأصل إلى تجارتهم وحرقتهم وهي في نوبتها منسوبة إلى تناغمهم في هذه العلوم الجديدة النافعة

دع عنك أروبا وانظر إلى هذه الأمة الحقيمة التي يقال لها أمة جابان أفلا يرونها كيف ارتقت في مدة لا تزيد على عدة سنين ولا تعد إلا على أنامل الأدميين ارتقاء مبهر أبهرت الأنظار، وخطفت لها النواظر والأبصار، أفليس أنها لم تستكمل لنفسها مدة خمسين سنة وكانت تعد من قبل ذلك في الأقسام المتوحشة وتستحقها الأمم المتعدنة وهي اليوم في كل شأن على أعلى مراتب الصعود والارتقاء وقد ادعت الدنيا بأسرها بأعمالها البديعة التي صدرت منها في هذه الأزمان وكل واحد يحترمها كل الاحترام وحرمتها مركوزة في طبع كل إنسان فإذا الذي قلبها عن حالها القديم، وانعكس أمرها عن شأنها الفاسد الرميم، ما ذلك إلا من أجل تناغمها في العلوم والحكم والأزهريون على خبرة من حالها ومنهاج ارتقاها ومنوالها وإنما الأسف عليهم من أجل أنهم لا يقيسون أنفسهم بهؤلاء، ولا ينظرون في علل تلك الأشياء، ولا يفكرون في أسبابها التي أورتهم الارتفاع وأورثتنا الأخطا والانهماض ولو كان عندهم صواب في الرأي وحزم في الرواية ومعرفة صحيحة بالقرآن والاسلام لكانوا يستحيون مما هم فيه ولكن كل واحد منهم مثلكم ومثل الأستاذ الكبير محمد بن عبده يخرج نفسه من شرك التقليد الذي أضل الناس كثيرا وكان يسلك في منهاج التحقيق الذي هو الصراط المستقيم ويضيء فضاء الأرض برحبها وينور العالم الإسلامي بسمته كلها بمشعة الاسلام ونبراس كلام الله الملك العالم

وليت شعري ماذا الذي علمنا القرآن والاسلام؟ هل هو بعض هذه الحركات البدنية أم نبت من تلك المراسم الظاهرية أو مطالب عديدة من مسائل النفس والحیض يفتنون بها التعليم الديني لا غير لا مادون ذلك؟ كلا ولا كرامة وحاشاهما عن ذلك بل وقد دللنا على ما فيه جل الخير وتمام النفع في الدين والدنيا وكال الربح في الاخلاق والمدنية وعلما نا الاصول التي يانهتدي إلى محصيل تلك الموائد الثمينة والفوائد الغالية وأوجبا علينا اكتساب العلوم الكونية والعقلية

بأسرها . ولو كان علماء الأزهر مشاركين في آرائهم لثلكم ومثل محمد بن عبده وينظرون
بنظر الامعان في امضا آتكم البدعة الرشيقة التي علمت الدنيا ان الاسلام من بين سائر
المذاهب هو المذهب الواحد الذي يرغب الناس ويشوقهم في تحصيل الفوائد الدينية
والعوائد المالية والقومية وهو الذي اتخذ العلم وانقل عين الايمان والدين ونفسهما في
الاصل ولولم يكن الأزهريون يظنون ظنا باطلان العلوم الدينية بأسرها منحصرة في
الفقهاء ومقصورة على جزئيات المسائل الفرعية التي لا يتدولا يعبأ بها واكثر هذه المطالب
ليست بجديرة للعامل في هذه الاعصر والدهور ولو عرفوا ما في تعليمها من ضياع العمر
وتضييع الوقت ذلك ما هو معلوم عند كل ذي حجب وهم يزعمون ان الولوج بها مما يشيد
بناء الدين لما روي الطلبة الأزهريون كما هم اليوم في غائبهم من الذل والهوان ونهايتهم
من الصفار والخذلان ولو كانوا يعلمون ان العلوم العقلية والكونية عين العلوم الدينية
لكانت كلية كمبردج واكسفورد تحسد الأزهر وتضيقها غبطة ما كان يجهدا احد
ولتخرج منها في عرض عدة سنين رجال كانوا يصعدون بالبلاد الاسلامية ويحلقون
بها الى اعلى ذرى الارتقاء التي وصلت اليها أمة جابان في هذه الاعصر والازمان
هذا رأي ورأي سائر الافراد الذين لهم خبرة باحوال الدنيا ووقوف على
اخبارها والمأم بتوار يخنها واني اتطاع بصحة هذا الرأي ورأي هؤلاء ممن عداني
ان العلماء هم العلة الاصلية لكل هذا الصفار والهوان وتمام تلك النكبة والخذلان
وهم موقوفون غدا بين يدي الرحمن ومستولون من لدنه فليستعدوا للجواب فهم
الاصل الاصيل لجل هذه المفاسد وكل تلك الشنائع وانت يا اخي لاتستطيع وان
جهدت كل جهدك للمعاماة عن علماء الأزهر ان نفسل هذا العار عنهم وتدفع هذه
التيمة والنيصة منهم فانك لاتستطيع ان تكذب الحس والميان ولا ان تدفع الوقائع التي
حدثت في لادهر والازمان افهذه الكلية التي مضت لبنائها الف سنة وتخرج منها
مليون بل اضعاف مليون طلبة ولا يزال يخرج منها كل عام آلاف من هؤلاء الطلبة
أفيحقق ان يكون نهب التعليم في هذه الكلية بحيث يتخرج منها طائفة من صالحيك
الناس وسائلين في الرقاب يتخذون غدا هم بالدلة وعشاءهم بالمسكنة ويبيتون
وهم مخذولون بالمسغبة أو يجدر بها أن ينفر فيها عن طريق التعليم التي يتخرج
(للتارح ٩) (١٧) (المجلد التاسع)

منها أناس يرفع بهم منار الدين ويقد به نار الإسلام ويملو قدر المسلمين، ويمتدي بها المسلمون الي لواحب الصعود والأرقاء ويزيدهم عزة وبهاء ويهيئ لهم ذرائع الاصطعاد والاختلاء وإنما يجزنا أولاً انا نجد المسلمين في أي مصر واية قطة من قاط الارض كانوا بأمرهم ذاهلين عن استجلاب العلم واكتساب الحكمة غافلين عنها غير، كثرين بها وثانياً انه حيث ما نجد لهم وسائل التحصيل حاضرة ولو احب الاكساب منسة ومناهج التدريس مطروقة متفتحة وحيثما يوجد لهم كلية قديمة مثل هذه الكلية التي هي أقدم كليات العالم يكون فيها مثل هذا التعليم الفاسد الضار الذي تضيق فيه الأعمار ويضاع فيها الفضة والنضار، ويصطلح الناس فيه على أن يسموا مثل هذا النهج الباطل المعامل السبق الذي لا يبيث المسلمون به نهضة وينسب من أجلها مادة التحقيق عن قلوبهم انطاوية وينفض اليهم النظر في العلوم النافعة اصطلاحاً على أن يسموه تعليماً دينياً وعلى أن يسموا الرجل العارف بمائل شقي من الطلاق والرقية والنفاس والحيض رجلاً عالماً ولا غير هذا واني لست بمسهب مقالتي في هذا الشأن ولا بمطرب في شكايتي عن علماء الزمان نظراً الي ما حوت مجلتكم الباهرة الفراء من أحوال هؤلاء العلماء وشؤونهم واخبارهم فنحن في غنى عن اطالة الكلام عليها وبمزل عن إسهاب المقال فيها وعلى كل حال فان الاحوال الحاضرة للعلماء ومدارسهم ومكاتبهم مما قد تبين واتضح للناس ضررها وهقدان نفعا للمسلمين وضوح الشمس في كبد السماء وإنما ثبي وحزني على ذلك من جهة ان الأزهر كان هو المدرس الواحد في الدنيا من قديم الأعمار والأعوام الذي كان يرجى فيه اصلاح جميع المفاسد المالية والمدنية في الإسلام ولا غير ولو قبل الناس آراء المفتي محمد بن عبده وبادروها بالقبول لكاننا نأمل منه خروج المسلمين من غيابة الدل والنسكة وتترقب صعودهم الي أدلى تهن الفوز والسعادة ولكن عليكم بهدان لا تأسوا من روح الله وتجدوا كل الجد في اصلاح المسلمين، وأحسنوا ان الله لا يضيع أجر المحسنين، وكتب يوم الخميس ٢٥١ ظنون من شهر ربيع الآخر وأنا مخلصكم الصفي الوفي (محسن الملك)

باب المناظرة والدراسة

الرد على الشيخ نجيب - تابع لما في الجزء السادس

المسائل الدينية

«المسألة الأولى من الحديث» نص حديث جابر عند ابن ماجه وأورده الشيخ نجيب محرراً فأشرفنا إلى ذلك في تلك الجملة الوجيزة وكان غرضنا من تلك الإشارة الفرق بين عبارة الحديث عنده وهي «إلا أن يقهر سلطان يخاف سيفه أو سوطه» وعبارته عند روايه (ابن ماجه) وهي «إلا أن يقهر سلطان يخاف سيفه وسوطه» فقوله بسلطان معناه سلطة فيشمل كل سلطة لكل قوي . وقد اكتفينا بالإشارة لأنه لم يكن من غرضنا تفصيل خطأ المستنبط الجديد بل عدم الثقة باستنباطه فلما أراد أن يرد علينا كل ما قلناه وان كان حقا رجع إلى الكتب التي من شأنها ان تذكر هذا الحديث وكذب بعد ذكر عبارتنا في تصحيح الرواية مانعه (ص ٢٢)

«وتقول في الرد عليه قد ذكر في البرق الوميض حديث جابر باللفظ الذي ذكرنا وعزواته في الرسالة إليه وقد ذكره في كنز العمال مطولا ونسبه لليبي وفيه ألقاظ لا يوجد في البرق وجاء في آخره: ألا لا يؤمن امرأة رجلا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا ولا يؤمن قاجر مؤمنا إلا أن يقهر سلطان يخاف سيفه وسوطه اه وقد ذكره في متقى الأخبار باللفظ الذي ذكره المعرض ولعله تقصوره قصر الرواية عليه اه

ثم ذكر بعد هذه الجملة ان الحديث ذكر في المهذب وشرح الاقناع قال «وذكره ابن ماجه في سننه مطولا» وذكر آخره عنه وفيه «إلا أن يقهر سلطان» ثم ذكر أسماء بعض الفقهاء الذين أورده في كتبهم واستنبط من ذلك ان «كل من احتج به في موضع اقتصر فيه على موضع حاجته في الاحتجاج وكل ذلك جائز لم يقل بمنه أحد ولا ضرر في اختلاف الالفاظ مع اتحاد المعنى

ألا ترى أن ابن ماجه قد ذكره في سننه بلفظ والبيهقي قد ذكره بلفظ ومتقى الاخبار قد ذكره بلفظ ولكن حب الاعتراف على الناس يعمي ويصم نعوذ بالله من ذلك ه اه

أقول قد أخطأ الشيخ نجيب في هذا المقام من وجوه (أحدها) ان كلامه في رسالة السكورتاه كان في رواية ابن ماجه لحديث جابر لافي الحديث على الاطلاق ورواية ابن ماجه ليس فيها اختلاف وليست كما أورده فهو قد نسب الى ابن ماجه تحريف الحديث أو نسب اليه ما لم يروه ولا يخرج من هذه الورطة كون غير ابن ماجه قد رواه باللفظ الذي ذكره ان صح ذلك

(ثانيها) قوله انه عز حديث جابر الى البرق الوميض غير صحيح فان المتبادر من عبارته في رسالة السكورتاه انه نقل الحديث عن سنن ابن ماجه نفسها فانه قال مانصه: « وما يدل على انه لا يشترط للسلطان الذي يقاد الفضة ويأذن بالجمعة ان يكون مسلماً بل يجوز ذلك من السلطان الكافر ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « وساق الحديث وذكر في آخره (اه) ثم قال في ابتداء كلامه هكذا

« واذ قال في النهاية وغيرها ويجوز النقل من السلطان الجائر كما يجوز من العادل وذكر في المتن والاسلام ليس بشرط فيه أي في سلطان الذي يقداه كلامها « ثم ابتداء كلاماً جديداً هو حكاية قال في آخرها اه من البرق الوميض: فهل ينهم أحد من ذلك انه نقل حديث ابن ماجه من البرق الوميض ؟؟ كلام بل هو يغالط أو يكتب ما لا يريد ثم لا يفهم ما يكتب

(ثالثها) ان البرق الوميض ليس من كتب الحديث التي يعتمد عليها ويوثق بها فاحتجاجة بنقله لحديث ابن ماجه لا قيمة له . واعل اقتصاره على نقل الحديث عنه أدل على قلة الاطلاع - ولا تقول على الجهل بالحديث وكتبه - من اقتصارنا على عبارة متقى الاخبار الذي هو من كتب الحديث المشهورة المعروفة بالضبط وصحة النقل

(رابعها) قوله ان كثر العال نسب حديثه المطول الى البيهقي يفهم منه انه لم

يمرّه الى مخرجه الذي عزاه هو اليه وهو ابن ماجه والصواب انه عزاه الى ابن ماجه فالبيهقي ولا نقول ان الشيخ بختيا لا يعرف أنهم يرمزون الى ابن ماجه بحرف «ه» (خامسها) ذكره ابن ماجه في جملة من رووا الحديث - والكلام في روايته خاصة - تحصيل حاصل لا يصدر من محصل

(سادسها) ان الذين احتج باختلافهم في ايراد الحديث ليسوا كلهم رواية له وإنما هم ناقلون فالراوي للحديث هو ابن ماجه وكذلك البيهقي كافي كنز العمال وليس صاحب كنز العمال من أهل التخريج وإنما هو ناقل وكذلك الفقهاء الذين ذكرهم فلا يحتاج بنقل أحد منهم وإنما يجب الرجوع الى كتب أهل التخريج وقد علمت نص ابن ماجه وأما البيهقي فهذا نصه كما في السنن الكبرى له:

«أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد أنه - مرنا أبو جعفر محمد بن عمر بن البحري أخبرنا محمد بن عبد الملك الدقيقي انا يز يد ابن هرون أخبرنا فضيل بن هرزوق حدثني الوليد بن بكير أخبرنا عبد الله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية توجروا ونحمدوا وترزقوا واعملوا أن الله عز وجل افترض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فن تركها في حياتي أو بهدي جحودا بها واستخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا وضوء له الا ولا زكاة له الا ولا حج له الا ولا بره حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه . الا ولا تؤمن امرأة رجلا الا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا الا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا لمن يقهره بسلطان يخاف سطوته » عبد الله بن محمد هو العدوي منكر الحديث لا يتابع في حديثه قاله محمد بن اسماعيل البخاري : اه قول البيهقي

أقول ومنه تعلم ان طريقه هو عين طريق ابن ماجه لا طريق آخر كما زعم

الشيخ بخيت وأنه أورد الحديث وبن جرح راويه ليعلم أنه لا يحتج به . ومن نص سنن البيهقي الموافق لنص سنن ابن ماجه في قوله « الا أن يقهره بسلطان » تعلم أن ما في كثير المال من النقل عنها محرف وأما الطبراني فلم يخرج هذا الحديث وإنما حديثه خاص بفرضية الجمية ليس فيها ذكر الامامة ولا القهر بالسلطان فهو لا يعد طريقاً ليقوى به الحديث فما هذا الغش والتليس

— المسألة الثالثة — سند الحديث —

ذكر الشيخ بخيت عبارتنا في تلك العبارة في كون الحديث منكراً أو موضوعاً لقول البخاري في راويه التميمي منكر الحديث وقول وكيع فيه يضع الحديث ثم اتنا أخذنا ذلك عن الشوكاني ونقل هو عبارة الشوكاني وفيها ما ذكر عن البخاري وعن وكيع ثم قال (ص ٣٤) « ولم يقل الشوكاني إن الحديث منكراً أو موضوع كما اجترأ عليه المترض من نفسه ولا يلزم من الطعن في رجال الحديث الطعن في نكس متن الحديث على ما سيأتي بيانه ونذكر لك ما قيل في رجاله لتقف على حقيقة الحال ثم تتبعه بما يتعلق بحال المتن » ثم ساق سند ابن ماجه ونقل بعض ما قيل في رجاله واحداً واحداً ثم قال (ص ٣٨)

« وما أوضحنا لك في الرجال تعلم ان كلا من محمد بن عبد الله بن نمير والوليد بن بكير ثقة عدل لا طعن فيه وقد روى الوليد وهو ثقة هذا الحديث عن عبد الله بن محمد المدوني ورواه محمد بن عبد الله بن نمير وهو ثقة عن الوليد وقد تابع محمد بن عبد الله المدوني في هذا الحديث عبد الملك بن حبيب وان الطعن فيه غير مسلم ولم يتفقوا عليه وان علي بن زيد قد روى عنه قتادة والسفيانان والحامدان وخاق وكفي بذلك توثيقاً وتديلاً وقد خرج له الاربعة والبخاري في الأدب وعلم في صحيحه وان قرن معه غيره وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعلم العدالة وعلى فرض تسليم الطعن فغاية ما يقتضيه ضعف هذا الراوي المطعون فيه . وضعف الرواة لا يستطع الاحتجاج بالحديث إلا اذا عارضه ما هو أقوى فيقدم عليه ولم يوجد ما يعارض هذا الحديث بل وجد

من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع ما يشهد بصحة معناه ويؤيده كما يأتي
وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي ان متن الحديث الذي رواه منكر فن
المذكر قد اختلفوا فيه فقال في التنقيح هو ما لم يروه أصحاب السنن والمسائيد
والصحيح ولا يوجد له أثر في كتاب من كتب الامهات كمسند أحمد ومعجم
الطبراني ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها مع شدة حاجتهم اليه اهـ

ثم ذكر أقوالا أخرى في الحديث المنكر لتأخري المحدثين واعتمد قوله
التقريب بالتفصيل فيه كالتأذ قال « وقد علمت ان من الشاذ ما يكون صحيحا
وما يكون حسنا فيكون المنكر كذلك » الخ

أقول كلام الشيخ بن خيثم هنا يدل على أحد أمرين إما انه لا يعرف علم
الحديث ولا بوجه الألفاظ وإنما يرجع الكتب عند الحاجة فيكتب عنها ما يلوح له ان
يوافق غرضه واما انه يحرف الكلم عن مواضعه ويداس و... و... عامدا عالما والأول
هو الأظهر ومن الدلائل على ذلك من كلامه هذا ما ترى من أنواع الخطأ وهي
« ١ » جعل الوليد بن بكير كمحمد بن عبد الله بن عمير عدلا لاطن فيه

وقد قال الذهبي في الميزان ما رأيت أحدا وثقة غير ابن حبان وقد نسب بعضهم
ابن حبان الى التساهل في التعديل وقالوا انه واسم الخطوط في باب التوثيق يوثق
كثيرا ممن يستحق الجرح وفي تدريب الراوي للسبوطي وفتح المغيث للسخاوي
تفصيل في ذلك محصله ان له اصطلاحا خالف فيه غيره منه ان كان يجعل الحسن
صحيحا وانه كان يوثق من لم يطمئن فيه أحد . ولم يعند الذهبي قول أبي حاتم
فيه (شيخ) توثيقا وكلمة شيخ عند أبي حاتم في المرتبة الثالثة قال في صاحبها « يكتب
حديثه وينظر فيه » أي يكتب لأجل البحث عنه فهل يقال في مثل هذا انه
ثقة كمحمد ابن عبد الله بن عمير الذي روى عنه الشيخان ؟

« ٢ » قوله ان الطمن في عبد الملك بن حبيب غير مسلم هو حكاية قول المقرئ
المؤرخ صاحب نفتح الطيب وهو ليس من أهل الجرح والتعديل وقوله هذا
لا يعتمد به فان الجرح المفسر مقدم على التعديل لاسيما اذا أيد بعض أهل الجرح
فيه بعضا . وألفاظ الجرح فيه كثيرة منها ما نقله الشيخ بن خيثم عن الشوكاني

وعن ابن لباب ومنها ما ذكره الذهبي في الميزان عن ابن حزم انه قل فيه ليس بثقة وقال روايته ساقطة مطروحة . وعن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس انه قال فيه انه صحفي لا يدري الحديث ، وضعفه غير واحد ثم قل وبمضهم آنچه بالكذب وقال ابن حزم روايته ساقطة مطروحة أقول فإذا أجلناه عن الكذب فهل نجده عن القول بالجهل بالحديث الذي أيد كلام ابن لباب فيه قول الحافظ أبي بكر انه صحفي لا يدري الحديث ، والحافظ الذهبي نفسه قد وصفه بذلك مع اعترافه بعلمه فانه قال فيه « كثير الوهم صحفي » ويؤيد هذا ما نقله بنجيت من مسألة التمرارة والجواب الذي نقله عن المقرئ فيها ليس بشيء ، فان الذين يقولون بالاجازة لا يعدون من أجيز بمرارة من الكذب (أي جوق) لم يقرأها ولم تقرأ عليه راويها لها ضابطا لما فيها بحيث يحتاج بمتابعتة في تقوية منكر الحديث . فليت شعري هل فهم الشيخ بنجيت هذا فأغرض فيه أم لم يفهمه

(٣) قوله ان علي بن زيد قد روى عنه فلان وفلان وكفى بذلك توثيقاً مردود بأن رواية من ذكر عنه لا تدل على عدم الطعن فيه بل الطعن فيه منقول فقد قال الامام أحمد فيه هو ضعيف وقال البخاري وأبو حاتم لا يحتج به ولا ينافي ذلك رواية البخاري عنه في الادب المفرد فانه يروي فيه عن الضعفاء ولو لم يكن ضعيفا عنده لروى عنه في صحيحه . وكان ابن عينة يضعفه وقال حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الاحاديث وقال الفلاس كان يجبي القطن بتقي الحديث عن علي بن زيد . وطعن آخرون فيه فراجع مع هذا سائر ما قيل فيه في ميزان الاعتدال

(٤) قوله : وبالجملة فلم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة : مما يتعجب منه فان الطعن بالفسق ليس من ألفاظ جرح الرواة الدال على عدم الاحتجاج بروايتهم وكان الشيخ نجيتا ظن ان شأن المحدثين في الرواة كقضاة المحكمة الشرعية في الشهود بل كشأن تحوت المائة في طعن بعضهم ببعض فان كان هذا ظنه فهو إثم فأنهم رضي الله عنهم ما كانوا يقولون ان فلانا لا تقبل روايته لانه فاسق أو زان أو مرتش بل جعلوا للجرح مراتب ليس

فيها شيء من قبيل ألقاب السباب الا لفظ الكذب هو يذكروه الجمهور للضرورة ومنهم من ينزهه عنه كالبخاري وقتلوا يصرحون به . في الفاسق وكل ما قلنا عنهم من ألقاب الجرح في رواية هذا الحديث معناه ان الجرح ليس عدلا اذ الجرح يقابل التعديل ولا حاجة الى التصريح بكلمة « غير عدل » وما في معناه . فليبحث في كتب هذا الفن عن مراتب الجرح يتبين له ذلك ويعلم ان قوله لم يطعن على أحد من رجال هذا الحديث الخ لا يفيد شيئا في تقوية سنده وجعله مما يحتاج به . وقد علم القراء ما قيل في غير محمد بن عبد الله بن نعيم منهم وحسبهم أن البخاري قال في راوي الحديث أنه منكر الحديث ومن اصطلاحه أن من قال فيه ذلك لا يحمل الرواية عنه فهل يقول الشيخ بخيت إن من لا يحمل الرواية عنه ثقة عدل يحتاج بحديثه ؟

(٥) قوله ضعف الرواية لا يسقط الاحتجاج بالحديث الخ خطأ يأتي بيانه بعد

(٦) قوله أنهم لم ينفقوا على الطعن بمبدأ الملك لا يفيد على تقدير صحته الا اذا كان يشترط في الاعتداد بالجرح والاتفاق عليه وليس الامر كذلك بل الجرح مقدم على التعديل مطلقا أو بشرط كونه مفسرا

(٧) قوله : وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي أن معنى الحديث منكر : لا يفيد بل يقوي الحجة عليه الا اذا صح قوله ان ضعف الرواية لحديث لا يسقط الاحتجاج به ولن يصح فان كون الراوي منكر الحديث جرح له يمنع الاحتجاج بحديثه عند البخاري وقد يكون الحديث منكرا وهو مما يحتاج به على القول بأنه بمعنى الشاذ وهو ما اعتمده وان كان غير معتمد في نفسه وانما المعتمد من أقوال كثيرة ان بين المنكر والشاذ عموما وخصوصا من وجه يجتمعان في كون الراوي قد انفرد برواية كل منهما وينفرد الشاذ بكون راويه ثقة والمنكر بكون راويه ضعيفا (انظر كشاف اصطلاحات الفنون) وانما توهم من توهم ان الشاذ والمنكر واحد من اختلاف القوم في الاصطلاحات . وانما قلنا في تلك المقالة ان الحديث منكر أو موضوع بناء على انفراد محمد بن عبد الله التميمي به وعدم الاعتداد بمتابعة عبد الملك بن حبيب له لأنه ليس من أهل الرواية وقد بصوا على أن التميمي هذا

لا يتابع واذا تفرد منكر الحديث أو من يضمنه به حديث كان ممن الحديث منكرًا أو موضوعًا. فإذا أثبت الشيخ بخصيت أن لهذا الحديث روايات أخرى يكون قولنا ذلك خطأ سببه عدم اطلاعنا على تلك الروايات وأين هي ومن هم رجالها؟
آية من آيات دقة الشيخ بخصيت في علم الحديث

قال في آخر (ص ٤٠) بعد ما تقدم «وقول ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به شهادة نفي قال في الرحمة المرسلة للحافظ عبد الحمي الكتاني الفاسي وقد قال الحافظ ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند أحمد في حديث قال ابن حبان فيه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله ولا عمر ولا سعيد ولا الزهري مانعه قول ابن حبان شهادة نفي صدرت من غير استقراء تام على ما سئله فبني مردودة اه وقال الذهبي الكلام في الرجال لا يجوز الائتم المعركة تام الورع اه فقول الشوكاني تالف لا يقبل وقول وكيع يضع الحديث لا يقتضي أن هذا المن موضوع ولو كان موضوعا مارواه أولئك الاعلام ويسكتون عليه ولا يبينون ذلك وقد علمت متابعة عبد الملك بن حبيب وعدم تسليم الطعن فيه وقول ابن حجر واهي الحديث وقول ابن عبد البر هذا الحديث واهي الاسناد وقول البيهقي لا يتابع في حديثه كل ذلك لا يقتضي كون هذا المن واهيا قال الحافظ عبد الحمي الفاسي في الرحمة المرسلة لأن تعدد الطرق مانع من كون الحديث واهيا شديد الضعف لأن الضعف اذا حصل له أدنى انتعاش واستثناس أحدث فيه قوة ومعلوم أن ضميمين يغلبان قويا اه

أقول قد علم القراء أن هذا الحديث لم يروا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي الذي تكرر ذكره والشيخ بخصيت ينقل كل هذه المطاعن فيه وهي أشد ألفاظ الجرح عند المحدثين ثم لا يراها جارحة له مسقطه لعدالته مانعة من الاحتجاج بحديثه. ومن دقيق علمه أنه لا يفرق بين قولهم فلان لم يحتج به وقولهم فلان لم يقل كذا إذ جعل الأول كالثاني شهادة نفي ولعله عند ما يعود إلى عبارته هذه يستحي منها وإذا علم أن تلاميذه رأوها وفهوها يستحي أن يظهر بينهم بصفة المسلم إذ لا أظن أنه ينفى عليهم أن قول أهل الجرح والتعديل فلان لا يجوز

الاحتجاج به معناه أنه غير عدل فعبارة ابن حبان بمعنى قول البخاري منكر الحديث أي لا تحمل الرواية عنه أو هذه أشد وأما قولهم ان فلانا لم يقل كذا فلا معنى له الا أن القائل لم يعلم بأنه قال لعدم استقرائه

وهل علمت أيها القاري من هو الحافظ عبد الحي الكتاني الفاسي الذي يقتبس الشيخ نجيت من علمه بالحديث ويخرج بقوله ورأيه؟ هو الشيخ الكتاني المغربي الذي صر على القاهرة في العام الماضي والرحمة المرسله رساله له حاول فيها تحسين حديث البسملة « كل أمر ذي بال » وقد جعله الشيخ نجيت حافظا ليحتج بكلامه ولا فخر له في ذلك فان الذي جعله من الحفاظ لا يعرف علوم الحديث وجملة القول في سند هذا الحديث أن الشيخ نجيتا ادعى انه لم يطمئن أحد في رجال سنده عند ابن ماجه بما يسقط عدالتها وانه مروى من عدة طرق يقوي بعضها بعضها وان الاعلام رواه وسكتوا عليه وان متابعة عبد الملك بن حبيب للتبسي عليه معتبرة وكل هذه الدعاري باطلة كما علم مما تقدم على اختصاره

أصول الإسلام

﴿ الكتاب، السنة، الاجماع، القياس ﴾

جاءنا من الشيخ طه البشري الاستاذ المدرس بالجامع الأزهر تحت هذا العنوان ما يأتي الى الدكتور النطاسي محمد توفيق أفندي هديتي بعد انه محمد الله اليك ونصلي ونسلم على نبيه المجنبي ورسوله المصطفى وآله وصحبه فلقد قرأنا قائمك التي ذهبت فيها الى ان الاسلام هو القرآن وحده ونشئت من العلماء من يساجلك القول ويادلك الحججة حتى ينتهي البحث الى الحق الذي لا شبهة فيه فاذا كنت مصيبا تايبك وأيدك أو مخطئا خالفك وأرشدك واني مناظرتك ان شاء الله تعالى بما لا تری فيه حرجا عليك من الزامك بما قال زيد ورأى خالد لكن بالكتاب نفسه أو بما رأيت فيه حجة لنفسك من غيره ملتزما جهد المستطيع حد المناظرة الصحيحة حتى تبلغ منزلة الحق الذي نشده جميعا فاما هديتي الي رفاق، والاقدم بلغ أحدنا من مناظره عذرا، وكثيرا ما ابتدأت

المناظرة بالمهارة وانتهت بصلاح، والحق ذاهب بينهما ادراج الرياح، ولا حول ولا قوة الا بالله، نسأل الله تعالى ان يعافينا واياك من هذا البلاء اعلم وفقنا الله واياك ان اصول الاسلام الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس

اما الكتاب فلا تنازع فيه بل تراك اتخذته وحده التكاة التي تستند في أمر دينك اليها والحجة التي تنافح عن فسك فيما ذهبت بها واما السنة فلاننا ثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد، وعليه تستند، وعنه تصدر، واليه ترجع، قال الله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وليس هناك من معنى لتبيين الكتاب غير تفصيل مجمله، وتفسير مشكله، وغير ذلك من مسائل الدين التي لم يتناولها الكتاب بالنص، ولم ينسب لها بالبيان، ومثله (وما أرسلنا من رسول الا لبلان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (كأرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) الآية فقال ويعلمكم الكتاب ولو كان المراد مجرد تبليغه لا كتنفى بقول يتلو عليكم آياتنا ولا يذهب عنك ان التعليم غير الاداء والتبليغ، ثم عطف عليه بالحكمة، وعطفها على الكتاب يقتضي انها هنا شي آخر، وليس هناك غير السنة وقال تعالى في مواضع كثيرة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وطاعة الله لا شك بالرجوع الى كتابه، وطاعة الرسول بالرجوع الى سنته، ولو كان المراد الكتاب وحده لما كان تمت داع للترك، وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) الآية فنص في هذه الآية الكريمة على الاخذ بما يحمل الرسول والتدريج عما يحظر مطلقا، وقد ثبت ان السنة اباحت كثيرا وحظرت كثيرا بدون أي نص أو إشارة خاصة من الكتاب ومع ذلك يجب الاخذ بكل ما جاءت به لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد صرح الكتاب العزيز بان كل ما أوجب الرسول وأمر، أو نهى وحظر، إنما هو من الله تعالى يجب اتباعه ولا يجوز اجتنابه، لقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أكد سبحانه

وتعالى على الناس في طاعة الرسول وشدد في مواضع كثيرة من القرآن العظيم بالترغيب في اتباعه ، ووعد العاملين بأمره بعد ان قرن طاعته بطاعته في قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) او يتخوف المخالفين لأمره ، والمتجافين عن حكمه بقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب يوم أليم) فمخالفة الرسول ولا ريب مخالفة صريحة لأمر الكتاب الصريح

وقد استدلت على أن الاسلام هو القرآن وحده بقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وعلى تسليم ان المراد بالكتاب هنا هو القرآن ، فان أردت ان القرآن لم يفرط في شيء من مسائل الشريعة بطريق النص فلا نستطيع ان نوافقك على هذا احتراماً لمكان الكتاب الكريم من الثقة والصدق ، فان القرآن لم يتناول بطريق النص من مسائل الشريعة الايسرا ، وان أردت ان الكتاب لم يفرط في شيء من الدين على سبيل الاجمال قلنا نعم فان القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وأنت خبير بان ذكرها بمجمل ليس كافياً استنباط المجتهد ما يقوم به العبادة ويحجر المعاملة ، على انا نقول ان القرآن لم يفرط في شيء من كليات الشريعة وجزئياتها فان ما لم ينص عليه الكتاب منها أمر باتباع الرسول فيه ، فكل مسائل الشريعة على هذا من الكتاب اما مباشرة ، واما باتباع ما بينه الرسول الامين

﴿ عصمة السنة الصحيحة و أنها من الله قطعاً ﴾

لانحسبك تخالف في ان الرسول معصوم ، وان كل ما يجري على لسانه أو أويبدو من عمله انما هو باوحي الساموي أو الالهام الالهي الصادق ، وما كان للرسول أن يشرع شرعاً يتعبد الناس به من عند نفسه ، وما ينطق عن الهوى ان هو الاوحي يوحى (فامر الرسول لا يختلف عن أمر القرآن وكلاهما معصوم ، فلا مجال تمت للسؤال بأنه - هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه الكتاب فان الكتاب والرسول لا يفرضان شيئاً (ليس لك من الامر شيء) وإنما الذي يفرض هو الله الحكيم ومظهر هذا الفرض اما ان يجري على لسان النبي العظيم ، أو يتجلى

في لفظ الكتاب الكريم ، وليس الامر بطاعتها الا امرًا بطاعة الله (قل ان كنتم
 تهيبون الله فاتبعوني بحبكم الله) الآية (من يطع الرسول فقد اطاع الله) فالرسول
 عليه السلام هو الواسطة بيني نقل حكم الله العظيم قرآنا كان أو غير قرآن ،
 واقول «نعوذ بالله» بعدم حجية الرسول قول بالاولى بعدم حجية الكتاب فاننا لم
 نأخذ الكتاب الامنه ، ولم نلقه الا عنه ، وهو أمين الله على وجهه ، وميثه الى
 خلقه ، وحجته على عباده

السنة اجمالا مقطوع بها كالكتاب - لاشك في أن الكتاب مقطوع به
 ولم يكن هذا القطع الا من طريقة الذي انصل بنا منه وهو التواتر ، والسنة بالجملة
 جاءتنا من هذا الطريق بعينه ، لان اجماع الامة من المبدأ الى الآن منعقد
 على صحة السنة اجمالا عن رسول الله ، وانها اصل من اصول الدين كالكتاب
 واذا كان طريق السنة هو بعينه طريق الكتاب لاجرم كان مقطوعا بها اجمالا
 كالقطع بالكتاب تفصيلا ، قلنا السنة بحسب الاجمال أما هي الشخص فسيأتي عنها
 بعض التفصيل في مراتب السنة الصحيحة

عصمة الشريعة كلها

لنا في اثبات هذه الدعوى وجهان - الاول الدلائل الدالة على ذلك من
 الكتاب مثل قوله تعالى (يريدون ليطفوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان
 يتم نوره) ونور الله شرعه وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)
 ولو فسرنا الذكر بالشريعة كلها - كتابها ومستها - لكان الامر ظاهرا ، ولو
 قصرناه تفسيره على الكتاب لجاءت السنة بطريق الزوم لما علمت من انها كناية
 لتفصيل مجمله ، وتفسير مشكله ، ولا معنى لحفظ كليات الشريعة ومجملاتها
 دون جزئياتها ومفصلاتها ، التي هي مناط التكليف وعليها تدور الاحكام
 والثاني الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
 الى الآن فان الله سبحانه كما قبض للكتاب العدد الجم من ثقات الحفظة بحيث
 لو زيد فيه حرف واحد لصرفه الآلاف من القارئین ، كذلك أقام لكل علم
 يتوقف عليه فهم الشريعة من الناس من تأدى بهم هذا الفرض أحسن الأداء

فتمهم من استنفد السنين الطوال في حفظ اللغات والتسميات الموضوعية على لسان العرب حتى قرروا لغات الشريعة الفراء من القرآن والحديث ، وهذا الباب الاول من أبواب فقه الشريعة النبي أو حاشاها الله الى رسوله على لسان العرب ، ومنهم من جد في البحث عن تصارييف هذه اللغات في النطق بها رفعا ونصبا وابدالا وقلبا واتباعا وقطعا وافرادا وجمعا الى غير ذلك من وجوه تصارييفها الأفراد والتركيب ، ومنهم من قصر عمره - وهو طويل - على البحث عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل الثقة والعدالة من النقلة حتى ميزوا الصحيح من السقيم ، وتعرفوا التواريخ وصحة الدعوى في أخذ فلان عن فلان حتى استقر اثبات المعمول به من الحديث الشريف فلا عمل لدعوى «حصول التلاعب والفساد» في حديث الرسول الكريم ، كيف وقد علمت ان السنة شطر الدين ، والدين قد جاء الينا بطريق التوارى القاطي ؟ واذا كان نقلة الكتاب العزيز هم المدول الضباط الحفاظ الامناء فان نقلة الحديث ورواياته ان لم يكونوا هم باعيانهم قائمهم لا يقبلون عنهم في العدالة والحفظ والضبط واثقة والامانة فمن طمن في صحة السنة فقد طمن في صحة الكتاب أيضاً

وقد عالت صحة الكتاب وفساد سند السنة بتعاليل ترى من الحضم علينا الامام بها جملة ، ونعقبها بما يكفي لدفعها

(١) كون من القرآن مقطوعا به لانه منقول عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان (٢) كتابة القرآن في عصر النبي عليه السلام بأمر منه (٣) عدم كتابة شيء من الاحاديث الا بعد عهده بمدة كافية في حصول التلاعب والفساد الذي حصل (٤) عدم ارادة النبي لان يبلغ عنه للمالين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الآية) ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لامر النبي بتقييده كتابة ، وتكفل الله بحفظه ، ولما جاز لاحد روايته على حسب ما أداه اليه فهمه ،

وتقول - (١) اما القاطع بالقرآن كله فلا شك فيه ، ولكن ليس بما ادعى

من نقله عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان فان هذا ليس كافيا في القطع بل هو انما نحقق بالتواتر اللفظي ، وهو الذي استفيد منه عدم الزيادة والنقصان ، على انك ان عدت مثل ذلك موجبا للقطع يلزمك ان تعد السنة الصحيحة مقطوعا بها - بحسب الشخص - كلها لانها جاءتنا أيضا بلا زيادة ولا نقصان . بل ولعد كل خبر ورد من أي طريق بلا زيادة ولا نقصان مقطوعا به وهو غير مسلم (٢) وأما كتابة القرآن بأمر النبي عليه السلام في عصره فلا نزاع فيها أيضا ، ولكن العمدة في القطع به انما هي بالتواتر كما قدمنا بحفظه في صدور جماعة من الصحابة غير ممكن واطوّم على الكذب والذين يلونهم كذلك ثم الذين يلونهم الى عصرنا هذا ، على اننا لا نهمل ما للكتابة من التوكيد وفوائد أخرى كثيرة مثل ترتيب الآيات بعضها الى بعض باشارة جبريل عليه السلام ، فان القرآن نزل نجوما على حسب مقتضيات الوقائع لا بهذا الترتيب ، ولا يعزب عنك ان ماسطره كتاب الوحي من القرآن ليس بين أيدينا شيء منه الآن ، بل نحن لم نقطع بمحصل الكتابة في عصر النبي عليه السلام الا بالتواتر اللفظي المسلسل الى ذلك العهد الشريف ، وهناك تستوي الكتابة وعدمها في نسخة انقل ما دام مصدرها موجودا وهو النبي الكريم المبانيح لايات الكتاب الحكيم ، فاذا كنت تعد الكتابة التي سجلت في عهده عليه السلام هي الحجة وحدها في القطع بالقرآن ، فقد شككت في القرآن المتلو طول هذا الزمان في كل بلاد الاسلام ، فاننا ومن قبلنا الى قريب من ذلك العهد الشريف لم نحظ بروية شيء من هذا الاثر الكريم !!! واذا اعتبرت القطع بالنقل عن ذلك الاثر قلنا لانسلم ان هذا موجب للقطع بصحة القرآن اذ ان الكتابة نفسها لا دليل موجب للقطع بانها من الرسول ، بل هي في اثبات صحتها ذاتها محتاجة الى التواتر اللفظي المؤيد بقينا لصحة انمروا فعلت ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره وقد نقات الينا السنة اجمالا من هذا الطريق ، ولا يذهب عنك ان العرب كانت أمة أمية أكبر اعتمادها في حفظ ما تورها كان على الصدور لا السطور (٣) وأما عدم كتابة شيء من الحديث في عهده فهو لا يفيد دعوى

التلاعب والفساد ، بل ربما كان عدم الكتابة مما يبالغ بالنفس في تأكيد صحة أسانيد السنة ، اذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة ، وبأسانيد مختلفة مع حفظ وسطه وطرفيه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، ثم انك قلت «من التلاعب والفساد ما قد حصل» اثرمي بذلك السنة الصحيحة المقترن بها، والمقتد عليها ، المسطورة في مثل صحيح مسلم والبخاري وموطأ مالك وأمثالها، ما أجمعت الامة على صحته ، أو غير ذلك ما نص على ضعفه أو وضعه ، ان كان الاول فقد طغنت فيما القوم اجماع على صحته في الجملة وانه القرآن ولا تقول بهذا ، وان كان الثاني فأنا لانعول منه على شيء

(٤) وأما دعوى «عدم ارادة النبي عليه السلام لان يبلغ عنه للعالمين شيء» بالكتابة سوى القرآن» ففي هذه المقدمة - أو شبه المقدمة - نظر ، على اننا لو تنزلنا بتسليمها لما انتجت النتيجة التي تريدها ، وهي انه لم يرد ان يبلغ عنه شيء أصلا سوى القرآن (طبعا) والنبي عليه الصلاة والسلام أرسل كثيرا من الرسل الى الجهات المختلفة ولم نسمع بل ولا نستطيع ان نثبت أنه كان يقطع لهم من صحف الكتاب ما يكون (الحجة) في دعوتهم الى الاسلام أولا ، ويعلمهم أحكامه ثانيا ، ولو كان الامر كما رأيت ما صحح تبليغ أولئك السفراء الى الدعوة ، ولا اعتد باقامتهم بين الناس أحكام الشريعة ، نعم يقال انه كان يكتب بمحفوظهم من الكتاب ، وتقول انه كان كذلك يكتب بمحفوظهم من السنة ، وان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم أصحب وفوده الى الملوك بكتابات مرقومة ، ورسائل مسطورة ، قلنا ان ذلك لم يخرج عن الايدان بصحة بيعة أولئك الرسل عن النبي عليه السلام وكل ما فيها لا يجاوز الاماع الى الفرض الذي سرحهم اليه ، وما كونه لم يترك أثر من الدين مسطورا الا الكتاب العزيز فقد علمت ان لا يتروك عليه شيء مما نحن فيه ولو كان الامر كما ترى فبم كان تعلم الناس كيفية الصلاة مثلا وهي القاعدة الثانية من قواعد الاسلام ؟

ترى انا بعد هذا في غنى من التماس التملل لكتابة القرآن دون السنة فمنع ذلك من أصل الامة التي أوردتها لذلك وتكلفت مؤونة ردها وان كنا

ناقشك في هذا الرد

قلت «فإن قيل إن النبي لم يأمر بكتابة كلامه أثلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاثيان بمثله» ونقول إن اعجاز نظمه لا يتحقق بقدر الآية الصغيرة مثلا ، فلا مانع اذن بأن يلتبس هذا القدر من الكتاب بالسنة ، أو مثله من السنة بالكتاب ، وأنت أوعى وأرشد من أن تته إلى المصاب بخروج آية بل آيات متفرقات من القرآن عنه ، ودخول أمثالها فيه وليست منه ، على أن عدم التباس القرآن بغيره إنما يتحقق في حق العربي الخبير بامرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، ولمكنه غير منحقق أصلا في جانب غيره أعجميا كان أو من هؤلاء المستعربين

على أننا نرجع إلى أصل الموضوع فنقول إن وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب إنما هي التبليغ من أي طريق كان وقد قال (الا فليبلغ الشاهد الغائب) وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرآنا كان أو سنة وقد قال تخصيصا لهذه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)

أما جواز رواية الحديث بحسب ما يؤديه الفهم فما لم نسمعه الا منك ، فإن المقرر المعروف أن فهم الحديث في ذاته تابع لروايته ، لا أن روايته تابعة لفهمه ، وإذا كانت روايات الحديث مسوقة حسبما تبليغ الافهام فاحر بها ان لا تساق أصلا . وكيف يجوز الفكر ويضطرب الفهم في شيء قبل وروده وتقرره أولا ؟ وإذا أردت بذلك وقوع اختلاف الافهام في بعض الاحاديث فذلك ضروري كاختلافها في بعض آيات الكتاب سواء بسواء . أما رواية الحديث بمعناه إذا غاب عن الراوي لفظه فجائز لان المراد منه هو حكمه لا التحدي بنظمه . أو التعبد بلفظه . فلا بأس اذن بروايته بأي لفظ يؤدي معناه المراد

فساد دعوى الاستنباط من الكتاب وحده ❦

ان المستنبط من الكتاب مهما صح فهمه ، وغزر علمه . لا بد وان تعرضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنيا في تقرير الحكم فيها بنفسه ، ولا نصحا بما يكون

بُليغة المهدي وكفاية الطالب، كأن يرى ثمت لفظا يتبادل افراداً مختلفة الحدود على سبيل البدل لغة كالقرء في قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) فإنه مشترك لغة بين معنيين متناقضين (الحيض والطمهر) وهنا لا يسهه الا ترجيح أحدهما بمرجح خارجي والا لزم اما التوقف أو التصف بالترجيح بلا مرجح، وقد رجح الحيض أبو حنيفة بما صح عنده من قوله عليه السلام (طلاق الامة ثندان وعندها حيفتان) فإنه يدل على ان عدة الحرة ثلاث حيض لا ثلاثة اطهار . وكان يرى المجتهد أيضاً من لفظ الكتاب ما زدحت فيه المعاني واشتبه المراد به اشتباهاً لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى شيء آخر كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان الصلاة في اللغة الدعاء . والزكاة الماء . فأى دعاء وأي ماء أريد في الكتاب ؟ لا بد من تعيين المراد بشيء آخر ولقد عينه النبي ويده بيانا شافيا تصديقا لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) فالاستنباط من الكتاب لما ذكر فيه نفسه من الاحكام (الا ما كان نصاً) لم يسهه تبين المراد منه الا بالسنة وهذا فوق الكثير، فكيف بما لم يؤمر به في الكتاب مما انعقد الاجماع على وجوبه كواجبات الاحرام ونحوها !!! بهذا تعلم ان الاستنباط من الكتاب وحده . والتفتي به في كل أحكام الدين مستحيل

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أثبتنا ان السنة بالجملة أهل من أصول الدين كالكتاب وانها بهذا الوصف نقلت اليها نقلاً متواتراً لا شبهة فيه ، أما هي بحسب الشخص فمنها المتواتر وهو (مارواه جماعة لا يقوم تواترهم على الكذب ويدوم هذا الحد فيكون آخره كأوله وأوسطه كطرفيه) وهو موجب لليقين كإيمان علماء ضروريا فهو كالكتاب في صحة متنه، وصدق عزوه، بحيث يكفر منكره قطعا لأنه حجود للمستيقن بأنه من الله - وفيها المشهور (وهو ما كان آحاديا في الأصل ثم اشتهر شهرة مستفيضة) ومنها الصحيح وهو (مارواه العدوا، الضباط الحفاظ من غير شذوذ ولا علة) وغير ذلك من أقسام السنة الصحيحة كثير . وإذا كان القائل يتقاد منه بسفك دمه في عرف الشرائع وما أدراك بحرمة الدم) بمجرد شهادة عدلين الا يجب العمل

في حكم شرعي بشهادة اثنين أو أكثر من المدول الثقة الأوفياء من صحابة رسول الله وتابعيهم . بل لو ثبتت لأوردنا لك ما قال الشافعي حجة لنفسه في العمل بخبر الواحد ، بل لأوردنا ما قال الله تعالى حجة علينا في ذلك حكم الله بين السنة والكتاب حيث قد ثبت أن السنة الصحيحة شرع من الله تعالى ، متمسك بها فيما كان عبادة ومعتقد بحكمها فيما كان معاملة فهي لا تناقض الكتاب مطلقا ولا دليل هناك على دعوى «وقوع التضارب والاختلاف» بين ما ورد من الأحاديث الصحيحة المعول بها في شرع الله القويم . لأن منشأ هذا التضارب المدعى لا يخلو إما أن يكون من الأصل أو النقل أما من الأصل فستحيل لأنك ولا شك تعترف من باب وجوب الصدق والفظنة والعصمة لجميع الأنبياء وليس بشيء من هذه الواجبات أن يحدث النبي في شرع الله بالتضارب المتناقض بل هذا والعاذ بالله تعالى كذب لا يجوز لمسلم أن يرمي به نبيا معصوما وأما من حيث النقل فقد بينا لك منه وجه الحجج وقلنا إن ثقل السنة هم المدول الثقة الخ . وليس «ولوع المتقدمين بجمع روايات الحديث مدعاة إلى وقوع التضارب والاختلاف فيها» بل هو أدعى إلى حفظها وصيانتها . ولعلك لم يفتك قراءة شيء من تاريخ أولئك الأخبار المأمنين الذين تصرمت أعمارهم في هذا السبيل إذ كان يحضي الواحد منهم الشهر والشهرين والأكثر منتقلا بين الأقطار والأصقاع تُنقل البدر بين منازلها تماما لتحقيق حديث واحد من أفواه الثقة الأمانة ، ولو أنه ظفر به من طريقه بعد طول الجهد ثم اختلج في نفسه أقل شبهة من أحد روايته ففض يديه منه ، وانقلب إلى أهله خاويا من ذاك الحديث وقاضه . واليك كثيرا من هؤلاء كالبخاري ومسلم ومالك والشافعي وأضرابهم الذين هم الحجج في نقل الحديث الصحيح المعتمد به ، والممول عليه ، وقولك بعد «ان المجتهدين تحققوا أن أكثر الأحاديث موضوعات» هو حجة لنا أيضا لأن تمييزهم للموضوع والضعيف تميز - ولو بطريق الزوم - لغيره وهو الصحيح . قلت «المجتهدون» وهم أما الصحابة الذين تلقوا الأحاديث بأذانهم عن فم الشريف بلا واسطة والحديث في حق هؤلاء لا يختلف إلى صحيح وموضوع وضعيف لأن هذه الفروق إنما هي راجعة إلى قوة السند وضعفه ولا يكون هذا في حال تسمه من الرسول

الكريم فان الحديث كله في حق سامعه منه عليه السلام صحيح . مقطوع المن كالقرآن واما غير هؤلاء . ممن لم يلق الحديث الكريم الا بالواسطة وهذه الواسطة اما ان تكون موجبة لليقين كما اذا كانت اتواتر أو الظن بالخبر كما اذا كانت غيره من الطرق المتبر التي أقلها موجب أيضا للعمل وان لم يكن موجبا لليقين اذ التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للخرج على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) بل المجتهد ليس مكافأ فيما اذا كانت الاحكام غير مقطوعة المتون - كما في الاخبار الاحادية - الا بالبحث والتقيب للعمل بالاقرب الي يقينه وهو الأرجح في ظنه والاختيار الاحادية الصحيحة تبلغ ولا شك هذا المقدار فالعمل بها على هذا واجب وأيضا كون بعض أحكام الاحاديث ظنية - لان سندها ليس الا موجبا للظن - لا يقدح في وجوب العمل بها كما لا يقدح في وجوب العمل ببعض أحكام الكتاب نفسه التي دلالتها ظنية - وان كانت مقطوعة المن - كل مجتهد يحملها على الوجه الذي يؤديه اليه مبلغ علمه وفهمه ، فالقول بان المجتهدين كلهم على حق ليس « قولا باجتماع القيضين » بل المراد ان الحق على فرض كونه واحدا دائر بينهم ، وتصينه في جانب واحد دون الباقي تعسف ، بل المراد ان كل مجتهد بحث عن الحق بما في وسعه حتى اهتدى الي النقطة التي يلزمه اتباعها دون غيرها ، وهي التي يقال انها الحق بالنسبة له ، والذي لا يجوز له التحول عنه ، بل الذي خرج يلوغه من عمدة التكليف ، فلا بأس اذن بالقول بانهم جميعا على الحق من هذا الوجه

وليس تمت تعارض في السنة الصحيحة - كما قلنا - لالاكتاب ولا لبعضها البعض . فان الوارد فيها اما مفصل لما أجل في الكتاب أو مظهر لما خفي أو غير ذلك مما يحويه معنى التفصيل والبيان . واما ما يخالف ظاهره منها الكتاب فكما يرد في كثير من الآيات يخالف بعضه ظاهر بعض فمؤول فيه حتى يطابق النص الكريم وسواء أخذنا بقول القائلين بنسخ السنة الصحيحة للكتاب اذا صح التعارض وامتنع التطابق أو ذهبنا مع الداهيين الي انه لا شيء من السنة بنسخ للكتاب لانه لا يقع بينهما التعارض بالفعل أصلا ، فلا تعارض هناك مطلقا

بين السنة والكتاب . اما على الثاني فظاهر واما على الاول ففرق ما بين النسخ وهو
الفاحكم باخر كافي آتي العدة ، والتعارض ببقاء الحكمين المتناقضين جميعاً ، ولا قائل
به من هؤلاء أو أولئك

وكذلك يقال فيما يرد من الاحاديث مخالفاً بعبارة لظاهر بعض أي انه يتأول في أحدها
حتى يطابق الآخر ، أو يكون بعضه ناسخاً لبعض اذا تعارضوا ولم يمكن التوافق . فاختلاف
المتجهدين راجع اما الى الاختلاف في الفهم وذلك فيما كانت دلالة على الحكم ظنية وهذا
يستوي فيه الاستنباط من الكتاب والسنة واما الى الاختلاف في العلم بأن يتلقى الواحد
منهم حديثاً لم يصح عند الآخر - مع طول البحث وفرط الجهد - أو لم يصل
الى علمه أصلاً . وقد يكون أحدهما ناسخاً أو مطلقاً ، والثاني منسوخاً أو مقيداً
مثلاً ، ولا يقال ان أحدهما على الباطل بعد اذ علمت ما قلنا في هذا السبيل من
ان المجتهد مكلف بما يؤديه اليه اجتهاده والا لزم الخرج وهو مدفوع على ان
هذا ليس خاصاً بالاجتهاد من السنة بل ومن الكتاب أيضاً كما بينا

اما خبر (اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق
فأقبلوه وان خالف فروده) ففيه صحيح على اننا لو سلمنا صحته فلا يمكن ان
يكون معناه اذا حدثت حديثاً فخالف الكتاب فروده فان الرسول معصوم باتفاق
عن ان يحدث بما يخالف حكم الله في كتابه ، وكيف وهو فوق عصمته أبلغ الناس
للكتاب حفظاً ، وأعظمهم لآيانه تدبراً ، وأكثرهم لها ذكراً ، فتعين المعنى
اذا صح الخبر « اذا روي لكم عن حديث فاشتبه عليكم وجه الحق فيه فاعرضوه
على كتاب الله فاذا خالف فروده فانه ليس من مقولي » والله أعلم ، أما الوارد
من الطريق الصحيح فقد عرفت مبلغ القول فيه ، وسواء صح هذا الخبر أو لم
يصح فقد سقط الاستدلال به في هذا المقام ، وأيضا لو كان الامر كما رأيت من
ان هذا الخبر دليل على كفاية القرآن والامر بعدم قبول شيء من السنة إلا ما دافقه
منها نصاً (طبعاً) لكان كل ما جاءنا من السنة وهو مجموع معتزلاً شبيهة فيه بما
تصان عنه أفعال العقلاء ، فضلاً عن الانبياء ، مادام هو بيده الذي نص عليه صريح
الكتاب ، ولكان الالتيق بمقام الرسول الكريم ان لا يحدث بحديث مطلقاً حتى

ولا بهذا الحديث الذي أوردته على فرض صحته وكذلك خبر «لو كان - أي
الوضوء من القي - واجبا لوجدته في كتاب الله فغير صحيح أيضا ولو بما أثبت
ظاهره بالمعنى الذي فهمته ما أسرعنا الى رده في الخبر المتقدم ولو صح ما عينا
بتفسيره على ما يوافق اجماع المسلمين على انه قد وردت السنة الصحيحة الصريحة
في ذلك نكتفي منها الآن بخبر واحد معناه انه سألت سائلة ابن مسعود ومكانه
من العلم والدين والثقة مكانه - اني امرأة أصل الشرف هل يحل ذلك لي فقال
لا يحل فقالت كيف وليس هذا في كتاب الله فقال لو قرأت كتاب الله لوجدته
فيه فقالت اني قرأت ما بين الدفين فلم أجده قال ألم تقرأي (وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا في كتاب الله فقالت بلى

الاجماع

وحجته من الكتاب العزيز أيضا لقوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما نولي ونصله جهنم وساءت مصيرا) * وليس هناك من سبيل للمؤمنين غير
اتفقوا عليه من قضايا الدين ككون فرض الظهر أربعة والمغرب ثلاثا وكون
نصاب الضأن أربعين والبقرة ثلاثين ونحو ذلك ، وأين وليت وجهك الى أي
فريق شئت في تعريف هذا الاجماع وأهله فهو حجة عليك في كل المسائل التي
خالفت اجماع المؤمنين قاطبة عليها

القياس

- أثبت القياس فكيفيتنا مؤونة اثباته غير انك انكرت السنة ومنكرها منكر
للقياس بطريق الأولى ، على اننا ثبتهما جميعا
(المنار) لهذه المقالة ثمة عنونها (العقل والدين) ويليهما بقية الرد وقد نشرنا
عبارة برمتها على طولها لنزاهتها واحتمالها للمقصد

« (نص الآية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين » الخ

باب التواضع والتعظيم في باب التواضع والتعظيم في

مكتوب المأثر (*)

من أراسم الى ولده

عن لوندرة في ١٥ فبراير سنة ١٨٦٠

لا حق لك يا عزيزي هامليل في أن تكون بلا رأي سياسي قايما وجل
يعيش في قوم ويظهر منهجلا لما يمارض بينهم من المصالح غافلا عما يتقاسم عقولهم
من المذاهب فهو غاية في الحقارة والخسة وكان حقه أن ينشأ بين النوحوشين بل
النوحوشون يشتغلون بمصالح قبيلتهم بغيره وجمية
نعم قد كان رؤساء الحكومات أكدوا للناس في الأزمان العابرة أنهم مسـلون
من عند الله لسياستهم وتدير شؤونهم وكان عمل الرعايا على هذا الفرض قد قصر
على الطاعة المطلقة وأمرهم فكانوا ما كانوا لولا أنهم ونخاصتهم كما نلك الارض ولا حق
للارض في أن شور على اليد العاملة فيها وأما الآن فلم يبق في البلاد الهندية
بهدي العلم من أنصار هذا الحق الالهي الذي يزعمه الملوك الا انزرا اليسر وقد
قضى العقل على بعض المذاهب السياسية المأخوذة من القواين الالهية ثم دل
التاريخ على أن السلاطين كانوا يسمطون من عروشهم ولم تكن رعاية الله تأخذ صلاحها
لصهرم وأنه كان من اليسور للامم كل اليسر أن يستنفوا عنهم (١)

(*) مترجم من كتاب أميل القرن التاسع عشر في العربية

(١) مادعاء الكاتب من تأكيد الملوك لرعاياهم أنهم مسـلون من عند الله أص
تابت في التاريخ بل قد بلغ الغلو بهذه الدعوى ببعضهم ان ادعى الألوهية والصحيح
المعروف لذوي العقول المطهرة من رجس مذهب الماديين أنهم عبادة امتخافهم الله في
الارض بمقتضى طبيعة أهلها لحفظ نظامهم فان أحسنوا الخلافة سعدوا وسعد بهم
رعاياهم وان أساؤها شقوا وشقوا بهم « يا دارد انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل

هذا السلطان المعصوم الذي لم يكذب يقى للانسان جراءة على ادعائه للاشخاص في وجه عبر التجربة الزاجرة لا يزال يدعى للاوضاع البشرية فلا تكاد اي حكومة من الحكومات تستمر حتى تدعي انها حلت محل الحكوميين في أفكارهم وعزائمهم ولا يخفى ان البلاد التي وضعت حكومتها على هذا النمط يكون من عادة شيوخ بيوتها لفرط حزمهم وبلوغهم فيه حد الجبن أن يعظوا شبابها بأن لا يشتغلوا بالسياسة

تسمع الاب منهم يقول لابنه : « يا بني ان لك أن تفتني وتزوج وتجهل نفسك في الناس ذكرا وليس من حقاك الاشتغال بما وراء ذلك لوجود رجال عهد اليهم الحاكم بمحض ارادته أن يفصلوا في جميع المسائل ويوزعوا الثوبات والعقوبات على الناس فهم كما تقول التوراة انفس منحربة التي تحرق أموال المعاندين لنظام المقرر كما تحرق السموم نبات المزارع فلا حزم لك أن تخلي بين الحكومة وعلما واذا كان لا بد لك من رأي فلا بأس من أن تختار لنفسك ما يلائمها من الآراء على شرط أن تقصره عليها لا فائدة للمرء من الاشتغال بمصالح غيره » والماعقل من يتوقى ادخال أصبعه بين الشجرة ولحائها» (١)

وأما الامم الحرة فالأمر فيها تجري على ما يخاف ذلك كل المخالفة فلا يكاد طالب العلم فيها يملك اليسير من فصاحة المناطق حتى يمارس المناظرة في المصالح العامة وكل فرد من أفرادها اذا أراد أن يكون شريفا وجب عليه أن ينتمي الى حزب من الاحزاب وهم يعبدون كل البعد أن يعتقدوا ان في مجاهدات المعيشة

الله لهم عذاب شديد يانسوا يوم الحساب » وما يزعم من قضاء العقل على المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ليس صحيحا على اطلاقه فان القوانين الالهية المحفوظة من التحريف هي أس العدل والحرية واستشهاده يستقرط الملوك من عروشهم وعدم نصر الله لهم وسوء تعبيره عن ذلك لا يدل الا على أنه جهل ان الله لا ينصر الا من نصره باتباع اوامره وحسن السيرة في خلقه وأنه تتره ان يحتاج في النصر الى الاستمانة بعدة أو سلاح

(١) المثل العربي «لا تدخل بين العصا ولحائها»

السياسية ضرراً بالعيشة البيئية بل هم يجنون الفضائل الخاصة على نسبة اتساعها وامتدادها في ميدان الفروض العامة ولو ان وجد ان العدل كان قاصراً على المعاملات الخاصة لعند من الظلم في حق عامة الناس

اذا تقر هذا قلت ان جميع الامم خلقت لتكون احراراً ومن العبث ان يزعم زاعم ان منها من هي مفرطة في الطيش وفيها من هي غالية في التعمس ومنها من هي غاية في الجهل ومنها من هي متنطمة في التأنيق فتد نسي ان الوسيلة الى ترقية اخلاق الامم انما هي ترقية اوضاعها وقوانينها ولاسراء في ان هذه الاوضاع المؤسسة على الحرية لن تنزل من السماء وانها من الحق والجنون ان تنتظرها امة من حكماها لان جميع الحكومات المستبدة مبنية على قاعدة ان الناس عاجزون عن سياسة انفسهم فكيف يرضى الحكم حينئذ ان يكذبوا انفسهم بالتخلي عنها وقد يرخون زمامها احياناً حدقا منهم في تصر بها وحزماً ولكنهم يعرفون عند الحاجة كيف يجمعون تصريف شكيمة الى ايديهم ايدى الحرية بجميع انواعها مما يعطى ووهب بل هي مما يفتنم بالجهاد والمكافحة فثمة كفتاح العقول والامزام وجملة اخلاص الخاضعين الخاملين وتصاب من لا يستخذون للذل من افراد الامة هي التي بضرورة الاحوال نفسها تكرر غاصبي حق الحرية على ارجاعه الى نصابه وورده الى اربابه وما يحصل من التعذير في أثناء الجهاد لا يلبث ان يزول وما يعقبه من الرقي دائم لا فناء له فان القاطع يلبى بعمله في المقطوع

ليس من قصدي مطلقاً ان ابعث في نفسك كراهة الامة التي خلقت للعيشة فيها فانك صاحب الحكم على اهل زمانك ولكن حذار من الاحتقار لغيرك والاستخفاف به فان عصرنا سيشتهر في التاريخ بخطوبه ومصائبه لانا قد عملنا في الحكومات التي تعاقبت على البلاد وهي حكومة الاصلاح والحكومة النقيدة والجمهورية وحكومة نابوليون وليست المصور التي تعني وتوأمي هي التي تسمى فيها امة عظيمة للحصول على الحرية من خلال الحوادث وانما هي التي نخلد فيها الى الدعة من غير ان تنال حريتها

ان لدائي من جيل بذل نفسه في سبيل الحرية وانا اشتبهى بمجامع قلبي ان

يكون الناشئون أسعد منهم حظاً وأوفر غبطة ولكن ينبغي لهم ان يستفيدوا من
زلاتنا وتجار بنا

انا قد غلونا فيما رجونا من تصريف الزمان وكلمات نفسي عن سبب
مصائبنا خلعتني أجده في عيوب تربيتنا السياسية فاشدنا بهداً عن الايمان يومئذ
بالمجزرة ذلك أنه يمشد في تغيير أحوال الامة بأمر من أوامر حاكم مطلق مؤقت
الحكومة أو — على الأقل — بأمر مجلس حاكم وقد شهدت فرنسا غير مرة ثلاثي بيروت
حاكمة كانت تعقد مائة دعائها وزوال مقاصد لبعض الطامعين من رجالها الذين
كانوا يدعون المستقل لانفسهم ثم انما لما انتصرت انتصارها العقيم التصير المدة
كان اشتغالها بتحرير نفسها واستخلاص مصيرها أقل بكثير من اشتغالها باختيار
الرجال الذين اتقى اليهم لاتفاق زمام سياستها نعم ان شكك الحكومة واختيار
الرجال الذين صرفون زمامها ليس مما لا يعاب به ولكن ينبغي ان تكون الامة هي
المنشئة لحررتها على اختلاف ظروفها . قد مضى زمن المسحاء فلن يرى بعد الآن
لاني شكل حكومة منجية ولا في صورة حكومة تأتي الى الدنيا بالنور والهدى
فهلينا أن نخاض أنفسنا من خداع الناس ونظيرها من وثية الاوهام لأن الامم
لاتنال حريتها باتفاق ولا بسلطة غيبية فآفة للطبيعية (١) ولا بالبخت فلتنظر فرنسا
في نفسها تجد أن مجتمها هو عزيمتها .

أنت حدث ومغرب عن بلادك فوسيلتك الى خدمتها هي أن تنفي عن
عقلك الجهل والاهام والاضاليل التي تبذر في الدنيا بذور الخفاة الغاشمين اذا
فعلت ذلك كنت قد أدت في سعيك الى الحرية شيئاً من العمل . التعامل اثمار
بالشر لا اتصاله فلو لم يكن نظام تربيتنا برمته من شأنه تحرب أبناء الوطن من
ملكة الاستئلال بالفكر والارادة لكانت فرنسا قد اهتدت الطريق الى الحرية من
زمان بعيد فإيمان أن يكون هذا هو ينبوع ما أصابنا من ضروب المعجزو إيمان أن يكون
مخوضك خطأ باحشا . لاحق لنا ان نعيب على الأتراك اعتقادهم بالقضاء والقدر فنحن

(١) انكار الكتاب تأثير السلطة الغيبية بعني الله جل شأنه في حرية الامم
أثر من آثار المذهب المادي القائل بأن لا وجود لهذه السلطة نزه الله عقولنا من لوثته

أثبت منهم فيه ألف مرة ذلك أنا تابعون لبخت يومنا خاضعون لقدور سياستنا مؤدون
ميثاق الطاعة لحكومتنا حتى لو انتقلت الى أيدي الكفار وقد أصبح خود
الهمم وانحلال العزائم ملاذا يلوذ به أشدنا أنفة وإباء تراهم لما حل بهم من الكآبة
وكسوف البال يحولون وجوههم عما يجري بين أيديهم من الامور كما لو كان لأي
واحد من الناس أن يقنط من أهل زمانه ومن بلاده. اذا ظهر الشر والفساد في
الامة كان حقا على الانسان ومن مقتضى عظمته أن يجاهد في ازالة سببه وليس
يكفي الرجل الصالح افتخاره أحيانا أن يتخيل في نفسه عالما آخر يطوي فيه معتقداته
ويشرف من أعاليه على أمور دهره فيحتقرها بل عليه أيضا أن لا يدخر سلاحا في كفاحه
ليست أمة من الامم من هذا العجز في شيء فانت تعرف كلمة جوفينال (١)

فكن خيرا منهم وأزور فكرا

ان ما يشكو منه جميع الناس في أزمان التدي من خود النفوس وأثرة التواكل
وبله الاستسلام لضرورة الاحوال منشؤه الناس كلهم أيضا فما منهم الا شريك
في الهلاك العام إما بسكوته وإما بامتناعه اختيارا عن العمل على أن تلك الازمان
هي التي يأتي فيها للنفوس الأبية أن تشدد وثبتت في تيار الدمار فعائنا ان لم نأمن من
نفوسنا كفاية في القوة أن نستعين من سبقت لهم الشهادة في سبيل الحق ومن ماوا
من الكتاب وهم يجاهدون الاستبداد ويمالجون عبي البصائر قبل أن يجنوا ثمار
كدمهم ومن خروا من منابرهم من الخطباء منخضين بدماثهم ومن حكم عليهم من
العقلاء بشاق الاعمال وشكلوا خلال القرون الماضية في سلاسل اليهودية المفضوية
وانتأمل في ماضينا فانا نجد فيه من العجز المظلمة والمنافي وأنواع العذاب والتكامل
ما يشهد لنا بنزاهة مقصدنا نزاهة لا تدافع. ألا ان لواء الحرية يظل جميع المقاومين
والمكرويين والمهضين في سبيل تأدية ما فرض عليهم وبهذا الواجب سيكون لنا الفوز والغفر
وعلى هذا الاعتقاد أقبلت قبلة الوداع اه

(١) جوفينال كاتب لانيبي هيجائي شهير كان يعيش في آخر القرن الأول من

الميلاد ومات في عهد الاتونيين بيت من بيت الملأ في روما

أنا علي بن سينا

﴿ حواء الجديدة - أو - ايفون موزار ﴾

ألف تقولا أفندي الحداد قصة صور فيها كيف ينهوي الرجل المرأة حتى ينتهك عرضها ثم يتركها فتقع في الشقاء وتضطر الى البغاء فيحتقرها الناس من دونه وهم ظالمون و بالغ في لوم الناس على ذلك حتى عذرا الفواجرا وكاد ووعد بكتابة القصص في المسائل الاجتماعية . وقد كتب الي كتابا أرسله مع نسخة من القصة قبل نشرها يقول فيه انه يرغب الوقوف على رأي (علائنا) في القصة وتأثيرها فيهم فأجبه بالكتاب الآتي

عزيزي الفاضل

رغبت الي أن أقرأ قصتك الجديدة « حواء الجديدة » وأكتب اليك برأيي فيها وأثرها في بعد القراءة . أراك أحسنت في التصوير والتخييل . واعتصمت بحجوة النزاهة والادب في التعبير . وأرائي استعبرت لغير ما عبارة في القصة . اما الموضوع الاجتماعي الذي نفخت فيها من روحه فليس طريفا عندي قرأت وسمعت فيه شيئا عن الافرنج وفكرت فيه كثيرا وامل ما قرأته لك فيه خير من قليل ما علمته عنهم وأبشرك بمستقبل حسن في خدمة أدب النفس والاجتماع بما توجهت اليه من وضع مثال لهذه القصة في غايتها دون خصوص موضوعها

كل بني شقية في هذه الحياة قبل الحياة الآخرة ولكن يعزان به وجدني بلادنا بني هامان مكارم الاخلاق وشرف النفس وجودة الذهن بعض مارويت عن « ايفون موزار » وبوشك أن يوجد لها ند في بلاد الافرنج . كان التريية الدينية والادبية عديم كما وصفت من تربيتهما فأكثرهن . ان لم تفل كلهن - قوارير أقدار ، وقرارات وقاحة رصفان لا فائدة من تصغير جرائمهن ، وعطف القلوب عليهن ، الا جذب من بقي عندنا سليم الفطرة اليهن ، أقول هذا وأنا على تعجبي من فساد فطرة من يستطيع الدنو منهم ممن يحزن لشقاؤهم ويصدق أن أكثرهن مكرهات على الفجور كارهات للبغاء لو وجدن مخرجا منه لهرعن اليه حتى أنه سبق لي بحث مع بعض أهل

الفضل في وجوب السعي لانشاء ملجاء يروي من يربد التوبة منهن ويفنهن
عن طلب الرزق بأعراضهن ولو وجد من يسعى الآن في مثل هذا لكان يكون
للاعتذار عنهن والاستطعام عليهن فائدة

لك أن تصف من شقائهن بما شئت من اسباب، لتندر المعرضات لمثل فعلهن
أن يتدهورن في هاويتهن، ولك أن تصف من فساد الفاسقين وثشوه من سيرتهم بما
استطعت من إطباب، لتفرعن مثل عمالهم، وتحذرن الفتاة العزّ من تغريهم، فتكون على
بصيرة من عاقبة فجورهم، وما يتوسلون به من بهنائهم وزورهم، وليس لك في رأي أن
تجعل ما كتبت منظارا يكبر مخازي الفساق من جهة ابصر فضائح الفواسق من
الجهة الأخرى

إذا انتقدت عليك تصفير فاحشة المسافحات في مقابلة تكبير فاحشة المسافحين
مرة فأنني أنقذ الاحتجاج على تصفيرها بشيوع الفاحشة في ربات البيوت ذوات
الهمول سبب من مرة الآن ذنب لمسافحات أشد ضررا من ذنب ذوات الاخذان بل
لان إظهار ذلك وبيان ان الناس يتسامحون مع ذوات الاخذان وهم يعلمون
بخطيئتهن لزوجهن بضر نشره في قصص يقرأها النساء من المذاري والايام
اذ لا تنصورت الي نلين للفساق أن بذل عرضها يفضي الي أن تكون بغيا مسافحة
وأما بقلب على ظمها أنها تصادف زوجها يستر فضيحتها بفقلتة، أو قلة غيرته
ترأت ما كتبت يفون عن خداع ذلك الشرير لها وعن اجتهادها في استرداد
شرفها بالسيرة الحسنة وعن عجزها وإعواز ما تروم فتتميت لو تقرأ ذلك المذاري
اللواتي أصبحن عرضة لمثل ذلك البذل لأعراضهن باطلاق أهليهن العنان لهن مع
كثرة ما يحول الفساق من مخادعتهن، وقرأت كتبت أنت من شيوع الفاحشة في ربات
البيوت وانغضاء الناس عنهن فتتميت لو لم تطاع عليه قارئة لاسيا اذا كانت عذراء
هذا ما كان من أثر القصة في نفسي استحسنان لما عدا الأمرين المتقدين من
ناحية ما تنذر من تأثيرها وأرجو أن تترخى فيما كتبت انما هي والفائدة أكثر مما
توخي من حسن الوضع ولطف التعبير وقوة التأثير وأجدد بمن يعرض عمله لنقد
الرجال أن يبلغ منه غاية الكمال

التعليم والارشاد

كتاب جديد « تأليف السيد محمد بدر الدين الحلبي . القسم الأول منه في التعليم وفيه الكلام على العلوم والمؤلفات وبيان الجيد منها من غيره وشرح أسباب انحطاط العلوم الشرعية وذكر الطرق النافعة في التعليم » هذا ما كتب على ظهر الكتاب ونقول أما المؤلف فهو من أذكى كفاء المجاورين في الأزهر وقد اشتغل بتصحيح كثير من الكتب التي طبعت حديثا وفيها كثير من مصنفات المصلح العظيم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ووارث علومه ابن القيم وبعض كتب الأدب النفيسة فاستفاد بذلك وبالأسفار وقراءة المصنفات ما امتاز به على كثير من أقرانه وحرك همته للبحث في الكتب النافعة والتفاهيم . وأما الكتاب فقد عرف من اسمه وما كتب عليه من بيان موضوعه وهو من أهم الموضوعات لهذه الأمة التي لا ترجى لها الحياة الطيبة إلا باصلاح التعليم والارشاد . وقد اهدي المؤلف كتابه الى الجرائد والمجلات فشكرا له على عمله وشكرا له على هديته . ومن الشكر ان بادرننا الى التنويه به قبل مطالعته كله وقد مناه على مطبوعات كثيرة أهديت الينا من قبل

قرأنا من الكتاب جملا متفرقة من فصوله فعرفنا منه وأنكرنا عرفنا منه مسائل كثيرة جاء بعضها مؤبدا لما ندعو اليه منذ أنشئ المنار كيان سوء طريقة التعليم في مثل الأزهر وما اخير لها من الكتب وأنكرنا منه مسائل كثيرة واختلافا كثيرا منه ما هو من قبيل الرأي ومنه ما هو من قبيل الحكاية والنقل . وفائدته الاجالية تأييد ما كتب كثير الزوال الثقة بالكتب التي تدرس في المدارس الدينية وبمدرسيها وهذا تهديد الاصلاح سبق اليه كثيرون من المصلحين ومقلديهم . وحسبنا هذا التنبيه على فائدته الآن ورجي بيان ما أنكرنا منه وما نتقد به عليه الى ان ينح لنا مطالعته كله بالدقيق وعسى ان يبادر بعض من اطعم عليه من المدققين الى انتقاده عنابة بهذا الموضوع ومسابقة للأغرار الذين يحكمون على الاشياء بادي الرأي فيظلمونها ويظلمون الناس ويعشونهم وهم لا يشعرون

باب الأخبار والآراء

حجرت تعيين سعد باشا زغول ناظراً للمعارف

رأى اللورد كرومر أن يعين هذا النابغة ناظر المعارف العمومية فصدر الأمر العالي بذلك فاتفقت الجرائد الوطنية والأجنبية في البلاد على استحسان هذا التعيين ووصف الناظر الجديد بالعرفان واستقلال الفكر وقوة الإرادة والاستقامة وهي صفات الكمال في الرجال وكان ينبغي أن يتفقوا على شكر اللورد كرومر ولكن الذين جعلوا من مذهبهم ذم المحتلين على كل عمل وإن كان نافعاً في نفسه وفي عرفهم قد ذموا نية اللورد في هذا التعيين وما ذموا إلا النية التي اخترعها له وانتقل بعضهم بسبب التناء على الناظر الجديد إلى القدح بسائر النظار نصریحاً أو تلويحاً وما كان ذلك من الذوق في شيء وقال أشدهم إسرافاً أنه لا خير في هذا التعيين إلا إذا جعل الناظر الجديد آمراً والمستشاراً الانكليزي مأموراً ولفظ المستشار يمنع أن يكون مساهماً مأموراً وإن لم يكن من دولة محتلة فهو لها في بلادها مسلماً ضعفاً وجهاً فدفع كلام المسرفين، وأشكر هذا العمل لإدارة المحتلين، فالتشكر مدعاة المزيد من الاحسان؛ عند كل إنسان ومما قيل وكتب ما يؤيده حتى في جريدة التيمس إن في تعيين سعد باشا ناظراً للمعارف قصداً إلى ترقية حزب المرحوم الشيخ محمد عبدالمعطي الذي شهد له اللورد في تقريره بالاعتدال وقالت إحدى الجرائد الأوربية إذا كانت الأرواح تشمر بما يكون في الدنيا فإن روح الشيخ محمد عبده مسرورة الآن بتعيين فلان ناظر المعارف، وقد صدق صاحب القول وسعد باشا جدير بمحبة المعارف واسعاد أهل الاعتدال والاستقامة من مريدي أستاذهم وأستاذهم الامام جعله الله خير خلف له في عمله البلاد وخدمته، واستقلاله وحكمته؛

﴿ الجامع الأزهر - مشيخته وإدارته ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان بلقناع من استقالة شيخ الأزهر وعزم الأمير على تعيين الشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر تمهيداً لبعده أصيلاً وقد تحقق ذلك ولكن استقالة شيخ الأزهر حفظت وحمل على طلب إجازة ثلاثة أشهر وعين الشيخ محمد شاكر وكيل المشيخة الأزهر فظلم ذلك على أهل الأزهر واستنكره كبراء الشيوخ واستنكروا أن يكونوا رؤسین له على حداثة في السن والعلم وانتهى الأمر إلى الحكومة أو إلى أولي الأمر فخطبوا الأمير في ذلك وتقرر أن الشيخ شاكر لا يكون شيخاً للأزهر ولا وكيلاً وقد سمي الآن نائباً وقد زاد الشغب والاضطراب في الأزهر في أيام نيابته على إمداد الأمير إياه بنفوذه ويتوقع أن ينتهي هذا التسايع في الأزهر بمجمله تحت مراقبة نظارة المعارف إذ لا قرار إلا مع السلطة الثابتة المنتظمة . ولعلنا نتكلم عن إصلاحه في جزء آخر

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكركم الا اولو الالباب

المحكمة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتصرون أحسنه
اولئك الذين هدى الله لعلهم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي و« منارا » كمنار الطريق

﴿ مصر - شوال سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١٩ أكتوبر (ت) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب أصول الفقه

﴿ أدلة الشرع ، وتقديم المصلحة في المعاملات على النص ﴾

كتبنا في بعض أجزاء المجلدين الثالث والرابع فصولا عنونها «مخاورات المصلح والمقلد» بينا فيها طريق الوحدة الاسلامية وجمع كلمة المسلمين المختلفين في المذاهب على الحق الذي أمرهم الله أن يقيموه ولا يفرقوا فيه . ومما بيناه فيها ان الاحكام السياسية والقضائية والادارية - وهي ما يعبر عنها علماءنا بالمعاملات - مدارها في الشريعة الاسلامية على قاعدة درء المفاسد وحفظ المصالح أو جلبها واستشهادنا على ذلك بترك سيدنا عمر وغيره من الصحابة اقامة الحدود أحيانا لاجل المصلحة فسدل ذلك على أنها تقدم

على النص ، وقد طبعت في هذه الايام مجموعة رسائل في الاصول لبعض
 أئمة الشافعية والحنابلة والظاهرية منها رسالة للامام مجم الدين الطوفي
 الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ تكلم فيها عن المصلحة بما لم ير مثله لغيره من الفقهاء
 وقد أوضح ما يحتاج الى الايضاح منها في حواشيهما الشيخ جمال الدين
 القاسمي أحد علماء دمشق الشام المدققين فرأينا أن ننشرها بحواشيهما في المنار ،
 لتكون تبصرة لأولي الابصار ، وهي هذه : (قال بعد البسطة)
 اعلم أن أدلة الشرع تسعة عشر بابا بالاستقراء (١) لا يوجد بين العلماء
 غيرها (٢) أولها الكتاب ، وثانيها السنة ، وثالثها اجماع الامة ، ورابعها اجماع

(١) تقدمه بتعدادها كذلك وسوقها بالحرف العلامة القرافي في التفتيح في

الباب العشرين

(٢) هذه الجملة زادها على القرافي وليته لم يزدها لانه يوجد لديهم غيرها كما يظهر
 لمن سبر كتب الاصوليين والذي استقرأته منها مما يزيد على ما ذكره ستة
 وعشرون . وهي : شرع من قبلنا اذا لم ينسخ . والتحري . والعرف . والتعامل
 والعمل بالظاهر أو الاظهر . والاخذ بالاحتياط . والقرعة . ومذهب كبار التابعين
 والعمل بالاصل . ومقول النص . وشهادة القلب . وتحكيم الحال . وعموم البلوى
 والعمل بالشبهين . ودلالة الاقتران . ودلالة الالهام . ورويا النبي صلى الله عليه
 وسلم . والاخذ بأيسر ما قيل . والاخذ بأكثر ما قيل . وقد الدليل بعد الفحص
 واجماع الصحابة وحدهم . واجماع الشيعين . وقول الخلفاء الاربعة اذا اتفقوا .
 وقول الصحابي اذا خالف القياس . والرجوع الى المنفعة والمضرة ذهاباً الى ان
 الاصل في المنافع الاذن وفي المضار التمس . والقول بالنصوص والاجماع في المبادات
 والمقدرات وباعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام . وهو للطوفي المصنف
 فالجملة خمسة وأربعون دليلاً وسنداً كراماً مذكوراً معناه منها فانتظر

اهل المدينة (١) وخامسها القياس (٢) وسادسها قول الصحابي (٣) وسابعها المصلحة المراد بها (٤) وثامنها الاستصحاب (٥) وتاسعها البراءة الاصلية (٦)

(١) قال في التنقيح : واجماع أهل المدينة عند مالك فيما طر به التوقيف حجة خلافاً للجميع

(٢) القياس اثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لاجل اشتباههما في علة الحكم : تنقيح (٣) قول الصحابي حجة عند الحنفية فترك بقوله قياس التابعين ومن بعدهم . مجامع (٤) أي المطلقة والمراد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفسد عن الخلق وقد اشتهر القول بها عن مالك احتجاجاً بان الله تعالى انما بعث الرسل عليهم السلام لتحصيل منفعة العباد عملاً بالاستقراء فمهما وجدت مصلحة غلب على الظن أنها مطلوبة للشرع واشتهر عن الجمهور القول بمنعها مطلقاً وقال ابن برهان ان لا تمت أصلاً كليا أو جزئيا من أصول الشرع جاز الحكم عليها والا فلا . وقال الغزالي ان كانت ضرورة قطعية كلية اعتبرت والا فلا . قال القرافي : ان المصلحة المرسله في جميع المذاهب عند التحقيق لأهم يقديسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهداً بالاعتبار ولا يبنى بالمصلحة المرسله الا ذلك

(٥) الاستصحاب عبارة عن ابقاء ما كان على ما كان عليه لانه دام المغير قاله السيد في تعريفاته ونحوه قول القرافي : الاستصحاب معناه أن اعتقاد كون الشيء في الماضي أو الحاضر يوجب ظن ثبوته في الحاضر أو الاستقبال فهذا الظن عند مالك والمزني والصبيري حجة خلافاً لغيرهم . لنا انه قضى بالطرف الراجح فيصح كأروش الجنایات واتباع الشهادات اه

(٦) قال القرافي هي استصحاب حكم العقل في عدم الاحكام خلافاً للمعتزلة والابهرى وأبي الفرج منا . لنا ان ثبوت المدعى في الماضي يوجب ظن عدم ثبوته في الحاضر فيجب الاعتماد على هذا الظن بعد الفحص عن رافعه وعدم وجوده عندنا وعند طائفة من الفقهاء

وعاشرها العادات (٩) الحادي عشر الاستقراء (٢) الثاني عشر سد الذرائع
(٣) الثالث عشر الاستدلال (٤) الرابع عشر الاستحسان (٥) الخامس عشر

(١) جمع عادة وهي غلبة معنى من المعاني على الناس قال القراني يقضى بها
عندنا لما تقدم في الاستصحاب . ونقل عن المستصفي : العادة والعرف ما استقر
في النفوس من جهة العقول ونلقته الطباع السليمة بالقبول . وفي الاشباه من
كتب الحنفية القاعدة السادسة العادة محكمة لحديث « مارآه المسلمون حسناً فهو
عند الله حسن » لكن قال العلائي لم أجده من فروعاً في شيء من كتب الحديث
أصلاً ولا بسند ضعيف بسد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال وإنما هو
من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه . واعلم ان اعتبار العادة
والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك أصلاً فقالوا في الاصول في
باب ما ترك به الحقيقة ترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة هكذا ذكر فخر
الاسلام أه كلام الاشباه (٢) الاستقراء عبارة عن تصفح جزئيات ليحكم
بمكها على أمر يشمل تلك الجزئيات كذا نقل عن حجة الاسلام ونحوه قول
القراني : هو تتبع الحكم في جزئياته على حالة يغلب على الظن انه في صورة
النزاع على تلك الحالة كاستقراءنا الفرض في جزئياته بأنه لا يؤدي على الراحلة
فغلب على الظن ان الوتر لو كان فرضاً لما أدى على الراحلة (١) قال (وهذا الظن
حجة عندنا وعند الفقهاء اهـ (٣) جمع ذريعة وهي الوسيلة للشيء . ومعنى ذلك
حسم مادة وسائل الفساد دفماً له فمضى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة لى
المفسدة منعنا من ذلك الفعل واشتهر ان القول بسد الذرائع من خصائص
مذهب مالك رحمه الله وقد حقق القراني انه مشترك بين المذاهب كالمصلحة
المرسلة والعرف وسماه في آخر مقاله (٤) الاستدلال ذكر دليل ليس بنص ولا
إجماع ولا قياس فيدخل فيه القياس الاقراني والاستثنائي وصور آخر (٥) قال
السيد هو في اللغة عد الشيء واعتقاده حسناً واصطلاحاً اسم لدليل يعارض القياس
الجلي ويهمل به اذا كان أقوى منه ، سموه بذلك لانه في الاغلب يكون أقوى

الاخذ بالاخف (١) السادس عشر المصمة (٢) السابع عشر اجماع اهل الكوفة
(٣) الثامن عشر اجماع العترة عند الشيعة (٤) التاسع عشر اجماع الخلفاء الاربعة
من القياس الجلي فيكون قياساً مستحسنًا قال الله تعالى « فبشر عبادي الذين
يسمعون القول فينبهون أحسنه » انتهى وقال الكرخي في تعريفه هو العدول عما
حكّم به في نظائر مسألة الى خلافه لوجه أقوى منه وقد يسمى الاستحسان بالقياس
الخفي كما تراه في كتبهم والاستحسان حجة عند الحنفية وبعض البصريين وأنكره
المراقبون وقد اضطرب ثلث في تعريفه والصواب ما ذكرناه لانه يجب الرجوع في
تحقيق كل مسألة الى عرف من ذهب اليها . ولذا آثرنا النقل عنهم « ١ » وهو
الاخذ باقل ما قيل وهو عند الشافعي حجة كما قيل في دية الذمي انها مساوية
لدية المسلم وقيل نصفها وهو قول مالك وقيل ثلثها وبه أخذ الشافعي اخذنا بالاقل
لكونه مجمعا عليه وما زاد منفي بالبراءة الاصلية وتقدم في حواشي رسالة ابن فورك
زيادة على هذا فارجع اليها « ٢ » قال القرافي المصمة هي ان العلماء اختلفوا هل
يجوز أن يقول الله تعالى لبي او عالم احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فقطع
بوقوع ذلك موسى بن عمران من العلماء والمعتزلة على امتناعه والشافعي توقف
فيه . حجة الجواز والوقوع قوله تعالى « الا ما حرم اسرائيل على نفسه » فأخبر الله
تعالى انه حرم على نفسه ومقتضى السياق انه صار حراماً عليه وذلك يقتضي
انه ما حرم على نفسه الا ما جعل الله له ان يفعله ففعل التحريم ولو أن الله تعالى
هو المحرم لقال الا ما حرمنا على اسرائيل . وحجة المنع ان ذلك يكون تصرفا في
الاديان بالهوى والله تعالى لا يشرع الا المصالح لا اتباع الهوى واما قصة
اسرائيل عليه السلام فلمنه حرم على نفسه بالنذر ونحن نقول به وحجة التوقف
تعارض المدارك انتهى وفي الجمع: مسألة يجوز ان يقال لبي او عالم احكم بما نشاء
فوه صواب و يكون مدركا شرعياً ويسمى التفويض وتورد الشافعي فيه الخ (٣)
قال القرافي اجماع اهل الكوفة ذهب قوم الى انه حجة لكثرة من وردوا من
الصحابة رضي الله عنهم كما قاله مالك رحمه الله في المدينة (٤) سقط من بعض
النسخ « عند الشيعة » واعلم ان الاجماع عند الشيعة هو اتفاق جميع علماء الامة

وبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه ومعرفة حدودها ورسومها والكشف
عن حقائقها وتفاصيل أحكامها مذکور في أصول الفقه (١)

مع الامام المصوم - المشترط وجوده في كل زمان عندهم - أو اتفاق من علم
من العلماء دخول الامام فيهم وان لم يكن جميعهم كما في حواشي القوانين للقرنوي
وبه يعلم ان الاجماع عندهم اعم من اجماع المعتزلة ومن اجماع من بعدهم اذا
كان فيهم المصوم . فالمدكور هنا كغالب اصول اهل السنة رجم بالفيب عن
مذهب الامامية في الاجماع واهمال لقاعدة الرجوع في تحقيق كل مذهب الى
نصوص كتبه فاحفظ ذلك « ١ » قد اشرنا الى شذرة من حدودها وخلاف من
خالف فيها وقد بقي علينا الايفاء بالوعود السالف من الكشف عن الغامض من
بقية الادلة الخسة والمشرين فنقول اما حجة شرع من قبلنا فيما لم ينسخ فقال
به اكثر الشافعية والحنفية ومعظم المالكية والمتكلمين بمعنى انه يجب العمل به
اذا قصه تعالى في كتابه او اخبر به الرسول بلا انكار عليه كما في المرأة وتفصيله
في مواقف الشاطبي فارجم اليه . واما التحري فهو بذل المجهود لئيل المقصود
من الطاعة وهو حجة بحب العمل به في كثير من الاحكام في الصلاة والزكاة
والتياب والواني كما في الخادمي على مجمع الحقائق . واما العرف فقال السيد هو
ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول . وهو حجة لكنه
أسرع الى الفهم وكذا المادة وهي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا
اليه مرة بعد أخرى اه واما التعامل فهو استعمال الناس فيما بينهم بالاخذ والاعطاء
قال الخادمي . العرف والتعامل حججتان فيما لم يخالف الشرع اه وقد اشار لذلك
البخاري بقوله في كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الانصار على ما يتعارفون
بينهم في البيوع والاجارة والكيل والوزن وسنتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة:
قال الشرايح: مقصوده اثبات الاعتماد على العرف وذكر القاضي حسين ان
الرجوع الى العرف أحد القواعد الخمس التي يبنى عليها الفقه وسنأتي . ومن
أمثله بيع الاثمار على الاشجار عند وجود بمضادون بهض فقد أجاز بهض =

= الحنفية للعرف كما في نشر العرف لابن عابدين وكذا نقل ابن حجر في شرح البخاري عن يزيد بن أبي حبيب جواز بيع شجرة قبل بدو صلاحها مطلقا : وأما العمل بالظاهر أو الاظهر فقال الحادمي هو واجب عند انتفاء دليل فوقه أو يساويه .
وأما الاخذ بالاحتياط أي الاحوط فقال الحادمي قيل هو العمل بأقوى الدليلين ويرجع إلى حديث « دع ما يربك إلى ما لا يربك » وأما القرعة فهي عمل بالسنة المنقولة فيها أو بالاجماع أو بعموم آية « ولا تنازعوا » واما مذهب كبار التابعين فهو مثل مذهب الصحابي لاحتمال كونه رواية صحابي ررفوعة . وأما العمل بالأصل فمعناه العمل بالراجح . وأما معقول النص فهو الاستدلال المتقدم . واما شهادة القلب فقد يفتح بها عند انتفاء دليل خارجي ومرجمها إلى حديث « استفت قلبك » وحديث « البرما اطمانت إليه النفس » وأما تحكيم الحال فمعناه الاستدلال بالزمان الحالي على صدق المقال . وأما عموم البلوى فمرجمها إلى رفع الحرج .
وأما العمل بالشبهين فقد كره الحادمي في شرح التنقيح معطوفا على ما تقدم ولعله كالتقافة . وأما دلالة الاقتران فقد قال بها جماعة ومثلها بعضهم باستدلال مالك على سقوط الزكاة في الخيل بقرنها مع مالا زكاة فيه في آية « والخيل والبغال والحمير ليركبونها وزينة » والجمهور على أن الاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم . وأما دلالة الالهام فقد قال بها الرازي وابن الصلاح وغيرها قال الامام ابن تيمية الترجيح بمجرد الارادة التي لا تستند إلى أمر علمي باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد لكن قد يقال القلب المعمور بالتقوى اذا رجح بارادته فهو ترجيح شرعي . وعلى هذا فن غلب على قلبه ارادة ما يحبه الله وبنض ما يكرهه اذا لم يدر في الامر المبين هل هو محبوب لله أو مكروه ورأى قلبه يحبه أو يكرهه كان هذا ترجيحا عنده كما لو أخبر من صدقه أغلب من كذبه بخبر . هذا عند انسداد وجوه الترجيح بترجيح بدليل شرعي . والذين نفوا كون الالهام طريقا شرعيا على الاطلاق أخطوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقا شرعيا على الاطلاق واكن اذا اجتهد السالك في الادلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحا وأهم حينئذ رجحان أحد الفطرين مع حسن قصده ومهارته بالتقوى فالهام مثل هذا دليل في

ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » (١) يقتضي رعاية المصالح اثباتاً ونفيًا والمفاسد نفيًا اذا الضرر هو المفسدة فاذا نفيها الشرع لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة لأنهما تقيضان لا واسطة بينهما وهذه الأدلة التسعة عشر أقواها النص والاجماع ثم هما مان يوافقان رعاية

حقه قد يكون أقوى من كثير من الإقسية الضعيفة والاحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتاج بها كثير من الخائضين في المذهب والخلاف وأصول الفقه . وفي الترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينطق بنور الله » ثم قرأ « ان في ذلك لآيات للمتوسمين » اه والتسمة سابقة . — وأما رؤيا النبي عليه السلام فتقل عن الاسناد أبي اسحق وغيره أنها حجة ويلزم العمل بها والجمهور على خلافه . وأما الاخذ بالايسر فيقرب من الاخذ بأقل ما قيل ومستنده رفع الحرج . وأما الاخذ بأكثر ما قيل فستنده الاحتياط ليخرج من عهدة التكليف بيقين . وأما فقد الدليل بعد الفحص فعناه الاستدلال على عدم الحكم بهدم ما يدل عليه وقد أخذ به قوم كما في شرح المنهاج . وأما اجماع الصحابة وحدثهم فهو مذهب الظاهرية قالوا اجماع غيرهم ليس بحجة . وأما اجماع الشيعين فقد ذهب اليه جمع لحديث « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر » رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . وأما الاجماع الظني فهو فتوى بعض المجتهدين أو قضاؤه واشتهار ذلك بين المجتهدين من أهل عصره بلا مخالف في تلك الحادثة ولا تقيية قبل استقرار المذاهب . وهذا حجة عند أكثر الحنفية وبعض الشافعية وسماه الآمدي حجة ظنية أو اجماعاً ظنياً كما في التحرير وشرحه . وما أوردناه من الأدلة التي سبقتها من عدة مصنفات أرجع كثيراً منها الى الأصول الاربعة صاحب الجامع وشارحه وقد يدخل كثير منها أيضاً في غيره مما يرجع الى اختلاف الاسم أو الاضافة بنوع ما يتفرع عنها من مثلها وصورها فافهم (١) حديث صحيح رواه الامام مالك في موطأه ومرسلاً والامام احمد وقال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم

المصلحة أو مخالفتها فإن وفتاها فها ونعمت ولا تنازع إذ قد اتفقت الأدلة الثلاثة على الحكم وهي النص والاجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» وإن خالفها، يجب تقديم رعاية المصلحة عليها بطريق التخصيص (١) والبيان لهما لا بطريق الافتتاحات عليها والتعطيل لهما كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان، وتقرير ذلك أن النص والاجماع أما أن لا يقتضيا ضررا ولا مفسدة بالكلية أو يقتضيا ذلك فإن لم يقتضيا شيئا من ذلك فهما موقوفان لرعاية لمصلحة وإن اقتضيا ضررا فاما أن يكون مجموع مدلولهما ضررا ولا بد أن يكون من قبيل ما استثنى من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» جمعا بين الأدلة ولعلك تقول إن رعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» لا تهوى على معارضة

(١) يقرب من هذا ما قاله الفقهاء الحنفية عليهم الرحمة في التعامل وأنه يخص به الأثر والتعامل من باب المصلحة المذكورة قال في الذخيرة البرهانية في الفصل الثامن من الأجازات فيما لو دفع إلى حائك غزلا على أن ينسجه بالثلاث قال - ومشايخ بلخ كصير بن يحيى ومحمد بن سلمة وغيرهما كانوا يجيزون هذه الأجارة في الثياب لتعامل أهل بلادهم والتعامل حجة يترك به القياس ويخص به الأثر (ثم قال) وتخصيص النص بالتعامل جائز الأثرى الجوزنا الاستصناع للتعامل والاستصناع بيع ما ليس عنده وأنه منهى عنه وتجويز الاستصناع بالتعامل تخصيص من النص الذي ورد في النهي عن بيع ما ليس عند الإنسان لا ترك للنص أصلا. كذا في نشر العرف لابن عابد بن وقد ذهب البخاري عليه الرحمة مع كونه من أعظم أنصار الأثر إلى اعتبار العرف فيما نقلناه عنه قبل من صحيحه في ترجمة ذلك الباب الذي قل من ينظن لها ومن دقق في تلك الترجمة رأى أنها تؤيد ما أشار له الطوفي هنا

الاجماع لتقضي عليه بطريق التخصيص والبيان لان الاجماع دليل قاطع وليس كذلك رعاية المصلحة لان الحديث الذي دل عليها واستقيدت منه ليس قاطعا فهو أولى فنقول لك ان رعاية المصلحة أقوى من الاجماع ويلزم من ذلك أنها من أدلة الشرع لان الأقوى من الأقوى أقوى ويظهر ذلك من الكلام في المصلحة والاجماع

أما المصلحة فالنظر في لفظها وحدها وبيان اهتمام الشرع بها وانها مبرهنة، أما لفظها فهو منفعلة من الصلاح وهو كون الشيء على هيئة كاملة بحسب ما يراد ذلك الشيء به كالقلم . يكون على هيئة المصلحة للكتابة والسيف على هيئة المصلحة للضرب

وأما حدها بحسب العرف فهي السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالتجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع هي السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أو عيادة . ثم هي تنقسم الى ما يقصده لشارع الحق كالعبادات والى ما لا يقصده الشارع لحقه كالمعادن

وأما بيان اهتمام الشرع بها فمن جهة الاجمال والتفصيل أما الاجمال فقوله عز وجل « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور » الآيتين ودلالتهما من وجوه

أحدها قوله عز وجل « قد جاءكم موعظة » حيث أنه توعدهم وفيه أكبر صالحهم اذ في الوعظ كفهم عن الأذى وارشادهم الى الهدى الوجه الثاني : وصف القرآن أنه « شفاء لما في الصدور » يعني من شك

وغيره وهو مصلحة عظيمة

الوجه الثالث : وصفه بالهدى

الوجه الرابع : وصفه بالرحمة وفي الهدى والرحمة غاية المصاحفة

الخامس : اسناد ذلك الى فعل الله عز وجل ورحمته ولا يصدر عنهما

الا مصاحفة عظيمة

السادس : الفرح بذلك لقوله عز وجل «فبذلك فليفرحوا» وهو في

معنى التهنئة لهم بذلك . والفرح والتهنئة انما يكونان لمصاحفة عظيمة

الوجه السابع : قوله عز وجل « هو خير مما يجمعون» والذي يجمعونه

هو من مصالحهم فالقرآن ونفعه أصاح من مصالحهم والأصاح من المصاحفة

غاية المصاحفة

فهذه سبعة أوجه من هذه الآية تدل على ان الشروع راعى مصاحفة

المكلفين واهتم بها ولو استقرأت النصوص لوجدت على ذلك أدلة كثيرة

فان قيل لم لا يجوز ان يكون من جملة ما راعاه من مصالحهم نصب

النص والاجماع دليلا لهم على معرفة الاحكام . قلنا هو كذلك ونحن نقول

به في العبادات وحيث وافق المصاحفة في غير العبادات وانما يرجع رعاية

المصالح في المعاملات ونحوها لان رعايتها في ذلك هو قطب مقصود

الشرع منها بخلاف العبادات فانها حق الشرع ولا يعرف كيفية ايقاعها

الا من جهته نصاً واجماعاً

وأما التتميم ففيه ابحاث

الاول في أن أفعال الله عز وجل معللة أم لا . حجة انثبت أن فعلا

لا علة له عبث والله عز وجل منزه عن العبث ولان القرآن مملوء من

تعطيل الأفعال نحو « لتعلموا عدد السنين والحساب» ونحوه وحجة الثاني

ان كل من فعل فعلا لعلته فهو مستكمل بتلك العلة ما لم تكن له قبلها فيكون ناقصا بذاته كاملا بغيره والنقص على الله عز وجل محال . وأجيب عنه بمنع الكلية . فلا يلزم ما ذكره الا في حق المخلوقين (١) والتحقيق ان افعال الله عز وجل معللة بحكم غائية تعود بنفع المكلفين وكاملهم لا بنفع الله عز وجل لاستغناءه بذاته عما سواه

البحث الثاني ان رعاية المصالح تفضل من الله عز وجل على خلقه عند اهل السنة واجبة عليه عند المعتزلة حجة الاولين ان الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك ولا يجب له عليه شيء . ولان الايجاب يستدعي موجبا أعلى ولا أعلى من الله عز وجل يوجب عليه . حجة الآخرين ان الله عز وجل كلف خلقه بالعبادة فوجب أن يراعي مصالحهم ازالة لعلهم في التكليف والالكان ذلك تكليفا لا يطاق أو شبيها به . وأجيب عنه بأن هذا مبني على تحسين العقل وتبجيحه وهو باطل عند الجمهور

والحق أن رعاية المصالح واجبة من الله عز وجل حيث التزم التفضل بها لا واجبة عليه كما في آية «انما التوبة على الله» فان قبولها واجب منه لا عليه وكذلك الرحمة في قوله عز وجل «كتب ربكم على نفسه الرحمة» ونحو ذلك

البحث الثالث في ان الشرع حيث راعى مصالح الخلق هل راعاها مطلقا أو راعى اكملها في بعض وأسفلها في بعض أو انه راعى منها في الكل

(١) راجع بسط الجواب على ذلك في شفاء الطليل في القدر والتمليل لابن

ما يصلحهم وينتظم به حالهم ، الاقسام كلها ممكنة (١)
 البحث الرابع في أداة رعاية المصلحة على التفصيل وهي من الكتاب
 والسنة والاجماع والنظر ولندكر من كل منها يسيراً على جهة ضرب المثال
 اذا استقصاه ذلك بعيد المثال

أما الكتاب فنحو قوله تعالى «واحكم في القصاص حيوة . والسارق
 والسارقة فاقطعوا أيديهما . الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
 مائة جلدة » وهو كثير . ورعاية مصلحة الناس في نفوسهم وأموالهم
 واعراضهم مما ذكرنا ، ظاهر . وبالجملة فإما من آية من كتاب الله عز وجل
 الا وهي تشتمل على مصلحة أو مصالح كما ينتهما في غير هذا الموضوع
 وأما السنة فنحو قوله عليه السلام «لا يبيع بعضكم على بيع بعض . ولا
 يبيع حاضر لباد . ولا تكبح المرأة على عمتها أو خاتمتها انكم اذا فعلتم ذلك
 قطعتم أرحامكم » وهذا ونحوه في السنة كثير لا نهايان الكتاب وقد بينا احتمال
 كل آية منه على مصلحة والبيان على وفق المبين

وأما الاجماع فقد أجمع العلماء الا من لا يعتد به من جامدي
 الظاهرية على تحليل الاحكام بالمصالح المرسلة وفي الحقيقة الجميع قائلون
 بها (٢) وحتى ان المخالفين في كون الاجماع حجة قالوا بالمصالح ومن علل

(١) الاظهر الاخير قال الشاطبي في الموافقات ان الشارع قصد بالتشريع
 اقامة المصالح الاخرية والدينية وبيان تكون مصالح على الاطلاق فلا بد ان
 يكون وضهها على ذلك الوجه ابدياً وكلياً وعماماً في جميع انواع التكليف والمكافئ
 من جميع الاحوال

(٢) سبق ما يؤيده عن القراني في الحاشية و يأتي في آخر مقاله أيضاً

وهو بشفقة برعاية حق الجار وحواز السلم والاجارة بمصاحفة الناس مع مخالفتها للآتياس اذ هما معاوضة على ومدوم (١) واثراً أبواب الفقه ومسائله فيما يتعلق بحقوق الخلق لعل المصالح

وأما النظر فلا شك عند كل ذي عقل صحيح ان الله عز وجل راعي مصاحفة خلقه عموماً وخصوصاً أما عموماً فبما هم ومعاشرهم أما المبدأ فحيث أوجدتهم بعد العدم على الحياة التي ينالون بها مصالحهم في حياتهم ويجمع ذلك قوله عز وجل « يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم (٢) الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك » وقوله عز وجل « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وأما المعاش فحيث هيأ لهم أسباب ما يعيشون به ويتمتعون به من خالق السموات والارض وما بينهما وجميع

(١) يراجع هنا ما في اعلام الموقعين في بحث ليس شيء في الشريعة على خلاف

القياس فإنه مهم جداً

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي في اصناف الفسرين ومنهم من يفتر بفهم فاسد فهمه من النصوص وانكروا عليه كأنكول بعضهم على قوله تعالى « واسوف يطيبك ربك فترضي » رعموا أنه لا يرضى ان يكون في النار أحد من امته وهذا من أبين الكذب عليه فإنه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب الفسقة والخونة والمصرين على الكبائر فحاشا رسوله ان يرضى بما لا يرضى به ربه تعالى . وكاغترار بعض الجهال بقوله تعالى « ماغرك بربك الكريم » فية قول كرمه وقد يقول بعضهم انه لقن المغتر حجته وهذا جهل قبيح وأما غره بربه الفرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجهله وهواه . وأنى سبحانه بلفظ « الكريم » وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا ايهال حقه فوضع هذا المغتر الفرور في غير موضعه واغتر بمن لا ينبغي الاغترار به اهون نحوه للقرآني في الاحياء

ذلك في قوله عز وجل « ألم نجعل الارض مهاداً - الى قوله - ان يوم الفصل كان ميقاتاً » وفي قوله عز وجل : « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صبينا الماء صبياً » الى قوله عز وجل « متعناكم ولا نؤاخذكم »

وأما خصوصاً فرعاية مصلحة العباد السعداء حيث هداهم السبيل ، ووقفهم لنيل الثواب الجزيل ، في خير مقيل ،

وعند التحقيق انما راعي مصلحة العباد عموماً حيث دعا الجميع الى الايمان الموجب لمصلحة العباد لكن بعضهم فرط بعدم الاجابة بدليل قوله عز وجل « وأما ثمود فهديناهم فاستجبوا على العصى على الهدى » تحرير هذا المقام ان الدعاء كان عموماً والتوفيق المكمل للمصلحة المصحح لوجودها كان خصوصاً بدليل قوله عز وجل « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم » فدعا عاماً وهدى ووفق خاصاً

اذا عرف هذا فن المحتل أن يراعي الله عز وجل مصلحة خلقه في مبادئهم ومبادئهم ومعايشهم ثم يهمل مصالحتهم في الاحكام الشرعية اذ هي أهم فكانت بالمراعاة أولى ولانها أيضاً من مصلحة معاشهم لانها صيانة أموالهم ودمائهم وأعراضهم ولا معاش لهم بدونها فوجب القول بأنه راعاهم لهم . واذا ثبت رعايته اياها لم يجز اهمالها بوجه من الوجوه . فان وافقها النص والاجماع وغيرهما من أدلة الشرع فلا كلام . وان خالفها دليل شرعي وفق بينه وبينها بما ذكرناه من تخصيصه وتقديمها بطريق البيان

واما ان رعاية المصلحة بهرمة فقد دل عليه ما ذكرناه من اهتمام الشرع بها وأدلته

(ثم قال الطوفي بمديانہ الاجماع وأدلته ومعارضتها
ومما يدل على تقديم رعاية المصلحة على النصوص والاجماع على
الوجه الذي ذكرنا وجوه .
أحدها : أن منكري الاجماع (١) قالوا برعاية المصالح فهي اذا محل
وفاق والاجماع محل الخلاف والتمسك بما اتفقوا عليه أولى من التمسك
بما اختلفوا فيه

الوجه الثاني : ان النصوص مختلفة متعارضة فهي سبب الخلاف في
الاحكام المذموم شرعا ورعاية المصلحة أمر متفق في نفسه لا يختلف فيه
فهو سبب الاتفاق المطلوب شرعا فكان اتباعه أولى وقد قال الله عز وجل
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا نست منهم في شيء » وقوله عليه السلام : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »
وقال عز وجل في مدح الاجتماع « وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض
جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » وقال عليه السلام : وكونوا
عباد الله اخوانا .

الثالث : قد ثبت في السنة معارضة النصوص بالمصالح ونحوها في
قضايا (٢) منها معارضة ابن مسعود النص والاجماع بمصلحة الاحتياط

« ١ » كالنظام وبعض الشيعة والحواارج والظاهرية ما عدا اجماع الصحابة

اه من المصنف

« ٢ » من القضايا المشهورة في ذلك حديث العباس في حجة الوداع وقوله
لأنبي عليه السلام لما نهى ان يعضد شجر مكة ويختلى خلاها الا الاذخر يارسول الله
فقال عليه السلام ، الا الاذخر . ومنها حديث البخاري في اول كتاب اشركة
لما خفت أزواد القوم وأماقروا وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحر إبليس فاذن

للعبادة كما سبق (١) ، ومنها قوله عليه السلام حين فرغ من الاحزاب
« لا يصلين أحدكم العصر الا في بني قريظة » فصلي احدكم قبلها وقالوا لم
يرد منا ذلك وهو شبيه بما ذكرنا

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة « لولا قومك حسدثو عهد
بالاسلام لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم » وهو يدل على أن بناءها
على قواعد ابراهيم هو الواجب في حكمها فتركه لمصلحة الناس

ومنها أنه عليه السلام لما أمرهم يجعل الحج عمرة قالوا كيف وقد
سعيننا الحج وتوقفوا وهو معارضة للنص بالعادة وهو شبيه بما نحن فيه

وكذلك يوم الحديدية لما أمرهم بالتحلل توقفوا تمسكا بالعادة في أن
أحدا لا يحل قبل قضاء المناسك حتى غضب صلى الله عليه وسلم وقال : « مالي
أمر بالشيء فلا يفعل »

ومنها ما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده أن النبي صلى الله عليه
وسلم بعث أبا بكر ينادي (من قال لا اله الا الله دخل الجنة) فوجده عمر

فرده وقال اذا يتكلموا ، وكذلك رد عمر أبا هريرة عن مثل ذلك في حديث
صحيح وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة ، فكذلك من قدم رعاية مصالح

المكلفين على باقي أدلة الشرع يقصد بذلك اصلاح شأنهم وانتظام حالهم
وتحصيل ما تفضل الله به عليهم من الصلاح وجمع الاحكام من التفرق واتلافها

لهم فقال لهم عمر ما بقاؤكم بعد ابلتكم ودخل على النبي عليه السلام فأخبره
فامر أن تجمع ازواد الناس الحديث (١) أي في بحث له سابق طوبناه اختصارا
وهو قوله ان الصحابة أجمعوا على جواز التيمم للمرض وعدم الماء وخالف ابن مسعود
واحتج عليه أبو موسى الأشعري فلم يلتفت كما بسطه البخاري في صحيحه

عن الاختلاف فوجب ان يكون جائزا ان لم يكن متعينا فقد ظهر بما قررناه ان دليل رعاية المصالح أقوى من دليل الاجماع فليقدم عليه وعلى غيره من ادلة الشرع عند التعارض بطريق البيان فان قيل حاصل ما ذهبتم اليه تعطيل أدلة الشرع بقياس مجرد وهو كقياس ابليس فاسد الوضع والاعتبار قلنا وهم واشتباه من نأثم بعد الانتباه وانما هو تقديم دليل شرعي على أقوى منه وهو دليل الاجماع على وجوب العمل بالراجح كما قدمتم انتم الاجماع على النص والنص على الظاهر (١) وقياس ابليس وهو قوله «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» لم يقيم عليه ما قام على رعاية المصالح من البراهين وليس هذا من باب فساد الوضع بل من باب تقديم رعاية المصالح كما ذكرنا فان قيل الشرع أعلم بمصالح الناس وقد اودعها أداة الشرع وجعلها اعلما عليها يعرف بها فترك أدلته لغيرها صراغمة ومعاودة له قال اما كون الشرع اعلم بمصالح الملكا بين نعم وأما كون ما ذكرناه من رعاية المصالح تركا لادلة الشرع بغيرها فممنوع بل انما ترك أدلته بدليل شرع راجح عليها مستند الى قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» كما قلتم في تقديم الاجماع على غيره من الادلة ثم ان الله عز وجل جعل لنا طريقا الى معرفة مصالحنا عادة فلا تتركه لاضرر مبهم يحتمل ان يكون طريقا الى المصلحة

(١) يشير الى ما ذكره القراني في تنقيحه من تقديم الاجماع على النص وعبارة الشافعي في رسالته في باب الاستحسان في شروط من يقين: ويستدل على ما احتمل التأويل بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لم يجد سنة فباجماع المسلمين: وذكر نحوه في عدة مواضع منها

ويحتمل ان لا يكون

فان قيل خلاف الامة في مسائل الاحكام رحمة وسعة فلا يحويه
حصر بحكم في جهة واحدة لثلا يضيقت عليهم مجال الاتساع : قلنا هذا
الكلام ليس منصوصا عليه من جهة الشرع حتى يمتل (١) ولو كان لكان
مصلحة الوفاق ارجح من مصلحة الخلاف فتقدم، ثم ما ذكرتموه من
مصلحة الخلاف بالتوسعة على المكلفين معارض بمفسدة تعرض منه وهو
ان الآراء اذا اختلفت وتعقدت اتبع بعض الناس رخص المذاهب
فأنضى الى الانحلال والفجور، وأيضا فان بعض أهل النعمة ربما أراد
الاسلام فتمنعه كثرة الخلاف وتعقد الآراء، لان الخلاف منفور عنه
بالطبع ولهذا قال عز وجل «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها» أي
يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا لا يختلف الا بما فيه من التشابهات
وهي ترجع الى المحكمات بطريقها (٢) ولو اعتمدت رعاية المصالح المستفادة
من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» على ما تقرر لا يتحد طريق الحكم
واتقى الخلاف، فان قيل هذه الطريقة التي سلكتها اما ان تكون خطأ فلا
يلتفت اليها أو صوابا، اما ان ينحصر الصواب فيها أولا فان انحصر لزم ان
الامة من أول الاسلام الى حين ظهور هذه الطريقة على خطأ اذ لم يقل بها
أحد منهم (٣) وان لم ينحصر فهي طريقة جائرة من الطارق ولكن طريق

- (١) يشير الى ان حديث اختلاف أمي رحمة لا اصل له كما بين في الموضوعات
- (٢) يعني طريق السلف المبسوط في موضعه (٣) أي بمنطوقها وان استفيد مفهومها من قواعدهم وقد معنا ما يقرب منه عند الحنفية رحمة الله من تخصيص النص بالعرف عن الذخيرة ونحوه نقل الشافعية عن القاضي حسين ان مبي الفقه على ان اليقين لا يرفع

الأئمة التي اتفقت الأمة على اتباعها، إلى بالمطابقة لقوله عليه السلام «اتبعوا السواد الأعظم فإن من شذ شذ في النار»

فالجواب أنها ليست خطأ لما ذكرنا عليها من البرهان ولا الصواب منحصر فيها قطعاً بل ظناً و جهتهداً وذلك يوجب المصير إليها إذ الظن في الفرعيات كالقطع في غيرها . وما يلزم على هذا من خطأ الأمة فيما قبله لازم على رأي كل ذي قول أو طريقة انترد بها غير مسبوق إليها والسواد الأعظم الواجب اتباعه هو الحجة والدليل الواضح والالزم ان يتبع العلماء العامة اذا خالفوهم لان الغامة أكثر وهو السواد الأعظم

واعلم أن هذه الطريقة هي التي قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب إليه مالك بل هي أبلغ من ذلك وهي التعويل على النصوص والاجماع في العبادات والمقدرات وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام

وتقرير ذلك ان الكلام في أحكام الشرع اما ان يقع في العبادات والمقدرات ونحوها أو في المعاملات والعبادات وشبهها فان وقع في الاول اعتبر

فيه النص والاجماع ونحوهما من الأدلة غير ان الدليل على الحكم اما ان يتحد أو يتعدد فان اتحد مثل ان كان فيه آية أو حديث أو قياس أو غير ذلك ثبت به . وان تعدد الدليل مثل ان

بالشك والضرر يزال ، والمشقة تجلب التيسير ، والعادة محكمة ، وأرجحه العز بن عبد السلام في قواعده الى قاعدتين اعتبار المصالح ودرء المفاسد وبعضهم الى تحكيم العادة قال القاضي ذكر يا وبمحث بعضهم رجوع الجميع الى جلب المصالح كذا في حواشي المطار على جمع الجوامع واظن البعض الذي عناه القاضي ذكرها هو الطوفي المصنف

كان آية وحديثاً واستصحاباً ونحوه فان اتفقت الأدلة على إثبات أو نفي
 ثبت بها وان تعارضت فيه فاما تعارضاً يقبل الجمع أولاً يقبله فان قبل الجمع
 جمع بينهما لان الاصل في أدلة الشرع الاحتمال لا الالفاء غير ان الجمع
 يذهب ما يجب ان يكون بطريق قريب واضح لا يلزم منه التلاعب ببعض
 الأدلة وان لم يقبل الجمع فالاجماع مقدم على ما عداه من الأدلة التسعة
 عشر والنص مقدم على ما سوى الاجماع، ثم ان النص منحصر في الكتاب
 والسنة ثم لا يخلو اما ان يفرد بالحكم أحدهما أو يجمعهما فيه فان انفرد به أحدهما
 فاما الكتاب أو السنة فان انفرد به الكتاب فاما ان يتحد الدليل أو يتعدد
 فان اتحدان كان في الحكم آية واحدة عمل بها ان كانت نصاً أو ظاهر فيه
 وان كانت مجملة (١) فان كان أحدهما احتمالاً أو احتمالاً لها شبه بالادب
 مع الشرع عمل به وكان ذلك كالبيان

وان استوى احتمالها في الادب مع الشرع جاز الامر والمختار ان

يتبع بكل منهما مرة

وان لم يظهر وجه الادب وقت الامر على البيان

وان تعدد لدليل من الكتاب فان كان في الحكم منه آيتان أو أكثر

فان اتفق مقتضاهن في كالأية الواحدة وان اختلفت فان قبل الجمع جمع
 يذهب بتخصيص أو تقييد أو نحوه وان لم يقبل الجمع فان علم نسخ بعضها
 بعينه فإلّا فالمنسوخ منهما مبهم فليستدل عليه بموافقة السنة غيره إذ

(١) الجمل ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ الا ببيان سواء كان

ذلك اتزان المعاني المتساوية الاقدام كالمشرك أو لغرابة اللفظ أو لا تنقله من معناه

الظاهر الى غير ما هو معلوم. كذا في تعريفات السيد

السنة بيان الكتاب وهي انما تبين مائدت حكمه لا مانسوخ وان انفردت
السنة بالحكم فان كان فيه حديث واحد فان صح عمل به كالأية الواحدة
وان لم يصح لم يعتمد عليه (١) وأخذ الحكم من الكتاب ان وجهه والافن
الاجتهاد ان ساغ مثل أن يعمل بما هو اشبه بالادب مع الشرع وتمظيم حقه

وان لم يسغ فيه الاجتهاد وقف على البيان
وان كان فيه أكثر من حديث فان صح جميعها فاما ان تتساوى في
الصحة او تفاوتت فان تساوت في الصحة فان اتفق مقتضاها فكالحديث
الواحد وان اختلفت فان قبلت الجمع جمع بينها والا فبعضها منسوخ
فان تعين والا استدل عليه بموافقة الكتاب أو الاجماع غيره أو بغير
ذلك من الأدلة

وان لم تصح جميعها فان كان الصحيح منها واحدا فكما لم يكن في
الحكم الاحديث واحدا فان كان الصحيح أكثر من واحد فان اتفقت
عمل بها وان اختلفت جمع بينها ان امكن الجمع والا فبعضها منسوخ كما
سبقت فيما اذا كان جميع الاحاديث صحيحاً

وان تفاوتت في الصحة فان كان بعضها اصح من بعض فان اتفق

(١) أي لانه لا يدل به في المعاملات بل في نضائل الاعمال على قول ومنهم
من منع العمل به مطلقا كما بسط في كتب المصطلح وقد ذكر مسلم في مقدمة
صحيحة ان الراوي للاحاديث الضعيفة غاش آثم في فصل ينبغي العناية به وبالاولى
ما كان منها في باب الصفات ولذا قول القاضي عياض في الشفا في الوجه السابع:
فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يسد كرمها شيء في حق الله
وحق أنبيائه وان لا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المقادير اهية الاسناد الخ

مقتضاها فلا اشكال كالحديث الواحد وان تعارضت فان قبلت الجمع جمع بينها وان لم تقبله قدم الاصح فالاصح

ثم ان اتحد الاصح عمل به وان تعدد فان اتفق فكالحديث الواحد وان تعارض جمع بينهما قبل الجمع والا فبعضه منسوخ معين أو مبهم يستدل عليه بما سبق . وان اجتمع في الحكم كتاب وسنة فان اتفقا عمل بهما واحدهما بيان للآخر أو مؤكدا له وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما جمع وان لم يمكن فان اتجه نسخ احدهما بالآخر نسخ به وان لم يتجة فهو محل نظر وتفصيل والاشبه بتقديم الكتاب لانه الاصل الاعظم ولا يترك بفرعه هذا تفصيل القول في أحكام العبادات

اما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها مصلحة الناس كما تقرر

فالمصلحة وباقي ادلة الشرع اما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا فيها ونعمت كما اتفق النص والاجماع والمصلحة على اثبات الاحكام الخمسة (١) الكلية الضرورية وهي قتل القتائل والمرتد قطع السارق وحد القاذف والشارب ونحو ذلك من الاحكام التي وافقت فيها ادلة الشرع المصلحة وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما بوجه ما جمع مثل ان يحمل بعض الادلة على بعض الاحكام والاحوال دون بعض على وجه لا يخل بالمصلحة ولا يفضي الى

(١) قال القرافي في تقييده : الكلمات الخمس وهي حفظ النفوس والاديان والانساب والعقول والاموال - قيل والاعراض - حكى الفزالي وغيره اجماع الملل على تحريمها وأنه تعالى ما أباح العرض بالقذف والسياب قط ولا الاموال بالسرقة والنصب ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المسكرات ولا النفوس والاعضاء باباحة القطع والقتل ولا الاديان باباحة الكفر وانتهاك حرم المحرمات

التلاعب بالادلة أو بعضها . وان تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه ولان المصلحة هي المقصودة من سياسة المكافين باثبات الاحكام وباقي الادلة كالوسائل والمقاصد واجبة

التقديم على الوسائل (٩)

ثم ان المصالح والفساد قد تعارض فيحتاج الى ضابط يدفع محذور تعارضها فنقول كل حكم نرضه فاما ان تنحصر مصلحته () فان اتحدت بان كان فيه مصلحة واحدة حصلت . وان تعددت بان كان فيها مصلحتان ومصالح فان أمكن تحصيل جميعها حصل وان لم يمكن حصل الممكن فان تعذر تحصيل ما زاد على المصلحة الواحدة فان تفاوتت المصالح في الاهتمام بها حصل الالم منها وان تساوت في ذلك حصلت واحدة منها بالاختيار الا ان يقع ههنا تهمة بالقرعة . وان تمحضت مفسدته فان اتحدت دفعت وان تعددت فان أمكن درء جميعها درئت . وان تعددت دري ومنها الممكن . فان تعذر درء ما زاد على مصلحة واحدة فان تفاوتت في عظم المفسدة دفع أعظمها وان تساوت في ذلك فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة وان اجتمع فيه الامران المصلحة والمفسدة فان أمكن تحصيل

« ١ » أي واجب اعتبارها وملاحظتها أولا وبالذات لأنها هي سر الشريعة ولياها كالمعاني بالنسبة الى الالفاظ فان الالفاظ لم تقصد لنفسها وانما هي مقصودة لعمانيها ومن هنا ذهب السلف الى تحريم الخيل فان من عرف قدر الشرع وحكمته وما اشتمل عليه من رعاية مصالح العباد تبين له حقيقة الحال وقطع بأن الله تعالى يتنزه ان يشرع لعباده نقض شرعه وحكمته بانواع الخداع والاحتيال انظر بسط ذلك في اعلام الموقعين (المنار : يظهر أنه سقط من هنا مقابل إما وهو التقسيم الاجمالي المفصل بعد

المصلحة ودفع المفسدة تميز وان تمدد فعل الالم من تحصيل أو دفع
ان تفاوتاً في الاهمية وان تساويها في الاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة

وان تعارض مصلحتان أو مفسدتان أو مصلحة ومفسدة وترجع كل
واحد من الطرفين من وجه دون وجه اعتبرنا ارجح الوجهين تحصيلاً
أو دفماً (٩) فان استويا في ذلك عدنا الى الاختيار أو القرعة

فهذا ضابط مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار)
يتوصل به الى ارجح الاحكام غالباً وينتفي به الخلاف بكثرة الطرق والاقوال
مع ان في اختلاف الفقهاء فائدة عرضت خارجة عن المقصود وهي
معرفة الحقائق التي تتعلق بالاحكام واعراضها ونظائرها والفروق بينها وهي
شبهة بفائدة الحساب من جزالة الرأي

واما اعتبرنا المصلحة في المعاملات ونحوها دون العبادات وشبهها لان
العبادات حق للشرع (* خاص به ولا يمكن معرفته حقاً كما وكيفاً وزماناً
ومكاناً الا من جهته فيأتي به العبد على ما رسم له ولان غلام أحدنا لا يعد
مطياً خادماً له الا اذا امتثل ما رسم له سيده وفعل ما يعلم انه يرضيه فكذلك
ههنا ولهذا لما تصيدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز
وجل وضلوا وأضلوا وهذا بخلاف حقوق المكلفين فان أحكامها سياسية

« ١ » يقرب من هذا قاعدة عظمى أشار لها ابن تيمية عليه الرحمة بقوله :
اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فليُنظر الى
مفسدته وعمرته وغايته فان كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على
الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشارع يحرمه لاسيما اذا كان مفضياً الى
ما يبيغضه الله ورسوله اهـ (*) المنار : اهلها للشارع وكذا ما يماثلها

شرعية وضمت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تحصيلها المول
ولا يقال ان الشرع اعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته لانا نقول قد قررنا
ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلنقدمها في تحصيل المصالح (١)
ثم هذا إنما يقال في العبادات التي تخفى مصالحها عن مجاري العقول
والعادات اما مصلحة سياسية المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم
العادة والعقل فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا انا احلنا في
تحصيلها على رعايتها كما ان النصوص لما كانت لا تفي بالاحكام علمنا انا
احلنا بتامها على القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالمنصوص عليه بجامع
بينهما والله عز وجل أعلم بالصواب : اه كلام الطوقي رحمه الله

(١) قال الامام القرافي: ان المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق
لا نهم بتيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلون شاهدا بالاعتبار ولا نهي بالمصلحة
المرسلة الا ذلك ومما يؤكد العمل بالمصلحة المرسلة ان الصحابة رضوان الله عليهم
عملوا أمورا لمطلق المصلحة لا لثمة شاهد بالاعتبار نحو تدوين الدواوين ثم قال :
ينقل عن مذهبا (بالكية) ان من خواصه اعتبار العوائد والمصلحة المرسلة وسد
الذرائع وليس كذلك . أما العرف فمشترك بين المذاهب ومن استقرأها وجددهم
بصرحون بذلك فيها . وأما المصلحة المرسلة فغيرنا بصرح بانكارها ولكنهم عند
التفريع تجددهم يملون بمطلق المصلحة ولا يطلون أنفسهم عند الفروق والجوامع بابداء
الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون على مجرد المناسبة وهذا هو المصلحة المرسلة وأما
الذرائع فمنها ما هو مجمع عليه ومنها ما هو مختلف فيه 'ه' ولا بن القيم في اعلام الموقعين
فصل في سد الذرائع ذكر فيه تسعة وتسعين مثالا من الشارع في منع الذرائع المفضية الى
المفاسد . ومن توسع في بحث المصالح المرسلة الامام الاصولي الشيخ أبو اسحق الشاطبي
المالكي في كتابه الموافقات فقد جرد الاستدلال عليها والنظر في لواحقها في الحزب الثاني
فارجع اليه ان رمت المزيد على ما هنا : اه ما أورده الشيخ جمال الدين القاسمي حفظه الله

باب المناظرة والمراسلة

الدين والعقل

تابع لرد الشيخ طه البشري على الدكتور محمد أفندي توفيق صدقي بعد اذ أوردنا ما أوردنا مما نرى فيه الكفاية في اثبات ان أصول الدين هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس نرى ضروريا وقد هذفت أكثر من مرة بالقتل في غضون البحث في أمور الدين ان تسكلم باختصار على ما يمكن أن يكون من العلاقات بين العقل والدين

قلنا ان أصول هذا الدين أربعة ، ولم يضاف إليها أحد شيئا آخر بل قصرتها أنت على الكتاب وحده ، فأبي نظر من انظار العقل يراد أن يطابقه الدين في كل جزئياته ؟ . لا يمكن أن يراد بذلك المطابقة ان كل ما يكون واجبا في نظر العقل أو ممنوعا فيه يكون كذلك في الدين . فإنه ليس شيء من الدين بنيت قضائاه على الأدلة العقلية البحتة ، الا بعض أصول العقائد كوجوب الوجود ووجوب الوحدة مثلا من الواجبات ، وامتناع العدم والكثرة مثلا من الممنوعات و بعد ذلك لا يوجب العقل ولا يمنع من قضايا الدين شيئا . وان أراد من العقل نظره الصحيح بالاستحسان لموجبات الدين كإقامة الصلاة والاستباح الممنوعاته كإتيان الفاحشة فذلك لا ريب فيه . ولكن لا يهزب عنك ان هذا النظر شيء واعتباره من أصول الدين التي حصر فيها استنباط مسائله باعتبار كون ديننا مقورا واجب الاتباع شيء آخر . فمسئلة الاستحسان والاستهجان بالنظر الصحيح للعقل الصحيح لازمة لكن لا يمكن أن يبنى عليها حكم شرعي لان مقتضى كونه شرعيا انه مبني على أصول الشريعة التي ذكرناها وليس استحسان العقل واحدا منها باتفاقنا جميعا . على أن العقول من حيث استحسانها واستهجانها لا يمكن ضبطها بحال فان ما يراه هذا حسنا قد يراه ذلك رديئا وبالعكس وذلك لا يفت عند طبقات الحمقى والجاهلين بل كثيرا ما اجتازها الى طبقة العقلاء من أقطاب العلم والسياسة والبصر بفنون التشريع . ولا نحسبنا نكاف أي دليل على هذه الدعوى بل نرى ان أقل نظرة في

التاريخ التشريعي تكفيها مؤونة هذا فان قتل القاتل عمدا الذي اوجبه الاسلام -
 ما لم يعف اولياء الدم - ولا نكح في استحسانك له مسألة فيها نظر بين متشرعي
 الرومان قديما وامة الطليان التي بنيت على اطلاقها والفرنساوين ولا يجاز حدوثا
 فمنهن من انكرت القتل ومنهن من اوجبه ومن هو لياء الموجبات من استحسانه
 بطريق الشق ومنهن من اذنه الا بقطع الرقبة فهل رعى الناس كل هذه الامم
 بالجنون لان اهلها لم تتفق على استحسان شيء واحد بل هو كبر الاشياء في مسائل
 التشريع؟ فما بالك بصفريات الامور وجزئياتها في نظر الشرائع والقوانين فلنسال
 نفوسنا ماذا تكون الحال لو كان استحسان العقل واستمجاها أصلا من أصول الدين
 التي يرجع اليها في استنباط أحكامه هل نستطيع ان نجد اثنين يتفقان على حكم
 واحد من هذا الدين؟؟؟

الاسلام ولا شك دين الفطرة أرسل الله به رسوله وهو تعالى الحكيم في تقديره
 العليم بما فيه مصالح الناس على تمايز طقوسهم وتناهي ديارهم وبسط اهم على لسان
 نبيه من التقرير والبيان ما يقف بالنفوس دون رؤية الشيء الواحد على كثير من
 الوجوه والالوان كل نفس بحسب ما تهديها نزعتها بحيث يكون الحسن عند قوم
 قبيحا عند آخرين بلا أدنى مستمد لذلك الاستهجان أو الاستحسان كما يقع من
 الامم التي لا ترجع في أمور تشريها الى أصل واحد
 فالدين باعتبار كونه شرع الله الحكيم العليم بما يلائم في أحكامه الفطر السليمة
 وهي ولا ريب لا تناقض بحال لانه لها كالميزان فاذا نابذته النزعات فاذا اعلى الميزان
 اذا لم يوف الموزون؟ فليس من الصواب انه تتبع نزعة كل هوى تستحسن أو
 تستهجن ونحاول انه مجري عليها أحكام الدين فاذا نافرته قلنا انها ليست دينا
 لانها خالفت العقل والصواب !!!

قلنا ونقول ان أصول العقائد الدينية انما بنيت على أدلة عقلية محضة كافية
 في اثبات الالهية ان لا يؤمن بها ومعجزات لا سبيل للعقل الى مصادرتها
 كافية أيضا في اثبات دعوى الرسالة ، فاذا اقتنع المكلف بهذا القدر وآمن بأن
 هناك آله حكما متصفاً بصفات الكمال منزها عن صفات النقص وانه أرسل

رسولا موصوما بلغ الناس رسالات ربه الكفيلة بسماذتهم وعزهم في كلنا نشأتهم
انصرف ولا مزية كل همه الي تحقيق ما جاء به هذا الرسول الامين عن ربه
الحكيم للعمل به ، فأدلة العامل بعد ذلك سماعية حاجة المجتهد الي البحث فيها
من حيث صحة النقل وعدمها ليعلم ان كانت من الرسول أو ليست منه ، وعلى هذا
فالعقل الكامل لازم للمجتهد بلا جدال يتدبر به معاني الاحكام ، يرجع بالفروع
الي أصولها المقررة ، وبالجزئيات الي كلياتها الثابتة ، ويفصل المجلد في الكتاب
بالمفصل من السنة ، ويستظهر الخفي منه بالجلي منها ، والبحث عن علل الاحكام
الظاهر ليقيس غير المقرر على المقرر منها ، وغير ذلك من عمل المجتهد في استنباطه
من الكتاب والسنة وأخذة بالقياس وانتظامه في سلك الاجماع التي هي أصول
الدين على انه شرع الله الذي بسطه فيها ، وحصره في دائرتها

استغفر الله ان يكون في ديننا مالا يحتمله العقل ، ولا يسعه تصور . بل
نحن قررنا ان العقل السليم مستحسن لكل ما جاء به الدين الحكيم مستهجن
لكل ما نهى عنه الشرع القويم

واذ كتبنا ما نرى فيه الكفاية فيما يتعلق باصل الموضوع ننتقل بك الي
تحيص ما بنيت عليه من المسائل والله الكافي المعين

مبحث الصلاة

جاء اليها القرآن بها إجمالا ، وفصلتها لنا السنة تفصيلا ، أمر الله بها في
كتابه ، وعلمها جبريل لنبيه نعليما عمليا وهو عليه السلام علمها الناس وبلغها لهم
وقتا وحدا وعدا ، اذ صلى بهم الصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة ، الظهر والعصر
والمساء أربعاً والمغرب ثلاثاً والصبح اثنتين ، وواظب عليها كذلك الا في خوف
أو سفر وأمر باقامتها بالقدر الذي أقامها به بمثل قوله (صلوا كما رأيتموني أصلي)
وشدد فيها واكد ، ووعدها وأوعدها ، وميزها بأنها الفرض المحترم من بين ما سن
من سنن وزاد من نوافل ، فامتازت بنفسها بين جميع الصحابة والتابعين لهم
ومن بعدهم الي يومنا هذا ، والقول بأن الصحابة لم يميزوا بين القدر الواجب
عليهم من غيره في أقهى منازل الفريضة ، وكيف ذلك وهم المجهون على ان

تارك النوافل مثل ما قبل مفروضة الصبح وما قبل الظهر وبعده وما قبل العصر
لا شيء عليه عند الله والناس مع اجماعهم على ان من زاد على المفروضة أو نقص
عنها مثل أربع الظهر وثلاث المغرب عمدا بطلت صلاته ومع اجماعهم على ان من
نوى اثنتين في النافلة فصلى أربعا لا تبطل صلاته أليس ذلك لتفريقهم بين
الواجب وغيره؟ وما اجماع من بعدهم على التمييز بين الفرض المحتوم من الله
والنفل المتطوع به من عند أنفسهم الا بعد تمييزهم هم.

أدرجت في مطاوي كلامك انك لا تحتاج بعمل الصحابة (لأنهم لم يميزوا
بين الواجب وغيره بل هم انما كانوا يحافظون على كل ما رآوا النبي يحافظ عليه)
ولا يذهب عنك ان النبي عليه السلام كان يحافظ أيضا على الذي يسميه المسلمون
بالنوافل، فكيف يجمعون على ان الآتي بهذه والتارك لها لا حساب عليه؟ لا
أتمس ان أجادلك في هذا بما يخرج عن دائرة كلامك، بل مما قلت من ان
(كم من أشياء كان يحافظ عليها النبي ولم يقل أحد من المجتهدين بوجودها
كالضمة والاسنثاق) والصحابة كلهم مجتهدون بلا خلاف، فهل مع هذا
يقال ان الصحابة لم يميزوا بين الواجب وغيره؟ نعم هم فرقوا الواجب من
غيره في الصلاة مثلا فرقوا بينها في الوضوء كما سلف

صلى النبي عليه السلام رباعية وسلم في الثانية فألفت ذلك جميع الصحابة،
وابتدره منهم ذو اليمين بقوله (اقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله) فأجاب
صلى الله عليه وسلم أنها لم تقصر ثم أتى وسجد للسهو. ولو كان الواجب يتم
بالركعتين ما سأل الصحابي بقوله أقصرت الصلاة، وأي معنى لقصرها غير كونها
نقصت فرضا عن القدر الذي كان مفروضا؟ ولو كان أقل الواجب ثنتين كما
ترى ولم يعرف ذلك الصحابة كما أشرت - هل كان يجيب عليه السلام بانها لم
تقصر - أي لم تنقص عن القدر المشروع؟ - بل ويترك صحبة في مثل هذا
المقام لا يعرفون القدر الواجب عليهم بل ويزيدهم بمثل هذا الجواب رسوخا بأن
القدر الواجب عليهم انما هو أربع ركعات لا ركعتان وتعلم ان وظيفة الرسول البيان،
وتلك تعمية تضاده كل التضاد والرسول الكريم أفطن قلبا وأعصر دينا وأفصح

لساننا من مثل هذا على أنه قد بلغَ وقل « بلغت اللهم أشهد » مع نهاية البيان لقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » وقوله تعالى « وأنزلنا إليك الذكرك لتبين للناس ما نزل إليهم » وليس من التبليغ المخفوف بالبيان أن يدع صلى الله عليه وسلم صحبه الكرام يعيشون معبدين بما لا يفرقون بين واجبه المشروع المفروض عليهم من الله ، ونقله المتطوع به من عند أنفسهم ، لهم ثوابه ، وليس عليهم حسابه ،

دعا النبي عليه السلام مؤكدا مشددا الى إقامة الصلوات الخمس (أي المفروضة المبدوءة بنحرمة واحدة المنهية بسلام واحد) وأبان أنها الفرض المشروع من الله ، وواظب عليها كما قلنا طول حياته ، الثمانية منها والثلاثية والرابعة من غير زيادة فيها أو نقص عنها (الا في خوف أو سفر) ولم يبين أن بعضها منها مزيد فيه على القدر الواجب ، فتعين أن تكون هي كلها القدر الواجب ، ونحن نكتفي الآن بهذا القدر من الأدلة ونرجع بنظرة إلى ما اختلج بنفسك من الشبه التي لولاها لم تكن لتشدّ عما عليه إجماع المسلمين من عهده عليه السلام الى عهدنا هذا دون أن يترضهم فيه شك ، أو تهتورهم دونه شبهة والله سبحانه الموفق ادعيت أن القدر الواجب في الصلاة ركعتان مستندا على قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) الآية بناء على أنه استفاد منها أن القصر أي ما دون الواجب ركعة ، فيكون أقل الواجب ما فوقها أي ركعتين من غير تحديد للطرف الأعلى ، وبعبارة أخرى أن الانسان غير مكلف بأكثر من اثنين الركعتين الخ ونقل أن الآية في ذاتها لا يمكن أن يؤخذ منها أن صلاة الخوف للإمام ركعتان أو هي للمؤمنين ركعة ، بل غاية ما يؤخذ منها أن طائفة تقوم مع الإمام ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصلي معه ، ولكن كم ركعة يصلي الإمام أو المؤمنون ؟ هذا ما لم تنص عليه الآية الكريمة ، بحيث لو لم تبين السنة لما تسمى أن يمنع مدع بأن المفروض على كل طائفة أن تصلي أربعا أو سنا مثلا فن أين جارك أن كل طائفة تصلي مع الإمام ركعة واحدة ؟ إن قلت السنة قلنا لك هي

بمعناها حتمت علي المؤمنين في صلاة الخوف أن ترجع كل طائفة فتصلي ركعة أخرى بناء على الأولى بحيث تبلغ صلاة كل من الإمام والمؤمنين ركعتين ، وهذا هو القصر بعينه ، ولا يجادل في ذلك ابن عباس وعجابه وجابر بن عبد الله الذين استشهدت بهم ، فقولك ان القصر ركعة واحدة دعوى لا دليل عليها بل قام الدليل على خلافها من الكتاب نفسه ، بل من الآية عينها لان قوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية خطاب للنبي عليه السلام ومن معه ، بل لكل امام ومؤمنين في خوف ، ولست تنكر بل قد صرحت أن الإمام في هذه الحالة - حالة الخوف - يصلي ركعتين مع كونه يقصر ، ولا يقال انه متم بعد أن تناوله الخطاب بالقصر كما تناول غيره من المؤمنين لقوله تعالى (أن تقصروا) فثبت أن الركعتين في تلك الحال قصر ، فأندفعت الدعوى بان القصر إنما هو واحدة ، فاقول بان الواجب في الصلوات الخمس - في حالة الإتمام منقضى بناؤه لانه مدمم ما دعت له من أساسه ، على أننا لو سلمنا لك ان القصر ركعة واحدة ، بل وفرضنا ان الكتاب نفسه - نص صريحاً على ذلك ، فاي تلازم هناك بين كون القصر أي مادون الواجب - على مقتضى تعريفك - واحدة وكون الواجب أقله ثنتان ؟ ولم لا يكون الواجب - مع هذه الحال - ثماني ركعات أو عشرة مثلاً لولا السنة ؟ على أنها لم تقدر للواجب حداً أقل أو أكثر ، بل بينت القدر المفروض بعينه المشروع على سبيل الوجوب من الله تعالى ككون المغرب ثلاثاً والمشاء أربعة ولا نقصان

(١) قلت ان أول ما فرضت الصلاة كان النبي يصليها ركعتين ركعتين ، وأخذت ذلك دليلاً على انه عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين في ذلك الوقت الا لبيان انهما أقل الواجب ، ثم زاد عليها فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ونظمت ما اعتمدت في صحة هذا الاعلى حديث عائشة رضي الله عنها ، ولو أنك اتخذته حجة لك لانخذناه نحن حجة عليك قالت (أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر وزيدت في الحضر) فلم تقل أنها أول ما فرضت كان عليه السلام يصليها ركعتين ركعتين « حتي يفهم من قبلها أن

اقتصار الرسول اذذاك على الركعتين كان من عند نفسه لبيان أنهما أقل الواجب، بل قالت أنها فرضت أولا ركعتين، وهذا صريح في أنها فرضت بعد غير ذلك «أي ركعتين وثلاثا وأربعا» وأكدت هذا المراد بقولها فأقرت في السفر وزيدت في الحضر، ولا سبيل للقول بأنها زيدت أي فوق القدر الواجب، بعد قولها «فرضت ركعتين» ولا للقول بأنها أقرت في السفر أي اكتفي بها لأنها القدر الواجب مطلقا، مع العلم بان النبي عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين المشروعتين إبان السفر، بل كان يزيد عليهما من التوافل ما تعود أن يزيد في الحضر، فتعين أن يكون المراد بقولها أقرت في السفر أن فرضها كان اثنتين بلا زيادة واجبة، وكونها زيدت في الحضر أن الزيادة التي بانف بها الصلاة ما فوق الركعتين واجبة كإياها بلا نقص فيها، أما ما استعرضت على قبلك من الشبه وتكلفت الرد عليه فإنا نهنئك منه

(٢) رأيت أن قصر الصلاة مخصوص بالخوف بناء على أن قوله تعالى (إن خفتم أن يفتكم الدين كفروا) قيد لا يجوز التفات منه، فكل ما كان في غير الخوف - ولو في سفر - فهو آثم، فصلاة النبي عليه السلام في السفر - ولو كان قصيرا جدا - ركعتين ركعتين لم تكن قصرا بل اكتفاء بالواجب إذ كان القصر مخصوصا بحالة الخوف

ونحن لا نعارض في أن الآية صريحة في اباحة القصر عند الخوف، بل ولا نص خاص في الكتاب على اباحة القصر في غير تلك الحال، ولكن عدم النص على شيء من الكتاب لا يدل على عدمه مطلقا، فقد نصت على ذلك السنة، ومقامها من التشريع ما قد عرفت، ونعارض في كون الآية قيدا، بل نقول أنها لمجرد بيان الواقع والحال التي كان عليها النبي عليه السلام وأصحابه يومئذ، ولست فنكر أن مثل هذا كثير في الكتاب نفسه من مثل قوله تعالى (وربأبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلن بهن) فإن الربايب محرمات مطلقا، وكونهن في الحجور ليس قيدا أصلا بل هو لمجرد بيان الواقع، وقد سئل النبي نفسه فيما سألت فيه، فأجاب عليه السلام بما أجبنا به، وإذا حاولت أن لا تقتنع

يكون هذا القيد لبيان لواقع ، ولم نشأ أن نخرج هذا الخبر حينئذ بمثله من الآية
نفسه سبقتنا بالإشارة عفووا الي أنه ليس قيداً ، بل هو لمجرد بيان الواقع حيث
قلت (فصلاة الا امام في الخوف ركعتان الخ) عند ما أوردت قوله تعالى او اذا
كنت فيهم فامت لهم الصلاة) الآية ولم تقيد بكون هذا الامام هو النبي عليه
السلام لا غيره كما هو ظاهر هذا القيد (اذا كنت فيهم) فاذا قلت ان صلاة الخوف
عامة كما هو ظاهر كلامك - لزمك أن تقول ان هذا القيد لا مفهوم له بل هو
انما كان لمجرد بيان الواقع ، واذا أبيت الا أن يكون له مفهوم أي أن مقيد
صلاة الخوف يجب أن يكون هو النبي لا غيره . اذا كان قيام طائفين من المصلين
في خوف مقيدا بكون النبي فيهما - لزم أن يكون قولك (فصلاة الخوف للامام
- مطلقا طبعا -) لا مفهوم له

وأما صلاته ركعتين ركعتين في السفر فسلم ، ولكن كون ذلك اكتفاء
بالواجب أي ليس قصرا غير مسلم ، وكيف يكون ذلك اكتفاء بالواجب مع
ملازمته في غضون أسنانه للنوافل التي لاخلاف بيننا وبينك في انها فوق
الواجب أي انها من التطوع المتبرع به ؟؟؟ ولو انك أنكرت ملازمته عليه السلام
لنوافل اثناء سفره فقد أنكرت لزوما اقتضاه «في المفروضة» على الركعتين لان
مصدرها واحد .

ومما لا يحسن تركه هنا انه عليه السلام لم يصل المغرب ركعتين أبدا في
حضر أو سفر ، بل واظب على صلاتها ثلاثا في الحالتين جميعا ، ولو كان اقتضاه
على الركعتين في السفر اكتفاء بالواجب - لاشيا آخر - لما كان هناك موجب
لتمييزه المغرب عن بين اخواتها باقامتها ثلاثا ، بل لا كفي فيها بثنتين في
ضمن ما اكتفى

«٣» استدلت على ان ما بعد الركعتين (في الثلاثية والرابعة) زيادة عن

القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة .

وتقول ان عدم الجهر بالقراءة في الركعة ليس دليلا على عدم وجوبها ، والا
لزم ان تكون صلاتا الظهر والمغرب غير واجبتين رأسا ، لانه لا جهر فيهما أصلا

علي ان الجهر وعدهه ليسا من الفروض التي لا تقوم الصلاة الا بها ، بل هما من الهيئات التي لا تختل هي بدونها ، وأيضا فان قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة ليس دليلا على وجوب ما قرأ فيه ، كما ان عدمها ليس دليلا على عدمه ، والا لكانت كل النوافل التي صلاحها النبي عليه السلام مقفيا على أثر الفاتحة فيها بشيء من القرآن واجبة ولكنك معنا لا تسلمه . هذا وقراءة قرآن بعد الفاتحة ليس مما تدوقف عليه صحة الصلاة مطلقا ، بل المطلوب الذي هو ركن في الصلاة بحيث تختل بدونه هو قراءة قرآن لقوله تعالى (فاقروا ما تيسر من القرآن) وقد قدره أبو حنيفة بآية ، وعينه الشافعي بالفاتحة كلها لما وصل اليه وصح عنده من نحو قوله عايه السلام « لا صلاة لمن لم يقرأ بأيام الكتاب » ولا خلاف في ان ما بعد الفاتحة ليس ركنا من الصلاة وان ورد انه الاكمل في الركعتين الاوليين من الصلوات الاليلية ، وكونه الاكمل فيهما لا يستدعي ان ما بعدها ليس واجبا .

« ٤ » استدلت أيضا على ان القدر الواجب ركعتان بعدم ملازمة النبي عليه السلام لعدد مخصوص من الركعات (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) اذ كان ثارة يزيد وثارة ينقص وكذلك باختلاف عدد الركعات التي كان يصليها في الاوقات المختلفة من اليوم ككون الصبح كذا والظهر كذا (المفروض والمسنون معا) ولكن الملاحظ انه ما صلى أبدا أقل من الركعتين ، ولم يتقيد بعدد مخصوص فوق ذلك فتعين ان يكون القدر المفروض ركعتين ليس الا

ونقول ان العبادات كلها وفي جملتها الصلاة منشقة الى فرض محتوم ، ونفل متطوع به ، ونحن لانكلف أنفسنا هنا حشد الأدلة على ذلك اليك ، ولا نرانا نعيما بأن نسوق - ان شئت - ألف دليل ودليل من كل مصدر ترى فيه مقنعا ، واذا أبيت التمسنا ذلك من كلامك ،

قلت في عدة مواضع (ان أقل الواجب ركعتان) والواجب رعاك الله لا يكون فيه أقل وأكثر ، اذ لو كانت الركعتان هما الواجب المطلوب حتما من العبد الذي يخرج بادائه من عبادة التكليف فلا يتصور ان يكون ما زاد عليهما واجبا ، والا لكان المتعصر على الركعتين غير قائم بالواجب وأنت لا تسلمه ، ولو كان الاكثر

من الركتين كالثلاث أو الأربع هي كلها الواجب، لكان المقتصر على الركتين كذلك مقتصرا على مادون الواجب، فيكون كذلك غير قائم بالواجب وأنت أيضا تعارضه، فتبين ان يكون المراد بقولك (أقل الواجب ركتان) ان الركتين هما الواجب الذي لا يجوز للمسلم ان ينقص منه، وان ما فوقهما فوق الواجب وبعبارة أخرى انه ليس واجبا، بل قد صرحت بهذا المراد في قوله (فمن عرف ان الواجب عليه ركتان فصلي أربعاً شكرناه الخ) وإذا كان القدر الواجب المفروض من الله هما الركتان تبين ان يكون كل ما زاد عليهما نفلا أي زيادة متطوعا بها، ولا عليك ان تسمى سنة ولا علينا ان نسميها زيادة أو نفلا. بل الذي بهما ان هذه السنة أو هذا النفل أو هذه الزيادة غير الفرض أو الواجب، فقولك (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضاً) يجب ان تصرف النظر عنه لأن الصلاة بذاتها صرفنا النظر أو لم نصرف أما سنة وأما فرض امتاز كل منهما بنفسه.

وأما من حيث وقوع الزيادة والنقص اذا سلمناها فهي لم تقع أصلا الا في الذي امتاز بآية النفل، اذ المتفل أو المتطوع له ان يزيد على تطوعه أو ينقص منه أو لا يقوم به رأسا، مادام عمله في ذلك مجرد اكتساب الثوبة، لا الفرار من العقوبة، وأولئك الذين نقلت عنهم ان النبي عليه السلام كان قارة يزيد وتارة ينقص - في النافلة طبعا - قد نقلوا ايضا نقلا متواترا لا شبهة فيه انه لم ينقص شيئا (عمدا) ولم يزد على القدر الذي امتاز بآية الفرض المشروع، بل وانظرب صلى الله عليه وسلم طول حياته الكريمة على اقامة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاثا (الا في خوف أو سفر) لان نقص الفرض الذي ضرب به الله على الناس والزيادة فيه تلاعب بما فرضه الله وحده، ومن ثم أجمع السكك على بطلان صلاة المصلي على تلك الحال كما قلنا، فالملاحظة - اذا لم يكن منها بد - يجب ان توجه الى كون النبي عليه الصلاة والسلام لم يلزم في بعض الصلاة - أي النفل - حالة واحدة، بل كان تارة يزيد وتارة ينقص، فدل ذلك - في جملة ما دل - على انها ليست فرضا محتوما من الله، وكونه لازما في بعضها - أي الفرض - حالة واحدة متقيدا بمحدد مخصوص لم يزد عليه ولم ينقص منه اذ صلى دائما في

المكتوبة (الافي خوف أو سفر) الصبح ركعتين، والظهر والعصر والمشاء أربعاً، والمغرب ثلاثاً، فدل ذلك - في جملة ما دل - على انها القدر المفروض الذي لا مفر شرعاً منه، ولا متنكب لمسلم عنه، مصححاً هذا النقل بشهادة كل الأمة، توارثوه عنه عليه السلام جيلاً بعد جيل، وتناقلوه قبيلاً بعد قبيلاً،

باب التوسل والتعلم

﴿ خاتمة كتاب أميل القرن التاسع عشر ﴾

من الدكتور وارنجتون الى زوجته

عن لوندرة في ١٥ مايو سنة ١٨-

شهدت بالأمس أيتها الحبيبة العزيزة عبداً أهلياً أقامه الدكتور أراسم وزوجته احتفالاً ببلوغ ولدهما الواحدة والعشرين من عمره وكان عددنا اثني عشر صديقاً. كان العيد وليمة رجال زانتها المهابة والوقار ولم يمنع كونها كذلك من انتعاش جميع قلوب المدعويين ابتهاجاً وسروراً وفي ختام المائدة ابتدأ رفع الاقداح لتعاطي الراح على محبة «أميل» فقام أراسم واستأذن في أن يقرب نخب ولده وما رأيته في حياتي أفصح مقالاً منه حينئذ فقد أفاض في القول عن الفروض التي تجب على الشاب في معيشته القومية وعن التربية ووجوب أن تكون عمل كل منا في جميع حياته وعن الازمان الحاضرة واقتضاها من الفكر أن يستمسك بالآراء المؤسسة على البحث والاختبار وان يثبت عليها وبالجملة فليس في وسعي أن أودي اليك أثر هذا الخطاب الأبوي الذي كانت مزينة الكبرى أنه لم يكن كخطب الخطباء وما فرغ منه حتى اتجهت جميع الابصار نحو «أميل» وأنت قد استقطمت من منذ عوده من الكثرة ان تعرفي ما هو متحمل به من ثبات الرأي وعلو الآداب وسعة المعارف فشكر لاصدقاء أبيه أن تفضلوا باجابة الدعوة الى هذا العيد البيتي الحميم بمبارات تشف عن اطيف ذوقه ومزيد تواضعه ثم ارتقى الى الكلام عن

بعض المسائل العامة فيمن الخطة التي يؤمل أن يسير عليها في الناس بألفاظ جلية مؤدية تمام المعنى

وقد أحسن كل من سمع قوله بأن جميع ما فاه به صادر عن فكره المستقل ثم تماقبت الكؤوس ونوالت الانتخاب وبينما كنا على أهبة القيام من المائدة التفت «أميل» إلى والديه وأذنهما بأن لديه خبرا يريد أن يعطيهما إياه وقد لونت جبينه حينئذ حمرة الخجل مع أن ملامح وجهه كلها كانت تعرب عما فيه من ثبات الرجولية

ما كان أشد دهشي ودهش الحاضرين إذ سمعناه يقول بصوت قوي على ما فيه من الاحتشام أنه من الامس متمق مع دولوريس على الزوج بها ثم أعقب هذا الأخبار أن أعني أمام والديه قائلا «هل لي أن أرجو منكما استحسانكما لهذا الاختيار»

هنالك غشيت وجني الفتاة السمراوين سحابة من حمرة الخجل وأغضت عينها فلا لآت بين أهدابها السوداء الطويلة عبرات الفرح والهناء لم تجد السيدة هيلانه جوابا لمسة ابنتها الا اكباها على عنقه تقبله وقد كادت تخنق سرورا واغتيطا وأما إياهم فانه مع تأثرة مثلها مما سمع من والده كان أملاك منها لعواطفه، أجاب والده بصوت ينبي عن سكينته ووداعته فقال: «إذا كنت تحبها فهي ابنتي» ثم قبل هذه الفتاة الحسناء بصدر منشرح ونفس منبسطة في خلال هذا المظر المؤثر طرقت البريد باب الشارع طرقتين فاضطرب كل من في البيت وكان يحمل رسالة كان يرى من غلافها أنها آتية من بلاد بعيدة. كانت هذه الرسالة «لأميل» فاستأذن في فض ختامها لأنه مالبث أن عرف في عنوانها خط قويدون وقرأها وكانت بالانكليزية الركيكة - انكليزية زنجي - فاذا هي تتضمن تهنئة من هذا الأفرقي البار «لأميل» بعيد ميلاده ورجاءه كما هي العادة في عود كثير من أمثاله عليه بالغبطة والهناء وتشتمل فوق ذلك على خبر سار وهو أن الزروع التي زرعت في أرض «لولا» قد نجحت بفضل حذقه وحذق زوجته وانهار بما كفلت لها صداقها عند الزواج

أني على جذلي باغتيال أصدقائنا محزون لتفكري في مفارقتهم لنا لان هذه
الوليمة العيادية كانت وليمة وداعي أيضا فهم راجعون الى فرنسا حيث يدعوهم
اليها ما وقع فيها أخيرا من الحوادث السياسية وحب مسقط رؤوسهم وأني مشيعهم
بأحسن آمالي لهم لست أنسى كلمة من كلمات إراسم الأخيرة التي فاه بها عند
مصافحتنا بصوت ملو الوقار والهيبة وهي قوله : « على كل من أن يسمي في جعل ولده
رجلا حرا فانا بذلك نجث جرائم الشرور المحزنة الامة . . . اه

فرغ من تعريب هذا الكتاب المفيد قبيل ظهر يوم الاثنين أول جمادى الثانية
من سنة ١٣٢٤ للهجرة النبوية الموافق لثالث والعشرين من شهر يولييه سنة ١٩٠٦
للميلاد المسيحي وقد عزمت بحول الله على جمعه وطبعه كذا باسمه نقل أسأله سبحانه
التوفيق والهداية للرشد
المعرب عبد العزيز محمد

استدراك أو تصحيح

سقط من المکتوب العاشر الذي نشر في الجزء الماضي نبذة موضعهما بين السطر
التاسع والعاشر من ص ٧١٦ وهذه هي بنصها :

اذ قال : لكن لن يعدم المغلوبون سلاحاً فالذي يبقى من السلاح في أيدي
الأمم المغلوبة هو الخطابة وبث الافكار والمقاومة المعنوية وان تخضع الحكومة
رعيتها ماداموا لا يستكينون للخذلان نعم انها تستطيع في ليلة واحدة ان تسلب
حقوقهم وأموالهم وتعدم من يسخطونها منهم وترهب اندالهم وتخذع جهالهم
واكن هيات ان يكون هذا هو ظنرها النهائي بهم عنوة . لا انظر بهم الامي
ازهقت روح الكرامة الانسانية من نفوسهم . الامة الحرة وهي أمة المستقبل تزيد
وتنمو في ظل حكومة الاستبداد وستنصر اذا تقوت بما نكسبه من المعارف وما
يوجد فيها من عواطف الانصاف التي تخلص اليها من البحث في حقائق الامور
وبها تستفيد من القوى التي يختمسها العلم من الطبيعة

لا ريب في انه ليس كل واحد من الناس مخلوقا لان يودي عملا سياسياً فلا بد
فيه من ملكات وميل خاص ولكن لسكل انسان بل عليه ان يرتأي لنفسه رأيا في
مصالح عصره وبلاده ولست ملزما بان تأخذ بشيء من ماضي ولا من آرائه وكل

جيل مستعد لان يعمل عمله بنفسه وملزم بان يسترشد فيه بما يستجد من حاجات
أمنه وانا عليك ان تعلم انه لا يكفيك ان تظمن في الاوضاع القديمة لهدم بنيانها
بل لابد ان يثبت لك العلم كذبها أو عدمها واذا أردت ان تظفر بخصمك

الدعوة الى المدرسة الجامعة

هذا ما كتبه اللجنة التي كانت انعقدت في دار سعد باشا زغلول ونشر في الجرائد

وهو من إنشائه

ظهرت بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم
انتشارا في جميع طبقات الامة ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم
فانه غير كاف للقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف
لا تفي بمطالبها ولذلك النجأت الحكومة لان تحرك همم الافراد وتبرز من غيرهم
لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها وتسابقوا الى الاكتاب في انشاء
المكاتب وأقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم نعودهم على القيام من أنفسهم
بمثل هذه الاعمال فانه لا يمر يوم الا وترى فيه انشاء مكتب جديد في جهة من
جهات القطر ولا يبعد أن نرى عما قليل ان هذا الفراغ قد نما وأزهر فتعجبي
أولادنا ثماره ولكن من الالاف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيرا بنشر
التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل أهملوه إهمالا تاما
ولا نشك في أنهم انما اهتموا أول الامر بما رأوا أن الحاجة شديدة اليه وأنهم
لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هناك نقصا في التعليم
يجب عليها سده وتردد في خواطر كثير من أفرادها منذ عشر سنوات تقريبا
انشاء جامعة وأخذت هذه الفكرة مكانا عظيما من اهتمامهم حتى شرعوا عدة
مرات في تحقيقها غير أنهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى
يخرج من عالم الامل الى عالم العمل

في هذه السنة هب في الرأي العام ثيار من نفسه لتحقيق هذه الامة لان

الامة اتبعت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائرتة ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصر فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بديعة واختبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماء في أوروبا ولا يصل اليها منها الا صداها الضعيف فمنها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالبيئة الاجتماعية وما يبحث فيه عن لغة الانسان وعن الآداب والفلسفة والشريعة والتربية وكل ما يهم ماضي الانسان وحاضره ومستقبله هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئا منها ولا يهتم بما كمل منها ولا بما هو سائر نحو الكمال وأبغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الأورباويين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام ان جميع الذين يشمرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن التعليم يجب أن يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان أمتنا لا يمكنها أن تتقدم في صف الامم الراقية لمجرد أن يعرف أغلب أفرادها القراءة والكتابة أو أن يتعلم بعضهم شيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة بل يلزم أكثر من ذلك

يلزم أن شباننا الذين يجدون في أوقاتهم سعة ومن نفوسهم استعدادا يصعدون بهتولهم ومداركهم إلى حيث ارتقى علماء تلك الامم الذين يشغلون آناء الليل وأطراف النهار بالهدو والسكينة لاكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم هذا هو العمل الذي نريد أن نشرع فيه ونطلب المساعدة عليه من جميع سكان القطر

نحن نعلم أن عمل الحكومة وحده لا يفي بكل حاجتنا وأنه مهما كان لديها من ارغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الأفراد لها ولذلك نأمل أن يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مهما كان جنسه ودينه

ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليه ولذلك وجب علينا

أن نبين بالأجمال المقصود منه

(أولاً) ان الجامعة التي نريد انشاؤها هي مدرسة علوم وآداب تفتح أبوابها

لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه

(ثانياً) ليس لهذه الجامعة صبغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا

المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما ليس بها على أي وجه كان

(ثالثاً) ان اشتغال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي المالي

والتجديزي والابتدائي وان كان من أقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في

تحقيقها عاجلاً أو آجلاً ومن ضمن ما ترمي اليه غايتنا متمسكراً الآن لانه يكون

مشروعاً جسيماً جداً وتنفيذه برمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالا ونظامات

لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بد من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يمكن

عمله وتقديم ما الحاجة اليه اشد من غيره

نرى أن التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد

بمقدار ما يفي بحاجاتها على حسب الامكان ويظهر أنه يمكننا بدون أن نخشى

ضرراً أن نؤجل الاشتغال بهذه الأنواع الثلاثة من التعليم وان نوجه جميع مساعينا

الآن الى تأميم دروس عالية مما لا وجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه

دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ما كانهم وتهذب

عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في أنواع ما يتلقون منها

دروس تؤخذ عن أساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي أوروبا تحت

ادارة لجنة علمية يرأسها رجل من أهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة

للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها وأهميتها يتعلق بما يكون للجامعة

من الأيراد

(رابعاً) يلزم أن يكون للجامعة نلامدة خصوصيون وهم الذين يقيدون أسماءهم

في دفاترها ويلزمون تلقي الدروس فيها المدة التي نقرر لها ويمتحنون فيها

ويحصلون على شهادتها وتكون لهذه الشهادات قيمة أدبية مع الامل أن الحكومة

تمنحها المزايا التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فانه يباح لكل راغب

في التعليم من غير هؤلاء التلامذة أن يحضر دروسا لها ليفقه في العلم وليقتبس منها ما يتم به كماله العلمي
 (خامسا) أن جمعية المكتتبين تاتخب لجننتين احدهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بنوازم التعليم فيها والاخرى لجمع الاكتتابات من المتبرعين هذا هو مشروع أول من اكتبوا لتأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجده البعض كبيرا عليهم محفوفا بكثير من الصعوبات التي اعتادت أن تقوم في وجه كل مشروع فقف به دون الغاية فنقول لهؤلاء اننا سندهى جهودنا لتحقيقه وإذا سعى كل سعيانا فلا شك في نجاحه لأنه لا معنى للنجاح في مثل هذه المشروعات إلا أن يتحد الكل ويعمل الكل فكل رأس يدعو الى الحبة وكل أمل يدعو الى النجاح على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطالب فاننا نرحو الله أن يوفق لانمامه غيرا ممن وهب لهم همة أعلى وفكر أسمى وحزما أقوى وأملا أوسع

وبعضهم وهم الاكثريون مشروعنا جزئيا ليس له من الأهمية ما كانوا يرغبون فنقول لهؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العامل مقدار قوته وان التدرج في الاوراق الى النجاح فيها من الطفرة واتأني في السير أضن للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيه وتوسيع حاله فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيه بان في قوتنا أن نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضعنا أيدينا في أيديهم وسرنا جميعا متكاتفين الى تلك الغاية السامية والله ولي التوفيق اه

(الانار) ان اللجنة التي اجتمعت لأول مرة في دار سعد باشا زغلول ونشرت هذه الدعوة قد انتخبت أعضاء الدعوة وحات سعدا وكيل الرئيس الذي أرحي انتخابه ثم إن سعدا عين ناظرا للمعارف العمومية فاضطر الى الاستقالة من الوكالة لان ما حدث له من الشغل الكثير يمنعه من القيام بكل ما تنتضيه ولكنه لا يزال يساهم اللجنة وقد اختير قسم بك أمين وكيلا للجنة بمده وهو قريبه في المهمة ذاتها ويرحى ان يكون الرئيس من الامراء وعلى الله المتكفل في نجاح العمل

أنا عبد الحليم

كيف يكون النقد (*)

﴿ كلام في كتاب التعليم والارشاد ﴾

— ومسائل شتى —

وقع نظري على كتاب ظهر في هذه الايام عنوانه « التعليم والارشاد » كتبه « السيد محمد بدر الدين الحلبي » قرأته فسرني ان مؤلفه كتبه بتفكر والمتشكرون قليل ولم يسؤني ان كثيراً من نتاج ذلك الفكر تأباه الادلة وتشكره معارف العارفين لان المؤلف ليس أول واحد ذهل أو أخطأ بل بنو آدم شرع في وقوع الخطأ منهم ولا يخلص من مثل هذا إلا من أخلصهم الله من عباده المصطفين .
وسرني ان كاتبه لم ياب ان تنتقد آراؤه التي حررها فلماذا أقدمت على مالا يسوءه من نقد هذا الكتاب .

اشتهر عند الناس ان معنى النقد والانتقاد هو الذم والطعن وليس كذلك وإنما النقد هو التمييز وكشف خوافي الشيء وتعرّف الجيد والردىء فقد تنقد الشيء فتقول هو حسن وقد تنقده فتقول هو ردىء وقد تقول غب النقد ان فيه ما يصلح وما لا يصلح . وفوائده كثيرة أهمها حمل الكاتين على التحري والاجادة ومحاسبة أنفسهم على ما يكتبون وذلك مدعاة الكمال

والذين يقولون في آراء الناس هذا خطأ وهذا صواب قد كتب العدل عليهم ان ينظروا بالتي هي أحسن لقول الناس في آرائهم ولا أرى مؤلف هذا الكتاب إلا من أهل العدل من أجل ذلك أطمع ان ينظر الى قولي في آرائه بالتي هي أحسن .

(*) كتب هذا النقد صدقاً الشيخ عبد الحميد الزهراوي الحمصي نزيل القاهرة وهو صاحب مقالات (نظام الحب والبغض) التي نشرت في مجلـ المنار السادس والمقالات التي نشرت بتوقيع (ز) في المؤيد من عهد قريب وهو من العلماء المصلحين والكتاب الاجتماعيين

ولو كان خطأ المؤلف مما لا يحصى كعوض المؤلفات لما صرفت شيئاً من الوقت في نقد كتابه ولكن ما هنالك من ذهول أو خطأ زاه يمدّ والخطأ المعدود لا ينقص قيمة صاحبه .

وقد يكون الخطأ ما يحصى ولكنه كثير فلا يستطيع المحصي ان يحيط به كله وهذا شأني في هذا الكتاب فقد تتبعته فوجدت الخطأ فيه كثيراً ورأيت الاحاطة بالكل صعبة فاقنصرت على المهم وهو في نحو ثلاثين موضعاً

ومن استكثر ثلاثين خطأ كبيراً في كتاب صغير كل ما فيه انه اسهب وأبدأ وأعاد في وصف حال التعليم قد يقول ان هذا الكتاب مملوء غلطاً فنقول لهذا ان الكتاب يشفع له اهتمام المؤلف بهذا الموضوع ومشاركة مؤلفه وهو أزهرى للذين ينادون على الأزهر بالعيوب وقد أسلفنا ان الخطأ المحصي لا يستدعي انصراف النظر وانما يستدعي التذكير وهو ما أردنا بهذا التحرير .

(التناقض الذي هو في الكتاب)

رأيت كثيراً من التناقض في عبارات المؤلفين ولكن لم أر أغرب مما في هذا الكتاب من التناقض لاني صادفت مؤلفين تطول عليهم المسافة بين موضع وموضع من مواضع الكلام فيأتون في كل موضع بكلام ينقض ما أبرموه في الموضع الآخر وههنا صادفت التناقض في الموضع الواحد والعبارة الواحدة وصادفته في صفحة والتي بعدها وصادفته فيما هو ابعد من هذا ولكنه بعد لا يمتدّ به

والذي أحاط به احصائي من مناقضات هذا الكتاب يجده المطلع كما وجدته في خمسة مواضع

— الاول —

ذكر في أول التمهيد في عبارة واحدة من غير انفصال ان وظيفة الدعوة الى الدين « غير موجودة » عندنا معشر المسلمين وفي العبارة نفسها ذكر انها « موجودة » وهذه عبارته (ص ٩) ليس يشك أحد في ان لكل دين من الأديان حملة ٠٠٠٠ ومرشدين ٠٠٠٠ ودعاة ٠٠٠٠ وفي (ص ١٠) لانعرف للدعاة اسماً عرفياً ينحصهم عندنا نحن المسلمين « اذ ليس لهم وجود » حتي يضع لهم العرف اسماً ٠٠ لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة

من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى وانما أقول ان « هذه الوظائف الثلاث موجودة » عند أهل كل دين من الاديان .
هذه عباراته ولا أرى أحداً مهما ضعف فهمه يجهل ان بين كلمة « موجودة »
« وغير موجودة » تناقضا صريحا لا يحتمل التأويل ولا يحتاج لاقامة دليل .

— الثاني —

ذكر في موضع ان التعليم في مصر خير منه في البلاد الاسلامية كلها وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند أهل الشام وأهل العراق أحسن منها عند المصريين وهذه عبارته :

قال في (ص ٦٨) ومن ذلك ترى ان نتائج التعليم عندهم (يعني طلبة الاتراك) أحسن منها عند المصريين فالطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة اربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً عن اللحن وان وجد فقليلاً وان كتب فكذلك على حين ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ .

وقال في (ص ٦٩) ونتائج التعليم عندهم (يعني أهل الشام والعراق) أحسن منها وأوفر منها عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل .
ثم قال في (ص ٨٥) واذا كان هذا حال العلم والتعليم بمصر وهذه درجته في الاختلال وكان على علاقته بمصر خيراً منه في سائر البقاع الاسلامية من الشام والعرب والعراق والهند وتركستان وبخارا وقازان والروم ايلي والاناطول فكيف ترى حالة العلم في البلاد الاسلامية وهل شيء يساويها اعتلالاً واختلالاً
ثم قال (في ص ٨٨) ولقد كانت الحالة العلمية في البلاد الاسلامية وفي مصر بنوع أخص في درجة سيئة جداً

— الثالث —

ذكر في فصل خرج به عن الموضوع من كلام طويل في (ص ١١٣) أن المسلمين لا توجد فضيلة توجد في أمة من الأمم الا وهي موجودة عندهم وما من رذيلة توجد

في المسلمين الا وهي موجودة عند الامم الاخرى وفي آخر العبارة الطويلة نقصها من حيث لا يشعر بقوله « فليس في الحقيقة من ذنب لهم سوى اتهم فقراء أفذاذ لأرابطة تربطهم ولا جامعة تجمعهم » بل قد نقضها بكتابه كله من أوله الى آخره لأنه ناطق بمبلغ الجهل الذي وصلوا اليه وليت شعري أي عيب أكبر من الجهل واية أمة من أمم أوربا يشينها من الجهل ما يشين هذه الأمة المسكينة . أليس هذا المؤاخذ نفسه يقول (في ص ١١) : ان وظائف التعليم والارشاد والدعوة أصبحت معسلة ومختلة فماذا يصلح الفساد اذا فسد في الأمة أهل هذه الوظائف - كما يقول - وهم الملاح ؟ أليس المؤاخذ نفسه يشكو من هذا الفساد العام ؟ أما هو القائل (في ص ٤١) : وأصبحت مصالح العباد مهجورة والحقوق مهدرة والمستجير بأحدهما (يعني القانون الوضعي والقانون الشرعي) كالمستجير من الرمضاء بالنار . وشرح الحالة الحاضرة بأزيد مما اشرنا اليه مشكل جداً والبصير اذا التفت عن يمينه مرة وعن شماله مرة أخرى صرف مقدار الشر والفساد الواقعين على رؤوس العباد : هذا قوله أفلا يجد المرء فيه جواباً على سؤاله الطويل الذي قال فيه : لو بسطنا صفات الكمال واحدة واحدة وسألنا المنصف ان يذكر لنا أي صفة من هذه الصفات تجرد عنها المسلمون لم يجده واحدة يقال انهم قد تجردوا عنها . . .

كلا بل يجد جملة لا واحدة وكتابتك يا صاحبنا شاهد على البعض من هذه الجملة . وكتابتك كله ينقض قولك هنا ولقد أجدت في هذه الخطبة التي اسببت فيها ولكن فإتاك النظر الي سر هذا الفقر الذي ذكرت . وسبب هذا التمزق الذي حدثت . وليس هذا هو الذنب كما قلت بل هو من آثار الذنوب . ومن نتاج العيوب . وأبو الكل الجهل وكفى

— الرابع —

قوله (ص ١٦٤) في علم التوحيد أنه من العلوم المضرة وأنه يجب تركه والاعراض عنه كلية وقد سبق قوله فيه (ص ١٣٤) أنه والفقدهما العلمان الوحيدان المقصودان لذاتيهما وكل ما عداها من العلوم فإتسا هو وسيلة اليهما أو وسيلة لما هو وسيلة اليهما . وقال (في ص ١٣٥) اذا تدبرت هذه المقدمة التي ذكرنا هالك علمتان جميع أصناف

العلوم الشرعية كلها آلات لعم الفقہ والتوحيد وليس غيرها بينهما من علوم المقاصد .

- الخامس -

قال (ص ٢٣٠) في المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده أنه كان ذا تقرير في أمر العلوم الشرعية ومبالغاً في قلة العناية بها . ونقضه بقوله فيه (ص ١٢٢) انه اشتغل مدة حياته باحياء العلوم الاسلامية .

هذه هي المناقشات الصريحة وما نظها وقعت منه الا ذهولا ولئن أرتج هذا الاتقاد نفس المؤلف فان الانزاج في مثل هذا نافع فمن وطن نفسه على حرارة الاتقاد فكانت علاجاً لذهوله كان ذلك خيراً له من الابهاء وطموح الشهوة بالنفس الى طلب حلاوة التقرير التي قد تضر بصحة النهي والله ولينا وبه الاستهداء وكلنا يقع منا الذهول وقد سلف هذا وانما أعدناه قوماً لعادة النفس فمن شأنها الابهاء على المذكرين ومع هذه المناقشات الخمس ترى في العبارات التي حوتها كثيراً من الخطأ فنعده

تابعاً لما قبله

(الخطأ السادس والسابع)

- والثامن والتاسع -

كلها في قوله (ص ٩) انه لا يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة (١) ففي نفي الشك من كل أحد بهذا المعنى خطأ لانه ليس من المعاني التي يجزم كل أحد بها جزماً باتاً عاماً لعدم الاستقراء (٢) في دعوى وجود هذه الوظائف الثلاث في كل دين خطأ لانه ان قصد ان الاديان نفسها تنص على هذه الوظائف الثلاث فذلك غير صحيح لان ديننا وهو الذي يصح لنا وله ان ندعي المعرفة به فقط نجده على أمره بالدعوة والتبليغ لا ينص على هذه الوظائف الثلاث لاسمائها ولا بالتفريق بين معنى واحدة والاخرى وأظن ان المؤلف لا يعرف ديناً آخر غير هذا الدين فلم أدرك كيف حكم على الاديان كلها وهو يجهل أسماءها دع عنك ما تنطوي عليه . وان قصد ان هذه الوظائف الثلاث موجودة في الواقع عند أهل كل دين فهو كذلك غير صحيح وقد شهد نفسه أن وظيفة الدعوة غير موجودة عند المسلمين وليعلم أنها غير موجودة عند اليهود فكانه لا رآها موجودة عند النصارى

ظن انهام موجودة مع تينك الوظيفتين اللتين سماهما عند أهل كل دين (٣) وفي تفرقة بين وظيفة الحملة والمرشدين خطأ لأن الحملة ان أدوا ما تحملوا يكونوا قد أرشدوا أو دعوا وان لم يؤدوا لم تكن لمعرفتهم ثمرة فليسوا أصحاب وظيفة والمرشدون والدعاة اذا كانوا علماء فهم من الحملة وان لم يكونوا من الحملة لم يكونوا من المرشدين ولا الدعاة بل من العاشين الوضاعين المفترين على الدين - كما وصفهم هو - والعش والاضلال والافتراء على الدين متى كانت وظائف في الدين ؟ و(٤) في ايها الناس ان المؤلف يعرف كل الأديان خطأ كبير . وهناك خطأاً نخصيه عليه وهو التكرير في قوله « لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى » فليتأمل وليتأمل معه من يشاء ممن يكابر في ان هذا ليس بتكرير . ففي هذه العبارة الواحدة ثلة من الخطأ بل يكاد اذا ضمنا الى ما ذكرنا هنا التناقض الذي أو ضحناه ان يكون في كل كلمة من كلماتها خطأ وهي أول عبارة في التمهيد .

(الخطأ العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)

- والرابع عشر -

(١) في قوله (ص ٦٨) ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين و(٢) في قوله ان الطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة أربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً من اللحن وان وجد قليلاً وان كتب فكذلك . و(٣) في قوله ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل الندرة والشذوذ . و(٤) في قوله (ص ٨٥) « ان حال العلم والتعليم في مصر على اعتلاله خير منه في سائر البقاع الاسلامية . وفي قوله « ص ٦٩ » ان نتائج التعليم عند أهل الشام والعراق أحسن منها وأوفر عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل . و(٥) في ادعائه ان هناك نتائج حسنة لهذا التعليم مع مناقضة هذه الدعوى لكتابه كله من أول الى آخره . قد سلف التنبيه على ما في هذه الجمل من المناقضات والآن نبين ما فيها من الخطأ في هذه الاحكام التي ادعاها

أما قوله ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين فغير صحيح

وأكثر ما يوقع صاحبنا في الخطأ العجبة في الحكم في الكليات مع عدم الاستقراء البتة فان كان صاحبنا لم يزر الأستانة وهي أكبر بلد من بلاد الأتراك الجامعة لمعاهد العلم الكبرى فالبلية عظيمة في ان يحكم على الشيء من غير معرفة البتة وان كان قد زارها وعرف حال الطلبة هناك ثم حكم هذا الحكم فالبلية أعظم

إن العاجز محرر هذه السطور قد أقام في الأستانة سنين وسبر طبقات الناس فيها ومنهم طبقة الطلبة وأساتذة الطلبة وكنا منذ سنين نكتب ما نعلمه في موضوعه هذا من أوله الى آخره في المعلومات وغيرها من الصحف المنتشرة منها مقالات في العلم والتعليم نشرناها في ثمرات الفنون بفسير امضاء فالذي نعرفه يخالف ما حكم به صاحبنا بيد أن الفرق بين رأينا ورأيه هو أن أحدهما مبني على التروي وشيء من الاستقراء والآخر ليس كذلك فأحدهما هو الذي يقرب في ظن القاريء أنه الصواب فأيهما رأي صاحبنا ؛

قبل كل شيء نقول لصاحبنا ولمن يتلو مقالنا هذا ان التعليم فيما أعلمه من البلاد الاسلامية كله رديء - وأعلم منها حق العلم حال أكثر بلاد الشام وعاصمة البلاد المصرية وعاصمة بلاد الترك وأعلم بعض العلم شيئاً من حال التعليم في العراق وفارس والافغان والهند وتونس وقفقاسيا ولا أعلم حاله في الجزائر ولا في المغرب الاقصى ولكنني أظنه أردأ وأرذل . أقول كله رديء بحيث لا يصح ان يقال انه في بلد خير منه في بلد أخرى . ثم أقول إن مقاله المؤلف من أن الطالب التركي يتعلم العربية في أربع سنين بحيث يقرأ صحيحاً ويكتب صحيحاً إنما يصح اذا كان هذا كرامة من كرامات الاولياء لبعض المعلمين أو المتعلمين والكرامة كما يعرفها الناس خارقة للعادة فاذا لم يكن ثمة من كرامة ورجعنا الى العادة فالعادة أن الطلبة في الأستانة ولا أرى عددهم يقل عن خمسة عشر ألفاً لا ينبغي فيهم خمسة عشر طالباً في كل خمس عشرة سنة يقرأون قراءة صحيحة أما من يكتبون كتابة صحيحة فتطالب صاحبنا بواحد منهم في كل خمسين سنة نسامح المؤلف في كل شيء اذا كان يهدينا الى كاتب مجيد باللغة العربية من طلبة الأتراك من خمسين سنة الى الآن . لعمرك إن في قوله هذا مبالغة لأعرب منها إلا المبالغة الثانية عند مقابلة المصريين بهم بأن المصري لا يحصل في عشر سنين ما يحصله التركي في أربع .

ربما رأيت ان الطالب المصري لا يحصل المطلوب في عشر سنين على هذه الطريقة

العوجاء ولكن الذي لا أراه هو ما صنعته المؤنث بهذه المبالغة عند المقابلة بين المصري والتركي .
على أنني مع هذا الانكار لا أدخل في المفاضلة بين ذكاء التركي والمصري وإنما المناقشة بصدد
طريقة التعليم لهذا وذلك وهي عوجاء هنا وهناك فلم هذا التفريق العظيم والشأن واحد .
وكذلك غير صحيح قوله : « ان نتائج التعليم في الشام والعراق أحسن منها في
مصر لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل » :

فأما الشام ففيها نشأنا واياها سبرنا وما عهدنا للناس هناك طريقة غير طريقة
المصريين في تعليم العربية والدين وهما اللذان يريدان المؤنث اللهم إلا نفرأ أكرمهم
الله واحتصمهم بعناية منه نشأوا في التعلم على غير ما ينشأ الأقران ، فاحتفظوا شيئاً من
ثمرات العرفان في قليل من الزمان ، ثم استنارت عقولهم فميزوا الصحيح من الفاسد ،
والراجح من الكاسد ، وهؤلاء قليل والقليل هداك الله لا تبني عليه الاحكام العامة ،
ولا تم به المقارنة التامة .

نعم تمتاز الشام - ونرجو مثل ذلك لمصر - بأنها ليس لها أزهر تحشر فيه هذه
القطعان وإنما يتلقى الطلبة هذا العلم هناك على أستاذ في منزله ان كان من أصحاب البيوتات
الكريمة والمظاهر الفخيمة أو في حجرة من حجرات المدارس ان كان الأستاذ أقل
من ذلك مظهرأ وقد نجد بعض العلماء يلقي دروساً في هذه العلوم على من يشاء في
محل من حانوت تجارته ان كان من التجار وذلك لان العلماء في بعض بلدان الشام
يحترفون بالتجارة وينفرون من البطالة أو الارتفاق من الاوقاف نفرة الازهر من
الخلافة وتراهم فلا يهونونك منهم التمييز بالعلامة كتوسيع الاكام وتظيم العمامة وجملة
القول ان لا فرق بين البلدين الا بالازهر والتقليل من الحواشي في الشام واما التحصيل
وعدمه فالحصل في الشام كالحصل في مصر لا يفضل في المقصر في الشام كالمقصر في
مصر لا ينقص عنه ، والحصلون قليل في البلدين ، والمقصورون فيهما هم الاكثرون .
واما العراق فقد خالطنا كثيراً من فضلائه المطلقين على الأحوال فانبأونا بأن حال
التعليم هناك كحالته في الشام حذو العين بالعين ، وانه لا فرق في شيء من هذا بين البلدين ،
والادلة من الواقع تؤيد ما سمعنا منهم فقد رأينا جملة من حملة العلوم هناك جملة من
الكتب في جملة من فنون العلم فالتقينا مارأينا كما سمعنا وبعد فقد عرفت أيها الفاريء
انه لا طلبة الشام والعراق والترك يفضلون طلبة مصر كما قال ولا طلبة مصر يفضلون
طلبة كل البلاد الاسلامية كما قال والله أعلم بالخال والمآل (لا تتفاد بقية)

* * ديوان الرافعي * *

قال في أول باب التهذيب والحكمة من قصيدة في حال مصر الاجتماعية

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| على أي دهر مصر لا تندم | وفي أي دهر مصر لا تنظم |
| بنوها بنوها أيما تك صدمة | تقلبهم للجانبين فبهم هم |
| وما يتقون البؤس لكنهم متى | تمض بهم انبابه يتألموا |
| ويطرهم عهد الرخاء فان مضى | فسهل عليهم بعد أن يتندموا |
| كذي مرض في جاهلي الطب ان يمش | يمدبه أهله والا ترجوا |
| وما برحوا إن خاذلتهم غلوتهم | وأعمالهم مدوا المنى وتوهموا |
| وان سقت آراؤهم سيئة ملية | تجاهل فيها الظن والظن أسقم |
| فرادى وأحداث الزمان بجميعة | وقد علموا سر الزمان وعلموا |
| فن حادث في حادث عند حادث | كأنك للأحداث يا مصر معجم |

* *

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| ومما يزيد الهم لهما وحسرة | تصايح فتيان بنا أن تقدموا |
| فببجانك اللهم بلبت قومنا | فما يفهم المسكين فينا المنعم |
| يريدون أن يجري الى مرتقى العلا | رجال ضعاف ان جروا يتخطوا |
| ويبنون ان نرقى وهاتيك حالنا | وما عندنا الا للأسفل سلم |
| كن يكره الاطفال ان يحفظوا الذي | يكلمهم من قبل ان يتكلموا |
| ومن أوقر السفن المناع بمصنع | ولسا يتموها فكيف نعوم |

وقال من قصيدة غزلية

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| كم تجنى التي أحب وعندي | أن بعض العصيان كالطاعات |
| ان رأيتي يدق ناقوس قلبي | من جفاها كدفقة الأموات |
| فهي ظلمة الليالي اذا ما | غشت الارض والسما هفتواي |
| أوليس الظلام يعقبه الصبح | وعمى الآيات بالآيات |
| غير اني لو كانت الشهب أقلا | مي وكان الظلام جبر دواني |

ووصفت الذي أقاسي من الحب وكان الوجود من صفحتي
 لانطوى الكون ثم أبصرت في آ خر أوراقه (البقية تأتي)
 هذا وانني لا أتكلم في انتقاد الديوان ولكنني أنصح للناظم ان يفكر عند
 النظم أو عند التمشيح في معاني الايات التي تبقى بعد القراءة في ذهن القارئ
 لاني التأثير فقط فان من تخيلاته أو من أياته ما يروع لفظه وسبكه السمع حتى
 اذا تأمله القارئ لم يجد له معنى يستقر عنده الفهم

﴿ سقوط نابليون الثالث ﴾

قصة سياسية غرامية رجها عن الفرنسية تتولا أفندي رزق الله مدير أعمال جريدتي
 الأهرام العربية والفرنسية وطبعها على نفقته خليل بك صادق صاحب مسامرات
 الشعب فكانت ثلاثة أجزاء . ومن قرأ القصة بإيمان واعتبار يرى فيها فائدتين
 احدها سياسية وهي ما تمثله القصة للذهن من رياء الملوك وأعاونهم بظهورهم للناس
 بلباس العدل والذماني في حب الأمة والقيام بمصالح الدولة وهم اذا اخلوا بأنفسهم
 لم يكن لهم هم الا الاتجار بتلك المصالح ومحاربة الأمة بالحيل والسماسيس فجميع
 بطانة نابليون كانوا من الأشرار المفتونين بجمع المال الحرام وأكل السحت المحاديين
 الأحرار والاخيار الذين يتفانون في إعلاء شأن الأمة الفرنسية . وكانوا في مطاردتهم
 لهم وإيقاعهم بهم يطبقون أعمالهم على القانون بالسماسيس والحيل والتزوير والحتل
 وما أنسى لا أنسى ذلك الذي ألف كتابا في مفاصد القمار فأحسن مكافأته نابليون
 وأظهر للناس أنه يريد بذلك أن تكثر أمثال هذه الموالفات التي تطهر البلاد من
 هذا الفساد ولو صدق وأخلص لظهر قصره منه فإنه كان أكبر بيوت القمار في الدنيا
 وهكذا شأن الملوك وأعاونهم مادام لهم سلطة شخصية من دون الأمة

والفكرة الثانية حكاية ذلك الرجل الذي كان خادما في الاصطبل فارتقى
 بجدته وكده حتى صار عالما سياسيا وغنيا سخيا وفاضلا وفيما نحارب دسائس حزب الماهل
 العظيم حتى فاز بمراذه، وثأر للمحسنين الى أهله وأولاده، فسيرة مثل هذا الرجل تحرك
 همهمة المستمد الاستقلال، حتى ينهض بجلائل الأعمال، ويؤمن القصة ثلاثون قرشا صحيحا

باب الحكمة والادب

كلمات في الاستاذ الامام - ذكرنا بعضها في ترجمته

قال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية ان الناس لا يعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعني ان كل ماظهور من اجلال الاله له حيا وميتا دون قدره) .

وقال المشير أحمد مختار باشا الغازي : اني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف ولو وزن ارجيح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرف الافرنج وزن أدمغتهم . وقال لما قرأت في الجرائد خبر موته (وكان في أوربا) ضاق علي المسكان الذي كنت فيه لان الخسارة بفقده لا عوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الاكبر للشيخ عبد الرحمن الدمرداش وكان ملازما لفراش الفقيد في مرض موته : اننا كلنا شاكرون لك فانك لا تخدم رجلا وانما أنت تخدم الامة في هذا الرجل . وقال في موته : خسارة لا تعوض وقال اللورد كرومر ان هذا الرجل لا ذنب له الا انه أنور أهل بلاده . وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة ان كل أعمال جنابكم محصورة في إصلاح الحكومة فترغب اليكم ان تعملوا عملا ترقية المسلمين في مصر فانهم لم يعودوا الأعمال الاجتماعية . فقال اللورد اعمالوا انتم وعلي أن أساعدكم فن لا يرقى نفسه لا يرقى غيره . قال المصري انه ليس عندنا رجال يهتمهم أمر الامة ويقدرون على العمل النافع لها . فقال اللورد بل عندكم رجالان غيوران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدهما بالمال وهما يعملان للبلاد ما تحتاج اليه من الترقى : أو ما هذا معناه وبلغنا انه قال في جواب من قال ان الشيخ محمد عبده متهاون بالدين : انه بالعكس متعصب للدين ولكن بمقل

وقال الشيخ محمد توفيق البكري ان الفراغ الذي تركه الشيخ محمد عبده لا

بعلاه شىء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السهل والجبل) وقال عجبت للموت
كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده . وقال لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشتغل
بنفسه للأمة لأحدث انقلابا عظيما

وقال الدكتور يعقوب أفندي صروف بعد ان سمع المؤ بنين عند القبر يكررون
كلمة فقيده مصر وفقيه الاسلام اننا لانرضى ان يكون فقيدهم وحدكم بل نقول انه
أكبر من ذلك انه فقيه الشرق كله

دولتنا الاسلام ، تركيا وايران

يا حسرة على المسلمين ، ماذا يلاقون من البلاء المبين ، وأكثرتهم عن مشارة
غافلون ، لم يكده تتمتع منهم الآذان ، بنعمة وضع القوانين لإصلاح حكومة ايران ،
حتى صحتها أخبار اعتداء الدولة التركية ، على حدود شقيقتها الفارسية ، حتى كأنها
تريد أن تشغلها عن إصلاح شأنها ، أو تنتقم منها اذا هي أصرت على عزها ، أو
كأن خذلان المسلمين قضى بأن يكون بأسهم بينهم شديدا وان ينتقم بعضهم من
بعض حتى لا يتعب عدوهم في التنكيل بهم والقضاء عليهم بل تكون بلادهم غنيمة
باردة له . والافنا لنا الآت ولحشر الجيوش على حدود جارتنا وشقيقتنا
ولا اعتمادنا على جزء من أرضها ونحن مرتطمون في فتنة اليمن الذي توالى السنون
ولم نزل من الثائرين فيها منالا ، بل كانت الحرب بيننا سجالا ، وكان من أثر ظلمنا
لأنفسنا ان نسفك دماءنا بسيفونا ، ونخرّب بيوتنا بأيدينا

يا حسرة على المسلمين أضاعوا دينهم فأضاع الله دنياهم ومزق ملكهم حتى
صاروا شرا على أنفسهم من أعدى أعدائهم ، وسوادهم الاعظم لا يدري من أين
جاءته هذه البلايا ، ونزلت به هذه الرزايا ، فهو يتهم بها البراء ويبري الجناة
الظالمين ، وهل هم غير الرؤساء المستبدين ؟

هو لاء مسامو الترك والفرس يناوش بعضهم بعضا والدول الاوربية تتحد
عليهم فهل يستطيع المسلمون ان يحكموا فيهم قول الله تعالى (٩: ٤٩) وان طائفتان
من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوها بينهما فان بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي

تبقي حتى تفي إلى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين) ؟ كيف وهذا القول الحكيم مبني على أساس حكم الاسلام وهو كون حكم المسلمين شورى بينهم لا يستبد به فرد من الأفراد . ونحمد الله ان القتال لم يمتد ونسأله ان يهب للفريقين التوفيق للوفاق حتى لا تمتد الفتنه .

﴿ الامتحان في الجامع الأزهر ﴾

ألفت ادارة الأزهر ثلاث لجان أو أربعة لامتحان الذين أتموا مدة الدراسة وهم كثيرون جدا فامتنع كثيرون من كبراء الشيوخ ان يكونوا من أعضائها لأن الشيخ شا كرا نائب شيخ الأزهر هو المؤلف لها والرقيب عليها فكان أكثر أعضائها من غير المشهورين ومنهم من صاروا مدرسين من عهد قريب ولكن هذه اللجان قامت بالامتحان بنظام واهتمام وقد رأينا الأزهر بين المنصفين بفضلون نظام هذا الامتحان على ما كان قبله ولم نسمع الآن ما كنا نسمعه في السنة (الدراسية) الماضية من أخبار المحاباة والرشوة والفضل في ذلك لمراقبة الشيخ شا كرا ويقظته فله الشكر والثناء الحسن . وامل ماسمعناه من أخبار التساهل وإعطاء الدرجات لافراد لا يستحقونها مبالغ فيه ولعل الشيخ شا كرا يعني بتحقيق الحق في ذلك

﴿ أخبار نجد ﴾

كان عدد الجنود الذين أرسلتهم الدولة العلية الى نجد ستة آلاف جندي فكان من شأن فيضي باشا ما ذكرناه في أجزاء السنة الماضية ومن أمر ساجي باشا ما ذكرناه في الجزء السابع من هذه السنة ونقول الآن أن الجوع برح بأوائك الجنود حتى كانوا يجمعون الخنظل من القفر ويستخرجون بذره فيفلونه على النار حتى تخف مرارته فيثبفون به ولسكن سمه يفعل في احشائهم فعله وما زال الجوع والهري وسم الخنظل تفنك بهم حتى لم يبق منهم الا ألف وثمان مئة رجل فأشفق عليهم الأمير ابن سعود فأعطاهم رواحل . قلت سبع مئة منهم الى البهرة والباقي الى المدينة المنورة

بقرى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كبيرا وما يذكرك إلا أولو الألباب

الملك
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« منارا » كنار الطريق

مصر - في ذي القعدة سنة ١٣٢٤ - أوله الاثنين ١٧ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٦

باب الاصول والعقائد

﴿ فاتحة كتاب محاورات المصلح والمقصد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ * (سورة الزمر - ٣٩ : ١٨)
 اللهم اجعلنا من عبادك المهادين المهديين ، واجعلنا من الأئمة الوارثين ،
 الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وصل وسلم اللهم
 على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بهديهم الى يوم الدين ،
 وبعد فان الله تعالى جلت حكمته ، وعلت كلمته ، ووسعت كل شيء
 رحمته ، قد أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس واصلاح شأنهم
 في معاشهم ، واعدادهم للسعادة في معادهم ، وقد مضت سنته في البشر
 ان يرتقي نوعهم بالتدريج كما يرتقي أفرادهم من طفولية الى تمييز الى رشد
 وعقل . لذلك جعل خطاب الرسل لهم في كل طور على حسب استعدادهم
 لخطابهم طوراً بما يناسب مدركات الحس ، وطوراً بما يناسب وجدان
 النفس ، وحملهم أولاً على الطاعة بالقهر والالزام ، وجذبهم اليها ثانياً بالاقناع
 وضرب الأمثال . حتى اذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان ، واستعدوا
 لتحكيم العقل في مدركات الحس والوجدان ، بعث فيهم خاتم النبيين
 والمرسلين ، الذي جعل الفكر والنظر أساس الدين ، نبي جاء بالبينات
 والهدى ، وكتاب نهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم شأن العقل وجعله

هو المخاطب بفهم النقل ، فامتاز دينه على سائر الأديان ، بأنه دين الحجة والبرهان ، الناعي على متبعي الاوهام الظنون ، بأنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، بل وصفهم بمثل قوله « صمُّ بكمُمُ عُمِي فَهَمُّ لَا يَرَجِعُونَ » وقوله « إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَىٰ لَكَ هُمُ الْغَافِلُونَ »

كتاب احتج على ضجة العقائد بآيات الله في الأتفس والآفاق ، وبين فوائد مادعا اليه من العبادة ومكارم الاخلاق ، وأشار الى مصالح الناس فيما شرعه من الأحكام والسنن ، ونبه على مفسد ما حرمه عليهم من المنكرات والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، فهدى الناس بذلك وبدعوتهم الى ان يكونوا على بصيرة في دينهم وعلى بينة منه وبجعله دين الفطرة وبنفي الجرح والاعنات عنهم فيه وبجعله يسراً لا عسراً وبالالاكتفاء منهم بما يستطيعون منه وبتقرير غناه سبحانه عن العالمين - هداهم بذلك كله الى انه ينبغي لهم بل يجب عليهم ان يفقهوا حكمة جميع ما خوطبوا به ووجه كونه مصلحة لهم ووسيلة لسعادتهم وتركه مدرجة لتفاسدهم وشقوتهم (١٢ : ١٠٨ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ صِدْقٍ أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعِي » ووصف من اتبعه بقوله (٢٥ : ٧٣ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا سُكَّانًا وَعُمِيَانًا)

ان ديناً هذا شأنه يعلو عن أن يكون مهياً للأهواء ، أو مثاراً لاختلاف الآراء ، أو مجالاً لتحزب العلماء ، أو آلة لسلطان الرؤساء ، فهو الحنيفة السمحة ليلاً كنهارها كما ورد عن جاء به صلى الله عليه وسلم (٦ : ١٥٣ وَإِنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

يَكُفُّ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَاكُمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (ثم قال في هذه
السورة (١٥٩) إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وقال في سورة آل عمران
(١٠٣ : ٣) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) الآية ثم قال بعد آية
أخرى منها (١٠٥) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقال عز وجل (٣٠ : ٣٠) فَأَقِمْ وَجْهَكَ
لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣١ مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣٢ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
شِيَعًا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) و ثم آيات أخرى في التفسير عن
التفرق والخلاف

ماذا كان من أمر الذين ينتسبون الى هذا الدين ؟ هل ظلوا على
البصيرة في دينهم أم تركوها الى التقليد واتباع الآراء وخرروا عليها صما
وعمياناً ؟ هل استقاموا على الصراط المستقيم سبيل الله أم اتبعوا السبل
الكثيرة فتفرقت بهم عن سبيله ؟ هل ظلوا أمة واحدة محافظة على أخوة
الدين أم فرقوا دينهم وصاروا شيعاً كل شيعة تعادي الأخرى لمخالفتها
اياها في المذهب ، ومباينتها فيما أحدثت من المشرب ؟

إذا كان الخلاف طبعياً في البشر ، وكان أقوى سائق لهلاك الأمم
إذا تمدت شيع الأمة فيه ولم تعالجه بعلاجه فلماذا لا يرجع المسلمون في
كل خلاف يقع الى علاجه الذي بينه الله تعالى في قوله (٤ : ٥٩) فَإِنْ

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ؟

تمزق شمل المسلمين بتنازعهم السياسي الذي تبعه التنازع الديني
فتفرقوا شيعاً كل شيعة تنتحل مذهباً تتخذة حجة لنفسها على سائر المسلمين
فكان ذلك حجاباً دون رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بتحكيم الكتاب
والسنة فيه اذ جعلوا مذاهبهم أصولاً يرجعون اليها آيات الكتاب وأخبار
السنة بالتأويل وغير التأويل (كدعوى النسخ) . فعلوا ذلك لتقوية
السياسة بالدين فأضاعوا السياسة والدين ، وردوا الأمة أسفل سافلين ،
فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

أما خسرتهم للدنيا بسوء السياسة فيما أضاعوا من سيادتهم وسلطانهم
فان معظم شعوبهم وبلادهم قد استولى عليها الأجنبي وما بقي منها في
أيديهم قد أوغلت السلطة الأجنبية في أحشائه، وهي تهدده بسلب ذمائه،
واما خسرتهم الآخرة فيما ابتدع جماهيرهم في الدين ، واتبعوا غير سبيل
المؤمنين الأولين ، وهي سبيل الله التي من اتبعها كان على بصيرة من
الله وبرهان ، وما هي الا هداية هذا القرآن ، الذي وصفهم بما لا ينطبق
على جماهير المتأخرين المختلفين ، ووعدهم فأثم بطاعتهم ما سلبه من
الخالفين المخالفين ،

اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعة والخوارج
بل بين المنتسبين الي السنة بعضهم مع بعض - بين الأشاعرة والحنابلة
بين الحنفية والشافعية بين الشافعية والحنبلية . . . انك ان تقرأ تجد

الجواب عما سألتك عنه ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية والحنفية كان من أسباب حملة التتار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعاً لم يلتئم من بعده ويعمد كما كان ، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج بأجوج وما أجوج ويقول أنهم هم التتار

مالك ولمعرفة حال تفرق المسلمين من كتب التاريخ أو من كتب المذاهب ، أدر طرفك في بلادهم اليوم وانظر حال أهل هذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا إيمان لهم ولا أيمان إلا من حفظ الله من أفراد متفرقين يحملون الأذى في سبيل جمع الكلمة وإزالة الخلاف وإعادة الأخوة الدينية إلى ما كانت عليه في أول نشأة الدين أو إلى قريب من ذلك . بل تجد الحنفي في كثير من البلاد لا يصلي مع الشافعي بل تجد من أسباب الخلاف والعداء الشديد كون بعضهم يجهر بآمين وراء الإمام وبعضهم لا يجهر بها أو لا يقولها ، وكون بعضهم يرفع أصبعه عند الاستثناء في شهادة التوحيد وبعضهم لا يرفعه . مثل هذا الخلاف مما يجعل في بعض بلاد الهند فارقا بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، ولا غرو فهم عيال على الكتب التي تبحث في كفر من قال أنا مؤمن أن شاء الله كالسلفية والاشاعرة وتقول يجوز نكاح بنت الشافعي قياساً على الذمية !! « ٦٨: ٢٣٣ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » ألم يعدهم الله بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأن يبدل خوفهم بالآمن ، وأن لا يجعل للكافرين عليهم سبيلاً ؟ بلى ولن يخلف الله وعده وانماهم الخلفون ، « ١١ : ١١٧ وما كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مَصلِحُونَ »

نعم انه لم يزل ولا يزال في هذه الأمة قوم ظاهرين على الحق كما ورد الوعد في الحديث ولكن هؤلاء لقلوبهم أمسو اغرباء كما جاء في حديث آخر وأي غربة أشد من غربة من يوصفون بالكفر والزندقة لانهم يقولون بوجوب اهتداء المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يكن في بني اسرائيل أمة يهدون بالحق وبه يعدلون اذ وصفهم بما وصفهم به من الأعراض عن كتابهم وتحريفه واذا أحل بهم ، ما أحل من عذاب السبي والاذلال ، وازالة الاستقلال ، ؟ بلى ولكن كان هؤلاء المحقون قليلين فليس لهم أصريطاع ، ولا هدي يتبع ، فلا أثر لهم في الأمة فكانهم ليسوا منها أتى على الأمة الاسلامية حين من الدهر لم ينبغ فيها عالم الا وكان في طور كماله أو خاتمة أعماله يأمرها بالاهتداء بالقرآن واتباع سيرة السلف الصالح وناهيك بالامامين الجليلين حجة الاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية ومن على شاكتها ولكن السلطان كان مؤيداً لعلماء الرسوم وأهل التقليد لانهم آلة السياسة ، وأعوان الرياسة فكان صوت المصلحين بينهم خافتاً ، ومقامهم خافياً ، حتى اذا اشتهر لهم كتاب أحرق كما أحرق كتاب احياء علوم الدين ، أو رفع شجاع صوته بالدعوة التي في غيابة السجن كما فعلوا بشيخ الاسلام تقي الدين ، ثم اشتد ضعف السياسة في هذا القرن على أهل العلم والدين في كل

بلاد يحكمها المسلمون فاستيقظ لشدة وطأتها أهل الاستعداد منهم وشعروا بشدة الحاجة الى الاصلاح قبل ان تجهز على الامة السياسة الفاسدة وطفقوا يتنسمون ريح الحرية فوجدوها في مثل مصر والهند فأنشأوا يدعون الى الاصلاح والموفق ان شاء الله تعالى من بدأ بالدعوة الى الاصلاح الديني اذ عليه يتوقف كل اصلاح ، وهو مفتاح النجاح والفلاح ، لا اصلاح الا بدعوة ، ولا دعوة الا بحجة ، ولا حجة مع بقاء التقليد ، فاغلاق باب التقليد الأعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل اصلاح . وقد كتبنا في مجلة « النار » التي أنشأناها بمصر في أواخر سنة ١٣١٥ مقالات كثيرة في بيان بطلان التقليد منها ما هو من انشائها ومنها ما نقلناه عن الامام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . من ذلك مقالات (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرناها في المجلد الثالث والمجلد الرابع من المجلة وبيننا فيها طرق الاستدلال الصحيح ، وبطلان التقليد ، ووجوب البصيرة في الدين ، واتباع سبيل السلف الصالحين ، وطريق الوحدة الاسلامية ، في المسائل الدينية والسياسية والقضائية ،

كان لهذه المقالات أثر حسن في نفوس أهل البصيرة والفهم حتى كان بعض أساتذة المدارس يقرأ المقالة منها ست مرات . وقد اقترح علينا غير واحد من محبي العلم والدين ان نطبع هذه المحاورات في كتاب مستقل فأجبنا طلبهم وأضفنا الى المحاورات أسئلة في موضوعها وردت علينا من باريس مع أجوبة المنار عليها زيادة في الفائدة فنسأل الله تعالى ان يجعلها خدمة نافعة للمستعدين ، وعملاً خالصاً لوجهه الكريم

(محمد رشيد رضا الحسيني)

✽ فصل المقال في توسل الجبال ✽

ألف الشيخ أبو بكر خوقير المكتبي أحد علماء مكة المكرمة كتاباً جديداً سماه (فصل المقال وإرشاد الضال في توسل الجبال) واسمه يدل على مساهمة وقد أحسن فيه ونصر السنة وخالف البدعة وقد طبع في هذه الأيام بمطبعة المنار على نفقة الحاج عبد القادر التتاساني الناضل السنفي وإنما نورد خاتمة على سبيل النموذج وهي:

ولنختم هذا العجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب النكي في رسالته في التوحيد فإنه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووقفه: الأمر أنه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداء أو مترتباً على تصرف آخر كأن يخلق شيئاً ويخلق بذلك شيئاً آخر وهذا هو القول بالأسباب ولكن مع الاعتراف بأن الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذاً بعموم قوله تعالى (إنما أمرنا لشيء إذا أردناه) الآية وإيضاً فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض) لا هبة كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة لخلقها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المهملين في الأولياء من أن لهم التصرف وإن الله أعطاهم تصرفاً في العالم وأنهم يولون ويعززون ويدلون... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيها من شرك) يخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضاً على المعتزلة إذ العبد لو خلق فعلة لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل

ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) رد على الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » فكيف لنا معرفة من اذن له فان نهاية ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد أقوال الانبياء نفسي نفسي ما عدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه . وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويجيبك بابي أشفع لك ومع ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطما اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن من أطاع شيئا أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقره وأيضا من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا - أمران لا تعبدوا الاياه - قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرؤني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم - فلا تدعوا مع الله أحدا - ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استغثت فاستغن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه

الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فمن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه
 كمن قال يا شيخ فلان أغثني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله
 وهذا الدعاء منع عنه الشارع إذ لا يستعان إلا بالله (اياك نستعين) .
 واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون
 وجه فأطاعه مطلقاً فإن الله سمى ذلك المطيع عابداً لذلك الطاع ومنتخذه ربا
 قال الله تعالى { لا تعبدوا الشيطان - يا أبت لا تعبد الشيطان - اتخذوا أحبارهم
 ورهبانهم أرباباً - أرايت من اتخذ إلهه هواه } فاذن ليس لأحد ان يعبد غير
 الله ولا أن يدعو له وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء منح العبادة وأما
 من قال أتوسل أو بحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يجعله
 مكروهاً كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالاحياء دون
 الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم
 ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه
 أولى من هذه الحثيثة وسداً للذرائع لان الجهالة لا يفرقون بين التوسل
 والاستشفاع والطلب من التوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم
 محدد وص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الأدلة الواردة بالتجويز مع
 ضعفها فأنها لا تفيد الا جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع
 بتمر به من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل
 بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من
 المتبدعين انتهى .

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول المامة يا شيخ عبد القادر
 شيء لله ولكن كثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند اجتاح شريفة

في هذا المقام لا نتدر على ارادها في هذه العجالة أما اهل نجد فاهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضر موت لو لم يعيض الله أوتك القوم لتلك النهضة لمكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما مدار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحج وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجراً هم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف ما يقتره الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية والبيهقي ابن القيم فهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف ، بذلك أولو الاباب وهذه كتبها قد نشرها الطبع ، فنطقت بالحق وقبلها الطبع ، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وايضا كم بينهم بما وصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان ، وما صدقه الضمير والوجدان ، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فمزق عنه حجب الاستبداد ، وفك عنه قيود الاستعباد ، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاو . والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من ياكيم غير الاقران ، والمعاصرين في الزمان ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في اعلام الموقعين «فاذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالفة ولو خالفك فانه يخالفك ويترك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بالاحجة وذنبتك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته

الذميمة فلا تغتر بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤاة منهم لا يعدلون
 بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بلء الارض منهم
 « واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان
 وحده وان خالفه أهل الارض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذ
 باليمن فما فارقتة حتى واريتها في التراب بالشام ثم صحبت بعده أفته الناس عبد
 الله بن مسعود فسمعتة يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعتة
 يوم من الايام وهو يقول سيبي عليكم ولا تؤخرون الصلاة على واقيتها فصلوا
 الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافاة قال قلت لأصحاب
 محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذلك قلت تأمرني بالجماعة وتخصني عليها
 ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافاة
 قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري
 ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما
 وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرب علي فخذي وقال
 ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله
 تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة
 قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرها
 البيهقي وغيره وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال
 أدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فمسخ
 المتخلفون الدين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور
 وجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكر آفة أهله
 وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شد شد الله به في النار . . .

صرف المتخلفون أن الشاذ ماخالف الحق وان كان عليه الناس كلهم الا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل الا نفرًا يسيرًا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ ولفقون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع عليه لذلك فأخذته بالسياط والعقوبة بعد الجبس الطويل فلأله الا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيع لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم وينتظرها خلفهم من المؤمنين { رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً } انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل . ومنهم الشعراني قال في كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً وفي رواية عنه لو أن فقيهاً واحداً على رأس الجبل لكان هو الجماعة اهـ وحسبنا قوله تعالى { ان ابراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الامة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذاً كان أمة قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين تشبيهاً له براهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق ان يقتصر في كل باب من أبواب العلم بأصل

أشور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه

الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » اهـ

﴿ باب المقالات ﴾

الامل وطلب المجد (*)

إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سر عظيم، اختص الله به الانسان، ورفعه به على سائر الالكوان، ليبلغ به المقام المحمود، ويحوز ما أعدته له العناية الالهية من الكمال اللائق به. راجع نفسك، واصنع لناجاة سرك، تبتد في وجدانك ميلا قويا وحرصا شديدا يدفعك الى طلب المجد وتلو المنزلة في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بتامها تبتد مثل ذلك في كتابها كما هو في آحادها تبني رفعة المكانة في نفوس الأمر سواها. ذلك أمر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفردا ومجمعا: ليس من السهل على طالب المجد أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعرا في السبل، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يصف حرصه، ولا ينقص ميله. يقطع شعابا، ويعاني صعابا، حتى يرقى ذروة المجد، ويتسنى شاطئ العزة، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأته يتامل وينضجر كما يتقلب على

(*) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الاستاذ الامام

الرمضاء لوسبر الحكيم الخبير أعمال البشر ونسب كل عمل الى غاية العامل منه رأى أن معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام كل على حسبه وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف . هذه خلة ثابتة في الكفاية من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المهن الى أصحاب الأمر والنهي كل ينافس أهل طبقة في أسباب الكرامة بينهم وبأنف من ضمنه فيهم ويحرص على ما يحل في قلوبهم محل الاعتبار حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة ودخل في طبقة أخرى ونافس أهلها في الجاه ولا يزال يتبع سيره مادام حيا يخطر في بساط الأرض . ذلك لان الكمال الانساني ليس له حدود ولا تحده نهاية وليس في استطاعة أحد من الناس أن يقنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حداً ليست بعده غاية . سبحان الله ماذا أخذت محبة الشرف من قاب الانسان وماذا ملكت من أهوائه . بعده ثمرة حياته وغاية وجوده حتى انه يحقر الحياة عند فقدده والمعجز عن دركه، أو عند مسه والوف من سلبه . رأيت أن فقيراً ذا أعمال لا يؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعلة تهبه أوقدفة تشينه يغلبه الغضب للدفاع عن المنزلة التي هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تفضي به الى الموت وان القذف أو الاهانة ما نقصت من طعامه ولا شرابه ولا خشيت مضجعه في مبيته . آلاف مؤلفة من الناس في الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الى المهالك وماتوا دفاعاً عن الشرف أو طلباً للكرامة والمجد . جل شأن الله لا يهنا للانسان طعام ولا شراب ولا يابن له مضجع الا أن يلاحظ فيه ان ما نال منه أعلى مما نال سواه مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالاعلوبة فيه كأن لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة للذة المباهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذات . كم يعاني الانسان من التعب البدني وكم يقاسي من مشاق الاسفار وكم يخاطر بروحه في اقتحام الحروب والمكافحات وكم يحتمل في الانقطاع عن اللذات مع التمكن منها كل ذلك لينال شهرة أو ليكسب فخاراً أو ليحفظ ما آناه الله منه . ما أجل عناية الله بالانسان لا يهيش الا ليشرف فيشرف به العالم وكل لذة له دون الشرف فهي

وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعرة بسلكها الحي الى ما يستطيع من المجد وفي نهاية الاجل يفارقها قري العين بما قارب منه، آسف الفؤاد علي ما قصر عنه .
ما هو المجد الذي يسمى اليه الانسان بالالهام الآهي وبخوض الاخطار في طلبه وبقارع الخطوب في تحصيله؟ هو شأن تعترف النفوس لصاحبه بالسودد وتدعن له بالاعتملاء ونالني اليه قياد الطاعة يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبته اليه من ذوي قرابته وشيرته وسائر أمته فتنفذ كلمته وكلمة المتصاين به والمتحمدين معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من العزيز الحكيم على معاناة الاوصاب لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الأولى . فما كان يحسبه طالب المجد عائدا الى نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره على بني جلدته أجمعين . واه! تلك حكمة بالغة اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الامة حظها من السودد نعم وهل نال ما نال الامة من سائر الآحاد منها « ذلك تقدير العزيز العليم » . ماذا يستطيع الجاهد وحده وماذا يكسبه من سعيه ان لم يكن له أعضاء من بني قبيله فمن كان همه أن يصعد الى عرش العزة ويرقى الى ذروة السيادة فعليه أن يهبي نفسه والمنتهمين اليه لتحصيل كل ما يعد في العالم فضيلة وكالا . ما أصعب القيام بخدمة هذا الميل الفطري والالهام الالهي وما أشد ما تحتل النفوس في قضاء بعض الواجب مما يتصل به وما أعظم الحامل للأفئس على تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الامر الرفيع . ما هذا الباعث الشريف الذي يسهل على الارواح كل صعب ويقرب كل بعيد ويصغر كل عظيم و يابن كتل خشن ويسلمها عن جميع الآلام ويرضيها بالمرض للتهلكة ومفارقة الحياة فضلا عن بذل كل نفيس والسماح بكل عزيز؟ هذا الباعث الجليل وهذا الموجب الفعالم هو الامل .

الامل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق في بهاء الكروب ، وعلم هاد في مجاهيل المشكلات ، وما كم قاهر للعزائم اذا اعترتها فترة ، ومسنفز للهمم ان عرض لها سكون ، ايس الامل هو الامنية والتشهي اللذان يلمحهما الذهن تارة بعد اخرى ويعبر عنهما بلبتلي كذا من الملك وكذا من الفضل مع الركون الى الراحة والاستلقاء على الفراش واللهو بما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يريد

أن يبذل الله سنته في سير الانسان عناية بنفسه الشريفة أو الخسيسة فيسوق اليه ما يهيجس بخاطره بدون أن يصيب نعباً أو يلاقى مشقة . انما الأمل رجاء يتبعه عمل ويصحبه حمل للنفس على المكار، وعرك لها في المشاق والمتاعب ، وتوطئتها للملاقات البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد ، وتوهمين كل ملم يعرض لها في سبيل الفرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها ان الحياة لغوا اذا لم تغد بنيل الأرب فيكون بذل الروح أول خطوة يخطوها القاصد فضلاً عن المال الذي لا يقصد منه الأوقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون . وكما كان الميل للرفعة أمراً فطرياً كذلك كان الأمل وثقة النفس بالوصول الى غاية سميتها من ودائع الفطرة . غير ان ثبوتها في فطرة عموم البشر كان داعياً للمزاحمات والممانعات فان كل واحد بما أودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الآخر فكل طالب مطلوب ولم يبلغ سعة العقل الانساني الى درجة تعين لكل فرد من الافراد عملاً تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير ما يكون به الآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم انجادا شرفاء بما يأتون من أعمالهم ولكنهم تزاخروا في الأعمال كما تزاخروا في الآمال والاهواء ومسالكهم ضبيقة ومشارعهم ضنكة فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين . فاذا توالى الصدام على شخص أو قوم حدث في اليهم ضعف وأصابها انحطاط وحصل الفساد في هذين الخلتين الشر يفتين (الرجاء وطلب المجد) كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية ور بما يؤل الضعف الى اليأس والقنوط (نعوذ بالله منهما)

ماذا يكون حال الفانطين المنقطعة آمالهم؟ يحكون على أنفسهم بالخطية، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة ، فيأتون الدنيا ويتعاطون الرذائل ولا ينفرون من الاهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول ما يوجه اليهم من ذلك ايأ كان فتسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان على الانعام فيرضون بما ترضى به البهائم فلا يهتمون الا بمحاجات قببهم وذنبهم ثم ياليتهم يكونون هملاً وسوائب يرعون النبات ويتبعون مواقع الفئث ولكنهم وان تركوا

العمل لأنفسهم فالله تعالى يسلط عليهم من يكافهم بالعمل لغيرهم فيكونون كالنمل
الجمالة لا تستفيد مما تحمل شيئاً وظيفتها ان تسعى وتشقى ليسعد غيرها ويستريح
فيالجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرها من الاعمال الشاقة ويدأبون بأشد
مما يدأب العامل لنفسه ثم لا ينالون مما يعملون شيئاً . ثمات كسبهم بأسرها
محولة الى الذين سادوا عليهم بهمهم (هذا الذي يتجشمه الدليل في ذله من مشاق
الاعمال ومعاناة المكاره لو تحمل بعضاً منه في طلب العزة لاصاب حظه منها)
بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنى من درجة الحيوانات العاملة
فإن السائدين يشعرون بحكم البسادهة أن هؤلاء أسقطوا انفسهم عن منزلة كانوا
يستحقونها بمقتضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها بل بما لا يصح أن
يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكوینهم على الشكل الانساني وايداعهم ما
اودع في أفراد الانسان فيعاملهم أولئك السادات بما لا يعاملون به ما يقتنون
من الحيوانات ولنا على ذلك شاهد العيان في الامم التي أدركها اليأس وسقطت
في أيدي الاجانب

ونظن أن يوجد أقوام آخر سامهم ساداتهم في الزمن السابق ويسومونهم
الآن ما لا تسام به السواثم الراحية وهم على القرب منا وليسوا بعيد عنا .
عجبا كيف تبدل أحكام الجيلة وكيف يمحي أثر الفطرة؟ كيف تسفل النفس
حتى لا تطالب رفعة وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل والامل وحب الكرامة
طبيعيان في الانسان . بعد إيمان النظر نجد السبب في ذلك نحن الانسان أن
جميع أعماله انما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وان قوته هي سلطان أعماله
وليس فوق يده يدمده بالمعونة أو تصده بالتهرف اذا صادفته الموانع مرة بعد اخرى
وقطعت عليه سبيل الوصول رجع الي قدرته فوجدها فانية، وقوته فراها واهنة،
فيترف بوهنه ، ويسكن الى عجزه ، فييأس ويقنط ، وينذل ويسفل ، اعتمدا منه بأنه لا
دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ومتي كانت قوة المانع أعظم من قوته
فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فينقطع الأمل فيقع في الشقاء الابدی .
أما لو أيقن بان هذا الكون مدبرا عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته وتدين كل

سطوة لجبروته الاعلى وأن ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس وتفثال آماله غائلة القنوط فان صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله التي هي أعلى من كل قوة فيركن إليها في أعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا فكما تماظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثا في مدافعتها مقمدا على أن قدرة الله أعظم منها وكما أعلق في وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب فلا يعل ولا يكل ولا تدركه السامة لا عنقاده أن في قدرة مدبر الكون أن يقهر الأعداء ويلقي قبادهم الى الأذلاء وان يدك الجبال ويشق البحار ويمكن الضمفاء من نوادي الأقوياء - - - - - وكما كانت لقدرة الله من هذه الآثار - - - - - قد شتد عزيمته ويدأب فيما كلفه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة في الأولى والأخرة وما كان لموقن بالله وبقدرته وعزته وجبروته ان يقنط ويأس ولهذا اخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التي لا ريبه فيها بما قال وهو أصدق القائلين « انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون » وبما حكى من قول نبيه ابراهيم « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على الكفر والضلال ومن اين يطرق اليأس قلبا عقد على الايمان بالله وبقدرته الكاملة . لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ان يقنطوا من رحمة ربهم في اعادة مجدهم مع كثرة عددهم ولا يسوغ لهم ايمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضميم ويتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلي به كثير من الامم فان لهم ملوكا عنانها ولا يزال في ايديهم ملك عظيم على بسط الارض وان من الحق ان ان ابواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلجوها ، وان روح الله نافذة عليهم وما يلزمهم سوى ان يستنشقوها ، وان فرص دائما تمد ايديها اليهم بطلب انبساطهم وتذبه غافلهم وتوقظ نائمهم وايس عليهم في استرجاع مكائنتهم الأولى والصعود الى مقامهم الا ان يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من اعزاز ملتهم وذلك أيسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فاي

موجب لليأس وأي داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الناظم بأن الرأس من أوصاف الضالين؟ وهل توجد واسطة بين الرشد والي فإذا بعد الحق إلا الضلال؟ هل يكون للقائمين فيهم من عذر؟ أيرضون بالعبودية للأجانب بعد تلك السيادة العليا؟ ماذا يبتغون من الحياة إن كانت في ذل واهانة وفتور وفاقة وشقاء دائم يبدد عدو غاشم؟ يطمئنون وهم بين اجني حاكم وبيض شامت ومفجع غبي ومشنع ذلي ومعيخسيس يزموهم بضعف العقول وتقصير الاستعداد ويحكون بأن محال عليهم أن يصبروا أمة في عداد الأمم؟ إذا لم ينسوخ الإنسان عن كل خاصة إنسانية كيف يرضى بحياة مكنتفة بكل هذه التماسات والمكدرات أينسون أنهم كانوا الأعمى في الأرض وما طال على ذلك الزمان، ولا بحيث التواريخ، ولا عفت الآثار، ولا اضمحلت بالكافية شوكة المسلمين من وجه الأرض؟ إن كان للامانة عذر في الغفلة عما أوجب الله عليهم فأبي عذر يكون للعلماء وهم حفظة الشرع والراسخون في علومه؟ لم لا يسعون في توحيد منفرق المسلمين لم لا يبذلون الجهد في جمع شملهم لم لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم؟ لم لا يأتون على ما في الطاقة لتقوية المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين به وتبشيرهم بهبوب روح الله على ارواحهم . بلى ان قوما شرح الله صدورهم للإيمان قاموا بهذا الامر في مواقع مختلفة من الأرض يجمع التواصل بينها عقدة واحدة الا ان أملنا في بقية المسلمين ان يلتفتوا معهم ويتوخوا بعضهم لئلا يتمكن الجميع من نصر الله « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدانكم »

انحطاط المسلمين وسكوتهم (١)

وسبب ذلك

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

ان للمسلمين شدة في دينهم وقوة في إيمانهم وثبات في يقينهم يباهون بها من عداهم من الملل وان في عقيدتهم أوثق الاسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما

رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفاية لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين ويشفقون على أحداهم أن يمرق من دينه أشد ما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في علمائهم ممتدة كنه في عامتهم حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا ان واحدا ممن وسم بسمة الاسلام في أي قطار ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلجج بالحوقة والاسترجاع ويمسد النازلة من أعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بدمعته من السنين لا يتمالك قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان ويستنزه القضب ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يحدث عن غريب أو يحكي عن عجيب .

المسلمون يحكم شر يعتمهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلمهم مأمور بذلك لافرق بين قريتهم وبعيدهم ولا بين المتحددين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم ان لم يقم قوم بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الآثام ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بندل الاموال والارواح وارنكاب كل صعب واقنحام كل خطب ولا يباح لهم المسالمة مع من يغال بهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم وبالفيت الشرعية في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حدلو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة من دار حربه - وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ولا يقبر منها تأويلات أهل الالهواء وأعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنبيه يذكره بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من الهامات دينه ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يعلم بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوجستان كأولايرون حركات الانكباب في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جاش ولا تكون

لهم نعمة على اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون نداخل الانكاز في بلاد فارس
ولا يضجرون ولا يتلملون

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه
الحالة التي هم عليها مما يقضي بالعجب ويدعو الى الحيرة ويسبق الى بيان
السبب فخذ مجملًا منه: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات
والمدرجات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها
تصدر بتقدير العزيز العليم لكن الاعمال تبنيها وتقويها ونطبعها في النفس ونطبع
الأنفس عليها حتى يصير ما يمبرمته بالملكة والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلازمها
نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا أن ما ينعكس الي مرآة عقله من
مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فنكل شهود يحدث فكرا
وكل فكري يكون له أثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى
الفكر ولا ينقطع الفصل والانفعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح في
الاجساد وكل قبيل هو لآخر عماد .

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب
والالتحام لولا ما تميث عليه الضرورات وتلجى اليه الحاجات عن تعاون الانساب
والعصبية على نيل المنافع وتضاهيهم على دفع المضار وبعد كروار الايام على المضافة
والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذًا يصرفه في آثارها بقية الاجل ويكون
انبساط النفس لعون القريب وغضاضة التلب لما يصيبه من ضيم أو نكبة جاريا
مجري الوجدانيات الطبيعية كالأحاساس بالجوع والعطش والري والشبع بل
اشبه أمره على بعض الناظرين فعده طبيعيا . فلوأهملت صلة النسب بعد ثبوتها
والعلم بها ولم تندع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة
ويؤكدها أو وجد صاحب النسب من يظاها في غير نسبه أو ألقائه ضرورة
الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري
مجري المحفوظات من الروايات والمنقولات . وعلى مثال ما ذكرنا في رابطة

النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضها ببعض . اذا لم يصحب العقد الفكري ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الي عمل تنطبع عليه الجارحة وتمرن عليه وهورد أثر تكريره على الفكر حتى يكون هيئة لاروح وشكلا من اشكلها فلن يكون منشأ لا آثاره وانما يمسد في الصور العملية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول البينة والنظر فيها بهين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الي ما هم فيه مع شدتهم في دينهم والعلة في نباطوهم عن نصره اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر أما في هيئتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لأنساب بينهم وكل ينظر الي نفسه ولا يتجاوزها كأنه كونه برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مراکش ولا لمراكش عند العثمانيين ؟ أليس بغريب أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟ هذا التدابر والتقاطم وارسال الحبال على الفوارب عم المسلمين حتى صح أن يقال لاعلاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد وبلد الا طينف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم ويعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدفة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الي الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد أجنبي عن ملته ولكنه

لضعفه لا يبعث على النهوض لمعارضته . كانت الأمة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج فنزل به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتناثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الأمة الإسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقبما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان ثم انثلمت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الأندلس . تفرقت بهذا كلمة الأمة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيبتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يراعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكزخان وأولاده وتميورنك وأحفاده وابقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلهم عن أنفسهم فتفرق الشمل بالكلية وانفصمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعاً وانفرد كل بشأنه وانصرف الي ما يليه فتبدد الجمع الى آحاد وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك أو مذهب فضعفت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة ونبعث على اشتباك الوشيحة وصار ماني العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذكرة عند عرض ماني خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب ببعض المسلمين بعد أن ينفذ القضاء ويبلغ الخبر الى المسامع على طول من الزمان وما هو الا نوع من الحزن على الفاتت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة اندارك التازلة ولا دفع الغائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك

بممكن الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويجمعوا معاقد هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة ويصير كل واحد منها كحديقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد اطرافها اضطرب لهزته الطرف الآخر ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع انحاء الارض بعضهم ببعض ويجمعون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا أطراف الوشائج الى معتد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة واشرفها مهاد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتداخل فيها بما يحط من شأنها ويكون كذلك ادعى لنشر العلوم ونوير الافهام وصيانة الدين من البدع فان احكام الربط إما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فثوها بين العامة وليس يخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها واقتدارها على دفع ما يغشاها من النوازل .

الا أنا نأسف غاية الاسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين الى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفت اليها في هذه الأيام طائفة من أرباب انصيرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلماهم من أهل الحمية والحق أن يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يوجد جمع شبيهم فقد دارستهم التجارب ببيان لا مزيد عليه وما هو باليسير عليهم أن يبشوا الدعاة الى من يبعد عنهم ويصافحوا بالاكف من هو على مقربة منهم ويتعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم وملتهم بفائدة أو ما يخشى أن يسها بضرر ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا فرينة وطلبوا سعادة والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير

باب المناظرة والمراسلة

—* الرد على الشيخ بخيت = تابع لما في الجزء التاسع *—

﴿ الاستدلال بحديث جابر ومعناه ﴾

قد علم مما تقدم في الجزء التاسع ان حديث جابر الذي استنبط منه الشيخ بخيت جواز أن يكون امام المسلمين وخليفتهم كافراً لم يرو الا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي وان هذا الراوي قد طعن فيه أشد الطعن فحكم البخاري بأنه لا يجوز الرواية عنه وقال وكيع انه كان يضع الحديث أي يخلقه وينسبه لى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انه لا يتابع على حديثه فمناجعة عبد الملك بن حبيب له لا يمتد بها على أن عبد الملك هذا مجروح وكان يعتمد على الاجازة لما كتب فاذا نحن اعتبرنا متابعه فاننا لأنحکم بأن الحديث يرتقى بها الي درجة الصحة أو الحسن فالحديث لا يحتج به .

اماماً كثر الكلام فيه الشيخ بخيت من كون ضعف الراوي أو نكارته أو وضعه للحديث لا يقتضي أن يكون كل ما يرويه ضعيفاً أو منكرراً أو موضوعاً في نفسه فهو على ما فيه من التفصيل غير مفيد هنا وان كان فيما نقله عن المتأخرين - كالناوي والزيدي بل والقاسي - ما يرويه الجاهل بالحديث ما يرويه . والحق ان ما ينفرد به الراوي المعروف بالوضع موضوع لا يجوز روايته الا للتنبيه على كونه موضوعاً وما ينفرد به الضعيف ضعيف لا يحتج به في اثبات الأحكام وتقرير الشريعة وما ينفرد به منكر الحديث في اصطلاح البخاري لا يجوز روايته عنه الا للبيان حتى لا يفتقر به أحد وراوي هذا الحديث كذلك وقد علم حكمه عند غيره مما سبق . نعم انه يجوز عقلاً ان يكون الحديث الذي يرويه أشد الناس ضعفاً بل أكثرهم كذباً ووضعاً مما له أصل في الواقع وهذا الجواز العقلي لا يبيح لمؤمن أن يقبل رواية من لا يوثق به ويحتج بها الاحتمال صدقه عقلاً . واذا ظهر أن بعض مارواه قد رواه غيره عن الثقات فأما يكون الاحتجاج بالرواية الأخرى .

فخلاصة القول في استدلال الشيخ بخيت بحديث جابر عند ابن ماجه ان

الشيخ بخيت لا يعرف له سندا يبيح له الاستدلال به والاستنباط منه ولا حجة له في احتجاج بعض الفقهاء به في غير مسائلنا لأنه هو في هذه المسألة مجتهد مستنبط لا مقلد فيجب أن يكون علي يدنة في استنباطه والا فليقف عندما قاله الفقهاء ولم يقل ان أحداً منهم قال ان الحديث يدل على جواز أن يكون امام المسلمين كافراً وأنه قلده في ذلك .

قال الشيخ بخيت (في ص ٤٦) بعد ما نقل عن صاحبه الفاسي الذي جعله من الحفاظ ما نقله ابي الفاسي من الاحتجاج بالحديث الذي تلقاه الاملاء بالقبول وان طعن فيه أهل الحديث ما نصه : « وقد علمت ان حديث جابر الذي نحن بصددده قد تمددت طرقه وردي عن اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما وذكري كثير من السنن وكتب الحديث كما رواه شواهد تصحيح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة واجماع الامة وأصول الشريعة » اه
أقول بعد الاستعاذة بالله من مثل هذه الجراءة قد علمت مما ذكرناه في الجزء التاسع ان الحديث لم تعدد طرقه بل هي طريق واحدة - وانه لم يرو عن أبي سعيد وإنما روي عنه حديث آخر يوافق حديث جابر في غير موضع النزاع فهو لا يمد تقوية له فيه وإنما تقوي الروايات بعضها بعضاً فيما تشترك فيه وليس في حديث أبي سعيد انهي عن إمامة الفاجر للمؤمن الا عند الخوف - وانه لم يرو في كثير من كتب السنن كما قال وانا ذكر في سنن ابن ماجه والبيهقي اما البيهقي فقد ذكره ايمن انه لا يحتج به وانا ابن ماجه فقد قال السندي في حاشيته على كتاب السنن له ما نصه :

« وقد اشتمل هذا الكتاب من بين الكتب الستة على شؤون كثيرة انفرد بها عن غيره المشهور ان ما انفرد به يكون ضعيفاً وليس بكلي لكن ان غالب كذلك » ثم نقل ان السيوطي قال في حاشية النسائي نقل عن غيره « ان ابن ماجه قد انفرد بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب ووضع الاحاديث وبعض تلك الاحاديث لا تعرف الا من جهتهم مثل حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك والعلاء ابن زيد وداود بن المنجم وعبد الوهاب بن الضحاك واسماعيل بن زياد السكوني

وغيرهم» ثم قال « وقد حكم أبو زرعة على أحاديث كثيرة منه بكونها باطلة أو ساقطة أو منكرة وذلك محكي في كتاب العلال لابي حاتم انتهى . قلت وبالجملة فهو دون الكتب الخمسة في المرتبة فلذلك أخرجه كثير من عده في جملة الصحاح السنة لكن غالب المتأخرين على انه سادس السنة »

أقول وحديث جابر الذي هو موضوع ما ظرتما يهدما انفراد به دون سائر الكتب الستة التي هي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي . وأما البيهقي فهو بعده وطريقه عين طريقه فيه فعلم بهذا سقوط ايهاه قوة الحديث بإخراج أهل السنن له من طرق متعددة تنتهي الى اثنين من الصحابة .

وأما قوله ان له شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع فقد احتج عليه باشتماله على ستة أمور مؤيدة بما ذكر (١) الامر بالموابة (٢) الدلالة على اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة (٣) وجوب الجمعة وانحصر على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافا بها وتهاونا أو جحدا لها (٤) النهي عن امامة المرأة في كل من الامامة الكبرى والامامة في الصلاة (٥) النهي عن امامة الاعرابي كذلك (٦) النهي عن امامة الفاجر لانه مؤمن كذلك .

أقول ان التدليس أو الايهام في هذا الكلام لا يقل عن مثله فيما قبله وبيانه يعلم مما سبق لمن تأمل وهو أن موافقة الكتاب أو السنة الصحيحة أو الاجماع لحديث ضعيف أو موضوع لا تعد تأييدا له فيما انفرده به في المعنى كما أنها لا تدل على صحة اسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم فان من الاحاديث الموضوعه بانفاق الحديثين ما هو صحيح المعنى لموافقة معناه كذا للكتاب أو السنة الصحيحة أو الواقع ومع ذلك لا تجوز نسبه الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا روايته الا لبيان وضعه . وكذلك الحديث الضعيف . وهذا هو الحكم فيهما اذا كان معناه كله صحيحا مؤيدا بما ذكر واما اذا كان فيه معنى صحيح مؤيد ومعنى انفرده به لا يؤيده شيء فلا يجوز أن يقال ان هذا الحديث مؤيد بما يقرب المعنى الذي انفرده به بموافقة الكتاب أو السنة أو الاجماع لمعنى آخر فيه .

غالبه أن يقول قائل : يا أيها الناس اتقوا الله واياكم وشرب الخمر : وادعى

ان هذا حديث فهل يباح لنا أن نقول اذا لم يصح هذا الحديث رواية فهو صحيح
معنى لأنه مؤيد بالكتاب والسنة والاجماع باشتياله على الامر بالتقوي ؟ لا يباح
ذلك فان موافقته لما ذكر بالأمر بالتقوي لا تثبت كونه حديثا ولا تؤيده في
التحذير من شرب القهوة . المثال ينطبق على دعوى الشيخ بنحيت تأييد حديث
جابر بما ذكر وكونه صالحا بذلك لأن يحتج به على جواز كون السلطان الذي
يأذن بالجمعة ويرلي القضاء غير مسلم . وهذا على فرض اشمال حديث جابر على
هذا المعنى كما ادعى فاذا لم يكن مشتملا عليه كما هو الواقع فما هي فائدة موافقته
للكتاب والسنة في مثل الأمر بالتوبة ووجوب الجمعة .

ولسنا في حاجة الى مناقشته فيما ادعاه من تصحيح كل أمر من تلك الأمور
بتأييده بالكتاب والسنة فإنه يخرج بنا الى تطويل لا حاجة اليه في موضع النزاع
ولا غرض لنا ببيان كل خطأ وغلط في رسالته وإنما نذكر من ذلك ما له علاقة
بموضوعنا . اما قوله (في ص ٤٧) ان الكتاب والآثار الصحيحة تؤيد ما يدل
عليه الحديث من اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة - أي ولو كان كافرا
على حسب استنباطه - فعزاه الى الخفية وذكر انهم أخذوا الشرط من قوله تعالى
« الى ذكر الله » اذ لا بد في الذكر من ذا كر وهو من له ولاية الاقامة .
ونقول اذا كان الشيخ بنحيت مقادا بمتاهولاء الخفية وان لم يظهر له صحة دليلهم
فقاله وما للاستنباط وان كان يرى هذا الدليل موصلا الى اثبات اشتراط اذن
السلطان وان كان كافرا في اقامة الجمعة فنقول له ان الذكر هنا هو الصلاة والذاكر
هو المصلي فمن أين أخذت اشتراط أن يكون المصلي واحدا وان الصلاة لا بد فيها
من ولاية ولو لكافر بأذن بها وأنه يجب ان يكون المصلي الذي يسعى اليه هو
صاحب هذه الولاية أو من أذن له صاحب هذه الولاية !!! أليس المتبادر من
الآية فاسموا الى أداء هذه الصلاة التي نوديتم لها ؟ هل يقول الشيخ بنحيت ان
قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يدل على أنه يشترط في
قراءة القرآن اذن السلطان اذ لا بد في القراءة من قارئ ولا بد أن يكون القارئ من
له ولاية القراءة ؟ والا فما الفرق بين هذا وبين قوله تعالى (اذا نودي للصلاة من

يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله) وكل منهما شرط وجزاء ؟ فان كان يدعي ان هالك دليلا آخر من غير الكتاب يدل على ان المصلي تلجئة لا بد له من اذن فلماذا يدعي ان الكتاب نفسه هو الذي يدل على ذلك ؟ ألا يعرف ما هو وصف من ينسب الى القرآن ما ليس فيه وما هو جزاؤه ؟ وهل الشيخ بخيتا يذكر لنا من سبقه الى هذا الاستنباط من الخنفية لعلم هل هو من طبقة يحتد بهم أم لا وانني أخشى ان يكون عزره ذلك الى الخنفية كبرود الحديث الى كتب السنن أو . . .

ثم قال في بيان تأييد هذا الحكم بالأثار الصحيحة مانصه « وأما الآثار فما روى الحسن البصري موقوفاً أربع إلى السلطان وذكر منها الجمعة والعيدين والموقوف في هذا له حكم المرفوع لكونه مما لا يدخل للرأي فيه » اه

أقول في فتح التقدير ان هذا الأثر من قول الحسن البصري والشيخ بخيت جملة رواية عنه موقوفة على بعض الصحابة ولم يذكر الصحابي الموقوف عليه فهل صاحب الفتح وغيره من شراح البداية ومخشيها هذا الصحابي وعرفه الشيخ بخيت ؟ واذا كان الامر كذلك فلماذا لم يذكر هو الصحابي أليس ذكره أقوى في الحجة من ذكر الحسن البصري ؟ أم ظن الشيخ بخيت أن قول التابعي فيما لا يدخل للرأي فيه كقول الصحابي يسمى حديثاً موقوفاً وله حكم المرفوع واذا ما داسماه أثراً ؟ أم تعد تسمية قول الحسن رواية لحديث موقوف غشا للقارئ لرسالته ؟ ولماذا لم يذكر من خرج هذا الأثر من المحدثين يرجع الى سنده فينظر هل هو سند صحيح أم لا ؟ أهله يبين لنا حقيقة الأمر في ذلك برسالة أخرى ولو ينقل عن البرق الوهيم أو اتاقي عن صاحبه الخافض الكتاني الفاسي أو عن كتبه . . . ولنا أن نقول بعد ذلك اذا صح أن ما ذكر حديث موقوف أو مرفوع يحتاج به فان قصارى ما يدل عليه ان السلطان أولى بإمامة الجمعة من غيره ان وجد لأن صحة صلاة الجمعة مشروطة بإذن الملائطين لا تنعقد ولا يقبها الله تعالى إلا إذا أذن بها السلطان وإن كان كافراً

ثم قال الشيخ بخيت بعد ما تقدم « ووافق ابن المنذر مضت السنة الذي غيرت به السلطان أو من أمره وقل في التلويح اذا قل الراوي من السنة

كذا يحمل عند الشافعي وكثير من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى على سنة النبي عليه السلام « اه

أقول السنة في الاصل الطريقة والعادة والسيرة ولأهل الاصول والحديث والفقهاء فيها اصطلاحات مسروقة . واختلف أهل الاصول في قول الصحابي من السنة كذا هل يحتاج به أم لا قبل يحتاج به لان الظاهر أنه يريد سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا لجواز أن يريد سنة الناس وعاداتهم كما في جمع الجوامع وشرحه وأما قول آحاد العلماء مضت السنة بكذا فليس بحجة عند أحد وان كان العالم محدثا وصرح بأنه يريد السنة النبوية لان العبارة بما يرويه لا بما يقوله فكيف اذا قامت القرينة على أنه يريد بالسنة معناها اللغوي وهو العادة كقول ابن المنذر مضت السنة بأن الذي يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره . لانه لم يكن في زمن النبي سلاطين

ثم أنه لا يخفى على عاقل أن مضي السنة بأن السلطان هو الذي يقيم الجمعة أو كون ذلك للسلطان كما قال الحسن لا يدل على كون اذنه شرطا لصحتها أو لقبولها عند الله لاسيما اذا كان كافرا على مذهب الشيخ بحيث بل قصارى ما يدل عليه أنه هو الاولى بالإمامة والخطابة فيها اذا وجد . وقد أقام الجمعة علي عندما كان عثمان محصورا ولم يرو عن أحد أن عثمان أذن له بذلك ولا سأل أحد من الصحابة الذين صلوا مع علي هل أذن عثمان بالجمعة أم لم يأذن . وقول الحنفية إن هذه واقعة حال يحتمل أمها كانت بإذن وإن لم ينقل لا يفيد الا اذا كان هناك دليل على اشتراط اذن الخليفة أو السلطان فعند ذلك يقال ان الواقعة لا تصلح معارضة للدليل لما بتورها من الاحتمال وحديث ابن ماجه الذي هو موضوع بحثنا لا يحتاج به لما علمت على أنه لا يدل على الاشتراط لأن قيد « وله إمام عادل أو جائر » إنما هو مع سائر القيود لاستحقاق ذلك الوعيد كأنه اذا ترك الجمعة وهو ليس له امام بأن كان تحت سلطة الحريين الذين يمنعون المسلمين من إقامة الشعائر يكون له عذر وههنا بحث في قوله « فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي وله امام عادل أو

جائر استخفافا بها أو سبحانه لها فلا جمع الله شمله « الخ وهو هل الوعيد بقوله فلا جمع الله شمله فبعد بوجود الامام مع الاستخفاف أو الجحود أم هو عقيد بكل منهما؟ الظاهر الاول وعليه فمن ترك الجمعة غير مستخف بها ولا جاحد فلا يستحق هذا الوعيد كله وان كان له امام

ثم استدل بعد ذلك على اشتراط اذن السلطان بالعقل وملخص دليبه أن الجمعة تؤدي بجمع عظيم والتقدم على الجمع بعد شرفا ولذلك يسارع اليه طلاب الجاه فتقع الفتنة بالتنازع عليه فشرط ان يكون التقدم لذي سلطان يعتقدون طاعته أو يخافون عقوبته قطعاً للفتنة وتنميماً لأمر الجمعة ولنا ان يبطل هذه الشبهة التي جعلها دليلاً مقبولاً بأمور (منها) أنه يأتي مثل هذا المعنى في صلاة الجماعة لا سيما اذا كان المصلون كثيرين كما يقع كثيراً وكما هو المطلوب شرعاً لا سيما على القول بفرضية صلاة الجماعة فلماذا لم يقولوا باشتراط اذن السلطان في صلاة الجماعة اذا لم يكن هو الذي يقيمها (ومنها) أن دعوى خوف الفتنة التي ذكروها ممنوعة وسند المنع المشاهدة كما نرى في صلاة الجماعة الكثيرة وفي صلاة الجمعة في البلاد التي ليس فيها سلطان ولا أذن بإقامة الجمعة فيها سلطان (ومنها) أن هذا المعنى لو كان صحيحاً لثاقه الشارع بالنص الصريح ولو ورد نص بذلك لتواتر أو اشهر واستفاض ولم تنحصر روايته في رجل لا تحمل الرواية عنه (ومنها) أن هذا الشرط الذي جعله ردها دون صلاة الجمعة مانعا من تركها هو الان كما كان قبل الآن سبباً في تركها عند من اعتقده اذ يتعسر أو يتعذر على كثير من مسلمي روسيا مثلاً الوصول الى اذن من القيصر باقامة الجمعة فأى فتنة تحذر من اتفاقهم على إقامة الجمعة وأن يكون الامام فيها هو الامام في سائر المصلوات . أليس هذا أقرب الى العقل وأحفظ للدين مما ذكره

وأما الأمر الثالث ما اشتمل عليه الحديث وهو وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافاً بها أو تمهاونا أو بجهلها فلا نبحت فيه وان كان فيما قاله ببحث لأنه ليس من موضوعنا في شيء .
وأما الأمر الرابع وهو النهي عن إمامة المرأة فقد ذكر الشيخ بخصيت فيه خلاف

أبي ثور والمزني وابن جرير الطبري وحديث أم ورقة التي أذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها وهو أصح من حديث جابر الذي هو موضوع كلامنا وقد اعترف بأنه لا دليل في الباب سواء أي على منع إمامة المرأة فنقول له كيف كان إذا مويدا بالكتاب والسنة والاجماع !!

وأما الأمر الخامس وهو النهي عن إمامة الأعرابي فقد قال الشيخ بخيت (في ص ٥٠) فيه « والرد بالأعرابي الجاهل بدليل مقابله بالمهاجر والجاهل فاسق يجبهه » ثم أورد فيه احتمالين فقال « يجوز أن يراد به الكافر وبالمهاجر المؤمن مطلقاً . . . ويحتمل أن يراد به ما هو أعم ويكون المراد بالمهاجر المؤمن الكامل » واستدل على الأول بحديث « أيما أعرابي حج ثم عاجر فعليه أن يحج حجة أخرى » وعلى الثاني بحديث « لا يؤمكم ذو جرأة في دينه » وحديث « اجعلوا أئمتكم خياركم » وهو استدلال بديهي البطلان فلا تطيل فيه ولا تتكلم عن هذه الأحاديث . ثم قال (ص ٥١) « وليس المراد بالأعرابي من يسكن البوادي وإن كان ورعاً زاهداً عادلاً فقيهاً فإن هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث » ثم ذكر الآيات الواردة في سورة التوبة في الأعراب ككون كفارهم ومناقضهم أشد كفراً ونفاقاً وكون فيهم من يؤمن بالله واليوم الآخر . وتوسل بذلك إلى قوله « ولكن المعتبر قد أبي إلا أن يكون جميع الأعراب قسماً واحداً وهم المقيمون بالبادية وراء أنعامهم مخالفاً في ذلك كتاب ربه سبحانه فهمي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المعتبر ونحن ممن يقول بقول الله ولا نقول بقول هذا المعتبر المخالف لكتاب الله » اه !!

أقول لينظر علماء تونس وسائر المغرب والهند وسائر أهل المشرق والحجاز وسائر بلاد العرب والترك والهند وسائر بلاد المسلمين إلى مقال هذا الرجل الذي يعد من أذكى علماء الدرجة الأولى في الأزهر كيف يفهم اللغة والدين وكيف يجادل في العلم لهم ينصحون لأهل بلادهم بأن الرحلة إلى الأزهر لاجل طلب العلم مضيعة للمال والوقت لأن منتهى العلم فيه إيراد الاحتمالات في الضروريات والبدهييات ، انفتت كتب اللغة والتفسير والحديث والفقهاء على أن الأعراب هم

سكان البادية من العرب ومواليهم منهم والاعرابي منسوب اليهم ف جاء الشيخ بن حيت
المستنبط الأزهرى الجديد يورد احتمالات في تفسير الاعرابي ويدعي أن من يقول
إن الاعرابي هو المقيم في البادية مخالف لكتاب الله تعالى أليس هذا العلم أو الجهل
بما يصدق عليه قول الجاحظ أنه لا يصل اليه أحد إلا بخذلان من الله !!

قال في القاموس : « العرب بالضم وبالفتح بك خلاف العجم مؤنث وهم سكان
الامصار وأوعام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على أعراب » وقال
شارحه عند قوله والاعراب منهم سكان البادية « خاصة والنسبة اليه أعرابي لأنه (لا
واحد له) كما في الصحاح وهو نص كلام سيديويه والأعرابي البدوي وهم الاعراب »
ثم قال « وحكي الأزهرى رجل عربي اذا كان نسبه في العرب ثابتا وان لم يكن
فصيححا وان كان عجمي النسب ورجل أعرابي بالالف اذا كان بدويا صاحب
نجمة وانواء وارتباد الكلا وثبج مساقط الغيث وسواء كان من العرب أو من
مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعراب والأعرابي اذا قيل له يا عربي
فرح بذلك وهش والعربي اذا قيل له يا أعرابي غضب فمن نزل البادية أو جاور
الباديين فظمن بظنهم وانتوى بانتواهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن
المدن والقرى العربية وغيرها مما ينتهي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء .
وقول الله عز وجل « قالت الاعراب آمنا » هؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا
على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة طمعا في الصدقات لارغبة في الاسلام فمما هم
الله الأعراب فقال « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » الآية . قال الأزهرى
والذي لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي ربما تحامل على العرب بما يتأوله في
هذه الآية وهو لا يميز بين العرب والأعراب . ولا يجوز أن يقال للمهاجرين
والانصار أعراب انما هم عرب لانهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن سواء
منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى والناشئ بمكة ثم هاجر الى المدينة فان
لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نعاما ورعوا مساقط الغيث بعد
ما كانوا حاضرة أو مهاجرة قيل قد نعر بوا أي صاروا أعرابا بعد ما كانوا عربا في
الحديث : تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي : جعل المهاجر ضد الأعرابي . قال

والاعراب ما كانوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأوصار ولا يدخلونها
الا لحاجة» اهـ

أقول وإذ رجعت الى كتب التفسير وشروح كتب الحديث لا تجد للاعرابي
تفسيرا غير ما في القاموس وشرحه وهو عين ما قلناه فقال فينا الشيخ بنحيت ما قاله
لما اخترعه هو في تفسير الأعرابي من الاحتمال ، وأما كون الأعراب أقساما
منهم المؤمن والكافر والمنافق فهو لا يخرجهم عن كونهم سكان البادية ورعاة
الأنعام . ومن هاجر منهم وأقام في المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
خرج عن كونه أعرابيا لغة وعرفا وصار حضريا مهاجرا وكذلك من ترك البادية
وأقام في العمران في كل زمان يخرج من صنف الأعراب والبدو ويصير من أهل
الحضارة . فقول الشيخ بنحيت (في ص ٥١) : « ليس المراد بالاعرابي من يسكن
البيوادي وان كان عالما ورعا زاهدا عدلا فقيها فان هذا لا يدخل بالضرورة
تحت النهي في الحديث بل ربما يكون أقرأ القوم وأعلمهم فيكون هو الاولي في
الامامة في الصلاة بالتقدم علا بعموم الاحاديث الواردة بتقديم الأقرأ ثم الاعلم
مطلقاً » : لا يقوله الا من يجهل اللغة والتفسير والحديث والسيرة النبوية ويكون
المعلم عنده عبارة عن ايراد الاحتمالات الكثيرة في كل قول كما هو دأب أهل
الأزهر الا من أنقذه الله تعالى وحفظه وقابل ما هم . اما اللغة والتفسير والحديث
فلما تقدم واما السيرة النبوية فلا يجهل من اطعم عليها ان الاعراب لم يكن منهم علماء
فقهاء بحيث يكون الواحد أعلم من المهاجر حتى اذا اجتمعا - كأن ألم المهاجر
بالبادية أوجا البديري المدينة لحاجة - يقدم الاعرابي في الامامة على المهاجر
بعلمه وقراءته وفتنه لان القراءة والعلم والفقه لم يكن لها مصدر الا النبي صلى الله
عليه وسلم فكيف يكون البعيد عنه في البادية أعلم من المصاحب له في المدينة ؟؟
الهم ان احتمالات أكثر الأزهر بين لا يهتمها عقل غيرهم من عبادك وان من احتمالات
الشيخ بنحيت ، الا يكاد يحتمله عقل أحد من الأزهريين ، حتى يوافقوه على زعمه
اننا خالفنا كتاب الله في تفسير الاعراب والمهاجرين ، وانما كان هو الخالف
لكتاب الله وكتب علماء اللغة والدين ،
(للرد بقية)

رسالة في تقاليد أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي
الحمد لله . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله
حضرة العلامة الأستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا مفتي مجلة المنار الفراه
أمدته الله بروح من عنده ، ومنحه من الاعانة على الارشاد ما لا ينبغي لأحد
من بعده ،

سعد حظي أيديكم الله بما أمتنتم به علي من اعتباركم لي مشركا في مجلتكم
التي تقشع بمظهرها سحب الضلال ، والبسح التي أحدثت بالأمة ذات اليمين
و ذات الشمال ، والخرافات التي انصفت بصيغة الدين ، والأوهام التي لمبت
بمقول أولئك الجامدين ، فتبارك الذي أيقظ همته لإرشاد أمتك فأوضح
للساري بمنازل المحجة « ومن يهد الله فإله من مضل » سيما وقد شفقت ذلك
بفتح باب الأسئلة للمسترشد ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز السادة
للأمة ، ما إن مفاحة لتنوء بالعصبة أولى القوة ، وقد حملني فضلكم هذا على
تقديم أسئلة لاعتابكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الأخيرة قصدا لأداء صلاة المشاء مع الجماعة
فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتا مرتنفة وقد رجبت الأرض رجاً فحسبت أن
أبخره احتبست فيها فنشأ عنها زلزال فكثرت لفظ القوم على ما أعرفه عنهم عند
حدوث الزلزال ولم يزل ظني كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عددا كبيرا
من نوع الانسان ينيف على الحسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيديه وقد تصيب
جبينه عرفاً فعلمت أن رجة الأرض من وطأة قدميه فسألني شتميقاي الشهران
عن ذلك فكان جوابي « الجنون فنون » فأعاد علي السؤال : كيف يسهى في
جنون من عقل ؟ فقلت وأن لهم بالعقل ولو كانت لهم منه مسكة لا فكروا في مثل
هذا وتجرءوا على معصية الله في بيته . هلا انفرد كل منهم بنفسه وذكر الله
تعالى كما أمره بقوله ﴿ واذا كررك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من

القول ﴿ وهذا ان لم يكن هوؤلاء المجانين شغل تعجل منفعة، والا فليحملوا فوق هذه الاوزار أوزارا، وليستمدوا المذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله أنصارا، ألم تروا أن قضاء الفوائت واجب على الفور الا في مواضع حسبوا منها الاشتغال بحرفة يحترف المرء بها

ثم آيت شمري آية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترد يدهم كلمة التوحيد؟ ان نطقت بها السنتم فقد جحدتها أفعالهم بانخاذ الوسائط وليتهم أدركوا حقيقتها وتركوها ونفسها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدين مكناش الشيخ محمد بن عيسى يتلوها بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحدة لم يكن جوابهم الا السكوت أو الاستناد الى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آباؤهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجاة المقلدين، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين، وان خالفني ذلك أقوام، بنوا مذهبهم على الحرفات والأوهام، والعمل بما رأي ليس في الحقيقة الا أضغاث أحلام، سألت بعض التالين هذه الرسالة عن معنى قول المؤلف «نزه عن المكان» فقال اني أتلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعتنا من قبلك أساتذة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال، ولم يكافئنا بمثل هذا المقال، فان كلام الأولياء لا اتصل اليه الأفكار، ولا تنوجه نحو إدراك حقيقته الأ نظار، اللهم الا ممن عميت بصائرهم، وطمست سرارهم، وقال سبحانه أعوذ بك من هوؤلاء الضالين: فقلت اذا كان الأمر كذلك أفيجسن بك أن ترددهم لا تفهم ثم أعرضت عنه فلاحظه أحد شقبي حتى أوصله الى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان، وأحسن تبيان، فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير انا اعتقد ان الله عز وجل في السماء مستدلا بحكاية عن عجوز كانت ترفع بصرها الى السماء كل صباح وتقول عم صباحا يا مولانا ورؤيت بعد موتها وعليها ثياب خضر

واملى أطلت ذيل انقال، في الكلام على هوؤلاء الجهلة من أرباب الضلال، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال، الى دائرة النشكي من هذه الاحوال، فسم الاستاذ المرشد، مع عدم الوقوف على المقصد،

أقول أني صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ما هذا من الدين أيها الناس أين أنتم من صفة السمع «أربعوا علي أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غابيا» وكان جوابهم (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) ثم نادوا بصوت عال: أين أنت يا قطب مكناس والحرس الا كبر بديوان الصالحين والفتوح المتصرف في السماوات والارض مزق هذا المعترض كل مبرق: فقلت أنتم وإيم الله تشركون من حيث لا تشعرون أتدعون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم وما القطب والحرس والفتوح الا كلمات تدل على معان يعرفها اللغوي فجعلتموها أعلاماً لافراد أكلت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إن هي الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

ترجمون انكم مسلمون وقد دعوتهم غير الله تعالى
ترجمون انكم مسلمون وقد اتخذتم لله وزراء وعمالا سميتوهم بأهل الديوان .
أهذا الديوان عندكم مجلس نواب الامة ، فرددوا علي اللعنة ثم قالوا نجتمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلي ونذبح بقرة امام زاوية هذا القطب الكامل وندعو عليه فيموت بهركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملاً كما نراه في غيرها . إن زعمتم أنها الفضلي بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما تقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزهة عن العيب والارزاق والآجال قدرت من قبل ان يخلق الكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية . وان زعمتم أنها الفضلي بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم أعندكم على ذلك دليل أم تقولون على الله ما لا تعلمون

سيدي هل في كلامي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اهراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبل الصواب أيها المرشد الكبير ، والمنصف الذي لن يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيتين سلاما ، ونحية كواهلها اجلالا لقامكم واعظاما ، ومن الحقير مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والحلة الثابتة أصولها بسويداء الفؤاد ، وكتب في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٤ ح . ي .

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولازى السؤال فيه الا من قبيل استفهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام يبنى عليها تكفير المشكك ؛ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؛ كيف وهذا ليس من الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديب النمل وأما هو أشد الشرك وأظهره وأجله ونصوص القرآن في ذلك لا تحتمل التأويل ولا التحريف . نعم ان الذين يرون لأنفسهم رياسة دينية باعتماد العامة عليهم وصلاتهم يسهل عليهم تكفير كل من خالف أهواءهم وتقاليد العامة التي تتوكل في بدعها عليهم وهم ينحرون رضاها لما لهم من الفائدة في ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولازم المذاهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما يفرهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم عرامه ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقتناع ويحتج عليهم بكلام من يعتقدون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ما هو دونها بالتدرج ولكل مقام مقال وأما مخاطبة الناس على قدر عقولهم فعسى أن يراعي ذلك بعد ويتحاشى المبالغة في كل شيء فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعتابكم » وقوله « ولن يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، ويسد لنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقه السلام .

وقد جربنا هذه الطريقة في نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا نعم ان مشايخ الطريق الذين يهدشون بأكل السمحت ومخادعة العوام قلما يسهون أو يعقلون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التي تقنع مقلديهم بفساد حالهم

فَتَنَّاكَ يَا مَبْنِيَّ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس خاصة، ونشترط على السائل ان يبينه
اسمه ولقبه وبلده وعمله وظيفته) وله بعد ذلك ان يمر الى اسمه بالحروف ان شاء، وان تأخذ كرا الاستغ
بالتهريج قال باور بما قدمنا من تأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لثقل هذا ولين
عنه على سؤاله شهر ان او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا هدور صحيح لا نقفاله

﴿ أول ما نزل من القرآن ﴾

(٣٣ س) من الدكتور علي افندي رياض (بالفنت - فيوم)

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامية الفراء

أقدم وافراحتراي لجنابكم ثم أتجاسر بأنه أبدي هذه العبارة الآتية وغايتي
منها لم تكن الانتقاد لاني لم أكن أهلا لذلك ولكن بقصد الاستفهام عن
الحقيقة من حضرتكم

لقد طالعت النسخة التي فيها تفسير سورة العصر طبع مطبعة مجلتكم
الفراء فرأيت في موضوع درس عام فيها لحضرة الامام رحمه الله في صفحة ٥٨
ما نصه بالحرف الواحد « ولما كان العلم ضوا يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل
كان أول ما نزل على النبي الأبي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى (اقرأ باسم
ربك الذي خلق) الخ ويظهر من سياق الحديث ان غرض الاستاذ رحمه الله في
قوله هذا الاستشهاد على منافع العلم وان أول نزول الوحي كان بشأن العلم

ولكن سبق لي قراءة تفسير سورة الفاتحة لحضرة الامام وهي أيضاً طبع
مطبعة مجلتكم الفراء واذا فيها ان حضرة الامام رحمه الله أثبت بالدليل الكافي
ان أول ما نزل به الوحي كان أم الكتاب لا « اقرأ »

فهل كان يغير أفكاره فرجع رحمه الله عن رأيه في تفسير الفاتحة الى ما ذكره
في ذلك الدرس وهو ان أول ما نزل الى « اقرأ باسم ربك » كما أجمع عليه حضرات
علماء التفسير؟ أليس بكل أدب إفادتنا عند ذلك لاجل اتباع الاصول مع
قبول وافراحتراي

(ج) ما من عالم ولا إمام الا ويقول أقوالاً ثم يرجع عنها لأن غير المصوم لا يخطئ بالصواب في كل قول وكل رأي ابتداء وقد نقل عن الامام مالك أنه كان يبكي قبل موته لأن أناساً أخذوا عنه أقوالاً في الدين رجع عنها بعد ذلك . إذاً لا عجب إذا قال الاستاذ الامام قولاً ثم رجع عنه . والعمدة في بيان رأيه مطلقاً أو رأيه الأخير في هذه المسألة ما كتبه بقلمه في تفسير سورة العلق من جزء عم وقد يمد تفصيلاً لما نقل عنه في الدرس الذي طبعناه مع تفسير سورة العصر . ولا يخفى أن كلامه في تفسير الفاتحة وهذا الدرس ليس من كتابته رحمه الله تعالى وإنما تفسير الفاتحة من كتابة منشيء هذه المجلة وفيه بيان رأيه وقد اطلع عليه قبل الطبع وبمده . وأما ذلك الدرس فقد كتبه عنه بعض أدباء تونس عندما ألقاه فيها وطبع هناك في رسالة ثم قرأه عليه وتحدثه بأشارته وطبعته مع تفسير سورة العصر الذي كتبه بقلمه . وإنما يرجح ما كتبه في تفسير جزء عم إذا كان هناك تعارض لأمرين أحدهما ان الانسان يتحرى فيما يكتب بقلمه ما لا يتحرى في اجازة ما يكتب عنه وثانيها أنه آخر ما يؤثر عنه في المسألة وهو قوله بعدما أورد الحديث الصحيح في أول نزول الوحي :

« وفي هذا دلالة على أن (اقرأ باسم ربك الذي خلق - الى قوله - علم الانسان ما لم يعلم) هو أول خطاب الهي وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعا وما فيه من ذكر أحوال المكذبين يدل على أنه انما نزل بعد شيوخ خبر البعثة وظهور أمر النبوة وتحرش قريش لا يذانه عليه السلام . ثم هذا لا ينفي أن أول سورة نزلت كاملة بعد ذلك هي أم الكتاب كما بيناه في تفسيرها اه قوله في تفسير سورة العلق

فأنت ترى ان هذا يتفق مع ما جاء في ذلك الدرس ولا يخالف ما علل به كون سورة الفاتحة هي أول القرآن نزولا من أن فيها مجمل ما فصله كله من مقاصد الدين حتى كأنه شرح لها . ولكنه مخالف لظاهر قول هذا العاجز في تفسير سورة الفاتحة « ثم رجع الاستاذ الامام أنها أول ما نزل على الاطلاق ولم يستثن قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) ونزع في ذلك منزعا غريباً في حكمة القرآن وفقه الدين » الخ وهذا

ما كان منه في الدرس أطلق ولم يستثن ولو قلت : ولم يستثن سورة اقرأ : لا تنق ذلك مع ما تقدم ذكره نقلاً عنه وكتابه منه

هنا وإن هذه الآيات من أول سورة الملق ينحصر معناها في جعل النبي الأبي قارئاً بقدرته من خلق الإنسان من علق الدم وفضل الرب الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فإذا كانت الفاتحة هي أول ما نزل بعد تبليغ هذا الأمر وبها تحقق أمثاله صح أن يقال أنها هي أول القرآن المقروء بالأمر نزولاً كما أنها في أوله وضما وترتياً ولا ينافي ذلك تبليغ الأمر بالقراءة قبلها وإن كان أمر تكوّن لا تكليف إذا أمر التكوّن هنا يستلزم أمر التكليف ، وسن فصل القول بهذه المسألة في تفسير الفاتحة عند ما نطبعه مع الجزء الأول من التفسير العام فقد كنا أخرنا طبع هذا الجزء وبدأنا بطبع الجزئين الثاني والثالث معاً لأن في الأول اختصاراً في بعض الآيات وقد زاد الأسناد الإمام رحمه الله تعالى فيه بعض الزيادات عما نشر في المار بقلمه قبل وفاته بزمن قصير رحمه الله ورضي عنه

﴿ العين ﴾

(س ٣٤) أمين افندي هاشم التلميذ بالمدرسة الخديوية (مصر)

جئت بهذا السؤال الى مجلتكم الغراء التي أفادت الناطقين بالاضاد قاطبة لاستمداد من نور معارفكم ما خفيت عني حقيقةه :

كنت أطالع بمض الكتب الادبية اذ وقع نظري على حديث شريف لقائله النبي (صلم) « العين حق تدخل الرجل القبر واجمل القدر » وآخر « اتقوا سمّ الاعين » فاعتراي وهم لعدم اهتدائي الى الحقيقة ورجوت حضرتكم شرح: هل العين مادة تنفصل منها الى محل النظر فتؤثر فيه أم كيف حتى تنقش عني غياهب الجهل والوهم واهتدي الى الحقيقة ولحضرتم الشكر سلفاً .

(ج) اعلم أولاً ان ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطب أو الزراعة وسائر أمور الدنيا لا يهد من أمور الدين التي يباغها عن الله تعالى وإنما يهد من الرأي وعصمة الانبياء لا تشمل رأيهم في أمور الدنيا ولذلك يسمي العلماء أمر

النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من أمر الدنيا أمر ارشاد وهو يقابل أمر التكليف وفي مثل هذه الامور الدنيوية قال « أنتم أعلم بأمر دنياكم » كما في حديث البخاري ولذلك كان أصحابه عليهم الرضوان يراجعونه أحياناً فيما يقول من قبيل الرأي كما تعلم مما ورد في وقفي بدر وأحد فاذا رأيت حديثاً في أمر الدنيا لم يظهر لك وجهه فلا يرعك ذلك ولا تظن أن في عدم ظهور انطباقه على الواقع طعناً في الدين . على أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان ذا الرأي الرشيد والفكر السديد حتى في أمر الدنيا وإن كان كلامه فيها قليلاً لأنه جاء لما هو أهم وأعظم وبعد فقوله عليه الصلاة والسلام « العين حق » حقه ثابت بالتجارب والمشاهدات في جميع الامم والاجيال ولفظ الحديث « العين حق » ورد في الصحيحين وأما حديث « اتقوا سم الاعين » فلا أعرفه ولا أتذكر اني رأيت في شيء من كتب الحديث المقتمدة ومعناه أن تأثير العين كالتأثير السم لأن في العين سما ينتقل منها الى من تراه . اما العلة في تأثير العين فهي نفسية لاحسية وذلك أن لبعض النفوس تأثيرات مختلفة من أعضائها وأشهرها تأثير التائب فاننا نرى كثيراً من الناس يتأهب لنحو نعاس فلا يلبث أن يتأهب من مجانبه . ومنها ما يكون عند النظر فانك ترى بعض الناس ينظر الى آخر فيرتمد المنظور اليه ويأمره بشيء فلا يرى مندوحة من طاعته وهو ليس له عليه أدنى سلطان وراء هذا التأثير الذي يطلقون عليه تأثير الارادة لأنه يكون اذا أراد صاحبه ان يكون ويدخل في هذا النوع من التأثير النفسي ما يعرف الآن بالتقويم المغناطيسي وقد كان معروفاً عند بعض الصوفية والهنود بتأثير الهمة أو تصرف الهمة . وإنما نسب التأثير الى العين في عرف الناس الذي ورد به الحديث لأنه يحصل بهذا النظر الى الشيء . وفي حديث أخرجه البزار بسند حسن عن جابر نسبه الى النفس . ومن المصائب ان سم الريب في الدين قد سرى في الناس حتى صاروا يعدون من الدلائل عليه كل مالا يتبادر الى أفهامهم معناه الموافق لهممهم وتقاليدهم فالخريص على دينه يبادر الى أهل العلم الصحيح سائلاً والآخرون يغفلون في ريبهم يترددون

أنا في علم الكلام

تمة نقد كتاب التعلیم والارشاد

(كلامه في العلوم)

ان المؤلف تكلم في العلوم السانية والدينية ووصف من كتبها وعلمائها وحالها الماضي والحاضر ما بعضه صواب وبعضه خطأ كبير. واذا ذهبنا نستقصي كل عباراته في هذه المواضع ونبين ما فيها تبعد علينا المسافة وحسب القارى اننا ذكرنا له نمونجا من عباراته الملوثة غلطاً فتوجب من بعد في محاسبة المؤلف على كل ما في عباراته ونكتفي بحسابه على خطاه بالجملة .

— الخطأ الخامس عشر —

قد عرفت ان المؤلف ناقض نفسه في علم التوحيد فعده حرة من العلوم الضارة وحرة جعله ثاني المقصودين من كل العلوم وقد اتاه هذا من انه لم يفرق بين علم التوحيد وعلم الكلام وهو يعرف ان الاصطلاح والواقع فرقاً بينهما . فعلم التوحيد هو الذي يرشد الى تلقين العقائد من غير فلسفة المتكلمين ولم يجد هذه الطريقة الا الذين نصر هو مذهبهم أعني أهل السنة اتباع السلف لا الاشارة الذين احتكروا هذا اللقب وقد أصاب هو فيما صنع من التنويه بمذهب السلف وأخطأ في شدة إنجائه على علم الكلام والمتكلمين وهذا ما نحسبه عليه هنا ونناقشه فيه .

لا أتقل هنا عبارة من عبارته في هذا المعنى لما أسلفت من الاعتذار فليعلم القارى إجمالاً ان الكاتب بالغ في الحملة على علم الكلام والمتكلمين وافاضت عليه الخطابة ما افاضت فصور مسائل هذا العلم بصورة معاول لهدم الدين وصور أهله قوماً شيطيين بالضرب بهذه المعاول والخطابة اذا فاضت على قريحة تكبر وتصغر وتوجد وتعدم وبالجملة قد تطمس على صاحبها وسامعيه معالم الحقائق ولا بأس بأن يرجع القارى الى ما كتبه هذا الكاتب ليرى ما وصفنا وخذ رأينا في هذا العلم وأهله .

إن الدين كما يعرف العارفين - ولا أقول كل أحد - هو مجموع نصوص

منقولة عن الرسول (ص) بعضها قال الرسول انها من قول الله وبعضها لم يقل فيها هذا القول أما التي هي من قول الله فالمشهور انها نقلت كلها تقلا متواتراً على اختلاف في قراءتها وان هذه المصاحف المعروفة تجمع بين دقتيها كل ما قال الله لرسوله وأما الاقوال الاخرى فهي المعروفة بأنها أقوال الرسول نفسه وهي التي تجمعها كتب الحديث . فأما المصاحف فلا جدال بين المسلمين - والحمد لله - في ان ما فيها هي أقوال الله وأما كتب الحديث ففيها جدال ويصدق بعض العلماء منها ما يكذب البعض وتفرض ان " كل ما سماه المسمي صحيحاً صار صحيحاً وان الرسول (ص) قال ما اسنده اليه المسندون فانا لا نريد فتح باب المناقشة بالنقل من حيث هو بل نريد أن نقول ان هذه النصوص المنقولة كلها لا يمكن أن يسلم سامعوها من الاختلاف في فهمها لان في الكلام حقيقة ومجازاً وكناية وللكلام أساليب وقتون والذي تكلم لم يعين ما أراد بكل كلمة ولم ينصب رجلاً أو رجلاً لتعيين مراده فالاختلاف وقع لانه لا بد من وقوعه والمنصف اذا زعم انه ظفر بالحقيقة لا يسوغ لنفسه ان يسلب حق النظر من مناظره .

الناس في زمن النبي (ص) فهموا من النصوص ما فهموا واكثرهم لم يسمعوها اكثرها ولم يكن في وقتهم فراغ الاقامة ما أسروا أن يقيموه بل كان النبي (ص) اذا رأى فيهم تشوقاً الى البحث ينهاتهم والذين جاءوا من بعد وجدوا في أنفسهم حاجة لتفهم بعض الاشياء فوقع البحث فيها قبل ان تترجم الفلسفة اليونانية والذين لا يعرفون هذا يظنون انه لم يتدع علم الكلام الا بعد ان ترجمت الفلسفة كلا بل هي أمور لا بد منها لذلك ظهرت من القوم أنفسهم بتقدير ما سمح الوقت بعد النبي (ص) ومن ظن ان البحث في مسائل الاعتقاد لم يكن في عصر النبي نفسه فهو لا يعرف التاريخ بل لا يعرف القرآن . واذا جاز لنا ان نقول ان أهل هذا العلم أخطأوا في كل ما ذهبوا اليه من المذاهب لا يجوز لنا أن نقول انهم أخطأوا بما صنعوه من البحث والنظر والتفاهم لان الحاضر على رجل وظيفته عقابه وطبيعة فكره كالحاضر عليه وظيفته سمعه وبصره وطبيعة حسه واذا كان مثل هذا الحظر يعاقب عليه القانون فمثل ذلك الحظر يعاقب عليه العلم .

١. انا صنع التكلمون " رأوا ان صنات الله التي نقلت اليهم من أقوال الله وأقوال

رسوله تشبه صفات الانسان كلها ورأوا في جملة ما نقل اليهم من الاقوال قول الله في نفسه « ليس كمثل شيء » ووجدوا هذا القول يشهد له العقل فقالوا اذا كانت صفات الله وأعضاؤه غير صفات الانسان وأعضائه فلا بد لهذه الكلمات التي وضعت لها من معان غير المعاني التي نفهمها من صفاتها وأعضائها ضرورة انها لا تخلو من معنى فالتمسوا لها معاني مما تساعد عليه اللفظة . . . ربما كانوا مخطئين في تفاسيرهم لانه لا يعرف الله حق المعرفة الا هو ولكن لا أرى في هذا الصنيع هدماً للدين وهم لا يزالون يعترفون بأن الله صانع العالم ومدبره ومرسل الرسل وشارع الاحكام .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الكائنات كلها بإرادته وأعمال العباد من جملة الكائنات فحاروا في هذه المسئلة جملة وتفصيلا وخاضوا في بحرها فلم يجدوا سحلا سار هذا مشرقاً وسار ذلك مغرباً وكلهم يقتسمون الخلق من هذه الحارة وهي ان الله هل يريد كفر الكافر وفجور الفاجر أم لا يريد فاذا أراد ووجب ان يكون فلا يستطيع الكافر ان لا يكفر فكيف يحاسبه واذا لم يرد فكيف يقع في مذمة ما لا يريد .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الـي (ص) تكلم بصوت وحرف ثم قال هذا كلام الله فحاروا هل كلام الله هذا الصوت الذي سمع من في الرسول أم شيء غيره يليق بتزده الخالق عن الصوت فتناظروا وتنافروا وكان ما كان

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الله لا تدرك الابصار ثم رأوا ان الوجود اليه ناظرة يوم القيامة فالتمسوا لنظر الوجود اليه معنى يليق بتزده عن ان تدرك الابصار .
ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان ذرات المادة التي تتركب منها الجسم تتداخل في جسم أخرى وان لا علاقة لها بعالم الغيب كما للروح ورأوا ان المعاد كائن والجزء واقع فاختلّفوا هل تجازى الارواح وحدها أو تتركب الارواح في اجسام تصنع لها وقال قائلون بل تعاد كل تلك الذرات التي كانت الجسم تتركب منها على تداخلها في جسم متعددة .

نحن قلنا ان المتكلمين رأوا ما رأوا وما وحفتنا والحقيقة ان كثيراً من افراد الامة كانوا يسألون عن مثل هذا ولم يكن المتكلمون الا أهل العلم الذين يرجع اليهم

- الخطأ السادس عشر -

يقول صاحبنا (ص ٥٠) «انه لم يكن مخالفو الرسل ومكذبوهم يظنون في نفس الشرائع التي جاء بها الرسل» ونحن لا نحاسبه هنا على خطأه في الايام بانه يعرف كل الشرائع وكل المحادلات التي جرت بين الرسل مما قال الرسل لامهم وما أجابهم الامم به فاتنا انا ما سبقناه على مثل هذا احتجنا ان نكتب كتاباً أكبر من كتابه لان هذا الايام مع الحكم على الكل من غير استقراء ولو ناقصا يراها القاريه أنى ساح في فداقد هذا الكتاب القاصية . كلا فان المحاسبة على هذا في كل موضع تضيع علينا وقتاً هو أثن من أن يصرف في مثل هذا . ولكننا نحاسبه هنا على الخطأ في هذا المعنى وهو « ان مخالف الرسل ومكذب بيهم لم يكونوا يظنون في الشرائع التي جاء بها الرسل » فنقول ولا نريد به الا ان يحاسب المؤلف نفسه بعد هذه المرة حيناً يكتب ان القرآن المجيد مملوء بما كانت الامم تعترض به على أشخاص الرسل وعلى ما جاءوا به فاعتراضهم على أشخاص الرسل رد للاصل فيتبعه الفرع واعتراضهم على ما جاءوا به صريح في رد الشرائع نفسها وابتعاداً عن التطويل نورد من هذا شيئاً قليلاً ثم نوصي المؤلف ان يقرأ المصحف الشريف

ان اعتراضات الامم على الحشر وكل الرسل جاؤا بالدعوة الى الايمان به أكثر من أن يستوفيا كتاب كبير فمن ذلك ما حكاه القرآن المجيد من قول بعضهم « هل ندلكم على رجل ينبسكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد » ومن ذلك قول بعضهم « اذا متنا وكنا تراباً وعظاماً انا لبعوثون » النج والكلام في القرآن عن انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل فيه كثير جداً

واعترضات الامم على عبادة الخالق وحده وترك عبادة الاوثان - ولم يجي الرسل كلهم الا لها أشهر من ان تذكر فمنهم قوم نوح « وقالوا لا ندرن ودأ ولا سواعاً ولا يعوق ويعوق ونسراً » ومنهم قوم ابراهيم « قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين » النج ومنهم قوم شعيب « قالوا يا شعيب اصلائك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو ان تفعل في أموالنا ما نشاء » ومقالات خريش في نبينا عليه الصلاة والسلام لا نذكرها الا لانا لا نظن المؤلف نسيتها

واعترضات الامم على ما كانوا به يظنون من الاخذ بأعمال البر كاعطاء الاموال

للفقهاء وترك أعمال الشر كغصب الاموال واكفها بالباطل معروفة أيضاً كقول قوم شعيب «أو ان تغفل في أموالنا ما نشاء» وقول العرب «إنما البيع مثل الربا» فإذا بقي من أقسام الشرائع مما لم تسترض الامم به على رسلها وأي رسول لم يقولوا فيه مجنون أو ساحر أو شاعر أو كذاب أليست هذه الصفات التي كانوا يعتقدون في الرسل من جملة أزدراءهم بما جاءوا به وتكذيبه من أصله ؟

— كلامه في أصول الفقه —

— الخطأ السابع عشر والثامن عشر —

تكلم المؤلف على أصول الفقه فأسهب وأصاب في مواضع واخطأ في مواضع وإنما نعدله خطأين في النتيجة وهما (١) ان علم أصول الفقه إنما يحتاج اليه المجتهد فقط و(٢) انه غير لازم لهؤلاء المقلدين .

إن قصد ان المجتهد يحتاج الى أصول الفقه على النحو الذي يعرفه الطلبة وهو ما كان بصدده فليس بصحيح وإن قصد أن هؤلاء المقلدين لا يلزم لهم ان يقرأوا علوم العربية وعلوم الحديث وهي التي يتألف منها علم أصول الفقه فقد شهد نفسه انه غير صحيح بدليل انه حصر الفائدة كلها في تعلم العربية والفقه ولم ينف عن علم الحديث فإذا يرى من بعد هذا في قراءة كتاب أو كتب تجمع شيئاً من علوم العربية وعلوم الحديث قسرون هؤلاء المقلدين على ما تعلموه وتساعدهم على ما كلفوا ان يحفظوه من فروع الفقه . . . أنا لا أقول ان التقييد بهذه الطرائق فيه الخير كل الخير ولكني أقول ان تعلم هؤلاء المقلدين لأصول الفقه ولو على هذه الطرائق يخفف شيئاً من جهلهم الذي يلزمهم بملازمتهم للفروع وحدها .

— الخطأ التاسع عشر —

وبما ذكرناه في الاصول يعرف المطلع عليه ان المؤلف أخطأ في تعظيم شأن علم فروع الفقه حتى قال (ص ١٣٣) اننا في ساجدة تامة لقراءة كتب الفقه .

— الخطأ العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون —

يخص المؤلف على قراءة كتب فروع الفقه ثم لا يرى التقييد بمذهب من المذاهب الاربعة صالحاً بل يراه ضاراً وهو يكرهه — كما نكرهه — هذه الكتب التي للمتوسطين

والتأخرين ويجب - كما يجب - تلك الكتب التي للمتقدمين وفي مجموع كلامه في هذا الباب نجد الصواب كثيراً ولكننا رأيناه يخطئ في ثلاثة أشياء (١) في تسميته بكتب الفروع وهو يعرف أن الذين سموها بالأئمة كانوا يكثر من الرجوع عما يفتون به وان الدين يكره تعظيم الاحبار الى هذه الدرجة وهو ان تكون أقوالهم شرعاً لكل زمان وكل مكان مع ان الرب الاعلى كان ينسخ بعض شرائعه ببعض .

و(٢) في ترجيحه التعب بمراجعة كتب الأئمة كلهم والبحث في المفاضلة بين نصوصها علي التعب في ورود الشريعة من مواردها و(٣) في ترجيحه التقييد والاعلال التي كانت للعلم علي فكه واطلاقه وهو يعرف ان من محاسن ديننا الشريف رفع الأصار والاعلال ان المؤلف في هذا الباب كاد يدرك الحقيقة ولكن تراءى له ما يخيف قنفر كما ينفر الظبي في الغلاة رأى شبحاً مخيفاً . تراءى للمؤلف ان الاجتهاد يوسع دائرة الخلاف بين المسلمين ونحن في حاجة الى الاتفاق فساء بين له وغيره هنا ان هذا الحذر ليس في موضعه .

ان الدين فنون كثيرة تجمعها أربعة أقسام (١) العقيدة و(٢) العبادة و(٣) الاحكام القضائية و(٤) الآداب . أما العقيدة فهما أراد المسلمون اليوم ان يختلفوا لا يأتوا بشيء واحد زائد على ما وقع فيه الاختلاف وقد أسلفنا ان هذا من طبيعة الفكر مع طبيعة النص وانه لا يجوز الحظر فيه وانما نطيفت فيه ان نتواصى بتحري الحق بالاخلاص وان تناظر بالتالي هي أحسن وأما العبادة فلا تحمل الاجتهاد ونظر العقل وانما مبلغ الناس فيها ان يبحثوا فيما صح عن النبي تقريره بقول أو عمل وكذلك لا يخشى مهما اختلفوا ان لا يزيدوا على خلاف الأئمة اذا اتقوا الابتداع بزيادة أو نقص والمشهورون من أهل النظر والاجتهاد اليوم لا يجوزون لانفسهم الزيادة أو النقص في العبادة عن نظر واجتهاد لانهم لا يجوزون وهما هنا بل يقفون مع ما نقل فقط والعلماء منهم معرفة حسنة بما نقل . وأما الاحكام القضائية وهي التي ينظر في مثلها القضاة والحكام فهي محل الاجتهاد والخلاف فيها لا يؤثر اذا اختلفت الحكومات جماعات من عالجي العلماء بمجموع فهم الاحكام من الكتاب والسنة والقياس والنظر ويصير حكماً ما يكتبونه بحكم كتب الفقه التي يمارسها الناس اليوم . وأما الآداب فلنعروف بين والمسكر بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس يرجع فيها الى المتبحرين في علوم النفس والاجتماع .

أرأيتك من بعد هذا التفصيل تجهد في نفسك حرجاً من ترجيع ورود الشريعة من مواردها علي ورودها في فتاوى الأئمة التي كانوا يرجعون عنها ؟

— الخطأ الثالث والعشرون —

وقد بالغ صاحبنا في حصر الفائدة في علم الفقه حتى زعم ان كل علوم العربية وسائله له الأثرة لها قط الا ان تساعد على تعلمه وقد سبقه في مثل هذا الخطأ كثيرون لا يحصون فوقع فيها وقعوا فيه حين قد هم والصحيح ان لعلوم العربية ثمرات أخرى يعرفها أقل الناس معرفة وترى مواطننا المسيحيين أكثر نشاطاً من اني تعلم هذه العلوم ولم يقصدوا قط ان يحفظوا بها فقه أي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل

— الخطأ الرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون —

— كلامه في العلوم التي أراد الشيخ محمد عبده ادخالها الى الازهر —

ومن أكبر خطأ صاحب هذا الكتاب انكاره على الشيخ محمد عبده ما قصد اليه من ادخال بعض العلوم الضرورية الى الازهر كقليل من الجغرافيا والحساب وحسن الخط والتاريخ وله في هذا الباب جملة من الخطيئات نلخصها في ثلاثة أشياء (١) في أن هذه العلوم تعيق عن تحصيل علوم العربية والدين و(٢) في ان خلوت الازهر من هذه العلوم خير له ولطيبته . و(٣) في ان ادخال هذه العلوم كانت من أكبر اغلاط المرحوم الشيخ .

كنت لا أظن أن يقوم شاب من شبان هذا العصر يهد أقوال بعض الشيوخ التي قيلت في وقت ادخال العلوم فعجبت أشد العجب لما وقفت لصاحبنا الذي نحن بصده على هذا الرأي .

لو أعطيت لقلبي ما يعطيه الخطباء والشعراء لالستهم وأقلامهم لا بكيت السامعين في رئائي لهذه الأمة التي لا يزال فيها شبان هم كالشيوخ يكابرون في مسائل هي والشمس في الظهور سواء .

العلوم العربية وحدها يأتيا الأخ لا تهيه لانسان أفكاراً يستطيع ان يعيش بها في هذا المجتمع أرقى من الخاروف .

وهي مع علوم الدين لا تحتاج من الزمان اثنتي عشرة سنة وقليل من الجغرافيا والحساب والتاريخ وحسن الخط وكلها ضروريات لا تعيق عن تحصيلها بل تعين، ولا تشين صاحبها بل هي تزين وعدمها يشين

كنت أظنك تعرف ان مئات من الشبان درسوا في مدارس الاميركان والجزويت يعرفون العربية أحسن مما يعرفها الشيوخ في هذه المدرسة التي يشرفها الناس كما عبروا عنها

ويصرفون مع العربية لغة أو لغتين أو أكثر من لغات أوروبا ويصرفون مع هذه اللغات كل الفنون التي تعد مبادئ وهم مع هذا كله لا يقرأون في المدارس الا بضع سنين فترى ان تعدد هذه العلوم مع حسن الترتيب في الدروس لم يمنعهم من تحصيلها كلها ومنهم من يتعلم معها علوم الدين المسيحي فلا تعيقه .

لو ناقشت علي ما وراء العبارة لقلت لك ان ما تخفيه من إرادة دفع العيب عن الذين يجهلون هذه العلوم ظاهر لم يحجب عن أحد فلا تجثم نفسك التعب انه لا يعاب أحد من الشيوخ بجهله مثل هذا من العلوم وانما يعاب باصراره على جهله وبمكابرتة في أوضح الواضحات

اما نحامل المؤلف على الشيخ محمد عبده فكان ينبغي ان لا نعدده مع الخطأ لان الخطأ هو الذي يقع من المرء عن ذهول او عدم معرفة ولبس ما كتبه في الشيخ محمد عبده من هذا القبيل بل هو شيء متعمد - نجده بعد من اغلاطه الكبرى ادخاله هذه العلوم وقد عرفت ما في هذا القول من مكابرة الواضحات ثم نجده ينزل نفسه في منزلة استاذ عظيم في كل الفنون العصرية يميز بين من يعرفها وبين من لا يعرفها فيحكم على الشيخ محمد عبده بأنه ما كان يعرف هذه العلوم التي كان قد ادخلها وان عرف شيئاً فدون القليل واقل من الطفيف ثم نجده يقول انه كان ذا تعريظ وقليل اهتمام بالعلوم الدينية (لا تنس قوله ايضاً قضي حياته باحياها) ثم نجده يقول فيها انه كان يجاوب باعطاء الشهادات لفاية في نفسه لان الغاية عنده تبرر الوساطة

هذا قول المؤلف وهذه احكامه في اعظم نابضة واعظم مصلح من المسلمين في عصرنا فعسى ان يتأمل في ذلك لعله يحاسب نفسه .

— الخطأ السابع والعشرون والثامن والعشرون —

والتاسع والعشرون والثلاثون

ومن بعد هذا كله نجد المؤلف قد عظم من شأن الازهر والحالة هذه تعظيماً مملوء بالخطأ وهذا دأب من لم ينظر للواقع قبل الحكم نجده قال (١) ان الازهر اقدم واعظم مدرسة اسلامية علي وجه الكرة الارضية و(٢) انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني امية في دمشق ولا جامع الزيتونة في تونس ولا جامع السلطان محمد الفاتح في الاستانة ولا مدرسة عليكمده في الهند بل هو خير منها كلها . و(٣) انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس ولذلك كان قبلة الآمال ومحط

الرجال وكانت منزلة في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الإسلامية (٤) ان ثنافية من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس . وفي كل هذا خطأ .

أما ان الأزهر اقدم مدرسة اسلامية فغير صحيح وإنما بني الأزهر مسجداً وبعد ذلك بقرون كثيرة صار البعض يلتقي فيه دروساً وكان هذا دأب اهل العلم في كل المساجد . وأما انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني أمية وجامع الزيتونة وجامع السلطان محمد الفاتح ومدرسة عليكده فصحيح ان قصد الاوصاف الرديئة من القنطرة وعدم النظام وتعلم الاطفال فيه ونوم الطلبة في حلقة دروس الاساتذة الى آخره . وأما ان قصد انه مصلى للمسلمين فكل المساجد مصلى لهم وان قصد انه يتلقى فيه العلم كثيرون فالفرق بين ان تحشر الناس على الصورة المعهودة في الأزهر وبين ان يتلقوا في مدارس متفرقة يوجب التفضيل لغيره عليه علي ان مسجد الفاتح يفضل هذا المعنى ايضاً مع تفرقه عن القنطرة ونوم الناس فيه . وأما انه خيرها كلها فلم أفهمه !! وأما انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس فلم أفهمه !! وأما ان منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الإسلامية فلم أدركه !! وأما انه قبلة الآمال ومحط الرجال وان ثنافية من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس فلم أعرفه !!

ابشروا ايها المسلمون في مشارق الارض ومفاربها فان الأزهر سوف يخرج لكم جيوشاً من الصيد يعرفون النحو والصرف والبيان وفقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل على الطريقة الجديدة التي وضعها له مؤلف كتاب التعليم والارشاد .

ابشروا فان هذه الجيوش المتعلمة هذه العلوم وحدها تخرج عنكم ما تكرهون وتأثمكم بكل ما تحبون !!

وبعد فبقيت مواضع أخرى تركناها لعملة الفائدة من ذكرها في جملتها حملته على المدارس النظامية وعلى اسانيتها وتلاميذها معاً ولا تعرض للخطأ القليل الذي وقع في الكتاب من حيث اللغة والتعبير فاتنا نترك مثل هذا لغيرنا وقد انتهى ما اردنا النظر فيه فنسأل الله ان يأخذ بيدنا عن معارث الفهم ومزائق البيان

عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه

كنت ليلا مع أمير المؤمنين عمر الفارق ذي القدر المكين
صاحب الدرّة ثابّي الراشدين من به الله أعز المسلمين

فقووا حتى أذلوا المشركين

وإذا نار أضاءت سحرا قال يا أسلم قم ماذا أرى
عليهم ركب يريدون القرى فخر جنا وهو كالسهم انبرى

ودنونا من خباء المصطلين

فاذا باصراة قد نصبت قدرها بين عيال أعولت
ثم حينما فردت واستوت قال هل أدنو فقالت ان أردت

فبخير أودع القلب الحزين

قال ما بال العيال تصرخ قالت الجوع واني أنفخ
أوهم الصبيبة اني أطبخ عليهم من بعد ذان يفرخوا (١)

ويتاموا حول قدري جائه بين

بالنار أضرت في الاضلع أحرقت قلبي وأجرت مدمعي
بيننا الله وبين الاضلع ها أنا من فرط جوعي لا اعني

بين نوح وصياخ وانين

قال يا أمه من أدرسي عمر بك قالت ذلك أدهى وأمر
من تولى أمرنا لا يه تقري ينبري للناس في قر وحر

يسمع الشاكي ويؤوي البائسين

(١) فرخ الرجل أي زال اضطرابه واطمان

وي لعمرى كيف يرعى وينام ليس هذا من قوائين الانام
 من سباعن نوقه جناح الظلام يتولى رعيها راعي الحمام
 انما هذا جزاء النافلين

ولقد اصغى لها من غير ضيق وهو بالاصغاء للشكوى خليق
 فمضى بي ذلك الشيخ الشفيق يسرع الخطو الى دار الدقيق
 واتي منها بدهن وطحين

ثم قال احمل علي قلت وي بل انا احمل قال احمل علي
 قلت عفوا قال هل منكم فتى يحمل الاوزار عني يا أخي
 يوم يؤثر بي لرب العالمين

وسرى الفازوق خوف النعمة في الدجى يحمل قوت الصبية
 وهو ممن بشروا بالجنة لا يرى في حمله من حطة
 بل قياما بحقوق المسلمين

فمضى بي مسرعاً نحو الصفار فأتيناهم وهم في الانتظار
 ولفرط الجوع بين الجنب نار في استعار ما لهم منها قرار
 وراونا فاشراً بوا قائمين

قالت الام اصبروا قد جاءنا ذلك الشيخ بما فيه المنى
 * ولقد يسره الله لنا والامير غافل عن حقنا

في كتاب الله بالنصر المبين

فدنا منها برفق وابتسام ودموح العين منها في انسجام
 قال قوني هيئي هذا الطعام معنات اليتامى لا تنام

بالطوى والله خير الرازقين

رحم الله أبا حفص عمر وسقى بقمته صوب المطر
فلقد أبهرت أملاك الشرر تفتح اللحية منه بالسحر

وهو مهم بانضاج المعين

قلت الأم وقد رمى القيام وتركنا عندها فضل الطعام
يارعاك الله ياساري الظلام تحمل الأعراس للفرثي الصيام

أنت أولى من أمير المؤمنين

قال اي يرحمك الله أعد لي واذكري خيرا ولا تستعجلي
فاذا جئت الأمير فادخلي فجدني قاعدا في المنزل

وعلي الجد في ما تظنين

وتعنى عنهم مسترا رابضا مريض آساد الشرى
وأنا أطلب تعجيل السرى فاذا هو مقبل مستبشرا

شاكر الله رب العالمين

قال يا أسلم قد أسهرم قارس الجوع بل استبرم
ولذا أحببت ان أبهرم في سرور وكذا غادرهم

فلقد ناموا جميعا باسمين

هكذا كانوا عبيد الأمة لاغرائيق الصلي والمزة
منجوا شدتهم بالوجهة ولذا شادوا صروح الرفعة

ومضوا شرقا وغربا فاتحين

(محمد نجيب الترابي)

بمدرسة الحقوق

شرح السير المفيد . في شرح المواليد

كتاب جديد وضعه ابراهيم أفندي ماجد الصيدلي الكيماوي لمستشفى القصر العيني في علم المواليد أو التاريخ الطبيعي أو الاشياء كما يقال وهو جزآن الاول في علم الحيوان وقد طبع في العام الماضي والثاني والثالث في النبات والجماد وقد طبعا معا في هذا العام وهو أحسن كتاب رأيناه بالعربية لتعليم هذا الفن بسهولة وحسن أسلوبه الذي يشوق القارئ ولا يمل السامع اذ هو عبارة عن حكايات ومحاورات في استجلاء محاسن الكائنات ومعرفة فوائدها وهو بما فيه من الصور والرسوم يمثل لك للذهن هيئتها الحسية فيكون أقرب الى فهم أوصافها وتمييز ما يتشابه من أصنافها . ومن محاسنه أنه لا يخلو من الفوائد الأدبية كيانه عند ذكر البوم خطأ الجاهلين الذين يتشاءمون به . وكنت أود لو لولفت الاذهان عند ذكر ما في هذه الخلوقات من الحكم والاسرار الى أنها من إبداع العليم الحكيم والرب الرحيم كي يربي بذلك وجدان الايمان في القلوب اذ لكان كتابه أفق من كتب العقائد المتداولة ولجم بين تربية العقل والروح ولعله يزيد فيه هذه الزيادة انفاضة عند طبعه مرة أخرى . ولما تم طبع الجزء الأول في السنة الماضية ابتاعت منه نظارة المعارف كثيرا من نسخته ويفتظر ان يتباع منه معظم نسخ الثاني والثالث اذ لا تجد مثل هذا الكتاب في فقه . واننا نحث طلاب الأزهر وغيرهم من القارئين الذين لم يتفوقوا هذا العلم على مطالعة هذا الكتاب لانه مما يمكن فهمه لامثالهم بدون أستاذ

التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم

للشيخ طنطاوي الجوهري المدرس بالدرسة الخديوية طريقة حسنة في مزج علوم الكون بعلوم الدين والجمع بين هداية القرآن وما ينفع الناس من شؤون العمران وله في ذلك كتب مختصرة مفيدة كجواهر العلوم وميزان الجواهر من طالعها يتغنى عقله وروحه وخياله بقوتها وشجوتها وقد طبع له في هذا العام كتاب جديد ساه بما رأيت وأهداه الى امبراطور اليابان ليعرضه على مؤتمر

الأديان الذي انعقد في عاصمة بلاده وهو موثف من ثلثين وخمسين جوهرة وفيه أبواب وفصول كلها في محاسن الاسلام وحكمه وفضله وقد بدأه المؤلف بترجمة حال نفسه في النظر والتحصيل وترقيته في ذلك وهذا مما ينكره عليه كثير من الناس ولا بدع فان الطبع البشري ينفر من الدعوى ومظانها وان اخلص صاحبها بصدق ولكن رأينا من هؤلاء الناس من يسرف في الانكار حتى يغمط الحق ويعمى عن جميع المحاسن فعسى أن يحاسب مدعو الانصاف من هذا الصنف أنفسهم

طبع الكتاب الحاج محمد افندي الساسي الكتبي بمصر وهو يطلب منه فحسى أن يقبل الناس على مطالعته فانه من الكتب النافعة ان شاء الله تعالى

﴿ قانون ديوان الرسائل ﴾

ديوان الرسائل هو ديوان الانشاء للدولة الذي يضم كتابها على اختلاف أعمالهم وكان أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي من الكتاب في عهد الدولة الفاطمية فألف كتابا وجيزا سماه قانون ديوان الرسائل « لأن يكون دستورا يتبع في اختيار من يؤهل للتوظيف في ديوان الرسائل رئيسا كان أو مرعوسا وأن يخلد كتابه في الديوان ليقتدي به الموظفون ويأخذوا بانقراءة فيه وتديره لأنه لهم كالمعلم ولأخلاقهم كالمهذب » كذا قال في مقدمته ثم على نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة كبردرج علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية فنسخها وطبعها وجعل لها مقدمة وهوامش مفيدة لعلها تزيد عن ثلث الكتاب فيها فوائد من تاريخ الفاطميين لا يستغنى عنها فتشكر له عنايته وهمته

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

صدر الجزء الخامس من هذا التاريخ المفيد منذ أشهر وهو « في نظام الاجتماع وطبقات الناس والآداب الاجتماعية والمعيشة العائلية وحضارة المملكة وآثار المدنية وأبهة الدولة ومظاهرها المظلمة والفخامة » وهو آخر أجزاء الكتاب وأكثرها فكاهاة . وقد ذكر في آخره أسماء الكتب التي ورد ذكرها فيه وفهرس عام مرتب على حروف المعجم . واننا لا نزال نرجو أن يشيخ لنا القدر

مطالعة الكتاب كله واعطاء حقه من التقريظ والانتقاد ولا يسعنا - والقدر لما يسعدنا على ذلك - إلا أن ندوه بالكتاب ونشي على همه صديقنا مؤلفه واجتهاده في خدمة تاريخنا من حيث قصرنا فيه

﴿ المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي ﴾

ألقى على بك أبو الفتوح المنش بالنيابة العمومية خطاباً في نادي المدارس العليا منذ بضعة أشهر موضوعه المذهب الاجتماعي في التشريع وأهدانا نسخة منه مطبوعة قرأناها فإذا هي مفيدة في بابها

بين فيها أن فلاسفة أوربا في القرن الثامن عشر قد شنوا الفارة على المذاهب التي كانت متبعة في الجنايات متكئين على ما اعتادوا من الدلائل النظرية فأخطأوا في علوم القضاء كما أخطأوا في علوم السياسة وكان مهم أن يقيدوا القضاء ويجهلوا السلطان للقانون وحده لما رأوا من تأثير استبداد الحكام من الحراب والفساد أما فلاسفة القرن التاسع عشر فقد خالفوا من قبلهم في طرق البحث فجملوا أسامه التجربة والاختبار والمشاهدة وصاروا يرون أن من الضرورة تقييد القضاء بألفاظ القوانين في كل حال ومن الضرورة أن يكون القاضي أوسع سلطة مما كان بحيث يناط كثير من الامور باجتهاده ويوكل الى رأيه واستقلاله . وهذا الرأي الاخير يوافق الشريعة الاسلامية في أكثر أحكامها الجنائية فعسى أن يعتبر بذلك الذين اتخذوا عبارات الفقهاء من قبيل الأمور التعبدية ، على أن أكثرها مبني على أمور نظرية ، واتباعها ينافي ما قرره الشريعة من اشترائط الاجتهاد في القاضي . وهذا المقام يحتاج الى بسط وإيضاح يطول شرحه ولا يسع باب التقريظ أقله . وفي الرسالة فوائده أخرى لا يحيط بها إلا من قرأها

﴿ تاريخ أساس الشرائع الانكليزية ﴾

ألف هذا الكتاب «دافد وطن راني» بلفته الانكليزية وترجمه بالعربية نقولا أفندي الحداد وطبع الترجمة ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر وهو يطلب منه وثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

الكتاب من أنفع الكتب التي نقلت الى لغتنا وأتمنى لو يقرأه أهل الأزهر
ومن لي بأن أتمنى لو يقرأه أهل سوريا والعراق بل والحدجاز ليعلموا كيف ارتقت
هذه الأمة الانكليزية التي تسوس وهي في جزيرتها المنبذة في أقاصي البحار
نحو ربع البشر . عسى أن يعقلوا كيف يخرب الاستبداد العمران ويزيل الدول
وينذل الأمم وكيف يسود الناس بالمدل والسلطة المقيدة برأي الامة ويهزوا
حتى يكون أدنى الأمة فيهم أعز من أعظم الأمراء من غيرهم . ولعلي أعود الى
الكلام عن هذا الكتاب والنقل عنه

✦ أنساب العرب القدماء ✦

رسالة في الرد على القائلين بالأمومة والطونمية عند العرب الجاهلية لرجي
افندي زيدان . والأمومة أو الطونمية مذهب جديد لبعض الافرنج زعموا ان
العرب ليس لها أنساب متصلة الى الأجداد وإنما ينسبون الى الطونم والطونم كلمة
أخذوها عن هنود أمريكا وهي تطلق عندهم على ما تعبدوه أو تقدمه القبيلة أو
الشخص من أنواع المخلوقات حيوانا كان أو نباتا أو جادا لاعتقادها انه يحميها
أو يكف أذاه عنها ويعتد في عرف أهلها أبالها بانسابهم اليه اذ لا يعرف لهم
أب وإنما يعرفون أمهاتهم فقط . وقالوا انه ثبت لهم هذا المذهب مما عليه بعض
القبائل المتوحشة من هنود أمريكا وأستراليا وزنوج أفريقية وألحقوا العرب بهم
بطريق القياس الذي استدلوا عليه بنأيت لفظ الامة وباشتقاقها من مادة الام
وبنسبة بعض القبائل الى حيوانات معروفة كني أسد . وقد رد عليهم جرجي
افندي زيدان ردًا داحضا لازعهم مقلدا لطريقتهم في جعل الجزئي قاعدة كلية
والشبهة برهانا قاطعا واعتمادهم على الاستقراء الناقص . وهذا شأن الافرنج
لا يكاد يوثق بعلمهم النظري والعقلي لأنهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على
التجربة والحس . ومن أراد ان يعرف تفصيل أقوالهم في هذا المذهب فعليه
بكتاب الامومة عند العرب وهو يطلب من مكتبة المنار ومن النسخة منه أربعة
قروش وأجرة البريد نصف قرش وحسبه في الرد على المذهب رسالة أنساب
العرب القدماء وهي تطلب من مكتبة الملل ومنها كمن الامومة عند العرب

حجرت ديوان تذكار راجب وصدي

هو الديوان الثاني للشاب الذي وشيأ قلبي مصوب مع وقد قدته الى ادريس
بك راجب رئيس المأمون في مصر واسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الخفافية
بافتتاح قصيدتين من مدحهما . ومن أحسن ما رأيت له في هذا الديوان قوله في
استنكار سلوك بعض نساء الأعيان

عاد على الفيدان ترمو وتفترا وتبدي اليد في الأعطاف والأشرا
بأي عطف تبسلي الخود تأسفة ويذخر الصفت إه اصين واسترا
قدر الخواهي بتحصين الجمال وإن تهتكت زائل ذلك القدر واندرنا
لو ترك الماشق المسكين طلبا شوقا لما نزل ذلك الحسن معتبرا
ثم أحال في بيان سوء عاقبة هذا السلوك وما ذكرناه كاف لبيان أسلوبه

حجرت العباسة أخت الرشيد

قصة تاريخية عراقية تجري أحداثها في زمان صاحب الهلال وهي من القصص
التي لها أصل صروي في التاريخ والمسائل التاريخية فيها أكثر من المسائل الإغرافية
وفيا وصف ألوف والأفاق في عهد العباسيين وفي ذلك من الفكاهة ما فيه
وهي تطلب من مكتبة الهلال وعن النسخة منها عشرة نروش

حجرت الظل المفقود

إسم قصة من قصص مسامرات الشعب الشهيرة التي يصدرها خليل بك
صادق صاحب مكتبة الشعب وهذه القصة من أحسن هذه القصص وضماً وفائدة
لأن ما فيها من الكلام عن الحب الفاسد قليل يورد مقروناً بالتم وما ينظر من
سوء العاقبة . وأما ما تشرحه عن الحب الصالح والعتة والروءة والوفاء والسخاء
والصبر فهو الكثير الطيب . وقد صدر من هذه القصة أربعة أجزاء لا يكاد
الإنسان يبدأ بقراءة جزء منها ويستطيع ان يتوكله قبل أن يتمه
فأنصح لصاحب المسامرات ان يختار أمثال هذه القصة بمد الآن للنشر وإذا
استطاع ان ينشر قصصاً ليس فيها ذكر أدلة مطافاً فليفضل فان الرأية راق
ذرت مقرونة بالتم تؤثر في نفوس المستعدين لها حتى يزداد ميلهم اليها وجراهم

عليها فما بالك اذا كانت تشرح الرذائل وتبين طرقها وغبطة أهلها بها وتفتنهم في تحصيلها !! ويظهر ان المترجم القصة وهو نقولا أفندي رزق الله ذوقا في حسن الاختيار كما انه من أحسن مترجمي هذه القصص عبارة فعمى ان يراعي في الاختيار ما ذكرنا لتكون هذه المسامرات من وسائل التهذيب كما انها من وسائل التسلية

صحف جديدة

﴿ فتاة الشرق ﴾ مجلة أدبية تاريخية وروائية لصاحبها ليبي هاشم « وليبيه هاشم من أشهر الفتيات السوريات المجلات في الأدب ولها آثار في بعض الصحف وعبارتها رشقة منسجمة قريبة من أفهام القارئات بله القارئ ورأينا فكرها قويا فيما كتبت عن « واجبات الزوجة » في الجزء الأول وعن « نساء الشرق والاقتصاد » وهذه الموضوعات أنفع ما يكتب في مثل هذه المجلة . تصدر فتاة الشرق مرة في الشهر وسنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا فعمى أن نجد من مساعدة الفضلاء ما يضمن لها طول البقاء .

﴿ تونس ﴾ مجلة عربية تصدر مرتين في كل شهر بتصاوير ورسوم تحتوي على مباحث علمية أدبية فنية . لصاحبها صالح بن محمود وجبرائيل انكيري - ممن الاشتراك في المملكة التونسية ١٠ (فرنكا) في السنة وفي الخارج ١٢ في السنة « صدر العدد الأول من هذه المجلة في ١٥ أكتوبر وفيه أن أهم موضوع تبحث فيه هو المباحث العلمية التي لها علاقة ما بالعلوم الطبيعية وما يتفرع عنها . وأنه ليسرنا أن تكثر المجلات في تونس كما كثرت الجرائد ونتمنى أن توفق هذه المجلة لخدمة العلم ونشره في ذلك القطر وغيره

﴿ ترويح النفوس ﴾ المرشد جريدة تان أسبوعيان صدرت في تونس صاحب الاولى (عزور بن أحمد الخياري) وصاحب الثانية (سليمان الجادوي) فترحب بالجر يدتين ، ونتمنى على فضل الخريفيين الجديدين ، ونسأله تعالى أن يوفقنا وإياها للخدمة النافعة في التلذذ بآثار جريدة أسبوعية عربية يصدرها في بطرسبرج عبد الرشيد أفندي ابراهيم صاحب جريدة (أنفت) المغيدة وقد سررنا بها جدا لما نرجو لها من النفع للطلاب العلم من ماضي روسيا عامة ورجاؤنا في هؤلاء الطلاب عظيم

بَابُ الْحُكْمِ وَالْأَمْرِ

تعليم الدين في مدارس الحكومة

اقترح مجلس شورى القرانين على الحكومة التوسع في تعليم الدين في مدارسها وزيادة العناية به فقامت جريدة الاجبت التي يصدرها في القاهرة ادريس بك راعب من مسروات المصريين تعرض على هذا الاقتراح وطمقت جريدة المؤيد والاهرام تردان عليها ونقل عنها انه تنكر تعليم الدين في المدارس وتقول ان الدين لا ينبغي ان يعلم الا في البيوت بل نقل عنها الطعن في الدين مطلقاً وادريس بك يرى ان ما في المدارس كاف لا يحتاج الى مزيد ولا ينكر التعليم الديني ولا هو من دعاة الالحاد فيما نعلم. وبذلك انفتح باب الكلام في مسألة التعليم الديني في مدارس الحكومة وغيرها وخيف أن يتجرأ محبو الالحاد الى الدعوة اليه واقترح علينا غير واحد أن نكتب في ذلك قائلين ان المنار أجدر بهذا الموضوع من غيره وقد صدقوا وانا لكانون في ذلك ان شاء الله تعالى

الدكتور ضياء الدين أحمد

زار مصر في أواخر الصيف الماضي الدكتور ضياء الدين أحمد عائداً من أوروبا الى عليكره ليتولى التعليم العالي في مدرستها الكلية الشهيرة وهو قد تخرج في هذه المدرسة ونال شهادتها ثم ذهب الى أوروبا لإتمام دروسه الدالية في بعض العلوم فدخل جامعة كمبردج فكان أعظم تابع في العلوم الرياضية حتى إنه نال جائزة اسحق نيوتن الفلكي وهي متاجنيه تعطى للناجح الاول في الهيئة الفلكية بعد امتحان ثلاث سنين ثم ذهب الى ألمانيا وتلقى فن التعليم في كلية (جوتنجن) حتى نال (شهادة الدكتورية) وبعد ان أتم دروسه زار فرنسا وأقام فيها شهورا اطلع فيها على نظام التعليم وسيره هناك ثم زار مصر وأقام فيها شهرين وأياماً كان جل همها فيها الاطلاع على شؤون التعليم

لقينا منه شابا متوقفا الذكاء شديد الغيرة على أمته بعيداً من الهزل والقفور معتصماً بالادب وهو يتكلم بالعربية مع حصر ما يفهم من يكلمه بمباراة فصيحة بل علمنا منه انه عربي النسب . وقد أعجب بفضل وأدبه كل من عرفه هنا واحتفل بعض معارفه بتوديمه في فندق الكونتنتال احتفالاً دعوا اليه كثيراً من ذوي المعارف وأصحاب الصحف ولما انتظم عقد الاجتماع قام الدكتور ضياء الدين فينا خطيباً باللغة الانكليزية فتلا خطبة بدأها بالشكر لأصدقائه الذين أكرموا وفادته ثم تكلم عن مدرسة عليكرة وما يراد من ترقيتها والزيادة فيها حتى تكون جامعة كبرى وعن حظ الجامعة من الدين والعربية الدينية وسنورد ترجمة قوله في جزء آخر . وبعد ان أتم خطابه وقف حافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنبر فتلا ترجمة خطبته بالعربية . ثم قام الشيخ على يوسف شيخ المؤيد وتلا خطاباً وجيزاً تكلم فيه عن مدرسة عليكرة وأثنى على الدكتور ضياء الدين وعليها فأحسن وقد صدق في قوله « إن مصر لورزقت مدرسة جامعة ذات مبادئ قوية مثل التي عليها كلية عليكرة وناسب في عظمتها حالة مصر الحاضرة فكانت مصدر حياة أقوى وأعم نفعاً لا للمصرين فقط ولكن لسلي العالم كله الذين هم في حاجة كبرى للتبرقي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة » فحسي أن يسي مع الذين يطمنون ان تكون الجامعة المصرية التي يدعى اليها الآن مشتملة على هذه المبادئ التي ذكرتها العلم والفلسفة ولم يذ كر دعامة الدين ولكنه لا ينكرها وهي من دعائم كلية عليكرة ولولاها لكانت تلك الكلية وبالاعلى المسلمين

وبعد ذلك كشف الستار عن مائدة الشاي وما يتبعه من اللبن وأنواع الأكل اللطيفة فاقبل عليها المدعوون وهم يتهللون بشرا وطلاقة بهذا الاجتماع الأدبي ثم انصرفوا مودعين شاكرين

﴿ الشورى في فارس وسفير تركيا ﴾

ترجمت جريدة (تريت) التي تصدر في طهران ما كتبناه في الجزء السابع عن الشورى في بلاد فارس ونقده عنها بعض الجرائد الأخرى فكان له تأثير عظيم وقد اعترض سفير تركيا على نشر هذه الترجمة رسمياً فأجابته ناظر الخارجية بأن

مولاء الشاه قد أطلق الحرية للصحف فلا يمكن تقييدها ولما علم الناس بهذا الاعراض اشتد استياؤهم وقالوا ان تركيا تريد ان تقيدنا في بلادنا وتمنع عنا النور كما منعتهم عن اخواتنا العرب في بلادها ومنسلكم عن هذه المسألة بالتفصيل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

الشيخ أحمد أبوخطوة - وفاته

فجع العلم والقضاء في الشهر الماضي بوفاة الشيخ أحمد أبي خطوة أحد قضاة محكمة مصر الشرعية وأنها لفاجعة ليست كالفواجع فالشيخ أحمد أبوخطوة ليس بالعالم الذي يتعزى عنه بوجود كثير من أمثاله في الأزهر أو غير الأزهر بل هو العالم الذي لا أعرف له خلفا في علوم الكلام والحكمة النظرية والمنطق والفقه وفنون العربية كلها لا في الفهم الدقيق ولا في الاداء والتعليم ولذلك انضوى الى دروسه اذ كياء تلاميذا الاستاذ الامام من بعده وكان منهم من يحضر بعض دروسه في حياته كالمنطق والكلام والفقه اذ لم يكن الاستاذ الامام يقرأ بعد رسالة التوحيد الا التفسير والبلاغة فلما مات الشيخ أبوخطوة صار هؤلاء الاذ كياء كاليتيم من الابوين . كان رحمه الله تعالى وقورا مهيبا على تواضعه ورقة حسن السمات حلما لا تخشى بواده حسن التصرف في الامور لا يدخل في شيء الا ويعرف كيف يخرج منه بصيرا بأحوال زمانه خيرا بشؤون بلاده قادرا على الإصلاح في المحاكم الشرعية ثم فوض اليه القيام به لاسيما بعد وضع الاسناد الامام لتلك التقرير الذي أحصى طرق الإصلاح ووجوهه ولكن الحكومة أو أولياء الامر في مصر جهلوا قدره فلم يستفيدوا من استعداده وكثيرا ما يحجبهم عن معرفة الرجال قول بعض من يتقون بقوله وان قال كلمته عن جهل بالحقيقة أو سوء ظن أو هوى . وجملة القول ان مصر قد خسرت بموت هذا الرجل خسارة عظيمة وقد التمسنا من بعض أصدقائه بان يترجمه للمنار ولعله يفعل متفضلا

الى الاديب محمد الهادي السبعي وكيل المنار السابق: قد أعذر من أنذر، ومن صبر عدة سنين يشكر ولا يكفر، والشرف خير من المال، والعبارة بالخاتمة والمآل، « وقل رب ادخاني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا »

بوقتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى
خيرا كبيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الملك
١٣١٥

في شهر هادي الذي يستمر في القول فيبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأتاك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق

﴿ مصري في ذي الحجة سنة ١٣٢٤ - آخره الاربعاء ١٣٠٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧ ﴾

لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الاصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الاصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي بحروفها

اللائحة الأولى

كتبها في منفاه ببيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها الى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصح للدولة وانها لو عملت بارشاده وصدقت أمله ورجاءه الحسن فيها لأحيت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة صلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه * وبعد فقد رأينا وسرورنا كما سر المسلمون كافة بما نشر في جريدة الطريق من انه صدرت الارادة السنية الي حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن تولى تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة نورحي أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب العطفة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المكاتب الاسلامية (١) وتقويمها حتى تكون كافة بجميع الوسائل الصحيحة لتعليم أولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلاحي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا في غنى بأرائهم القويمة ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها الحمية للدين تبشنا على بسط ما يلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالعجز والاقرار

(١) لفظ المكتب يطلق في البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

بالقصور عملاً بقول سيدنا على كرم الله وجهه : « من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بيمين جهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته ، وتقدمت في الدين فضيلته ، يفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرت النفوس ، واقتمحتمه العيون ، بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد : لايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين ، الكافلة ببقاء محوزته ، وايس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن للخلافة الاسلامية حصونا وأسوارا وان أحكم أسوارها ما استحكم في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحمية للدفاع عنها ، ولا معقد للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أنام من قبل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصالحه البلادوما شا كل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين في إيهاض الهمم وسوقها الى الغايات المطلوبة منها ففضل سواء السبيل

المسلمون قد تحيف الدهر نفوسهم ، وأنحت الأيام على مما قد ايمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيتهم من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانكس في الطباع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرتع غاية همهم أن يعيشوا الى منقطع أجيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ويتنافسون في اللذات البيهيمية وسواء عليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أوكانت العزة لسائدهم عليهم من غيرهم . وهؤلاء الهنديون وسكان ماروا انهر وقبائل التركان واشياهم يمثلون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه الخنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن عمت بها البلية حتى خشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسه هذا المرض الخبيث لولا أن تدركها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله ظله .

هذا الضعف الديني قد نهج لشياطين الأجانب سبيل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واسمالة أهوائهم الى الاخذ بدساتهم والاصاخة الى وحاوسهم

فخلبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعواتهم في أطراف البلاد الاسلامية حتى
العثمانية لنضليل المسلمين فلا ترى بقعة من البقاع الا فيها مدرسة للامريكانيين
أو اليسوعيين أو العزارية أو الفرير أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الاوربية
والمسلمون لا يستنكفون من ارسال اولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم
بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الاوربية التي
يحبسونها ضرورة لسعادتهم في مستقبل حياتهم . ولم يختص هذا الساهل المحزن
بالعامة والجهال بل تعدى الى المعروفين بالتعصب في دينهم بل لبعض ذوي
المناصب الدينية الاسلامية . وأولئك الضمفاء أولاد المسلمين يدخلون الى تلك
المدارس الاجنبية في سن السذاجة وغرارة الصبا والحدائة ولا يسمعون الا ما
يناقض عقائد الدين الاسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي
بل لا يطرق أسماعهم الا ما يزرى على دينهم وعقائد آبائهم ويهيب عليهم التمسك
بعمى الطاعة لأولياهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من أساتذتهم
القوام على تربيتهم بإذن آبائهم ولا نطيل القول فيما يلقونه من العقائد الفاسدة
والآراء الباطلة ، فذلك أمر أعرف من أن يبين . فلا نقتضي سنو تعليمهم الا
وقد خوت قلوبهم من كل عقد اسلامي وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسم
الاسلام ولا يقف الأمر عند ذلك بل تعمق قلوبهم على محبة الاجانب وتجنّب
أهوائهم الى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم ينفثون ما تدنست
به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصبرون بذلك ويلا على الامة ، ورزية على
الدولة ، نعوذ بالله . ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يجيدون به تربية أبنائهم
مع استبقائهم مسالمين في العقيدة ، عثمانيين في النزعة ، هذا ما جلبه الجهل على
الامة الاسلامية وان غائته لمن أشد الفوائل وقد كنا نخاف أن تحمل بوائقها لو لم
تدفعها عزيمة مولانا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الاسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني
جملة واما مشتملة على شيء قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر
وطريق صوري لا يعدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

من قروا العلوم في المدارس العسكرية وغيرها خلوا من الدين وجهالا بعقائده
منكبين على الشهوات وسفساف المذات لا يخشون الله في سر ولا جهر ولا يراعون
له حكما في خير ولا شر وانحط بهم ذلك الى الكذب في الكسب والانصباب على
طلب التوسعة في الميش لا يلاحظون فيه حلالا أو حراما ولا طيبا أو خبيثا فاذا
دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة ركبوا الى الراحة ومالوا الى الحياة وطلبوا
لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف
طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون ولهذا تراهم يفرون من الخدمة العسكرية
ويطلبون للتخلص منها أية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم ونرى
غيرهم من الامم يتسابقون الى الانضمام في سلك جنديتهم مع أنها غير معروفة في
دينهم بل مضادة نصريح نصوصه ونرى المسلمين يبخلون بأموالهم اذا دعت
الاحوال الى مساعدة الدولة والاتفاق على مصالح الامة ولا يبخلون بذلك على
شهواتهم بعكس ما ترى في سائر الامم . هكذا انطلقا من المسلمين مصباح العقل فلا
يعرفون لحم رابطة يرتبطون بها ولا يهتدون الى جامعة يلجأون اليها وتقطع ما بينهم
(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ولا حول ولا قوة الا بالله
هذه أحوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير
نذكرها مقرونة بأنفاس الالاف وصداء الحزن لما نعلم أن الاجانب قد أرسلوا
ذئابهم يتخطفون شادتهم وأغلبهم شاذة ويقترسون ناديتهم وجمهورهم نادة ومسارة
الفساد فيهم مشهورة يحس بازديادها كل سنة عما قبلها وان عواقب ذلك لتخشى
ولا حول ولا قوة الا بالله

واذا استقر بنا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب هذا الخذلان لا نجد الا
سببا واحدا وهو القصور في التعليم الديني إما بإهماله جملة كما هو في بعض البلاد واما
بالسلوك اليه من غير طريقه القويمة كما في بعض آخر أما الذين أهمل فيهم التعليم
الديني فجمهور العامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين الا أسماء يذكرونها
ولا يعتبرونها فان كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اخيار للمبد في ما يفعله وانما هو مجبور في ما يصدر منه جبرا محضا
قل هذا لا يؤخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لا تدع
ذنباً حتى تشمله بالفقران قطعاً لا احتمال معه للمقاب فليفضل الانسان ما يفضل
من الموبقات وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شاكل ذلك
مما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم وامتل الحمية من قلوبهم ولا منشأ
له الا عدم تعليمهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع في كتاب الله وسنة رسوله
وأما الذين أصابو شيئاً من السلم الديني فمنهم من كان همهم علم أحكام الطهارة
والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا
هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه فقد أقاموا الدين وان هدموا كل ركن
سواهما وبشركون مع الاولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك
علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذاً ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع
العادية وأولئك الاغلب من طلاب الإفتاء والقضاء ووظائف التدريس وما شاكل
ذلك لا ينظرون من الدين الا من وجه ما يجلب اليهم المعيشة فان مال بهم طلب
العيش الى مخالفته لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجهلة مما قدمنا وهو لاه
لا يخلص مقاصد أعمالهم بذواتهم ولكنها تمتدى الى أخلاق العامة وأطوارهم
فهذا القسم أعظم الاقسام خطراً وأشدّها ضرراً في العامة والخاصة وما أفرادها بقليل
نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة
رجال وقفوا عند ما حد الكتاب واستمسكوا في الدين بالعروة الوثقى وأضرمت الدين
في قلوبهم نار الحمية، واستمتمز اليقين همهم لانصرة الملية، الا أنهم قليل والموجود منهم
قد يكون خامل الذكر، أو قاصر الاقتدار عما تطالبه به الشريعة في ارشاد الأمة،
و بالجملة فوجود أمثالهم لم يكن كافياً في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا
ما لطف الله بهذه الأمة بسر توجه مولانا الخليفة الأعظم لمجل لها من الوبال
ما استنحتته لسوء أعمالها ونبذها أحكام الله وراء ظهرها وانحرف قلوبها عن مقاصد
ولاة أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزه الله ونصره الى عظم هذا الأمر
وهول عواقبه فأصدر ارادته السامية بالنظر في وجوه تداركه . فبالنعم العظمي

وبالمرحة الكبرى، هشت لها قلوب المؤمنين، وبشت لورود بشرها ووجه الصادقين،
وارتفعت أصوات التضرع الى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين، وتأيد
دولته، واعلاء كلمته،

وإنه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على
سببها الذي أشرنا اليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الأسلام وأعضاء
اللجنة الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من اصلاح الجداول أن يدرج في فنون
المدارس الاسلامية بعضها الكتب الفقهية مع بقاء التعليم على طرقة اليهودية في المساجد
وفي دروس بعض العلماء فان العلوم العملية اذا لم تبين على عقائد صحيحة وإيمان
صادق لا تلبث أن تضحل ولئن ثبتت فأما تسوق الى أعمال خالية عن النيات
وخاوية من سر الإخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب
عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه
النظر الى فن تقوى به العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم الى تربية تذكريها
ثم الى النفس من ذلك الفن فيكون التذكير مستحفظا لما يصل اليها منه ثم الى فن
الفقه الباطني وهو ما تعرف به أحوال النفس وأخلاقها والمهلك منها كالكذب والحياة
والنمية والحسد والخبث وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة
وسائر الفضائل ويضم الى ذلك باقي علم الحلال والحرام على ما هو مذكور في الكتاب
والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الاسلامية ثم الى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس
على العمل بما تعلم منه ثم يكون التعليم في هذه الفنون المذكورة والنوعية على وفق
قواعدها مستنديين الى الشرع الشريف بحيث تذكريها من القرآن والسنة
الصحيحة وما صح أثره من أقوال الصطابة وعلماء السلف الأول ومن هذا حظهم
كحجة الاسلام الفزلي وأمثاله فالقصد بالذات عدلان وهما أصلان ومجموعهما ركن
من الإصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان اليه حتى تصير العلوم ملكة راسخة
تصدر عنها الأفعال بلا تعمل ثم يتبعها فن آخر يقوى على الفرض منهما وهو فن
التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء
الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء العمانيين

هذا اجمال ما اليه الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على
المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لا قوام لحياتها الدينية
والسياسية الا به

فالهدا تقسم طبقات الناس الى ثلاث ونصين لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون
فالطبقة الأولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يتبعهم
والثانية طبقة الساسة ممن يتعاطى العمل للدولة في تديز أمر الرعية وحمايتها من
ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم ورؤسائها ومن يتعلق بهم وأموري الإدارة على
اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والتربية ولا
نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة أن يطالبوا الكمال الذي خص به من
فوقهم ولكن الغرض تحديد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين

التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين

الطبقة الأولى هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادي الكتابة
والقراءة وشي من الحساب يعلمون ذلك الى درجة محدودة يتفهمون بها في
معاملاتهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها
وأولئك كتلامذة المكاتب الرشدية والمسكرية والملكية والمكاتب الخيرية الاهلية
فهؤلاء بهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم سلموها وان
استقرضتهم أموالهم بذلوها محتسبين ذلك في سبيل الله غير ساطخين ولا متكرهين
ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدائيات
تعليمهم موافد الحمية ومماصم الانفة الملية كما كان ذلك في نشأة الاسلام وبداءة
الخلافة العثمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاورباوية مما تعلموه من أسلافنا
ولا تدرك هذه الغاية من أبنائنا الا بعقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة

ولهذا ينبغي أن توضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي
أولا كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المتفق عليها عند أهل السنة
بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقاً مع الاستدلال عليها بالادلة
الاقتناعية القرية المنال والاشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الإمام بشي من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم لتكون الخواطر في استعداد لدفع ما يرد عليها من وساوس دعاة الإنجيل المنبشرين في كل قطر ثانيا - كتاب مختصر في الحلال والحرام من الاعمال وبيان الاخلاق الخبيثة والصفات الطيبة واتنبيه على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فرضها ولا في السنة أثرها وظهر في العامة ضررها مستدلا فيه بآيات الكتاب واحاديث السنة مؤبداً بأعمال الصديقين من سلف الامة ولا بد أن يكون مدار الكتاب تقرير ان الانسان انما خلق ليكون عبداً لله فكل شيء دون الله ورسوله مبذول ثالثاً - كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالاخلاق الكريمة والاعمال العظيمة وفداء الدين بالارواح والاموال مع الامام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضة وقوتهم وإثبات ان ذلك يسر الصدق في المكافحة والاتحاد في المجاهدة ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون للعثمانيين من العرب عريية ومن الترك تركية ومن غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر باللغة الموضوعه فيها

التعليم الديني الوسط للطبقة المرشحة للوظائف

الطبقة الثانية هم أبناء المسلمين الذين ينظمون في المدارس السلطانية والشريعة والملكية والمسكرية والطبية وما ينالها والذي يهتم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها حفاظاً لما استحفظوا عليه من شؤونها - الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والمحكم منهم بفصل الخصامات قابض على ميزان العدالة ناظر الى كنف النظام يرجح مارجح فيه ويسقط ما سقط منه فهو يتحرى الحق ويحكم به أو يموت ، والمولى منهم امرأ في ادارة أمور الرعية آخذ بمنظار الخندق والدراية ليستبين ما يخفى من مصانع وما يثق من مسالك أهواؤها ليضبط الاعمال ويلزم الحدود ويرفر وسائل الصرمان فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها الا أن يحول دون ذلك الموت فيموت ، فهذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يزداد طابعد ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فتوضع لهم في المدارس العالية والأعدادية على الوجه الآتي
أولاً - كتاب يكون مقدمة للعلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول

النظر وشي من آداب الجدل

ثانياً - كتاب في العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام التوسط وإتيان الطرق الأقرب ومجانبة الخلاف بين المذاهب الإسلامية أيضاً إلا أن يتوسم فيما بيننا وبين النصارى لا يوضح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أجلى وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الإسلامية في تقويم المعيشة المدنية فضلاً عن غاية السعادة الأخروية

ثالثاً - كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والردائل يبين أكل مما في البداية وتوضيح لأسباب الاخلاق وعلاها وآثارها على وجه يقع به العقل وتطمئن به النفس ثم يبين الحكم لبعض الاحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفي سابقه الى نصوص الدين وسير السلف الصالح كما تقدم ويكون مدار الكلام في الكنايين على ما يصرم الحجة في القلوب ويرفع النفوس الى مقام لا تطلب فيه الامعالي الأمور

رابعاً - كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والفتوحات الإسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاد به الخلفاء المؤمنون من ذلك والاتيان على كل هذا من وجه ديني محض فان ذكرت فيه الوجوه السياسية كانت تابعة للغرض الديني ويبين في هذا الكتاب ما كانت تنبسط اليه سيادة الاسلام من أقطار الارض ويردع فيه من العبارات ما يحرك القلوب الى طلب المفقود فضلاً عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم الاملاهي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من اخوانهم يكفهم أن يتعلموا هذه الكتب بالسنة آباؤهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لغير العرب كما سبق ولا يلزم لهم ان يتعلموا اللسان العربي الا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتلونه من ذلك فلا بد من إيقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفاً بمدلول ما ينطق به ليترك الذكر أثره في الفكر كما هو مطلوب الشارع وقد يندرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والكليات الابتدائية إذا وجدت فيهم الأوصاف التي توهمهم لذلك من الحمية والدفعة ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في المنوعات والمطلوبات وتمييز ما هو من الدين عما ليس منه وإن خالف أو هام العامة

التعليم الديني العالي لطبقة المعلمين والمرشدين

(الطبقة الثالثة) هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتخليقهم بالصفات المقصودة بوضعها فاندخروا لذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرفاء الأمة وهداة الأمة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية إذا كثرت عددهم وبهم يناط التعليم لأهل طبقتهم فهؤلاء لا يكفي لا بلانهم الغاية المطلوبة للدولة فهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزداد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسعون بها القدرة في البيان لإفادة غيرهم فمن المعلم أنه لا يكفي المرشد ما يكفي المرشد ولأجل هذا تقتصر في بيان ما يحتاجون إليه على ذكر الفنون دون التعرض لإيمان الكتب الأقلية فتمكن الفنون على الوجه الآتي إن شاء الله

أولاً - فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج إليه ليقرا القرآن تفهما وتطلبا لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلافي أسرارهم إلا إرجاعهم إليه والم تفرغ صيخته أعماق قلوبهم وتزول هزته رواصي طباعهم فالأمل مقطوع من هبوجهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد إليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقاة الإبل ممن أنزل القرآن بلغتهم والقرآن قريب لطالبه متى كان عارفاً باللغة العربية ومذاقاً العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فلم ذلك من أجدود الوسائل لفهمه فإن احتيج إلى وسيلة أخرى فأولها مطالعة كتب التفسير

الذاهبة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المعروف عند العرب ك تفسير الكشاف
وتفسير القمي النيسابوري ومن أخذ طريقتيهما

ثانياً - فنون اللغة العربية من نحو وصرف وبيان وبيان وتاريخ جاهلي وما
يتبع ذلك ليتمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثاً - فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسراً للقرآن مبيناً له مع اطراح
ما يخالف نضه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لإرجاع الأحاديث الصحيحة
إليه إن كان ظاهرها يورم المخالفة

رابعاً - فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو
مسالك الإمام الغزالي في الإحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على
الأصول المشهورة

خامساً - فن أصول الفقه من وجه ما يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص
الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الأحكام ونرى أفضل

كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب الموافقات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس
سادساً - فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك
الإسلامية الأولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في أمهات الإسلام من
كبوته التي كباها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب
ما وصلت إليه الأمة في هذه الأيام ليتبين أنه لا سبب لذلك إلا الجهل بالدين والانحراف
عن أحكامه وانشقاق عصا الأمة بالخلاف الذي لا طائل له

سابعاً - فن الإقناع والخطابة وأصول الجدل لغرض التمكن من تقرير المعاني في
الأذهان وثبيت العقائد في النفوس والزامها الأخذ بمكارم الأخلاق وفضائل
الأعمال والارتفاع بها عن دنابا الصفات وسفساف الأمور

ثامناً - فن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث في أدلة كل
لا لتحصيل العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا بأس بقراءة
بعض الكتب الحكيمية الإسلامية لتكميل الإحاطة بوجود المسائل العقلية

فهذا جهة ما يلزم لتحلية نفوس هذه الطبقة بتضيي العلوم والعمل ولم تعرض
لفن الفقه في العبادات والمعاملات لأنه في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة
وفي المعاملات يشترك في طلبه المسلم والذي والأجنبي إذ يضطر إليه كل ساكن في
الممالك العثمانية ليصرف كيف يطالب بحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات
والرياضيات والطبيعات والنظامات وكل ما حددته نظارة المعارف العثمانية فهي
على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضر شيء منها بالدين بل الدين يقويها
كما يقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر مولانا شيخ الاسلام خاصة
وتكون ادارتها تحت عنيته في سلك مخصوص . ويدعى لها بالمدرسين المتبصرين
من أي أرض يوجدون بها وينتخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا وأذكارا
أخلاقا ويراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها
شهادة ببلوغه الغاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في
العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه
في التفضيلتين العلم والعمل

التدريس في جميع تلك الدرجات إنما يقصد منه اشراب القلوب حب الدين
وتوقيره وجملة الغاية المطلوبة من كل عمل حتى تكون الملة وجهة واحدة يقصدونها
بأعمالهم فتتسم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأييد حافظه الاعظم المدافع عن
بيضته حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيبة يخشى بأسها وتخاف برائق
عضبها ويؤول بالدولة الى علو الكلمة في سياستها الخارجية بعدما عادت بركانه على
المسلمين في راحتهم الداخلية وبالجملة فالتقصد من اصلاح الجدول إنما هو الى إحياء
الملة وقد كانت كادت تموت والقيام بالله

ولهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصا في الاخلاق
والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتبهرها وتستفزها من
مقار الخمول والقفلة الى مقامات التنبه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال
المعلمين وأعمالهم ومواخذة لهم اذا خالفوا حكما من أحكام ما تعلموه ، أو قصروا

في عمل من لوازم ما اعتقدوه ، وتذكيرهم في ذلك بوثر في قلوبهم وبمحرك الساكن من خواطرم . ومن ثمه يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكل الصفات العقلية وأفضل الأعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وإن ثقتنا بوعده الله في قوله (ان نضروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا) وقوله (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) واعتبارنا بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ونسبوتنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما نراهم عليه في القوة والدرابة كل ذلك يرجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع ارواح المسلمين العثمانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الأسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة العلية العثمانية رغماً عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هو لا العاجزين ان لا حافظ للدولة ولا وافي للملة سواء وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والنفقات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فإنه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالنجدة ولا نجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة للطاعة الا بالمعقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة للدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الاقطار العثمانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالحمد لله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانيهم هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما نؤمل ويؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أديننا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسأل الله ان يوفق مولانا أمير المؤمنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنجح منها في اصلاحنا وإفنا في جميع الاحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الاعظم وتأيدده وبقائه ظل الله ورحمة لهيبده آمين

كلام في الدعاة والمرشدين

وبقي في موضوع الإصلاح الديني كلام هو كالتسمة له فتقدم لعرضه وهو أن المكاتب والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية ان لم تكن قليلة بالنسبة لرعايا العثمانيين فالداخل إليها قليل بالنسبة إلى عدد الأهالي فان الجمهور الأعظم من سكان القرى والأعراب المتقلين في أكناف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرون التربية الحسنة حتى قدرها فإصلاح جداول التعليم في المدارس لا تصيبهم فائدته بل بحر مون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاوزوا سن التعليم وهو لاء وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجهل ما وصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما يناقش الواجب الالتفات إليهم بإصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سواهم

وذلك لا يكون الا بترتيب دعوة تنيهم إلى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتحملهم على السعي في تزييتهم وتهذيبهم ثم نخدعهم عن أطباعهم وتلين من قساوة قلوبهم ثم أهم لورغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب تربية أبنائهم والافتاق عليها لزادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في إدارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تخريض الموسرين والاغنياء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما ينفق على إنشاء المكاتب وعمل التعليم فيها ويؤلفوا لذلك لجانا وجماعات في كل بلد وبقعة لتدبيره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والجامع ليذكروا الناس مانسوا من دينهم ويعرفوهم ما جهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب ان يكون لأهل الدين دعاة مرشدون ينبشون بين العامة ليقفواهم على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء وهو لاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعافى انفسهم لا دية الشرعية وأوسعهم علما بملل الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

الناس منافذ لقلوب للدخول إليها بما يصلحها ثم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف
عملهم قولهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون
في كل قوم بلقمتهم بل يجب أن يكونوا ممتازين بفصاحة اللسان وجودة المنطق بين
القوم الذين يرشدونهم ليقبلوا عليهم بالاسماع

ومن هذا نلزم المبادرة الى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليئتها قوما
يحسنونها ويدرجون فيها ما عس أحوال العامة في تصرفاتهم المشهودة ويبيون لهم
مضار الفساد ويهدونهم الى سبل الرشاد كما هو مقصود الشارع من فرض الخطبة
في الجمعة وهذا باب عظيم من الإصلاح اذا وجهت العناية اليه رجونا منه النفع
الكثير والخير العزيز .

فإن سأل سائل أين الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟
وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والتربية وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة
وتهدئها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في ارشاد العامة وتبئهم دعاء ؟
ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت في أهل الطبقة الثالثة
أن يحصلوا تلك العلوم مع الأفعال فيها والوصول الى حقائقها وذلك يستدعي زمناً طويلاً
فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جداً لو كاف أحدنا بوضعها
لتيسر له ذلك بمهونة الله عز وجل في أقرب وقت يمكن متى صدر الأمر بذلك
تحت نظر مولانا شيخ الاسلام . وأما الرجال الذين يعلمون في الطبقتين
الأوليين وفي الثالثة أيضاً والذين يليقون لوظيفة الارشاد فهم أن تعسر وجودهم
في بلد واحد أو مدينة واحدة فاليبحث عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي
الى الكفاية منهم لبداية المشروع متى صدقت النية وخلصت الوجهة لله وللحق
في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون
بأبواب الأمراء أو يتطلبون المناصب الا اذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهو لا
لا يعرفون الا بعد التفتيش عليهم ثم اذا حسنت البداية وتبعها الاجتهاد مع
الاخلاص في العمل وصل الامر بتوفيق الله الى الكمال المطلوب
وأما طول الزمان في التعليم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الروماء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن ما يشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا الغريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصره وتأييده

وأما المصاريف فإنه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما أكد ثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخلص الأموال الوافرة من أيدي المترفين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فإننا لم نأت بشيء من الكلام في هذا الباب إلا عن خبرة بأحوال اخواننا المسلمين وطول ممارسة لأخلاقهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من إصلاحه فإنه لا ييأس من روح الله الاتقون الكافرون.

هذا مجمل ما حضر لخواطر العاجزين وفي التفاصيل ما يطول به انقول أضعا فامضاعفة فان دعينا اليه لم نتأخر عن بثه والله الهادي الى سواء السبيل ، وهو حسينا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب : هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر للسلطان بأنه ييفض الدولة فلأنتنا أحد بمثل نصيحة للدولة في هذه اللائحة وفي اللائحة التالية لها .

وازيد في المنار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فما زلنا منذ عقلنا نقرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الارادات السلطانية بالفتاية بتعليم الدين ، وبث الارشاد في نفوس المسلمين ، فيستبشر المفرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة الا اهمالا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الاخبار بتلك الارادات السنية واذا أراد الله أمرا هيا أسبابه فافهم

الامة وسلطة الحاكم المستبد (١)

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

ان الامة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا أثر لارادتها في منافعها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فتلك امة لا تثبت على حال واحد ولا ينضبط لها سير فتتورها السعادة والشقاء، ويتداولها العلم والجهل، ويتبادل عليها الفنى والفقر، ويتناوبها العز والذل، وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خيرا وشرا فهو تابع لحال الحاكم. فان كان حاكما عالما حازما اصيل الرأي علي الهمة رفيع المقصد قويم الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها منار العلم ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها ابوابا للتقن في الصنائع والخلق في جميع لوازم الحياة وبث في افراد المحكومين روح الشرف والنخوة وحملهم على التحلي بالمازيا الشريفة من الشهامة والشجاعة والشهامة واداء الضيم والانفة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير.

وان كان حاكما جاهلا سيء الطبع سافل الهمة شرها مغتلاما جباناً ضعيف الرأي أحق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح ابوابا للمدوان فيتعلم القوي على حقوق الضعيف ويحتل النظام وتفسد الاخلاق وتخفض الكرامة ويغلب اليأس فتتمتد اليها أنظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في أحشاء الامة عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع اهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتناب هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاءها السامة

(١) نشرت في العدد الرابع عشر من جريدة العروة الوثقى بال عنوان الآتي

لقائفة بين جميع الامة فتميتها وينقطع الامل من العلاج وبادروا الى قطع هذا
المعضو المجزم قبل أن يسري فساده الى جميع البدن فيحزقه وغرسوا لهم شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات
(امتبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وترك شؤنها
بيد الحاكم الابله الفاشم بصرفها كيف يشاء فانذرنا بمحض العبودية وعناء الذلة
ووصمة المار بين الأمم جزاء على ما فرطوا في أمورهم وما ربك بظلام للعبيد.

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

رَدُّ لِرَدِّ (١)

نحمدك اللهم يا هادي المسترشدين إلى الحق والصواب * ونسألك أن تؤنينا
الحكمة وفصل الخطاب * وأن تؤيدنا بروح منك * فاننا لانعتمد إلا عليك * ونصلي
ونسلم على نبيك المبعوث رحمة للعالمين * بكتاب مبين * لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من علم حكيم (وبعد) فقد اطلمت على ما كتبه الاستاذ الفاضل
الشيخ طه البشري رداً عليّ فيما ذهبت اليه، فسررت جدا لفهرته، وشكرته على
أدبه ونزاهته، ولكن لما كنت أخالفه في أكثر آرائه اضطرت إلى مناقشته ليظهر
لي الحق ان كنت مخطئاً، راجياً من أهل الانصاف والعقل أن يكونوا حكماً بيننا، والله
ولي الهداية، المنقذ من الضلالة

قال حفظه الله « وأما السنة فلاننا ثبتها بالكتاب نفسه فهي منه تستمد وعليه
تعتمد » ثم استشهد على ذلك بعدة آيات من القرآن الشريف لم تكن لتخفي علينا
من قبل فلاننا تبدي له رأينا فيها واحدة بعد أخرى. الآية الأولى قوله تعالى
(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) « ليس هناك معنى لتبين الكتاب
غير تفصيل مجمله وتفسير مشكله » الخ وتقول لو كان جميع ماورد في كتب السنة من

الأحاديث المعتبرة تبيننا للقرآن لكان في غاية الاجمال ولما وصفه الله تعالى بكونه
 بينا ومفصلا في قوله (بلسان عربي مبين) وقوله - وكذلك أنزلناه آيات بينات -
 وقوله - وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا - وقوله - كتاب فصلت آياته قرآنا
 عربيا لقوم يعلمون - وقوله - كتاب أحسكت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)
 الى غير ذلك من الآيات فكيف وصفه الله تعالى بهذه الأوصاف وهو محتاج الى
 كل هذه المجلدات الضخمة (كتب السنة) لتوضيحه وتفسيره وتفصيله؟ وكيف يكون
 القرآن آية في البلاغة وفيه ما لا يفهم الا اذا فسره الرسول بنفسه؟ ألا يستنكف
 أحدنا أن يكتب للداس كتابا لا يفهمونه الا اذا فسره هو لهم! فما لك بالقرآن المبين
 نعم قد أطلق القرآن الكلام في مسائل قليلة لتكون عبارته منطقية على أحوال
 جميع البشر في كل زمان ومكان ولكن هذا شيء والاجمال شيء آخر. ولتوضيح
 المقام نضرب مثلا لكل.

فمثال الاجمال قولك: حرم الله الخبائث؛ وإذا أردت تفصيله تقول: حرم
 الله الخنزير والحمر والميتة والدم وغيرها. ومثال الاطلاق أن تقول: جاء محمد؛
 وتقيده يكون بنحو قولك (جاء محمد راكبا فرسا في يوم الجمعة) فالجمل ما دخل
 تحته جميع أفراد المفصل. والمطلق لا تدخل فيه أفراد المقيد ولكنه يحتملها أي
 ان الأول كالجواب الحاربي للمفصل والثاني كجواب غير حاربه ولكنه يسعه.
 فالقرآن ليس فيه مجمل يحتاج إلى تفصيله الا وفصله بقدر ما تقتضيه حاجة البشر.
 ولكنه فيه مطلق لم يتقيد بتقيده أولياء الأمر حسب الحال والزمان والمكان.
 فان قيل لم لا تعتبر السنة تقييدا لمطلقه بالنسبة للعالمين. قلت لأن النبي لا يعلم
 حالة البشر في جميع الأزمنة والأمكنة. وان كان الله تعالى أعلم بها فلم لم
 يقيد جميع مطلق القرآن بالقرآن كما قيد بعض مطلقه فيه؟ والخلاصة أن القرآن
 بين ومفصل تفصيلا يفي بحاجة جميع البشر بدون احتياج الى شيء سواه. ولذلك
 لم يصفه الله تعالى بالاجمال في موضع واحد ووصفه بضده في مواضع كثيرة كما
 بينا ذلك فيما سبق. اذ لا يمكن أن يكون معنى التبيين المذكور في الآية ما ذكر
 الاستاذ وانما معناه الاظهار والتبليغ وعدم كتمان شيء من الكتاب أو اخفائه

عن العالمين كما ورد مثل ذلك المعنى في قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) وقوله (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) الى غير ذلك من الآيات . ثم على فرض أن التبيين هنا مفصّل والتفسير للمجمل والمشكل كما يقول فهل نسبي ما زاد في السنة عن الكتاب مما ليس له أثر فيه تفصيلا وتفسيرا أم ماذا؟ وذلك مثل كثير من نواقض الوضوء وقتل المرتد لجرد الارتداد وتحريم الحرير والذهب وغير ذلك مما لم يشر اليه الكتاب

الآية الثانية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) أي يظهر لهم جميع ما أوحاه الله اليه من الدين ويبلغهم اياه مفصلا وموضحا بلغتهم التي يفهمونها واثبات النبي بهذا القرآن هو كذلك وليس في الآية ما يدل على أنه يأتي أولا بالكتاب غير مفهوم ثم يأخذ في تفسيره وشرحه لهم بعبارات أخرى . وهب أن ما يدعونه صحيح فالآية صريحة في أن هذا التفسير والتفصيل هو لقومه الذين نشأ بينهم وبعث فيهم وهو ما ندعيه وليست نصافي أنه كان عاما لجميع البشر كما هو ظاهر .

الآية الثالثة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) فعلم الكتاب هو تحفيظه للناس وتفهمه لمن لم يفهمه منهم وتدريبهم على التدبر والتفكير فيه والاستفادة منه وتوجيه أنظارهم إلى ما فيه من الآيات والدلائل والعبير والحكم وحشهم على ادراكها وتصورها وغير ذلك مما قد يفوت بعضهم . وقوله (والحكمة) عطف تفسير كقوله تعالى (واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) والمعنى أن القرآن ذو حكمة كما وصفه بقوله (والقرآن الحكيم) . وعلى تسليم أن العطف هنا للمغايرة فليس المراد بالحكمة الشرائع والعبادات ونحوها وإنما المراد الحكم والمواظب والآداب والفضائل

وأزواج التهذيب والتأديب والتشريف التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو الأمة العربية حتى أخرجها من ظلمات الجهالة إلى نور العلم والمدنية . ونحن لانرفض شيئاً من ذلك بل قبله على العين والرأس كما قلنا في المقالة السابقة والذي ندعيه أن القرآن مشتمل على أمهاتها ولا أظن أن حضرة الأستاذ تخالفنا في ذلك .

الآية الرابعة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ونحن لم نعارض في ذلك بل نقول إن اطاعة الرسول فرض محتم على كل من أمره بشيء . وأما موضوع البحث هو هل أوامر الرسول القولية (السنة) خاصة بزمنه أم عامة ؟ وبعبارة أخرى هل فرض علينا نحن فرضاً غير ماني كتاب الله تعالى ؟ وهل للرسول أن يفرض على من ليس في عصره وبعد تمام القرآن شيئاً زيادة عما فيه ؟ أما من كانوا في عصره فله أن يأمرهم بأي شيء يرى فيه مصلحة لهم في دينهم أو دنياهم لأنه رئيسهم وأعظم أولياء أمورهم وأعلمهم بما فيه الفائدة وأرجحهم عقلاً وهو أولى الناس بتطبيق القرآن على حالهم وتقييد مطلقه بما يوافقهم . وطاعتهم له واجبة . ولو وجه إلينا خطابه لوجب علينا نحن أيضاً ولعلنا أن الله أمره بذلك . ولكن دعوانا أنه لم يفعل . فهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تشبه من وجه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فلو وجد عليه السلام في زمننا لحق علينا امثال هذا الأمر .

الآية الخامسة (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) فليس في هذه الآية ما يدل على أن الرسول يأمر أو ينهى أو يحل أو يحرم بغير ما في القرآن فمن اتبع القرآن فقد اتبعه في كل ذلك . ولعل ما سقط من هذه الآية في مقالة الشيخ من الطابع لأمته

الآية السادسة (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذه الآية وردت في النبي ونصها هكذا (ما آفاه الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول عن ذلك فلا تأمروا به (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم الرسول عن ذلك فلا تأمروا به) من النبي فخذوه وما نهاكم عن أخذها منه فاتمروا . يقولون ان العبارة بضم اللفظ لا مخصوص السبب أي . بسبب النزول ولكننا نقول ان الكلام هنا في السياق لا في السبب ولو لم يصبر للسياق لوجب على كل مسلم مثلاً أن يكون دائماً متجهاً نحو الكعبة في أي عمل يعمل لقوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ولكن السياق يدل على أن ذلك في قبلة الصلاة فكيف يعتبر السياق هنا ولا يعتبر هناك

سلمنا أن آية (وما آتاكم الرسول) عامة في كل شيء، وأمر ولكن هذا لا يفيد مناظرنا الفاضل شيئاً لأننا نقول إن السنة أعطتها الرسول للعرب لأنها كما سبق ولو أعطتها لنا لوجب علينا أخذها وبعبارة أخرى إن السنة هي خطاب الرسول الخاص والقرآن خطاب الله العام . أما ما أورده بعد ذلك من الآيات فليس فيه شيء جديد ويعرف الجواب عنه مما بيناه هنا . ثم اني أسأل حضرة سؤالا وهو ما الحكمة في جعل بعض الدين قرآناً والبعض الآخر سنة؟ مثلاً اذا كان الله تعالى يريد أن كل من كان عنده من المسلمين عشرون دينارا من الذهب أو مئتا درهم من الفضة وجب عليه أن يخرج زكاتها ربع عشرها في جميع الاوقات وفي جميع البلدان فلماذا لم يذكر ذلك تفصيلا في الكتاب كما ذكر الموارد وغيرها؟؟ وما حكمة الاجمال في بعض المواضع والتفصيل في الاخرى؟

قال حفظه الله « ان كل ما يجري على لسان الرسول أو يبدو من عمله إنما هو بالوحي السماوي أو الإلهام الإلهي المصدق » وهذه العبارة على إطلاقها غلط لا توافقه عليها . لان بعض أعمال الرسول وأقواله كانت باجتهاد منه عليه السلام ولم تكن وحياً مطلقاً وقد عوتب في بعضها لأن الله تعالى لم يقره على غير الصواب والكمال وما كنا نظن أن حضرة الاستاذ تنسى ذلك أو تقاساه مع أن القرآن الشريف شهد به وكذلك الأحاديث الصحيحة المعتبرة عنده فلذا نلقت نظره الى ما ذكره المفسرون في مثل قوله تعالى (ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وقوله (عفا الله عنك لم أذنت

لهم حتى يقين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وقوله (عسى وتولى أن جاءه
الاعمى) والى غير ذلك من الآيات . حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي
بكاء شديدا من بعض هذه العتابات . وقد ورد في الحديث أيضاً أن النبي نهى
عن تأيير التخل ولما علم بضرر ذلك رجع عنه وقال (أنتم أعلم بأمر دنياكم) .
فالمصمة لله ولكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما
قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى)
فذلك في شأن القرآن خاصة وهو الذي لا يجوز أن يخطئ فيه مطلقاً

ثم قال الاستاذ ما معناه ان السنة اجمالاً متواترة وانها مقطوع بها كالكتاب
وتقول ان أفراد السنة لم يتواتر منها شيء الا ما كان يمد على أصابع اليد . واذا لم
نكن أفرادها متواترة الا القليل فلا فائدة في القول بأنها متواترة اجمالاً بل ولا معنى له
ولا يفيننا ذلك من الحق شيئاً . ولم نسمع أحداً غيره يقول انها بالجملة مقطوع بها
كالكتاب . وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) هو في شأن القرآن كما
يدل عليه ما قبله ولم تسم السنة بالذ كر مطلقاً . وكيف تقول ان هذه الآية تتناولها مع
أن الاعتبار الوجودي يكذبنا لا يؤيدنا . فانه مع عناية المسلمين بها قد تطرق اليها
جميع أنواع التحريف بالزيادة والنقص والتبديل ولا يمكننا معها بحثنا في تاريخ الرواة
وغيره أن نجزم بشيء منها الا ما تواتر وقليل هو . لان الكذاب أو الضعيف أو المظنون
فيه بوجه ما قد يروي أحياناً ما هو حق وصدق فلا تقبله منه فيحصل النقص في السنة .
وكذلك الثقة قد يخطئ أو يكون ممن نظاهر بالصالح والاستقامة حتى غرنا فنأخذ
الحديث عنه والرسول بري منه . فيحصل بسبب ذلك التبديل والزيادة في السنة .
فهي أشبه شيء بكتب أهل الكتاب . وما نشأ ذلك الا من عدم كتابتها في عهد
النبي عليه السلام وعدم حصر الصحابة لها في كتاب وعدم تلبية الناس بالتواتر وعدم
حفظهم لها جيداً في صدورهم حتى أباحوا نقلها بالمعنى واختلفت الرواية عنهم لفظاً
ومعنى . فلو كانت السنة واجبة في الدين لأمرنا أن ياملوها معاملة القرآن . حتى
نأمن عليها من التبديل والزيادة والنقصان . والذي نراه أن ما أجاب به الاستاذ
عن هذه المسائل ليس الا من قبيل المراوغة في البحث تخلصاً من شدة وقعها على

النفس كما يتضح ذلك لمن طالع ما كتبه وكتبناه من العقلاء المنصفين. وهنأريد أن نسأل حضرة سؤالا وهو لماذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة أقواله في صحف على حديثها ولأجل التمييز بينها وبين القرآن يكتب عليها ما يفيد أنها أقوال الرسول ويأمر أصحابه بحفظها وتبليغها للناس بالتواتر كما بلغوا القرآن حتى يصل إلينا كتابان لا نزاع فيهما ولا اختلاف؟ وهب أنه مع العناية التامة بتمييزها عن بعضهما وبلغت بعض عبارات الرسول درجة الإعجاز فدخلت في القرآن أو دخل شيء من القرآن فيها وحفظ الاثنان بدون أن يختلط بهما شيء أجنبي عنهما حتى وصل إلينا بالتواتر وبدون أن ينقص منهما شيء - ولو أنهما اختلطا ببعضهما شيئا قليلا - أليس ذلك أخف ضررا من ضياع بعض السنة وعدم الجزم بأكثر ما بقي منها مع العلم بأنها شطر الدين الثاني كما يزعمون؟ وبذلك كان المسلمون يسرّ يحون في القرون الأولى من العناء والتعب في لها وتمحيصها وهم لم يصلوا إلى النتيجة المرغوبة ولن يصلوا وكانوا بصرفون همتهم هذه إلى شيء آخر واعلم أن زبدة ما اجاب به الاسناد عما ذكرناه من الفروق بين الكتاب والسنة بعد طول المناقشة هي قوله « ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره مما ذكرت » وقول ان القرآن لا شك أنه متواتر لفظاً ومعنى وكتابة وهب أن المدار على التواتر اللفظي فقط فأي شيء من السنة وصلنا بمثل ذلك الا ما شد وندر؟ وهل يفيدنا ذلك السير من السنة المتواترة في شيء من ديننا أو دنيانا . الكلام هنا لا يشمل التواتر العملي ككيفية الصلاة وعدد ركعاتها لان الاستاذ ينكر علينا قيمة ما عدا التواتر اللفظي كما يفهم من كلامه . واذا سلم قيمة التواتر العملي فالقرآن أيضا متواتر عملا في كيفية كتابته ولذلك حافظ المسلمون على رسم الصحابة له الى اليوم واذا كان ينكر فائدة التواتر العملي فبم يعرف عدد ركعات الصلاة مثلا؟ وهل وصله حديث واحد في ذلك متواتر لفظه؟ الحق أقول: لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ النبي عليها هو واصحابه حتى تصل إلينا كما وصل إلينا القرآن بدون نزاع ولا خلاف ولا لكان الله تعالى يريد أن يعبدنا بالظن والظن لا قيمة له عند الله قال تعالى (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك

عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وانهم الا يخوضون) وما أجل قوله هنا (اكثر من في الارض) فسبحان ربك رب العزة عما يقرولون . ولنجمع هنا أعظم الدلائل التي نثبت عليها في اثبات دعوانا أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . وهي :-

(١) لم تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتكون أقرب الى التحريف منها الى الضبط لو كانت كتبت في عهده
(٢) نهى صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه سوى القرآن الشريف ولا يمكن تفسير ذلك تفسيراً مقنعاً بغير ما ذهبنا اليه

(٣) لم تجمعه الصحابة بعد عصره في كتاب لينشر في الآفاق ولم يحصرها أحد منهم حفظاً في صدره ولو كانت الشطر الثاني للدين لا عني بها بذلك أو نحوه
(٤) لم تنقلها الصحابة الى الناس بالتواتر اللفظي . وما تواتر لفظه يكاد يكون لا وجود له وهو غير هام في الدين وتواتره حصل اتفاقاً لا قصداً منهم
(٥) ما كانوا يجيدون حفظها في صدورهم كحفظ القرآن ولذلك اختلفت

الفاظ ما تعددت روايته منهم

(٦) كان بعضهم ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها وتساوتوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مثبت لهم .

(٧) أباحوا للناس أن يرووها عنهم بالمعنى على حسب ما فهموا

(٨) لم يتكفل الله تعالى بحفظها فوق فيها جميع أنواع التحريف . ولا يمكننا

القطع بشيء منها مما رواه الآحاد وهو جاهل المجرد عدم معرفتنا شيئاً يجرح الرواة
(٩) يوجد فيها كثير مما لا ينطبق الاعلى العرب المعاصرين للنبي صلى الله عليه

وسلم ولا يوافق الاعادتهم وأحوالهم كسألة زكاة الأموال وزكاة الفطر وغير ذلك
(١٠) يشتم من بعض ما وصل اليه من آثارنا ما ذهبنا اليه كقول النبي صلى الله عليه

وسلم لمن سأله هل يجب الوضوء من القي «لو كان واجبا لوجدته في كتاب الله تعالى»
وان حصل الطعن في سند مثل هذ الحديث فلا يمكن التعليل عن سبب وجوده

بين المسلمين مع أنه يخالف روح مذهبهم وكيف روي عن واضعه؟ وهل الواضع له كان يقصد أن يقول بمثل رأينا الحالي؟ إذا سلم ذلك دل على أنه لا إجماع بين المسلمين على وجوب الأخذ بالسنة وإن كان الواضع من غير المسلمين فإذا فهمه إذا أخذ المسلمون بالقرآن وحده أو به مع السنة وخصوصاً في مثل هذه المسألة (مسألة توافق الوضوء). وهل ذلك يشكك المسلمين في دينهم أو يضمهم مع أنه يمزهم ويقويهم؟ وكيف أخذ بعض الفقهاء بهذا الحديث وقال إن الوضوء لا ينتقض بالتيء مستشهداً به على مذهبه فالقول بأن هذا الحديث صحيح أو موضوع لا يكفي لشفاء العلة وأرواء الغلة بل لا بد من البحث والتنقيب

فهذه أدلتي أوردتها سرداً بالإيجاز ليندبرها المتدبرون ولتفكر فيها المتفكرون وأرجو ممن يرد عليّ أن يترك المراوغة ويحجيني بما يقنعني ويقنمه ولا أضعن الوقت سدى، ولم فصل إلى هدى

﴿ الاستنباط من الكتاب وحده ﴾

قد أنزل الله تعالى القرآن الشريف بلسان العرب وخاطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون . فهو وحي الله إليهم مباشرة وإلى العالمين بواسطة . وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج إلى تفسير مفسر أو تأويل مؤول . أما الأمم الأخرى التي تأخذ القرآن عن العرب فلا بد لهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة وكذا معرفة أحوال العرب وعاداتهم وتاريخهم واصطلاحاتهم حتى يتيسر لهم فهم القرآن على حقيقته . وهم غير محتاجين لمعرفة شيء آخر من أحاديث أو ناسخ أو منسوخ أو قصص أو غير ذلك مما لم أذكره هنا . وبالاختصار إن العرب لا تحتاج إلى شيء مطلقاً لفهم القرآن . وغيرهم لا بد له أن يقدر على فهمه . أعني أن يصير مثل العرب بتعلم ما ذكرت . ولذا وصفه الله تعالى بكونه لساناً عربياً مبيناً . فلا يرد فيه لفظ لا تعرفه العرب أو اصطلاح لم يعهدوه إلا إذا ذكر ما يفسره . إذا عرفت هذا فاعلم أن اصطلاحات القرآن قسيان : اصطلاحات كانت مستعملة بين العرب قبل نزوله مثل لفظ الحج والأحرام والبحيرة والسائبة وغيرها . واصطلاحات جديدة لم تكن تعرفها من قبل كلفظ الصلاة والزكاة وغيرها .

أما القسم الأول فاذا ذكر الله تعالى منه شيئاً فلا يفسره لأنه معروف ولذلك لم يبين القرآن معنى الاحرام مثلاً ولا كيفيته وإنما ذكر ما يدل على وجوبه . قال تعالى (وأموا الحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) فاذا سمع العربي هذا الكلام فهم أن المراد بقوله (ولا تحلقوا رؤوسكم) في هذا المقام النهي عن التحلل قبل بلوغ الهدي إلى المكان الذي يحل فيه ذبحه . وهذا يدلنا على أن الاحرام واجب . ولذلك نهى عن قتل الصيد فيه وشدد العقوبة على من فعل ذلك وتوعده . ولو لم يكن واجباً لما كانت كل هذه العناية به . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثله ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً لذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) وكذلك ذكر تعالى البجيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد على أهل الجاهلية فيها فقال (ما جعل الله من بجمرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يهتمون على الله الكذب وأكثرم لا يعقلون) ولم يبين لنا تعالى معاني هذه الألفاظ اعتماداً على أن العرب تعرفها . ولا يجوز لنا أن نفسر مثل هذه الألفاظ الاصطلاحية بمعانيها اللغوية بل يجب فهمها كما كانت تفهمها العرب .

وأما القسم الثاني من الاصطلاحات فاذا ورد في القرآن شيء منه ذكر ما يبين المراد به . فمثلاً الصلاة وإن كان معناها لغة الدعاء إلا أنها في الاصطلاح صورة مخصوصة تستفاد من مجموع آيات القرآن المتعلقة بها ومقارنتها ببعضها مثل قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) وقوله - محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدوا يفتنون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود » وقوله - وطهر بيتي الطائفين والقاتمين والركع السجود » وقوله - يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » وقوله - ولا تبهر

بصلواتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً * وقوله - أقم الصلاة للربك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً * وقوله - أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل - مع قوله - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - فأشال هذه الآيات بكل ويفسر بعضها بعضاً والذي يفهم من مجموعها أن الصلاة المطالبين بها في القرآن هي ما اشتملت على قيام وركوع وسجود ودعاء ونسبوح وتحميد وتكبير وقراءة قرآن . وأما الزكاة وإن كانت في اللغة النمو أو الطهارة فهي في اصطلاح القرآن ما يعطى من مال الأغنياء للفقراء وغيرهم على سبيل الوجوب وقد أشار الى ذلك بقوله (قَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبَا لِيُرِيوٓا۟ أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِيوٓا۟ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها - وقوله - وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) . واعلم أنه كما تستفاد العقائد والشرائع والأخلاق من مجموع القرآن فكذلك العبادات لا بد من أخذها من مجموعها لا من بعضها .

بقي عليّ مسألة واحدة مما ذكره الشيخ البشري في هذا الباب وهي قوله ما معناه أنه قد برد في الكتاب لفظ مشترك بين معنيين متناقضين ولا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر إلا بالسنة . وأقول أنه من المستحيل أن يرد في الكتاب لفظ لا يتعين المراد منه إلا إذا كان معناه يؤديان الى الفائدة المطلوبة بعينها كاللفظ القروء الذي استشهدت به حضراته في قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فسواء أريد به الحيض أو الطهر فالنتيجة واحدة . على أنهم قالوا ان الأصل فيه الانتقال من الطهر الى الحيض . والرجيح بالسنة لم يؤد الى النتيجة المرغوبة لأن أبا حنيفة وإن كان أخذ بحديث « طلاق الآءة ثنتان وعدتها حيضتان » إلا أن غيره لم يبال بذلك وأخذ بأدلة أخرى فقالت الشافعية والمالكية ان المراد بالقروء الطهر . وهذا هو الذي اشتكىنا ونشكى منه . فبأيها الفاضل المناظر

أنتدعوننا الى شيء لم يفدكم أتمتم المتسكين به ولا زلتم مختلفين فيه ؟ هذا ولتعلم أن ماقلته في هذا الباب يعد طعناً منك في بيان القرآن المبين و بلاغته فليستغفر الله تعالى منه ولتنب اليه

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أقر الاستاذ في هذا الباب بأن ماعدا المتواتر لا يقيد اليقين . وأن العمل به عمل بالظن . وقال : إن التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للإجرح على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) : وتقول ان الله تعالى لا يتعبنا بالظن والا لما ذمه في كتابه كثيراً . قال تعالى (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقال أيضاً (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أتم الا تخرصون) والسياق يدل على أن الآية الأولى خصوصاً واردة في الأحكام لا في العقائد . فكيف يذمه الله تعالى ثم يوجب علينا العمل به ؟ وقول الشيخ « ان التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق الخ » غلط لان التكليف بالقرآن في غاية السهولة وليس فيه من حرج . اللهم الا أن يكون مراده التكليف بالعمل بالسنة على وجه اليقين فيكون كلامه حجة عليه لاله .

وقد أقر أيضاً في هذا الباب بأن أصحاب كتب الحديث اذا اختلف في نفس أحدهم أقل شبهة من أحد رواه نفض يديه منه واقبل الى أهله خاويان من ذلك الحديث وقاضيه . وهذا القول يؤيد ماقلناه من أن السنن تحصل فيها نقص كل التأييد . فان الحديث اذا كان يرفض لأقل شبهة في أحد الرواة فلا بد أنهم رفضوا أحاديث كثيرة ولا بد أن بعضها كان صحيحاً في الواقع ونفس الأمر اذا الاشتباه في الراوي لا يمنع من ذلك .

أما دفاعه عن المجتهدين ومحاوكته أن يقول أنهم جميعاً على الحق وان اختلفوا فما لا يقبله العقل فان الحق واحد واذا كان مع أحدهم فلا يمكن أن يكون مع مخالفه . واذا كان مراده أنهم كلهم مثابرون على اجتهادهم فانا لم أعارض في ذلك ولم يكن هذا موضع بحثي في مقالتي السابقة .

﴿ الاجماع ﴾

استدل عليه بآية وأخطأ في ايرادها ونصبها كما قال المنار (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصبه جهنم وساءت مصيرا) وهي كما ترى في غير هذا المقام ولا تناسب ما نحن فيه. وعلى فرض المناسبة نقول: انه لم يرد في القرآن أن المؤمنين لا يخطئون. أو أن طريقهم واحد ولا يسبرون في طريق الباطل. ولو أورد لنا آية بهذا المعنى لكافحت حجة الحضرة. والذي نعلمه أن المؤمنين يجوز عليهم جميعا الخطأ ويجوز أن يسبروا في طريق الباطل فن خالفهم فيه أثابه الله ومن لم يتبع سبيلهم الحق عنده الله. فمعنى الآية هكذا (ومن يشاقق الرسول) أي يعصيه ويخالفه (من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي طريقهم الحق عنده الله بما ذكر. وإذا سار المؤمنون في طريق الباطل فلا يسمى هذا طريقهم. لأنه أمر عارض يخالف طبيعتهم. ولا يزال طريق الحق يسمى طريقهم لأنه هو الذي يحنون اليه بمقتضى فطرتهم ويتطلبونه إذا ضلوا. وهم لم ينجسوا عنه الاخطأ أوجهلا. ورجوعهم اليه سهل إذا أرشدوا

هذا وأني قد تركزت بعض مسائل لم أبدأ ملاحظتي عليها في مقالة الاستاذ الألى وخوفا من التطويل والسآمة. ولأن البحث فيها لا يؤدي الى نتيجة هامة في الموضوع ولا تغير جوهر الكلام

﴿ مبحث الصلاة ﴾

نبدأ الكلام في هذا البحث بذكر بعض مسائل يحتاج اليها القارىء كل الاحتياج ليفهم حقيقة ما رمي اليه فنقول:

- (١) ان عدد ركعات الصلاة كما وصلنا متواتر عملا عن النبي صلى الله عليه وسلم
- (٢) لو سلمنا أن أصحاب الرسول عليه السلام كانت تعتقد أن الفرض منها ما هو معروف لما ضرنا ذلك شيئا لأننا نقول امل ذلك كان لأن النبي جهمهم على هذه الاعداد المخصوصة وحثها رغبة منه في كمال النظام وتمام الاتحاد ورفع أي اختلاف بينهم إذ كانوا حديثي العهد بالوفاق والوئام. وليس من خلف بهداهم

مضطرا لا لئلازم ما أمرواهم بالترامه . فليس حديث ذي اليدين ولا حديث عائشة الاذان أوردها الاستاذ بمفيدين لنا في هذا البحث شيئا . على أنها ليسا بمتواترين . ونحن وان احتجنا بمثلهما على نهرنا لقبوله ذلك لا نقبل الاحتجاج بهما على أنفسنا لأنها لا يفيدان الا الظن كما تقدم . ثم ان الاستاذ لم يجنا عن السبب في صلاة النبي ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزأ من إقامته بالمدينة أي أكثر من نصف زمن الدعوة وأراد التخلص من ذلك بمناقشتنا في بعض ألفاظ حديث عائشة وهو لم يرو كما نقله في البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان فأقوت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر : هذا الحديث أقرب إلى رأينا في عدم تسمية صلاة السفر قصرًا منه إلى رأيهم وأظهر منه حديث عمر رضي الله عنه حيث قال : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم : ولذلك اضطرب كثير من المفسرين إلى تأويلهما والاسناد يظن أننا أول من أنكر تسمية صلاة السفر قصرًا وتعاضى عن أقوال الصحابة أنفسهم

(٢) لم يرد حديث واحد متواتر افظه عن النبي صلى الله عليه وسلم بأمرنا نحن فيه بهذه الأعداد المخصوصة . أما حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » فهو غير متواتر وليس حرميحا في أمر الركعات . وهب أنه يشمل ذلك فهو خاص بمن في عصر النبي بنقل قوله (كما رأيتموني)

عجبا منك أيها الاستاذ البشري . كيف تحتاج علي بهذا الحديث وهو غير صريح في المسألة . ولا تحتاج به على أبي حنيفة الذي نقلت قوله ويظهر أنك أقررت في أنه يكفي قراءة أي آية من القرآن في الصلاة ولو كانت غير الفاتحة ؟ مع أن النبي وأصحابه أجمعوا على المحافظة على قراءة الفاتحة في كل ركعة وتواتر عنهم ذلك ولم ينقل عن النبي عليه السلام أنه ترك ركعة واحدة في أول الدعوة أو في آخرها في سفر أو حضر . فهل المصلي بدون الفاتحة يكون عندك مصليا كما صلى النبي ولا يكون كذلك من صلى ركعتين بدل الأربعة وماذا نرى أننا نحن الغناطريق المؤمنون ولا نرى أن أبا حنيفة فعل ذلك أيضا ؟ وما السبب في ذهابه هذا المذهب ؟ أليس ذلك لأنه يرى أن التواتر العملي وحده لا يكفي إذا لم يمتنع به بأس لفظي يفهم منه وجوب الشيء من عدمه ويكون غير قابل

للتأويل ولا للظن فيه

(٤) لو كان وصلنا أصل الأمر بركعات الصلاة متواترا لفظه فلو بما كنا نجد أنه يدل على أنه خاص بمن في عصر النبي عليه السلام وأنه على الأقل لا يدل على العموم والاجماع على فهم مخصوص غير حجة علينا . فكم من أشياء فهمناها على غير ما فهمها الصحابة والتابعون . أنظر مثلا الى قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون) فلو سألت عنه جميع الصحابة والتابعين لقالوا لك هذا يحصل يوم القيامة . مع أن كثير من علمائنا الآن صاروا يقولون انه حاصل في الدنيا . ولو قال واحد في الزمن الأول ان النبي أخبر الصحابة بدوران الأرض لا تفقوا جميعا على انكار ذلك وتكذيبه . ولو كانوا رووا القرآن بالمعنى لرووا هذه الآية على حسب فهمهم . ولو لم يصلنا أصل النص لما علمنا أنه يحتمل ما قاله ذلك المخالف للاجماع

(٥) غير المتواتر يفيد الظن ولا يفيد اليقين كما أقر بذلك الاستاذ البشري فيما سبق . والله لا يعبدنا بالظن فلو كان الله يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المحصورة لوصل الينا أصل الأمر بالتواتر . وحيث انه ما وصلنا دل ذلك على أن الله لا يريد منا الا المحافظة على ما في كتابه صريحا أو ما استفيد منه لأن المتواتر غيره قليل وليس في مسائل هامة في الدين كحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فانه متواتر في رأي الاكثرين

اذا علمت كل هذه المسائل فاسمع ملخص البرهان . الأمر بركعات الصلاة إما أن يكون تحريريا أو قوليا . هو ليس بتحريري . ولم يصلنا أمر قولي متواتر بذلك اذا لم يصل الينا أمر مقطوع به مطلقا من الطريق الأول أو الطريق الثاني . فان قيل ان التواتر العملي دال عليه وعلى ما هو مفروض قلت يحتمل أننا اذا نظرنا في امر الرسول الأصلي وجدناه اما خاصا بمن في عصره أو أنه على الأقل لا يدل على أنه عام لجميع الناس في جميع الأزمنة والأمكنة . واذا فليس عندنا دليل قطعي على وجوب هذه الأعداد . والله لا يعبدنا بالظن كما قلنا مرارا فلو كان يريدنا المحافظة على هذه الأعداد المحصورة لوصل الينا أصل الأمر بالتواتر حتى لا يبقى عندنا

أدنى ريب . وحيث ان هذا الأمر لم يصل إلينا بالتواتر دل ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والأسماء عليها وهو المطلوب .

ولنعد الآن إلى أمام البحث في هذه المسألة فنقول : - نازعنا الأستاذ الفاضل فيما استنتجناه من قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناً وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم واتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) إلى آخر الآية . فاعلم أن الخطاب بالجمع في قوله تعالى (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح الخ) لا يستلزم أن النبي صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه داخل فيه إذ كثيراً ما ورد الخطاب بالجمع ولم يرد به إلا أكثرين كما في قوله تعالى (وإن خفتم شقاق بينهما فابشوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) فالخطاب هنا وإن كان لجماعة المؤمنين إلا أنه لا يشمل الزوجين ولا الحكيمين إلا إذا حاولنا التأويل . وهب أن الخطاب يشمل كل فرد ففي الجناح لا يستلزم أن القصر واجب على كل فرد في كل صلاة . إذا علمت ذلك تبين لك أن صلاة النبي ركعتين عند الخوف في السفر وهو امام ان قلنا انها لم تكن قصر لما خلفنا مضمون قوله تعالى « فليس عليكم جناح أن تقصروا » حتى يتم علينا الزام حضرة الاستاذ المناظر أما قوله ان القيد « ان خفتم أن يقتلكم الذين كفروا » لا مفهوم له وأنه لبيان الواقع فما لا توافقه عليه لانت الأصل عدم ذلك ومتى أمكن حمل الكلام على وجه يجعل لكل قيد مفهوماً وجب المصير إليه . أما إذا لم يمكن ذلك لدليل قام عندنا اضطررنا إلى القول به . وهنا لا دليل يمنعنا من القول بأن هذا القيد مقبىر في هذه الآية وأحاديث الآحاد التي تنافي ذلك هي معارضة بمثلاً كقول عائشة وقول عمر الذين ذكرناهما فيما سبق فإتباعها بدلان على أن صلاة السفر ليست قصرأ فكان القصر هو في صلاة الخوف فقط . وعلى ذلك فأقرارنا بأن القيد في قوله تعالى « وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة » الخ لا مفهوم له لا يستلزم أن نقول بذلك في كل قيد نراه والخطاب هنا وإن كان للنبي إلا أنه قد

جرت عادة القرآن في كثير من المواقع أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويردده هو وأمنه كقول المثل (اياك أعني وأسمعي بإجارة) ولو قلنا إن كل خطاب للنبي هو خاص به لأخرجنا الأمة من جزء عظيم من تكاليف القرآن كقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وقوله «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» وقوله «أقم الصلاة لذالك الشمس إلى غسق الليل» وقوله «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» الآية وقوله (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (وأمر أهلك بالصلاة) إلى غير ذلك من الآيات. ولهذا قال علماء الأصول إن كل خطاب للنبي هو أيضاً خطاب لأمة إلا إذا دل دليل على التخصيص ومما يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) . لذلك نقول إن القيد (وإذا كنت فيهم) لا مفهوم له لأن الدلائل قامت على ذلك بخلاف القيد (إن ختم أن يفتنكم الذين كفروا) فإنه مشير بمفهومه لعدم الدلائل القاطعة . ولو كان الحكم في هذه المسألة بحسب اختيار الإنسان وإرادته لحصل التلاعب في فهم أوامر الدين

أما استشهاده بآية (وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) فلا حق له فيه لأن هذه الآية ليست بما يقين أن يكون القيد فيها لا مفهوم له بل قال بعض الصحابة وغيرهم بعكس ذلك . قال علي كرم الله وجهه الربية إذا لم تكن في حجر الزوج وكانت في بلد آخر ثم فارق الأم بعد النخول فإنه يجوز له أن يتزوج الربية وكذلك قال داود من الفقهاء . وصفوة الكلام في هذا الموضوع أن كل قيد ورد في القرآن يجب أن نعتبر مفهومه إلا إذا منع من ذلك مانع قوي كما في قوله تعالى (ولا تكفروا بآياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) وكل خطاب للنبي خطاب لأمة إلا إذا قام دليل على التخصيص وكل قيد لم يعتبر مفهومه لعله فلا بد أن يكون هنا من فائدة أخرى لوروده في الكلام . وبذلك نزه كتاب الله تعالى عن اللغو والعبث والأبهام وعدم البيان .

أما دعواه أن صلاة الخوف لم يقل أحد بأنها ركعة واحدة فيكفنا في الرد عليه أن نحمله إلى تفسير مثل تفسير فخر الدين الرازي وهناك يجد أن ابن عباس وجابر

ابن عبد الله ومجاهد وغيرهم قالوا انها ركعة واحدة فقط كما قلنا وهو المتبادر من قوله تعالى « فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا » أي أول سجود لأنه لم يذ كر غيره وبه تنتهي الركعة الأولى . ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصل الركعة الثانية خلف الامام . وتكون كل طائفة صلت ركعة واحدة فقط

قال الاستاذ المناظر اني استدللت على أن ما بعد الركعتين في الثلاثية والرابعة زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة ونبي على ذلك ما نبى ولكن عبارتي لم تكن كذلك ونصها هكذا : كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وأن جهري الأولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن أفلا يدل ذلك على أن منزلتيهما أقل من الركعتين الأوليين : وشتان ما بين هذا المعنى وذلك . ثم انه لم يجب بشيء عن السبب في عدم الجهر وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة مع فعل أحد هذين الأمرين أو فعلها معاً في الركعتين الأوليين كما جرت به عادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا شأن حضرته في أكثر رده علينا فانه يترك الاجابة عن السؤال نفسه ويشغلنا بغيرها

انتقد علينا تسمية صلاة السفر « اكتفاء بالواجب » ونرى أن انتقاده هذا الحق فيه اذا أثبت لنا أن النبي كان يلزم في غضون أسفاره النوافل وعندئذ يمكننا أن نستبدل هذه التسمية بغيرها كقولنا (تقليلاً للنوافل) ولما كانت ركعات الصبح والمغرب قليلة بالنسبة لغيرها كان يصلحها عليه السلام في السفر كما اعتاد في الحضر بدون تقليل منها .

هذا ولم يبق بعد ذلك في مقال الاستاذ شيء يحفل به وفيما ذكرناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وأهملنا الفهم لكتابه المجيد . انه ملهم الأنام هادي العبيد . رب المرش القمال لما يريد

تذييل

تلقت نظر القارئ الى المسائل الآتية فان فيها زبدة هذه المقالة والمهور

الذي تدور عليه : -

(المسألة الأولى) الفروق بين القرآن والسنة القولية هي :

(١) القرآن هو قول الله . والسنة هي قول الرسول

(٢) القرآن معجز والسنة غير معجزة

(٣) القرآن متواتر كل جزء منه . والسنة ليست كذلك

(٤) القرآن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه في زمنه ولذلك نسميه

« التعاليم التحريرية أو الكتاب » والسنة هي عن كتابتها ونسميه « التعاليم اللفظية »

(٥) القرآن خطاب الله العام . والسنة خطاب الرسول الخاص

(المسألة الثانية) التواتر العملي لا يدل على الوجوب مالم يكن مصحوباً بدليل

قولي قاطع ولذلك قال أبو حنيفة إن قراءة الفاتحة ليست بواجبة في الصلاة مع

أن ذلك متواتر عملاً عن النبي عليه السلام

(المسألة الثالثة) القرآن بين العرب لا يحتاج لتبيينه إلى كلام آخر لأنه في منتهى

البلاغة ولا يكون كذلك إلا إذا كان إيضاحه فوق إيضاح كل كلام سواه . فلا

فلا معنى عندنا للقول بأن الرسول مبين له بسنته القولية

(المسألة الرابعة) الإيضاح العملي أبلغ من الإيضاح القولي مهما كانت درجته .

فالقرآن وإن كان لا يمكن إيضاحه بقول أوضح منه إلا أنه يمكن توضيحه بالعمل

فإن العمل أبلغ من كل قول . وهذا الأمر يدركه من درس بعض العلوم التي

تحتاج إلى العلم والعمل كالأطب مثلاً . ويدخل تحت ذلك تصوير الأفرنج

للمعاني بصور وأشكال يضمنونها في كتبهم لتعين القارئ على الفهم

(المسألة الخامسة) لاننكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بعمله .

ولاننكر أن قوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكريات لتبين للناس ما نزل إليهم) قد يشمل

هذا التبيين العملي أيضاً . والذي أنكرناه هو التبيين القولي فقط لما أوضحناه

آنفاً فلا يمكن أن يكون هو المراد بهذه الآية .

(المسألة السادسة) التبيين العملي عندنا قاصر على إيضاح مافي الكتاب

وتصويره بالفعل . ولا يشمل ذلك الأعمال التي تزيد عن معنى مافي الكتاب .

فكل عمل مبين لمافي الكتاب يكون واجباً إذا دل الكتاب على وجوبه . والذي

لم يدل الكتاب على وجوبه أو لم يذكروه بكون غير واجب علينا . وبعبارة أخرى
(الواجب على البشر لا يخرج عما في كتاب الله تعالى)

(المسئلة السابعة) جل ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن
أصحابه مفسر الآي القرآن لم يصح سنده . ولذلك قال الامام أحمد ثلاثة
لأصل لها التفسير والملاحم والمغازي . ولم يرد عنه عليه السلام حديث واحد
يعتمد عليه في بيان النسخ والمنسوخ مع شدة الحاجة الى ذلك اذا صح مايقولون
(راجع مقالنا في النسخ والمنسوخ)

فارجو ممن يطالع هذه المقالة أن يعمن النظر في هذه المسائل ولا يعنيه التقليد
عن إدراكها وبعد ذلك ان شاء أن يرد علينا فليفعل . والسلام على من
اتبع الهدى ما ٢٠ يناير سنة ٩٠٧ هـ صدقي

حجرات المنار

نشرنا هذه الرسالة بطولها في هذا الجزء رغبة في تقصير مدة هذه المناظرة
وتقول الآن في المسألة كلمة مختصرة وربما عدنا إليها في بعض أجزاء السنة الآتية
كثير الكلام ونشبت المباحث ودخل في طول الجدل أو كاد ونحرير محل
النزاع هل الاسلام الدين العام لجميع البشر هو القرآن وحده أم هو جميع ما
جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أنه دين ؟ قال الدكتور محمد توفيق افندي
في المقالة الاولى (كما في ص ٥١٧ من الجزء السابق) بعد مسألة عدد ركعات
الصلاة ومسألة مقادير الزكاة ما نصه « لا شك عندي أن هاتين المسألتين : وتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلاً للنزاع ولكن محل النزاع هو هل
كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية في
جميع الأزمنة والامكنة وان لم يرد ذكره في القرآن ؟ رأيي أنه لا يجب » .
وذكر في المقالة الثانية ما رأيت أنفاً من الدلائل المشرة على أن السنة النبوية
كانت خاصة بمن في عصر الرسول (ص) وتارات يقول أنها خاصة بالهروب .
وهذه الدلائل كلها تتعلق برواية الحديث الاثامن فإنه امر سلبى والتاسع فإنه
دعوى ممنوعة والعاشر فإنه رائحة دليل لا دليل

من البديهي الذي لا يماري فيه عاقل منصف ان الاعتقاد بأن فلانا رسول الله يستلزم أن يقبل منه كل ما دعا اليه من أمر الدين جميع من أرسل اليهم فإن كان مرسلا الى قوم محصورين وجب ذلك عليهم وان كان مرسلا الى غير محصورين وجب عليهم متى بلغهم . ومن المعلوم عندنا بالضرورة بحيث لا يتنازع فيه أحد من المتناظرين ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الناس كافة من كان منهم في زمنه من العرب وغيرهم ومن يأتي بعده الى قيام الساعة . فوجب أن يكون كل ما جاء به من أمر الدين موجبا الى جميع من أرسل اليهم في كل زمان ومكان الا اذا دل الدليل على التخصيص فهذا أصل بديهي لا تطيل في بيانه ولا في تحرير برهانه

نضم الى هذا الاصل أصلا آخر أظن أن الدكتور لا يعترض فيه وهو أنه لا يعقل أن يفهم جميع من تلقوا الدين عن الرسول (ص) مباشرة أن عمل كذا من الدين وأنه عام لجميع المكافين ويكون ذلك العمل في نفسه خاصا بهم وحدهم أو مع من يشاركون في وصف خاص كاللغة والوطن لأن هذا لا يتصور وقوعه الا اذا جاز أن يقصر الرسول في التبليغ والبيان الذي بهت لاجله وهذا مما لا يجزمه مسلم فاذا جعلنا هذين الاصلين مقدمتين اننتجتنا ان كل ما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه أهل الصدر الاول فهو من الاسلام لا يعتد باسلام من تركه ومنه القرآن برمته وهذه الصلوات الخمس وان ما عدا ذلك محل اجتهاد فن بلغه عن الرسول (ص) شيء غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة وثبت عنده وجب عليه أن يعتد به من الدين ومن وثق بجهده وعلم منه أنه ثبت عنده شيء عن الرسول وجب عليه أن يعتد به من الدين فان كان ثبوته على أنه حتم عمل به حتما وان كان مخبرا فيه تخير . فاذا سلم الدكتور صدقي بهذه النتيجة سلم من الشذوذ في أصل الاسلام وانحصرت إشكالاته فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن وما تلقاه عنه المسلمون من العمل الذي لم يصل الى درجة المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وكل ما يصل اليه الاجتهاد بعد ذلك فهو مما ينسج له صدر الاسلام ولنا فيه تفصيل نرجئه الى وقت آخر

هذا مجمل ما يقال في أصل المسألة أما فروعها فأظهرها مسألة الصلاة وهذه الكيفية المعروفة عند جميع المسلمين - ويدخل فيها عدد الركعات كعدد الصلوات وهي خمس - مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لا ريب في أن جميع الصحابة فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها مفروضة بهذه الكيفية والعدد على جميع من يدخل في الاسلام الى يوم القيامة هذا ما تلقاه عنهم التابعون وجرى عليه الناس فاذا أمكن الريب فيه بعد ثلاثة عشر قرناً كانت جميع معارف البشر عن الماضي أولى بأن يرتاب فيها بل أجدر بالناس حينئذ أن يكونوا سوفسطائية يشكون حتى في المحسوسات

ليس قصر الصلاة في الخوف ولا في غير الخوف مما يصلح شبهة على كون الصلاة المفروضة هي ما يعرف جميع المسلمين فان حال الخوف لها حكم خاص بها فكانت الضرورة منه ما ذكر في سورة النساء وهو ما يحتاج به الدكتور صدقي على ما تقدم عنه ومنها ما ذكر في سورة البقرة (فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا) وهذه كيفية لا ركوع فيها ولا سجود . فاذا كان ما في سورة النساء يدل على أن أقل صلاة الخوف ركة للمؤمنين وركعتان للإمام وأقل صلاة الامن ركعتان لكل مسلم كما قال الدكتور صدقي فلماذا لا يستدل بما في سورة البقرة على أن الواجب في كفيئتها يحصل بغير ركوع ولا سجود لأنه أقل ما اكتفى به القرآن ويجعل الأمر بالركوع والسجود في آيات أخرى مخيراً فيه أو مندوباً اليه أو أمراً أكلياً ولا يعدم لذلك نظائر في أوامر القرآن

القواعد العامة في الأديان والشرائع والقوانين توضع للحال التي يكون عليها الناس في الأكثر والأغلب لا للأحوال النادرة والضرورات التي قد يوضع لها أحكام خاصة تسمى رخصاً في عرف أهل الشرع واستثناء في عرف أصحاب القوانين وهي لا تجعل معياراً على القواعد والأحكام العامة التي هي الأصل ومن هذا القبيل صلاة الخوف لا يمكن أن يؤخذ منها حكم الواجب في حال الأمن وهي العامة الغالبة . على أن قوله تعالى (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) لا يدل على أنهم يصلون ركة واحدة لا سيما على القول بان معنى سجدوا هنا صلوا وهو المتبادر

والتعبير عن الصلاة ببعض أعمالها معهود في القرآن والحديث والآثار ومنه قوله تعالى (وقرآن الفجر) معناه صلاته بل ورد التعبير عن الصلاة بالتسبيح وهو من أذكارها الخفية لامن أركانها الجليلة . وان قلنا ان المراد بالسجود العمل المعروف يكون المعنى فإذا سجد المصلون فليكن الآخرون من ورأهم لئلا يفتهم العدو وهم ساجدون لا ينظرون اليه . وفعل الشرط لا يقتضي الوحدة بل يصدق بالتكرار وهو المتبادر فيه . فالقرآن لا يدل على عدد الركعات المفروضة في حال الأمن ولا في حال الخوف أيضاً . والأحاديث لا يصح الاستدلال بها عند الدكتور لعدم الثقة بها فإذا احتج بالسنة العملية وجب عليه ان يتبع سائر المسلمين في الكيفية والعدد وهم قد اتبعوا في ذلك رسول الله كما أمرهم تعالى باتباعه في قوله (٧:١٥٨ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تفلحون) فهذا الأمر العام الذي الله به الناس جميعاً لا العرب خاصة يحتم على الناس اتباع محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وهو أمر مطلق حكاه ان يجري على إطلاقه

يقول الدكتور صدقي نعم ان اتباعه واجب ولكن على كل قوم ان يتبعوه فيما دعاهم اليه وقد دعا العرب الى الكتاب والسنة ودعا سائر الناس الى الكتاب فقط ونقول لادليل على هذه التفرقة في الدعوة وأما السنة سيرته صلى الله عليه وسلم في الهدي والاهتداء بالقرآن وهو أعلم الناس به وأحسنهم هدياً وإطلاقتها على ما يشمل الأحاديث اصطلاح حادث . فعلم بما تقرر على اختصاره أن أصل دين الاسلام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمضت السنة على أنه حتم في الدين فهو حتم وما مضت فيه على أنه مستحسن مخير فيه فهو كذلك في الدين .

أما سؤال الدكتور لم كان بعض الدين قرآناً وبعضه سنة فجوابه أن الدين تعليم وتربية كما قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم (٢:١٥١) يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة (والتعليم كان للآيات والكتاب والحكمة التي هي اسرار التنزيل وفلسفته والتزكية أي التربية كانت بالسنة وهي طريقته في الاهتداء والعمل بالقرآن على الوجه الذي تتحقق به الحكمة

منه ولذلك قال تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة به القدوة به في سيرته وأعماله .

وقول الله كتور « الملق أقول لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ عليها النبي وأصحابه حتي تصل اليها كما وصل القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يعبدنا بالظن والنظن لا قيمة له عند الله » فيه أن السنة لا معنى لها في عرف السلف وعرفنا الاما واضب عليه النبي (ص) وأصحابه كيفية الصلاة وكيفية الحج وقد وصل اليها هذا بدون نزاع ولا خلاف يجمل السنة في جملتها مضمونة . ذلك أن اختلاف الفقهاء في أذكار الركوع والسجود هل هي واجبة أو مندوبة ليس مبنيا على اختلافهم في أصلها هل جرى عليه عمل النبي وأصحابه أم لا بل هذا متفق عليه ومثله اختلاف الحنفية مع غيرهم في الفاتحة وما يقرأ بعدها هل يسمى بعضها فرضا وبعضه واجبا أو مندوبا فان هذا اختلاف في الاصطلاحات وهم متفقون على السنة المتبعة وهي ان النبي وأصحابه كانوا يقرأون الفاتحة في كل ركعة ويقرونها سورة أو بعض آيات في الصبح والركعتين الاوليين من سائر الفرائض ومن النوافل وما فعله بعضهم وتركه الآخرون سببه ان النبي فعله تارة وتركه أخرى فهو مخير فيه الا اذا ثبت أنه تركه في آخر حياته رغبة عنه . وما اختلفت فيه السنة وهو ثابت يشبه الاختلاف في القراءات ما تواتر من كل منها فهو قرآن وسنة قطعا وما لم يتواتر فلا حجة فيسه على أنه أصل في الدين . وليس في السنة شيء لا أصل له في القرآن بل كان خلق صاحب السنة القرآن ولكن لا نستغني بالقرآن عن السنة الا اذا استغنينا عن كون الرسول قدوة واسوة لنا وذلك فسوق عن هدي القرآن واهمال لنصه

بقي في الموضوع بحث آخر هو محل النظر وهو هل الاحاديث ويسمونها بسنن الأقوال دين وشريعة عامة وان لم تكن سننا منبذة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لا سيما في الصدر الاول ؟ ان قلنا نعم فأكبر شبهة ترد علينا منهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه غير القرآن وعدم كتابة الصحابة للحديث وعدم عناية علماءهم وأئمتهم كالخلفاء بالحديث بل نقل عنهم الرغبة عنه كما قلنا لادكتور صدقي

في مذاكراته لنا قبل أن يكتب شيئاً في الموضوع . وقد سألنا غير واحد من أهل العلم عن رأيه في حديث النهي فما أجاب أحد الأبعاض ما أجاب به النووي في شرحه لصحيح مسلم وهو غير متقنع لاهل هذا العصر الذين نبذوا التقليد ظهرياً . فالمنار يقترح على علماء الدين ان يوافقوه بما يملكون وما يفتح عليهم في هذه المسألة والا كانوا من كآمي العلم وقد علموا ما ورد في الكافين

هذا وقد سبق لنا سبج طويل في بحث ما نتحقق به الوحدة الاسلامية من الاخذ بالكتاب والسنة فليراجع ذلك من شاء في مقالات محاورات المصالح والمفاد في المجلدين الثالث والرابع من المنار وقد طبعت هذه المحاورات في كتاب مستقل ثمنه خمسة قروش صحیححة وهو يطلب من مكتبة المنار

﴿ رسالة من طهران بحروفها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة رشيدنا ومرشدنا حكيم الاسلام وفيلسوفه مربي الأمة المحمدية والدنا وأستاذنا السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامي أطال الله بقاءه ورزقنا بره ولفاه آمين يارب العالمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالواجب لتحرير هذه السطيرات هو الأخبار بما اعترض به سفير الدولة العثمانية الامير شمس الدين بك علي الجرائد الفارسية عند ترجمتها لمقالكم (الشورى في بلاد ايران) المذكورة في العدد السابع من المجلد التاسع من مجلتيكم الغراء . أول من ترجم ذلك ذكاه الملك في جريدته (تربيت) الغراء فنبه المترجم علماء الفرس وسواسهم وذكركم بعد الترجمة ان منزلة ومقام حضرة حكيم الاسلام وفيلسوفه السيد محمد رشيد رضا عند جميع أهل الأقطار من المسلمين وخصوصاً العرب الكرام بمنزلة مئة عالم مجتهد من أهل التشيع فاغتنموا الفرصة وفكروا أيها السواس في مقالة هذا الخبر واقرؤها على المنابر وفي المعابر . ثم نقل ما ترجم وما قال في جريدته (مجلس) وهي جديدة الطبع بقراها في طهران الصغير والكبير والذكور والانثى بل وفي جميع ايران

كتب الأ مير شمس الدين بك الى وزير خارجية (علاء السلطنة) كتابا وأغاظ فيه وذ كر أن ما ترجمته روزنامه (تريبت) ونقائه عنها جريدة مجلس من المنار أسباب يلقيا أعداء الدولة ليقوموا انفاق بين الدولتين ، ويحدثوا الشقاق بين الفريقين ، والأولى أن تهتموا على جرائدكم اذا رأوا مثل هذه المقالات ان لا يترجموها : فأجابه وزير الخارجية بأن صاحب المقالة ليس من رعيتنا حتى نؤاخذنه وبأن سلطاننا قد أطلق الحرية للجرائد والأقلام فلا يمكننا ممارستهم بشئ . هذا معنى ما كتبه السفير ، وما أجابه به الوزير ، رأيت الكتاب والجواب بهيئتي في يد سيد محمد صادق نجل حضرة السيد محمد الطباطبائي المجتهد مدير جريدة مجلس

وقد كنت يوما في مجلس مشهور من طلاب العلوم الدينية فذا كروا ماجرى بين السفير والوزير فقام أحدهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان دولة الترك تريد أن تضغط على عقولنا وأفكارنا كما فعلت باخواننا من العرب المساكين ، تطلب منا أن لا نكتب في جرائدنا ما ينور عقولنا وينبه أفكار أهل ملتنا من الفرس بأن مجلس الشورى اذا دار في ايران فأحكامه وقوانينه هي أحكام الشريعة وقوانينها فيجب على كل مسلم أن يتبع أحكام الشريعة المحمدية حيث كانت . ماذا رأينا من الدولة التركية ؟ رأينا منها التمدي على حدود مملكتنا من طرف تبريز ، رأينا منها التمدي والظلم لاخواننا وأهل ملتنا في العراق ، رأينا منها دبجهم وجزرهم في الشهر الماضي ، مهلا مهلا أيها الترك أفيقوا من غفلةكم ، وتيقظوا بن نومكم ، فليس اليوم كالأمس ، ولا غد كالיום ، انفتحت علينا أوروبا وأتانا أهلها من كل حدب يسألون ، هذا ناجر وهذا سائح وهذا حكيم والآخر داع لدينه ، واتعهد من الكل ابتلاعنا مما شر أهل الاسلام ، فان نيقظم وإلا فأنتم صبورهم ونحن غبورهم لا سمح الله بذلك ، أيها الترك تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ المستبدين أرباباً من دون الله طاعتهم كطاعته ومعصيتهم كمعصيته ، بل نجالدهم بالسيف والسنان ، والقلب واللسان ، فان توليتهم فنشهدكم بأننا مسلمون ، ونبرأ الى الله من المستبدين

الخائنين ، ومستمسكون بقوله عز من قائل في وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وهم الذين قال الله فيهم (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور)

هذا معني ماخطب به خطيب الطلاب الدينية أحببت أن أطلعكم عليه فإنه بعد ما ترجم قولكم صار بين الناس ذكركم وأنتاهم أشهر من نار على علم اهـ (المنار) ذكر الكاتب اسمه ولم يأمر بكتمه ولكننا لم نذكره لأجل قوله أنه اطلع على ما كتب السفير والوزير . ولعله بين عنوانه الذي تصل اليه به الرسائل انكتب اليه

وقدرأى القراء أن خطيب طلاب العلوم بطهران أعقل من سفير دولتنا الذي يدعي أن بيان الحق واظهار حكم الله في أمر المسلمين وقاعدة حكومتهم لا يأتي الا من عدو لدونه ولا يكون له من الأثر اذا هو ظهر في بلاد الفرس الا تأريث العدوان بينهم . وبن قومه الترك ومعنى هذا — ولا ندري أفهمه أم لا — ان دولته عدوة للحكم الاسلامي الذي وضع القرآن له أساس الشورى وأنها تعادي كل من يقول به أو يحاول العمل به . ونحن ننزه الدولة في مجرعتها والأمة العثمانية عن هذه الضلالة ونقول ان الأمة والدولة يتنان من حكم الاستبداد وبخنان الى حكم الشورى ولكنهما غلبتا عليه ولولم يجد المايين عمالا مثل حضرة السفير لما تمكن من القضاء على القانون الاساسي ومجلس المبعوثان بالاعتماد . لما اذا يكون المطالب بالشورى والعدل أو المادح لها عدوا للدولة ولا يكون المساعد على الاستبداد والظلم لأجل المال والجاه والعدو المبين للدولة والملة ؟ أي الامرين أضمن لسلامتهما ؟ أليس من العار علينا ان نجد الجواب الصحيح عند أحد طلاب الفرس والجواب الباطل عند أحد وزراء الترك . ان ما أنذر المسلمين به الخطيب الفارسي لواقع ان لم يتداركوا أمرهم وأن الخطر على العثمانيين أقرب فتسأل الله تعالى أن يغير ما بنا الى خير منه قيل أن تقع الواقعة فنكون خافضة رافعة

باب التربية والتعليم

خطبة الدكتور ضياء الدين أحمد

قال بعد مقدمة في الشكر لاصدقائه الذين احتقوا به ولا محاب الجرائد ما ترجمته
أيها السادة : - لم تعد كلية عليكرة شيئاً غير معلوم في مصر . فأكنني بأن
أقول إنها الآن تتألف من ثلاثة أقسام - المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية
والمدرسة العالية وبالمقارنة بمدارس مصر الابتدائية والثانوية يصح أن نعد مدارس
مصر الابتدائية والثانوية كالمدرسة الابتدائية عندنا بقسميها الابتدائي والراقي . لان
المدارس الثانوية لتعليم العام لا وجود لها في الحقيقة بمصر . والتي يسمونها هنا المدارس
العالية كمدرسة الطب والحقوق تسمى في أوروبا مدارس ثانوية قنسية . فدرستنا
العالية في الكلية لا يصح أن تقاس بها مدارسكم العالية هنا وان كانت المدرسة العالية
في عليكرة لانزال في طفوليتها أو كأنها مدرسة ثانوية راقية ولا تنكر أن مدرستنا
الكلية لم تخرج الى الآن رجالاً من عظماء العلماء الذين يكتشفون الاكتشافات
المهمة في العلوم والفنون بيد أنها قد خرجت رجالاً ذوي كرامة ونفوس عالية
وإخلاص لبلادهم وملتهم

يوجد في بلاد الهند أكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن الذي يجعل لكليتنا
امتيازاً حقيقياً على غيرها أنها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص بإقامة الطلبة فيها
على الطريقة الانكليزية وأول ما يعلم الطلبة فيها حب الكلية والعمل المستمر لترقيتها
وإعلاء شأنها بكل ما في إمكانهم ويتدرج من ذلك الى ترقية شعورهم في مبادئ الاخلاص
والوطنية حتى اذا ظهر أن طالباً ما يشترى بمصلحة المدرسة مصالحة شخصية له حقره
الطلبة كافة فاما أن يكفر عن ذنبه بخدمة عامة وإما أن يبرحها غير مأسوف عليه ويوجد
في المدرسة مجتمعات عديدة وأندية كثيرة للطلبة والمبدأ الذي تسير عليه هذه المجتمعات
والأندية هو المبدأ الذي وضعه المستر بك رئيس المدرسة السابق في خطبة ألقاها عند
تأسيس النادي المسمى (يونيون كلوب) اذ قال « أيها الطلبة هذا البناء بناؤكم وهذا
النادي ناديتكم وهو جزء من أجزاء المدرسة الكلية وهو المكان الذي تكوّنون فيه
رأيكم العام وتعذون آراءكم وتربون أخلاقكم وتعبدون أنفسكم لإدارة الاعمال »
أما نظام المدرسة العام فهو على الطريقة الانكليزية حيث يتولى الطلبة شؤونهم بأنفسهم

في السير والادارة . ومن حسن حظنا في عليكرة أننا لا نعرف ولا تتبع الطريقة الفرنسية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط فأنها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر . ومن أسرار نجاحنا أننا نتمسك كثيرا بالتربية الدينية والتربية الوطنية اذ يهجر الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال بأحوال المسلمين في أنحاء العالم كافة . أما المسائل السياسية فلا يمكن الاستغناء عنها ولا منعها من الكلية اذ لا بد للشباب الطالب من أن يفكر ومن الجنون ان يصد سيل الفكر بجواز صناعية لا بد أن تهدم وتسقط في يوم من الايام وينساب التيار في جهات عديدة والذي نعلمه في الحقيقة هو أن نعد ذلك السيل طرقا ومسالك يجري فيها والكلية الآن تتبع روجرام التعليم في الحكومة وتمتد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على أن الغاية من مبدأ الأمر أن تكون مدرسة عليكرة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال المرحوم السيد احمد خان منذ زمن طويل في خطبة ألقاها « إن نجاحنا لا تكون الا في الوقت الذي يصبح فيه أمر تعليمنا يدينا ولا تسترقنا مدارس الحكومة الجامعة . وحينئذ نأخذ العلوم بيميننا والفلسفة بشمالنا ونحمل تاج « لا إله الا الله محمد رسول الله » فوق رؤسنا »

وقال منذ اثني عشر عاما أحد حكام الولايات الهندية وهو السير أنتي مكدونل في خطبة ألقاها : « ليس من البعيد أن تمس هذه الكلية فتصير مدرسة كبرى وتكون قرطبة الشرق الحديث وينتج الفكر الاسلامي من بين جدران هذه المدرسة الرقي السياسي والديني الذي لا يؤمل الآن من الاستانة أو مكة نفسها »

وقد أخذ المسلمون بعد وفاة المغفور له السيد احمد خان يفكرون بمساعي الثواب بحسن الملك في انشاء جامعة اسلامية وجامعة للمسلمين . وتمت فرق بين التعبيرين كما ظهر في جامعة ايرلندا الكاثوليكية حتى لقد كان البحث في جعل كلية عليكرة مدرسة جامعة كبرى موضوع المناقشة والاخذ والرد في مؤتمر التربية الاسلامي وقد قال سمو أغاخان في ختام خطبة له بعد الكلام في أسباب انحطاط المسلمين ما يأتي :

« ان كنا حقيقة كما ندعي آسفين على انحطاط ملتنا وأمتنا فواجب أن نتحد في نهضة واحدة لاصلاح هذه الحال وفي مقدمة كل عمل يجب أن نبذل الجهد لتكوين مدرسة جامعة يتعلم فيها المسلم زيادة عن العلوم الحديثة تاريخ الاسلام والمسلمين . وإن لمسلمي الهند حقا طبيعيا برقي وتقدموا خوانهم في مصر وفارس وأفغانستان وغيرها

يجعل عليكم (اكسفورد اسلامية) يرد اليها أبناء المسلمين لا لتعلم العلوم الحديثة فقط بل لتربية أخلاقهم وتنمية صفات الاخلاص والبروة والاثار على النفس وغير ذلك من الصفات التي نهضت بالمسلمين في عصورهم الاولى ولا ريب مطلقاً في أن مدرسة جامعة كبرى كهذه تعيد لنا مجدنا الزاهب أفلا يتحد المسلمون ويجهدون أنفسهم في انشاء مدرسة جامعة كهذه . فهل فقدوا الشعور الشريف ومكارم الاخلاق التي كانت سبباً في نهضتهم الاولى حتى أصبحنا غير قادرين على جمع شئ من المال لهذا العمل المجيد ؟؟؟

وقد كان المستر موريس ناظرنا السابق وضع مشروعاً لنظام المدرسة الجامعة المطلوبة واقترح أن تكون فيها مدرسة كلية خاصة بالعلوم العربية

إننا اذا تكلمنا أيها السادة عن مدرسة جامعة اسلامية فلا نريد مدرسة عالية تلقى فيها العلوم التي يمكن تلقينها في مدارس ثانوية وانما نريد أن نضع أساس مصدر فكري تنمويه الارواح وتربي الرجال وتسمو الاخلاق . نريد مكاناً يكون مهبطاً للعلم وداراً يلتئم بين جدرانها أرقى ما يكون من الفكر الاسلامي حتى تتشعب من تلك الشمس أشعة العلم والرفان في كل ارجاء العالم

وانى أوكد لكم ان انشاء هذه المدرسة الجامعة لم يعد من قبيل الآمال لاننا قد ابتدأنا وخطونا خطوات في هذه السبيل اذ تم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها أن يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها أن يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بفحص وتدقيق للبحث في أسباب رقيه وأنحطاطه . واننا نؤمل أن تظهر هذه المدرسة الجواهر الخفية في آداب اللغة العربية وتنتشر الكتب القديمة المثال بتفسير وإيضاحات . وفي عزمنا أن نخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية ونجعل لهم مسبات لكي يستريح بالهم من جهة الحياة وليتفرغوا للدرس والبحث ونحن الآن أيضاً ننشئ في محاذات تلك العربية كلية أخرى للعلوم الطبيعية وغير خاف أن تعليم العلوم الطبيعية عمل كبير ، يحتاج الى اتفاق مال وفير ، ولكن والحمد لله لدينا من المسائل والوسائل ما يكفي للبدء والشروع واننا ساعدنا التوفيق نضم الى هاتين المدرستين مدرسة أخرى لطبي الاقتصاد والتاريخ السياسيين والعلوم السياسية كلاً وهكذا نستمر في انشاء مدرسة بعد أخرى حتى لا يكون ثمة علم من العلوم لا يتعلم في عليكم . ولهذا نؤمل أن يؤم الطلاب المسلمون من جميع أنحاء العالم عليكم لتلقي العلوم فيها

وقد طالما سألنا بعض الناس - لما ذنا يضيق بنا الفكر وحب الذات فنشئ مدرسة جامعة اسلامية ولا يكون سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين باعثاً على جعل جامعتنا عامة مشتركة - ونحن نقول اننا لا نقصد منع المسلمين من جامعتنا الاسلامية فان أبوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكركه لغير المسلمين وكل محب للعلم بلا تمييز بين المختلفين في الجنس والدين فيوجد الان طلبة وأساتذة من اليهود والمسيحيين والوثنيين ولون نسمى مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسميها «جامعة اسلامية» الا بالمعنى الذي تنسب اليها كسفورد وكبريدج الى كنيسة انكلترا الرسمية ، وأني أورد لكم بعض الحجج التي تقيمها في هذا الصدد

أولها - من المعترف به أن التربية الدينية جزء أساسي في التربية العمومية وفي جميع مدارس انكلترا وألمانيا يسلم الدين اجبارياً ولا بد في كل جامعة كبرى من وجود مدرسة أو اثنتين للدين واللاهوت ، أما المدارس الجامعة في الهند التي هي تابعة للحكومة فلا أثر للدين فيها ، وقدلفت اللورد كرزون حاكم الهند العام السابق ان الرأى العام الى هذه النقطة وعدها تقصاً في نظام التعليم الهندي ، ولست أدري الى أي حد من الحكمة يصح اتباع طريقة كهذه في مثل هذه البلاد على حين اننا نتألم الآن من نتائجها

ثانيها - قد أصبح من المقرر أن أفيد نظام للتعليم هو نظام معيشة الطلبة في المدرسة كما هو المتبع في انكلترا وفي عليكركه وإني لا أخشى معارضة اذا قلت صراحة ان ذلك النظام لا يصلح مع اهمال الدين

ثالثها - أشك كثيراً في امكان جمع المال لانشاء مدرس جامعة لادين لها اللهم الا اذا قامت الحكومة بانشائها واذكر ان السير ميخائيل هيكس يتش وزير مالية انكلترا اخيراً قد التى علينا في خطبة له ما يأتي

« قد دلت التجارب انه لا توجد وسيلة لحمل الناس على دفع المال بسخاء لمشروع من الاعمال احسن من صبغه بصبغة دينية »

رابعها - إن المدرسة الجامعة ليست معملاً (فاوريقه) لصناعة طلبية ينجحون في امتحانات مخصوصة ويأخذون شهادات عالية واكن المدرسة الجامعة يراد منها ان تخرج رجالاً كباراً ورجلاً ينقطعون للعلم والدراسة والبحث ، ولا يمكن لمدرسة جامعة لا هيئ لها ان يدوس الانسان على الفوائد المادية وينقطع للعلم والتعليم وبالعكس قد دلت

النجارب على انه يوجد في المدارس التي لها دين من ينقطع للعلم والتعليم
ولست الآن أريد الخوض في مشروع الجامعة في مصر فأتهم أدري بدائكم
ودوائكم أكثر مني ولكني اريد بالنيابة عن رؤساء كلية عليكره ان ادعوكم الى الهند
لتنظروا بأعينكم تفاصيل العمل قبل ان تبدؤا في مصر وقد يوجد خلاف بشأن
المدرسة الجامعة ونوعها ولكني أعتقد ان كل ذي ذمة يتفق معي في الحاجة الى مدرسة
ثانوية للفقراء . ومدارسكم التجهيزية الاربع لا تكفي لتربية الامة كلها ولو وجد
من يتبرع بالمال لتربية أبناء الفقراء فيها . ليس من الغريب أن المسلمين الذين يكونون
هنا خمسة وتسعين في المائة من مجموع الامة من الهمة والنشاط على ما يؤهلهم لانشاء
مدرسة ثانوية واحدة في حين انه يوجد في مصرست مدارس ثانوية اهلية ليست منها
واحدة للدين يتألف منهم خمسة وتسعون في المائة من مجموع الامة ؟؟

يوجد هنا اعتقاد فاسد وهو انه يلزم ان يكون المعلمون في المدارس الثانوية أوروبيين .
و مما يمنع الناس ان يفتحوا مدارس ثانوية الخوف من كثرة النفقات ومن أسباب أخرى .
واني موقن بأنه اذا وجد أساتذة مصريون للمدارس الثانوية فان عدد المدارس الاهلية
الثانوية يزداد واذا كان الهنود يعلمون في مدارس أرقى كثيراً في مدارسكم الثانوية اخوانهم
الهنود باللغة الانكليزية فلماذا لا يهدروا المصريون على تعليم اخوانهم كذلك ؟؟ فلماذا أرى ان
أول واجب على قادة الافكار هنا ان يسموا في تربية معلمين . هذا عمل سهل لا يقتضي
نفقات كثيرة ويمكن تنفيذها في الزمن القريب . واني أنصح بتخصيص مبلغ لتربية وتعليم
أبناء الفقراء في مدارس الحكومة الثانوية ويلزم في مقدمة كل شيء أن يتلقى المعلمون
علومهم في مدارس أرقى منها حتى صار من اللازم ان يكون ذلك في أوروبا .
واذا كانت الحالة المالية لا تسمح بارسال الطلبة الى أوروبا فهناك طريقة أخرى
لتعليمهم في كلية عليكره فان نفقات التعليم فيها مع الاقامة والسكنى وكل ما يلزم
للطالب لا تزيد عن ثلاثة عشر جنياً في السنة ولهذا أرى ان عشرين جنياً تكفي
الطالب في السنة من كل الوجوه وبإلتكم نجمعون مبلغاً قدر مئتين وخمسين جنياً
يعطى منه عشرون جنياً في السنة لطالب فقير ويرسل ستة من هؤلاء الى عليكره
ليقيموا اربع سنين أو أكثر اذا أراد الطالب . ولا أقصد ان أقول ان التعليم في
عليكرة أرقى منه في أوروبا ولكني افضلها لسببين أحدهما ان الطالب يتلقى تربية دينية
مع تلقي العلوم والمعارف في جو إسلامي ويجتمع بالمسلمين من بلاد العجم وافغانستان

وأفريقيا الجنوبية وجميع اجزاء الممالك الهندية وابعامه بهم وأحاديثه معهم تتسع دائرة فكره وتزداد معارفه وتأنى ان الطالب فيها يتلقى تربية وطنية ولا يتعود معيشة السرف كما يفعل المتعلمون في أوروبا . وانني في موقفي هذا انظر الى كل شيء من الوجهة التي هم عليها وترقيتها كما سبقت لي الاشارة لاني أعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن وجود المصريين في عليكره يكون خطوة كبرى في طريق جعلها جامعة لمسلمي الشرق كافة وقد اشار المستر أرشبيد مدير الكلية في تقريره الاخير الى هذه النقطة ايضاً وقال ان وجود الطلبة المصريين في عليكرة يساعد على توسيع فكر الطلبة الهنود .

والآن استسمحكم في الكلام على بعض المصاعب التي نمجدها والتي آمل ان اخواتنا المصريين يساعدونا على نخطيها . علمت ان التعليم الديني اجباري عندنا في عليكره ولكن لسوء الحظ ليست لدينا الكتب الموافقة وطالما اجتهدنا في دعوة الناس الى مجتمعات وحفلات لنحملهم على وضع كتب سهلة لتعليم العلوم الدينية لان الكتب الموجودة الآن هي التي كانت موجودة من قرون عديدة ماضية . ولقد تقضي علينا صروف الزمان والمكان ان نغير بروجرام التعليم في عليكره فانه يتعلم عندنا طلبة من مذاهب شتى ومنهم كثيرون من الشيعة ولذلك يلزمنا ان نضع كتباً للتعليم الديني لا ارتباط لها بمذهب من المذاهب ولكنها قائمة على أصول الدين الاسلامي

ومصر الآن بلاشك لها الزعامة في المسائل الدينية وكنا نفخر لوجود كثيرين فيها من العلماء الاكفاء الذين يعتمدون على آرائهم بل وتتخذ حجة في المسائل الدينية فاذ أمكن أن يؤلف مؤتمر لاصلاح الكتب الدينية اللازمة لتعليم الناشئة الحديثة فلا بد ان تكون مصر موضع اجتماع هذا المؤتمر لان مصر الآن مركز ديني وجغرافي عظيم ونحن في الهند مستعدون بلاشك لعقد مثل هذا المؤتمر وان كان يوجد عندنا الآن في الهند جمعية من المشايخ تأسست لاصلاح الكتب الدينية في المدارس ولكنها لعدم وجود رجال ممن يعدون حجة وثقة في المسائل الدينية لم يعمل فيها عمل مفيد وقد أنشأت هذه الجمعية مدرسة ليحتذى حذوها ولكنها لم تضع بروجراماً صالحاً ولا كتباً وافية بالعرض أيها السادة : العلاقات بين مصر وعليكرة تزداد يوماً بعد يوم وسيكون عندنا معلمون مصريون ونود أن نبعث بعض الطلبة الناجحين المتقدمين لاكمال علومهم الدينية في الازهر . وفي امكانكم ان تبحثوا بعضاً من أبنائكم لتلقي العلوم عندنا . وقد رأيت ان الناس هنا يهتمون بتقديم مدرستا وسيرها ويسألون عما تفعله نحن الهنود المسلمون

لإصلاح التربية والتعليم ولهذا أرى أنه يحسن تأليف جمعية مصرية لها ارتباط بكلية عليكرة وتساعد على نشر ما يعلم عنها بين المصريين وتساعدنا مثلاً في اختيار معلم اللغة العربية عندنا . وإذا تأسست جمعية علي هذا النمط فتكون وظيفتها

(١) طبع ونشر الخطب والرسائل الخاصة بكلية عليكرة ومؤتمر التربية الاسلامي

(٢) اعطاء المعلومات الضرورية عن الكلية لمن يطلبها من المصريين

(٣) مراقبة تعليم الطلبة المصريين في عليكرة وضبط حسابات المبلغ الذي يعد

لهم كما ذكرنا

(٤) اعطاء النصائح والارشادات والمساعدات اللازمة اذا احتيج اليها فمثلاً اذا

احتجنا لاختيار معلم من مصر فأنتم بالطبع أدري بكفاءته أكثر من نواب محسن الملك

اوسواه من الرؤساء واطن انهم سيشتغلون بوضع نماذج لسير المدارس الاسلامية في

الهند وبالطبع يرسلون اليكم تلك النماذج لآخذ آرائكم فيها وكذلك تعليم البنات عندنا لا بد

ان نحتذي فيه المدارس المصرية لان الهنود لا يحبون ان يقلدوا الاوروبيين في ذلك .

وفي الختام ايها السادة اشكر لكم تعطفاتكم ووداعكم ايبي وأؤكد لكم اني

سأكون معكم على الدوام بوجداني وعواطفي وسأذكركم ما حبيت بزيد الشرف والفضار

اصدقائي الكثيرين الذين كان من حسن حظي ان ألتقي واتعرف بهم اه

﴿ فوائد هذه الخطبة والعبر فيها ﴾

هذه الخطبة تنبئ عن فهم ناقب، ورأي صائب، وتهدني الى طريق لا حب،

لعمل واجب، وفيها عبر لطلاب الاصلاح من المسلمين، وان أولاهم بهما لعقلاء

المصريين، الذي خطب الخطيب ودهم، وطلب وصل حبل مدرسة عليكرة بحباهم،

وأعظم هذه العبر عندي أربع

(١) تفكر زعماء مسلمي الهند وأصحاب العقول الراقية منهم في وجوب العمل

لإصلاح المسلمين كافة ودعوتهم الى السهي في إنشاء مدرسة جامعة اسلامية تكفل

ذلك ولم أر أحداً في مصر يفكر في مثل ذلك او يدعو اليه الا ما كان من الاستاذ

الامام رضي الله تعالى عنه فلنا أن نقول بعده ان عقلاء مسلمي الهند أرقى من عقلائنا

وأعلى همة

(٢) توحيد التعليم الديني والتربية الدينية في مدرسة عليكرة وهو أنظم أركان الإصلاح الذي لا يرحى للمسلمين فالأصح بدونه ولم يعلم قبل أن أعلمنا ضياء الدين ان مدرسة عليكرة تقيم هذا الركن العظيم فيها فينشأ السنيون على اختلاف مذاهبهم مع الشيعة تنشئة واحدة روحها الأخوة الإسلامية النافية للفرق والخلاف . وهذا دليل آخر على سبق مسلمي الهند لمسلمي مصر وكونهم أكبرهمه وأقداماً وقد كنا دعونا الى مثل هذا التوحيد منذ بضع سنين وناهيك بمقالاتنا ومجاورات المصلح والمقائد) ولكن لم نر أحدا اهتم بتنفيذه بل عادانا وآذانا كثير من الناس زاعمين ان مادعونا اليه ضار مضيع للإسلام وهو جعل القرآن والمجمع عليه من السنة هو الذي يلحق لجميع المسلمين ليكونوا أمة واحدة كما يحب الله وجعل المسائل غير المجمع عليها في الإسلام متروكة الى اجتهاد الأفراد لا تدخل في التعليم العام ولا يمنع أحد من النظر فيها والعمل بما شاء منها ولا تركه ولا يعادى ذلك . وما شرع الله لنا الا ان نقيم الدين ولا نتفرق فيه وهل من سبيل الى اقامة بدون تفرق الا مادعونا اليه ؟ نعم قد استحسن ما كتبناه كثير من العقلاء والأذكياء ولكن لم ينصروه ولم يدعوا اليه بالقول ولا بالكتابة في الجرائد . ومسلمو الهند قد سبقونا الى العمل الذي كان الاساذ الامام عازماً على جعله أساساً للمدرسة الكلية التي توجه الى تأسيسها . ومن علم ان التعصب للمذاهب في الهند أشد منه في مصر وان الحرية في مصر أقوى منها في الهند تجلي له ان الفرق بيننا وبينهم في الرجال العاملين فقط والافان استعداد الشعب هنا للإصلاح أقوى منه هناك فعامتنا خير من عامتهم وخاصتهم خير من خاصتنا فيما أعتقد

(٢) اعتقاد الدكتور ضياء الدين التابع لاعتقاد قومه أن مصر أرقى من الهند في العلوم الدينية ولو كان في مصر زعماء من رجال الدين يقدرون هذا الاعتقاد من مسلمي الهند وغيرهم حق قدره لحققوه ان لم يكن متحققاً وعرفوا كيف يستفيدون منه ويفيدون به . أما السبب في هذا الاعتقاد فهو عند عامة شعوب المسلمين صيت الأزهر القديم وقد عرف الكثيرون من خواصهم وعقلائهم في هذه الايام حقيقة الأزهر وانما كانت آمال مثل زعيم مسلمي الهند ورئيسهم في كلية عليكرة

(النواب محسن الملك) معلقة بما كان يحاول الاستاذ الامام من اصلاحه فلما حملت المشاغبات والدسائس المرحوم على تركه صرح محسن الملك بانقطاع رجائه ورجاء عقلاء المسلمين من الأزهر في مقالة نشرها في جريدة الرياض الهندية وناهيك بما كتبه يومئذ الى المدار وما الهدهد بمقالته الاخيرة في المنار بيميد . وكان الدكتور ضياء الدين عند ما وقع هذا الياأس من الأزهر في نفوس زعماء قومه ومدرسته في مدارس أوربا حاملا لأملهم الأول الذي باح به في خطبته هذه .

علماء الهند أكثر اعتناء بالتفسير والحديث من مسلمي مصر وفيهم كثيرون من السلفيين الذين يعملون بالكتاب والسنة لا يقلدون مذهبا من المذاهب ولا يعرف أحدا من علماء الأزهر ارتقى الى هذا فان كان فهو مستخف لا يرجي منه شيء .

وكذلك العلوم العقلية أرقى في الهند منها في مصر وأعني بها الكلام والأصول والمنطق والفلسفة النظرية . وأما مدرسة دار العلوم فالعلوم الدينية فيها رسمية لاعناية فيها لاسيما التوحيد والنفسي والحديث وهي الدين كله . نعم يوجد افراد من المتخرجين فيها يرجي خيرا اذا وجدت الدواعي الى العمل وهؤلاء هم الذين اقتبسوا شيئا من النور الذي كان يفيضه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وأدركوا قبله الشيخ حسنا الطويل رحمه الله تعالى وهو لم يكن مقلدا ولكن لا يعرف أحد منهم في قطر من أقطار المسلمين فيقال انهم محل الرجاء لأنهم لم يعملوا ولم يكتبوا شيئا في الإصلاح يعرف

(٤) ان موقع مصر وصيتها ولسانها العربي وما أوتيته من الحرية منازيا يمكن أن تكون بها قبلة العلم والنور لجميع المسلمين ويا أسني وحزني على الزعيم الذي يسعى في تحقيق هذه الامامة لها إنه لم يترك خلقا يتم ما بدأ به . وقد كان أقرب الناس اليه في أفكاره ومقاصده شرعوا في الاستعداد لإنشاء المدرسة التي كان يريد إنشائها بعد ترك الأزهر فجاء دعاء الجامعة المصرية يسابقونهم الى ما هم أحسن به فاستأوا بعضهم وسكت الآخرون لتلا يكونوا معارضين لمن بدأوا بالعمل قبل أن يمدوا له ما كانوا هم يحاولون أن يمدوا له

سار الداعون الى (الجامعة المصرية) يمشون الخوزلي ويرى الكثيرون

أنهم لودعوا الى جامعة إسلامية لكانوا أسرع في السير وأقرب الى النجاح على قاعدة الحاكم الانكليزي الذي نقل اليها ضياء الدين قوله . ولكن كثيرا من أذكائنا المتفرنجين قد شغل خيالهم بوطنية غريبة لا يعرفون كنه استعداد المسلمين لها أو عدمه ولم يحيطوا علما بما يترتب على نقلهم عن الجنسية الدينية اليها من المفساد التي تكون بانتقال الأمم من طور الى آخر فيعدوا لدرء هذه المفساد عدمها . فهو لاء هم الذين اقترحوا أن لا يكون في الجامعة التي يدعون اليها تعليم للدين من الأديان المخالفين في ذلك لقوانين جميع الأمم الراقية في فن التربية والتعليم والعمل به . ويظهر لنا ان الله تعالى قد عاقى الهند من هذه البرعة

لأنريد بهذا تثبيط الهم وترغيب المسلمين عن تعضيد الجامعة المصرية بقو بذل المال لها اذلسنا نرى من خدمة الدين مجافاة العلم بل ندعو الاغنياء الى البذل لهذه الجامعة سرا وجهرا ونرى ان الخذلان فيها لا قدر الله) عار على الامة كلها وأن ما يريد الداعون الى الجامعة من التعليم العالي وحده لا بد منه ولا مندوحة عنه لامة تطلب الارتقاء ونقول مع ذلك ان هذه الجامعة لا تعني مصر عن مدرسة أخرى جامعة يربي فيها الناشئون تربية دينية من أول النشأة الى أن يصيروا رجلا نابضين في علوم العصر كلها واذا عظم الا كتاب يمكن ان ينشأ في الجامعة تعليم ابتدائي وثانوي مع تربية دينية لاسيما اذا طلب أكثر المكتتبين ذلك . وسنعود الى بيان ذلك بالتفصيل فيما سنكتبه عن التعليم الديني وفاء بما وعدنا في الجزء الماضي والله الموفق

اثبات حرم الخمر على نفسه

﴿ من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ﴾

اذا سلمت الفطرة وكرمت النشأة فقد يبلغ المرء من مراتب الفضيلة مع فقد الاخذ بالتعليم والقيام بالتأديب مالا يبلغه مع وجدها وقد ثلمت فطرته ، وخبثت نشأته ، لذلك تجد في سيرة أبناء الجاهلية من الفضائل الاختيارية ما يهز مثله على قوم يرون ان لهم في العلوم الجواد المصلي ، وانهم نالوا من التربية القدر

المعلى ، وإنما هم عبيد الشهوة ، وأسرى اللذة : يعاقرون الخمر جها وهم يعتقدون أنها محرمة في الدين الذي ينتسبون إليه ، وضارة في حكم الطب التي يقولون عليه ، وقد كان يوجد في الجاهلية من حرّمها على نفسه وهو لا يري فيها أثماً في حكم الدين ، ولا ذماً من المماشرين ، وإنما هو العقل أراد حقيقة خبثها فأبى أن يحكم لذته في عقله . قال أبو علي القالي في أماليه

حدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس ابن هشام قالاً حرم رجال الخمر في الجاهلية تكريماً وصيانة لأنفسهم منهم عاصم ابن الظرب بن عمر بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان بن عمر بن قيس بن غيلان وقال في ذلك

سأله للفئ ما ليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال

أقسمت بالله أسقيها واشربها حتى يفرق ترب القبر أوصالي (١)

مورثة القوم اضغفانا بلا إحن مزرية بالفئ ذي النجدة الحالي

وحرم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك

لعمرك ان الخمر مادمت شارباً لسالبة مالي ومذهبة عقلي

وتأركني من الضعاف قواهم ومورثي حرب الصديق بلانبل

(قال) وحرم صفوان بن أمية بن محرز الكناني الخمر في الجاهلية وقال في ذلك

رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تفسد الرجل الكريماً

فلا والله اشربها حياي ولا أشنني بها أبداً سقيماً

(قال) وحرم عفيف بن معد يكرب عم الأشعث بن قيس الخمر وقال

وقائلة هلم الى التصابي فقلت عفتت عما تعلمينا

وودعت القداح وقد اراني بها في الدهر مشهوراً رهيناً (٢)

وحرمت الخمر علي حتى اكون بقعر ملحود دفيناً

وقال عفيف بن معد يكرب أيضاً

فلا والله لا أفئ وشرباً أناز عنهم شراباً ما حبيت

(١) أي لا أسقيها ولا اشربها وحذف (لا) في القسم معروف عنهم (٢) مشهوراً فأنجونا

أبي لي ذك آباء كرام وأخوال بعزهم ربيت
(قال) وحرم سويد بن عددي بن عمر بن سلسلة الطائي ثم المعني الخمر
وأدرك الاسلام فقال

تركت الشهر واستبدلت منه إذا داعي منادي الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندي
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدا وان كانت حراما
أقول وبالله لسلسلة هذا الشعر وكم في الامالي من مثله وما هو أرق منه

﴿ رقة أشعار العرب ﴾

قال أبو علي (ص ٢٩) : وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال سألت عبد
الرحمن يوما فقلت له ان رأيت أن تنشدني من أرق ما سمعت من عملك من أشعار العرب
فضحك وقال والله لقد سألت عمي عن ذلك فقال يا بني وما تصنع برقيق أشعارهم
فوالله انه ليقرح القلوب ويحث على الصباية ثم أنشدني للعلاء بن حذيفة الغنوي
يقولون من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا اني لغريب
غريب دعاه الشوق واقفاده الهوى كما قيد عوداً بالزام أديب
وماذا عليكم إن أطاف بأرضكم مطالب دين أوفقته حروب
أمشي بأعطان المياه وأبتغي قلانس منها صعبة وركوب
فقلت أريد أحسن من هذا فأنشدني :

لهجري أن كنتم على النأي والقلابكم مثل ما بي انكم لصديق
فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لي بين الجوانح ريق
اذا زفرات الحب صعدن في الحشا كرن فلم يعلم هن طريق
(ثم قال أبو علي) وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه

قال أنشدني عشرة المخرابية وهي عجوز حيزبون زولة
جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففقتهم سبقاً وجئت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي ألبى
ولا شربوا كأساً من الحب مرة ولا حلوة الا شرابهم فضلي

قال أبو بكر: الحميزيون التي فيها بقية من الشباب والزولة الطريفة والزول
الظريف وقوم ازوال والزول أيضاً الداھية والزول المسجب. وقال لي غير أبي بكر
الحميزيون المعجوز ولم يحدد لها وقتاً ثم أنشد في مكان آخر لابن أبي مرة الملكي

ان وصفوني فناحل الجسد أو قدشوني فأبيض السكبد
أضف وجدي وزاد في سمي أن لست أشكو الهوى إلى أحد
آه من الحب آه من كدي ان لم أنت في غد فبعد غد
جملت كني على فؤادي من حر الهوى وانطويت فوق يدي
كان قلبي اذا ذكركم فريسة بين ساعدي أسد
يدي مجبل الهوى معلقة فان قطعت الهوى قطعت يدي

وأنشد لابي بكر بن الأنباري عن المظفر

هل من جوى الفرقة من واق أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوي زفرات الهوى اذ جان في مهجة مشتاق
يا كيدا أفنى الهوى جلها من بعد تلذيع واحراق
حتى اذا نفسها ساعة كرت يد البين على الباقي

(المنار) القاري يرى في هذه المقاطيع ارق الشعر وألطفه مسلكا في

الروح وأشدّه جذبا للقلوب

التقريظ

﴿ كتاب الأمالي والنوادر لأبي علي القالي ﴾

أرأيت هذا الذي قرأت من مختار الشعر العربي في تحريم الخمر وفي النسب
هو منقول من كتاب الأمالي والنوادر، وما كتاب الأمالي والنوادر؟ هو الذي عدّه
ابن خلدون من أركان كتب الأدب اذ قال في فصل الكلام على علم الأدب: وصمنا
من شيوننا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب
الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب
النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها: اهـ

كان في هذا الكتاب من النوادر التي قل ان تكتحل برويتها عين فصارت والله الحمد مسرح كل عين نعتق الأدب اذ شرع في طبعها الشيخ اسماعيل يوسف بن صالح بن دياب التونسي فقم منها طبع الجزء الأول وجزء الذيل والثاني لا يلبث ان يتم . طبع في هذه الأيام كثير من كتب الأدب ولكن لم يطبع كتاب بالاثقان والضبط والتصحيح الذي طبع به كتاب الأملاني . طبع في المطبعة الأميرية على ورق جيد مضبوطاً ما فيه من الشعر ومن الكلم الغريب والأعلام التي يشبه فيها وما قد يشبه من التركيب في الثمر بالشكل وأظن أنه لم يمتن بطبع كتاب بعد (المخصص) كما اعتني بطبعه . وقد علم القاري ان هذا الكتاب على ما فيه من الفكاكة مما يطبع في نفس قاربه ملكة البلاغة العربية . وقيمة الاشتراك فيه خمسون قرشاً

﴿ مفردات الراغب في غريب القرآن ﴾

كتاب المفردات للراغب أشهر من نار على علم وهو ما زال منذ وجد معوان المفسرين ذلك أنه رتب الألفاظ على حسب أوائل الحروف كالمصباح وفسرها تفسيراً قلماً تجد مثله في كتب اللغة التي قد تفسر الشيء بالأعم والأخص وبالتعريف الدوري وهو كثيراً ما يحدد المعاني حتى يكون تفسيره اللفظ كالتعريف المنطقي وقد طبعه في هذه الأيام الحاج مصطفى الباي الحلبي في مطبعته طبعاً واضحاً مضبوطاً بالشكل وقد راجعت منه عدة مواد فلم أر فيها غلطاً فيجب أن يشكره أحياء هذا الكتاب النفيس والشكر كل الشكر أقبال أهل العلم على اقتناء الكتاب والاستفادة منه

﴿ خمس رسائل نادرة ﴾

الأولى في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني . والثانية في الرواة الثقات المشكك فيهم بالألأ يوجب ردهم للمعافظ الذهبي الدمشقي . والثالثة رسالة قاضي الامام أبي نصر محمد ابن عبد الرحيم الحطام . والرابعة فنوى شيخ الإسلام ابن تيمية في قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وما المراد بهذه السبعة . والخامسة رسالة الادب الصغير وهي من حكم عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور

طبع هذه الرسائل الشيخ عبد المجيد زكريا في مجموعة بلغت صفحاتها نحو ١٦٠ فنحث أهل العلم على مطالعتها

﴿ قانون الصين ﴾

يقول الشيخ سعيد السلي الرحالة السوري انه ظفري كشر بنسخة من قانون الصين الذي يسمونه (لي) وهو من وضع اهل الصين السابق (تونجي خانكدي) وانه هداه اليه بعض أهالي كشر ونقله هو الى العربية بمساعدة بعض العارفين باللغة التركية والصينية مما في مدينة (خوم يوزه) من تلك الولاية ثم تصرف في الترجمة بالتقديم والتأخير والحذف والاختصار والتوضيح . وقد طبع ما ترجمه في مصر . ومن مزايا هذا القانون مزج المواعظ والنصائح بالاحكام القانونية . وباليت المترجم لم يتصرف فيه ولم يفصل بين الحكم والاحكام . اما طبعه فحسن والورق الذي طبع عليه جيد ولكنه لم يجعل كل مادة في أول السطر كما هي العادة المسهلة للمراجعة والرغبة في المطالعة . هذا وان مثل هذا القانون مما يرغب في الاطلاع عليه الحكم لاسيما رجال القضاء ، ومحبو التاريخ والوقوف على طرائف العلوم والآداب فهو مسابري رواجه من غير ترغيب فيه ، ويحمد مترجمه على انحاف العربية به ،

﴿ فصول الحكماء ﴾

رسالة جديدة من تأليف الشيخ أبي الهدي أفندي الشهير ذكر فيها تعريف الحكمة وأسماء طائفة من قدماء الحكماء وطائفة من حكماء المسلمين العقليين يتكلم عن الواحد منهم بجملة وجيزة ثم ذكر طائفة من حكماء المسلمين الدينيين وتكلم عنهم بكلام أوسع . والرسالة نحو مئة صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وتطلب من طابعها أمين أفندي هندية

﴿ بلزار ﴾

أهدنا مطبعة المناظر منذ ثلاث سنين قصة بلزار فوضعناها بين الكتب المهددة للمراجعة في أوقات الفراغ ان وجدت ولم نر من حاجة للمبادرة الى الكتابة عنها والاعلام بها لأن الغرض من مثل هذه الكتابة نفيه الراغبين الي ابتلاع

ما يكتب عنه ترويحاً له وقلماً يقرأ المنار حيث تباع قصة بليزار الا عند طابعها وبائتها . وعكنا في الشهر الماضي أباما فرأينا من القسلية أن ننظر في بعض مالم ننظر فيه من القصص المهداة الينا وبدأنا بقصة بليزار فبدالنا مالم نكن نحتسب ، بدالنا ان هذه القصة كتاب من أحسن الكتب في الأخلاق والسياسة تتمثل فيه الفضيلة في أبهى صورها ، وتتجلى فيه السياسة القويمة في اسنى مجالها ، لا يقرأ الفصول الأولى منها ذوق قلب ويملك عينيه أن تهمل . وما كان لصاحب المناظر وهو من نعرف في تحري النافع والنجاني عن اللغو أن يختار طبع قصة لا تنفيذ لهه يرسل الى مصر طائفة من هذه القصة لئلا نكون قد ظلمنا القراء في نشويقتهم اليها مع امتناعها عليهم

﴿ لحن كيوتزو - مكسيم غوركي ﴾

قصتان من مطبوعات مطبعة المناظر أولاها لفيلسوف لاون تولستوي الروسي في بيان ما أحدثته المدنية الحديثة من الفساد في البيوت باعطاء النساء من الحقوق فوق من أعطهن الطبيعة حتى صارهم المرأة في التمتع بمعنى الزوجية صارفا لها عن القيام بشؤون الأمومة وناهيك بمفاسد غرامهن بالموي سيقى . والثانية مجموعة فيها ثلاث قصص وجيزة أو حكايات وضمنية عنوان الأولى العجائون والثانية الشيطان والثالثة الكذب . وأطلق على المجموع اسم كاتبها وهم من كتاب روسيا الاجتماعيين المشهورين وترجمها ابراهيم أفندي شحاده فرح من أدباء السوريين في البرازيل لما فيها من الفائدة وحسن الاسلوب

﴿ المعارف ﴾

« جريدة إسلامية عمومية أسبوعية لمدير سياستها محمد صادق المحمودي »
 ظهرت في تونس في أواخر ذي القعدة الماضي في شكل الجرائد اليومية الكبرى .
 وذكر صاحبها الفاضل في خطبة المدد الأول أنه أنشأها لخدمة العلوم والمعارف ونشر فضائل الآداب الإسلامية ولخدمة اللغة العربية وتحري أساليبها البليغة البعيدة عن العجمة . وجعل أمر السياسة فيها ثانوياً فأصاب . وفي المدد الأول منها مقالة في تاريخ الجرائد تكلم فيها عن الجرائد التونسية باعتدال ولكننا انذقدنا عليه فيما قاله

عن الجرائد المصرية ما لا يكاد يسلم من مثله من يكتب عن غير بلاده كقوله عن جريدة الأهرام ان سياستها لا تنطبق مع سياسة الجرائد الاسلامية والواقع ان سياستها في هذه السنين أقرب الى سياسة اللواء والمؤيد من كل جرائد النصارى، وقوله أن موسسي المقطم «من أقباط مصر» والصواب أنهم سوريون كأصحاب الأهرام وكما بلغت في الكلام عن جريدة اللواء وجهها خادمة للاسلام . . . ولم نقرأ فيها شيئاً قط فيه خدمة لدين الاسلام نفسه بل كثيراً ما نرى فيها مسائل تخالفه عن غير عمد في الغالب كقولها ان قتل القاتل من بقايا الهمجية وليس لقب زعيم الحزب الوطني الذي ذكر في بعض الجرائد في هذا العام مما كافأ المسلمون به صاحب جريدة اللواء على خدمتهم وخدمة دينهم كما ظن وإنما هي كلمة كتبها صديق له من نصارى السوريين في جريدة أوربية فلا كتبها بعض جرائد تلك البلاد وأنكرتها الجرائد المصرية . ومن مبالغة ما ذكره عن انتشار اللواء في الهند والممالك العثمانية والصواب أنه ليس لجريدة مصرية انتشار في البلاد العثمانية الا الأهرام الاسبوعية وأما الهند فقلما يوجد فيها من يقرأ العربية غير علماء الدين وهو لا يقرأها الجرائد بل مدحهم عن السياسة وإنما يقرأ بعضهم المجلات . وأما الامتانة فكل من أرسل إليها شيئاً يصل ولكن الى الحكومة فلا خصوصية لجريدة على أخرى هناك الا بزيادة المقت . والحكومة العثمانية لم تمنح صاحب جريدة اللواء رتبة ميرميران ولا صاحب المؤيد الرتبة الأولى من الصنف الأول وهي أعلى من رتبة صاحب جريدة اللواء الا بالتماس الخديو . وكقوله ان جريدة الصحافة تمتاز على سائر الجرائد الاسبوعية « بكونها تطبع بثمان صفحات » والصواب أن هنا عدة جرائد اسبوعية ذات ثمان صفحات

مضت عادة المنار بان يعرف بالصحف الجديدة تعريفاً مجملاً لا يشوبه مدح ولا نقد وقد خالفنا العادة في التعريف بهذه الجريدة لاعتناء بها وللتنبية على ما يقع كثيراً من غلط البعيد عن الشيء في الكلام عنه فاننا كثيراً ما نرى جرائد الهند وتونس (مثلاً) تحفل ببعض ما ينشر في صحيفة مصرية لم يشعر به أهل مصر لان الجريدة لا شأن لها ولا انتشار أولم يحفلوا به لعلمهم بالهوى الباعث للكاتب على ما كتب - ولا فيرة على التاريخ إذ مقالة المعارف تاريخية لا شعرية

ولاسياسية فيقال ان هذا من النخيل أو انعرض الذي لا يؤخذ على ظاهره بالقبول

﴿ المهذب ﴾

« جريدة يومية ادبية علمية صناعية تصدر موقتا يوم السبت من كل اسبوع »
 أنشأها في رحلة من لبنان الخوري بولس الكفوري رئيس الكلية الشرقية فيها وعهد
 الى عيسى افندي اسكندر الملووف بنحريها . ومن عرف ما للخوري بولس
 صاحبها من المكانة والفضل وما لعيسى افندي محررها من الشهرة والبراعة يرجو
 كما نرجو أن يكون لهذه الجريدة من اسمها افضل نصيب ، فتكون من خير ذرائع
 المهذب ، ولنا في هذا المقام أن نفخر بهمة السوريين وخصوصا اللبانيين الذين ينشئون
 الجرائد اليومية وغير اليومية في قتل الاجيال ، وفي مهاجرهم وراء البحار ، ولا تسمو
 الى مثل ذلك همة غيرهم من الناطقين بالضاد ، في مثل تونس وحلب وبغداد ،

بَابُ الْحَبْلِ وَالْأَنْبَاءِ

﴿ جمعية الشورى العثمانية ﴾

ليس في الدنيا مملكة كالمملكة العثمانية في اختلاف الاجناس واللغات والملل
 والنحل وقد سادت دولة الترك هذه الشعوب المنفرقة بالقوة العسكرية بضمه قرون
 ولكنها لم تحوهم عن لغاتهم ولا عن اديانهم ولم توحد بينهم بجنسية قانونية يتحدون
 فيها بالعدل والمساواة في الحقوق - لم تفعل كما فعلت دول العرب في تحويل
 الشعب عن دينها ولغتها ما أو عن أحدها بالقوة الادبية ولا كما فعلت دول أوربا
 في تحويل الوثنيين الاصلاء واليهود والعرب الدخلاء عن دينهم بالقوة القاهرة
 وإبادة من تأبى وإجلاله فبقيت هذه الشعوب التي لم تنحد مع الدولة برابطة لغة
 ولا دين ولا حكومة مساواة تفرص النهز للخر وج عليها والانفصال منها فمنهم من
 قضى مآربه ومنهم من ينتظر

كان ضمه هذه الشعوب وجهلها وعدم التصير لها هو العون للدولة على

اخضاعها وسيادتها بالقوة ولكن صروف الزمان قد افاضت على هذه الشعوب شعاعاً من نور العلم بشؤون الاجتماع البشري وأوجدت لهم أنصاراً من دول أوربا التي اربت قواها على قوة الدولة . واتفق ان اشد من أول هذا القرن (الهجري) ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها حتى كان نفور المتحدين معها في الدين واللغة والجنس منها (اي الترك) أشد من نفور المتحدين معها في الدين فقط كالعرب والاكراد لان سهم الترك من شعاع العلم كان اوفر وشهورهم بألم زوال السلطة أقوى . فانبرى بعض اهل الغيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسعى في تلافى الخطر الذي ينذر دولتهم بازالة الحكم المطلق الاستبدادي المدمر للممالك والممالك للأمم واعادة مجلس المبعوثان والعمل بالقانون الاساسي ولكن السلطان تتبع بأعوانه أثر هذه الجمعية فمزق شملها قبل ان تبدأ بعمل ما ويظهر من فساد اخلاق بعض اعضائها الذين صاروا اعواناً للاستبداد بما نالوا من الرواتب والرتب ما ذهب بثقة الناس حتى من الصادقين من سائرهم

هذا وان هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة من جميع الشعوب العثمانية كانت جديدة بان لا تدرك الخطر ، ولا تنال الظفر ، لهذا فكر كثير من عقلاء العثمانيين بوجود السعي في تأليف جمعية من الشعوب العثمانية كلها وما زال هذا الفكر يتقلب في الاطوار حتى تمخض فولد (جمعية الشورى العثمانية)

تألفت هذه الجمعية في القاهرة من افراد من الترك والعرب والارمن والروم والكرد والغرض منها اتحاد الشعوب العثمانية على اختلاف اجناسها وملاها في السعي لجعل الحكومة العثمانية حكومة شورية وعدل وهذه هي الطريقة المثلى لصيانة الدولة من التمزيق بالاختلاف الذي هو ظهير الاستبداد ، والتفرق الذي هو نصير الاستبداد ، ولو ان مؤسسي جمعية تركيا الفتاة اهدوا الى هذا التأليف بين الشعوب والملل في ابتداء العمل ، لما نزل ببلاد الارمن وكربت ومكدونية ما نزل ، ولما تفاقم أمر الاستبداد واستفحل ، فمسي ان يسرع العثمانيون الى الدخول في هذه الجمعية أفواجاً ويعضدوها بأرائهم وأموالهم وهذه صورة نشرة منها جاءتنا في البريد مطبوعة بالتركية والعربية والفرنسية والأرمنية

اللائحة الأساسية لجمعية الشورى العثمانية

تألف جمعية لجميع سكان المملكة العثمانية باسم جمعية الشورى العثمانية وهذه
لائحتها الأساسية

مادة ١ القصد من تأسيس هذه الجمعية هو جعل الحكومة العثمانية دستورية
شوروية بالفعل.

مادة ٢ ان الجمعية ستبذل ما في وسعها للوصول الى غرضها هذا بكل
الوسائل المشروعة.

مادة ٣ ان جمعية الشورى العثمانية تؤلف من العثمانيين من غير النفات الى
الدين والجنسية

مادة ٤ يكون للجمعية لجنة مركزية أصلية تقوم بوضع نظمات الجمعية وقوانينها.

مادة ٥ ان قاعدة أعمال اللجنة المركزية هي الآن بمصر القاهرة.

مادة ٦ ان فروع الجمعية تكون كلها تابعة في أعمالها للجنة الكبرى المعروفة باسم
اللجنة المركزية الأصلية

مادة ٧ ان سير أعمال الجمعية يمين من قبل اللجنة المركزية.

مادة ٨ ان مقصد الجمعية الساعية للحصول عليه ليس خفياً لذلك يجوز من الآن
اعلان وجودها

مادة ٩ ان اللجنة المركزية تقوم بوضع القوانين وطبعا وتسمية الاشخاص
اللازمين للوظائف التي ترد بالقوانين وتعيين وظائف كل فرد من الجمعية ومراقبة
أعمال الموظفين.

مادة ١٠ تطبع هذه اللائحة الأساسية باللغات التركية والعربية والارمنية والفرنسية.

هذا وان الذين وضعوا هذه اللائحة الأساسية يرجون من جميع اخوانهم
العثمانيين الذين يهتمون بخير وطنهم وشرفه ومجده أن ينضموا اليهم ويساعدوهم
للوصول الى هذه الغاية الشريفة التي تسعى اليها جميعتهم والله الموفق

جميع المخاطبات ترسل الآن موقفاً الى صندوق البوستة نمرة ١١٧٤

جمعية الشورى العثمانية

✽ أمير بل ملك أفغانستان في الهند ✽

طالما نعى الانكليز أن يزور أمير الأفغان بلاد الهند وقد نالوا في هذه الأيام ما تمنوا فسروا بذلك . ولما وصل حبيب الله خان الى الهند خاطبه ملك الانكليز على لسان البرق بلقب « جلاله الملك » وكان يقال ان انكليز لا تعد أفغانستان مستقلة تمام الاستقلال بل تحت حماية حكومة الهند الانكليزية فهذا اعتراف من ملك الانكليز بأنها مملكة لا اماره وهذا هو أثر الحزم وحسن السياسة من الأمير عبد الرحمن خان رحمه الله والملك حبيب الله خان وفقه الله

ليس من موضوع المنار أن يذكر أخبار احتفال حكومة الهند بضيفها الجليل ولكن اذا ترك خبر زيارته لمدرسة العلوم في عليكرة يكون قد قصر فيما هو من أهم موضوعاته . زار الملك المدرسة وبحث فيها بحث مفتش خبير فكان يحثه وكلامه من آيات علمه وعقله . قابله أعضاء مجلس ادارة المدرسة وكانوا ٣٢ فكان جل مذاكرته معهم في المباحث الدينية حتى قيل أنهم عجزوا عن مجاراته والإجابة عن جميع أسئلته . ولما أظلموه في مكتبة المدرسة على بعض المصاحف والكتب الدينية قال اني عالم بما في هذه الكتب وأريد أن أقف على ما في عقول الذين يتدارسونها . وبعد ان صلى الظهر في جامع المدرسة طلب أن يرى الدروس فرتبت الفرق في حجراتها واطلع على عدة منها وظهر اهتمامه واصفاؤه في درس الاقتصاد السياسي ودرس التاريخ ودرس تعليم اللغات ودرس أصول الدين وقد استأذن أستاذ هذا الدرس في سؤال بعض الطلبة وبعد الاذن طفق يسأل مدة ساعة كاملة ثم أسر بعض الطلاب بقراءة آيات من القرآن وكانت عينا الملك تفيضان من الدمع عند سماع التلاوة

وطاب أن يقف على درس طلبة الشيعة وقد قال لهؤلاء الطلاب : أصيخروا لما أقوله لكم أبها الطلاب أنتم في شرح الشباب وستندكرون ما أقوله لكم مني تقدمتم في السن ، تسمعون الناس يقولون ان أمير أفغانستان سني متعصب أيلزم أن أكون متعصبا لاني سني ؟ أتفضلون أنتم الهندوس على أهل السنة لانكم من الشيعة ؟ كلا واني - وأنا سني - لأفضل الهندوس على الشيعة . قرأتم في الجرائد

انني نهيت في دلهي عن تضحية البتريوم العيد وأنا هناك مجاملة للهندوس وتحاميا لجرح عاطفتهم الدينية فاذا كان هذا شعوري في مجاملة الهندوس فكيف يكون شعوري وميلتي الى الشيعة؟ اذا لا تصدقوا انني متعصب، ان في رعيتي السني والشيعة والهندوس واليهود وقد اطلقت للجميع الحرية في الدين والمذهب . نعم لا اسمح للشيعة أن يهين الخلفاء الثلاثة ويزدرهم فان كان هذا يعد تعصبا فأنا متعصب .

كانت المدرسة قد أعدت خطبة لترحيب به واطلع عليها كما هي العادة في مثل ذلك فلم يسمح بقراءتها كلها حرصا على الوقت وخطب هو بالفارسية خطابا افتحه بالشكر لحكومة الهند على مساعدة المدرسة وذكر أنه سمع عن المدرسة الحسن والسبيء وكان السبيء هو الغالب على ذهنه قال « فحشت لا اعرف الحقيقة بنفسي لاني لا أتق في شيء من الاعمال بالروايات » ثم صرح بأنه بعد الاختبار الدقيق علم أن الطاعنين في المدرسة كانوا كاذبين وأكد ذلك ثلاثا قال « وجدت مجلس الادارة يبذل العناية التامة لجمال الطلبة على يقين في ايمانهم وان الطلبة يتقدمون وينمون ليكونوا من المسلمين الصالحين واتي سألتهم أسئلة يعسر على بعض المسلمين الصالحين حلها فأجابوا عن كل سؤال ولم تكن أجوبتهم سطحية لا تتجاوز حناجرهم بل كانت علما فائضا عن قلوبهم فأحمد الله ان وجستهم على ثبات في دينهم واستقامة في آدابهم وسيكون حبيب الله خان بعد اليوم أحرص الناس على قطع السنة من يذمون هذه الكلية (وهذا صفق الحاضرون فأشار بيده أن أمسكوا وقال)

« من كان لا يزال يظن ان الدين والعلم لا يتفقان وان الدين يضمف حيث ينمو العلم فليأت الى هذه الكلية وافر كما رأيت ما يفعل العلم لفائدة الدين ومصلحة النابتة الجديدة . بلغني أن بعض المسلمين في الهند يسيئون الظن في بعض فروع التعليم فيالذلك من جهل فاحش . أصبحوا لما أقول انني أدافع عن التعليم الغربي وقد استبدلت بحسابه طريقا لانشاء كلية دعوتها (الكلية الحبيبية) إضافة الى اسمي تدرس فيها العلوم الأوربية على الطريقة الأوربية الا انني أصرت على القول بأنه لا بد من جعل التعليم الديني أساسا تقوم عليه جميع أركان

التعليم فاذا هدمتم الأساس هدم ما بنى عليه . لذلك أقول لكم اجملوا تميرين
الطلبة في علوم الدين غاية الغايات وقد وضعت هذا الشرط في كليتي وأرجو أن
يراعى هنا بالدقة التامة ولكن مع مراعاة هذا الشرط أكرر القول بأنني صديق
مخلص للتعليم الغربي وأحب له النجاح التام «
ثم آذن القوم بأنه قد وهب المدرسة عشرين ألفاً روية هبة معجزة ومرتباً
سنوياً قدره مئة آلاف روية

خاتمة السنة التاسعة

باسم الله نبدي القول ونعيده ، وبحوله وفضله نودع عاماً ونستقبل آخره ،
الحمد على ما وفق فيما مضى ، وإياه نسأل التوفيق لخير منه فيما يأتي ، فإن بيده ملكوت
كل شيء ، وهو بجير ولا يجار عليه ، هو ربي إليه أدعو وإلى أئيب ،
كانت السنة التاسعة للمنار كالسنين الأربعة قبلها في كثرة الاقبال على المنار
فيها وطلب المثين من الناس للاشتراك ولكننا رددنا كل طلب لم نعرف صاحبه ولم
يعرفنا به صديق ثق بوثوقه به لأن التجارب علمتنا أن أكثر الجهولين الذين
يطلبون الاشتراك ولا يرسلون القيمة عند الطلب يطلون بعد ذلك ويسوفون ،
أو يهضمون الحق وهم مغمضون ، وان سوء حال الأكرين ، ينجمل على سوء الظن
بالأقلين من الصالحين ، وستكون هذه طريقتنا في السنة العاشرة ان شاء الله تعالى
لانرسل المنار الى أحد من طلاب الاشتراك الا اذا أرسل الينا القيمة مع الطلب الا
أن يكون معروفاً لدينا أو يطلب له ذلك من نثق بضمانه من أصحابنا فحسبنا ما قاسينا
من مطال الماطلين

قيمة الاشتراك في السنة العاشرة

قد جعلنا قيمة الاشتراك في المنار ستين قرشاً لأهل القطر المصري والسودان
فزدنا فيها عشرة قروش وهي سدس مجموع القيمة الآن والسبب في ذلك أن النفقة
زادت علينا ضعف ذلك أو أكثر فقد زادت اجرة المكان عما استأجرناه به أول

مرة متين وخمسة وعشرين قرشاً في الشهر بعد ما فصل منه عدة حجرات جعلت
دكاكين توجر بما هو أكثر من هذه الزيادة وزادت أجور العمال في المطبعة زيادة
تذكر فاستكثر وزاد مطل المشتركين مع ذلك

حال المشتركين

في كل سنة زاد ادعوا بصحة ما بيناه في المجلد السادس من أحوال « قراء
الصحف المنشرة » في الاقطار الاسلامية وأصنافهم في مصر (راجع ص ٦٣١٤)
وهي أشد البلاد مطالاً حتى ان بعض المديرين (كالدقهلية) لم يرسل البنا قيمة
الاشتراك منها في هذه السنة الا نحو ستة من المئة . نعم ان أكثر المشتركين في المديرين
لم يطالبهم بقيمة الاشتراك مطالب ولم يذكروهم بها مذكروا والصحف نفسها لا تمد
مذكرة في عرف البلاد فهم يقرؤونها ولا يخطر لهم ببال أن لها حقاً وأنها ما وصلت
اليهم الا بعد نفقة كبيرة لأنهم اعتادوا أن لا يؤدوا حقاً الى مستحقه الا بعد الجاح
في الطلب وكثرة مراجعة في السوءال ومنهم من يعز عليه أن يؤدي حقاً بدون حكم
قضائي ومنهم من لا يؤدي الحق بعد الحكم به الا اذا حجز على شيء مما يملك
وباعته الحكومة عليه أو حاولت بيعه . ألا ان شأن هؤلاء الناس في الهي والمطل لغريب
وقد كنت اذا ذكر ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية في هذا الخلق المتسكن من
نفوس الاكثرين فأخبرني أنه ما يمكن الا بالوراثة . قال ان الحكومة لم تكن تحصل
الاموال المضروبة على الاهالي الا بالضرب والسبب في هذا ان الناس كانوا يدعون
العدم وهم واجدون ، وينكرون ما بأيديهم فاذا هم ضربوا يترفون ، كان أحدهم يضع
ما يطلب منه من النقد في فيه ويحلف لعامل التحصيل الايمان المغلظة انه لا يملك
الآن شيئاً حتى اذا ما برح الكرباج بجلده ، وشربت السياط من دمه ، أخرج
النقد من فيه ، ورى به الى العامل ثم انه يعود الى مثل ذلك الكرة بعد الكرة ،
لا يعتبر وان لدغ من الجحر الواحد سبعين مرة ،

وأقول الآن كما قلت من قبل ان أشد الناس مطالاً كتاب المصالح والدواوين ،
وصغار المستخدمين ، ثلث من حملة الشهادات الابتدائية ، وقليل من أصحاب الشهادات

النهائية ، وأظن أن التطيم الناقص مع عدم التربية الصالحة هو أشد تأثيرا في نفوس هؤلاء من الوراثة التي حدثني بأصلها ابراهيم باشا . طلب مني أحد هذه النابتة الجديدة أن أجعله مشتركا في المنار منذ اربع سنين فأجبتة الى ذلك اذ رأيتة ممن يرون لانفسهم مكانة في الادب يمتاز بها بين الجالسين على كرسي الديوان وانه دخل في زمرة أهل التأليف . وبعد ان تمت السنة الاولى من اشترائه كان كلما رأني يهديني بان سيرسل الي قيمة الاشتراك على رأس « الشهر الآتي » فلما كرت الشهور على هذا الوعد المكررا وهو أمر على خلاف المثل القائل « المكرر أحلى » صرت اذا رأيتة أتبسم تعجبا فيادر بالاعتذار . وأبي عنده اقرب الى الازهان من النسيان . ثم قال لي غير مرة لعلك تذكركني في أول الشهر بكتاب يرسل أو وكيل يسأل فخار يته بهذا وذاك وأني تنفع مثله الذكري أمثال هؤلاء . يتعجب منهم ولا يعتب عليهم ومن المشتركين من يعتب عليهم ويلمح منهم كدخض الاغنياء الذين يؤخرون قيمة الاشتراك عدة سنين لمحض الكسل وهم من محبي المنار وعارفي صاحبه الذين يعتقد أنهم راضون عن عمله مضبوطون به ويتمنون دوام نجاحه ، ألا يفكر هؤلاء في كونهم أجدر الناس بالسبق الى اداء حق المنار في أول كل سنة وان الاجدر اذا أخر كان غيره أولى بالتأخير أو الظلم بالجدد وكيف يقوم حينئذ عمل ينفق عليه في كل شهر بضعة آلاف أما حال المشتركين في سائر الاقطار فهي على ما شرحنا من قبل الا أن مسلمي روسيا قد قصر بعضهم تقصيرا معظم سببه تأثير الحرب في بلادهم فقد تعطل البريد في بعضها فلم يصل اليها المنار مطردا ولم يتيسر لاهلها ارسال النقود . وما زلنا نقول انهم احسن المسلمين وفاء في الغالب بعد عرب نجد وحضر موت انما كانوا وحيثا أقاموا . وأما أهل تونس فما زال الوكيل الذي أقبل منذ سنة يرجي حسابهم وانما يمكن الحكم عليه الآن من دونهم وسبكون ذلك في جزء آخر ونختم الكلام بالثناء الحسن على السابقين بالخيرات من أهل هذه البلاد وغيرها وهم الذين يؤتون الحق في أول وقته أو قبله وعلى المقصد بن الذين يؤتونه متى طولبوا ، ولا يؤجلونه وان لم يستعجلوا ، فبهؤلاء تقوم الاعمال ، ولولاهم لفسد العمران ،

طلب الاجزاء المفقودة وحال البريد

ومما يفيد ذكره في هذا البحث أو الدرس ان أكثر المشتركين مطالأهم أكثرهم مطالبة بأجزاء يدعون انها لم تصل اليهم وان الرسائل التي ترد علينا ربما كان ستون منها في المئة خاصة بطلب الاجزاء المفقودة . وقد بحثنا في هذه المسألة فبين لنا بعد التحري والتدقيق ما يأتي (١) ان بعض الاجزاء يفقد بتقصير من ادارة المجلة والسبب الغالب في ذلك أن يسقط بعض العنوانات أو يذهل عنه عند إلصاقها على الغلاف ومن غير الغالب أن يسقط بعض الاعداد من العربة التي تنقل الاجزاء الى البريد . وكل من الغالب وغير الغالب نادر (٢) ان عمال البريد يخطئون من كل جزء عدة نسخ لكنهم يترأخون فيها فلا يلتزمون نسخ مشترك معين وقد يخطئون في التوزيع فيعطون المرء ما ليس له (٣) ان كثيرا من المشتركين لهم أقارب أو أصدقاء يحبون قراءة المجلة فهم يأخذونها عند مجيئها قبل أن يراها صاحبها . ومن هؤلاء الذين يأخذ الأقربون والأصدقاء نسخهم من يبادر الى طلب بدلها من ادارة المجلة . ومنهم من لا يطلبها الا بعد العلم بصدور ما بعدها ومنهم من لا يطلب الا في آخر السنة أو عند المطالبة بقيمة الاشتراك ، ومنهم من يطلب بعد سنين أجزاء فقدت منها (٤) ان من الناس من يدعي أن الاجزاء لم تصل اليه منذ كذا شهراً وهو يعلم انه لم ينقطع عنه منها شيء . وهؤلاء هم الذين يعتمدون هضم الحق ويستبيحون الكذب في ذلك . وقد اتفق أن واحدا منهم طواب بقيمة الاشتراك فقال له المطالب اني لم أر المنار منذ كذا وذا كر سنة أو أكثر أو أقل فالتفت المطالب الى نافذة بجانب الرجل فيها أوراق فرأى فيها عدة أجزاء من المنار هي آخر ما صدر منه فقال له وأي شيء هذا وأشار الى الاجزاء II فردده رداً آخر ونحمد الله ان كان هذا الصنف من مشتركى المنار قليلا لا أكثر الله في أمة من أفرادها

لكثرة طلب المفقود نصح في كل سنة بأن من طلب جزءاً لم يصل اليه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد صدوره كان حقاً على الإدارة أن ترسله اليه ومن

طلبه بعد ذلك وجب أن يرسل ثمنه (وهي الآن ستة قروش صحيحة) فإن وجد أرسل اليه والادارة لاتضمن وجوده ولكنها تضمن ما يصل اليها من الدراهم

تقصير ادارة المنار

قد كان تقصير الادارة في اصدار المنار في مواعيده (أوائل الشهور) أشد في هذه السنة منه فيما سبقها والسبب في ذلك انكسار آلة الطبوع وطبل الامد على إصلاحها ثم ماعرانا من التوعك غير مرة . وقد قصرنا أيضا في مكاتبة من كاتبونا من المشتركين والمحبين ومعظم السبب في ذلك كثرة الاعمال مع فقد المساعد وعسى أن لا تقصر من بعد

الانتقاد على مباحث المنار

ليس عندنا انتقاد على المنار في هذه السنة لم ينشر الا ما كتبه بعض القراء في انكار نشر رسالة الدكتور صدقي (الاسلام هو القرآن وحده) وعندنا أن الحق يملو ولا يعلى لا تطمسه شبهة ، ولا تقوم للباطل عليه حجة ، وانما يخاف على دين من ليس على يقين من دينه ومن كان كذلك لا يفند بدينه ولا يترك بحث الباحثين لأجله أما الانتقاد بالقول فقد بلغنا منه مسألان جديران بالذكر قالها أحدهم فضلاء الأور بين (احدهما) ما ورد في الجزء الماضي من وجوب الهجرة على المسلم الذي يقع تحت سلطة غير المسلم . ورد ذلك في مقالة من مقالات العروة الوثقى نشرت في الجزء الماضي . ونقول اننا لم ندع في المنار الى الهجرة التي تنافي مصلحة الأور بين المستعمرين ومصلحة رعاياهم المسلمين في هذا العصر وانما هو أثر تاريخي نغيرنا كتب لفرض سياسي فاتوقته ونضى زمنه فلم يخطر في بالنا أن نحذف كلمة الهجرة منه ولأنه يكون لها تأثير يذكر . بل نقول إن الاستاذ الامام لم يكن يرى في آخر أيامه أن الهجرة واجبة على المسلمين من رعايا الاجانب الذين لهم من الحرية في الدين ما لا يكادون يجدون مثلها في البلاد التي يحكمها المسلمون . وقد جرب بعض أهل الجزائر فهاجروا الى البلاد العثمانية وبلغنا أنهم لم يلبثوا أن ندموا (الثانية) قولنا في الجزء الماضي أيضا ان الافرنج لا يكاد يوثق

بعلمهم النظري والعقلي لانهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على التجربة والتمس .
واقول اني تنبئت بعد طبع الكراسة التي فيها هذه الكلمة الى ما فيها من المبانة
في الجرح الذي لا ينكر أصله منصف لاسيما مع المقابلة بين العلوم النظرية وغيرها
ولولا انها الكراسة العاشرة لاستدركت على العبارة في ذلك الجزء قبل
ان ينتقد أحد . ومن غريب انتقاد المكابرين زعمهم أن المنار مجلة دينية فكيف
تنشر بعض الآراء السياسية وهو لاء لا يلتفت الى قولهم ويكفي في اظهار أفتياتهم
قراءة عنوان المجلة ولو انتقدوا كثيرة المسائل الدينية لكان انتقادهم أقرب

الثناء على المنار

أما ما يرد علينا من الثناء على المنار من القرب والشرق فهو عظيم وإنما
لنحجل من نشره لاسيما اذا كان محضاً ونسأل الله تعالى أن يوفقنا الى ما يحقق ظن
من يحسنون الظن بنا وان يقينا شر القرور بالنفس ، وانفلة عمالنا مخلوعه من تقصير ونقص ،
الدعوة الى الانتقاد والتأييد

وإننا ندعو أهل القبلة على الملة والأمة من العلماء والفضلاء الى الانتقاد
بالكتابة على ما يرونه خطأ أو باطلا ما ينشر في المنار ونعدهم بنشره مقروناً بالثناء
والإقرار بالقبول اذا أقمنا أو ببيان ما عندنا من إيضاح مقصدنا وتأيدته بالدليل
والحق بعد ذلك لا يخفى على الجماهير اذ هو الذي يعلو ولا يعلى . كما ندعوهم الى
تأييدنا فيما ننشره من بيان الحق والنصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم
ومن الارشاد الهام لكل من يصل اليه صوتنا وتبانه مجلتنا من البشر فان الدعوة
اذا أيدها المعتقدون بحقيقتها ونفعها لا تلبث أن تنتشر انتشار الشعاع وترسخ رسوخ
الاطواد . وانما يجيب دعوتنا الى الامرين من جعلهم الله أهلا للدعوة الى الخير
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، وحزب الله الغالبون ،
اما حزب الشيطان الخاسرون فانهم يمهزون ويمرون ، ويقتابون ولا ينصحون ،
ويحسبون انهم على شيء إلا انهم هم الكاذبون ، والعاقبة للمتقين ، وسلام على
المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،